المكتوبات الربانية

للإمام الرباني أحمد بن عبد الأحد
السرهندي الفاروقي النقشبندي
المتوفى سنة ١٠٣٤هـ

جمعها

يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني

علق عليها ووضع حواشيها

مصطفى حسنين عبد الهادي

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : المكتوبات الربانية

Title : AL-MAKTUBĀT AR-RABBĀNIYYA

التصنيف : تصوف

Classification: Sufism

المؤلف: الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي النقشبندي
(ت 1034هـ)

Author : Al-Imam Ahmad ben Abdul-Ahad As-Sarhandi
Al-Farouqi An-Naqshabandi (D.1034H.)

المحقق : مصطفى حسنين عبد الهادي

Editor : Mustafa Hasanayn Abdul-Hadi

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (3 Volumes) 1472 (3 مجلدات) **عدد الصفحات**
Size 17x24 cm **قياس الصفحات**
Year 2015 A.D - 1436 H. **سنة الطباعة**
Printed in : Lebanon **بلد الطباعة :** لبنان
Edition : 2nd **الطبعة :** الثانية

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٢
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN-13: 978-2-7451-4111-8
ISBN-10: 2-7451-4111-2

بسم الله الرحمن الرحيم

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائتَانِ
إِلى الملا طَاهِرِ اللاهوري
فِي التَّحْرِيضِ عَلى إِحْيَاءِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَرَفْعِ البِدْعَةِ الغَيْرِ مَرْضِيَّةِ

الحَمْدُ للّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُرْسَل مَعَ الحَافِظِ بَهاءِ الدِّين وَأَوْرَثَ فَرَحاً وَافِرًا حَبَّذَا النِّعْمَة تَوَجُّه المُحِبِّينَ وَالمُخْلِصينَ بِجَمِيعِ هِمَّتِهِمْ إِلى إِحْيَاءِ سُنَّة مِنَ السُّنَنِ المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ وَإِرادَتُهُمْ بِكُلِّيَتِهِمْ رَفْعَ بِدْعَةٍ مِنَ البِدَعِ غَيْرِ المَرْضِيَّةِ فَإِنَّ كُلاً مِنَ السُّنَّةِ وَالبِدْعَةِ ضِدُّ الأُخْرَى وَوُجُودُ إِحْدَاهما مُسْتَلْزِمُ الأُخْرى، فَوُجُود السُّنَّة مُسْتَلْزِمُ البِدْعَةِ وَبِالعَكْسِ فَكَيْفَ تَصِحُّ تَسْمِيَةُ البِدْعَةِ حَسَنَةً مَعَ كَوْنِهَا مُسْتَلْزِمَةً لِرَفْعِ السُّنَّةِ إِلاَّ أَنْ يُرَادَ بِالحَسَنِ الحَسَنُ النِّسْبِيُّ فَإِنَّهُ لاَ مَجَال للحَسَنِ المُطْلَق هُنَا؛ لأَنَّ جَمِيعَ السُّنَنِ مَرَاضِي الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَأَضْدَادُهَا مَرْضِيَّاتُ الشَّيْطَانِ وَهَذَا الكَلامُ وَإِنْ كَانَ اليَوْمَ ثَقِيلاً عَلى الأَكْثَرِينَ بِوَاسِطَةِ شُيُوعِ البِدْعَةِ وَلَكِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ غَدًا أَنَّنا عَلى الهِدَايَةِ أَوْ إِيَّاهُمْ وَوَرَدَ أَنَّ المَهْدِيَّ المَوْعُودَ إِذَا أَرَادَ تَرْوِيجَ الدِّين وَإِحْيَاءَ السُّنَّة فِي زَمَانِ سَلطَنَتِهِ بِقَوْل عَالم المَدِينَةِ الذي اعْتَادَ عَلى العَمَلِ بِالبِدْعَةِ وَظَنَّهَا حَسَنَةً وَأَلْحَقَهَا بِالدِّينِ بِهَذَا الظَّنِّ مُتَعَجِّبًا أَنَّ هَذَا الرَّجُل يُرِيدُ رَفْعَ دِيننا وَإِزَالَةَ ملتنا فَيَأْمُرُ المَهْدِيُّ بِقَتْلِهِ وَيَرى مَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ حَسَنٌ سَيئًا ذَلكَ فَضْل اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الفَضْل العَظِيمِ وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنْ لدَيْكُمْ.

وَقَدْ غَلَبَ النِّسْيَانُ عَلى الفَقِيرِ حَتَّى لاَ أَعْلَمَ الآنَ إِلى مَنْ فَوَّضْتُ مَكْتُوبَكُمْ فَأَكْتُبُ جَوَابَ الاسْتِفْسَارَاتِ فَيُرْجَى مُسَامَحَتُكُمْ وَالشَّيْخ مِيَّانُ أَحْمَدُ الغَزْمَلِيُّ مِنَ المُحِبِّينَ وَحَيْثُ إِنَّهُ وَاقِعٌ فِي جِوارِكُمْ يَنْبَغِي رِعَايَةُ الالتِفَاتِ وَالتَّوَجُّه فِي حَقِّه.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ وَالمِائَتَان

إلى الشَّيْخِ بَديعِ الدِّين

فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ عَنِ القُطْبِ وَقُطْبِ الأَقْطَابِ وَالغَوْثِ وَالخَليفَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَالسَّلَامُ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى وَصَلَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُرْسَل صُحْبَةَ الدَّرْوِيشِ فَأَوْرَثَ فَرَحًا وَافِرًا وَسُئِلتُ عَنْ مَعْنَى القُطْبِ وَقُطْبِ الأَقْطَابِ وَالغَوْثِ وَالخَلِيفَةِ وَعَنْ خِدْمَةِ كُلٍ مِنهُمْ وَوَظِيفَتِهِ وَأَنَّهُ هَل لَهُمُ اطِّلَاعٌ عَلى خِدْمَتِهِمْ أَمْ لاَ وَالبِشَارَةِ بِقُطْبِيَّةِ الأَقْطَابِ التِي تَجِيءُ مِنْ عَالَمِ الغَيْبِ هَل لَهَا أَصْلٌ أَوْ هِيَ مِنَ اخْتِرَاعِ الخَيَالِ وَالوَهْمِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنْ كَمَالَ اتِّبَاعِ نَبِيٍّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا أَتَمُّوا بِالتَّبَعِيَّةِ مَقَامَ النُّبُوَّةِ يُشَرَّفُ بَعْضُهمْ بِمَنْصِبِ الإِمَامَةِ وَبَعْضُهمْ يَكْتَفِي بِمُجَرَّدِ حُصُولِ ذَلِكَ الكَمَالِ وَهَذَانِ المُعَظَّمَانِ مُتَسَاوِيَانِ فِي نَفْسِ حُصُولِ ذَلِكَ الكَمَالِ وَإِنَّمَا التَّفَاوُتُ فِي حُصُولِ المَنْصِبِ وَعَدَمِهِ وَفِي أُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ المَنْصِبِ وَإِذَا أَتَمَّ الاتِّبَاعَ الكَمَالَ كَمَالَاتِ الوِلَايَةِ يُشَرَّفُ بَعْضُهمْ بِمَنْصِبِ الخِلَافَةِ وَيَكْتَفِي بَعْضُهمْ بِمُجَرَّدِ حُصُولِ تِلْكَ الكَمَالَاتِ كَمَا مَرَّ آنِفًا وَكُلٌ مِنْ هَذَيْنِ المَنْصِبَيْنِ يَتَعَلَّقُ بِالكَمَالَاتِ الأَصْلِيَّةِ.

وَأَمَّا فِي الكَمَالَاتِ الظِّلِّيَّةِ فَالمُنَاسِبُ لِمَنْصِبِ الإِمَامَةِ يَعْنِي لأَنْ يَكُونَ حِذَاءَهُ وَظِلَّهُ هُوَ مَنْصِبُ قُطْبِ الإِرْشَادِ وَالمُنَاسِبُ لِمَنْصِبِ الخِلَافَةِ مَنْصِبُ قُطْبِ المَدَارِ وَكَأَنَّ هَذَيْنَ المَقَامَيْنِ التَّحْتَانِيَّيْنِ ظِلَالُ ذَيْنِكَ المَقَامَيْنِ الفَوْقَانِيَّيْنِ.

وَالغَوْثُ عِنْدَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ – قُدِّسَ سِرُّهُ – هُوَ قُطْبُ المَدَارِ المَذْكُورِ وَلَيْسَتْ الغَوْثِيَّةُ عِنْدَهُ مَنْصِبًا عَلى حِدَةٍ وَمُمْتَازَةً عَنْ مَنْصِبِ القُطْبِيَّةِ وَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ الفَقِيرِ أَنَّ الغَوْثَ غَيْرُ قُطْبِ المَدَارِ بَل هُوَ مُمِدُّهُ وَمُعَاوِنُهُ فِي أُمُورِهِ وَشُئُونِهِ.

وَقُطْبُ المَدَارِ يُسْتَمَدُّ مِنْهُ فِي بَعْضِ الأُمُورِ،

وَفِي تَعْيِينِ مَنَاصِبِ الأَبْدَالِ وَنَصْبِهِمْ لَهُ دَخْلٌ أَيْضًا وَيُقَالُ لِلقُطْبِ بِاعْتِبَارِ الأَعْوَانِ وَالأَنْصَارِ قُطْبُ الأَقْطَابِ أَيْضًا؛ لأَنَّ أَعْوَانَ قُطْبِ الأَقْطَابِ وَأَنْصَارَهُ حُكَّامٌ وَمِنْ هُنَا قَالَ صَاحِبُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ:

مَا مِنْ قَرْيَةٍ مُؤْمِنَةٍ كَانَتْ أَوْ كَافِرَةٍ إِلاَّ وَفِيهَا قُطْبٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَ المَنْصِبِ صَاحِبُ عِلم البَتَّةَ وَأَمَّا الذي فيه كَمَال ذَلكَ المَنْصِبِ دُونَ نَفْسِ المَنْصِبِ فَلاَ يَلزَمُ كوْنُهُ مِنْ أَرْبَابِ العِلمِ وَكَوْنُهُ مُطلعًا عَلى خِدْمَاتِهِ.

وَالبِشَارَةُ التي تَصِل مِنْ عَالم الغَيْبِ هِيَ بِشَارَةُ حُصُول كَمالاَتِ ذَلك المَقَامِ لاَ بِشَارَةُ حُصُول مَنْصِبِ ذَلكَ المَقَام التِي هِيَ مَنُوطَةٌ بِالعِلم.

وَسَأَلتَ أَيْضاً أَنَّهُ مَا المُرَادُ بَالإِيمَانِ الوَاقِع فِي حَدِيثِ (لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بَإِيمَانِ أُمَّتِي لرَجَحَ) وَمَا سَبَبُ رُجْحَانِ الإِيمَانِ بِوَاسِطَةِ رُجْحَانِ المُؤْمِنِ بِهِ وَحَيْثُ كَانَ مُتَعَلقُ إِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ مُتَعَلقَاتِ إِيمَانِ الأُمَّة يَكُونُ رَاجِحًا أَلبَتَّةَ.

أَيّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ مُعَامَلَةَ السَّالكِ قَدْ تَبْلغُ فِي عُرُوجَاتِهِ مَبْلغًا لوْ تَفُوقُ مِنْهُ مِقْدَارَ نُقْطَةٍ تَكُونُ الكَمَالاَتُ التي تَحْصُل بسَبَبِ هَذَا العُرُوج وَالتَّفَوُّقِ أَزْيَدَ مِنْ جَمِيعِ الكَمَالاَتِ السَّابِقَةِ؛ لأَنَّ تِلكَ النُّقْطَةَ أَزْيَدُ مِنْ جَمِيعِ مَا تَحْتَهَا وَكَذَلكَ حَال النُّقْطَةِ التِي فَوْقَ هَذِهِ النُّقْطَةِ فَإِنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ حَقِيرَةٌ فِي جَنْبِهَا وَعَلى هَذَا القِيَاسِ فَمَنْ كَانَ مُتَعَلقُ إِيمَانِهِ كَمَالَ الفَوْقِ وَغَايَتَهُ يَكُونُ رَاجِحًا البَتَّةَ عَلى جَمِيع مَا تَحْتَهُ.

وَمِنْ هُنَا قَالوا: تَبْلغُ مُعَامَلةُ العَارِف مَبْلغًا يُكْتَسَبُ فِي طَرْفَةِ العَيْنِ مِثْل جَمِيعِ كَمَالاَتِهِ المُتَقَدِّمَةِ وَعلَى مِقْيَاسِ تَحْقِيقِ الفَقِيرِ يَحْصُل فِي لَمْحَةٍ أَزْيَدُ مِنْ جَمِيعِ الكَمَالاَت المُتَقَدِّمَة ﴿ذَلكَ فَضْل اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾⁽¹⁾.

وَسَأَلتَ أَيْضًا أَنَّهُ ذَكَرَ الشَّيْخُ ابْنُ عَرَبِيّ وَأَتْبَاعُهُ: إِنَّ الأَطْفَال الذينَ قُتِلوا بِسَبَبِ مُوسَى ـ عَلى نَبِيِّنَا وَعَليْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ انْتَقَلت اسْتِعْدَادَاتُ كُلهِمْ إِلى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَنَرْجُو تَحْرِيرَ حَقِيقَةِ هَذَا الكَلاَم بِالتَّفْصِيل؟

اعْلمْ أَنَّ هَذَا الكَلاَمَ أَصِيل؛ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ بِالتَّحْقِيقِ فَكَمَا أَنَّ شَخْصًا وَاحِدًا يُجْعَل سَبَبًا لحُصُولِ الكَمَالاَتِ لجَمَاعَةٍ كَذَلكَ تُجْعَلُ الجَمَاعَة سَبَبًا لحُصُول الكَمَالاَتِ لشَخْصٍ وَاحِدٍ فَإِنَّ الشَّيْخَ وَإِنْ كَانَ سَبَبًا لحُصُولِ الكَمَالاَتِ للمُرِيدِينَ وَلكِنَّ لِلمُرِيدِينَ أَيْضًا أَسْبَابًا لِحُصُول الكَمَالاَتِ للشَّيْخ وَهَذَا الفَقِيرُ أَحَسَّ هَذَا المَعْنَى فِي المَأْكُولاَتِ وَالمَشْرُوبَاتِ التي صَارَتْ أَجْزَاءَ بَدَنِه بِحَيْثُ كُلمَا تَنَاوَلهُ مِنْ طَعَام أَوْ شَرَابٍ صَارَ ذَلكَ سَبَبًا لجَامِعِيَّةِ اسْتِعْدَادِهِ وَظَهَرَتْ بِهِ قَابِلِيَّةٌ أُخْرَى فَإِذَا قَصَدَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ تَرْكَ المَأْكُولاَتِ اللذِيذَة مُنِعَ مِنْ ذَلكَ

---

(١) ـ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

بِوَاسِطَةِ تَحْصِيلِ هَذِهِ الجَامِعِيَّةِ وَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ تَرْكُ ذَلِكَ الطَّعَامِ اللَّذِيذِ بِسَبَبِ حُصُولِ تِلْكَ القَابِلِيَّةِ وَكَمْ مِن اسْتِعْدَادٍ انْتَقَل مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ كُلاً أَوْ بَعْضًا وَصَارَ مَحْسُوسًا أَنَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ بَقِيَ خَالِيًا وَحَصَّلَ الآخَرُ جَمْعِيَّةً.

وَسَأَلْتَ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّينِ الكُبْرِي أَرْسَل وَاحِدًا مِنْ مُرِيدِيهِ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ الأَعِزَّةِ لِيَسْتَفْهِم مِنْهُ أَنَّهُ تَحْتَ قَدَمِ أَيِّ نَبِيٍّ فَقَال لَهُ الشَّيْخُ المُرْسَل إِلَيْهِ: فِي أَيِّ شُغْلٍ جُهُودُكَ؟

فَفَهِمَ الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ مِنْ هَذَا الكَلاَمِ أَنَّهُ تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى ـ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ بِأَيِّ وَجْه يُفْهَمُ هَذَا المَعْنَى مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ.

اعْلَمْ أَنَّ الجُهُودَ يُطْلَقُ عَلَى اليَهُودِ وَهُمْ مِنْ أُمَّةِ مُوسَى ـ عَلَيْه السَّلاَمُ ـ.

وَسَأَلْتَ أَيْضًا أَنَّهُ كُتِبَ فِي النَّفَحَاتِ أَنَّ وِلاَيَةَ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ تُسْلَبُ بَعْدَ المَوْتِ إِلاَّ وِلاَيَةَ أَرْبَعَةٍ مِنْهُمْ.

اعْلَمْ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِالوِلاَيَةِ التَّصَرُّفَاتِ وَظُهُورَ الكَرَامَاتِ لاَ أَصْلَ الوِلاَيَةِ التي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قُرْبٍ إلهِيٍّ ـ جَل سُلْطَانُهُ ـ وَأَنْ يَكُونَ مُرَادُه بِالسَّلْبِ أَيْضًا سَلْبَ كَثْرَةِ ظُهُورِ الكَرَامَاتِ لاَ سَلْبَ أَصْلِ الظُّهُورِ مَعَ أَنَّ هَذَا الكَلاَمَ كَشْفِيٌّ ومَجَال الخَطَأ كَثِيرٌ فِي الكَشْفِ فَلاَ يُدْرَى مَاذَا رَأَى وَمَاذَا فَهِمَ.

وَطَلَبْتَ ظُهُورَ بَعْضِ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ فَكُنْ مُنْتَظِرًا سَيَجْعَل الله بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا.

وَسَأَلتَ أَنَّهُ قَال فِي تَفْسِيرِ النَّيْسَابُورِيِّ: إِنَّ شَانِيك هُوَ الأَبْتَرُ بِاليَاء فَمَا التَّحْقِيقُ فِيهِ بِاليَاءِ أَوْ بِالهَمْزَةِ؟

اعْلَمْ أَنَّهُ بِالهَمْزَةِ وَالذِي كُتِبَ بِاليَاءِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قِرَاءَةً غَيْرَ مَشْهُورَةٍ.

وَكَتَبْتَ أَنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ يَطْلُبْنَ الاشْتِغَال بِالطَّرِيقَةِ فَإِنْ كُنَّ مَحَارِمَ فَمَا المَانِعُ وَإِلاَّ يَقْعُدْنَ وَرَاءَ الحِجَابِ وَيَأْخُذْنَ الطَّرِيقَةَ.

وَسَأَلْتُ أَنَّ أَرْبَابَ الحَدِيثِ أَثْبَتُوا فِي كُل شَهْرٍ أَيَّامًا مَنْهِيَّةً وَنَقَلوا الحَدِيثَ فِي هَذَا البَابِ فَمَاذَا نَفْعَل.

قَال وَالِدُ الفَقِيرِ ـ قُدِّسَ سِرُّهُ ـ: إِنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ وَالشَّيْخَ رَحْمَةَ الله اللذَيْنِ كَانَا مِنْ أَكَابِرِ المُحَدِّثِينَ وَلقِّبَا في الحَرَمَيْنِ بِالشَّيْخَيْنِ وَرَدًا إِلى الهِنْد وَقَالاَ: إِنَّ هَذَا الحَدِيثَ نَقَلهُ الكَرْمَانِيُّ شَارِحُ البُخَارِيِّ لكِنَّهُ ضَعِيفٌ.

وَالحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِي هَذَا البَابِ الأَيَّامُ أَيَّامُ اللَّهِ وَالعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ

وَقَالاَ أَيْضًا: إِنَّ نُحُوسَةَ الأَيَّام زَالَتْ وَارْتَفَعَتْ بِوِلاَدَةِ مَنْ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ عَلَيْهِ وعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ وَكَانَتْ نُحُوسَة الأَيَّامِ بِالنِّسْبَةِ إِلى الأُمَمِ المَاضِيَةِ.

وَعَمَل الفَقِيرِ أَيْضًا عَلى ذَلكَ لاَ أُرَجِّحُ يَوْمًا عَلى يَوْمٍ أَصْلاً مَا لَمْ يُعْلمْ تَرْجِيحُه مِنَ الشَّارِعِ كَيَوْم الجُمْعَةِ وَأَيَّام رَمَضَانَ وَنَحْوِهِمَا.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا بِأَنِّي مَا وَجَدْتُ المَعَارِفَ المُتَعَلقَةَ بِتَحَمُّل ثِقَل النُّبُوَّةِ فِي مَكْتُوب الخواجهْ مُحَمَّدٍ أَشْرَفَ مِنْ أَيْنَ تَجِدُهُ فَإِنَّهُ حَرَّرَ فِي هَذِه الأَيَّام وَلَمْ يَبْلغْكَ ثِقلهُ وَالمَكْتُوبُ طَوِيل عَرِيضٌ يَزِيدُ عَلى كُرَّاسَةٍ وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِرْسَالَ نَقْله إِلَيْكُمْ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَان

إلى المِيرِ نُعْمَانَ

في بَيَانِ الطُّرُقِ عَلى طَرِيقِ الإجْمَال

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَات وَتَبْليغِ الدَّعَوَات أُنْهِيَ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّرِيفَ المُرْسَل صُحْبَةَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الفَرمَلِيِّ قَدْ وَصَل وَأَوْرَثَ بوُصُوله فَرَحًا وَافرًا وَطَلَبَتْ رِسَالَةً في بَيَان الطَّرِيق قَدْ حَرَّرْتُ المُسَوَّدَات فيه فَإذَا نَقَلْتُ إلى البَيَاضِ بتَوْفيق الله أَرْسلهَا وَالآنَ أَكْتُبُ فقْرَات في بَيَان الطَّرِيقِ بطَرِيقِ الإجْمَال يَنْبَغي اسْتمَاعُهَا بسَمْعِ العُقَل.

أَيُّهَا السَّيِّدَان الطَّرِيقُ الذي اخْتَرْنَاهُ نَحْنُ ابْتدَاءً مَسيرُه منَ القَلب الذي هُوَ منْ عَالَمِ الأَمْرِ وَبَعْدَ القَلب يَقَعُ السَّيْرُ في مَرَاتب الرُّوحِ التي فَوْقَهُ وَبَعْدَ الرُّوحِ تَكُونُ هَذه المُعَامَلَةُ بالسِّرِّ الذي فَوْقَهَا وَهَكَذَا الحَالُ في الخَفيِّ وَالأَخْفَى وَبَعْدَ طَيِّ مَنَازِل هَذه اللطَائف الخَمْسِ وَحُصُول العُلُومِ المُتَعلقَة بكُل منْهَا عَلَى حدَة.

وَحُصُول المَعَارف كَذَلكَ وَبَعْدَ تَحَقُّق الأَحْوَال وَالمَوَاجيد المَخْصُوصَة بكُل وَاحد منْ هَذه الخَمْسِ مُنْفَردَةً مُنْفَردَةً يَقعُ السَّيْرُ في أُصُول هَذه الخَمْسِ التي هِيَ في العَالَمِ الكَبِير فَإنَّ كُلمَا هُوَ في العَالمِ الصَّغِيرِ أَصْلُهُ في العَالمِ الكَبِيرِ وَالمُرَادُ بالعَالمِ الصَّغِيرِ الإنْسَانُ وَبالعَالمِ الكَبِير سَائرُ الكَائنَات وَشُرُوعُ السَّيْر في أُصُول هَذه الخَمْسِ منَ العَرْشِ المَجيد الذي هُوَ أَصْل قَلب الإنْسَان وَفَوْقَهُ أَصْل الرُّوحِ الإنْسَانيَّة وَفَوْقَهُ أَصْل السِّرِّ وَفَوْقَهُ أَصْل الخَفيِّ وَفَوْقَهُ أَصْل الأَخْفَى فَإذَا طُويَ سَيْرُ هَذه الأُصُول الخَمْسَة منَ العَالمِ الكَبِير بالتَّفْصيل وَانْتَهَى إلى نُقْطَة أَخيرَة فَقَدْ أَتَمَّ سَيْرَ دَائرَة الإمْكَان وَوَضَعَ القَدَمَ عَلى أَوَّل مَنْزِل منْ مَنَازِل الفَنَاءِ فَإنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بَعْدَ ذَلكَ يَكُونُ السَّيْرُ في ظلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات الإلهيَّة - جَل سُلطَانُهُ - وَهَذه الظِّلال كَالبَرَازِخِ بَيْنَ الوَاجب وَالإمْكَان وَأُصُول لتلكَ الأُصُول الخَمْسَة التي في العَالمِ الكَبيرِ وَيَكُونُ السَّيْرُ في هَذه الظِّلال أَيْضًا عَلى التَّرْتيب المَذْكُور في فُرُوعهَا فَإنْ طَوَى بفَضْل الله - سُبْحَانَهُ - المَنَازِل المُتَكَثِّرَةَ منْ هَذه الظِّلال وَانْتَهَى إلى نُقْطَتهَا الأَخيرَة يَكُونُ شُرُوعًا في أَسْمَاء الوَاجب وَصفَاته - جَل سُلطَانُهُ - وَتَقعُ تَجليَاتُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وظهوراتُ الشُّئُون وَالاعْتبَارَات فَعنْدَ ذَلكَ يَكُونُ قَدْ أَتَمَّ مُعَامَلَةَ اللطَائف الخَمْسِ الأَمْريَّة وَأَدَّى حَقَّهَا فَإنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بفَضْل الله - سُبْحَانَهُ - بَعْدَ ذَلكَ منْ هَذَا المَقَامِ تَقَعُ المُعَامَلَةُ عَلى اطْمئْنَان النَّفْسِ وَيَتَيَسَّرُ حُصُول

مَقَامِ الرِّضَا الذي هُوَ نِهَايَةُ مَقَامَات السُّلوكِ وَيَحْصُل فِي هَذَا المَقَامِ شَرْحُ الصَّدْرِ وَيَتَشَرَّفُ فيه بِالإِسْلاَمِ الحَقِيقِيِّ.

وَالكَمَالاَتُ التي تَحْصُل فِي هَذَا المَوْطِنِ حُكْمُ الكَمَالاَت المُتَعَلَقَة بعَالِمِ الأَمْرِ فِي جَنْبِهَا كَحُكْمِ القَطْرَة فِي جَنْب البَحْرِ المُحيطِ وَكُل هَذه الكَمَالاَت المَذْكُورَة مُتَعَلقَةٌ بِاسْمِ الظَّاهِرِ وَالكَمَالاَتُ المُتَعَلقَةُ بِاسْمِ البَاطِنِ هِيَ غَيْرُهَا وَلَهَا مُنَاسَبَةٌ بِالاسْتتَارِ وَالتَّبَطُّنِ فَإِذَا حَصَلتْ كَمالاَتُ هَذَيْن الاسْمَيْنِ المُبَارَكَيْنِ بتَمَامهَا يَتَيَسَّرُ للسَّالك جَنَاحَان للطَّيَران لِيَطيرَ بقُوَّتهمَا إِلى عَالمِ القُدْسِ وَتَحْصُل لهُ تَرْقيَاتٌ خَارِجَةٌ عَنِ القِيَاسِ وَتَفْصِيل هَذِهِ المُعَامَلةِ مُحَرَّرٌ فِي المُسَوَّدَاتِ وَوَلدِي الأَرْشَدُ مُجِدٌّ فِي جَمْعِه.

وَيَنْبَغِي لك أَنْ تَجيءَ بِنَفْسك هُنَا مَرَّةً وَاحدَةً إِنْ تَيَسَّرَ لكنْ بشَرْط أَنْ لاَ تَتْرُكَ مَقَامَك خَاليًا حَتَّى لاَ تَضِيعَ المُعَامَلةُ بَل تَجيءُ وَحْدَكَ وَتَجْعَل مُقْتَدَى تلكَ الجَمَاعَة منْ تَعلمِ أَنَّهُ أَسْبَقُ قَدمًا ثُمَّ تَتَوَجَّهُ إِلى هَذه الحُدُودِ فَإِنَّهُ لاَ يُدْرَى هَل تُعْطَى الفُرْصَةُ فِي وَقْتٍ آخَرَ أَوْ لاَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَانِ

إلى شَرِيف خَانْ

في بَيَانِ أَقْرَبِيَّتِه تَعَالَى وَتَقَدَّسَ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ حَصَلَ الابْتهَاجُ وَالسُّرُورُ بوُرُود الصَّحيفَة الشَّريفَة المَسْطُورَة إلَى فُقَرَاء هَذه الحُدُود عَلى وَجْه الكَرَم جزَاكُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - خَيْرَ الجَزَاء.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إنَّ أَقربيَّةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - إلَيْنَا منَّا وَإنْ كَانَتْ ثَابتَةً بنَصٍّ قَاطعٍ وَلكنْ مَاذَا نَصْنَعُ إنَّهُ - سُبْحَانَهُ - وَرَاءَ وَرَاءِ عُقُولنَا وَأَفْهَامنَا وَوَرَاءَ وَرَاء عُلومنَا وَإدْرَاكَاتنَا مَعَ أَنَّا نَعْرفُ أَنَّ هَذه الوَرَائيَّةَ في جَانب القُرْب لاَ في جَانب البُعْد فإنَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَقْرَبُ منْ كُل قَريب حَتَّى أَنَّا نَجدُ أُحَديَّةَ ذَاته - سُبْحَانَهُ - أَقْرَبَ منَ الصِّفَات التي نَحْنُ منْ آثَار تلْكَ الصِّفَات وَهَذه المَعْرفَةُ وَرَاءَ نَظَرِ العَقْل وَطَوْره فإنَّ العَقْل لاَ يَقْدرُ أَنْ يَتَصَوَّرَ شَيْئًا أَقْرَبَ إلَيْه منْ نَفْسه وَالمثَال الذي يُوَضِّحُ هَذَا المَبْحَثَ لَمْ يُوجَدْ مَعَ كَثْرَة التَّتَبُّعِ وَمُسْتَنَدُ هَذه المَعْرفَة نَصٌّ قَطْعيٌّ وَكَشْفٌ صَحيحٌ وَقَدْ تَكلَمَ مشائخُ الطَّريقَة في التَّوْحيد وَالاتِّحَاد وَمُسْتَنَدُ هَذه المَعْرفَة نَصٌّ قَطْعيٌّ وَكَشْفٌ صَحيحٌ وَقَدْ تَكَلَمَ مشائخُ الطَّريقَة في التَّوْحيد وَالاتِّحَاد وَبَيَّنُوا القُرْبَ وَالمَعيَّةَ وَاخْتَارُوا السُّكُوتَ في أقربيَّته تَعَالى وَلَمْ يُوجَدْ منْهُمْ بَيَانٌ شَاف في هَذَا البَاب وَالعَجَبُ أَنَّ أقربيَّته تَعَالى صَارَتْ سَبَبًا لاَ بُعْديَّتنَا هَذَا إلى أَنْ يَبْلغَ الكتَابُ أَجَلَهُ فَافْهَمْ فإنَّ كُلاً منَّا إشَارَاتٌ وَبشَارَاتٌ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائر مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله منَ الصَّلاة أَتَمُّهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ وَالمائَتَان

إلى المَخْدُومِ زَادَهْ الخواجهْ مُحَمَّد سَعِيد قُدِّسَ سِرُّهُ

فِي بَيَان فَوَائد إرْسَال الرُّسُلَ وَعَدَم اسْتِقْلاَل العَقْل فِي مَعْرِفته تَعَالى وَبَيَانِ الحُكْمِ الخَاصِّ فِيمَنْ نَشأَ فِي شَاهِقِ الجَبَل وَمُشْرِكِي زَمَنِ الفَتْرَة وَأَطْفَال مُشْرِكي دَار الحَرْب وَتَحْقِيقِ بَعْثَة الأَنْبِيَاءِ فِي أَرْضِ الهِنْد مِنَ الهِنْد سَابِقًا وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لوْلاَ أَنء هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ بأَيِّ لسَان يُؤَدِّي شُكْرَ نعْمَة إرْسَال الرُّسُل عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ والتَّسْلِيمَاتُ وَبأيِّ قَلب يَعْتَقِدُ المُنْعَمُ بهَا وَأَيْنَ للجَوَارِحِ أَنْ تُكَافئَهَا بالأَعْمَال الحَسَنَة فَلوْلاَ هَؤُلاَءِ الكُبَرَاءُ مَنْ كَانَ يَدُل أَمْثَالنَا القَاصِرِينَ عَلى وُجُودِ الصَّانِعِ وَوَحْدَتِه - جَل سُلطَانُهُ - وَلَمْ يَهْتَد قُدَمَاءُ فَلاَسِفَة اليُونَان إلى وُجُود الصَّانِعِ - جَل شَأْنُهُ - مَعَ وُجُودِ الذَّكَاوَة فِيهِمْ حَتَّى نَسَبُوا إيجَادَ الكَائنَات إلى الدَّهْرِ وَلَمَّا سَطَعَ أَنْوَارُ دَعْوَة الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَوْمًا فَيَوْمًا رَدَّ مُتَأَخِّرُوهُمْ ببَرَكَة تلكَ الأَنْوَارِ مَذْهَبَ قُدَمَائهِمْ وَقَالوا بوُجُود الصَّانِعِ - جَل شَأْنُهُ - وَأَثْبَتُوا وَحْدَانيَّتَه تَعَالى فَعُقُولنَا بمَعْزِل عَنْ إدْرَاك هَذَا المَطْلب العَالي بلاَ تَأْييد من أَنْوَارِ النُّبُوَّة وَأَفْهَامُنَا بَعيدَةٌ عَنِ الوُصُول إلى هَذه المُعَامَلة بدُون وَسَاطَة وُجُود الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ يَا ليْتَ شعْرِي مَاذَا أَرَادَ أَصْحَابُنَا المَاتريديَّةُ مِنْ قَوْلهِمْ باسْتِقْلاَل العَقْل فِي بَعْضِ الأُمُور كَإثْبَات وُجُود الصَّانِعِ تَعَالى وَوَحْدَانيِّته - سُبْحَانَهُ - فَكَلفُوا مَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ الجَبَل وَعَبَدَ الصَّنَمَ بهِمَا وَإنْ لَمْ تَبْلغْهُ دَعْوَةُ الرَّسُول وَحَكَمُوا بتَرْك النَّظَر فِيهِمَا بكُفْره وَخُلوده فِي النَّارِ وَنَحْنُ لاَ نَفْهَمُ الحُكْمَ بالكُفْرِ وَالخُلودِ فِي النَّارِ إلاَّ بَعْدَ البَلاَغِ المُبِينِ وَالحَجَّة البَالغَة المَنُوطَة بإرْسَال الرُّسُل.

نَعَمْ العَقْل حُجَّةٌ منْ حُجَجِ اللهِ تَعَالى وَلكنَّهُ ليْسَ بِحُجَّةٍ بَالغَةٍ فِي المَحَجَّة حَتَّى يَتَرَتَّبَ عَليْه أَشَدُّ العَذَاب.

فَإنْ قُلتَ: فَإنْ لَمْ يَكُنْ مَنْ نَشَأَ فِي شَاهق الجَبَل وَعَبَدَ الصَّنَمَ مُخَلدًا فِي النَّارِ يَكُونَ فِي الجَنَّة بِالضَّرُورَة وَذَا غَيْرُ جَائِزٍ فَإنَّ دُخُول المُشْرِكِينَ الجَنَّةَ حَرَامٌ

وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ قَال اللهُ تَعَالى حَاكِيًا عَنْ عِيسَى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْه الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ. وَالوَاسطَةُ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّار غَيْرُ ثَابتَة وَأَصْحَابُ الأَعْرَاف يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بَعْدَ مُدَّة فَالخُلودُ إمَّا في الجَنَّة وَإمَّا في النَّار.

قُلتُ: إنَّ هَذَا السُّؤَال مُسْتَصْعَبٌ جدًّا وَولدي الأَرْشَدُ يَعْرِفُ أَنَّهُ كَرَّرَ هَذَا السُّؤَال إلى هَذَا الفَقير منْ مُدَّة كَثيرَة وَلَمْ يَجدْ لَهُ جَوَابًا شَافيًا وَمَا قَال صَاحبُ الفُتُوحَات المَكِّيَّة في حَل هَذَا السُّؤَال منْ إثْبَات بعْثَة نَبيٍّ يَوْمَ القيَامَة لأَجْل دَعْوَة هَؤُلاَء القَوْم.

وَالحُكْمُ بدُخُول الجَنَّة وَالنَّار عَلى حَسَب إنْكَارهمْ وَإقْرَارهمْ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ عنْدَ هَذَا الفَقير؛ لأَنَّ الآخرَةَ دَارُ الجَزَاء لاَ دَارُ التَّكْليف حَتَّى يُبْعَثَ فيهَا نَبيٌّ وَبَعْدَ مُدَّة مَديدَة كَانَتْ عنَايَةُ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - دليلاً وَهَاديًا وَانْحَل هَذَا المُعَمَّى وَكُشفَ أَنَّ تلكَ الجَمَاعَةَ لاَ يُخلدُونَ لاَ في الجَنَّة وَلاَ في النَّار بَل يُعَذَّبُونَ وَيُعَاقَبُونَ بَعْدَ البَعْث وَالإحْيَاء في الآخرَة عَلى قَدْر جَريمَتهمْ في مَقَام الحسَاب وَتُسْتَوْفَى منْهُمُ الحُقُوقُ ثُمَّ يُجْعَلونَ بَعْدَ ذَلكَ مَعْدُومًا مُطْلقًا وَلاَ شَيْئًا مَحْضًا مثْل حَيَوَانَاتٍ غَيْر مُكَلفَة فَلمَنْ يَكُونُ الخُلودُ وَمَنْ يَكُونُ مُكَلفًا.

وَلَمَّا عُرضَتْ هَذه المَعْرفَةُ الغَريبَةُ في مَحْضَر منَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - صَدَّقَهَا جَميعُهَمْ وَقَبلوهَا وَالعلمُ عنْدَ الله - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى وَالحَكَمُ بإخْلاَد الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى عَبْدَهُ في النَّار وَتَأْبيدُ عَذَابه بمُجَرَّد العَقْل الذي مَجَال الخَطإ وَالغَلط كَثيرًا فيه جدًّا منْ غَيْر بَلاَغٍ بَيِّنٍ بوَسَاطَة الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَعَ كَمَال رَأْفَته وَرَحْمَته تَعَالى يَثْقُلُ عَلى هَذَا الفَقير جدًّا كَمَا يَثْقُل الحُكْمُ بالخُلود في الجَنَّة مَعَ وُجُود الشِّرْك كَمَا يَلزَمُ ذَلكَ عَلى مَذْهَب الأَشْعَريِّ لعَدَم القَوْل بالوَاسطَة بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّار فَالحَقُّ مَا أُلهمْتُ به منْ إعْدَامه بَعْدَ اسْتيفَاء مُحَاسَبَة يَوْم الحَشْر كَمَا مَرَّ وَهَذَا هُوَ حُكْمُ أَطْفَال مُشركي دَار الحَرْب عنْدَ الفَقير.

أَيْضًا قَال فَإنَّ دُخُول الجَنَّة مَنُوطٌ بالإيمَان إمَّا بالأَصَالة وَإمَّا بالتَّبَعيَّة وَإنْ كَانَتْ تَبَعيَّةُ دَار الإسْلاَم كَمَا هُوَ في أَطْفَال أَهْل الذِّمَّة وَالإيمَان مَفْقُودَةٌ في حَقِّهمْ مُطْلقًا فَلاَ يُتَصَوَّرُ دُخُولهمْ الجَنَّةَ وَدُخُول النَّار وَالخُلودُ فيهَا مَرْبُوطٌ بالشِّرْك بَعْدَ ثُبُوت التَّكْليف وَهَذَا أَيْضًا مَفْقُودٌ في حَقِّهمْ فَحُكْمُهمْ حُكْمُ البَهَائم منَ الإعْدَام بَعْدَ البَعْث وَالنُّشُور للحسَاب وَاسْتيفَاء الحُقُوق وَهَذَا هُوَ الحُكْمُ أَيْضًا في مُشْركي

زَمنِ فَتْرَةِ الرُّسُلِ الذينَ لَمْ تَبْلغْهُمْ دَعْوَةُ نَبيٍّ مِنَ الأَنْبيَاءِ.

أَيُّهَا الوَلدُ، إنَّ هَذَا الفقيرَ كُلمَا يُلاحظُ وَيُجيلُ النَّظرَ لاَ يَجدُ مَحلاً لَمْ تَبْلغْهُ دَعْوَةُ نَبيِّنَا عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَل يَكُونُ مَحْسُوسًا أَنَّ نُورَ دَعْوَته ﷺ بَلغَ كُل مَحل مثْل نُور الشَّمْسِ حَتَّى اليَأْجُوجَ والمَأْجُوجَ الذينَ حَال بَيْنَهُمُ السَّدُّ وَأنْ أُلاَحظَ في الأُمَمِ السَّابقَة لاَ أَجدُ بُقْعَةً لَمْ يُبْعَثْ فيهَا نَبيٌّ حَتَّى في أَرْضِ الهنْد التي تُرَى بَعيدَةً عَنْ هَذه المُعَامَلة أجدُ أَنْبيَاءَ كَانُوا مَبْعُوثينَ منْ أَهْل الهنْد وَدَعَوْا إلى الحَقِّ - جَل شَأْنُهُ - وَيُشَاهَدُ في بَعْضِ بلاَد الهنْد أَنْوَارُ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في ظُلمَات الشِّرْك كَالمَشَاعلِ المُسرَّجَة فَإنْ شئْتَ عَيَّنْتَ تلكَ البلاَدَ وَأَرَى نَبيًّا لَمْ يُصَدِّقْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَقْبَل دَعْوَتَهُ وَنَبيًّا آخرَ آمَنَ به شَخْصٌ وَآخرُ صَدَّقَهُ شَخْصَان وَصَدَّقَ البَعْضَ ثَلاَثَةٌ وَلاَ يَقعُ النَّظَرُ عَلى أَزْيَدَ منْ ثَلاَثَة آمَنُوا بنَبيٍّ في الهنْد وَلاَ أَرَى نَبيًّا آمَنَ به وَاتَّبَعَهُ أَرْبَعَةٌ وَمَا كَتَبَهُ رُؤَسَاءُ كَفَرَة الهُنُود منْ وُجُود الوَاجب وَصفَاته وَمنْ تَنْزيهاته وتقديساته كُل ذَلكَ مُقْتَبَسٌ منْ أَنْوَار مشْكَاة النُّبُوَّة؛ لأَنَّهُ مَضَى في كُل عَصْرٍ منَ الأُمَمِ السَّابقَة نَبيٌّ منَ الأَنْبيَاء وَأَخْبَرُوا عَنْ وُجُود الوَاجب وَصفَاته الثُّبوتيَّة وَمنْ تَنْزيهاته وتقديساته - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى.

فَلوْلاَ وُجُودُ هَؤُلاَء الكُبَرَاء كَيْفَ كَانَ هَؤُلاَء المَخْذُولونَ بعُقُولهمُ القَاصرَة العَمْيَاء المُتَلوِّثَة بظُلُمَات الكُفْر وَالمَعَاصي مُهْتَدينَ إلى هَذه الدَّوْلة وَعُقُول هَؤُلاَء المَخْذُولينَ النَّاقصَة حَاكمَةٌ في حَدِّ ذَاتهَا بالوهيَّتهمْ وَلاَ يُثْبتُونَ إلهًا سوَاهُمْ كَمَا قَال فرْعَوْنُ مصْرَ (مَا عَلمْتُ لكُمْ منْ إلهٍ غَيْري) وَقَال أيضًا: لَئن اتَّخَذْتَ إلهًا غَيْري لأَجْعَلنَّكَ منَ المَسْجُونينَ.

وَلمَّا عَلمُوا بأَخْبَار الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَنَّ للعَالَم صَانعًا وَاجبَ الوُجُود اطَّلعَ بَعْض هَؤُلاَء المَخْذُولينَ عَلى قُبْحِ ادِّعَائه وَأَثْبَتَ الصَّانعَ الوَاجبَ الوُجُود بالتَّقْليد وَالتَّستُّر وَزَعَمَ أَنَّهُ سَارَ فيه مُتَّحدًا به وَدَعا الخَلقَ إلى عبَادَته بهَذه الحيلة تَعَالى اللهُ عَمَّا يَقُول الظَّالمُونَ عُلوًّا كَبيرًا.

وَلاَ يَعْتَرضُ القَاصرُ هُنَا أَنَّهُ لوْ بُعثَ الأَنْبيَاءُ في أَرْضِ الهنْد لبَلغَنَا خَبَرُ بعْثَته البَتَّةَ بَل كَانَ يُنْقَل ذَلكَ الخَبَرُ بالتَّوَاتُر لتَوَفُّر الدَّوَاعي وَلَيْس فَلَيْس.

لأَنَّا نَقُول: إنَّ دَعْوَةَ هَؤُلاَء الأَنْبيَاء لَمْ تَكُنْ عَامَّةً بَل كَانَتْ دَعْوَةُ بَعْضهمْ مَخْصُوصَةً بقَوْم وَدَعْوَةُ بَعْضهمْ بقَرْيَة أَوْ ببَلدَة وَيُمْكنُ أَنْ يُشَرِّفَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - شَخْصًا في قَوْمٍ أَوْ قَرْيَةٍ بهَذه الدَّوْلة فَيَدْعُوهُمْ إلى مَعْرفَة الصَّانع وَيَمْنَعُهُمْ عَنْ عبَادَة

غَيْرِه تَعَالَى فَيُكَذِّبُونَهُ وَيَنْسُبُونَهُ إلى الجَهَالَة وَالضَّلالة فَإذَا انْتَهَى إنْكَارُهمْ وَتَكْذِيبُهمْ إيَّاهُمْ إلى نهَايَته وَغَايَته يُهْلكُهُمُ اللهُ - جَل وَعَلاَ - غَيْرَةً لنَبيِّه وَكَذَلكَ يُمْكنُ أَنْ يُبْعَثَ نَبيٌّ آخَرُ بَعْدَ مُدَّة إلى قَوْمٍ أَوْ قَرْيَة فَيُعَاملهُمْ كَمَا عَامَلَ الأَوَّل قَوْمَهُ فَيَفْعَلَ بهِمْ كَمَا فَعَلَ بِأَوَائلهمْ وَهَكَذَا إلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَآثَارُ هَلاَك القُرَى وَالبلاَد كَثيرَةٌ في أَرْضِ الهنْد وَهَؤُلاَء القَوْمُ وَإنْ هَلكُوا وَلكنْ كَلمَةُ تلكَ الدَّعْوَة بَاقيَةٌ فيمَا بَيْنَ أَقْرَانهِمْ وَجَعَلهَا كَلمَةً بَاقيَةً في عَقبه لعَلهُمْ يَرْجعُونَ.

وَخَبَرُ نُبُوَّة الأَنْبيَاء المَبْعُوثَة إنَّمَا يَبْلغُنَا إذَا صَدَّقَهُمْ جَمْعٌ كَثيرٌ وَقَوَّى أَمْرَهُ وَأَمَّا إذَا جَاءَ شَخْصٌ وَدَعَا أَيَّامًا فَمَضَى وَلَمْ يَقْبَل دَعْوَتَهُ أَحَدٌ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ وَفعَل مثْل مَا فَعَلَ الأَوَّل فَصَدَّقَهُ شَخْصٌ وَاحدٌ وَصَدَّقَ الآخَرَ اثْنَان أَوْ ثَلاَثَةٌ فَمنْ أَيْنَ يَنْتَشرُ الخَبَرُ وَكَانَ الكُفَّارُ كُلهمْ في مَقَامِ الإنْكَار وَكَانُوا يَرُدُّونَ عَلى مَنْ كَانَ يُخَالفُ دينَ آبَائهمْ فَمَنْ يَكُونُ النَّاقل وَإلى مَنْ يَنْقُل.

وأيضًا إنَّ أَلفَاظَ الرِّسَالة وَالنُّبُوَّة ويغمبر منْ لغَات العَرَب وَالفَارس بوَاسطَة اتِّحَاد دَعْوَة نَبيِّنَا - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَعُمُومهَا وَلَمْ تَكُنْ هَذه الأَلفَاظُ في لغَة الهنْد حَتَّى يُقَال للأَنْبيَاء المَبْعُوثينَ منَ الهنْد رسُولاً أَوْ نَبيًّا أَوْ يغمبر أَوْ يُذْكَرُونَ بهَذه الأَسَامي.

وأيضًا نَقُول في جَوَاب هَذَا السُّؤَال بطَريق.المُعَارَضَة: إنَّهُ لوْ لَمْ تُبْعَثْ الأَنْبيَاءُ في الهنْد وَلَمْ يَدْعُوهُمْ بلسَانهمْ لكَانَ حُكْمُ هَؤُلاَء القَوْمِ حُكْمَ مَنْ نَشَأَ في شَاهق الجَبَل فَلاَ يَدْخُلونَ النَّارَ مَعَ وُجُود التَّمَرُّد وَدَعْوَى الأُلوهيَّة وَلاَ يَكُونُ لَهُمُ العَذَابُ المُخَلدُ وَهَذَا ممَّا لاَ يَرْتَضيه العَقْل السَّليمُ وَلاَ يُسَاعدُهُ الكَشْفُ الصَّحيحُ فَإنَّا نُشَاهدُ بَعْضَ مَرَدَتهمْ في وَسَط الجَحيمِ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال.

المَكْتُوبُ السِّتُّونَ وَالمائَتَان

إلى المَخْدُومِ زَادَهْ الشَّيْخِ مُحَمَّد صَادِقِ قُدِّسَ سِرُّهُ

في بَيَان الطَّرِيقَة المُخْتَصَّة بِهِ

وَبَيَان الوِلاَيَات الثَّلاَث الصُّغْرَى وَالكُبْرَى وَالعُلْيَا

وَبَيَان أَفْضَلِيَّة النُّبُوَّة منَ الوِلاَيَة مُطْلَقًا

وَبَيَان اللطَائف العَشْرِ الإِنْسَانِيَّة التي خَمْسٌ منْهَا منْ عَالمِ الأَمْرِ وَخَمْسٌ منْ عَالمِ الخَلقِ مَعَ كَمَالاَت مَخْصُوصَة بكُل وَاحِدَة منْهَا

وَبَيَان أَفْضَلِيَّة عَالَمِ الخَلقِ منْ عَالمِ الأَمْرِ مَعَ بَيَان كَمَالَات مَخْصُوصَة بِعُنْصُرِ التُّرَابِ وَبَيَانِ العُلومِ وَالمَعَارِف المُنَاسِبَة لكُل مَقَامٍ وَأَمْثَال ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلينَ عَليْهِ وَعَليْهِمْ وَعَلى آله وَأَصْحَابه الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ.

اعْلمْ أَيُّهَا الوَلَدُ أَسْعَدَكَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى أَنَّ لطَائفَ عَالمِ الأَمْرِ الخَمْسِ أَعْنِي القَلبَ وَالرُّوحَ وَالسِّرَّ والخَفيَّ وَالأَخْفَى التي هِيَ مِنْ أَجْزَاءِ العَالمِ الصَّغيرِ أَعْنِي الإِنْسَانَ، أُصُولهَا في العَالمِ الكَبيرِ كَالعَنَاصرِ الأَرْبَعَةِ التي هِيَ أَجْزَاء الإِنْسَانَ فَإِنَّ أُصُولهَا في العَالمِ الكَبيرِ.

وَظُهُورُ أُصُول الخَمْسِ فَوْقَ العَرْشِ حَيْثُ يُوصَفُ باللاَّمَكَانيَّة وَمِنْ هَهُنَا يُقَال لعَالمِ الأَمْرِ: لاَ مَكَانيًّا تَتمُّ دَائرَةٌ إلاَّ مَكَانَ خَلقه وَأَمْره وَصَغيره وَكَبيرَه بالوُصُول إلى نهَايَة تلكَ الأُصُول وَإلَى هَذَا المَوْطنِ يَنْتَهي امْتزَاجُ العَدَمِ بالوُجُود الذي هُوَ مَنْشَأُ الإمْكَان فَإذا طَوَى السَّالكُ الرَّشيدُ مُحَمَّديُّ المُشَرَّبُ هَذه الخَمْسَ منْ عَالمِ الأَمْرِ بالتَّرْتيب وَشَرَعَ في السَّيْرِ في أُصُولهَا منْ عَالمِ الكَبيرِ وَطَوَى كُلهَا بالتَّرْتيب وَالتَّفْصيل بعُلوِّ الفطْرَة بَل بمَحْضِ فَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَانْتَهَى إلى النُّقْطَة الأَخيرَة فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ قَدْ أَتَمَّ دَائرَةَ الإمْكَان بالسَّيْرِ إلى اللهِ وَصَارَ مُسْتَحقًّا لأَنْ يُطْلقَ عَليْه اسْمُ الفَنَاء يَعْني لأَنْ يُوصَفَ به وَشَرَعَ في الوِلاَيَة الصُّغْرَى التي هِيَ ولاَيَةُ الأَوْليَاء فَإنْ وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلكَ في ظلاَل الأَسْمَاء وَالصِّفَات الوُجُوبيَّة التي هيَ أَصْل الخَمْسَة التي في العَالمِ الكَبيرِ في الحَقيقَة وَلمْ يَتَطَرَّقْ إليْهَا شَائبَةُ العَدَمِ وَطَوَى كُلهَا بفَضْل اللهِ - سُبْحَانَهُ - بطَريق السَّيْرِ في اللهِ وَبَلغَ نهَايَتَهَا فَقَدْ أَتَمَّ دَائرَةَ ظلاَل الأَسْمَاءِ الوَاجبيَّةِ أيضًا وَحَصَلَ لهُ الوُصُول إلى مَرْتَبَة الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

الوَاجبيَّة وَنهَايَة عُرُوجِ الولاَيَة الصُّغْرَى إلى هَذَا المَقَامِ وَفي هَذَا المَوْطنِ يَتحَقَّقُ الشُّرُوعُ في حَقيقَة الفنَاء وَبوَضْعِ القَدَمِ في بِدَايَةِ الوِلاَيَةِ الكُبْرَى التي هِيَ ولاَيَةُ الأَنْبيَاءِ – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –.

وَممَّا يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ: أَنَّ هَذه الدَّائرَةَ الظِّلاليَّةَ مُتَضَمِّنَةٌ لمَبَادي تَعَيُّنَات الخَلاَئقِ سوَى الأَنْبيَاء الكرَام وَالملاَئكَة العظَامِ – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –.

وَظل كُل اسْمٍ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ شَخْصٍ منَ الأَشْخَاصِ حَتَّى أَنَّ مَبْدَأ تَعَيُّنِ الصِّدِّيق الأَكْبَر الذي هُوَ أَفْضَل البَشَر بَعْدَ الأَنْبيَاء – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – النُّقْطَةُ الفوْقَانيَّةُ منْ هَذه الدَّائرَة وَمَا قيل إنَّ السَّالكَ إذَا انْتَهَى إلى اسْمٍ هُوَ مَبْدَأُ تَعَيُّنه فقَدْ أَتَمَّ السِّيرَةَ إلى الله يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ المُرَادُ به ظِل الاسْمِ الإلهيِّ – جَل شَأْنُهُ – وَجُزْئيًّا منْ جُزْئيَّاته لاَ أَصْلهُ وَعَيْنَهُ وَهَذه الدَّائرَةُ الظِّلاليَّةُ تَفْصيل مَرْتَبَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات في الحَقيقَة فَإنَّ العلمَ مَثلاً صفَةٌ حَقيقيَّةٌ وَلهَا جُزْئيَّاتٌ.

وَتَفصيل تلكَ الجُزْئيَّات ظلاَل هَذه الصِّفَة التي لهَا مُنَاسَبَةٌ بالإجْمَال وَكُل جُزْئيٍّ منْ تلكَ الجُزْئيَّات مَبْدَأُ تَعَيُّنِ شَخْصٍ منَ الأَشْخَاص غيْر الأَنْبيَاء الكرَامِ وَالملاَئكَة الفخَام – عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –. وَمَبَادي تَعَيُّنَات الأَنْبيَاء باعْتبَارَات مُخْتلفَة وَذلكَ أَنَّ مَبْدَأ تَعَيُّنِ خَاتَم الرُّسُل مَثلاً شَأْنُ العلم وَهَذه الصِّفَةُ كَانَتْ مَبْدَأ تَعَيُّنِ إبْرَاهيمَ – عَلَيْه السَّلاَمُ – باعْتبَار آخرَ وَهيَ مَبْدَأُ تَعَيُّنِ نُوحٍ – عَلَيْه السَّلاَمُ – أَيْضًا باعْتبَارٍ آخرَ وَتَعَيُّنُ تلكَ الاعْتبَارَات مَذْكُورٌ في مَكْتُوب الخواجهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ وَمَا قَال بَعْضُ المَشَايخ منْ أَنَّ الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ هيَ التَّعَيُّنُ الأَوَّل الذي هُوَ حَضْرَةُ الإجْمَال وَمُسَمَّى بالوَحْدَة فَمُرَادُه به عَلى مَا ظَهَرَ لهَذَا الفقير منْ عَالمِ الغَيْب وَاللهُ – سُبْحَانَهُ – أَعْلَمُ.

مَرْكَزُ هَذه الدَّائرَة الظِّلاليَّةُ قَدْ ظَنَّ هَذه الدَّائرَةَ الظِّلاليَّةَ تَعيُّنًا أَوْ ل وَتَخيَّل مَرْكَزهَا إجْمَالاً وَسَمَّاهُ وَحْدَةً وَزعَمَ تَفْصيل ذَلكَ المَرْكَز الذي هُوَ مُحيطُ تلكَ الدَّائرَة وَأُحَديَّةٌ وَتَصوَّرَ مَا فَوْقَ دَائرَة الظِّلاَل الذي هُوَ دَائرَةُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات ذَاتًا مُنَزَّهَةً وَمبَرَأَةً عَن التَّعَيُّنِ وَليسَ الأَمْرُ كَذَلكَ بَل أَقُول:

إنَّ مَرْكَزَ هَذه الدَّائرَة الظِّلاليَّة ظَل مَرْكَزَ الدَّائرَة الفَوْقَانيَّة التي هيَ أَصْلهَا وَمُسَمَّاةٌ بدَائرَة الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشُّئُون وَالاعْتبَارَات.

وَالحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ هيَ مَرْكَزُ هَذه الدَّائرَة الأَصْليَّة في الحَقيقَة التي هيَ إجْمَال الأَسْمَاء والشُّئونَات وَتَفْصيل الأَسْمَاء إنَّمَا هُوَ في هَذه الدَّائرَة التي هيَ مَرْتَبَةُ الوَاحديَّة وَإطْلاَقُ الوَحْدَة وَالأَحَديَّة عَلَى مَرْتَبَة ظلاَل الأَسْمَاء مَبْنيٌّ عَلى

اشْتِبَاه الظِّلِّ بِالأَصْلِ وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ إِطْلَاقُ السَّيْرِ فِي اللهِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ فَإِنَّ السَّيْرَ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ دَاخِلٌ فِي الحَقِيقَةِ فِي السَّيْرِ إِلَى اللهِ هَذَا.

فَإِنْ وَقَعَ العُرُوجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى دَائِرَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ التِي هِيَ أَصْلُ دَائِرَةِ الظِّلَالِ بِطَرِيقِ السَّيْرِ فِي اللهِ يَكُونُ ذَلِكَ شُرُوعًا فِي كَمَالَاتِ الوِلَايَةِ الكُبْرَى وَهَذِهِ الوِلَايَةُ الكُبْرَى مَخْصُوصَةٌ بِالأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِالأَصَالَةِ وَوَصَلَ أَصْحَابُهُمُ الكِرَامُ أَيضًا إِلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِالتَّبَعِيَّةِ.

وَالنِّصْفُ الأَسْفَلُ مِنْ هَذِهِ الدَّائِرَةِ مُتَضَمِّنٌ لِلأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ وَنِصْفُهَا الأَعْلَى مُشْتَمِلٌ عَلَى الشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَنِهَايَةُ عُرُوجِ لَطَائِفِ عَالَمِ الأَمْرِ الخَمْسِ إِلَى نِهَايَةِ هَذِهِ الدَّائِرَةِ يَعْنِي دَائِرَةَ الأَسْمَاءِ وَالشُّئُونَاتِ.

فَإِنْ وَقَعَ التَّرَقِّي بَعْدَ ذَلِكَ بِمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ - جَلَّ شَأْنُهُ - مِنْ مَقَامِ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ يَكُونُ السَّيْرُ فِي دَائِرَةِ أُصُولِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ وَبَعْدَ المُجَاوَزَةِ وَالعُبُورِ عَنْ دَائِرَةِ تِلْكَ الأُصُولِ دَائِرَةَ أُصُولِ تِلْكَ الأُصُولِ وَبَعْدَ طَيِّ هَذِهِ الدَّائِرَةِ يَظْهَرُ مِنَ الدَّائِرَةِ الفَوْقَانِيَّةِ قَوْسٌ يَنْبَغِي قَطْعُهُ أَيضًا. وَحَيْثُ لَمْ يَظْهَرْ مِنْ هَذِهِ الدَّائِرَةِ الفَوْقَانِيَّةِ غَيْرُ القَوْسِ اقْتَصَرْنَا عَلَى ذَلِكَ القَوْسِ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هُنَا سِرٌّ وَلَمْ أَطَّلِعْ عَلَيْهِ بَعْدُ.

وَهَذِهِ الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ المَذْكُورَةُ لِلأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مُجَرَّدُ اعْتِبَارَاتٍ فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ كَانَتْ مَبَادِئُ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ وَحُصُولُ كَمَالَاتِ هَذِهِ الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ مَخْصُوصَةٌ بِالنَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ وَيَتَيَسَّرُ حُصُولُ الاطْمِئْنَانِ لَهَا فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ وَفِي هَذَا المَقَامِ يَحْصُلُ شَرْحُ الصَّدْرِ وَفِيهِ يَتَشَرَّفُ السَّالِكُ بِالإِسْلَامِ الحَقِيقِيِّ وَهَذَا هُوَ ذَاكَ المَوْطِنُ الذِي تَجْلِسُ المُطْمَئِنَّةُ فِيهِ عَلَى تَخْتِ الصَّدْرِ وَتَرْتَقِي فِي مَقَامِ الرِّضَا وَهَذَا المَوْطِنُ هُوَ نِهَايَةُ الوِلَايَةِ الكُبْرَى التِي هِيَ وِلَايَةُ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

وَلَمَّا انْتَهَى بِي السَّيْرُ إِلَى هَذَا المَقَامِ تَوَهَّمَ لِي أَنَّ الأَمْرَ قَدْ تَمَّ فَنُودِيتُ فِي سِرِّي أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ كَانَ تَفْصِيلَ الاسْمِ الظَّاهِرِ الذِي هُوَ أَحَدُ جَنَاحَيِ الطَّيَرَانِ وَالاسْمُ البَاطِنُ أَمَامَكَ بَعْدُ وَهُوَ الجَنَاحُ الثَّانِي لِلطَّيْرِ أَنَّ إِلَى عَالَمِ القُدْسِ فَإِذَا أَتْمَمْتَهُ بِالتَّفْصِيلِ فَقَدْ حَصَّلْتَ جَنَاحَيْنِ لِلطَّيَرَانِ فَلَمَّا تَمَّ سَيْرُ الاسْمِ البَاطِنِ بِعِنَايَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - تَيَسَّرَ الجَنَاحَانِ لِلطَّيَرَانِ.

الحَمْدُ للهِ الذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، مَاذَا أَكْتُبُ مِنَ السَّيْرِ فِي البَاطِنِ وَالمُنَاسِبُ لِحَالِ ذَلِكَ السَّيْرِ الاِسْتِتَارُ وَالتَّبَطُّنُ وَلنَكْشِفُ نَبْذًا يَسِيرًا مِنْ هَذَا المَقَامِ:

إِنَّ السَّيْرَ فِي الاِسْمِ الظَّاهِرِ سَيْرٌ فِي الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلاَحِظَ الذَّاتَ فِي ضِمْنِهَا.

وَالسَّيْرُ فِي الاسْمِ البَاطِنِ وَإِنْ كَانَ سَيْرًا فِي الأَسْمَاءِ وَلكِنَّ الذَّاتَ مَلحُوظَةٌ فِي ضِمْنِهَا وَتِلكَ الأَسْمَاءُ كَالحُجُبِ سَاتِرَةٌ لِوَجْهِ حَضْرَةِ الذَّات تَعَالتْ وَتَقدَّسَتْ فَإِنَّ الذَّاتَ فِي صِفَةِ العِلمِ مَثَلاً لَيْسَتْ مَلحُوظَةً أَصْلاً وَفِي اسْمِ العَلِيمِ المَلحُوظ هُوَ الذَّاتُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الصِّفَاتِ؛ لأَنَّ العَلِيمَ ذَاتٌ ثَبَتَ لَهَا العِلمُ فَالسَّيْرُ فِي العِلمِ سَيْرٌ فِي الاسْمِ الظَّاهِرِ وَالسَّيْرُ فِي العَلِيمِ سَيْرٌ فِي الاسْمِ البَاطِنِ وَقِسْ عَلى هَذَا سَائِرَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ وَهَذِهِ الأَسْمَاءُ المُتَعَلِّقَةُ بِالاسْمِ البَاطِنِ مَبَادِئُ تَعَيُّنَاتِ المَلاَئِكَةِ المَلاِ الأَعْلَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ.

وَالشُّرُوع فِي السَّيْرِ فِي هَذِهِ الأَسْمَاءِ وَضْعُ القَدَمِ فِي الوِلاَيَةِ العُلْيَا الَّتِي هِيَ وِلاَيَةُ المَلاِ الأَعْلَى وَالفَرْقُ المَذْكُورُ بَيْنَ العِلمِ وَالعَلِيمِ عِنْدَ بَيَانِ الاسْمِ الظَّاهِرِ. وَالاسْمُ البَاطِنُ لاَ تَتَخيَّلهُ شَيْئًا يَسِيرا وَلاَ تَظُنُّ أَنَّ مِنَ العِلمِ إِلَى العَلِيمِ مَسَافَةً قَلِيلَةً لاَ بَل فَرْقُ مَا بَيْنَ مَرْكَزِ الأَرْضِ وَمُحَدَّبِ العَرْشِ لَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذَا الفَرْقِ حُكْمُ القَطْرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى البَحْرِ المُحِيطِ وَهُوَ قَرِيبٌ فِي التَّكَلمِ بَعِيدٌ فِي الحُصُولِ وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ ذِكْرُ المَقَامَاتِ المُبَيَّنَةِ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ كَمَا قُلنَا مَثَلاً فَإِذَا طَوَى هَذِهِ الخَمْسَ مِنْ عَالِمِ الأَمْرِ وَشَرَعَ فِي السَّيْرِ فِي أُصُولِهَا فَقَدْ أَتَمَّ دَائِرَةَ الإِمْكَانِ فَقَدْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ العِبَارَةِ السَّيْرَ إِلَى اللهِ بِالتَّمَامِ وَقَدْ قَدَّرُوا مُدَّةَ حُصُولِ هَذَا السَّيْرِ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى {تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ} رَمْزٌ إِلَى هَذَا المَعْنَى.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ جَذْبَ عِنَايَةِ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - يَكَادُ يُيَسِّرُ أَمْرَ هَذِهِ المُدَّةِ المَدِيدَةِ فِي طَرْفَةِ العَيْنِ، (ع):

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكَرَمِ

وَكَذَلِكَ قُلنَا فَإِذَا طَوَى دَائِرَةَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَوَقَعَ السَّيْرُ فِي أُصُولِهَا إِلَخْ طَيُّ جَمِيعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ سَهْلٌ فِي التَّلفُّظِ، وَلكِنْ مُشْكِلٌ عِنْدَ الطَّيِّ وَأَيُّ مُشْكِلٍ، وَمِنْ صُعُوبَةِ هَذَا الطَّيِّ قَالَ المَشَايِخُ: مَنَازِلُ الوُصُولِ لاَ تَنْقَطِعُ أَبَدًا لآبِدِينَ وَمَنَعُوا تَمامِيَّةَ السَّيْرِ يَعْنِي انْتِهَاءً فِي هَذِهِ المَرَاتِبِ، شِعْرٌ:

وَلَيْسَ لِحُسْنه حَدٌّ وَغَايَةٌ   وَلاَ لَمديحه السَّعْديِّ نهَايَةٌ
يَمُوتُ مِنَ التَّعَطُّشِ مُسْتَقيه   وَيَبْقَى البَحْرُ بَحْرًا كَالبدَايَة

وَلاَ تَظُنُّ أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَالوا بِعَدَمِ انْقطَاعِ مَرَاتب الوُصُول باعْتبَار التَّجَلِّيَات الذَّاتيَّة لاَ باعْتبَارِ التَّجليَات الصِّفَاتيَّة وَأَرَادُوا بالحُسْنِ الحُسْنَ الذَّاتيَّ لاَ الحُسْنَ الصِّفَاتيَّ.

لأَنَّا نَقُول: إنَّ التَّجليَات الذَّاتيَّة لَيْسَتْ هيَ بدُون مُلاَحَظَة الشُّئُون وَالاعْتبَارَات وَلاَ ظُهُور الحُسْنِ الذَّاتيِّ منْ غَير احْتجَاب بحُجُب الصِّفَات الجَمَاليَّة؛ لأَنَّهُ لاَ مَجَال للقيل وَالقَال في ذَلكَ المَوْطن بدُون تَوَسُّط الحُجُب والاسْتتَار مَنْ عُرْف الله كُل لسَانه وَالتَّجلي يَسْتَدْعي نَحْوًا منَ الظِّلِّيَّة فَلاَ بُدَّ في ذَلكَ المَقَام منْ مُلاَحَظَة الشُّئُون فَصَارَتْ مَنَازل الوُصُول وَمَرَاتبُ الحُسْن دَاخلَةً في دَائرَة الأَسْمَاء والشُّئونَات وَالحَال أَنَّ انْقطَاعَهَا مُتَعَسِّرٌ عنْدَهُمْ وَالأَمْرُ الذي ظَهَرَ لهَذَا الدَّرْويش فَهُوَ وَرَاءُ التَّجلَيَات وَغَيْرَ الظُّهورات سَوَاءٌ كَانَ تَجليًا ذاتيًّا أَوْ تَجليًا تَجليًا صفَاتيًّا وَوَرَاءَ الحُسْنِ وَالجَمَال سَوَاءٌ كَانَ حُسْنًا ذَاتيًّا أَوْ حُسْنًا صفَاتيًّا وَبالجُمْلة قَدْ نَظَمْتُ المَطَالبَ العَاليَةَ وَالمَقَاصدَ السَّاميَةَ في سلك عبَارَات مُحْتَقَرَة مُخْتَصَرَة بطَريق الإجْمَال وَمَلأتُ البحَارَ العَديمَةَ النِّهَايَة في كيزَان مَعْدُودَة فَلاَ تَكُنْ منَ القَاصرينَ.

وَلنَرْجعْ إلَى أَصْل الكَلاَم فَنَقُول: إنَّهُ لَمَّا تَيَسَّرَ الطَّيَرَانُ وَوَقَعَتْ العُرُوجَات بَعْدَ حُصُول جَنَاحَي الاسْم الظَّاهر وَالبَاطن عُلمَ أَنَّ هَذه التَّرْقيَات بالأَصَالة نُصيبُ العُنْصُرَ النَّاريَّ وَالعُنْصُرَ الهوائيَّ وَالعُنْصُرَ المَائيَّ التي للمَلاَئكَة الكرَام - عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

أَيْضًا نُصيبُ منْهَا كَمَا وَرَدَ أَنَّ بَعْضَ المَلاَئكَة مَخْلوقٌ منَ النَّار وَالثَّلج، تَسْبيحُهُ سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ النَّار وَالثَّلج وَأُريتُ في الوَاقعَة في أَثْنَاء هَذَا السَّيْر كَأَنِّي مَاش عَلى طَريق وَقَدْ حَصلَتْ لي غَايَةُ الإعْيَاء منْ كَثْرَة المَشْي وَصرْتُ أَلتَمسُ خَشَبَةً أَوْ عَصًى للاتِّكَاء رجَاءَ حُصُول قُدْرَة عَلى المَشْي بمَدَدهَا فَلمْ يَتَيَسَّرْ فَصرْتُ أَتَمَسَّكُ وَأَتَشَبَّثُ بكُل حَشيش مُتمنيًا تَقْويَتَهُ عَلى المَشْي وَلاَ أَجدُ بُدًّا منَ المَشْي وَلَمَّا سرْتُ بهَذَا الحَال ظَهَرَ فنَاءُ بَلدَة فَدَخلتُ البَلدَةَ بَعْدَ طَيِّ مَسَافَة ذَلكَ الفنَاء وَأُعْلمْتُ أَنَّ تلكَ البَلدَةَ عبَارَةٌ عَنِ التَّعَيُّنِ الأَوَّل الذي هُوَ جَامعٌ لجَميع مَرَاتب الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشُّئُون وَالاعْتبَارَات.

وَجَامعٌ أيضًا لأُصُول تلكَ المَرَاتبِ وَلأُصُول تلكَ الأُصُول.

وَمُنْتَهَى الاعْتبَارَات الذَّاتيَّة التي تُمَايزُهَا يَعْني تُمَايزُ بَعْضهَا عَنْ بَعْضٍ مُناسبٌ للعلمِ الحُصُوليِّ فإنْ وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلكَ يَكُونُ مُناسبًا للعلمِ الحُضُوريِّ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إنَّ إطْلاَقَ العلمِ الحُصُوليِّ والحُضُوريِّ في تلكَ الحَضْرَةِ إنَّمَا هُوَ باعْتبَارِ التَّمْثيل وَالتَّنْظير فَإنَّ الصِّفَات التي وَجَدُوهَا زَائدٌ عَلى وُجُود الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ علمُهَا مُنَاسبٌ بالعلمِ الحُصُوليِّ وَالاعْتبَارَاتُ الذَّاتيَّةُ التي لاَ تُتَصَوَّرُ زِيَادتُهَا عَلى الذَّات أَصْلاً علمُهَا مُنَاسبٌ بالعلمِ الحُضُوريِّ وَإلاَّ فَلَيْسَ ثَمَّةَ إلاَّ تَعَلّقُ العلمِ بالمَعْلومِ منْ غَيْرِ أَنْ يَحْصُلَ منَ المَعْلوم فيه شَيْءٌ فَأَفْهَمْ.

وَهَذَا التَّعَيُّنُ الأَوَّل الذي تلكَ البَلدَةُ الجَامعَةُ كنَايَةٌ عَنْهُ جَامعٌ لجَميع ولاَيَات الأَنْبيَاء الكرَام وَالمَلاَئكَة العظَام - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَمُنْتَهَى الولاَيَة العُلْيَا التي هيَ مَخْصُوصَةٌ بالمَلاَ الأَعْلى بالأَصَالة وَلوحظَ في هَذَا المَقَام أَنَّ هَذَا التَّعَيُّنَ الأَوَّل هَل هُوَ الحَقيقَةُ المُحَمَّديَّةُ أَوْ لاَ ثُمَّ تُبَيِّنُ أَنَّ الحَقيقَة المُحَمَّديَّة هيَ التي ذُكرَتْ فيمَا سَبَقَ وَإطْلاَقُ التَّعَيُّن الأَوَّل عَلَيْهَا أَنَّ ذَلكَ المَرْكَزَ ظل هَذَا التَّعَيُّنِ الأَوَّل باعْتبَار جَامعيَّته للأَسْمَاء وَالصِّفَات والشُّئُون وَالاعْتبَارَات.

وَالسَّيْرُ الوَاقعُ فَوْقَ ذَلكَ البَلد يَكُونُ شُرُوعًا في الكَمَالاَت وَالنُّبُوَّة.

وَحُصُول تلكَ الكَمَالاَت مَخْصُوصٌ بالأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَنَاسٍ منْ مَقَام النُّبُوَّة وَلكَمَال اتِّبَاعِ الأَنْبيَاء أَيْضًا نَصيبٌ منْ تلكَ الكَمَالاَت بالتَّبعيَّة وَالحَظُّ الوَافرِ منْ تلكَ الكَمَالاَت بالأَصَالة منْ بَيْنِ اللطَائف الإنْسَانيَّة للعُنْصُر التُّرابيِّ.

وَسَائرُ الأَجْزَاء الإنْسَانيَّة سَوَاءً كَانَتْ منْ عَالمِ الأَمْرِ أَوْ منْ عَالمِ الخَلْق كُلهَا تَابعَةٌ في هَذَا المَقَام لذَلكَ العُنْصُر التُّرَابيِّ وَمُشَرَّفَةٌ بهَذه الدَّوْلَة يَتَطَفَّله وَلَمَّا كَانَ هَذَا العُنْصُرُ مَخْصُوصًا بالبَشَر كَانَ خَوَاصُّ البَشَر أَفْضَل منْ خَوَاصِّ المَلائكَة بالضَّرُورَة؛ لأَنَّهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لأَحَد مَا تَيَسَّرَ لهَذَا العُنْصُر وَبَعْدَ الدُّنُوِّ يَظْهَرُ في هَذَا المَقَام حَقيقَةُ التَّدَلي وَهُنَا يَنْكَشفُ سرُّ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.

وَيُرَى في هَذَا السَّيْر أَنَّ كَمَالاَت جَميع الولاَيَات سَوَاءً كَانَتْ صُغْرَى أَوْ كُبْرَى أَوْ عُلْيَا كُلهَا ظلاَل كَمَالاَت مَقَام النُّبُوَّة وَإنَّهَا أَشْبَاحٌ وَأَمْثَال لحَقيقَة هَذه الكَمَالاَت وَيَلوحُ فيه أَنَّ النُّقْطَةَ التي تُقْطَعُ في ضمْنِ هَذَا السَّيْر أَزْيَدُ منْ جَميع كَمَالاَت الولاَيَة فَيَنْبَغي أَنْ يُتَأَمَّل أَنَّهُ مَاذَا يَكُونُ عَلَى هَذَا القيَاس حُكْمُ الكَمَالاَت المُتَقَدِّمَة بالنِّسْبَة إلى جَميعِ هَذه الكَمَالاَت وَللقَطْرَة نسْبَةٌ إلَى البَحْر المُحيط وَهَذه

النِّسْبَةُ مَفْقُودَةٌ هَاهُنَا إِلاَّ أَنِّي أَقُول إِنَّ نِسْبَةَ الوِلاَيَةِ إِلى مَقَامِ النُّبُوَّةِ كَنِسْبَةِ المُتَنَاهِي إِلى غَيْرِ المُتَنَاهِي – سُبْحَانَ الله –.

وَقَدْ يَقُول الجَاهِل بِهَذَا السِّرِّ: إِنَّ الوِلاَيَةَ أَفْضَل مِنَ النُّبُوَّة وَيَقُول الآخَرُ فِي تَوْجِيه هَذِه العِبَارَة غَافِلاً عَنْ هَذِه المُعَامَلَة: إِنَّ وِلاَيَةَ النَّبِيِّ أَفْضَل مِنْ نُبُوَّته {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} وَلَمَّا أَتْمَمْتُ هَذَا السَّيْرَ أَيْضًا بِعِنَايَة الله – سُبْحَانَهُ – وَبَرَكَة حَبِيبِه عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَشُوهِدَ لِي أَنَّهُ لَوْ زِدْتُ فَرْضًا خُطْوَةً وَاحِدَةً فِي السَّيْرِ لاَقَعُ فِي عَدَمٍ مَحْضٍ إِذْ لَيْسَ وَرَاءَهُ إِلاَّ العَدَمُ المَحْضُ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِيَّاكَ وَالوُقُوعَ فِي التَّوَهُّمِ مِنْ هَذِه المُعَامَلَة إِنَّ العَنْقَاء قَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْك وَالسِّيمرغَ قَدْ تَعَلقَ فِي الشَّبَكَة.

شِعْرٌ:

هَيْهَاتَ عَنْقَاءَ أَنْ يَصْطَادَهُ أَحَدٌ   فَاتْرُكْ عَنَاكَ وَكُنْ مِنْ ذَاكَ فِي دَعَةٍ

وَهُوَ سُبْحَانُهُ وَرَاءَ الوَرَاء ثُمَّ وَرَاءَ الوَرَاء.

وَذَا إِيوَانُ الاسْتِعْلاَء عَالٍ   فَإِيَّاكُمْ وَطَمَعًا فِي الوِصَال

وَهَذِه الوَرَائِيَّةُ لَيْسَتْ بِاعْتِبَار وُجُود الحُجُب؛ لأَنَّ الحُجُبَ صَارَتْ مُرْتَفِعَةً بِالكُلِّيَّة بَل بِاعْتِبَارِ ثُبُوت العَظَمَة وَالكِبْرِيَاء بِالمَانِعَة لِلإِدْرَاك المُنَافِيَة لِلوِجْدَان فَهُوَ سُبْحَانُهُ أَقْرَبُ فِي الوُجُود وَأَبْعَدُ عَنِ الوِجْدَان نَعَمْ قَدْ يَكُونُ بَعْضُ الكُمَّال مِنَ المُرَادِينَ فَيُعْطَوْنَ مَحَلاً مِنْ سُرَادِقَات العَظَمَة وَالكِبْرِيَاء وَيَجْعَلُونَ مِنْ مَحَارِمِ خَيْمَة الجَلاَل بِتَطَفُّل الأَنْبِيَاء – عَلَيْهِم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – فَيُعَامَل مَعَهُمْ مَا عُومِل مَعَهُمْ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ هَذِه المُعَامَلَةَ مَخْصُوصَةٌ بِالهَيْئَة الوَحْدَانِيَّة الإِنْسَانِيَّة النَّاشِئَة مِنْ مَجْمُوعِ عَالَمِ الخَلق وَعَالَم الأَمْر وَمَعَ ذَلِكَ الرَّئِيسُ فِي هَذَا المَوْطِنِ هُوَ العُنْصُرُ التُّرَابِيُّ وَإِنَّمَا قُلتُ لَيْسَ وَرَاءَهُ إِلاَّ العَدَمُ المَحْضُ؛ لأَنَّ بَعْدَ تَمَام مَرَاتِب الوُجُود الخَارِجِيِّ الوُجُودُ العِلمِيُّ لَيْسَ إِلاَّ حُصُول العَدَم الذِي نُقَيِّضُهُ وَذَاتُ الله – سُبْحَانَهُ – وَرَاءَ هَذَا الوُجُود وَالعَدَمِ وَكَمَا أَنَّهُ لاَ سَبِيل إِلَيْهَا لِلعَدَمِ كَذَلِكَ لاَ مَجَال فِيهَا لِلوُجُود؛ لأَنَّ الوُجُودَ الذِي قَامَ العَدَمُ بِنَقَاضَتِه كَيْفَ يَلِيقُ بِحَضْرَتِه – جَل سُلطَانُهُ – فَلئِنْ أَطْلَقْنَا الوُجُودَ فِي هَذِه المَرْتَبَة لِضِيقِ العِبَارَة يُرَادُ بِه وُجُودٌ لاَ يَكُونُ لِلعَدَمِ مَجَال مُنَاقَضَتِه وَمَا كَتَبَ هَذَا الفَقِيرُ فِي بَعْضِ مَكَاتِيبِه أَنَّ حَقِيقَةَ الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – وُجُودٌ مَحْضٌ فَهُوَ مِنْ عَدَمِ الاطِّلاَع عَلَى حَقِيقَة هَذِه المُعَامَلَة وَمِنْ هَذَا القَبِيل بَعْضُ المَعَارِف التِي حَرَّرْتُهَا فِي التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ وَغَيْرِه وَسِرُّه عَدَمُ الاطِّلاَعِ وَلَمَّا كُنْتُ وَاقِفًا وَمُتَنَبِّهًا عَلَى حَقِيقَةِ المُعَامَلَة كُنْتُ مُتَنَدِّمًا عَلَى مَا كَتَبْتُهُ أَوْ قُلتُهُ فِي الابْتِدَاء

وَالوَسَط وَكُنْتُ مُسْتَغْفِرًا مِنْهُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلى اللهِ مِنْ جَمِيعِ مَا كَرِهَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى.

وَلاَحَ مِنْ هَذَا البَيَان أَنَّ كَمَالاَت النُّبُوَّة في مَرَاتب الصُّعُود وَأَنَّ الوَجْهَ في عُروجات النُّبُوَّة إِلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ كَمَا زَعَمَهُ الكَثِيرُونَ مِنْ أَنَّ الوَجْهَ في الولاَيَة إِلَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى وَفي النُّبُوَّة إِلى الخَلق وَأَنَّ الولاَيَةَ في مَرَاتب العُرُوجِ وَالنُّبوَّة في مَدَارِجَ النُّزُول وَمِنْ هُنَا تَوَهَّمُوا أَنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل مِنَ النُّبوَّة نَعَمْ إِنَّ لِكُلٍ مِنَ الولاَيَة وَالنُّبُوَّة عُرُوجًا وَهُبُوطًا وَفي العُرُوجِ الوَجْهُ إِلى الحَقِّ في كِلَيْهِمَا وَفي الهُبُوط إِلى الخَلق غَايَةَ مَا في البَاب أَنَّ الوَجْهَ في مَرْتَبَة هُبُوط النُّبُوَّة إِلى الخَلق بالكُلِّيَّة بخلاَف هُبُوط الولاَيَة فَإِنَّ الوَجْهَ فيهَا لَيْسَ إِلى الخَلق بالكُلِّيَّة بَل بَاطِنَةٌ بالحَقِّ وَظَاهِرَةٌ بالخَلق وَسِرُّه أَنَّ صَاحِبَ الولاَيَة نَازل قَبْل إِمَام مَقَامَات العُرُوج فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ النَّظَرُ إِلى الفَوْق مُنَازِعَهُ في جَمِيعِ الأَوْقَات وَمَانِعَهُ مِنَ التَّوَجُّه بكُلِّيَّته إِلى الخَلق بخلاَف صَاحب النُّبُوَّة فَإِنَّهُ هَبَطَ بَعْد إِمَام مَقَامَات العُرُوجِ وَلِهَذَا يَكُونُ مُتَوَجِّهًا بكُلِّيَّته إِلى دَعْوَة الخَلق إِلى الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَافْهَمْ فَإِنَّ هَذه المَعْرِفَةَ الشَّرِيفَةَ وَأَمْثَالَهَا مِمَّا لَمْ يَتَكَلم بهَا أَحَدٌ.

وَممَّا يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ العُنْصُرَ التُّرَابيَّ كَمَا أَنَّهُ يَتَفَوَّقُ عَلى الكُل في مَرَاتب العُرُوجِ كَذَلكَ يَنْزِل في مَنَازِل الهُبُوط أَسْفَل مِنَ الكُل وَكَيْفَ لاَ فَإِنَّ مَكَانَهُ الطَّبيعيَّ أَسْفَل مِنَ الكُل فَإِذَا ثَبتَ أَنَّهُ يَنْزِل أَسْفَل مِنَ الكُل تَكُونُ دَعْوَةُ صَاحبه أَتَمَّ بالضَّرُورَة وَإِفَادَتُهُ أَكْمَل.

اعْلَمْ أَيُّهَا الوَلدُ أَنَّ ابْتدَاءَ السَّيْر في الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْديَّة لَمَّا كَانَ مِنَ القَلب الذي هُوَ مِنْ عَالم الأَمْر افْتَتَحْنَا الكَلاَمَ بعَالم الأَمْر بخلاَف طُرُق سَائر المَشَايخ الكرَام فَإِنَّهُمْ يَشْرَعُونَ أَوَّلاً في تَزْكيَة النَّفْس وَتَطْهير القَالب ثُمَّ يَشْرَعُونَ بَعْدَ ذَلكَ في عَالم الأَمْر وَيَعْرُجُونَ فيهَا إِلى مَا شَاءَ اللهُ وَلهَذَا انْدَرَجَتْ في بدَايَة هَؤُلاَء الكُبَرَاء نهَايَةُ مَنْ سوَاهُمْ وَصَارَ هَذَا الطَّرِيقُ أَقْرَبَ الطُّرُق؛ لأَنَّ حُصُولَ التَّزْكيَة وَالتَّطْهير مُيَسَّرٌ في ضمْن هَذَا السَّيْر عَلى أَحْسَن الوُجُوه فَقَصرَتْ المَسَافَةُ بذَلكَ فَلاَ جَرَمَ اعْتَقَدَ هَؤُلاَءِ الأَكَابرُ سَيْرَ عَالم الخَلق قَصْدًا عَبَثًا وَعَدُّوهُ تعطيلاً لاَ بَل تَيَقَّنُوا أَنَّهُ مُضرٌّ وَمَانعٌ عَنِ الوُصُول إِلى المَطْلب وَذَلكَ؛ لأَنَّ سَالكي الطَّرِيق يُقَدِّمُ التَّزْكيَةَ وَالرِّيَاضَات الشَّاقَّةَ وَالمُجَاهَدَات الشَّديدَةَ إِذَا شَرَعُوا في سَيْر عَالم الأَمْر بَعْدَ قَطْع بَوَادي صُورَة عَالم الخَلق وَوَقَعُوا في الانْجذَاب القَلبيِّ وَالالتذَاذ الرُّوحيِّ كَثيرًا مَا يَقْنَعُونَ بهَذَا الانْجذَاب وَيَكْتَفُونَ بهَذَا الالتذَاذ وَمَظَنَّةٌ لإِمْكَانيَّة عَالم الأَمْر تَكُونُ

مُمَدَّةً لَهُمْ فِي تلكَ المُعَامَلة وَشَائبَةً لاَ مثْليَّةُ هَذَا العَالِمِ تَمْنَعُهُمْ عَنِ اللاَّمثْليِّ الحَقيقيِّ حَتَّى قَالَ وَاحدٌ مِنَ السَّالكِينَ فِي هَذَا المَقَامِ: عَبَدْتُ الرُّوحَ ثُلُثَيْنِ سَنَةِ مُعْتَقِدًا بِأَنَّهُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى.

وَقَال آخَرُ: إنَّ سرَّ الاسْتوَاء وَظُهُورَ تَنْزِيه مَا فَوْقَ العَرْشِ مِنَ المَعَارِف الغَامضَة وَقَدْ عُلمَ مِنَ البَيَانَ السَّابقِ أَنَّ ذَلكَ التَّنْزِيهَ دَاخل فِي دَائرَة الإمْكَان بَل هُوَ تَشْبيهٌ فِي الحَقيقَة فِي صُورَة التَّنْزِيه بخلاَف أَكَابر هَذه الطَّرِيقَة العُلْيَا فَإنَّهُمْ يَشْرَعُون منْ مَقَامِ الجَذْبَة وَيَتَرقَّوْنَ بمَدَد الالتذَاذ وَهَذَا الانْجذَابُ وَالالتذَاذُ فِي حَقِّهِمْ بمَثَابَة الرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ فَمَا هُوَ مَانعٌ عَنِ الوُصُول لغَيْرِهِمْ مُمدٌّ وَمُعَاونٌ لهَؤُلاَء الأَكَابرِ وَهُمْ يَتَصَوَّرونَ لإمْكَانيَّة عَالم الأَمْرِ عَيْنَ المُكَاتَبَة فَيَتَوَجَّهُونَ منْهُ إلَى المَكَانيِّ الحَقيقيِّ وَيَعْتَقدُونَ لاَ مثْلِيَّةَ ذَلكَ العَالِمِ عَيْنَ المثْليَّة وَيَرْتَقُونَ منْهُ إلَى اللاَّمثْليِّ الحَقيقيِّ فَلاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ لاَ يَفْتَنُونَ بغُرُور الوَجْد وَالحَال وَلاَ يَغْبَنونَ بجَوْز هَذَا الطَّرِيق وَمَوْز الأَشْبَاه والأَمثال كَالأَطْفَال وَلاَ يُبَاهُونَ بتُرَّهَات الصُّوفيَّة وَلاَ يَفْتَخرُونَ بشَطحيَّات المَشَايخِ بَل هُمْ مُتَوَجِّهُونَ إلَى الأُحَديَّةِ الصِّرْفَةِ لاَ يَبْغُونَ مِنَ الاسْمِ وَالصِّفَة غَيْرَ الذَّات المُقَدَّسَة.

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا العُرُوجَ الذي مَرَّ ذكْرُهُ مَخْصُوصٌ بمُحَمَّديِّ المَشْرَب التَّامِّ الاسْتعْدَاد لَهُ نَصيبٌ كَامل منْ كَمَالاَت الجَوَاهرِ الخَمْسِ التي فِي عَالِمِ الأَمْرِ صَغيره وَكَبيره وَكَذَلكَ لَهُ حَظٌّ وَافرٌ منْ أُصُولَ هَذه الخَمْسِ - أَعْني ظلال الأَسْمَاء الوَجَبيَّة-، وَكَذَلكَ منْ أُصُول هَذه الظِّلال أَعْني مَقَامَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات.

وَإنَّمَا قُلتُ التَّامَّ الاسْتعْدَاد؛ لأَنَّهُ كَثيرًا مَا يَكُونُ فِي الظَّاهرِ مُحَمَّديَّ المَشْرَب وَيَكُونُ لَهُ نَصيبٌ منْ كَمَالاَت الأَخْفَى الذي هُوَ نهَايَةُ مَرَاتبِ عَالِمِ الأَمْرِ وَلكنَّهُ لاَ يُتمُّ مُعَامَلَةَ الأَخْفَى وَلاَ يَنْتَه إلَى نُقْطَته الأَخيرَة بَل يَبْقَى فِي ابْتدَائه أَوْ وَسَطه فَإذَا كَانَ لَهُ قُصُورٌ فِي الأَخْفَى يَكُونُ لَهُ قُصُورٌ فِي أُصُوله أَيْضًا بمقْدَاره فَلاَ يَتَمَكَّنُ منْ إتْمَامِ مُعَامَلته وَكَذَلكَ الحُكْمُ فِي الأَرْبَعِ البَاقيَة منْ عَالِمِ الأَمْرِ حَيْثُ إنَّ تَاميَّةَ الاسْتعْدَاد فِي كُلِّ مَرْتَبَة مَرْبُوطَةٌ بالوُصُول إلَى النُّقْطَة الأَخيرَة وَمنْ تلكَ المَرْتَبَة، وَالوُقُوفُ فِي الابْتدَاء وَالوَسَطِ يُنْبئُ عَنِ النُّقْصَانِ وَلَوْ كَانَ القُصُورُ فِي الوُصُول إلَى نهَايَةِ مقْدَارِ شَعْرَة.

شعْرٌ

وَمَا قَل هِجْرَانُ الحَبيبِ وَإنْ غَدَا قَليلاً وَنصْفُ الشَّعْرِ فِي العَيْنِ ضَائرُ

وَيَسْرِي هَذَا القُصُورُ إِلى الأُصُول وَأُصُول الأُصُول وَيَكُونُ مَانِعًا عَنِ الوُصُول إِلى المَطْلَب.

وَإِنَّمَا قُلْتُ إِنَّ هَذَا العُرُوجَ مَخْصُوصٌ بِمُحَمَّدِيِّ المَشْرَب؛ لأَنَّ غَيْرَ مُحَمَّدِيِّ المَشْرَب مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ كَمَاله مَقْصُورًا عَلى الدَّرَجَة الأُولى مِنْ دَرَجَات الوِلاَيَة، وَالمُرَادُ بِالدَّرَجَة الأُولى مَرْتَبَةُ القَلب وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نِهَايَةُ عُرُوجِ كَمَاله إِلى الدَّرَجَة الثَّانِيَة مِنْ دَرَجَات الوِلاَيَة التي هِيَ مَقَامُ الرُّوحِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ كَمَالُهُ مَقْصُورًا عَلى الدَّرَجَة الثَّالثَة أَعْنِي مَقَامَ السِّرِّ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نِهَايَةُ عُرُوجِ كَمَاله إِلى الدَّرَجَة الرَّابِعَة أَعْنِي مَقَامَ الخَفِيِّ.

وَالدَّرَجَةُ الأُولى لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِتَجَلي صِفَات الأَفْعَال وَللدَّرَجَة الثَّانِيَة بِتَجَلي الصِّفَات الثُّبُوتِيَّة وَللدَّرَجَة الثَّالثَة بِتَجَلي الشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَات الذَّاتِيَّة وَللدَّرَجَة الرَّابِعَة بِالصِّفَات السَّلْبِيَّة التي هِيَ مَقَامُ التَّنْزِيه وَالتَّقْدِيس.

وَكُل دَرَجَة مِنْ دَرَجَات الوِلاَيَة تَحْتَ قَدَم نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاء أُولي العَزْم فَالدَّرَجَةُ الأُولى مِنْهَا تَحْتَ قَدَم آدَمَ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَرَبُّهُ صِفَةُ التَّكْوِينِ التي هِيَ مَنْشَأُ صُدُور الأَفْعَال.

وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ تَحْتَ قَدَم إِبْرَاهِيمَ وَيُشَارِكُهُ فِي هَذَا المَقَامِ نُوحٌ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ وَرَبُّهُمَا صِفَةُ العلمِ التي هِيَ أَجْمَعُ الصِّفَات الذَّاتِيَّة.

وَالدَّرَجَةُ الثَّالثَةُ تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَرَبُّهُ مِنْ مَقَامَات الشُّئُونَات شَأْن الكَلاَم.

وَالدَّرَجَةُ الرَّابِعَةُ تَحْتَ قَدَمَ عِيسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَرَبُّهُ مِنَ الصِّفَات السَّلْبِيَّة لاَ مِنَ الثُّبُوتِيَّة فَإِنَّهَا مَوْطِنُ التَّقْدِيسِ وَالتَّنْزِيه وَأَكْثَرُ المَلاَئكَة الكِرَام يُشَارِكُونَ عِيسَى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه السَّلاَمُ فِي هَذَا المَقَامِ وَالشَّأْنِ العَظِيمِ حَاصِل لَهُمْ فِي هَذَا المَقَامِ.

وَالدَّرَجَةُ الخَامسَةُ تَحْتَ قَدَمِ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَرَبُّهُ ﷺ رَبُّ الأَرْبَاب الذي هُوَ جَامِعُ جَمِيعِ الصِّفَات وَالشُّئُونات وَالتَّقديسَات وَالتَّنزيهات وَمَرْكَز دَائرَة هَذه الكَمَالاَت وَيُنَاسبُ التَّعْبِيرَ عَنْ هَذَا الشَّأْن الجَامعِ فِي مَرْتَبَة الصِّفَات وَالشُّئُونَات بِشَأْن العلم لكَوْن هَذَا الشَّأْن عَظِيمَ الشَّأْن جَامعًا لجَميع الكَمَالاَت وَبِهَذه المُنَاسَبَة صَارَتْ مِلَّتُهُ ﷺ مِلة إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَقبْلَتُهُ قبلتَهُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنْ تُفَاضُل الأَقْدَامِ فِي الوِلاَيَة لَيْسَ بِاعْتِبَارِ تَقَدُّمِ الدَّرَجَاتِ وَتَأَخُّرِهَا حَتَّى يَكُونَ صَاحِبُ الأَخْفَى أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ بَلْ بِاعْتِبَارِ القُرْبِ مِنَ الأَصْلِ وَالبُعْدِ عَنْ وَطْءِ مَنَازِلِ دَرَجَاتِ الظِّلاَلِ كَثْرَةً وَقِلَّةً فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ القَلْبِ بِاعْتِبَارِ القُرْبِ مِنَ الأَصْلِ أَفْضَلَ مَنْ صَاحِبِ الأَخْفَى الذي لَمْ يَحْصُلْ لَهُ القُرْبُ مِنْ لأَصْلٍ كَيْفَ وَوِلاَيَةُ النَّبِيِّ التِي فِي الدَّرَجَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ دَرَجَاتِ الوِلاَيَةِ أَفْضَلُ قَطْعًا مِنْ وِلاَيَةِ الوَلِيِّ التِي فِي الدَّرَجَةِ الفَوْقَانِيَّةِ.

وَلاَ يَخْفَى أَنَّ سُلوكَ اللطَائِفِ بِالتَّرْتِيبِ المَذْكُورِ أَعْنِي الانْتِقَالَ مِنَ القَلْبِ إِلَى الرُّوحِ وَمِنَ الرُّوحِ إِلَى السِّرِّ وَمِنَ السِّرِّ إِلَى الخَفِيِّ وَمِنَ الخَفِيِّ إِلَى الأَخْفَى مَخْصُوصٌ أَيْضًا بِمُحَمَّدِيِّ المَشْرَبِ فَإِنَّهُ يَتِمُّ سَيْرُ هَذِهِ الخَمْسِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ بِالتَّرْتِيبِ ثُمَّ يَسِيرُ فِي أُصُولِهَا وَيَتِمُّ السُّلُوكُ بَعْدَ السَّيْرِ فِي أُصُولِ الأُصُولِ مُرَاعِيًا لِهَذَا التَّرْتِيبِ وَهَذَا الطَّرِيقُ بِالتَّرْتِيبِ المَذْكُورِ طَرِيقٌ سُلْطَانِيٌّ لِلوُصُولِ وَصِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ لِمُتَوَجِّهِي الأُحَدِيَّةِ بِخِلاَفِ وِلاَيَاتٍ أُخَرَ وَكَانَ فِيهَا نَقَبْتُ نَقْبَةً مِنْ كُلِ دَرَجَةٍ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى المَطْلُوبِ مَثَلاً نَقَّبْتُ نَقْبَةً مِنْ مَقَامِ القَلْبِ إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى صِفَاتِ الأَفْعَالِ التِي هِيَ أَصْلُ أَصْلِهِ وَكَذَلِكَ نَقَّبْتُ نَقْبَةً مِنْ مَقَامِ الرُّوحِ إِلَى الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ وَلاَ شَكَّ أَنَّ أَفْعَالَهُ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ لَيْسَتْ مُنْفَكَّةً عَنْ ذَاتِهِ تَعَالَى فَإِنَّ كُلَ الانْفِكَاكِ فَهُوَ فِي الظِّلاَلِ فَفِي ذَلِكَ المَوْطِنِ لِلوَاصِلِينَ إِلَى الأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ نَصِيبٌ مِنْ تَجَلِيَاتِ الذَّاتِ المُنَزَّهَةِ عَنِ المِثَالِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ أَيْضًا كَمَا تَتَيَسَّرُ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِصَاحِبِ الأَخْفَى بَعْدَ إِتْمَامِ الأَمْرِ وَإِنْ كَانَ التَّفَاوُتُ بِاعْتِبَارِ العُلوِّ وَالسُّفْلِ بَاقِيًا. وَادِّعَاءُ صَاحِبِ القَلْبِ المُسَاوَاةَ لِصَاحِبِ الأَخْفَى غَيْرُ مُوَجَّه.

وَلاَ تَغْلطَنَّ فِي هَذَا المَقَامِ وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ إِنَّمَا هُوَ مُتَصَوَّرٌ فِيمَا بَيْنَ الأَوْلِيَاءِ؛ لأَنَّ صَاحِبَ الوِلاَيَةِ القَلبِيَّةِ أَدْوَنُ مِنْ صَاحِبِ الوِلاَيَةِ الأَخْفَوِيَّةِ بَعْدَ وُصُولِ كِليْهِمَا إِلَى مَرْتَبَةِ الكَمَالِ وَأَمَّا فِيمَا بَيْنَ الأَوْلِيَاءِ وَالأَنْبِيَاءِ فَمَفْقُودٌ؛ لأَنَّ وِلاَيَةَ نَبِيٍّ وَلَوْ كَانَتْ نَاشِئَةً مِنْ مَقَامِ القَلْبِ أَفْضَلُ مِنْ وِلاَيَةِ وَلِيٍّ وَلَوْ كَانَتْ نَاشِئَةً مِنْ مَقَامِ الأَخْفَى وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّنْ أَتَمَّ الأَمْرَ.

وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الوِلاَيَةِ تَحْتَ قَدَمِ نَبِيٍّ تِلكَ الوِلاَيَةِ دَائِمًا أَيَّ وِلاَيَةٍ كَانَتْ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ}

نَعَمْ إنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ فَيَا بَيْنَ الأَنْبياء بَعْضهمْ ببَعْضٍ مُتَصَوَّرٌ وَصَاحِبُ العُلْيَا مِنْهُمْ أَفْضَل منْ صَاحب السُّفْلى وَلكنَّ هَذَا التَّفَاوُتَ فيمَا بَيْنَ الأَنْبيَاء - عَليهمُ السَّلَامُ - أَيْضًا إلى آخر دَوَائر كَمَالَات عَالِم الأَمْر وَلَيْسَ التَّفَاضُل بَعْدَهُ مَرْبُوطًا بالعُلوِّ وَالسُّفْل بَل يُمكنُ أَنْ يَكُونَ صَاحبُ السُّفْل في ذَلكَ المَوْطنِ أَفضَل منْ صَاحب العُلوِّ كَمَا شَاهَدْنَا التَّفَاوُتَ في ذَلكَ المَوْطنِ بَيْنَ مُوسَى وَعيسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإنَّ مُوسَى جَسِيمٌ ثَمَّةَ ذُو شَأْن عَظيم لَيْسَ لعيسى فيه تلكَ الجسَامَةُ وَالشَّأنُ فعلمْنَا أَنَّ التَّفَاوُتَ في ذَلكَ المَوْطنِ بِأَمْرٍ آخَرَ وَرَاءَ ذَلكَ العُلوِّ وَالسُّفْل وَسَأُبيِّنُهُ بَعْدُ مُفصَّلاً - إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى - بحُسْنِ تَوْفيقه وَكَمَال مَنِّه وَكَرَمه تَعَالى وَكَذَلكَ وَجَدْنَا فيه التَّفَاوُتَ بَيْن خَليل الرَّحْمَن وَبَيْنَ سَائر الأَنْبيَاء غَيْر خَاتَم الرُّسُل عَليْهمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام في الكَمَالَات التي لَا تُعَلقُ بحَقيقَة الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة التي هيَ فَوْقَ جَميع الحَقَائق البَشَريَّة وَالمَلكيَّة فَإنَّ للخَليل ثَمَّةَ شَأْنًا عَظيمًا وَمرْتَبَةً رَفيعَةً لَمْ يَتَيَسَّرْ لأَحَدٍ ذَلكَ الشَّأْنُ وَالرُّتْبَةُ.

وَفي ذَلكَ المَقَامِ العَالي المُناسب لمَقَام ظُهُور سُرَادقَات العَظَمَة وَالكبْريَاء كَمَالَاتُ مَرْكَز ذَلكَ المَقَامِ الذي هُوَ مَقَامُ الإجْمَال نَصيبُ خَاتَم الرُّسُل وَالبَاقي المُفصَّل كُلهُ مُسَلَّمٌ للخَليل وَكُل مَنْ سواهُ منَ الأَنْبيَاء وَكَمَال الأَوْليَاء طُفَيْليَّةٌ هُنَاكَ.

وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ طَلَبَ تَفصيل ذَلكَ الإجْمَال حَيْثُ سَأَلَ صَلَاةً وَبَرَكَةً مُشَابهَتَيْنِ بصَلَاة إبْرَاهيمَ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبرَكَته.

وَقَدْ ظَهَرَ لهَذَا الفقير أَنَّ ذَلكَ التَّفْصيل قَدْ تَيَسَّرَ لَهُ أَيْضًا بَعْد مُضيِّ أَلف سَنَة وَاسْتُجيبَ مَسْئوله وَالحَمْدُ لله عَلى ذَلكَ وَعَلى جَميع نعْمَائه وَكَمَالَاتُ ذَلكَ المَقَامِ العَالي فَوْقَ كَمَالَات الولَايَة وَفَوْقَ كَمَالَات النُّبُوَّة وَالرِّسَالَة وَكَيْفَ لَا تَكُونُ فَوْقَهَا فَإنَّ تلكَ الحَقيقَةَ مَسْجُودٌ إلَيْهَا للأَنْبيَاء الكرَام وَالمَلَائكَة العظَام عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا كَتَبَهُ هَذَا الفَقيرُ في رسَالَة المَبْدَأ وَالمَعَاد أَنَّ الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ عَرَجَتْ منْ مَقَامهَا وَانْتَهَتْ إلى حَقيقَة الكَعْبَة التي فَوْقَهَا وَاتَّحَدَتْ بهَا وَعَرَضُ للحَقيقَة المُحَمَّديَّة اسْمُ الحَقيقَةَ الأَحْمَديَّة كَانَتْ تلكَ الحَقيقَةُ أَعْني حَقيقَة الكَعْبَة ظلاً منْ ظلَال هَذه الحَقيقَة قَدْ ظُنَّ قَبل ظُهُور هَذه الحَقيقَة حَقيقَةً وَيَقَعُ هَذَا الاشْتبَاهُ كَثيرًا وَيَظُنُّ الظِّلَ قَبل ظُهُورِ الأَصْل أَصْلاً وَيُسَمَّى حَقيقَةً.

وَمِنْ هَهُنَا يَظْهَرُ المَقَامُ الوَاحِدُ مَرَّات وَسِرُّهُ أَنَّ ظُهُورات ذَلِكَ المَقَام باعْتِبَارِ ظِلال ذَلِكَ المَقَامِ وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ المَقَامِ فِي الحَقِيقَةِ هِيَ مَا ظَهَرَتْ فِي المَرْتَبَةِ الأَخِيرَة.

فَإِنْ قِيل: مِنْ أَيْنَ يُعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ المَرْتَبَةَ هِيَ المَرْتَبَةُ الأَخِيرَةُ مِنْ مَرَاتِبِ ظُهورَاته حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّهَا هِيَ الحَقِيقَةُ.

قُلتُ: إنَّ حُصُولَ العلمِ بظلِّيَة الظُّهورات السَّابقَة شَاهِدُ عَدْل لآخرِيَّة هَذَا الظُّهُور فَإِنَّ هَذَا العلمَ لَمْ يَكُنْ حَاصِلاً وَقْتَ الظُّهورات السَّابقَة بَل كَانَ يَرَى كُل ظُهُور حَقيقَة وَمَا كَانَ يُظَنُّ شَيْءٌ مِنْهَا ظِلاً أَصْلاً وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ أَنَّ اخْتِلافَ هَذِهِ الحَقَائِق مِنْ أَيْنَ جَاءَ فَافْهَمْ.

أَيُّهَا الوَلَدُ، قَدْ عُلِمَ مِنَ المَعَارِف السَّابقَة أَنَّ الكَمَالاَت المُتَعلقَة بعَالَمِ الأَمْرِ مَقَامَاتٌ وَمَعَارِجُ للكَمَالاَت المُتَعلقَة بعَالَمِ الخَلقِ وَالكَمَالاَت الأُولى لَيْسَتْ بخَالِيَة عَنِ الظِّلِّيَّة وَمَخْصُوصَةٌ بمَقَامَات الوِلاَيَة وَالكَمَالاَت الثَّانيَة مُبرَّأَةٌ عَنْ شَائِبَة الظِّلِّيَّة المُنَاسِبَة لظُهورات هَذِه النَّشْأَة الدُّنْيَوِيَّة وَفِيهَا نَصِيبٌ كَامِل مِنْ مَقَامَات النُّبُوَّة فَتَكُونُ الطَّرِيقَةُ وَالحَقِيقَةُ اللتَان مَرْبُوطَان بالوِلاَيَة خَادِمَتَيْنِ للشَّرِيعَة التي هِيَ نَاشِئَةٌ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّة وَتَكُونُ الوِلاَيَةُ سُلمًا لعُرُوج النُّبُوَّة.

فَعُلمَ مِنْ هَذَا البَيَان أَنَّ السَّيْرَ الذي اخْتَارَهُ الأَكَابِرُ النَّقْشَبَنْدِيَّةُ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ الذي ابْتدَؤُهُ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ أَوْلى وَأَنْسَبُ؛ لأَنَّ التَّرَقِّيَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الأَدْنَى الذي هُوَ عَالَمُ الأَمْرِ إِلى الأَعْلى الذي هُوَ عَالِي الخَلق لاَ مِنَ الأَعْلى إِلى الأَدْنَى وَمَا العلاَجُ فَإِنَّ هَذَا المُعَمِّيَ لَمْ يَنْكَشفْ لكُل أَحَد بَل نَظَرَ الأَكْثَرُونَ إِلى الصُّورَة وَظَنُّوا عَالَمَ الخَلق أَدْنَى فَشرَعُوا في الارْتقَاء مِنَ الأَدْنَى إِلى الأَعْلى الصُّورِيَّيْنِ وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ حَقِيقَةَ الحَال عَلى عَكْسِ هَذَا المنْوَال وَأَنَّ مَا ظَنُّوهُ أَدْنَى فِي الحَقِيقَة هُوَ الأَعْلى وَمَا زَعَمُوهُ أَعْلى هُوَ أَدْنَى نَعَمْ إِنَّ النُّقْطَةَ الأَخِيرَةَ التي هِيَ عَالَمُ الخَلق وَقَعَتْ قَرِيبَةً مِنَ النُّقْطَة الأُولى التي هِيَ أَصْلُ الأَصْل وَهَذَا القُرْبُ لَمْ يَتَيَسَّرْ لنُقطَة أُخْرَى، (ع):

أَحَقُّ الخَلق بالكَرَم العُصَاةُ

وَهَذِه المُشَاهَدَةُ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مشْكَاة النُّبُوَّة وَأَرْبَابُ الوِلاَيَة قَليلو النَّصِيب مِنْ هَذِه المَعْرِفَة وَشُرُوعُ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَانَ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ وَأَنَّهُمْ وَرَدُوا مِنَ الحَقِيقَة إِلى الشَّرِيعَة، غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ فِي كَمَال الأَوْلِيَاء الذينَ وَقَعَ سَيْرُهُمْ مُوَافِقًا لسَيْرِ الأَنْبِيَاءِ فِي الابْتدَاءِ صُورَةَ الشَّرِيعَة وَفِي الوَسَط الطَّرِيقَة

وَالحَقِيقَةُ المُتَعلقَتَان بالولاَيَة المُنَاسِبَتَان لعَالم الأَمْرِ وَفِي النِّهَايَة حَقِيقَةُ الشَّرِيعَةِ التِي هِيَ ثَمرَةُ النُّبُوَّة.

فَتَقَرَّرَ منْ هَذَا أَنَّ حُصُول الطَّرِيقَة مُقَدَّمٌ عَلى حُصُول حَقِيقَة الشَّرِيعَة فَكَانَتْ بدَايَةُ الأَوْلِيَاء الكَاملينَ وَبدَايَةُ الأَنْبيَاء المُرْسَلينَ من الحَقِيقَة وَنهَايَةُ كُل منْهُمَا إلى الشَّرِيعَة فَلاَ مَعْنَى لقَوْل مَنْ قَال: إنَّ بِدَايَةَ الأَوْلِيَاء نِهَايَةُ الأَنْبيَاء وَأَرَادَ بِبدَايَة الأَوْلِيَاء وَنهَايَة الأَنْبيَاء الشَّرِيعَةَ الغَرَّاءَ.

نَعَمْ إنَّ هَذَا المِسْكِينَ لَمَّا لَمْ يَطَّلعْ عَلى حَقِيقَةِ الحَال تَكلمَ بِهَذَا الشَّطْحِ وَلَمْ يُبَال.

وَهَذه المَعَارِفُ وَإنْ لَمْ يَتَكَلمْ بهَا أَحَدٌ بَل ذَهَبَ الأَكْثَرُونَ إلى عَكْسهَا وَاسْتَبْعَدُوهَا عَنِ الإِدْرَاك وَلكنْ إذَا لاَحَظَ مُنْصفٌ جَانبَ عَظِيمَة الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْه عَظَمَةُ الشَّرِيعَة يُحْتَمَلَ أَنْ يَقْبَل هَذِه المَعَارِفَ الغَامضَةَ وَيَجْعَل هَذَا القَبُول وَسِيلةً إلى زِيَادَة إيمَانه.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إنَّ الأَنْبيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ اقْتَصَرُوا دَعْوَتَهمْ عَلى عَالم الخَلق بُنيَ الإِسْلاَمُ عَلى خَمْسٍ ، الحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي هَذَا وَلَمَّا كَانَتْ مَنَاسَبَةُ القَلب بعَالم الخَلق أَزْيَدَ دَعْوَةً أَيْضًا بالتَّصْدِيق وَلَمْ يَتَكلمُوا فِيمَا وَرَاءَ القَلب بَل جَعَلوهُ كَالمَطْرُوح فِي الطَّرِيق وَلَمَّا يَعُدُّوهُ مِنَ المَقَاصد نَعَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَلكَ فَإنَّ تَنَعُّمات الجَنَّة وَآلاَمَ النَّار وَدَوْلَةَ الرُّؤْيَة وَالحِرْمَانَ عَنْهَا كُلهَا مَرْبُوطَةٌ بعَالم الخَلقِ لاَ تَعَلقَ لشَيْءٍ منْهَا بعَالم الأَمْر أَصْلاً.

وَأَيْضًا إنَّ إتْيَانَ العَمَل الفَرْض وَالوَاجب وَالسُّنَّة مُتَعَلقٌ بالقَلب الذِي هُوَ منْ عَالم الخَلق وَمَا هُوَ نَصِيبُ عَالم الأَمْر مِنَ الأَعْمَال هُوَ النَّافلة وَالقُرْبُ الذِي هُوَ ثَمرَةُ أَدَاء الأَعْمَال إنَّمَا يَكُونُ عَلى مقْدَار الأَعْمَال التِي هُوَ ثَمَرَتُهَا فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ القُرْبُ الذِي هُوَ ثَمرَةُ أَدَاء الفَرَائض نَصِيبُ عَالم الخَلق، وَالقُرْبُ الذِي هُوَ ثَمرَةُ أَدَاء النَّوَافل نَصِيبُ عَالم إلاَّ أَمْرٌ وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ إلاَّ اعْتدَادٌ بالنَّفْل وَلاَ اعْتبَارَ لهُ بالقيَاس عَلى الفَرْض وَلَيْتَ لهُ حُكْمُ القَطْرَة بالنِّسْبَة إلى البَحْر المُحيط بَل هَذه النِّسْبَةُ للنَّفْل بالقيَاس عَلى السُّنَّة وَإنْ كَانَتْ نسْبَةُ مَا بَيْنَ السُّنَّة وَالفَرْض كَنِسْبَة القَطْرَة إلى البَحْر فَيَنْبَغِي أَنْ يَقيسَ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَ القُرْبَيْن عَلى هَذَا وَأَنْ يُعْلَمَ مَزِيَّةَ عَالم الخَلق عَلى عَالم الأَمْر مِنْ هَذَا التَّفَاوُت وَأَكْثَرُ الخَلاَئق لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَصِيبٌ منْ هَذَا المَعْنَى صَارُوا يُخَرِّبُونَ الفَرَائضَ وَيَجْتَهدُونَ فِي تَرْوِيج النَّوَافل وَالصُّوفيَّةُ النَّاقصون يَعْتَقِدُونَ الذِّكْرَ وَالفكْرَ منْ أَهَمِّ المُهِمَّات وَيَتَسَاهَلونَ فِي إتْيَان الفَرَائضِ وَالسُّنَنِ

وَيَخْتَارُونَ الأَرْبَعِينَات تَارِكِينَ لِلجُمَعِ وَالجَمَاعَاتِ وَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَدَاءَ فَرْضٍ وَاحِدٍ مَعَ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ أُلوف مِنْ أَرْبَعِينَاتِهِم.

نَعَمْ إِنَّ الذِّكْرَ وَالفِكْرَ مَعَ مُرَاعَاة الآدَاب الشَّرْعِيَّة أَفْضَل وَأَهَمُّ وَالعُلَمَاءُ القَاصِرُونَ أَيْضًا يَسْعَوْنَ فِي تَرْوِيجِ النَّوَافِل وَيُخَرِّبُونَ الفَرَائِضَ وَيُضَيِّعُونَهَا وَمِنْ ذَلكَ صَلاَةُ العَاشُورَاء مَثلاً وَلَمْ يَصحَّ.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِيهَا مَعَ الجَمَاعَةِ وَالجَمْعِيَّةِ التَّامَّةِ وَالحَال أَنَّهَمْ يَعْلمُونَ أَنَّ الرِّوَايَات الفِقْهِيَّة نَاطِقَةٌ بِكَرَاهَة الجمَاعَة فِي النَّافِلَة وَهُمْ يَتَكَاسَلون فِي أَدَاءِ الفَرَائِضِ عَلى حَدٍّ قَلمَا يُوجَدُ مِنْهُمْ مَنْ يُؤَدِّي الفَرْضَ فِي وَقْته المُسْتحَبِّ بَل رُبَّمَا يُفَوِّتُونَهُ عَنْ أَصْل وَقْته وَلاَ يَتَقَيَّدُونَ بِالجَمَاعَة كَثِيرَ تَقَيُّد وَيَقْنَعُونَ فِي الجَمَاعَةِ بِشَخْصٍ أَوْ بِشَخْصَيْنِ بَل رُبَّمَا يَكْتَفُونَ بِالانْفِرَاد فَإِذَا كَانَتْ مُعَامَلَةُ مُقْتَدِي أَهْلَ الإِسْلاَم هَذه فَمَا تَقُول فِي غَيْرِهِمْ مِنَ العَوَامِّ وَمِنْ شُؤْم هَذه الأَفْعَال وَسُوء الأَعْمَال ظَهَرَ الضَّعْفُ فِي الإِسْلاَمِ وَمِنْ ظُلْمَةِ هَذه المُعَامَلة وَكُدُورَةَ الأَحْوَال ظَهَرَتْ البِدْعَةُ بَيْنَ الأَنَامِ. شعْرٌ.

بَثَثْتُ لدَيْكُمْ منْ هُمُومي وَخفْتُ أَنْ تَملُّوا وَإِلاَّ فَالكَلاَمُ كَثيرٌ

وَأَيْضًا إِنَّ أَدَاءَ النَّوَافِل إِنَّمَا يُعْطِي قُرْبَ ظل مِنَ الظِّلاَل وَأَدَاءَ الفَرَائِضِ يُعْطِي قُرْبَ الأَصْل الذي لَيْسَ فيه شَائِبَةُ الظِّلِّيَّة إِلاَّ أَنَّ النَّفْل إِذَا أُدِّي لأَجْل تَكْمِيل الفَرَائِضِ فَحِينَئذ يَكُونُ ذَلكَ أَيْضًا مُمِدًّا وَمُعَاوِنًا لحُصُول قُرْب الأَصْل وَمُلحَقًا بِالفَرَائِضِ فَيَكُونُ أَدَاءُ الفَرَائِضِ بِالضَّرُورَةِ مُنَاسِبًا لعَالِمِ الخَلقِ الذي هُوَ مُتَوَجِّهٌ وَنَاظِرٌ إِلى الأَصْل.

وَأَدَاءُ النَّوَافل مُنَاسِبٌ لعَالِمِ الأَمْر الذي هُوَ نَاظِرٌ إِلى الظِّل وَالفَرَائِضِ وَإِنْ كَانَتْ كُلهَا مُوَرِّثَةٌ للقُرْب وَلكنَّ أَفْضَلَهَا وَأَكْمَلهَا الصَّلاَةُ وَلعَلك سَمعْتَ أَنَّ الصَّلاَةَ معْرَاجُ المُؤْمنِ وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ منَ الرَّبِّ في الصَّلاَة وَالوَقْت الخَاصِّ الذي كَانَ للنَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ عَبَّرَ عَنْهُ بِقَوْله لي مَعَ الله وَقْتَ الحَدِيث هُوَ عنْدَ الفَقير في الصَّلاَة الصَّلاَةُ هِيَ المُكَفِّرَةُ للسَّيِّئَات وَالصَّلاَةُ هِيَ التي تَنْهِي عَنِ الفَحْشَاء وَالمُنْكَرَات وَالصَّلاَةُ هِيَ التي كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَطْلبُ رَاحَتَهُ فِيهَا حَيْثُ كَانَ يَقُول أَرحْنِي يَا بِلال وَالصَّلاَةُ هِيَ التِي عِمَادُ الدِّينِ وَالصَّلاَةُ هِيَ التِي صَارَتْ فَارِقَةً بَيْنَ الإِسْلاَم وَالكُفْر.

وَلنَرْجعْ إِلى أَصْل الكَلاَمِ وَلنَقُل مِنْ مَزِيَّة عَالِمِ الخَلقِ عَلى عَالِمِ الأَمْرِ.

اعْلَمْ أَنَّ عَالَمَ الأَمْرِ قَدْ نَال هُنَا يَعْنِي هُنَا فِي النَّشْأَة الدُّنْيَا حَظًّا وافرًا وَحَصَل المُشَاهَدَةُ وَسَتَقَعُ المُعَامَلَةُ غَدًا فِي الجَنَّة عَلى عَالَمِ الخَلقِ وَتَتَيَسَّرُ لَهُ رُؤْيَةٌ بِلاَ كَيْفٍ وَمَعَ ذَلِكَ أَنَّ مُتَعَلقَ المُشَاهَدَة ظِلٌ فِي ظِلاَل الوُجُوب.

وَالمَرْئِيُّ فِي الآخرَة وَاجِبُ وَاجب الوُجُود فَالفَرْقُ الذي بَيْنَ المُشَاهَدَةِ وَالرُّؤْيَةِ وَالظِّلِّيَّة وَالأَصَالة هُوَ فَرْقُ مَا بَيْنَ عَالَمِ الخَلق وَعَالَمِ الأَمْرِ

وَاعْلَمْ أَنَّ المُشَاهَدَةَ ثَمَرَةُ الوِلاَيَة وَالرُّؤْيَةَ ثَمَرَةُ النُّبُوَّة وَتَتَيَسَّرُ لِعَامَّةِ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم.

وَمِنْ هَهُنَا يُعْرَفُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ الوِلاَيَة وَالنُّبُوَّة أَيْضًا. تَنْبِيهٌ: كُل عَارِف مُنَاسَبَتُهُ لِعَالَمِ الأَمْرِ أَزْيدُ يَكُونُ قَدَمُهُ فِي كَمَالاَت الوِلاَيَة أَزْيَدَ وَالذي مُنَاسَبَتُهُ لِعَالَمِ الخَلق أَكْثَرُ فَقَدَمُهُ فِي كَمَالاَت النُّبُوَّة أَوْفَرُ وَمِنْ هَهُنَا كَانَ لِعِيسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - قَدَمٌ أَزْيَدُ فِي الوِلاَيَة وَلِمُوسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - قَدَمٌ أَزْيَدُ فِي النُّبُوَّة فَإِنَّ جَانِبَ الأَمْرِ غَالبٌ فِي عِيسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَلِهَذَا صَارَ مُلحقًا بالرُّوحَانِيِّينَ وَجَانبُ الخَلق غَالبٌ فِي مُوسَى - عَلَيْه السَّلاَمُ - وَلِهَذَا لَمْ يَكْتَفِ بالمُشَاهَدَة بَل طَلَبَ رُؤْيَةَ بَصَر.

وَهَذَا هُوَ سَبَبُ تَفَاوُت أَقْدَام الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فِي كَمَالاَت النُّبُوَّة الذي كُنْتُ وَعَدْتُ بَيَانَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ لاَ عُلُوُّ بَعْضِ اللطَائف وَسُفْلُهُ الذي هُوَ مُعْتَبَرٌ فِي تَفَاوُت كَمَالاَت الوِلاَيَة وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلهِمُ لِلصَّوَاب.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إِنَّ تَعَلقَ عُلومِ النُّبُوَّة التي هِيَ الشَّرَائعُ وَالأَحْكَامُ بالقَلب لَمَّا كَانَ أَزْيَدَ وَكَانَتْ مُنَاسَبَةُ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم لِعَالَمِ الخَلق أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ ظَنُّوا مِنْ ذَلكَ أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ النُّزُول إِلَى دَعْوَة الخَلق بَعْدَ العُرُوجِ إِلَى مَقَامَات القُرْبِ التي تَتَعَلقُ بالوِلاَيَة وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ نِهَايَةَ العُرُوجِ وَغَايَةَ القُرْب فِي هَذَا المَوْطِنِ وَالقُرْبَ الحَاصِل فِيمَا سَبَقَ كَانَ ظِلاً مِنْ ظِلاَل هَذَا القُرْبِ الذي يُتَصَوَّرُ بِصُورَة البُعْد.

وَالعُرُوجُ الذي تَيَسَّرَ أَوَّلاً كَانَ عَكْسًا مِنْ عكوس هَذَا العُرُوجِ الذي يُرَى فِي الظَّاهر نُزُولاً أَلاَ تَرَى أَنَّ مَرْكَزَ الدَّائرَة أَبْعَدُ النُّقْطَة بالنِّسْبَة إِلَى مُحِيط الدَّائرَة وَالحَال أَنَّهُ لاَ نُقْطَةَ فِي الحَقيقَة أَقْرَبُ إِلَى المُحِيط مِنْ نُقْطَة المَرْكَز؛ لأَنَّ المُحِيطَ تَفْصِيل تلكَ النُّقْطَة الإِجْمَاليَّة وَهَذه النِّسْبَةُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لنُقْطَة أُخْرَى.

وَالعَوَامُّ الذينَ اقْتَصَرَ نَظَرُهمْ عَلَى الصُّورَة لاَ يَقْدِرُونَ عَلى وجْدَان هَذَا القُرْب وَإِدْرَاكه فَيَحْكُمُونَ بأَبْعَدِيَّة تلكَ النُّقْطَة وَيَزْعُمُونَ الحُكْمَ بأَقْرَبِيَّتها جَهْلاً مُرَكَّبًا وَيُحَمِّقُونَ الحَاكمَ بِهَذَا الحُكْمِ وَيُجَهِّلونَهُ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلى مَا يَصِفُونَ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْمُطْمَئِنَةَ تَعْرُجُ عَنْ مَقَامِهَا بَعْدَ حُصُول شَرْحِ الصَّدْرِ الذي هُوَ مِنْ لوَازِمِ كَمَالاَت الوِلاَيَة الكُبْرَى وَتَرْتَقِي إلى تحت الصَّدْرِ وَيَحْصُلُ لَهَا هُنَاكَ التَّمْكِينُ وَالسَّلْطَنَةُ وَتَسْتَوْلِي عَلى مَمَالك القَلب وَتَخْت الصَّدْرِ هَذَا في الحَقِيقَة فَوْقَ جَمِيعِ مَقَامَات عُرُوجِ مَرْتَبَة الوِلاَيَة الكُبْرَى وَيَنْفُذُ نَظَرُ الصَّاعِد إلى هَذَا التَّخْت إلى أَبْطَنِ البُطُون وَيَسْرِي إلى غَيْب الغَيْب نَعَمْ إنَّ الشَّخْصَ إذَا صَعِدَ إلى أَرْفَعِ الأَمْكِنَة يَنْفُذُ بَصَرُهُ إلى أَبْعَد الأَبْعَاد وَبَعْدَ تَمْكِين هَذه المُطْمَئِنَّة يُخْرِجُ العَقْل أَيْضًا مِنْ مَقَامه وَيَلحَقُ بهَا وَيَنْضَمُّ إلَيْهَا وَيَعْرِضُ لَهُ حِينَئذٍ اسْمُ عَقْل المَعَاد وَتَتَوَجَّهُ كلاَهُمَا بالاتِّفَاق بَل بالإتِّحَاد إلى شَغْلهمَا.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إنَّ هَذه المُطْمَئِنَّةَ لاَ يَبْقَى فيهَا إمْكَانُ المُخَالفَة وَمَجَال الطُّغْيَان بَل هِيَ مُتَوَجِّهَةٌ إلى المَطْلُوبِ بكُلِّيَّتهَا وَمَشْغُوفَةٌ بالمَقْصُود بتَمَاميَّتهَا لاَ همَّةَ لَهَا غَيْرَ تَحْصِيل رِضَا رَبِّهَا وَلاَ مَطْلُوبَ لَهَا سوي طَاعَته وَعبَادَته تَعَالَى سُبْحَانَ الله.

إنَّ الإمَارَةَ التي كَانَتْ أَوَّلاً شَرَّ جَمِيعِ الخَلاَئق صَارَتْ بَعْدَ الاطْمِئْنَان وَحُصُول رِضَاء حَضْرَةَ الرَّحْمَن رَئيس لطَائف عَالم الأَمْر وَرَأْس كَافَّة الأَقْرَان نَعَمْ قَدْ قَال المُخْبرُ الصَّادقُ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "**خِيَارُكُمْ في الجَاهليَّة خيَارُكُمْ في الإسْلاَمِ إذَا فَقِهُوا**".

فَإنْ وَقَعَتْ بَعْدَ ذَلكَ صُورَةُ الخلاَف وَالبَغْي فَمَنْشَؤها اخْتلاَفُ طَبَائع العَنَاصر الأَرْبَعَة التي أَجْزَاءُ القَالب فَإنْ كَانَتْ قُوَّةٌ غَضَبيَّةٌ فَنَاشئَةٌ مِنْ هُنَاكَ وإنْ كَانَتْ شَهَويَّةً فَهِي أَيْضًا ثَائرَةٌ منْ هُنَاكَ وَأَنَّ حرْصَهَا وَشَرَّهَا فَقَائمَان منْ هُنَاكَ وَأَنَّ خسَّةً وَدَنَاءَةً فَمُنبعثَتَان منْ هُنَاكَ أَلاَ تَرَى أَنَّ سَائرَ الحَيَوَانَات لَيْسَتْ فيهنَّ هَذه النَّفْسُ الأَمَّارَةُ وَمَعَ ذَلكَ فيهنَّ هَذه الأَوْصَافُ الرَّذيلَةُ بالوَجْه الأَتَمِّ وَالأَكْمَل فَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بالجهَاد الأَكْبَر حَيْثُ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: "**رَجَعْنَا منَ الجهَاد الأَصْغَر إلى الجهَاد الأَكْبَر**" الجهَادُ مَعَ القَالب لاَ الجهَادُ مَعَ النَّفْس كَمَا قيلَ؛ لأَنَّ النَّفْسَ قَدْ بَلغَتْ حَدَّ الاطْمئْنَان وَصَارَتْ رَاضيَةً مَرْضيَّةً فَلاَ تَتَصَوَّرُ منْهَا صُورَةَ المُخَالفَة وَالبَغْي حَتَّى يَحْتَاجَ إلى الجهَاد وَصُورَةُ الخلاَف وَالبَغْي منْ أَجْزَاء القَالب عبَارَةٌ عَنْ إرَادَة تلكَ الأُولى وَارْتكَاب الأُمُور المُرَخَّصَة وَتَرْك العَزيمَة لإرَادَة ارْتكَاب المُحَرَّمَات وَتَرْك الفَرَائض وَالوَاجبَات فَإنَّ هَذه الأَشْيَاءَ صَارَتْ في حَقِّهَا نَصيبَ الأَعْدَاء.

أَيُّهَا الوَلَدُ، إنَّ كَمَالاَت العَنَاصر الأَرْبَعَة وَإنْ كَانَتْ فَوْقَ كَمَالاَت المُطْمَئنَّة كَمَا مَرَّ وَلكنْ بوَاسطَة مُنَاسَبَتهَا لمَقَام الولاَيَة وَصَيْرُورَتهَا مُلحَقَةً بعَالم الأَمْر صَاحبَةَ سُكْرٍ وَفي مَقَام الاسْتغْرَاق فَلاَ جَرَمَ لاَ يَبْقَى فيهَا مَجَال المُخَالفَة وَحَيْث

كَانَتْ مُنَاسَبَةُ العَنَاصِر بِمَقَامِ النُّبُوَّة أَزْيَدَ كَانَ الصَّحْوُ غَالِبًا فِيهَا فَبِالضَّرُورَة تَبْقَى فِيهَا صُورَةُ المُخَالَفَة لأَجْلِ تَحْصِيل بَعْضِ المَنَافِعِ وَالفَوَائِد المَرْبُوطَة بِهَا فَافْهَمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَنْصَبَ النُّبُوَّة كَانَ مَخْتُومًا بِخَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْهِ وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلكنْ لاتِّبَاعه ﷺ نَعِيبُ كَامِلاً مِنْ كَمَالاَت ذَلكَ المَنْصِب بِالتَّبَعِيَّة وَهَذه الكَمالاَت كَانَتْ فِي طَبَقَة الأَصْحَاب أَزْيَدَ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا وَسَرَتْ هَذه الدَّوْلَةُ أَيْضًا عَلَى سَبِيل القلة إِلَى التَّابعينَ وَتَبَعِ التَّابِعينَ ثُمَّ شَرَعَتْ بَعْدَهُمْ فِي الاخْتفَاء وَالاسْتتَار وَانْتَشَرَتْ كَمَالاَتُ الوِلاَيَة الظِّلِّيَّة وَغَلَبَتْ وَشَاعَتْ وَلكنَّ المَرْجُوَّ أَنْ تَتَجَدَّدَ هَذه الدَّوْلَةُ المُسْتَتِرَةُ بَعْدَ مُضِيِّ الأَلْف وَيَحْصُلَ لَهَا الغَلَبَةُ وَالشُّيُوعُ وَأَنْ تَظْهَرَ الكَمَالاَتُ الأَصْلِيَّةُ وَتَسْتَتِرَ الظِّلِّيَّةُ وَأَنْ يَكُونَ المَهْدِيُّ عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ مُرَوِّجَ هَذه النِّسْبَة العَلِيَّة.

أَيُّها الوَلَدُ، إِنَّ التَّابِعَ الكَامِل للنَّبِيِّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا أَتَمَّ كَمَالاَت مَقَام النُّبُوَّة بِالتَّبَعِيَّة فَإِنْ كَانَ مَنْ أَهْلِ المَنَاصب يَشْرُفُ بِمَنْصب الإِمَامَة وَإِذَا أَتَمَّ كَمَالاَت الوِلاَيَة الكُبْرَى فَإِنْ كَانَ مَنْ أَهْلِ المَنْصب يَشْرُفُ بِمَنْصب الخلاَفَة وَالمُنَاسبُ لمَنْصب الإِمَامَة فِي مَقَام الكَمَالاَت الظِّلِّيَّة مَنْصَبُ قُطْب الإِرْشَاد وَالمُنَاسَبُ لمَنْصَب الخلاَفَة مَنْصَبُ قُطْب المَدَار وَكَأَنَّ هَذَيْنَ المَقَامَيْنِ التَّحتَانيَّيْن ظل ذَيْنك المَقَامَيْنِ الفَوْقَانيَّيْن وَالغَوْثُ عنْدَ الشَّيْخ مُحْيِي الدِّين بْن عَرَبِيٍّ - قُدِّسَ سرُّهُ - هُوَ عَيْنُ قُطْب المَدَار وَلَيْسَتْ الغَوْثيَّةُ عنْدَهُ مَنْصبًا عَلى حدَة وَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ الفَقير أَنَّ الغَوْثَ غَيْرُ قُطْب المَدَار وَالقُطْبُ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ فِي بَعْضِ الأُمُور وَلَهُ دَخل أَيْضًا فِي نَصْبِ مَنَاصب الإِبْدَال ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْل العَظِيم.

تَذْييل: إِنَّ العُلومَ وَالمَعَارِفَ المُنَاسَبَة لمَقَام النُّبُوَّة وَوِلاَيَتهَا شَرَائعُ الأَنْبيَاء - عَلَيهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَمَّا كَانَ فِي النُّبوَّة تَفَاوُتُ أَقْدَام الأَنْبيَاء ظَهَرَ الاخْتلاَفُ أَيْضًا فِي الشَّرَائِع بِمقْدَار ذَلكَ التَّفَاوُت وَالمَعَارفُ المُنَاسَبَةُ لمَقَام وِلاَيَة الأَوْليَاء شَطْحيَّاتُ المَشَايخ وَالعُلومُ المُخْبِرَةُ عَنِ التَّوْحيد وَالاتِّحَاد المُنْبئَة عَنِ الإِحَاطَة وَالسَّرَيَان المُورِّثَة لعَلاَمَة القُرْب وَالمَعيَّة المُشْعرَة بالمِرْآتيَّة وَالظِّلِّيَّة المُثْبتَة للشُّهُود وَالمُشَاهَدَة وَبالجُمْلة إِنَّ مَعَارِفَ الأَنْبيَاءِ كتَابٌ وَسُنَّةٌ وَمَعَارِف الأَوْليَاء نُصُوصٌ وَفُتُوحَاتٌ مَكِّيَّةٌ، (ع):

وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

وِلاَيَةٌ تَطْلبُ قُرْبَ الحَقِّ وَوِلاَيَةُ الأَنْبياءِ تُبْدي أَقْرَبِيَّتَه تَعَالى.

ولاَيَةُ الأَوْلَيَاءِ تَدُل عَلى الشُّهُودِ وَوِلاَيَةُ الأَنْبِيَاءِ تُثْبِتُ النِّسْبَةَ المَجْهُولة الكَيْفِيَّة.

ولاَيَةُ الأَوْلِيَاء لاَ تَعْرِفُ الأَقْرَبِيَّةَ أَنَّهَا مَا هِيَ وَلاَ تَدْرِي الجَهَالةَ وَالحَيْرَةَ أَنَّهَا أَيُّ شَيْءٍ هِيَ وَوِلاَيَةُ الأَنْبِيَاء مَعَ وُجُودِ الأَقْرَبِيَّةِ تَرَى القُرْبَ عَيْنَ البُعْدِ وَتَعُدُّ الشُّهُودَ عَيْنَ الغَيْبِ، (ع):

يَطُول إذَا مَا قُلتُ تَفْصيل شَرْحه

أَيُّهَا الوَلَدُ: قَدْ أَطْنَبْتَ فِي بَيَان كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ وَمَزِيَّتِهَا عَلى ولاَية، وَالفَرْقُ بَيْنَ الولاَيَات الثَّلاَث أَعْنِي الصُّغْرَى وَالكُبْرَى وَالعُلْيَا وَبَيَانَ المَعَارِف المُنَاسبَة لكُل مِنْهَا وَالمَحَال المُتَعَلقَة بكُل مِنْهَا وَأَدْرَجْتُ فِي بَيَان هَذَا المَعْنَى فقَرَات مُكَرَّرَةً وَمُتَكَثِّرَةً وَأَطَلتُ فِي ذَلكَ ذَيْل الكَلاَم رَجَاء أَنْ يَخْرُجَ عَن اسْتبْعَاد الأَفْهَام مِنْ كَمَال غَرَابَته وَأَنْ يَتَخَلصَ مِنْ مَظَانِّ الإنْكَار، وَهَذه العُلومُ كَشْفيَّةٌ ضَرُوريَّةٌ لاَ اسْتدْلاليَّةٌ وَنَظَريَّةٌ.

وَذِكْرُ بَعْضِ المُقَدمَات إنَّمَا هُوَ للتَّنْبيه وَالتَّقْريبِ إلى أَفْهَامِ العَوَامِّ بَل للتَّشْريحِ وَالتَّوْضيحِ لأَجْل إدْرَاك خَوَاصِّ الأَنَام.

هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الذي جَعَل الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى هَذَا الحَقيرَ مُمْتَازًا به منْ بدَايَته إلى نهَايَة أَسَاسه.

النِّسْبَةُ النَّقْشَبَنْديَّة المُتَضَمِّنَةُ لانْدرَاجِ النِّهَايَة في البدَايَة قَدْ بُنيَتْ عَلى هَذَا الأَسَاس عمَارَاتٌ وَقُصُورٌ فَإنْ لم يَكُنْ هَذَا الأَسَاسُ لَمَا زَادَتْ المُعَامَلةُ وَمَا انْتَهَتْ إلى هُنَا قَدْ أَتَوْا بالبَذْر الذي أَصْلُهُ منْ تُرَاب يَثْربَ وَبَطْحَاء منْ بُخَارَا وَسَمَرْقَنْدَ وَزَرَعُوهُ في أَرْضِ الهنْد وَسَقَوْهُ بمَاء الفَضْل سنينَ وَرَبَّوْهُ بتَرْبيَة الإحْسَان فَلمَّا أَدْرَكَ ذَلكَ الزَّرْعُ وَبَلغَ كَمَالهُ أَثْمَرَ هَذه العُلومَ وَالمَعَارفَ.

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ.

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ سُلوكَ هَذَا الطَّريق العَالي برَابطَة المَحَبَّة للشَّيْخِ المُقْتَدَى به الذي سَارَ في هَذَا الطَّريق بالسَّيْر المُرَاديِّ وَانْصَبَغَ بقُوَّة الجَذْبَة بهَذه الكَمَالاَت وَصَاحب هَذه الكَمَالاَت إمَامُ الوَقْت وَخَليفَةُ الزَّمَان نَظَرُهُ شفَاءُ الأَمْرَاض القَلبيَّة وَتَوَجُّهُهُ رَافعُ العلل المَعْنَويَّة، الأَقْطَابُ وَالبُدَلاَءُ فَرحُونَ بظلاَل مَقَامَاته وَالأَوْتَادُ وَالنُّجَبَاءُ قَانعُونَ بقَطْرَة منْ بحَار كَمَالاَته نُورُ هدَايَته وَإرْشَاده فَائضٌ عَلى جَميعِ الأَشْخَاصِ كَنُورِ الشَّمْسِ بلاَ إرَادَته فَكَيْفَ إذَا أَرَادَ وَإنْ لم تَكُنْ إرَادَتُهُ فِي اخْتيَاره

فَإِنَّهُ كَثيرًا مَا يَطْلبُ الإِرَادَةَ وَلكِنْ لاَ تَحْصُل لهُ تلكَ الإِرَادَةُ وَلاَ يَلزَمُ أَنْ يُعْلَمَ هَذَا المَعْنى وَيطَّلعَ عَليْه مَنْ يَهْتَدُونَ بنُوره وَيَسْتَرْشدُونَ بتَوَسُّله بَل رُبَّمَا لاَ يَعْلمُونَ أَصْلَ هدَايَتهمْ وَرُشْدهمْ أَيْضًا كَمَا يَنْبَغي وَمَعَ ذَلكَ يَتَحَقَّقُونَ بكَمَالاَت الشَّيْخِ المُقْتَدى به وَيُهْدَوْنَ العَالَمَ فَإِنَّ العلمَ بالأَحْوَال لاَ يُعْطَاهُ كُل أَحَدٍ وَمَعْرِفَةُ تَفْصِيل سِيَرِ المَقَامَاتِ لاَ يُمْنَحُهَا جَميعُ الأَشْخَاصِ.

نَعَمْ، إنَّ الشَّيْخَ الذي نيطَ بوُجُوده الشَّريف مَدَارُ بنَاء طَريقٍ مَخْصُوصٍ منْ طُرُق الوُصُول صَاحبُ علمٍ أَلبَتَّةَ وَصَاحبُ شُعُورٍ بتَفاصيل السَّيْرِ وَيَكْتَفي غَيْرُهُ بعلمه وَيَصلونَ بتَوَسُّطه إلى مَرْتَبَة الكَمَال وَالتَّكْميل وَيَشْرُفُونَ بالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ.

شعْرٌ.

لَيْسَ عَلى الله بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ في وَاحد

إفَادَتُنَا وَاسْتفَادَتُنَا انْعكَاسيَّةٌ وَانصباغيَّةٌ يَنْصبغُ المُريدُ بصَبْغِ الشَّيْخِ المُقْتَدى به سَاعَةً فَسَاعَةً بوَاسطَة مَحَبَّته لهُ وَيَتَنَوَّرُ بأَنْوَاره بطَريق الانْعكَاس فَلاَيٍّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ في هَذه الصُّورَة إلى العلمِ بالأَحْوَال في الإفَادَة وَالاسْتفَادَة أَلاَ تَرَى أَنَّ الخَريزَةَ تُدْرَكُ بحَرَارَة الشَّمْسِ سَاعَةً فَسَاعَةً وَتَبْلغ مَرْتَبَة الكَمَال بمُرُور الأَيَّام فَمنْ أَيْنَ يَلزَمُ أَنْ يَكُونَ لهَا علمٌ بإدْرَاكهَا وَمنْ أَيْنَ يَلزَمُ للشَّمْسِ أَنْ تُعْلمَ بأَنَّهَا سَبَبُ إدْرَاكهَا.

نَعَمْ، إنَّ العلمَ لأَجْل السُّلوك وَالتَّسْليك الاخْتياريِّ لاَزمٌ وَلكنَّهُ مَرْبُوطٌ بسَلاَسل أُخَرَ.

وَأَمَّا في طَريقنَا التي هيَ طَريقَةُ الأَصْحَاب الكرَام عَليْهمُ الرِّضْوَانُ فَالعلمُ بالسُّلوك وَالتَّسْليك لَيْسَ بلاَزمٍ أَصْلاً وَإنْ كَانَ الشَّيْخُ المُقْتَدَى به الذي هُوَ رَاعي هَذه الطَّريقَة مَوْصُوفًا بكَمَال العلمِ وَمُتَحَققًا بوُفُور المَعْرفَة فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ الأَحْيَاءُ وَالأَمْوَاتُ وَالصِّبْيَانُ وَالأَشْيَاخُ وَالشُّبَّانُ وَالكُهُول مُتَسَاوينَ في هَذَا الطَّريق العَالي في حَقِّ الوُصُول لأَنَّهُمْ يَصلونَ إلى مُنْتَهَى المَقَاصد إمَّا برَابطَة المَحَبَّة أَوْ بتَوَجُّه صَاحب دَوْلة، ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم.

وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المُنْتَهى وَإنْ لَمْ يَكُنْ صَاحبَ علمٍ وَلكنْ لاَ بُدَّ لهُ منْ ظُهُور الخَوَارق وَرُبَّمَا لاَ يَكُونُ لهُ اخْتيَارٌ في ذَلكَ الظُّهُور بَل كَثيرًا مَا لاَ يَكُونُ لهُ علمٌ بظُهُورهَا بَل يَرَى النَّاسُ منْهُ الخَوَارقَ وَليْسَ لهُ اطِّلاَعٌ عَليْهَا.

وَمَا قُلتُ إنَّ المُنْتَهَى وَإنْ لَمْ يَكُنْ صَاحبَ علمٍ، المُرَادُ بعَدَم العلم عَدَمُ علمٍ بتَفْصيل الأَحْوَال لاَ عَدَمُ العلمِ مُطْلقًا بحَيْثُ لاَ يَفْهَمُ أَحْوَالهُ أَصْلاً كَمَا مَرَّتِ الإشَارَةُ إليْه، وَنُورُ هدَايَته المَذْكُورُ يَسْري إلى مُريديه بلاَ وَاسطَةٍ أَوْ بوَاسطَةٍ أَوْ

بوَسَائطَ مَا لَمْ تُلوَّثْ طَرِيقَتُهُ المَخصُوصَةُ بلوْث التَّغيُّرَات وَالتَّبْديلاَت وَلَمْ تُخرَّبْ بِالحَاق المُختَرَعَاتِ وَالمُبْتَدعَاتِ بِهَا {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

وَالعَجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَزْعُمُونَ هَذه التَّبْديلاَت تَكْميلات هَذه الطَّرِيقَة وَيَتَصَوَّرُونَ تلكَ الإلحَاقَات تَتْميمات هَذِه النِّسْبَة وَلاَ يَعْلمُونَ أَنَّ تَكْمِيل هَذَا الأَمْرِ وَتَتْمِيمَهُ لَيْسَ لكُل قَاصرٍ وَنَاقِضٍ.

وَالإِلحَاقُ وَالاخْتِرَاعُ لَيْسَ فِي حَوْصَلةِ كُل خَالي الظَّرْفِ.

شِعْرٌ

هزار نكته باريكترزموا ينجاسات　　نه هركه سربتراشد قندرى داند

قَدْ سُتِرَ، وَأَنْوَارُ السُّنِّيَّة بظُلمَات البدَعِ وَضَيَّعُوا رَوْنَقَ الملة المُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ بكُدُورَات الأُمُور المُختَرَعَة وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا ظَنُّ قَوْمٍ هَذه المُحْدَثَات أُمُورًا مُسْتَحسَنَةً وَزَعْمُهمْ تلكَ المُبْتَدعَات حَسَنَات مُسْتَمْلَحَة فَيَطْلُبُونَ بهَا تَكْميلَ الدِّينِ وَتَتْميمَ الملة وَيُرَغِّبُونَ في إِتْيَان تلكَ الأُمُور تَرْغيبًا كَثيرًا هَدَاهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - سَوَاءَ الصِّرَاط أَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ الدِّينَ كَانَ كَاملاً قَبْل هَذه المُحْدَثَات وَكَانَ النِّعْمَةُ تَامَّةً وَكَانَ رضَاءُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - حَاصلاً كَمَا قَال اللَّهُ تَعَالى {اليَوْمَ أَكْملتُ لكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَليكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}.

فَطَلبُ كَمَال الدِّينِ منْ هَذِهِ المُحْدَثَات إِنْكَارٌ في الحَقيقَة عَلى مُقْتَضَى هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة.

شِعْرٌ.

بَثَثْتُ لدَيْكُمْ منْ هُمُومي وَخفْتُ أَنْ　　تَملوا وَإِلاَّ فَالكَلاَمُ كَثيرُ

وَقَدْ أَظْهَرَ العُلمَاءُ المُجْتَهدُونَ أَحْكَامَ الدِّين لاَ إِنَّهُمْ أَحْدَثُوا فيه مَا لَيْسَ منْهُ فَلاَ تَكُونُ الأَحْكَامُ الاجْتهَاديَّةُ منَ الأُمُورِ المُحْدَثَة بَل منْ أُصُول الدِّين؛ لأَنَّ الأَصْلَ الرَّابعَ هُوَ القيَاسُ.

أَيُّهَا الوَلدُ: إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ المَعْرفَةَ المُتَعلقَةَ بقُطْب الإِرْشَاد في بَاب الإِفَادَة وَالاسْتفَادَة منْ رسَالة المَبْدَأ وَالمَعَاد وَلكنْ لمَّا كَانَتْ لهَا مُنَاسَبَةٌ بهَذَا المَقَامِ وَمُفيدَةٌ فيه نَاسَبَ كتَابَتَهَا في هَذَا المَكْتُوب أَيْضًا فَليُعْتَبَرْ منْ هُنَا أَنَّ قُطْبَ الإِرْشَاد الذي يَكُونُ جَامعًا لكَمَالاَت الفَرْديَّة أَيْضًا عَزِيزُ الوُجُود جدًّا يَظْهَرُ مثْل هَذَا الجَوْهَرِ بَعْدَ قُرُونٍ كَثيرَةٍ وَأَزْمنَةٍ مُتَطَاولةٍ وَيَتَنَوَّرُ العَالمَ الظُّلمَانيُّ بنُورِ ظُهُوره.

وَنُورُ هِدَايَتِه وَإِرْشَادِه شَامِل لِجَمِيعِ العَالَمِ كُل مَنْ يَحْصُل لَهُ الرُّشْدُ وَالهِدَايَةُ وَالإِيمَانُ وَالمَعْرِفَةُ مِنْ مُحِيط العَرْش إِلى مَرْكَز الفَرْشِ إِنَّمَا يَحْصُل مِنْ طَرِيقِه وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ لاَ تَتَيَسَّرُ هَذِه الدَّوْلَةُ لأَحَد بِدُون تَوَسُّطِه، نُورُهُ مُحِيطٌ لِجَمِيعِ العَالَمِ مِثْل البَحْرِ المُحِيط مَثَلاً وَهَذَا البَحْرُ كَأَنَّهُ مُنْجَمِدٌ لاَ يَتَحَرَّكُ أَصْلاً فَالطَّالِبُ الذي مُتَوَجِّهٌ إِلَيْه وَمُخْلِصٌ لَهُ أَوْ هُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلى الطَّالِب كَأَنَّهُ تَفْتَحُ وَقْتَ التَّوَجُّه رَوْزَنَةً إِلى قَلْبِ الطَّالِب فَيَصِيرُ بِهَذَا الطَّرِيق رَيَّانًا مِنْ ذَلِكَ البَحْرِ عَلى قَدْرِ تَوَجُّهِه وَإِخْلَاصِه وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلى ذِكْرِ اللهِ تَعَالى وَمُقْبِلاً عَلَيْه وَلَمْ يَكُنْ مُتَوَجِّهًا إِلى ذَلِكَ القُطْب أَصْلاً لاَ مِنْ جِهَةِ الإِنْكَار عَلَيْه بَل لِعَدَمِ مَعْرِفَتِه بِه أَصْلاً يَحْصُل لَهُ مِثْل هَذِه الإِفَادَة لِكنَّهَا فِي الصُّورَةِ الأُولى أَزْيَدُ مِنْهَا فِي الصُّورَةِ الثَّانِيَة.

وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُنْكَرًا عَلَيْه أَوْ هُوَ مُتَأَذٍّ مِنْهُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَشْغُولاً بِذِكْرِ اللهِ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَلكِنَّهُ مَحْرُومٌ مِنْ حَقِيقَةِ الرُّشْدِ وَالهِدَايَة وَإِنْكَارُهُ هَذَا وَأَذِيَّتُهُ يَصِيرُ سُدَّةً فِي طَرِيقِ فَيْضِه وَحَقِيقَةُ الهِدَايَة مَفْقُودَةٌ فِيه مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَجَّهَ القُطْبُ العَظِيمُ الشَّأْن إِلى عَدَمِ إِفَادَتِه وَمَنْعِ اسْتِفَادَتِه وَقَصْدِ ضَرَرِه بَل فِيه صُورَةُ الرُّشْدِ فَقَطْ وَالصُّورَةُ الخَالِيَةُ عَنِ المَعْنَى قَلِيلَةُ النَّفْعِ وَالجَدْوَى وَالذِينَ فِيهِمْ مَحَبَّةُ ذَلِكَ القُطْب وَإِخْلَاصُهُ وَإِنْ خَلَوْا عَنِ التَّوَجُّه المَذْكُور وَذِكْرِ اللهِ تَعَالى يَصِل إِلَيْهِمْ نُورُ الهِدَايَة وَالرُّشْدِ بِوَاسِطَةِ مَحَبَّتِهِمْ فَقَطْ وَلْتَكُنْ هَذِه المَعْرِفَةُ آخِرَ المَكْتُوب، شِعْرٌ :

أَكْتَفِي إِذْ ذَاكَ يَكْفِي الأَذْكِيَا   صَحَّتْ مَرَّاتٌ لِمَنْ أَصْغَى النِّدَا

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَوَّلاً وَآخِرًا وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ دَائِمًا وَسَرْمَدًا.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَان

إلَى المِيْرِ نُعْمَانَ

فِي بَيَانِ فَضَائِلِ الصَّلاَةِ وَالكَمَالاَتِ المَخْصُوصَةِ بِهَا فِي ضِمْنِ مَعَارِفَ عَالِيَةٍ وَحَقَائِقَ سَامِيَةٍ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ لِيَكُنْ مَعْلُومُ الأَخِ الأَعَزِّ أَرْشَدَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ الصَّلاَةَ رُكْنٌ ثَانٍ مِنَ الأَرْكَانِ الخَمْسَةِ لِلإِسْلاَمِ وَجَامِعَةُ العِبَادَاتِ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ جُزْئِيَّةً وَلَكِنْ حَصَلَتْ لَهَا حُكْمُ الكُلِّيَّةِ مِنَ الجَامِعِيَّةِ وَصَارَتْ فَوْقَ جَمِيعِ مُقَرِّبَاتِ الأَعْمَالِ وَدَوْلَةُ الرُّؤْيَةِ التِي كَانَتْ مُيَسَّرَةً لِسَيِّدِ العَالَمِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ فِي الجَنَّةِ كَانَتْ مُيَسَّرَةً لَهُ بَعْدَ النُّزُولِ إِلَى الدُّنْيَا فِي الصَّلاَةِ مُنَاسَبَةً لِهَذِهِ النَّشْأَةِ وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "**الصَّلاَةُ مِعْرَاجُ المُؤْمِنِ**" وَقَالَ أَيْضًا "**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي الصَّلاَةِ**" وَلِكَمَالِ اتِّبَاعِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ حَظٌّ وَافِرٌ مِنْ تِلْكَ الدَّوْلَةِ فِي الصَّلاَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُؤْيَةٌ فَإِنَّ هَذِهِ النَّشْأَةَ لاَ تُطِيقُهَا فَإِنْ لَمْ يَأْمُرِ اللهُ - سُبْحَانَهُ - بِالصَّلاَةِ فَمَنْ كَانَ يَكْشِفُ النِّقَابَ عَنْ وَجْهِ المَقْصُودِ وَمَنْ كَانَ يَدُلُّ الطَّالِبَ نَحْوَ المَطْلُوبِ مُوَرِّثُ اللَّذَّةِ لِلمَغْمُورِينَ هُوَ الصَّلاَةُ وَمُوجِبُ الرَّاحَةِ لِلمَرْضَى يَعْنِي مِنْ أَلَمِ البُعْدِ وَالفِرَاقِ هُوَ الصَّلاَةُ "**أَرِحْنِي يَا بِلاَل**" أَشَارَ إِلَى هَذَا المَعْنَى وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ رَمْزٌ مِنْ هَذَا المُتَمَنَّى وَمَا تَيَسَّرَ مِنَ الأَذْوَاقِ وَالمَوَاجِيدِ وَالعُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالأَحْوَالِ وَالمَقَامَاتِ وَالأَنْوَارِ وَالأَلْوَانِ وَالتَّلْوِينَاتِ وَالتَّمْكِينَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ وَالمُتَكَيِّفَةِ وَغَيْرِ المُتَكَيِّفَةِ وَالظُّهُورَاتِ وَالمُتَلَوِّنَةِ وَغَيْرِ المُتَلَوِّنَةِ فِي خَارِجِ الصَّلاَةِ وَمِنْ غَيْرِ شُعُورٍ بِحَقِيقَةِ الصَّلاَةِ مَنْشَؤُهَا كُلُّهَا ظِلاَلٌ وَأَمْثَالٌ بَلْ نَاشِئَةٌ عَنِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ وَالمُصَلِّي الذِي لَهُ شُعُورٌ بِحَقِيقَةِ الصَّلاَةِ كَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ النَّشْأَةِ الدُّنْيَا وَقْتَ أَدَاءِ الصَّلاَةِ وَيَدْخُلُ فِي النَّشْأَةِ الأُخْرَى فَلاَ جَرَمَ يَنَالُ فِي هَذَا الوَقْتِ نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ دَوْلَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِالآخِرَةِ وَيُحَصِّلُ حَظًّا مِنَ الأَصْلِ بِلاَ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ؛ لأَنَّ النَّشْأَةَ الدُّنْيَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الكَمَالاَتِ.

الظِّلِّيَّةُ وَالمُعَامَلَةُ الخَارِجَةُ الخَالِيَةُ عَنِ الظِّلِّيَّةِ مَخْصُوصَةٌ بِالآخِرَةِ فَلاَ بُدَّ عَلَى هَذَا مِنَ المِعْرَاجِ وَهُوَ الصَّلاَةُ فِي حَقِّ المُؤْمِنِينَ وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ مَخْصُوصَةٌ بِهَذِهِ الأُمَّةِ

فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا شُرِّفُوا بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ واسْتَسْعَدُوا بِهَذِهِ السَّعَادَةِ تَبَعًا لِنَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَقَدْ تَشَرَّفَ هُوَ بِدَوْلَةِ الرُّؤْيَةِ حَيْثُ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا إِلى الآخِرَةِ وَدَخَلَ الجَنَّةَ لَيْلَةَ المِعْرَاجِ اللهُمَّ اجْزِهِ عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ وَاجْزِهِ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَيْتَ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ وَاجْزِ الأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ دُعَاةُ الخَلْقِ إِلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهُدَاتُهُمْ إِلى لِقَاءِ اللهِ.

وَالذِينَ لَمْ يَطَّلِعُوا عَلى حَقِيقَةِ الصَّلَاةِ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَلَمْ يَقِفُوا عَلى الكَمَالاتِ المَخْصُوصَةِ بِهَا صَارُوا يَطْلُبُونَ مُعَالَجَةَ أَمْرَاضِهِمْ مِنْ أُمُورٍ أُخَرَ وَيَلْتَمِسُونَ حُصُولَ مُرَادَاتِهِمْ مِنْ أَشْيَاءَ شَتَّى بَلْ زَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمُ الصَّلَاةَ بَعِيدَةً عَنِ الحَالِ وَجَعَلُوا مَبْنَاهَا عَلى المُغَايَرَةِ وَالمُبَايَنَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المُحَالِ وَزَعَمُوا أَنَّ الصَّوْمَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ صَاحِبُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ: إِنَّ فِي الصَّوْمِ الذِي هُوَ تَرْكُ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ تَحَقُّقًا بِصِفَةِ الصَّمْدَانِيَّةِ وَفِي الصَّلَاةِ خُرُوجٌ إِلى المُغَايَرَةِ وَالمُبَايَنَةِ وَإِشْعَارٌ بِالعَابِدِيَّةِ وَالمَعْبُودِيَّةِ وَهُوَ كَمَا تَرَى مَبْنِيٌّ عَلى مَسْأَلَةِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ الذِي هُوَ مِنْ أَحْوَالِ السُّكَارَى وَمِنْ عَدَمِ الشُّعُورِ بِحَقِيقَةِ الصَّلَاةِ وَفَقْدِ الخَبَرِ عَنْهُ صَارَ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ يَطْلُبُونَ تَسْكِينَ اضْطِرَابِهِمْ مِنَ السَّمَاعِ وَالنَّغَمَاتِ وَالوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ وَطَفِقُوا يَطَّلِعُونَ مَطْلُوبَهُمْ مِنْ وَرَاءِ حُجُبِ النَّغَمَاتِ فَلَا جَرَمَ جَعَلُوا الرَّقْصَ وَالحَرَكَةَ دَيْدَنَهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا حَدِيثَ "**وَمَا جَعَلَ اللهُ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**"

نَعَمْ: الغَرِيقُ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ حَشِيشٍ وَحُبُّ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ فَلَوْ انْكَشَفَتْ لَهُمْ نُبْذَةٌ مِنْ حَقِيقَةِ الصَّلَاةِ وَوَصَلَتْ إِلى مَشَامِّ أَذْوَاقِهِمْ شَمَّةٌ مِنْهَا لَمَا مَالُوا إِلى السَّمَاعِ وَالنَّغْمَةِ أَصْلاً وَلَمَا رَكَنُوا إِلى الوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ قَطْعًا.

شِعْرٌ.

وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا نَهْجَ الــ ــحَقَائِقِ قَارَفُوا هَزْوًا

أَيُّهَا الأَخُ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ مِنَ الفَرْقِ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالنَّغَمَاتِ تَتَفَاوَتُ الكَمَالاتُ التِي مَنْشَؤُهَا الصَّلَاةُ وَالكَمَالاتُ التِي مَنْشَؤُها النَّغَمَاتُ العَاقِلُ تَكْفِيهِ الإِشَارَةُ وَهَذَا كَمَالٌ وُجِدَ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ.

وَآخِرِيَّةٌ ظَهَرَتْ عَلى صِفَةِ الأَوَّلِينَ وَلَوْنِهِمْ وَلَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ لِذَلِكَ قَالَ لَا يَدْرِي أَوَّلُهُمْ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُمْ وَلَمْ يَقُلْ أَمْ أَوْسَطُهُمْ حَيْثُ رَأَى المُنَاسَبَةَ بَيْنَ الآخِرِ

وَالأَوَّل أَزْيَدَ مِنْهَا بَيْنَ الأَوْسَط وَالأَوَّل فَصَارَ ذَلِكَ مَحَل تَرَدُّد وَقَال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حَدِيث آخَرَ "**أَفْضَل أُمَّتِي أَوَّلاً وَآخِرهُمْ وَبَيْنَهُمَا كَدَرٌ**"

نَعَمْ إِنَّ مُتَأَخِّرِي هَذِه الأُمَّة وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ عُلُوُّ النِّسْبَة وَلَكِنَّ أَصْحَابَهَا قَلِيلونَ بَل أَقَل، وَفِي المُتَوَسِّطِينَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ النِّسْبَةُ بِهَذَا العُلوِّ لَكِنَّ أَصْحَابَهَا كَثِيرُونَ بَل أَكْثَرُ وَلِكُل وُجْهَة كَمِّيَّةٌ وَكَيْفِيَّةٌ وَلَكِنْ أَقَلِّيَّةُ هَذِه النِّسْبَة بَلغَتْ المُتَأَخِّرِينَ إِلَى الدَّرَجَات العُلى وَأَوْرَثَتْهُمُ المُنَاسَبَةَ بِالسَّابِقِينَ وَجَعَلَتْهُمُ المُبَشَّرِينَ قَال صَلى الله عَلَيْهِ وَعَلى آله وَسَلمَ: "**الإِسْلَامُ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلغُرَبَاء**" الحَدِيثَ وَشُرُوعُ آخِرِيَّة هَذِه الأُمَّة مِنْ بِدَايَة الأَلف الثَّانِي مِنَ ارْتِحَال النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ لمُضِيِّ الأَلف خَاصِّيَّةً عَظِيمَةً فِي تَغَيُّرِ الأُمُور وَتَأْثِيرٌ فِي تَبَدُّل الأَشْيَاء وَلمَّا لَمْ يَكُنْ فِي ملة هَذِه الأُمَّة وَسِيرَتِهَا نَسْخٌ وَتَبْدِيل ظَهَرَتْ نِسْبَةُ السَّابِقِيْنِ بِطَرَاوَتِهَا القَدِيمَة وَنَضَارَتِهَا السَّابِقَة فِي المُتَأَخِّرِينَ بِالضَّرُورَة وَحَصَل تَأْيِيدُ الشَّرِيعَة وَتَجْدِيدُ الملة فِي الأَلف الثَّانِي وَالشَّاهِدُ العَدْل لِصِدْق هَذِه الدَّعْوَة عِيسَى - عَلَى نَبِيِّنَا وعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

وَالمَهْدِيُّ عَلَيْهِ الرِّضْوَانُ يَعْنِي وُجُودَهُمَا فِي هَذَا الأَلف.

شِعْرٌ.

لَوْ جَاءَ مِنْ فَيْضِ رُوحِ القُدْسِ مِنْ مَدَد   لِغَيْرِ عِيسَى لِيَصْنَعُ مِثْل مَا صَنَعَا

أَيُّهَا الأَخُ، إِنَّ هَذَا الكَلَامَ وَإِنْ كَانَ اليَوْمَ ثَقِيلاً عَلى أَكْثَر الخَلَائِق وَبَعِيدًا عَنْ أَفْهَامِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ إِذَا أَنْصَفُوا وَقَاسُوا المَعَارِفَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ وَلَاحَظُوا صِحَّةَ الأَقْوَال وَسَقَمِهَا بِمُطَابَقَتِهَا العُلومَ الشَّرْعِيَّةَ وَعَدَمِ مُطَابَقَتِهَا إِيَّاهَا وَرَأَوْا أَنَّ تَعْظِيمَ الشَّرِيعَة النَّبَوِيَّة وَتَوْقِيرَهَا فِي أَبَيَّتِهَا أَكْثَرُ لَعَلهُمْ يَتَخَلصُونَ عَنْ وَرْطَة الاسْتِبْعَاد أَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الفَقِيرَ قَدْ كَتَبَ فِي كُتُبِه وَرَسَائِله أَنَّ الطَّرِيقَةَ وَالحَقِيقَةَ خَادِمَتَان لِلشَّرِيعَة وَأَنَّ النُّبُوَّةَ أَفْضَل مِنَ الوِلَايَة وَلَوْ كَانَتْ وِلَايَةَ نَبِيٍّ. وَكَتَبَ أَيْضًا أَنَّهُ لَا مِقْدَارَ لِكَمَالَاتِ الوِلَايَة فِي جَنْب كَمَالَات النُّبُوَّة أَصْلاً وَلَيْتَ لَهَا حُكْمَ القَطْرَة بِالنِّسْبَة إِلى البَحْرِ المُحِيط.

وَكَتَبَ أَمْثَال ذَلِكَ كَثِيرًا خُصُوصًا فِي مَكْتُوب كُتِبَ بِاسْمِ وَلَدِي فِي بَيَان الطَّرِيقَة فَلْيُلَاحِظُوا هُنَاكَ وَالمَقْصُودُ مِنْ هَذَا القِيل وَالقَال إِظْهَارُ نِعْمَة الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَرْغِيبُ طُلَّابِ هَذِه الطَّرِيقَة لَا تَفْضِيل نَفْسِي عَلى الآخَرِينَ.

وَمَعْرِفَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ حَرَامٌ عَلى مَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَفْضَلَ مِنْ كُفَّارِ الإِفْرِنْجِ فَكَيْفَ مِنْ أَكَابِرِ الدِّينِ شعْرٌ

خَليلي سَيِّدي أعْلي مَقَامي ‏ ‏ ‏ ‏ فَفُقْتُ به نُجُومًا وَالهلالاَ
كَأَنِّي بُقْعَةٌ فيهَا سَحَابُ الـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـرَّبِيعِ مَطَـــرَ مَاءً زُلالاَ
فَلوْ لي ألفُ ألسنَة وَأثْني ‏ ‏ ‏ ‏ بهَا مَا ازْدَدْتُ إلاَّ الانْفعَالاَ

فَإِنْ ظَهَرَ فيكُمْ بَعْدَ مُطَالعَة هَذَا المَكْتُوب شَوْقُ تَعَلم أَسْرَار الصَّلاَة وَتَحْصيل بَعْضِ كمَالاَتهَا المَخْصُوصَة وَجَعَلكُمْ هَذَا الشَّوْقَ مُضْطَربًا تَتوَجَّهُ نَحْوَ هَذه الحُدُود بَعْدَ الاسْتخَارَات وَتصْرفُ شَطْرًا منَ العُمُرِ في تَعَلمِ الصَّلاَة، ــ يَعْني: أَسْرَارَهَا وَاللهُ سُبْحَانَهُ - الهَادب إلى سَبيل الرَّشَاد.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}⁽¹⁾ وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالسِّتُّونَ وَالمائَتَان

إلى مَوْلاَنَا مُحبِّ عَليٍّ

فِي بَيَانِ أَنَّ ارْتِبَاطَ النَّقْشَبَنْدِيَّة حِبِّيَّةٌ وَنِسبَتَهُمُ انْعِكَاسِيَّةٌ وَمَا يُنَاسِبُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى حَصَل الابْتهَاجُ بوُرُود الصَّحيفَة الشَّريفَة المَرْقُومَة عَلى وَجْه الالتفات وَحَيْثُ كَانَتْ مُنْبئَةً عَنْ فَرْط المَحبَّة وَكَمَال الاخْتصَاصِ أَوْرَثَتْ ازْديادَ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَقَدْ انْدرَجَ فِيهَا الكَلاَمُ عَنِ العَهْد السَّابق.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إنَّك عَلى أيِّ وَضْعٍ كُنْتَ منَ الأَوْضَاعِ الشَّرْعيَّة لَيْسَ بمَحَل للمُضَايَقَة وَلاَ مُسْتَحقًّا به للمُعَاتَبَة بشَرْط أَنْ لاَ يَنْقَطعَ حَبْل المَحبَّة بَل يَتقَوَّى يَوْمًا فَيَوْمًا وَبشَرْط أَنْ لاَ تَبْرُدَ نَائرَةُ الاشْتيَاق بَل تَزَايَدَ سَاعَةً فَسَاعَةً فَإنَّ ارْتبَاطَنَا حُبِّيٌّ وَنسْبَتَنَا انْعكَاسيَّةٌ وانْصبَاغيَّةٌ لاَ تَتفَاوَتُ بالقُرْب وَالبُعْد إلاَّ بحَسْب السُّرْعَة وَالبُطْء وَالعلمِ ببَعْضِ خُصُوصيَّات الطَّريقِ وَعَدَم العلم به وَتَطَلَب تَحْقيق هَذَا المَعْنَى منْ خَاتمَة مَكْتُوب حَرَّرْتُهُ باسْمِ وَلدي الأَرْشَد في بَيَان الطَّريق وَقَدْ جَاءَ أَصْحَابُ أَخينَا المَير مُحَمَّد نُعْمَانَ يَنْقُل ذَلكَ المَكْتُوبَ فَتَطْلُبُهُ منْ هُنَاكَ وَمَاذَا أَطْلُبُ زِيَادَةً عَلى ذَلكَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَان

إلى جَنَاب صَاحب المَعَارف الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ

في بَيَان مَعَارِفَ تَتَعَلقُ بالكَعْبَة الرَّبَّانيَّة وَبَيَان الفَضَائل الصَّلاَتيَّة وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى وَقَدْ أَوْرَثَ خَبَرُ القُدُومِ الذي هُوَ للمَسَرَّةِ مَلزُومٌ فَرَحًا وَافرًا للمُشْتَاقِينَ لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ عَلى ذَلكَ، شعْرٌ:

أَنصفُ أَيَا فَلك زَاه مَصَابيحُهُ ... وَأيُّ هَذَيْنِ قَدْ عَمَّتْ تَفَاريحُهُ
شَمْسٌ بهَا عَالَمٌ تَمَّتْ مَصَالحُهُ ... أَمْ بَدْرِيُّ البَاد منْ شَام لوَائحه

وَحَيْثُ التَزَمْتَ القُدُومَ فَعَلَيْك أَنْ تُشرِّفَ بالسُّرْعَة فَإِنَّ المُشْتَاقينَ تَحْتَ ثقَل الانْتظَار يَتَمَنَّوْنَ سَمْعَ أَخْبَار بَيْت الله وَعنْدَ الفَقير كَمَا أَنَّ صُورَةَ الكَعْبَة الرَّبَّانيَّة مَسْجُودٌ إليْهَا لصُوَر الخَلائق بَشرًا كَانُوا أَوْ مَلكًا كَذَلكَ حَقيقَتُهَا مَسْجُودٌ إليْهَا لحَقَائق تلكَ الصُّوَر فَلا جَرَمَ كَانَتْ تلكَ الحَقيقَةُ فَوْقَ جَميع الحَقَائق وَالكَمَالات المُتَعَلقَة بهَا صَارَتْ فَوْقَ الكَمَالات المُتَعلقَة بسَائر الحَقَائق وَكَأَنَّ هَذه الحَقيقَةَ بَرْزَخٌ بَيْنَ الحَقَائق الكَوْنيَّة وَالحَقَائق الإلهيَّة وَالمُرَادُ بالحَقَائق الإلهيَّة سُرَادقَات العَظَمَة وَالكبْريَاء التي لمْ يَصل إلى ذَيْل قُدْسهَا لوْنٌ وَلاَ كَيفٌ وَلمْ يَتَطَرَّقْ إليْهَا ظليَّةٌ أَصْلاً وَنهَايَةُ العُروجَات الدُّنْيَويَّة وَظُهورَاتها إلى مُنْتَهى الحَقَائق الكَوْنيَّة وَالنَّصيبُ منَ الحَقَائق الإلهيَّة مَخْصُوصٌ بالآخرَة لاَ حَظَّ منْهَا في الدُّنْيَا إلاَّ في الصَّلاَة التي هيَ معْرَاجُ المُؤْمنِ وَكَأَنَّ في هَذَا المعْرَاج خُرُوجًا منَ الدُّنْيَا إلى الآخرَة وَيَتَيَسَّرُ فيه حَظٌّ مَا يَتَيسَّرُ في الآخرَة وَأَظُنُّ أَنَّ حُصُول هَذه الدَّوْلة في الصَّلاَة لتَوَجُّه المُصَلي فيهَا إلى جهَة الكَعْبَة التي هيَ مَوْطنُ ظُهورات الحَقَائق الإلهيَّة فَالكَعْبَةُ أُعْجُوبَةٌ في الدُّنْيَا فَإنَّهَا بصُورَتهَا منَ الدُّنْيَا وَبالحَقيقَة منَ الآخرَة وَأَخَذَتْ هَذه النِّسْبَةَ الصَّلاَةُ أَيْضًا بتَوَسُّطهَا وَصَارَتْ بصُورَتهَا وَحَقيقَتهَا جَامعَةً للدُّنْيَا وَالآخرَة وَقَدْ بَلغَ مَرْتَبَةَ التَّحْقيق أَنَّ الحَالةَ المُتَيَسِّرَةَ في أَدَاء الصَّلاَة فَوْقَ جَميع الكَمَالاَت الحَاصلة في خَارج الصَّلاَة؛ لأَنَّ تلكَ الحَالةَ ليْسَتْ بخَارجَة منْ دَائرَة الظِّل وإنْ حَصَل لهَا العُلوُّ بخلاَف هَذه الحَالة فَإنَّ لهَا نَصيبًا منَ الأَصْل وَبقَدْر الفَرْق بَيْنَ الأَصْل وَالظِّل يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَ تلكَ الحَالة وَهَذه الحَالة وَيُشَاهدَان الحَالةَ التي تَحْصُل عنْدَ المَوْت بعنَايَة الله تَعَالى

تَكُونُ فَوْقَ حَالة الصَّلاَة فَإِنَّ المَوْتَ مِنْ مُقَدِّمَات أَحْوَال الآخرَة وَكَمَا هُوَ أَقْرَبُ إِلى الآخرَةِ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ؛ لأَنَّ هُنَا ظُهُورَ الصُّورَةِ وَهُنَاكَ ظُهُورَ الحَقيقَة شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَكَذَلكَ الحَالَةُ التي تَتَيَسَّرُ بكَرَمِ الله - جَل سُلطَانُهُ - في البَرْزَخِ الصَّغيرِ تَكُونُ فَوْقَ الحَالة الحَاصلة وَقْتَ المَوْت وَعَلى هَذَا القيَاسِ الحَالةُ المُتَيَسِّرَةُ في البَرْزَخِ الكَبير الذي هُوَ عَرَصَاتُ القيمَة بالنِّسْبَة إلى حَالة البَرْزَخِ الصَّغير فَإِنَّ المَشْهُودَ هُنَاكَ أَتَمُّ وَأَكْمَل وَلمَشْهُود جَنَّات النَّعيمِ أَتَمِّيَّتُهُ وَأَكْمَليَّتُهُ بالنِّسْبَة إلى مَشْهُود البَرْزَخِ الكَبير وَفَوْقَ جَميع تلكَ المَذْكُورَات مَوْطنُ المُخبَر عَنْهُ المُخبر الصَّادق عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَيْثُ قَال: "**إِنَّ لله جَنَّةً لَيْسَ فيهَا حَوْرٌ وَلاَ قُصُورٌ يَتَجَلى فيهَا رَبُّنَا ضَاحكًا**" فَأَدْنَى جَميعِ مُوَاطن الظُّهورَات دُنْيَا وَمَا فيهَا وَأَعْلى جَميعهَا تلكَ الجَنَّةُ المَذْكُورَةُ بَل الدُّنْيَا لَيْسَتْ منْ مَوْطنِ الظُّهُور أَصْلاً. وَظُهورَاتُ الظِّلاَل وَمرْآتيَّةُ المِثَال التي هيَ مَخْصُوصَةٌ بالدُّنْيَا مَعْدُودَةٌ عنْدَ الفقير منَ الأُمُور الدُّنْيَويَّة وَدَاخلَةٌ في الحَقيقَة في دَائرَة الإمْكَان سَوَاءٌ قيل لتلكَ الظُّهُورات تَجَليَات الأَسْمَاءِ أَوْ تَجَليَات الصِّفَات أَوْ تَجَليَات الذَّات تَعَالى اللهُ عَمَّا يَقُولونَ عُلوًّا كَبيرًا وَأَنَّ الفَقيرَ مَتَى أُلاَحظُ الدُّنْيَا بالتَّمَام أَجدُهَا خَاليَةً مَحْضَةً وَلاَ يَصل منْهَا إلى مَشَامِّي رَائحَةُ المَطْلوب غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّهَا مَزْرَعَةُ الآخرَة فَطَلَبُ المَطْلوب فيهَا إتْعَابُ النَّفْس وَإهْلاَكُهَا عَلى العَبَث أَوْ زَعَم غَيْرُ المَطْلوب مَطْلوبًا وَالأَكْثَرُونَ مُبْتَلوْنَ بذَلكَ وَمُطْمَئنُّونَ بالمَنَامِ وَالخَيَال وَالذي فيه شَيْءٌ منَ الأَصْل وَمَا يُعْطَى رَائحَةً منَ المَطْلوب في هَذَا المَوْطنِ الصَّلاَةُ وَدُونَهَا خَرْطُ القَتَاد.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمائَتَانِ

إلى السَّيِّدِ السَّهارَنْفُورِيِّ

فِي بَيَانِ لزُومِ جَرِّ المُعَامَلَةِ نَحْوَ الحَيْرَةِ وَالجَهَالَةِ وَعَدَمِ الاعْتِمَادِ عَلَى الأَحْوَالِ وَالكُشُوفِ

وَذِكْرِ وَاقِعَةِ بَعْضِ مَشَائِخِ النَّوَاحِي التِي كَانَ حَكَاهَا لهُ وَتَعْبِيرِهَا فِي ضِمْنِ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ أَوْرَثَتْ الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ فَرْطِ المَحَبَّة وَكَمَالِ الاشْتِيَاقِ فَرَحًا وَافرًا وَعَلَيْكُمْ بالتَّوَجُّه وَالإِقْبَالِ عَلى الأَمْرِ الذي يَقْتَضِيه الحَالُ وَالاشْتغَالِ بذِكْرِ اسْمِ الذَّات منْ غَيْرِ مُلاَحَظَة الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات حَتَّى تَنْجَرَّ المُعَامَلَةُ إلى الجَهَالَة وَيَنْتَهِي الأَمْرُ إلى الحَيْرَة فَإِنَّ مُلاَحَظَةَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات كَثيرًا مَا تَكُونُ بَاعثَةً عَلى ظُهُور الأَحْوَال وَوَاسطَةً للوَجْد وَالتَّوَاجُد وَلعَلك سَمعْتَ أَنَّ احْتِمَالَ الخَطَأ فِي الأَحْوَال وَالمَوَاجيد كَثِيرٌ وَاشْتبَاهُ الحَقِّ بالبَاطل فِي ذَلكَ المَوْطنِ وَافرٌ وَقَدْ أَرْسَلَ وَاحدٌ منْ مَشَائخِ النَّوَاحِي قَاصِدًا إلى هَذَا الفَقِير فِي هَذه الأَيَّام مُظْهرًا أَحْوَالَهُ وَقَالَ: قَدْ بَلَغَ الفَنَاءُ وَالاضْمحْلاَلُ مَرْتَبَةً كُل شَيْءٍ نَظَرْتُ إلَيْه لاَ أَجدُهُ أَنْظُرُ إلى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فلاَ أَجدُهُمَا وَلاَ أَجدُ العَرْشَ وَلاَ الكُرْسِيَّ وَأُلاَحِظُني فَلاَ أَجدُ أَصْلاً وَأَذْهَبُ عنْدَ شَخْصٍ فَلاَ أَجدُهُ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - لاَ نهَايَةَ لَهُ وَمَا وَجَدَ أَحَدٌ نهَايَتَهُ وَقَدْ اعْتَقَدَ المَشَايخُ هَذَا الحَال كَمَالاً فَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ أَيْضًا تَعْتَقدُ كَذَلكَ فَلأَيِّ شَيْءٍ أَجِيءُ عنْدَكَ لطَلَب الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَإِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ أَمْرًا كَمَالاً غَيْرَهُ فَاكْتُبْ لِي كتَابًا فَكَتَبْتُ فِي جَوَابه أَنَّ هَذه الأَحْوَال منْ تَلوينَات القَلب وَالقَلبُ أَوَّل دَرَجَة منْ دَرَجَاتِ هَذَا الطَّرِيق وَصَاحِبُ هَذه الأَحْوَال طَوَى رُبْعًا وَاحدًا منْ أَحْوَال القَلب وَيَنْبَغي لَهُ أَنْ يَطْوِيَ ثَلاَثَ أَرْبَاعه البَاقيَة وَبَعْدَ ذَلكَ يَنْبَغي أَنْ يَعْرُجَ إلى الدَّرَجَة الثَّانيَة التي هيَ عبَارَةٌ عَنِ الرُّوحِ ثُمَّ إلى مَا شَاءَ اللهُ وَبَعْدَ مُدَّة منْ هَذه الكتَابَة قَدمَ وَاحدٌ منَ الأَصْحَاب الفَقيرُ وَكَانَ مُتَوَجِّهًا إلى وَطَنه بَعْدَ أَخْذ الطَّرِيقَة وَلَمَّا بَيَّنَ أَحْوَالَهُ صَارَ مَعْلومًا لِي أَنَّ حَالَهُ مُوَافقٌ لحَال ذَلكَ الشَّيْخ المُسْتَفْسر بَل هُوَ أَسْبَقُ قَدَمًا منْهُ وَلَمَّا نَظَرْتُ إلى حَاله وَأَمْعَنْتُ النَّظَرَ ظَهَرَ لي أَنَّ فَنَاءَهُ وَاضْمحْلاَلَهُ فِي عُنْصُر الهَوَاءِ الذي هُوَ مُحيطٌ لجَميعِ ذَرَّة منَ الذَّرَّات وَليْسَ المَشْهُودُ غَيْرَ الهَوَاءِ وَقَدْ زَعَمَهُ إلهًا لاَ نهَايَةَ لهُ تَعَالَى اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كبيرًا وَلَمَّا فَتَّشْتُ عَنْ

أَحْوَاله مَرَّةً ثَانيَةً أَيْقَنْتُ أَنَّ ابْتلاَءَهُ ليسَ أَمْرًا آخرَ غَيْرَ الهَوَاء فَأَطْلَعْتُهُ أَيْضًا عَلى هَذَا المَعْنَى وَلَمَّا رَجَعَ هُوَ إلِى وِجْدَانه عَلمَ أَنَّ حَاصِلهُ ليْسَ غَيْرَ الهَوَاءِ فَاسْتَغْفَرَ مِنْ هَذِهِ الأَحْوَال وَرَفَعَ قَدَمَهُ فَوْقَ هَذَا الحَال.

اعْلَمْ أَنَّ القَلبَ بَرْزَخٌ بَيْن عَالَمِ الخَلقِ الذي هُوَ عَالمُ العَنَاصرِ الأَرْبَعَة وَبَيْن عَالِمِ الأَرْوَاحِ وَفِيه وَصْفٌ وَلوْنٌ منْ كلاَ العَالَمِينَ فَكَانَ نصْفُ القَلب مِنْ عَالِمِ الخَلق وَنصْفُهُ الآخرُ مِنْ عَالِمِ الأَرْوَاحِ فَإِذَا نَصَّفْنَا نصْفَهُ النَّاظرَ إلى عَالمِ الخَلق تَقَعُ المُعَامَلةَ عَلى عُنْصُرِ الهَوَاءِ فَيَكُونُ رُبْعُ القَلب عبَارَةٌ عَنْ مَقَامِ الهَوَاءِ الذي تَضَمَّنَهُ القَلبُ فَمَا ظَهَرَ ثَانيًا مُوَافقٌ للجَوَاب الأَوَّل وَبَيَانٌ لكَشْف حَقيقَته.

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ، لقَدْ جَاءتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ وَلمْ يَسَعْ الوَقْتُ زِيَادَةً عَلى ذَلكَ وَالسَّلاَمُ عَليْكُمْ وَعَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى - عَليْهِ وَعَلى آلهِ مِنَ الصَّلوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْليمَاتُ أَكْمَلهَا.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَان

إلى الشَّيْخِ عَبْد الهَادي

في التَّحْذيرِ عَنْ تَضْييعِ حُقُوق المُسْلمينَ بالعُزْلة وَبَيَانِ الحُقُوقِ اللاَّزِمَةِ رِعَايَتُهَا وَمَا يُنَاسِبُ ذلكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلاَة وَتَبْليغ الدَّعَوَات أُنْهِيَ أَنَّ مَكْتُوبَ الأَخِ الأَرْشَد قَدْ وَصَل فَأَوْرَثَ فَرَحًا وافرًا لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ؛ عَلى مَا لَمْ يُؤثِّرْ تَمَادِيَ أَيَّامِ المُفَارَقَة في المَحَبَّة وَالإخْلاَصِ وَالمَوَدَّة وَالاخْتصَاصِ وَمَعَ ذَلكَ لوْ أَتَى بنَفْسه لكَانَ أَنْسَبَ الخَيْرِ فيمَا صَنَعَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَقَدْ تَمَنَّى العُزْلَةَ نَعَمْ إنَّ العُزْلَةَ مُنْيَةُ الصِّدِّيقينَ وَلكَ الخيَارُ في العُزْلة وَالانْزِوَاء وَنَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُبَاركَةً وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ لاَ تَضيعَ مُرَاعَاتُ حُقُوق المُسْلمينَ قَالَ النَّبيُّ عَلَيْه وَعلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ "**حَقُّ المُسْلمِ على المُسْلمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ وَعِيَادَةُ المَريضِ وَاتِّبَاعُ الجَنَائزِ وَإجَابَةُ الدَّعْوَة وَتَشْميتُ العَاطس**" وَلكنْ في إجَابَة الدَّعْوَة شَرَائطُ في الإحْيَاء ،

وَيَمْتَنعُ منَ الإجَابَة إنْ كَانَ الطَّعَامُ طَعَامَ شُبْهَة وَفي المَوْضعِ مُنْكَرٌ منْ فَرْشِ ديباجٍ وَأَواني فضَّة وَتَمَاثيل عَلى سَقْف أَوْ سَمَاعِ شَيْءٍ منَ المَزَامير وَالمَلاَهي أَوْ الشَّاغل بنَوْعٍ منَ اللهْو وَاللعب وَلك ذَلكَ ممَّا يَمْنَعُ الإجَابَةَ وَيُوجبُ تَحْرِيمَهَا وَكَرَاهَتَهَا وَكَذَلكَ إنْ كَانَ الدَّاعي ظَالمًا أَوْ مُبتدعًا أَوْ فَاسقًا أَوْ شرِّيرًا أَوْ مُتَكَلفًا طَالبًا للمُبَاهَاة وَالفَخْرِ وَفي شرْعَة الإسْلاَمِ وَلاَ يُجيبُ إلى طَعَامِ صُنعَ رياءً وَسُمْعَةً في المُحيط لاَ يَنْبَغي أَنْ يَقْعُدَ عَلى مَائدَة إذَا كَانَ عَلَيْهَا لعبٌ وَغنَاءٌ أَوْ قَوْمٌ يَغْتَابُونَ أَوْ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ كَذَا في مَطَالب المُؤْمنينَ فَإنْ كَانَتْ هَذه المَوَانعُ كُلهَا مَفقُودَةً لاَ بُدَّ حينَئذ منَ الإجَابَة وَإنْ كَانَ فقْدَانُ هَذه المَوَانع عَسيرًا في هَذَا الزَّمَان.

وَأَيْضًا يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ العُزْلَةَ إنَّمَا تَكُونُ منَ الأَغْيَارِ لاَ منَ الأَحْبَاب فَإنَّ الصُّحْبَةَ منْ مَحَارِمِ الأَسْرَارِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ في هَذه الطَّريقَة العَليَّة قَال الخَواجهْ النَّقْشَبَنْديُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: طَريقُنَا طَريقُ الصُّحْبَة فَإنَّ في الخَلوَة شُهْرَةً وَفي الشُّهْرَة آفَةً وَالمُرَادُ بالصُّحْبَة صُحْبَةُ أَهْل الطَّريق لاَ صُحْبَةُ المُنْكرين وَالمُخَالفينَ لأَنَّهُم اشْتَرَطُوا نَفْيَ كُل منَ المُصَاحبينَ نَفْسَهُ وَفَنَاءَهُ في الآخرِ وَهَذَا لاَ يَتَيَسَّرُ بدُون المُوافقَة.

وَعِيَادَةُ المَرِيضِ سُنَّةٌ إِنْ كَانَ لِلْمَرِيضِ مُتَعَهِّدٌ وَمُمَرِّضٌ وَالأَفْعَى وَاجِبَةٌ كَمَا ذُكِرَ فِي حَاشِيَةِ المِشْكَاةِ وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَ صَلاَةَ الجِنَازَةِ وَأَنْ يُشَيِّعَ الجِنَازَةَ وَلَوْ خُطُوَاتٍ لِيُؤَدِّيَ حَقَّ المَيِّتِ.

وَحُضُورُ الجُمَعِ وَالجَمَاعَاتِ فِي الأَوْقَاتِ الخَمْسَةِ وَصَلاَةِ العِيدَيْنِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الإِسْلاَمِ لاَ بُدَّ مِنْهَا ثُمَّ صَرَفَ بَقِيَّةَ الأَوْقَاتِ إِلَى ذِكْرِ المَوْلَى بِالتَّبَتُّلِ وَالانْقِطَاعِ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُصَحِّحَ النِّيَّةَ أَوَّلاً وَأَنْ يُلَوِّثَ العُزْلَةَ بِلَوْثِ غَرَضٍ مِنَ الأَغْرَاضِ العَاجِلَةِ أَصْلاً وَأَنْ لاَ يَكُونَ مَقْصَدٌ غَيْرَ تَحْصِيلِ جَمْعِيَّةِ البَاطِنِ بِذِكْرِ اللهِ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - وَالإِعْرَاضِ عَنِ الاشْتِغَالِ بِمَا لاَ طَائِلَ فِيهِ وَجَمِيعِ المَلاَهِي قَطْعًا.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْتَاطَ فِي تَصْحِيحِ النِّيَّةِ غَايَةَ الاحْتِيَاطِ لِئَلاَّ يَخْتَفِيَ وَيَتَكَمَّنَ فِي ضِمْنِهَا غَرَضٌ نَفْسَانِيٌّ وَأَنْ يَلْتَجِئَ وَيَتَضَرَّعَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي هَذَا التَّصْحِيحِ كَثِيرًا وَأَنْ يَكُونَ فِي مَقَامِ العَجْزِ وَالانْكِسَارِ فَحِينَئِذٍ يُحْتَمَلُ أَنْ تَتَحَقَّقَ حَقِيقَةُ النِّيَّةِ وَالحَاصِلُ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ العُزْلَةَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ صَحِيحَةٍ بَعْدَ تَكْرَارِ الاسْتِخَارَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَيُرْجَى حِينَئِذٍ أَنْ تَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ ثَمَرَاتٌ عَظِيمَةٌ وَبَقِيَّةُ الأَحْوَالِ أَخَّرْنَا خَبَرَهَا إِلَى وَقْتِ المُلاَقَاةِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَان

إلى المَخْدُومِينَ المُكَرَّمِينَ أَعْني ابْنَيْ شَيْخِه
الخواجهْ عَبْد الله والخواجهْ عُبَيْد الله
فِي بَيَانِ بَعْضِ المَسَائِلِ الكَلاَمِيَّة عَلى وَفْقِ آرَاء أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة
وَقَدْ ظَهَرَتْ لهُ عَلَى طَرِيقِ الكَشْفِ وَالإِلهَامِ
لأَعْلى وَجْه الظُّنُونِ وَالأَوْهَامُ
وَالرَّدِّ عَلى الفَلاَسِفَة وَأَتْبَاعِهِمْ المُتَفلسفة
وَعَلى الزَّنَادِقَة وَالمَلاَحِدَة المُتَشَبِّهِين بالصُّوفِيَّة
وَبَيَان بَعْضِ المَسَائِل المُتَعَلقَة بالصَّلاَة وَمَدْحِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّة
وَالمَنْعِ مِنْ سَمَاعِ الغَنَاء وَحُضُورِ مَجْلَسِ الرَّقْصِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَات وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَات لِيَعْلَمْ المَخَادِيمُ الكِرَامُ أَنَّ هَذَا الفَقِيرَ مُسْتَغْرِقٌ مِنَ القَدَمِ إلى الرَّأْسِ فِي إحْسَان وَالدِكُمْ المَاجد حَيْثُ تَعَلمْتُ دَرْسَ أَلِف بَاقِي هَذَا الطَّرِيق مِنْهُ وَأَخَذْتُ عَنْهُ سَائِرَ تَهَجِّي حُرُوفِ هَذَا الطَّرِيقِ وَحَصَلَتْ بِبَرَكَة صُحْبَته دَوْلَةُ انْدرَاجِ النِّهَايَة فِي

البِدَايَة وَبِصِدْق خِدْمَته وَجَدْتُ السَّفَرَ فِي المَوَاطِنِ وَتَوَجُّهُهُ الشَّرِيفُ بَلغَ هَذَا الفَقِيرَ عَدِيمَ القَابِليَّة إِلى النِّسْبَة النَّقْشَبَنْدِيَّة فِي مُدَّة شَهْرَيْن وَنِصف وَمَنَحَهُ الحُضُورَ الخَاصَّ بِهَؤُلاَءِ الأَكَابِر وَكَيْفَ أَشْرَحُ أَمْ كَيْف أُبَيِّنُ تَفْصِيل مَا حَصَل فِي هَذه المُدَّة القَليلة مِنَ التَّجَلِيَات وَالظُّهُورات وَالأَنْوَار وَالأَلوَان وَاللاَلونِيَّة وَاللاَّكَيْفيَّة بِتَطَفُّله وَلَمْ يَبْقَ بِتَوَجُّهِه الشَّرِيف دَقِيقَةٌ مِنْ دَقَائِق مَعَارِف التَّوْحِيد وَالاتِّحَاد وَالقُرْب وَالإِحَاطَة وَالسَّرَيَان غَيْرَ مُنْكَشِفَة لِهَذَا الفَقِير وَغَيْرَ مُطَّلع هُوَ عَلَيْهَا وَمَاذَا يَكُونُ شُهُودُ الوَحْدَة فِي الكَثْرَة وَمُشَاهَدَةُ الكَثْرَة فِي الوَحْدَة فَإِنَّهُمَا مِنْ مُقَدِّمَات هَذه المَعَارِف وَمَبَادِيهَا وَإجْرَاءُ اسْم هَذه المَعَارِف عَلى اللسَان فِي جَنْب نِسْبَة النَّقْشَبَنْدِيَّة وَالحُضُور الخَاصِّ بِهَؤُلاَءِ الأَكَابِر وَبَيَان عَلاَمَة هَذَا الشُّهُود وَالمُشَاهَدَة كُل ذَلكَ مِنْ قُصُورِ النَّظَر. وَمُعَامَلةُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِر عَاليَةٌ جدًّا لاَ نِسْبَةَ لَهَا بِكُل زُرَاق وَرَقَّاص فَإذَا نِلتَ مِثْل هَذه الدَّوْلةِ العُظْمَى مِنْ حَضْرَة شَيْخنَا لاَ يُمْكِنُ لِي أَدَاءُ حَقِّ شَيْءٍ مِنْهَا وَلَوْ مَسَحْتُ رَأْسِي مُدَّةَ عُمْرِي عَلى أَقْدَام خُدَّام عَتَبَتكُمْ العَليَّة فَمَاذَا أَعْرِضُ عَلَيْكُمْ مِنْ تَقْصِيرَاتِي وَمَاذَا أُظْهِرُ لكُمْ مِنَ انْفعالاَتِي وَلكَنْ جزى الله - سُبْحَانَهُ - عَنَّا الخواجهْ حُسَامَ الدِّين أَحْمَدَ خَيْرَ الجَزَاء حَيْثُ كَفَانَا المُؤْنَة وَشَدَّ نِطَاقَ الهِمَّة فِي خِدْمَة خُدَّامِ العَتَبَة العَليَّة وَخَلص أَمْثَالنَا القَاصِرِينَ مِنْ ذَلكَ، شِعْرٌ:

فَلوْ أَنَّ لِي فِي كُل مَنْبَت شَعْرَةٍ   لسَانًا يَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقصِّرًا

وَقَدْ تَشَرَّفْتُ بِتَقْبيل عَتَبَة شَيْخنَا ثَلاَثَ مَرَّات وَقَال للفَقير في المَرَّة الأَخيرَة: إنَّهُ قَدْ غَلبَ الضَّعْفُ عَلى بَدَني وَرَجَاءُ الحَيَاة قَليل يَنْبَغي لك الاسْتخْبَارُ عَنْ أَحْوَال الأَطْفَال وَأَمَرَ بإحْضَاركُمْ لدَيْه وَكُنْتُمْ وَقْتَئذ في حُجُور المُرْضعَات وَأَمَرَ الفَقيرَ بالتَّوَجُّه إلَيْكُمْ فَتَوَجَّهْتُ إلَيْكُمْ في حُضُوره امْتثَالاً لأَمْره حَتَّى ظَهَرَ أَثَرُ ذَلكَ التَّوَجُّه في الظَّاهر ثُمَّ قَال: تَوَجَّهْ إلى وَالدَاتهمْ أَيْضًا بالتَّوَجُّه الغَائبيِّ فَتَوَجَّهْتُ إلَيْهنَّ أَيْضًا حَسَبَ الأَمْر المَرْجُوِّ أَنْ يَكُونَ ذَلكَ التَّوَجُّهُ مُثْمرًا للنَّتَائج ببَرَكَة حُضُوره الشَّريف وَلاَ تَحْسَبَنَّ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ الذُّهُول عَنْ أَمْره الوَاجب الامْتثَال أَوْ طَرَأَ التَّغَافُل عَنْ وَصيَّته اللاَّزمَة الإجْرَاء عَلى كُل حَال كَلاَّ بَل انْتَظَرَ الإشَارَةَ وَالإذْنَ.

وَأَرَدْتُ الآنَ أَنْ أَكْتُبَ فقْرَات بطَريق النَّصيحَة يَنْبَغي اسْتمَاعُهَا بسَمْع العَقْل.

أَسْعَدَكُمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ أَوَّل مَا افْتَرَضَ عَلى العُقَلاَء تَصْحيحَ العَقَائد بمُوجب آرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ فَإنَّهُمْ هُمُ الفرْقَةُ النَّاجيَةُ وَلْنُبَيِّنَ بَعْضَ المَسَائل الاعْتقَاديَّة التي فيهَا نَوْعُ خفَار.

يَجبُ أَنْ يُعْلمَ أَنَّ اللهَ تَعَالى مَوْجُودٌ بذَاته المُقَدَّسَة وَالأَشْيَاءُ كُلهَا مَوْجُودَةٌ بإيجَاده تَعَالَى وَأَنَّهُ تَعَالى وَاحدٌ في ذَاته و صفَاته وَأَفْعَاله لاَ شَركَةَ لأَحَد مَعَهُ تَعَالى في الحَقيقَة في أَمْر منَ الأُمُور أَصْلاً لاَ في الوُجُود وَلاَ في غَيْره وَالمُنَاسَبَةُ الاسْميَّة وَالمُشَارَكَةُ اللفْظيَّةُ خَارجَةٌ عَن المَبْحَث وَصفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى مُنَزَّهَةٌ عَن المَثَل وَالكَيْف كَذَاته تَعَالَى لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صفَات المُمْكنَات وَأَفْعَالهَا فَإنَّ صفَةَ العلم مَثَلاً لهُ تَعَالى صفَةٌ قَديمَةٌ بَسيطَةٌ حَقيقيَّةٌ لَم يَتَطَرَّقْ إلَيْهَا تَعَدُّدٌ وَتَكَثُّرُ أَصْلاً وَلَوْ باعْتبَار تَعَدُّد التَّعَلقَات؛ لأَنَّ هُنَاكَ انْكشَافٌ وَاحدٌ بَسيطٌ انْكَشَفَتْ به المَعْلومَاتُ الأَزَليَّةُ وَالأَبَديَّةُ وَعُلمَ به جَميعُ الأَشْيَاء بأَحْوَالهَا المُتَنَاسبَة وَالمُتَضَادَّة وَكُليَّاتهَا وَجُزْئيَّاتهَا مَعَ الأَوْقَات المَخْصُوصَة بكُل وَاحد منْهَا في آن وَاحد بَسيط عَلى وَجْه يَعْلمُ زَيْدًا مَثَلاً في ذَلكَ الآنَ مَوْجُودًا وَمَعْدُومًا وَجَنينًا وَصَبيًّا وَشَابًّا وَشَيْخًا وَحَيًّا وَمَيِّتًا وَقَائمًا وَقَاعدًا وَمُسْتَندًا وَمُضْطَجعًا وَضَاحكًا وَبَاكيًا وَمُتَلذِّذًا وَمُتَأَلمًا وَعَزيزًا وَذَليلاً وَفي البَرْزَخ وَفي الحَشْر وَفي الجَنَّة وَفي التَّلذُّذَات فَيَكُونُ تَعَدُّدُ التَّعَلق أَيْضًا مَفْقُودًا في ذَلكَ المَوْطن فَإنَّ تَعَدُّدَ التَّعَلقَات يَسْتَدْعي تَعَدُّدَ الآنَات وَتَكَثُّرُ الأَزْمنَةُ وَلَيْسَ ثَمَّةَ إلاَّ آنٌ وَاحدٌ بَسيطٌ منَ الأَزَل إلَى الأَبَد لاَ تَعَدُّدَ فيه أَصْلاً إذْ لاَ يَجْري عَلَيْه تَعَالى زَمَانٌ وَلاَ تَقَدُّمٌ وَلاَ تَأَخُّرٌ فَإذَا أَثْبَتْنَا لعلمه تَعَالى تَعَلقًا بالمَعْلومَات يَكُونُ

ذَلكَ تَعَلقٌ وَاحدٌ وَيَصيرُ به مُتَعَلقًا بجَميعِ المَعْلومَاتِ وَذَلكَ التَّعَلقُ أَيْضًا مَجْهُول الكَيْفِيَّةِ وَمُنَزَّهٌ عَنِ المِثَالَ وَالكَيْف كَصفَةَ العلم.

وَلندْفَعَ اسْتبْعَادَ هَذَا التَّصْوير بضَرْب مَثَل وَأَقُول: إنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُعْلمَ شَخْصُ الكَلمَة مَعَ أَقْسَامهَا المُتَبَاينَة وَأَحْوَالهَا المُتَغَايرَة وَاعْتبَارَاتهَا المُتَضَادَّة في وَقْت وَاحد فَيُعْلمُ الكَلمَةُ في ذَلكَ الوَقْت اسْمًا وَفعْلاً وَحَرْفًا وَثُلاَثيًّا وَرُبَاعيًّا وَمُعَرَّبًا وَمَبْنيًّا وَمُتَمَكّنًا وَغَيْرَ مُتَمَكّنٍ وَمُنْصَرفًا وَغَيْرَ مُنْصَرف وَمُعَرَّفَةً وَنَكرَةً وَمَاضيًا وَمُسْتَقْبَلاً وَأَمْرًا وَنَهْيًا بَلِ يَجُوزُ أَنْ يَقُول ذَلكَ الشَّخْصُ إنِّي أَرَى هَذه الأَقْسَامَ وَالاعْتبَارَات في مَرَاتب الكَلمَة في وَقْت وَاحد بالتَّفْصيل فَإذَا كَانَ جَمْعُ الأَضْدَاد مُتَصَوَّرًا في علمِ المُمْكنِ كَيْفَ يَكُونُ مُسْتَبْعَدًا في علمِ الوَاجب وَلله المَثَل الأَعْلى.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هُنَا وَإنْ كَانَ جَمْعُ الضِّدَّيْنِ صُورَةً وَلكنَّ الضِّدِّيَّةَ مَفْقُودَةٌ بَيْنَهَا في الحَقيقَة فَإنَّهُ تَعَالى وَإنْ عَلمَ زَيْدًا مَوْجُودًا وَمَعْدُومًا في آن وَاحد وَلكنَّهُ تَعَالى عَلمَ في ذَلكَ الآن أَنَّ وَقْتَ وُجُوده مَثَلاً بَعْدَ أَلف سَنَة منَ الهجْرَة وَوَقْتَ عَدَمه السَّابق قَبْل تلكَ السَّنَة المُعَيَّنَة وَوَقْتَ عَدَمه اللاَّحق بَعْدَ أَلف وَمائَة سَنَة فَلاَ تَضَادَّ بَيْنهمَا في الحَقيقَة لتَغَايرِ الزَّمَانِ وَعَلى هَذَا القيَاسِ سَائرُ الأَحْوَال فَافْهَمْ.

فَاتَّضَحَ منْ هَذَا التَّحْقيق أَنَّ علمَهُ تَعَالى لاَ يَتَطَرَّقُ إلَيْه شَائبَةُ التَّغَيُّر بتَعَلقه بالجُزْئيَّات المُتَغَيِّرَة وَلاَ تُتَوَهَّمُ مَظَنَّةُ الحُدُوث فيه كَمَا زَعَمَتْ الفَلاَسفَةُ فَإنَّ التَّغَيُّرَ إنَّمَا يُتَصَوَّرُ عَلى تَقْدير تَعَلق علمه تَعَالى بوَاحد بَعْدَ الآخر وَأَمَّا إذَا تَعَلقَ علمُهُ تَعَالى بالكُل في آن وَاحد فَلاَ يُتَصَوَّرُ فيه التَّغَيُّرُ وَالحُدُوثُ فَلاَ حَاجَةَ حينَئذ إلى إثْبَات تَعَلقَات مُتَعَدِّدَة لهُ حَتَّى يَكُونَ التَّغَيُّرُ وَالحُدُوثُ رَاجعًا إلى تلكَ التَّعَلقَات لاَ إلى صفَة العلمِ كَمَا فَعَلهُ بَعْضُ المُتَكَلمينَ لدَفْع شُبْهَة الفَلاَسفَة نَعَمْ إذَا أَثْبَتْنَا تَعَدُّدَ التَّعَلقَات في جَانب المَعْلومَات فَلهُ مَسَاغٌ وَكَذَلكَ كَلاَمُهُ تَعَالى وَاحدٌ بَسيطٌ وَهُوَ تَعَالى مُتَكَلمٌ بهَذَا الكَلاَم الوَاحد منَ الأَزَل إلى الأَبَد فَإنْ أَمْرًا فَنَاشئٌ منْ هُنَاكَ وَإنْ نَهْيًا فَنَاشئٌ أَيْضًا منْ هُنَاكَ وَإنْ إعْلاَمًا فَمَأْخُوذٌ أَيْضًا منْ هُنَاكَ وَإن اسْتعْلاَمًا فَمنْ هُنَاكَ وَإنْ تَمَنِّيًا فَمُسْتَفَادًا منْ هُنَاكَ وَإنْ تَرَجِّيًا فَمنْ هُنَاكَ أَيْضًا وَجَميعُ الكُتُب المُنَزَّلة وَالصُّحُف المُرْسَلة وَرَقَّةٌ منْ ذَلكَ الكَلاَم البَسيط فَإنْ تَوْرَاةً فَهيَ مُنْتَسخَةٌ منْهُ وَإنْ إنْجيلاً فَمنْ هُنَاكَ أُخذَ صُورَةُ الأَلفَاظ وَإنْ زَبُورًا فَمنْ هُنَاكَ مَسْطُور وَإنْ قُرْآنًا فَمُنَزَّل منْ هُنَاكَ شعْرٌ:

لكَلاَمُ مَوْلاَنَا الإلهِ وَاحدٌ حَقًّا وَلكنْ في النُّزُول تَعَدُّدَا

وَكَذَلِكَ فِعْلُهُ تَعَالَى وَاحِدٌ وَجَمِيعُ المَصْنُوعَاتِ مَوْجُودَةٌ بِهَذَا الفِعْلِ الوَاحِدِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ) إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا المَعْنَى وَالإِحْيَاءُ وَالإِمَاتَةُ مَرْبُوطَانِ بِهَذَا الفِعْلِ وَالإِيلاَمُ وَالإِنْعَامُ مَنُوطَانِ أَيْضًا بِهَذَا الفِعْلِ وَكَذَلِكَ الإِيجَادُ وَالإِعْدَامُ نَاشِئَانِ مِنْ هَذَا الفِعْلِ فَلاَ يَثْبُتُ تَعَدُّدُ التَّعَلقَاتِ فِي فِعْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا بَلِ المَخْلُوقَاتُ المَاضِيَةُ وَالآتِيَةُ مَوْجُودَةٌ فِي أَوْقَاتِهَا المَخْصُوصَةِ بِوُجُودِهَا بِتَعَلقٍ وَاحِدٍ وَهَذَا التَّعَلقُ أَيْضًا مَجْهُولُ الكَيْفِيَّةِ وَمَعْدُومُ المِثْلِيَّةِ كَنَفْسِ فِعْلِهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ لاَ سَبِيلَ إِلَى المُنَزَّهِ عَنِ الكَيْفِ لِلمُكَيَّفِ بِالكَيْفِيَّةِ لاَ يَحْمِلُ عَطَايَاهُ إِلاَّ مَطَايَاهُ وَلَمَّا لَمْ يَطَّلِعِ الأَشْعَرِيُّ عَلَى حَقِيقَةِ فِعْلِ الحَقِّ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - قَالَ بِحُدُوثِ التَّكْوِينِ وَحُدُوثِ أَفْعَالِهِ تَعَالَى وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ هَذِهِ الحَادِثَاتِ آثَارُ فِعْلِهِ تَعَالَى الأَزَلِيِّ لاَ نَفْسُ أَفْعَالِهِ.

وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ مَا أَثْبَتَهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ مِنْ تَجَلِّي الأَفْعَالِ حَيْثُ لَمْ يُرَ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ فِي مِرْآةِ أَفْعَالِ المُمْكِنَاتِ غَيْرُ فِعْلِ الفَاعِلِ الحَقِيقِيِّ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - وَذَلِكَ التَّجَلِّي فِي الحَقِيقَةِ تَجَلِّي آثَارِ فِعْلِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ تَجَلِّي فِعْلِهِ تَعَالَى فَإِنَّ فِعْلَهُ تَعَالَى الَّذِي هُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ المِثَالِ وَالكَيْفِ وَقَدِيمٌ وَقَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى وَيُقَالُ لَهُ التَّكْوِينُ لاَ تَسَعُهُ مَرَايَا المُحْدَثَاتِ وَلاَ ظُهُورَ لَهُ فِي مَظَاهِرِ المُمْكِنَاتِ شِعْرٌ:

درتنكناى صورت معنى جكونه كنجد   در كلبهء كدايان سلطان جه كاردارد

وَتَجَلِّي الأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ بِدُونِ تَجَلِّي الذَّاتِ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ عِنْدَ الفَقِيرِ فَإِنَّهُ لاَ انْفِكَاكَ لِلأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ عَنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ أَصْلاً حَتَّى يُتَصَوَّرَ تَجَلِّيهَا بِدُونِ تَجَلِّي الذَّاتِ وَمَا هُوَ مُنْفَكٌّ عَنِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ ظِلاَلُ الأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ فَيَكُونُ تَجَلِّي ذَلِكَ المُنْفَكِّ تَجَلِّي ظِلاَلِ الأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ لاَ تَجَلِّي الأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ وَلَكِنْ لاَ يُدْرِكُ فَهْمُ كُلِّ أَحَدٍ هَذَا الكَمَالَ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

وَلنَرْجِعَ إِلَى أَصْلِ الكَلاَمِ وَنَقُولُ: إِنَّهُ تَعَالَى لاَ يَحِلُّ فِي شَيْءٍ وَلاَ يَحِلُّ فِي شَيْءٍ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى مُحِيطٌ بِالأَشْيَاءِ وَلَهُ سُبْحَانَهُ قُرْبٌ مِنْهَا وَمَعِيَّةٌ بِهَا وَلَيْسَتْ تِلْكَ الإِحَاطَةُ وَالقُرْبُ وَالمَعِيَّةُ الَّتِي نُدْرِكُهَا بِأَفْهَامِنَا القَاصِرَةِ فَإِنَّهَا لاَ تَلِيقُ بِجَانِبِ قُدْسِهِ تَعَالَى وَكُلُّ شَيْءٍ يُدْرَكُ بِالكَشْفِ وَالشُّهُودِ فَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا، فَإِنَّهُ لاَ نَصِيبَ لِلمُمْكِنِ مِنْ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ، وَصِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ تَعَالَى غَيْرُ الجَهْلِ وَالحَيْرَةِ يَنْبَغِي الإِيمَانُ بِالغَيْبِ وَنَفْيُ مَا يَكُونُ مُنْكَشِفًا وَمَشْهُودًا بِكَلِمَةِ لاَ، شِعْرٌ:

هَيْهَاتَ عَنْقَاءُ أَنْ يَصْطَادَهُ أَحَدٌ   فَدَعْ عَنَاكَ وَكُنْ مِنْ ذَاكَ فِي دَعَةٍ

وَبَيْتُ مَثْنَوِي حَضْرَة شَيْخنَا مُنَاسبٌ لهَذا المَقَام حَيْثُ قَال (شعْرٌ):

وَذَا إيوَانُ الاسْتغْنَاء عَال   فَإيَّاكُمْ وَطَمَعًا في الوصَال

فَنُؤْمنُ بأَنَّهُ تَعَالى مُحيطٌ بالأَشْيَاءِ وَقَرِيبٌ منْهَا وَأَنَّهُ مَعهَا وَلكنْ لاَ نَعْرفُ مَعْنَى إحَاطَته وَقُرْبه وَمَعيَّته إنَّهُ مَا هُوَ.

وَالقَوْل بالإحَاطَة وَالمَعيَّة العلميَّيْن منْ تَأْويلاَت المُتَشَابه وَنَحْنُ لسْنَا بقَائلينَ بتَأْويله وَأَنَّهُ تَعَالى لاَ يَتَّحدُ بشَيْءٍ أَصْلاً وَلاَ يَتَّحدُ به شَيْءٌ أَصْلاً وَمَا يُفْهَمُ منْ عبَارَات بَعْض الصُّوفيَّة منْ مَعْنَى الاتِّحَاد فَهُوَ خلاَفُ مُرَادهم؛ لأَنَّ مُرَادَهُمْ بهَذَا الكَلاَم المُوهم للاتِّحَاد أَعْني قَوْلهمْ إذَا تَمَّ الفقْرُ فَهُوَ اللهُ هُوَ أَنَّ الفقْرَ إذَا تَمَّ وَحَصَلَ الاضْمحْلال الصِّرْفُ وَالطَّمْسُ المَحْضُ لاَ يَبْقَى إلاَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى لاَ أَنَّ ذَلكَ الفَقيرَ يَتَّحدُ بالله وَيَصيرُ إلهًا فَإنَّهُ كُفْرٌ وَزَنْدَقَةٌ تَعَالى اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَمَّا يَتَوَهَّمُ الظَّالمُونَ عُلوًّا كَبيرًا.

قَال حَضْرَةُ شَيْخنَا - قُدِّسَ سرُّهُ -: لَيْسَ مَعْنَى عبَارَة أَنَا الحَقُّ بأَنِّي حَقٌّ بَل مَعْنَاهُ أَنَا مَعْدُومٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - وَلاَ سَبيلَ للتَّغيُّر وَالتَّبَدُّل إلى ذَاته وَصفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى فَسُبْحَانَ مَنْ لاَ يَتَغَيَّرُ بذَاته وَلاَ بصفَاته وَلاَ بأَفْعَاله بحُدُوث الأَكْوَان وَمَا أَثْبَتَهُ الصُّوفيَّةُ الوُجُوديَّةُ منَ التَّنَزُّلاَت الخَمْسَة فَلَيْسَ هيَ منْ قَبيل التَّبَدُّل وَالتَّغيُّر في مَرْتَبَة الوُجُوب فَإنَّ القَوْلَ به وَإثْبَاتَهُ كُفْرٌ وَضَلالةٌ بَل اعْتَبَرُوا هَذه التَّنْزيلاَت في مَرَاتب ظُهورات كَمَاله تَعَالى منْ غَيْر أَنْ يَتَطَرَّقَ إلى ذَاته وَصفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى تَغَيُّرٌ وَتَبَدُّل.

وَأَنَّهُ تَعَالى غَنيٌّ مُطْلَقٌ لاَ يَحْتَاجُ إلى شَيْءٍ أَصْلاً لاَ في ذَاته وَلاَ في صفَاته وَلاَ في أَفْعَاله في أَمْرٍ منَ الأُمُور فَكَمَا أَنَّهُ تَعَالى غَيْرُ مُحْتَاجٍ في الوُجُود كَذَلكَ هُوَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ في الظُّهُور وَمَا يُفْهَمُ منْ عبَارَات بَعْض الصُّوفيَّة منْ أَنَّهُ تَعَالى مُحْتَاجٌ إلَيْنَا في ظُهُور كَمَالاَته الأَسْمَائيَّة والصِّفَاتيَّة هَذَا الكَلاَمُ ثَقيلٌ عَلى الفَقير جدًّا وَاعْتقَادي أَنَّ المَقْصُودَ منْ خَلق الخَلاَئق وَإيجَاد المَوْجُودَات حُصُول الكَمَالاَت لَهُمْ لاَ حُصُول كَمَال عَائد إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى وَتَقَدَّسَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ وَالإنْسَ إلاَّ ليَعْبُدُون) أَيْ ليَعْرفُون، مُؤَيِّدٌ لهَذَا المَعْنَى فَالمَقْصُودُ منْ خَلق الجنِّ وَالإنْس حُصُول المَعْرفَة لَهُمُ التي هيَ كَمَالُهُمْ لاَ أَمْرٌ يَكُونُ عَائدًا إلى جَنَاب قُدْس الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَمَا وَرَدَ في الحَديث القُدْسيِّ منْ قَوْله ﷺ: "**فَخلَقْتُ الخَلقَ لأُعْرَفَ**" فَالمُرَادُ هُنَا أَيْضًا مَعْرفَتُهمْ لاَ أَنَّهُ يَكُونُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - مَعْرُوفًا وَيَحْصُل لهُ الكَمَال بمَعْرفَتهمْ إيَّاهُ تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا.

وإِنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ النَّقْصِ وَسِمَاتِ الحُدُوثِ وَلَيْسَ بِجِسْمٍ وَلاَ جِسْمَانِيٍّ وَلاَ مَكَانِيٌّ لاَ زَمَانِيٌّ وَلَهُ تَعَالَى جَمِيعُ صِفَاتِ الكَمَالِ ثَمَانِيَةٌ مِنْهَا وُجُودُهَا زَائِدٌ عَلى وُجُودِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَهِيَ الحَيَاتُ وَالعِلْمُ وَالقُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَالبَصَرُ وَالسَّمْعُ وَالكَلاَمُ وَالتَّكْوِينُ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ الثَّمَان مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِجِ لاَ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي العِلمِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ عَلى وُجُودِ الذَّاتِ وَفِي الخَارِجِ عَيْنُهَا كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ وَقَال: شِعْرٌ.

وَصِفَاتُ حَقٍّ فِي التَّعَقُّلِ غَيْرُ ذَا ـــت الحَقِّ لكِنَّ فِي التَّحَقُّقِ عَيْنَهَا

فَإِنَّ هَذَا فِي الحَقِيقَةِ نَفْيُ الصِّفَاتِ فَإِنَّ نُفَاةَ الصِّفَاتِ مِثْل المُعْتَزِلَة وَالفَلاَسِفَة أَيْضًا قَائِلونَ بِالتَّغَايُرِ العِلمِيِّ وَالاتِّحَاد الخَارِجِيِّ وَلَمْ يُنْكِرُوا التَّغَايُرَ العِلمِيَّ وَلَمْ يَقُولوا إِنَّ مَفْهُومَ العِلمِ عَيْنُ مَفْهُومِ الذَّاتِ أَوْ عَيْنُ مَفْهُومِ القُدْرَةِ وَالإِرَادَة بَل قَالوا بِالعَيْنِيَّة بِاعْتِبَارِ الوُجُود الخَارِجِيِّ فَمَا لَمْ يَعْتَبِرُوا تَغَايُرَ الوُجُود الخَارِجِيِّ لاَ يَخْرُجُونَ مِنْ زُمْرَةِ نُفَاة الصِّفَات وَالقَوْل بِالتَّغَايُرِ الاعْتِبَارِيِّ أَعْنِي بِحَسَبِ المَفْهُومِ وَالتَّعَقُّل لاَ يُجْدِيهم نَفْعًا كَمَا عَرَفْتَ.

وَإِنَّهُ تَعَالَى قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ لِيسَ لِغَيْرِه تَعَالَى قِدَمٌ وَلاَ أَزَلِيَّةٌ أَجْمَعَ جَمِيعُ المِلِّيِّينَ عَلى هَذَا الحُكْمِ فَمَا قَال بِقِدَم غَيْرِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَأَزَلِيَّته فَقَدْ كَفَرَ وَمِنْ هَذِه الحَيْثِيَّة كَفَّرَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ابْنَ سِينَا وَالفَارَابِيَّ وَغَيْرَهُمَا فَإِنَّهُمْ قَائِلونَ بِقِدَمِ العُقُول وَالنُّفُوسِ وَقِدَم الهَيُولى وَالصُّورَة وَقَال أَيْضًا بِقِدَمِ السَّمٰوَات بِمَا فِيهَا وَقَال حَضْرَةُ شَيْخِنَا - قُدِّسَ سِرُّهُ -: إِنَّ الشَّيْخَ مُحْيِيَ الدِّينِ ابْنَ عَرَبِيٍّ قَائِل بِقِدَم أَرْوَاحِ الكُمَّال فَيَنْبَغِي صَرْفُ هَذَا الكَلاَمِ عَنْ ظَاهِرِهِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ مَحْمُولاً عَلى التَّأْوِيل لِئَلاَّ يَكُونَ مُخَالِفًا لإِجْمَاعِ أَهْل المِلل.

وَإِنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ مُخْتَارٌ مُنَزَّهٌ عَنْ شَائِبَة الإِيجَاب وَمُبَرَّأٌ عَنْ مَظِنَّة الاضْطِرَار، وَالفَلاَسِفَةُ الحَمْقَاءُ نَفَوْا الاخْتِيَارَ مِنَ الوَاجِب تَعَالَى وَأَثْبَتُوا الإِيجَابَ لَهُ - سُبْحَانَهُ - زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّ الكَمَال فِي الإِيجَاب وَهَؤُلاَءِ السُّفَهَاءُ قَدْ جَعَلوا الوَاجِبَ تَعَالى مُعَطَّلاً وَمُهْمَلاً وَلَمْ يَقُولوا بِصُدُور غَيْرِ مَصْنُوعٍ وَاحِد عَنْ خَالِق السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَهُوَ أَيْضًا صَادِرٌ عِنْدَهُمْ بِالإِيجَاب وَنَسَبُوا وُجُودَ المُحْدَثَات إِلى العَقْل الفَعَّال الذِي لَمْ يُثْبِتُ وُجُودَهُ فِي غَيْرِ تَوَهُّمِهِمْ وَلاَ شُغْل لهُمْ وَلاَ تَعَلقَ بِالحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى فِي زَعْمِهِمُ الفَاسِد أَصْلاً فَيَلزَمُهُمْ بِالضَّرُورَة أَنْ يَلتَجِئُوا وَقْتَ الاضْطِرَار إِلى العَقْل الفَعَّال وَأَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى أَصْلاً فَإِنَّهُ لاَ مَدْخَل لهُ تَعَالى فِي وُجُودِ الحَوَادِثِ عَلى زَعْمِهِمْ بَل القَائِمُ بِإِيجَاد الحَوَادِث هُوَ العَقْل الفَعَّال بَل

يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إلى العَقْلِ الفَعَّالِ وَأَيْضًا؛ لأَنَّهُ لاَ اخْتِيَارَ لهُ أَيْضًا فِي دَفْعِ بَلِيَّاتِهِمْ بِزَعْمِهِمْ وَهَؤُلاَءِ الأَشْقِيَاءُ أَسْبَقُ قَدَمًا فِي الخَبْطِ وَالبَلاَهَةِ مِنْ جَمِيعِ الفِرَقِ الضَّالَّةِ فَإِنَّ الكُفَّارَ يَلْتَجِئُونَ إِلى اللهِ تَعَالى وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ دَفْعَ البَلِيَّةِ بِخِلاَفِ هَؤُلاَءِ السُّفَهَاءِ وَفِيهِمْ شَيْئَانِ زَائِدَانِ عَلى مَا فِرَقِ الضَّالَّةُ أَرْبَابِ البَلاَهَةِ أَحَدُهُمَا كُفْرُهُمْ بِالأَحْكَامِ المُنَزَّلَةِ وَإِنْكَارُهُمْ عَلَيْهَا وَمُعَانَدَتُهُمْ وَمُعَادَاتُهُمْ لِلأَخْبَارِ المُرْسَلَةِ وَثَانِيهِمَا تَرْتِيبُ المُقَدِّمَاتِ الفَاسِدَةِ وَتَلْبِيسُ الدَّلاَئِلِ وَالشَّوَاهِدِ البَاطِلَةِ فِي إِثْبَاتِ مَقَاصِدِهِمْ وَمَطَالِبِهِمُ الوَاهِيَةِ وَالخَبْطِ الذي صَدَرَ عَنْهُمْ فِي إِثْبَاتِ مَقَاصِدِهِمْ لَمْ يَصْدُرْ مِنْ سَفِيهٍ أَصْلاً حَيْثُ جَعَلُوا مَدَارَ الأَمْرِ عَلى حَرَكَاتِ السَّمٰوَاتِ وَالكَوَاكِبِ وَأَوْضَاعِهَا مَعَ أَنَّهَا مُتَحَيِّرَاتٌ وَمُضْطَرِبَاتٌ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ عَنْ خَالِقِ السَّمٰوَاتِ وَمُوجِدِ الكَوَاكِبِ وَمُحَرِّكِهَا وَمُدِيرِ أُمُورِهِمْ وَاسْتَبْعَدُوا إِسْنَادَ الحَوَادِثِ إِلَيْهِ تَعَالى بِالذَّاتِ وَأَبَوْا عَنْهُ مَا أَبْعَدَهُمْ عَنِ العَقْلِ مَا أَخذَهُمْ وَمَا أَحْرَمَهُمْ مِنَ السَّعَادَةِ أَشَدَّ مُتَّهِمٍ سَفَهًا وَأَكْثَرَ حَمَاقَةً مَنْ يَزْعُمُهُمْ أَذْكِيَاءَ وَأَرْبَابَ فَطَانَةٍ وَمِنْ عُلُومِهِمُ المُنْتَظِمَةِ عِلْمُ الهَنْدَسَةِ وَهُوَ لاَ يُغْنِي شَيْئًا وَلاَ طَائِلَ فِيهِ أَصْلاً فِي أَيِّ شَيْءٍ يَلْزَمُ وَمَاذَا يُفِيدُ مُسَاوَاةُ الزَّوَايَا الثَّلاَثِ القَائِمَةَ مِنَ الشَّكْلِ المُثَلَّثِ وَأَيُّ غَرَضٍ مَرْبُوطٍ بِالشَّكْلِ العَرُوسِيِّ وَالشَّكْلِ المَأْمُونِيِّ اللَّذَيْنِ هُمَّا بِمَثَابَةِ أَرْوَاحِهِمْ، وَعِلْمِ الطِّبِّ وَعِلْمِ النُّجُومِ وَعِلْمِ تَهْذِيبِ الأَخْلاَقِ التي هِيَ أَشْرَفُ عُلُومِهِمْ كُلٍ مِنْهَا مَسْرُوقٌ مِنْ كُتُبِ الأَنْبِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَوَّجُوا بِهَا أَبَاطِيلَهُمْ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ فِي المُنْقِذِ عَنِ الضَّلاَلِ وَلاَ ضَرَرَ أَنَّ غَلَطَ أَهْلِ المِلَّةِ وَاتِّبَاعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الدَّلاَئِلِ وَالبَرَاهِينِ؛ لأَنَّ مَدَارَ أَمْرِهِمْ عَلى مُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَإِنَّمَا يُورِدُونَ البَرَاهِينَ وَالدَّلاَئِلَ فِي إِثْبَاتِ مَطَالِبِهِمُ العَالِيَةِ عَلى سَبِيلِ التَّبَرُّعِ وَإِلاَّ يَكْفِيهِمْ تَقْلِيدُهُمْ إِيَّاهُمْ وَهَؤُلاَءِ الأَشْقِيَاءُ أَخْرَجُوا رِقَابَهُمْ عَنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ وَصَارُوا فِي صَدَدِ الإِثْبَاتِ بِالدَّلاَئِلِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

وَلَمَّا وَصَلَتْ دَعْوَةُ عِيسَى - عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إِلى أَفْلاَطُونَ وَكَانَ هُوَ أَكْبَرُ هَؤُلاَءِ الخَذَلَةِ قَالَ نَحْنُ قَوْمٌ مَهْدِيُّونَ لاَ حَاجَةَ بِنَا إِلى مَنْ يَهْدِينَا مَا أَسْفَهَهُ وَمَا أَشْقَاهُ حَيْثُ أَدْرَكَ شَخْصًا يُحْيِي الأَمْوَاتَ وَيُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ كُلٍ ذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ طَوْرِ حُكُومَتِهِمْ وَمَعَ ذَلِكَ أَجَابَهُ بِهَذَا الجَوَابِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَتِهِ وَتَفَطُّنِ أَحْوَالِهِ وَمُلاَحَظَةِ سِيرَتِهِ وَذَلِكَ مِنْ كَمَالِ العِنَادِ وَالسَّفَاهَةِ، شِعْرٌ:

الفَلْسَفَةُ سَفَهٌ أَكْثَرُهَا وَكَذَا مَجُوعُهَا إِذْ لِكُلٍ حُكْمٍ أَكْثَرُهُ

نَجَّانَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَنْ ظُلُمَاتِ مُعْتَقَدَاتِهِمُ السُّوءِ وَقَدْ أَتَمَّ وَلَدِي مُحَمَّدٌ مَعْصُومٌ مَبْحَثَ الجَوَاهِرِ مِنْ شَرْحِ المَوَاقِفِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ وَاتَّضَحَ قَبَائِحُ

هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ فِي أَثْنَاءِ دَرْسِه وَتَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ فَوَائِدُ، الحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ. وَعِبَارَاتُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ – قُدِّسَ سِرُّهُ – أَيْضًا نَاظِرَةٌ إِلَى الإِيجَابِ وَلَهُ مُوَافَقَةٌ لِلفَلَاسِفَةِ فِي مَعْنَى القُدْرَةِ حَيْثُ لَا يَجُوزُ صِحَّةَ التَّرْكِ لِلقَادِرِ المُخْتَارِ بَلْ يُعْتَقَدُ لُزُومُ جَانِبِ الفِعْلِ وَالعَجَبُ أَنَّ الشَّيْخَ يَرَى فِي النَّظَرِ يَعْنِي نَظَرَ الكَشْفِ مِنَ المَقْبُولِينَ، وَأَكْثَرُ عُلُومِهِ التِي تُخَالِفُ آرَاءَ أَهْلِ الحَقِّ تُظْهِرُ خَطَأً غَيْرَ صَوَابٍ وَلَعَلَّهُ كَانَ مَعْذُورًا فِي الخَطَأِ الكَشْفِيِّ وَارْتَفَعَتْ عَنْهُ المُلَامَةُ عَلَيْهِ مِثْلَ الخَطَأِ الاجْتِهَادِيِّ وَهَذَا اعْتِقَادٌ خَاصٌّ بِالفَقِيرِ فِي حَقِّ الشَّيْخِ اعْتَقَدَهُ مِنَ المَقْبُولِينَ أَرَى عُلُومَهُ المُخَالِفَةَ خَطَأً وَمَضَرَّةً.

وَقَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ يَطْعَنُونَ فِي الشَّيْخِ يُخَطِّئُونَهُ فِي جَمِيعِ عُلُومِه، وَجَمَاعَةٌ أُخْرَى مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ يَخْتَارُونَ تَقْلِيدَ الشَّيْخِ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِي جَمِيعِ عُلُومِهِ وَيُثْبِتُونَ حَقِّيَّتَهَا بِالدَّلَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ وَلَا شَكَّ أَنَّ كِلَا هَذَيْنِ الفَرِيقَيْنِ اخْتَارُوا جَانِبَ التَّفْرِيطِ وَالإِفْرَاطِ فِي حَقِّهِ وَفَارَقُوا تَوَسُّطَ الأَحْوَالِ وَبَعُدُوا عَنْهُ كَيْفَ يُرَدُّ الشَّيْخُ الذِي هُوَ مِنَ الأَوْلِيَاءِ المَقْبُولِينَ بِسَبَبِ الخَطَأِ الكَشْفِيِّ وَكَيْفَ تُقْبَلُ عُلُومُهُ البَعِيدَةُ عَنِ الصَّوَابِ المُخَالِفَةُ لِآرَاءِ أَهْلِ الحَقِّ بِمَحْضِ التَّقْلِيدِ فَالحَقُّ هُوَ التَّوَسُّطُ الذِي وَفَّقَنِي اللهُ – سُبْحَانَهُ – لَهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ نَعَمْ إِنَّ الجَمَّ الغَفِيرَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مُشَارِكُونَ لِلشَّيْخِ فِي مَسْأَلَةِ وَاحِدَةِ الوُجُودِ وَإِنْ كَانَ لِلشَّيْخِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ طِرَازٌ خَاصٌّ أَيْضًا وَلَكِنَّهُمْ يُشَارِكُونَهُ فِي أَصْلِ الكَلَامِ وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ وَإِنْ كَانَتْ أَيْضًا مُخَالِفَةً لِمُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ الحَقِّ وَلَكِنَّهَا قَابِلَةٌ لِلتَّوْجِيهِ وَصَالِحَةٌ لِلجَمْعِ بِهَا وَقَدْ طَبَّقَ هَذَا الفَقِيرُ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى فِي شَرْحِ رُبَاعِيَّاتِ حَضْرَةِ شَيْخِنَا هَذِهِ المَسْأَلَةَ عَلَى مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ الحَقِّ وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا وَأَعَادَ نِزَاعَ الفَرِيقَيْنِ إِلَى اللَّفْظِ وَحَلَّ شُكُوكَ الطَّرَفَيْنِ وَشُبُهَاتِهِمَا عَلَى نَهْجٍ لَمْ يُبْقِ فِيهَا مَحَلَّ رَيْبٍ وَاشْتِبَاهٍ أَصْلًا كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى النَّاظِرِ فِيهِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المُمْكِنَاتِ بِأَسْرِهَا جَوَاهِرَهَا وَأَعْرَاضَهَا وَأَجْسَامَهَا وَعُقُولَهَا وَنُفُوسَهَا وَأَفْلَاكَهَا وَعَنَاصِرَهَا مُسْتَنِدَةٌ إِلَى إِيجَادِ القَادِرِ المُخْتَارِ الذِي أَخْرَجَهَا مِنْ كَتْمِ العَدَمِ إِلَى عَرْصَةِ الوُجُودِ وَكَمَا أَنَّهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي الوُجُودِ كَذَلِكَ هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ – سُبْحَانَهُ – فِي البَقَاءِ أَيْضًا.

وَإِنَّمَا جَعَلَ اللهُ – سُبْحَانَهُ – وُجُودَ الأَسْبَابِ وَالوَسَائِطِ نِقَابًا لِوَجْهِ فِعْلِهِ وَجَعَلَ الحِكْمَةَ قِبَابًا لِقُدْرَتِهِ لَا بَلْ جَعَلَ الأَسْبَابَ دَلَائِلَ لِثُبُوتِ فِعْلِهِ وَالحِكْمَةَ وَسِيلَةً

إلى وُجُود قُدْرَته فإنَّ أَرْبَابَ الفطَانَة الذينَ بَصَائرُهمْ مُكْتَحلةٌ بكُحْل مُتَابعَة الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم يَعْلمُونَ أنَّ الأَسْبَابَ وَالوَسَائل التي هيَ مُحْتَاجَةٌ في الوُجُود إلَيْه تَعَالى وَلها ثُبُوتٌ وَقيَامٌ منْهُ وَمَعَهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ في الحَقيقَة جمَادَاتٌ مَحْضَةٌ كَيْفَ تُؤَثِّرُ في شَيْءٍ آخَرَ مثْلهَا وَتُحدِّثُهُ وَتخترِعُهُ بَل وَرَاءَ تلكَ الأَسْبَاب قَادرٌ يُوجدُ ذَلكَ الشَيْءَ وَيُعْطيه الكَمَالاَت اللاَّئقَة به أَلاَ تَرَى أَنَّ العُقَلاَءَ إذَا رَأَوْا فعْلاً منْ جَمَاد مَحْض مَثلاً يَنْتَقل منْهُ ذهْنُهُمْ إلَى فَاعلَه وَمُحَرِّكه لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ يَقينًا أَنَّ هَٰذَا الفعْلَ لَيْسَ في حَوْصَلَة حَاله بَل وَرَاءَهُ فَاعلٌ مُوجدٌ لهَٰذَا الفعْل فَلمْ يَكُنْ فعْل الجَمَاد عنْدَ العُقَلاَء نقَابًا لوَجْه فعْل الفَاعل الحَقيقيِّ بَل كَانَ ذَلكَ الفعْل نَظَرًا إلَى جَمَاديَّة مَصْدَره دَليلاً عَلى وُجُود الفَاعل الحَقيقيِّ فَكَذَا هَذَا.

نَعَمْ إنَّ فعْل الجَمَاد نقَابٌ لوَجْه فعْل الفَاعل الحَقيقيِّ في نَظَر الأَبْله حَيْثُ يَزْعُمُ الجَمَادَ المَحْضَ منْ كَمَال غَبَاوَته بوَاسطَة صُدُور ذَلكَ الفعْل عَنْهُ صَاحب قُدْرَة وَيَكْفُرُ بالفَاعل الحَقيقيِّ: يُضل به كَثيرًا وَيَهْدي به كَثيرًا) وَهَذه المَعْرفَةُ مُقْتَبَسَةٌ منْ مشْكَاة النُّبوَّة لاَ يُدْركُهَا فَهْمُ كُل أَحَد وَلهَٰذَا تَرَى طَائفَةً يَعْتَقدُونَ الكَمَال في رَفْع الأَسْبَاب وَدَفعهَا وَيَنْسُبُونَ الأَشْيَاءَ إلى الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – ابْتدَاءً منْ غَيْر تَوَسُّط الأَسْبَاب وَلاَ يَدْرُونَ أَنَّ رَفْعَ الأَسْبَاب رَفْعُ الحكْمَةَ التي في ضمْنهَا مَصَالحُ لاَ تُحْصَى رَبَّنَا مَا خَلقْتَ هَذَا بَاطلاً كَيْفَ وَالأَنْبيَاءُ – عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – كَانُوا يُرَاعُونَ الأَسْبَابَ وَمَعَ تلكَ المُرَاعَاة كَانُوا يُفوِّضُونَ أُمُورَهُمْ إلَى الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – وَتَعَالى كَمَا قَالَ يَعْقُوبُ عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَصيَّةً لبَنيه مُلاَحظًا لإصَابَة العَيْن {يَا بَنيَّ لاَ تَدْخُلوا منْ بَابٍ وَاحدٍ وَادْخُلوا منْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَة} الآيَةَ.

وَمَعَ وُجُود هَذه المُرَاعَاة قَال تَفْويضًا أَمْرَهُ إلى الله تَعَالى (وَمَا أُغْني عَنْكُمْ منَ الله منْ شَيْءٍ إن الحُكْمُ إلاَّ لله عَلَيْه تَوَكَّلتُ وَعَلَيْه فَليَتَوَكَّل المُتَوَكّلونَ) وَاسْتَصْوَبَ – سُبْحَانَهُ – هَذه المَعْرفَةَ منْهُ وَاسْتَحْسَنَهَا وَنَسَبَهَا إلى نَفْسه حَيْثُ قَال بَعْدَ ذَلكَ {وَإنَّهُ لذُو علم لمَا عَلمناه } الآيَةَ.

وَأَشَارَ الحَقُّ – سُبْحَانَهُ – في القُرْآن المَجيد فيمَا خَاطَبَ به نَبيَّنَا ﷺ إلى تَوَسُّط الأَسْبَاب وَقَال {يَا أَيُّهَا النَّبيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَن اتَّبَعَكَ منَ المُؤْمنينَ }.

بَقيَ الكَلاَمُ في تَأْثير الأَسْبَاب وَيَجوزُ أَنْ يَخْلقَ اللهُ – سُبْحَانَهُ – في بَعْض الأَوْقَات تَأْثيرًا في الأَسْبَاب فَتَكُونُ مُؤَثِّرَةً وَيَجُوزُ أَنْ لاَ يَخْلقَ التَّأْثيرَ فيهَا في بَعْض الأَوْقَات فَلاَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أَثَرٌ أَصْلاً بالضَّرُورَة كَمَا أَنَّا نُشَاهدُ هَذَا المَعْنَى فَإنَّ بَعْضَ الأَسْبَاب يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا وُجُودُ المُسَبَّبَات أَحْيَانًا وَفي بَعْض الأَوْقَات لاَ يَظْهَرُ منْهَا أَثَرٌ

مَا أَصْلاً فَالإِنْكَارُ عَلى تَأْثِير الأَسْبَاب مُطْلقًا مُكَابَرَةٌ يَنْبَغي أَنْ يَقُول بالتَّأْثِير وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ وُجُودَ ذَلكَ التَّأْثِيرِ كَوُجُود نَفْسِ السَّبَب بِإِيجَادِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - هَذَا هُوَ رَأْيُ الفَقِير فِي هَذه المَسْأَلة وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ.

فَلاَحَ مِنْ هَذَا البَيَان أَنَّ التَّمَسُّكَ بالأَسْبَاب لَيْسَ بِمُنَاف للتَّوَكُّل كَمَا ظَنَّ النَّاقصُونَ بَل فِي التَّمَسُّك بالأَسْبَاب كَمَالَ التَّوَكُّل فَإِنَّ يَعْقُوبَ - عَلَيْه السَّلاَمُ - أَطْلَقَ التَّوَكُّل عَلى مُرَاعَاة الأَسْبَاب مَعَ تَفْوِيضِ الأَمْرِ إلى الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - حَيْثُ قَال: ﴿ عَلَيْه تَوَكَّلتُ وَعَلَيْه فَلْيَتَوَكَّل المُتَوَكِّلون ﴾.

وَأَنَّهُ تَعَالى مُرِيدُ الخَيْر وَالشَّرِّ وَخَالقُ كُل منْهُمَا وَلكنَّهُ رَاض بالخَيْر وَغَيْرُ رَاضٍ بالشَّرِّ وَبَيْنَ الرِّضَا وَالإِرَادَة فَرْقٌ دَقِيقٌ هَدَى اللهُ - سُبْحَانَهُ - أَهْلَ السُّنَّة إلى هَذَا الفَرْق وَبَقِيَ سَائرُ الفرَق فِي الضَّلالَة لعَدَم اهْتدَائهِمْ إلى هَذَا الفَرْق وَمنْ هَهُنَا قَالتْ المُعْتَزِلَةُ: إنَّ العَبْدَ خَالقٌ لأَفْعَاله وَنَسَبُوا إيجَادَ الكُفْرِ وَالمُعَاصي إليْه وَيُفْهَمُ من كَلاَمِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ وَاتْبَاعه أَنَّ الإِيمَانَ مَرْضِيُّ الاسْمِ الهَادي وَكَذَا الأَعْمَال الصَّالحَةُ وَالكُفْرُ مَرْضِيُّ الاسْمِ المُضل وَكَذَا المَعَاصِي وَهَذَا الكَلاَمُ أَيْضًا مُخَالفٌ لمَا عَلَيْه أَهْل الحَقِّ وَفيه مَيْل إلى الإِيجَابِ لكَوْنِه مَنْشأً للرِّضَا كَمَا يُقَال: الإِشْرَاقُ مَرْضِيُّ الشَّمْسِ يَعْني لاَزِمُهَا.

وَقَدْ أَعْطَى الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - عبَادَهَ قُدْرَةً وإِرَادةً يَكْتَسبُونَ بهمَا الأَفْعَال باخْتيَارِهمْ فَخَلقُ الأَفْعَال مَنْسُوبٌ إلى اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَكَسْبُهَا إلى العبَاد وَعَادَةُ اللهِ - سُبْحَانَهُ - جَارِيَةٌ عَلى أَنَّ العَبْدَ إذَا قَصَدَ فعْل شَيْءٍ منْ أَفْعَاله وَتَشَبَّثَ بأَسْبَابه يَتَعَلقُ بذَلكَ الفعْل خَلقُهُ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى فَإذَا كَانَ صُدُورُ الفعْل منَ العَبْد بقَصْده وَاخْتيَاره يَكُونُ مُتَعَلقُ المَدْحِ وَالذَّمِّ وَالثَّوَاب وَالعقَاب بالضَّرُورَة وَمَا قيل إنَّ اخْتيَارَ العَبْد ضَعيفٌ فَإنْ كَانَ المُرَادُ به أَنَّهُ ضَعيفٌ بالنِّسْبَة إلى إرَادَة اللهِ تَعَالى فَمُسَلمٌ وَإنْ كَانَ أَنَّهُ غَيْرُ كَاف فِي أَدَاءِ الفعْل المَأْمُور به فَغَيْرُ صَحيح فَإنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - لاَ يُكَلفُ العَبْدَ بمَا ليْسَ في وُسْعه بَل يُريدُ اليُسْرَ وَلاَ يُريدُ العُسْرَ غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ حكْمَةَ الجَزَاء المُخَلد عَلى الفعْل المُوَقَّت مُفَوَّضَةٌ إلى تَقْدير الحَقِّ وَعلمه تَعَالى وَقَدْ قَال فِي حَقِّ الجَزَاء المُخَلد عَلى الكُفْر المُوَقَّت (جَزَاءً وفَاقًا) وَجَعَل التَّلذُّذَات الدَّائمَةَ مُسَبَّبَةٌ منَ الإِيمَان المُوَقَّت وَمُتَرَتِّبَةٌ عَلَيْه ذَلكَ تَقْديرُ العَزيزِ العَليم وَلكنْ نَعْرِفُ بتَوْفيق اللهِ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ اخْتيَارَ الكُفْر بالنِّسْبَة إلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى الذي هُوَ مَوْلى النِّعَمِ الظَّاهرَة وَالبَاطنَة وَمُوجدُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ وَمَا منْ عَظَمَة وَكَمَال إلاَّ هُوَ ثَابتٌ لهُ تَعَالى يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جزَاءُ ذَلكَ الكُفْرِ منْ أَشَدِّ العُقُوبَاتِ

وَهُوَ الخُلودُ في عَذَابِ النَّارِ وَكَذَلِكَ الإيمَانُ بالغَيْبِ بمثْلِ هَذَا المُنعمِ العَظِيمِ الشَّأْن وَتَصْديقه مَعَ وُجُود مُزَاحَمَة النَّفسِ وَالشَّيْطَانِ وَمُمَانَعَة سَائرِ الأَكْوَانِ يَسْتَدْعِي أَنْ يَكُونَ جَزَاؤُهُ منْ أَفْضَل الجزَاء وَهُوَ الخُلودُ في التَّنعُّمَات وَالتَّلذُّذَات في الجنَان.

قَال بَعْضُ المَشَايخ: إنَّ دُخُول الجَنَّة مَرْبُوطٌ في الحَقيقَة بفَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَإنَّمَا جُعل مَنُوطًا بالإيمَان بنَاءً عَلى أَنَّ كُلمَا يَكُونُ جَزَاءُ الأَعْمَال يَكُونُ أَلذَّ وَعنْدَ الفقير أَنَّ دَخُول الجَنَّة في الحَقيقَة مَرْبُوطٌ بالإيمَان وَلكنَّ الإيمَانَ فَضل منَ المَنَّان وَعَطيَّةٌ منْ ذي الجُود وَالإحْسَان وَدُخُول النَّار مَرْبُوطٌ بالكُفْر وَالكُفْرُ نَاشئٌ منْ هَوَى النَّفْسِ وَالطُّغْيَان مَا أَصَابَك منْ حَسَنَة فَمنَ الله وَمَا أَصَابَك منْ سَيِّئَةٍ فَمنْ نَفْسكَ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ جَعْل دُخُول الجَنَّة مَرْبُوطًا بالإيمَان في الحَقيقَة تَعْظيمُ الإيمَان بَل تَعْظيمُ المُؤْمنِ به حَيْثُ تَرَتَّبَ عَلَيْه مثْل هَذَا الأَجْر العَظيم القَدْر وَكَذَلكَ جَعْل دُخُول النَّار مَرْبُوطًا بالكُفْر تَحْقيرٌ للكُفْر وَتَنْقيصٌ لمَنْ وَقَعَ هَذَا الكُفْرُ بالنِّسْبَة إليْه فَتَرَتَّبَ مثْل هَذه العُقُوبَة الدَّائمَة عَلَيْه بخلاَف مَا قَال به بَعْضُ المَشَايخ فَإنَّهُ خَال عَنْ هَذه الدَّقيقة وَأَيْضًا إنَّ هَذَا الوَجْهَ لاَ يَتَمَشَّى في دُخُول النَّار الذي هُوَ عَديلهُ فَإنَّ دُخُولَ النَّار في الحَقيقَة مَرْبُوطٌ بالكُفر وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلهمُ للصَّوَاب.

هَذَا وَيَرَى المُؤْمنُونَ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - في الآخرَة في الجَنَّة منْ غَيْر جهَة وَلاَ كَيْف وَلاَ شَبَه وَلاَ مثَال وَأَنْكَرَ عَلى ذَلكَ جَميعُ الفرق مَليُّهِمْ وَغَيْرُ مَليِّهِمْ خَلاَ أَهْل السُّنَّة فَإنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ الرُّؤْيَةَ بلاَ جهَة وَلاَ كَيْف حَتَّى إنَّ نَسْخَ الشَّيْخ مُحْيي الدِّين بْن عَرَبيٍّ تَنزل الرُّؤْيَةُ الأُخْرَويَّةُ إلى التَّجَلي الصُّوريِّ وَلاَ يَجُوزُ غَيْرُ التَّجلي.

نَقَل حَضْرَةُ شَيْخنَا يَوْمًا عَن الشَّيْخ أَنَّهُ قَال: إنَّ المُعْتَزلَة لوْ لَمْ يُقَيِّدُوا الرُّؤْيَةَ بمَرْتَبَة التَّنْزيه وَقَالوا بالتَّشْبيه أَيْضًا وَتَصَوَّرُوا الرُّؤْيَةَ عَيْنَ هَذَا التَّجلي لمَا أَنْكَرُوا الرُّؤْيَةَ أَصْلاً وَلمَا اسْتَحَالوهَا يَعْني أَنَّ إنْكَارَهُمْ عَلَيْهَا إنَّمَا هُوَ منْ حَيْثيَّة كَوْنهَا بلاَ جهَة وَلاَ كَيْف ممَّا هُوَ مَخْصُوصٌ بمَرْتَبَة التَّنْزيه بخلاَف هَذَا التَّجَلي فَإنَّ الجهَةَ وَالكَيْفَ مَلحُوظَان فيه.

لاَ يَخْفَى أَنَّ تَنْزيل الرُّؤْيَة الأُخْرَويَّة إلى التَّجلي الصُّوريِّ إنْكَارٌ عَلَيْهَا في الحَقيقَة؛ فَإنَّ ذَلكَ التَّجَليَ الصُّوريَ وَإنْ كَانَ مُغَايرًا للتَّجليَات الصُّوريَّة الدُّنْيَويَّة: ليْسَ هُوَ رُؤْيَةَ الحَقِّ تَعَالى، (نَظْمٌ شعْرٌ):

يَرَاهُ المُؤْمنُونَ بغَيْرِ كَيْفٍ   وَإدْرَاكٍ وَضَرْبٍ منْ مثَال

وَبَعْثَةُ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - رَحْمَةٌ للعَالَمِينَ فَلوْ لَمْ تَكُنْ وَسَاطَةُ هَؤُلاَءِ الكُبَرَاءِ مَنْ كَانَ يَدُلنَا عَلى مَعْرِفَة ذَات وَاجب الوُجُود وَصفَاته وَمَنْ كَانَ يُمَيِّزُ لنَا مَرْضيَّات مَوْلاَنَا - جَل شَأْنُهُ - عَنْ غَيْر مَرْضيَّاته فَإنَّ عُقُولنَا النَّاقصَةَ بمَعْزل عَنْ هَذَا المَعْنَى بدُون تَأْييد نُور دَعْوَتهمْ وَأَفْهَامُنَا القَاصرَةُ مَخْبُولةٌ في هَذه المُعَامَلة منْ غَيْر تَقْليد هَؤُلاَءِ الأَكَابرِ نَعَمْ، إنَّ العَقْل وَإنْ كَانَ حُجَّةً وَلكنَّهُ غَيْرُ تَامٍّ في الحُجِّيَّة وَغَيْرُ بَالغٍ مَرْتَبَةَ البُلوغِ وَالحُجَّةُ البَالغَةُ إِنَّمَا هِيَ بَعْثَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَالعَذَابُ وَالثَّوَابُ الأُخْرَوِيَّان مَنُوطَان بهَا.

فَإنْ قيل: إذَا كَانَ العَذَابُ الدَّائمِيُّ الأُخْرَوِيُّ مَنُوطًا بِالبِعْثَة فَبِأَيٍّ مَعْنًى تَكُونُ البَعْثَةُ رَحْمَةً للعَالمينَ ؟

أُجيبُ أَنَّ البَعْثَةَ عَيْنُ الرَّحْمَة لأَنَّهَا سَبَبٌ لمَعْرفَة ذَات وَاجب الوُجُود وَصفَاته تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَهيَ مُتَضَمِّنَةٌ لسَعَادَة دُنْيَويَّة وَأُخْرَوِيَّة وَبدَوْلة البَعْثَة امْتَازَ مَا هُوَ اللاَّئقُ بجَانب قُدْسه تَعَالى عَمَّا هُوَ غَيْرُ لاَئق به فَإنَّ عُقُولنَا العَرْجَا العَميَّةَ التي هيَ مُتَّسمَةٌ بسمَةَ الإمْكَان وَالحُدُوث كَيْفَ تَعْرفُ وَكَيْفَ تُدْركُ مَا هُوَ مُنَاسبٌ لحَضْرَة الوُجُوب الذي منْ لوَازمه القدَمُ منَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَمَا لاَ يُنَاسبُهُ منْهَا حَتَّى يُطْلقَ عَلَيْه ذَاكَ وَيُجْتَنَبَ منْ هَذَا بَل هُوَ كَثيرًا مَا يَزْعُمُ منْ نَقْصه الكَمَال نُقْصَانًا وَالنَّقْصَ كَمَالاً وَهَذَا التَّمْييزُ عنْدَ الفَقير فَوْقَ جَميعِ النِّعَم الظَّاهرَة وَالبَاطنَة وَأَشَدُّ المَحْرُومينَ منَ السَّعَادَة مَنْ يَنْسُبُ إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى أُمُورًا غَيْرَ مُنَاسبَة وَأَشْيَاءَ غَيْرَ لاَئقَة به تَعَالى وَالذي مَيَّزَ الحَقَّ عَن البَاطل هُوَ البَعْثَةُ وَالذي فَرَّقَ بَيْنَ المُسْتَحقِّ للعبَادَة وَبَيْنَ غَيْر المُسْتَحقِّ لهَا هُوَ البَعْثَةُ وَبوَاسطَتهَا يَدْعي العبَادَ إلى طَريق الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَبهَا يَصلونَ إلى سَعَادَة قُرْب المَوْلَى وَوَصْله - جَل سُلطَانُهُ - وَبسَبَب البَعْثَة يَتَيَسَّرُ الاطِّلاَعُ عَلى مَرْضيَّات المَوْلى جَل شَأْنُهُ كَمَا مَرَّ وَبهَا يَتَمَيَّزُ جَوَازُ التَّصَرُّف في ملكه تَعَالى عَنْ عَدَم جَوَازه وَأَمْثَال هَذه الفَوَائد في البَعْثَة كَثيرَةٌ فَتَقَرَّرَ أَنَّ البَعْثَةَ رَحْمَةٌ وَمَنْ كَانَ مُنْقَادًا للنَّفْس وَأَنْكَرَ البَعْثَةَ تَبَعًا لحُكْم الشَّيْطَان اللعين وَلمْ يَعْمَل بمُقْتَضَى حُكْمِ البَعْثَةِ فَمَا ذَنْبُ البَعْثَةِ فيه وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ البَعْثَةُ رَحْمَةً بسَبَب خذْلاَنه.

فَإنْ قيل: سَلمْنَا أَنَّ العَقْل نَاقصٌ غَيْرُ تَامٍّ في حَدِّ ذَاته في حَقِّ مَعْرفَة الأَحْكَامِ الإلهيَّة - جَل شَأْنُهُ - وَلكنْ لمَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَحْصُل للعَقْل بَعْدَ حُصُول التَّصْفيَةِ وَالتَّزْكيَةِ لهُ مُنَاسَبَةٌ وَاتِّصَال بلاَ كَيْفٍ بمَرْتَبَة الوُجُوبِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ

فَيَأْخُذُ الأَحْكَامَ مِنْ هُنَاكَ بِتِلْكَ المُنَاسَبَةِ وَالاِتِّصَال فَلاَ يَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلى البَعْثَةِ التي هِيَ بِوَاسِطَةِ المُلك.

أُجِيبُ أَنَّ العَقْل وَإِنْ حَصَلَ لهُ تلكَ المُنَاسَبَةُ وَالاِتِّصَال وَلكِنْ لاَ يَزُول عَنْهُ التَّعَلقُ بِهَذَا الجِسْمِ الهُيولاَنِيِّ بالكُلِّيَّة وَلاَ يَحْصُلُ لهُ التَّجَرُّدُ التَّامُّ فَتَكُونُ القُوَّةُ الوَهْمِيَّةُ في عَقَبه دَائمًا وَلاَ تَتْرُكُ القُوَّةُ المُتَخَيَّلَةُ ذَيْل خَيَاله أَصْلاً وَتَكُونُ القُوَّةُ الغَضَبِيَّةُ وَالشَّهَوِيَّةُ مُصَاحِبَتَيْنِ لهُ في جَمِيعِ الأَزْمَان وَتَكُونُ رَذِيلةُ الحِرْصِ وَالشَّرَه نَدِيمَيْه في كُل أَوَان وَلاَ يَنْفَكُّ عَنْهُ الشَّهْوَةُ وَالنِّسْيَانُ اللذَان هُمَا مِنْ لوَازِم نَوْعِ الإِنْسَان دَائمًا وَلاَ يُفَارِقُهُ الخَطَأُ وَالغَلطُ اللذَان هُمَا مِنْ خَوَاصِّ هَذه النَّشْأَة أَبَدًا فَلاَ يَكُونُ العَقْل إذًا حَقِيقًا وَحَرِيًّا بالاعْتمَاد وَلاَ تَكُونُ الأَحْكَامُ المَأْخُوذَةُ بوَاسطَته مَصُونَةً مِنْ سُلطَان الوَهْمِ وَتَصَرُّف الخَيَال وَلاَ مَحْفُوظَةً مِنْ شَائبَة الخَطَأ وَمَظَنَّة النِّسْيَان بخلاَف المَلك فَإِنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذه الأَوْصَاف مُبَرَّأٌ عَنْ هَذه الرَّذَائل فَيَكُونُ مُسْتحقًّا للاَعْتمَاد وَتَكُونُ الأَحْكَامُ المُتَلقَّاةُ منْهُ مَصُونَةً مِنْ شَائبَة الوَهْم وَالخَيَال وَمَظَنَّة الخَطَأ وَالنِّسْيَان وَقَدْ يُحسُّ في بَعْض الأَوْقَات أَنَّ الأَحْكَامَ المَأْخُوذَةَ بلقَاء الرُّوحَانيِّينَ وَالمَعَارفَ المُتَلقَّاةَ منْهُمْ يَنْضَمُّ إليْهَا في أَثْنَاء تَبْليغهَا بالقُوَى وَالحَوَاسِّ بَعْضُ المُقَدِّمَات المُسَلمَة غَيْر الصَّادقَة الحَاصلة منْ طَريق الوَهْمِ وَالخَيَال أَوْ غَيْرهمَا بلاَ اخْتيَار بحَيْثُ لاَ يُمْكنُ تَمْييزُهَا في ذَلكَ الوَقْت عَنْ تلكَ الأَحْكَام وَرُبَّمَا يَحْصُلُ ذَلكَ التَّمْييزُ في وَقْت آخَرَ وَرُبَّمَا لاَ يَحْصُل فَلاَ جَرَمَ يُعْرَضُ لهَذه العُلوم بوَاسطَة مُخَالطَة تلكَ المُقَدِّمَات هَيْئَةُ الكَذب فَتَخْرُجُ به عَنْ أَنْ تَكُونَ مُعْتَمدًا عَليْهَا.

أَوْ نَقُول: إنَّ حُصُول التَّزْكيَة وَالتَّصْفيَة مَنُوطٌ بإِتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة التي هِيَ مَرْضيَّاتُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى.

وَمَعْرفَةُ ذَلكَ مَوْقُوفَةٌ عَلى البَعْثَة كَمَا مَرَّ فَلاَ يَتَيَسَّرُ حُصُول حَقيقَة التَّصْفيَة وَالتَّزْكيَة بدُون البَعْثَة وَالصَّفَاء الحَاصل للكُفَّار وَالفُسَّاق هُوَ صَفَاءُ النَّفْس لاَ صَفَاءُ القَلب وَصَفَاءُ النَّفْس لاَ يَزيدُ شَيْئًا غَيْرَ الضَّلالة وَلاَ يُورثُ شَيْئًا غَيْرَ الخَسَارَة وَكَشْفُ بَعْض الأُمُور الغَيْبيَّة الذي يَحْصُل للكُفَّار وَالفُسَّاق وَقْتَ صَفَاء نُفُوسهمُ اسْتدْرَاجٌ في حَقِّهِمْ يُقْصَدُ به هَلاَكُهُمْ وَخَسَارَتُهمْ نَجَّانَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - منْ هَذه البَليَّة بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ - عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

واتَّضَحَ منْ هَذَا التَّحْقيق أَنَّ التَّكَاليفَ الشَّرْعيَّةَ الثَّابتَةَ منْ طَريق البَعْثَة أَيْضًا رَحْمَةٌ لاَ كَمَا زَعَمَهُ المُنْكرُونَ عَليْهَا منَ المَلاَحدَة وَالزَّنَادقَة منَ اعْتقَادهَا كُلفَةً وَغَيْرَ مَعْقُولة حَتَّى قَالوا: أَيُّ شَفَقَة في تَكْليف العبَاد بأُمُورٍ شَاقَّةٍ ثُمَّ يُقَال لهُمْ: مَنْ عَلمَ

بِمُقْتَضَى هَذَا التَّكْلِيف يَدْخُل الجَنَّةَ وَمَنِ ارْتَكَبَ خلافَهُ يَدْخُل النَّارَ كَيْفَ لاَ يُكلفُونَ بَل يُتْرَكُونَ يَأْكُلون وَيَنَامُونَ وَيَمْشُونَ عَلى طَوْرِ عُقُولِهِمْ وَمُقْتَضَى طَبَائعِهِمْ أَمَا يَعْلَمُ هَؤُلاَءِ الخُبَثَاءُ الخَائبُونَ أَنَّ شُكْرَ المُنعِمِ وَاجِبٌ عَقْلاً وَهَذه التَّكْلِيفَاتُ الشَّرْعِيَّةُ بَيَانُ كَيْفِيَّةِ أَدَاءِ ذَلكَ الشُّكْرِ فَيَكُونُ التَّكْلِيفُ وَاجبًا بالعَقْلِ وَأَيْضًا إِنَّ نظَامَ هَذَا العَالَمِ وَانْتظَامَ أَمْرِه مَنُوطٌ بهَذَا التَّكْلِيف فَإِنَّهُ إِذَا تُرِكَ كُل أَحَد عَلى طَوْرِه وَخَلى عَلى طَبْعه لاَ يَظْهَرُ فيه غَيْرُ الشَّرِّ وَالفَسَاد وَيَعْتَدي كُل مَهْوُسٍ عَلى نَفْسِ الآخَرِ وَمَاله وَيَتَغَلَّبُ عَلَيْه بالخُبْث وَالفَسَاد فَيُضَيِّعُ نَفْسَهُ عنْدَ عَدَمِ الزَّوَاجرِ الشَّرْعيَّة وَمَوَانعهَا وَيُضَيِّعُ غَيْرَهُ عيَاذًا باللهِ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولي الأَلْبَاب، شعْرٌ:

لَوْلاَ الأَميرُ الذي نَخْشَى بَوَادرَهُ   لَقَاءَتْ الزِّنْجُ فِي بُحْبُوحَة الحَرَمِ

أَوْ نَقُول: إِنَّ اللهَ تَعَالى مَالكٌ عَلى الإِطْلاَق وَالعبَادُ كُلهُمْ مَمَاليكُهُ - سُبْحَانَهُ - فَكُل حُكْم وَتَصَرُّف يُجْريه عَلَيْهِمْ فَهُوَ عَيْنُ الخَيْر وَالصَّلاَحِ لَهُمْ وَهُوَ مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ شَائبَة الظُّلمِ وَالفَسَاد فِي ذَلكَ لاَ يُسْأَل عَمَّا يَفْعَل (شعْرٌ):

مَنْ ذَا الذي فِي فعْله يَتَكَلمُ   دُونَ الرِّضَا يَا صَاحِ وَالتَّسْليمِ

فَإِنْ أَدْخَل الجَميعَ إِلى النَّار وَعَذَّبَهُمْ بالعَذَاب الأَبَديِّ فَلَيْسَ ذَلكَ منْهُ بِمَحَل الاعْترَاضِ وَلَيْسَ تَصَرُّفًا فِي ملك الغَيْر حَتَّى تَكُونَ فيه شَائبَةُ الجَوْرِ بخلاَف تَصَرُّفنَا فِي أَمْلاَكنَا التي كُلهَا أَمْلاَكُهُ تَعَالى فِي الحَقيقَة.

وَجَميعُ التَّصَرُّفَات منَّا فيهَا عَيْنُ الظُّلم فَإِنَّ صَاحبَ الشَّرْعِ إِنَّمَا نَسَبَ هَذه الأَمْلاَكَ إِلَيْنَا بِسَبَب بَعْضِ المَصَالحِ وَإِلاَّ فَهيَ فِي الحَقيقَة أَمْلاَكُهُ تَعَالى فَجَوَازُ تَصَرُّفنَا فيهَا مَقْصُورٌ عَلى القَدْر الذي جَوَّزَهُ لنَا المَالكُ عَلى الإِطْلاَق وَأَبَاحَهُ.

وَجَميعُ مَا أَخْبَرَ به هَؤُلاَء الأَكَابرُ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بأَعْلاَم الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَمَا بَيَّنُوا منَ الأَحْكَام كُلهَا صَادقَةٌ وَمُطَابقَةٌ للوَاقعِ وَإِنْ جَوَّزَ العُلَمَاءُ الخَطَأَ فِي أَحْكَامهمُ الاجْتهَاديَّة وَلَكنَّهُمْ لَمْ يُجَوِّزُوا تَقْريرَهُمْ عَلى الخَطَأ بَل قَالوا: إِنَّهُمْ يُنَبَّهُونَ عَلَيْه بلاَ تَأْخير فَيَتَدَارَكُونَهُ بالصَّوَاب فَلاَ اعْتدَادَ بذَلكَ الخَطَأ.

وَعَذَابُ القَبْرِ للكَافرينَ وَلبَعْضِ عُصَاة المُؤْمنينَ حَقٌّ قَدْ أَخْبَرَ به المُخبرُ الصَّادقُ وَسُؤَال مُنْكَر وَنَكير للمُؤْمنينَ وَالكَافرينَ فِي القَبْر أَيْضًا حَقٌّ وَالقَبْرُ برْزَخٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخرَة وَعَذَابُهُ أَيضًا منْ وَجْه مُنَاسبٌ لعَذَاب الدُّنْيَا فَيَقْبَل الانْقطَاعَ وَمنْ وَجْه مُنَاسبٌ لعَذَاب الآخرَة بَل هُوَ منْ عَذَاب الآخرَة فِي الحَقيقَة وَقَوْلُهُ تَعَالى (النَّار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشيًّا) نَزَل فِي عَذَاب القَبْرِ وَكَذَلكَ رَاحَةُ القَبْرِ لَهَا

جِهَتَانِ وَالسَّعِيدُ مَنْ يَغْفِرُ زَلاَّتَهُ وَمَعَاصِيَهُ بِكَمَالِ الكَرَمِ وَالرَّأْفَةِ وَلاَ يُؤَاخِذُ فَإِنْ يُؤَاخِذْ إِنَّمَا يُؤَاخِذُ بِآلاَمِ الدُّنْيَا وَمِحَنِهَا وَيَكُونُ ذَلِكَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ مِنْ كَمَالِ الرَّحْمَةِ فَإِنْ بَقِيَتْ مِنْهَا بَقِيَّةٌ تُكَفَّرُ بِضَغْطَةِ القَبْرِ وَالمِحَنِ المُهَيَّأَةِ لِذَلِكَ المَوْطِنِ حَتَّى يُبْعَثَ فِي المَحْشَرِ طَاهِرًا وَمُطَهَّرًا وَمَنْ لَمْ يُعَامَلْ بِهِ هَذِهِ المُعَامَلَةَ بَلْ أُخِّرَتْ مُؤَاخَذَتُهُ إِلَى الآخِرَةِ فَهُوَ عَيْنُ العَدْلِ وَلَكِنْ وَيْلٌ لِلعَاصِينَ وَالخَاطِئِينَ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَمَآلُهُ إِلَى الرَّحْمَةِ وَمَحْفُوظٌ مِنَ العَذَابِ الأَبَدِيِّ وَذَلِكَ أَيْضًا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ – عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –.

وَيَوْمَ القِيَامَةِ حَقٌّ وَتَكُونُ السَّمٰوَاتُ وَالكَوَاكِبُ وَالأَرْضُ وَالجِبَالُ وَالبِحَارُ وَالحَيَوَانَاتُ وَالنَّبَاتَاتُ وَالمَعَادِنُ مَعْدُومَةً وَمُتَلاَشِيَةً وَيَوْمَئِذٍ تَنْشَقُّ السَّمٰوَاتُ وَتَنْتَثِرُ الكَوَاكِبُ وَيَكُونُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ هَبَاءً مَنْثُورًا وَهَذَا الإِعْدَامُ وَالإِفْنَاءُ يَتَعَلَّقُ بِالنَّفْخَةِ الأُولَى وَبِالنَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ يَقُومُ الخَلاَئِقُ مِنْ قُبُورِهِمْ وَيَذْهَبُونَ إِلَى المَحْشَرِ.

وَالفَلاَسِفَةُ لاَ يُجَوِّزُونَ إِعْدَامَ السَّمٰوَاتِ وَالكَوَاكِبِ وَالفَنَاءَ وَالفَسَادَ لَهَا وَيَقُولُونَ بِأَزَلِيَّتِهَا وَأَبَدِيَّتِهَا وَمَعَ ذَلِكَ يَجْعَلُ المُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ زُمْرَةِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَيَأْتُونَ بِبَعْضِ أَحْكَامِ الإِسْلاَمِ يَعْنِي يَعْمَلُونَ بِهَا وَالعَجَبُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ أَنَّهُ كَيْفَ يُصَدِّقُ مِنْهُمْ هَذَا المَعْنَى وَيَعْتَقِدُهُمْ مُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ تَحَاشٍ.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ المُسْلِمِينَ يَعْتَقِدُ إِسْلاَمَ بَعْضٍ مِنْ هَذِهِ الجَمَاعَةِ كَامِلاً وَيَظُنُّ طَعْنَهُمْ وَتَشْنِيعَهِمْ مُنْكَرًا وَالحَالُ أَنَّهُمْ مُنْكِرُونَ عَلَى النُّصُوصِ القَطْعِيَّةِ وَإِجْمَاعَ الأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – قَالَ اللهُ تَعَالَى (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) وَقَالَ تَعَالَى (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) وَقَالَ تَعَالَى (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا) أَيْ شُقَّتْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي القُرْآنِ كَثِيرَةٌ أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُجَرَّدَ التَّفَوُّهِ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ غَيْرُ كَافٍ فِي الإِسْلاَمِ بَلْ لاَ بُدَّ مِنْ تَصْدِيقِ جَمِيعِ مَا عُلِمَ مَجِيئُهُ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ وَالتَّبَرِّي مِنَ الكُفْرِ وَلَوَازِمِهِ أَيْضًا حَتَّى يُتَصَوَّرَ الإِسْلاَمُ وَبِدُونِهِ خَرْطُ القَتَادِ.

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ وَالمِيزَانُ حَقٌّ وَالحِسَابُ حَقٌّ قَدْ أَخْبَرَ بِكُلٍ مِنْهَا المُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَاسْتِبْعَادُ بَعْضِ الجَاهِلِينَ بِطَوْرِ النُّبُوَّةِ وُجُودُ هَذِهِ الأُمُورِ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ فَإِنَّ طَوْرَ النُّبُوَّةِ وَرَاءَ طَوْرِ العَقْلِ وَتَطْبِيقُ جَمِيعِ أَخْبَارِ الأَنْبِيَاءِ الصَّادِقَةِ عَلَى نَظَرِ العَقْلِ وَالتَّوْفِيقِ بَيْنَهُمَا إِنْكَارٌ فِي الحَقِيقَةِ عَلَى طَوْرِ النُّبُوَّةِ وَالمُعَامَلَةُ هُنَاكَ إِنَّمَا هِيَ بِالتَّقْلِيدِ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ طَوْرَ النُّبُوَّةِ مُخَالِفٌ لِطَوْرِ العَقْلِ بَلْ لاَ يَقْدِرُ العَقْلُ أَنْ

يَهْتَدِيَ إِلى تلكَ المَطالب العَالِيَة بدُون تَأْييد تَقْليد الأَنْبياء – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – وَالمُخَالفَةُ غَيْرُ عَدَمِ الإِدْرَاك فَإِنَّ المُخَالفة إِنَّمَا تُتَصَوَّرُ بَعْدَ الإِدْرَاك.

وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَوْجُودَتَان تَدْخُل طَائفَةٌ الجَنَّةَ بَعْدَ المُحَاسَبَة يَوْمَ القِيامَة وَطَائفَةٌ تَدْخُل النَّارَ وَثَوابُ أَهْلِ الجَنَّة وَعِقابُ أَهْلِ النَّار أَبَدِيَّان لاَ يَنْقَطِعَان كَمَا دَلتْ عَلَيْه النُّصُوصُ القَطْعِيَّةُ المُؤَكَّدَةُ قَال صَاحِبُ الفُصُوص: مَآل الكُل إِلى الرَّحْمَة إِنَّ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُل شَيْء وَثَبَتَ العَذَابُ للكُفَّار إِلى ثُلثه أَحْقَابًا وَيَقُول ثُمَّ تَصِيرُ النَّارُ في حَقِّهِمْ بَرْدًا وَسَلاَمًا كَمَا كَانَتْ للخَليل عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَيَجُوزُ الخُلفُ في وَعِيده – سُبْحَانَهُ – وَيَقُول: لمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مِنْ أَرْبَاب القُلوب إِلى خُلود الكُفَّار في عَذَاب النَّار وَهُوَ قَدْ وَقَعَ في هَذه المَسْأَلة أَيْضًا بَعِيدًا عَن الصَّوَاب لمْ يَدْرِ أَنَّ سَعَةَ الرَّحْمَة وَعُمُومَهَا في حَقِّ المُؤْمنينَ وَالكَافرِينَ مَخْصُوصَةٌ بالدُّنْيا وَأَمَّا في الآخرَة فَلاَ تَصل رَائحَةُ الرَّحْمَة إِلى مَشَامِّ الكُفَّار كَمَا قَال اللهُ تَعَالى {إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ منْ رَوْحِ الله إِلاَّ القَوْمُ الكَافرُونَ} وَقَال تَعَالى بَعْدَ قَوْله – سُبْحَانَهُ – {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُل شَيْءٍ}، {فَسَأَكْتُبُهَا للذين يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالذينَ هُمْ بآيَاتنَا يُؤْمنُونَ} وَكَأَنَّ الشَّيْخَ قَرَأَ أَوَّل الآيَة وَتَرَكَ آخرَهَا وَليْسَ في قَوْله تَعَالى {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلفَ وَعْده رُسُلهُ } دَلالَةٌ عَلى خُصُوصيَّة عَدَم الجَوَاز بخُلف الوَعْد؛ لأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ الاقْتصَارُ هُنَا عَلى عَدَم خُلف الوَعْد بنَاءً عَلى أَنَّ المُرَادَ منَ الوَعْد هُنَا الوَعْدُ بتَصَرُّف الرُّسُل وَتَسلطهمْ عَلى الكُفَّار وَغَلبَتهمْ عَلَيْهمْ وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ للوَعْد وَالوَعيد جَميعًا وَعْدٌ للرُّسُل وَوَعيدٌ للكُفَّار فَدَلتْ هَذه الآيَةُ عَلى انْتفَاء خُلف الوَعْد وَخُلف الوَعيد جَميعًا فَالآيَةُ مُسْتَشْهَدٌ بهَا عَلَيْه لاَ لَهُ وَأَيْضًا أَنَّ الخُلفَ في الوَعيد كَالخُلف في الوَعْد مُسْتَلزمٌ للكَذب وَمَا لاَ يَليقُ به – سُبْحَانَهُ –؛ لأَنَّ حَقيقَةَ هَذَا القَوْل أَنَّ اللهَ تَعَالى عَلمَ في الأَزَل أَنَّهُ لاَ يُخَلدُ الكُفَّارُ في عَذَاب النَّار وَمَعَ ذَلكَ أَخْبَرَ بخلاَف علمه رعَايَةً لمَصلحَة وَقَال: أُعَذِّبُهُمْ بالعَذَاب المُخلد وَفي تَجَوُّزي هذا المَعْنَى شَنَاعَةٌ تَامَّةٌ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العزَّة عَمَّا يَصفُونَ وَسَلاَمٌ عَلى المُرْسَلينَ.

إِجْمَاعُ أَرْبَاب القُلوب عَلى عَدَم خُلود الكُفَّار في عَذَاب النَّار منْ كَشْفيَّات الشَّيْخ وَمَجَال الخَطَأ في الكَشْف كَثيرٌ فَلاَ اعْتدَادَ به مَعَ كَوْنه مُخَالفًا لإِجْمَاعِ المُسْلمينَ.

وَالمَلاَئكَةُ عبَادُ الله – سُبْحَانَهُ – مَعْصُومُونَ منَ العصْيَان وَمَحْفُوظُونَ منَ الخَطَأ وَالنِّسْيَان لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلونَ مَا يُؤْمَرُونَ لاَ يَأْكُلونَ وَلاَ

يَشْرَبُونَ لاَ يُوصَفُونَ بِذُكُورَةٍ وَلاَ أُنُوثَةٍ فَهُمْ مُبَرَّؤُنَ عَنْهُمَا وَمُنَزَّهُونَ وَتَذْكِيرُ الضَّمَائِرِ الرَّاجِعَةِ إِلَيْهِمْ فِي القُرْآنِ المَجِيدِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ شَرَفِ صِنْفِ الذُّكُورِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صِنْفِ الإِنَاثِ كَمَا أَوْرَدَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - الضَّمَائِرَ الرَّاجِعَةَ إِلَى نَفْسِهِ مُذَكَّرَةً وَقَدِ اصْطَفَى الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - بَعْضَهُمْ لِلرِّسَالَةِ كَمَا شَرَّفَ بَعْضَ الإِنْسَانِ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ.

وَجُمْهُورُ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ عَلَى أَنَّ خَوَاصَّ البَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ خَوَاصِّ المَلاَئِكَةِ وَقَالَ الإِمَامُ الغَزَالِيُّ وَإِمَامُ الحَرَمَيْنِ وَصَاحِبُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ بِأَفْضَلِيَّةِ خَوَاصِّ المَلاَئِكَةِ مِنْ خَوَاصِّ البَشَرِ وَمَا ظَهَرَ لِهَذَا الفَقِيرِ إِنَّ وِلاَيَةَ المَلَكِ أَفْضَلُ مِنْ وِلاَيَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلَكِنْ فِي النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ دَرَجَةٌ لِلأَنْبِيَاءِ لَمْ يَبْلُغْهَا مَلَكٌ قَطُّ وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ نَاشِئَةٌ مِنْ جِهَةِ العُنْصُرِ التُّرَابِيِّ الَّذِي هُوَ مَخْصُوصٌ بِالبَشَرِ وَظَهَرَ أَيْضًا لِهَذَا الفَقِيرِ أَنَّ كَمَالاَتِ الوِلاَيَةِ لاَ اعْتِدَادَ بِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ وَلَيْتَ لَهَا حُكْمَ القَطْرِ. بِالنِّسْبَةِ إِلَى البَحْرِ المُحِيطِ فَالمَزِيَّةُ النَّاشِئَةُ مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ تَكُونُ زَائِدَةً بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ عَلَى المَزِيَّةِ النَّاشِئَةِ مِنْ طَرِيقِ الوِلاَيَةِ فَالأَفْضَلِيَّةُ عَلَى الإِطْلاَقِ ثَابِتَةٌ لِلأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالفَضْلُ الجُزْئِيُّ لِلمَلاَئِكَةِ الكِرَامِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فَالصَّوَابُ مَا قَالَهُ الجُمْهُورُ مِنَ العُلَمَاءِ الأَعْلاَمِ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ يَوْمَ القِيَامِ.

فَلاَحَ مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ أَنَّهُ لاَ يَبْلُغُ وَلِيٌّ قَطُّ دَرَجَةَ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ بَلْ يَكُونُ رَأْسُ الوَلِيِّ تَحْتَ قَدَمِ نَبِيٍّ عَلَى الدَّوَامِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ مَا مِنْ مَسْأَلَةٍ اخْتَلَفَ فِيهَا العُلَمَاءُ وَالصُّوفِيَّةُ إِلاَّ إِذَا لُوحِظَ فِيهَا حَقُّ المُلاَحَظَةِ يُوجَدُ الحَقُّ فِيهَا فِي جَانِبِ العُلَمَاءِ وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ نَظَرَ العُلَمَاءِ بِوَاسِطَةِ مُتَابَعَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ نَافِذٌ إِلَى كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ وَعُلُومِهَا، وَنَظَرُ الصُّوفِيَّةِ مَقْصُورٌ عَلَى كَمَالاَتِ الوِلاَيَةِ وَمَعَارِفِهَا فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ العِلْمُ المَأْخُوذُ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ أَصْوَبَ وَأَصَحَّ مِنَ العِلْمِ المَأْخُوذِ مِنْ مَرْتَبَةِ الوِلاَيَةِ.

وَتَحْقِيقُ بَعْضِ هَذِهِ المَعَارِفِ مُنْدَرِجٌ فِي المَكْتُوبِ المَسْطُورِ بِاسْمِ وَلَدِي الأَرْشَدِ فَإِنْ بَقِيَ هُنَا شَيْءٌ مِنَ الخُلَفَاءِ فَلْيُرَاجَعْ هُنَاكَ.

وَالإِيمَانُ عِبَارَةٌ عَنْ تَصْدِيقٍ قَلْبِيٍّ بِمَا بَلَغَنَا مِنَ الدِّينِ بِطَرِيقِ الضَّرُورَةِ وَالتَّوَاتُرِ وَقَالُوا: الإِقْرَارُ اللِّسَانِيُّ أَيْضًا رُكْنٌ مِنَ الإِيمَانِ مُحْتَمِلٌ لِلسُّقُوطِ وَعَلاَمَةُ هَذَا التَّصْدِيقِ التَّبَرِّي مِنَ الكُفْرِ وَالتَّجَنُّبُ عَنْ لَوَازِمِهِ وَخَصَائِصِهِ وَكُلَّمَا هُوَ مِنْ فِعْلِ الكُفَّارِ كَشَدِّ الزُّنَّارِ وَأَمْثَالِهِ فَإِنْ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنَ الكُفْرِ عِيَاذًا بِاللهِ - سُبْحَانَهُ - مَعَ دَعْوَى التَّصْدِيقِ ظَهَرَ أَنَّهُ مُتَّسِمٌ بِسِمَةِ الارْتِدَادِ وَحُكْمُهُ فِي الحَقِيقَةِ حُكْمُ المُنَافِقِ لاَ

إلى هَؤُلاَءِ وَلاَ إلى هَؤُلاَءِ فَلاَ بُدَّ إذًا في تَحَقُّقِ الإيمَان مِنَ التَّبَرِّي مِنَ الكُفْرِ وَأَدْنَى هَذَا التَّبَرِّي قَلبِيٌّ وَأَعْلاَهُ التَّبَرِّي بِحَسَبِ القَلبِ وَالقَالبِ.

وَالتَّبَرِّي عِبَارَةٌ عَنْ مُعَادَاةِ أَعْدَاءِ الحَقِّ – جَل وَعَلاَ – سَوَاءٌ كَانَتْ هَذه المُعَادَاةُ بالقَلب فَقَطْ كَمَا إذَا خِيفَ مِنْ ضَرَرِهِمْ أَوْ بالقَلب وَالقَالب مَعًا إذَا لَمْ يَكُنْ ضَرَرُ الخَوْف وَقَوْلُهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِد الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) مُؤَيِّدٌ لهَذَا المَعْنَى فَإنَّ مَحَبَّةَ الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – وَمَحَبَّةَ رَسُوله عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ تُتَصَوَّرُ بِدُونِ مُعَادَاةِ أَعْدَاءِ الله وَرَسُوله، (ع):

وَلَيْسَ مُحِبِّي مَنْ يُحِبُّ أَعَادِيَا

وَإجْرَاءُ الشِّيعَةِ الشَّنِيعَةِ هَذه القَضِيَّةَ في مُوَالاَةِ أَهْلِ البَيْت وَجَعْلهُمُ التَّبَرِّيَ مِنَ الخُلفَاءِ الثَّلاَثَة وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَة شَرْطًا لَهَا غَيْرُ مُنَاسِب فَإنَّ التَّبَرِّيَ الذي هُوَ مِنْ شَرْط مُوَالاَةِ الأَحْبَاب هُوَ التَّبَرِّي مِنَ الأَعْدَاءِ لاَ مُطْلَقُ التَّبَرِّي عَمَّنْ سِوَاهُمْ لاَ يُجَوِّزُ عَاقِلٌ مُنْصِفٌ كَوْنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ – عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – أَعْدَاءً فَإنَّ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرَ بَذَلُوا أَمْوَالهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ في مَحَبَّته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَتَرَكُوا الجَاهَ وَالرِّيَاسَةَ فَكَيْفَ يَجُوزُ نسْبَةُ عَدَاوَة أَهْلِ البَيْت إلَيْهِمْ وَلزُومُ مَحَبَّةِ أَهْلِ بَيْته – عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – ثَابِتٌ بِالنَّصِّ القَطْعِيِّ وَجُعِلَتْ مَحَبَّتُهُمْ أُجْرَةَ الدَّعْوَة (قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ في القُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنَى) وَإبْرَاهِيمُ الخَلِيل – عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – إنَّمَا نَال مِنَ الدَّرَجَة القُصْوَى وَصَارَ أَصْل شَجَرَة النُّبُوَّة بوَاسطَة تَبَرِّيه مِنْ أَعْدَائه تَعَالَى قَال اللهُ تَعَالَى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إذْ قَالُوا لقَوْمِهِمْ إنَّا بُرَآءُ منْكُمْ وَممَّا تَعْبُدُونَ منْ دُون الله كَفَرْنَا بكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بالله وَحْدَهُ)

وَلاَ عَمَل مِنَ الأَعْمَال في نَظَرِ هَذَا الفَقِير أَفْضَل مِنْ هَذَا التَّبَرِّي في حُصُول رضَا الحَقِّ – جَل وَعَلاَ – وَإنَّ للحَقِّ – سُبْحَانَهُ – وَتَعَالى عَدَاوَةً ذَاتيَّةً مَعَ الكُفْر وَالكَفَرَة وَالآلهَة البَاطلة الآفَاقيَّة مثْل اللاَّت وَالعُزَّى، وَعَبَدَتُهَا أَعْدَاءُ الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – بالذَّات وَالخُلودُ في النَّار جَزَاءُ هَذَا العَلم الشَّنيع وَهَذه الحَالةُ مَفْقُودَةٌ في الآلهَة البَاطلة الأَنْفُسيَّة وَسَائر الأَعْمَال السَّيِّئَة فَإنَّ العَدَاوَةَ وَالغَضَبَ بالنِّسْبَة إلى هَذه المَذْكُورَات لَيْسَتْ بذَاتيَّة فَإنْ كَانَ هُنَاكَ غَضَبٌ فَهُوَ رَاجعٌ إلى الصِّفَات وَإنْ كَانَ عقَابٌ أَوْ عتَابٌ فَهُوَ رَاجعٌ إلى الأَفْعَال وَلهَذَا لَمْ يَكُنْ الخُلودُ في النَّار جَزَاءَ هَذه السَّيِّئَات بَل جَعَل الحَقُّ – سُبْحَانَهُ – مَغْفرَتَهُمْ مَنُوطَةً بمَشيئَته.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا تَحَقَّقَ العَدَاوَةُ الذَّاتِيَّةُ فِي حَقِّ الكُفْرِ وَالكُفَّارِ وَامْتَنَعَ أَنْ تَشْمَلَ الرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ اللَّتَان هُمَا مِنْ صِفَاتِ الجَمَال فِي الآخِرَةِ الكُفَّارَ وَأَنْ تَرْفَعَ صِفَةُ الرَّحْمَة العَدَاوَةَ الذَّاتِيَّةَ فَإِنَّ المُتَعَلِّقَ بِالصِّفَة فَمُقْتَضَى الصِّفَاتِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُبَدِّل وَيُغَيِّرَ مُقْتَضَى الذَّاتِ وَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيث القُدْسِيِّ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي فَالمُرَادُ بِالغَضَب فِيهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الغَضَبَ الصِّفَاتِيَّ الَّذِي هُوَ مَقْصُورٌ عَلَى عُصَاة المُؤْمِنِينَ لاَ الغَضَبَ المَخْصُوصَ بِالمُشْرِكِينَ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ لِلكُفَّارِ نَصِيبًا مِنَ الرَّحْمَة فِي الدُّنْيَا كَمَا حَقَّقْتُه فِيمَا سَبَقَ فَكَيْفَ تَكُونُ صِفَةُ الرَّحْمَة فِي الدُّنْيَا رَافِعَةً لِلعَدَاوَة الذَّاتِيَّة ؟

أُجِيبُ أَنَّ حُصُولَ الرَّحْمَة لِلكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَار الظَّاهِر وَالصُّورَة وَأَمَّا فِي الحَقِيقَة فَهُوَ اسْتِدْرَاجٌ وَمَكِيدَةٌ فِي حَقِّهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (أَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَات بَل لاَ يَشْعُرُونَ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شَاهِدٌ لِهَذَا المَعْنَى فَلْيُفْهَمْ.

فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ

إِنَّ عَذَابَ النَّارِ الأَبَدِيَّ جَزَاءُ الكُفْرِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ شَخْصًا مَعَ وُجُودِ الإِيمَانِ يُجْرِي رُسُومَ الكُفْرِ وَيُعَظِّمُ مَرَاسِمَ أَهْلِ الكُفْرِ وَيَحْكُمُ العُلَمَاءُ بِكُفْرِهِ وَيَعُدُّونَهُ مِنْ أَهْلِ الارْتِدَادِ بِفِعْلِهِ كَمَا أَنَّ أَكْثَرَ مُسْلِمِي الهُنُودِ مُبْتَلَوْنَ بِهَذِهِ البَلِيَّةِ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ مُعَذَّبًا فِي الآخِرَةِ بِالعَذَابِ الأَبَدِيِّ بِمُقْتَضَى فَتْوَى العُلَمَاءِ وَالحَالُ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الأَخْبَارِ الصِّحَاحِ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ يَخْرُجُ مِنَ النِّيرَانِ وَلاَ يَخْلُدُ فِي العَذَابِ فَمَا تَحْقِيقُ هَذِهِ المَسْأَلَةِ عِنْدَكَ ؟

أَقُولُ: إِنْ كَانَ كَافِرًا مَحْضًا فَنَصِيبُهُ العَذَابُ المُخَلَّدُ أَعَاذَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ مَعَ وُجُودِ إِتْيَانِ مَرَاسِمِ الكُفْرِ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ وَلَكِنَّ المَرْجُوَّ خَلاَصَةٌ مِنَ الخُلُودِ فِي النَّارِ بِبَرَكَةِ تِلْكَ الذَّرَّةِ مِنَ الإِيمَانِ وَنَجَاتُهُ مِنْ دَوَامِ الاسْتِقْرَارِ فِي عَذَابِ النِّيرَانِ وَقَدْ ذَهَبْتُ مَرَّةً لِعِيَادَةِ شَخْصٍ قَدْ قَرُبَ مِنَ الاحْتِضَارِ وَلَمَّا كُنْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى حَالِهِ رَأَيْتُ قَلْبَهُ فِي ظُلُمَاتٍ شَدِيدَةٍ وَكُلَّمَا كُنْتُ مُتَوَجِّهًا لِرَفْعِ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ لَمْ تُرْفَعْ

فَعُلِمَ بَعْدَ تَوَجُّهٍ كَثِيرٍ أَنَّ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ نَاشِئَةٌ مِنْ صِفَةِ الكُفْرِ الَّتِي هِيَ مَكْنُونَةٌ فِيهِ وَمَنْشَأُ تِلْكَ الكُدُورَاتِ هُوَ مُوَالاَتُهُ أَهْلَ الكُفْرِ وَبَانَ لِي أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي التَّوَجُّهُ لِدَفْعِ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ فَإِنَّ تَنْقِيَتَهُ مِنْهَا مَرْبُوطَةٌ بِعَذَابِ النَّارِ الَّذِي هُوَ جَزَاءُ الكُفْرِ.

وَعُلِمَ أَيْضًا أَنَّ فِيهِ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ وَلَمَّا شَاهَدْتُ فِيهِ هَذَا الحَالَ وَقَعَ فِي خَاطِرِي أَنَّهُ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ أَوْ لاَ ؟

فَظَهَرَ بَعْدَ التَّوَجُّهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ فَالمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يُجْرُونَ رُسُومَ أَهْلِ الكُفْرِ مَعَ وُجُودِ الإِيمَانِ وَيُعَظِّمُونَ أَيَّامَهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِمْ وَلاَ يَنْبَغِي إِلْحَاقُهُمْ بِالكُفَّارِ كَمَا هُوَ عَمَلُ اليَوْمِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُرْجَى نَجَاتُهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَبَدِيِّ آخِرَ الأَمْرِ فَعُلِمَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ لاَ عَفْوَ عَنْ أَهْلِ الكُفْرِ وَلاَ مَغْفِرَةَ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) فَإِنْ كَانَ كَافِرًا صِرْفًا فَجَزَاءُ كُفْرِهِ العَذَابُ الأَبَدِيُّ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَعَ فُجُورِهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ أَيْضًا فَجَزَاؤُهُ العَذَابُ المُوَقَّتُ وَفِي سَائِرِ الكَبَائِرِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى غَفَرَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَعِنْدَ الفَقِيرِ إِنَّ عَذَابَ النَّارِ مَخْصُوصٌ بِالكُفْرِ وَصِفَاتُ الكُفْرِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ العَذَابُ مُؤَقَّتًا أَوْ مُخَلَّدًا أَوْ مُؤَبَّدًا كَمَا سَيَجِيءُ تَحْقِيقُهُ.

وَصِفَاتُ الكُفْرِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ العَذَابُ مُؤَقَّتًا أَوْ مُخلدًا أَوْ مُؤَبَّدًا كَمَا سَيَجِيءُ تَحْقِيقُه.

وَأَمَّا أَهْلُ الكَبَائِرِ الذينَ لَمْ يُوَفَّقُوا للتَّوْبَةِ فَيغْفِرُ بهَا ذُنُوبَهُمْ وَلَمْ يَنَالوا الشَّفَاعَةَ وَمُجَرَّدُ العَفْوِ وَالإِحْسَانِ وَلَمْ تُكَفَّرْ كَبَائِرُهُمْ أَيْضًا بِآلاَمِ الدُّنْيَوِيَّة وَمحَنهَا أَوْ بِشَدَائِد سَكَرَاتِ المَوْتِ فَالمَرْجُوُّ أَنْ يَكْتَفِيَ فِي تَعْذِيبِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ بِعَذَابِ القَبْرِ وَفِي أُخْرَى مِنْهُمْ مَعَ وُجُود محَنِ القَبْرِ بِأَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَشَدَائِدِهَا وَأَنْ لاَ تَبْقَى ذُنُوبُهُمْ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلى عَذَابِ النَّارِ وَقَوْلُهُ تَعَالى {الذينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلبِسُوا إِيمَانَهُمْ بظُلمٍ أُولئكَ لهُمُ الأَمْنُ} الآيَة، مُؤَيِّدٌ لهَذَا المَعْنَى فَإِنَّ المُرَادَ بالظُّلمِ هُنَا الشِّرْكُ وَاللهُ – سُبْحَانَهُ – أَعْلَمُ بحَقَائِقِ الأُمُورِ كُلهَا.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ وَرَدَ الوَعِيدُ بِعَذَابِ النَّارِ فِي جَزَاءِ بَعْضِ السَّيِّئَاتِ غَيْرِ الكُفْرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) وَوَرَدَ فِي الأَخْبَارِ مَنْ قَضَى صَلاَةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا بَقِيَ فِي النَّارِ حُقُبًا فَلَمْ يَكُنْ عَذَابُ النَّارِ مَخْصُوصًا بالكُفَّارِ.

أَقُولُ: مَا وَرَدَ فِي القَاتِلِ فَهُوَ مَخْصُوصٌ بِمُسْتَحِلِ القَتْلِ وَمُسْتَحِلُ القَتْلِ كَافِرٌ كَمَا ذَكَرَهُ المُفَسِّرُونَ وَمَا وَرَدَ فِي السَّيِّئَاتِ غَيْرُ الكُفْرِ مِنَ الوَعِيدِ بعَذَابِ النَّارِ فَلاَ تَخْلوا تلكَ السَّيِّئَاتُ مِنْ شَائِبَةِ صِفَةِ التَّكَفُّرِ مِثْلِ اسْتِخْفَافِ تِلكَ السَّيِّئَةِ وَاسْتِصْغَارِهَا وَعَدَمِ المُبَالاَةِ بِإِتْيَانِهَا وَاسْتِحْقَارِ الأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ وَنَوَاهِيهَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ: شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي.

وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لاَ عَذَابَ عَلَيْهَا فِي الآخِرَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى (الذينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلبِسُوا إِيمَانَهُمْ بظُلمٍ أُولئكَ لهُمُ الأَمْنُ} الآيَةَ، مُؤَيِّدٌ لهَذَا المَعْنَى كَمَا مَرَّ وَأَحْوَالِ أَطْفَالِ المُشْرِكِينَ وَمَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ الجَبَلِ وَمُشْرِكِي زَمَنِ الفَتْرَةِ مَسْطُورَةٌ فِي المَكْتُوبِ الذي كَتَبْتُهُ لوَلدِي مُحَمَّد سَعِيدٍ بالتَّفْصِيلِ فَليُرَاجَعْ هُنَاكَ.

وَفِي زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَعَدمِهِمَا اخْتِلاَفٌ بَيْنَ العُلمَاءِ قَالَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ أَبُو حَنِيفَةَ ﵁: الإِيمَانُ لاَ يَزِيدُ وَلاَ يَنْقُصُ.

وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ﵁: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. وَلاَ شَكَّ أَنَّ الإِيمَانَ عِبَارَةٌ عَنْ تَصْدِيقٍ وَيَقِينٍ قَلبِيٍّ وَلاَ يُتَصَوَّرُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ وَالذي يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الظَّنِّ لاَ اليَقِينِ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ إِتْيَانَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُورِثُ جَلاَءَ ذَلِكَ اليَقِينِ وَصَفَاءَهُ وَإِتْيَانُ الأَعْمَالِ غَيْرِ المَرْضِيَّةِ يُكَدِّرُهُ وَيُظْلِمُ ضِيَاءَهُ فَالزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ

بحَسَب إتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة وَضدِّهَا رَاجعَان إلى جَلاَء اليَقين لاَ إلى النَّفْس اليَقين وَلَمَّا وَجَدَ طَائفَةٌ جلاَءً وَصَفَاءً في يَقينهمْ قَالوا بزيَادَته بالنِّسْبَة إلى يَقين لَيْسَ فيه ذَلكَ الجلاَءُ وَالصَّفَاءُ وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا اليَقينَ الذي لاَ جَلاَءَ فيه يَقينًا بَلْ اعْتَقَدُوا أَنَّ اليَقينَ هُوَ اليَقينُ الذي لَهُ جَلاَءٌ فَقَطْ دُونَ غَيْره فَقَالوا لذَاكَ نَاقصًا.

وَأَمَّا الذينَ فيهمْ حدَّةُ النَّظَر فَلمَّا رَأَوْا أَنَّ تلكَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ رَاجعَان إلى وَصْف اليَقين لاَ إلى نَفْس اليَقين لَمْ يَقُولوا بزيَادَة اليَقين وَنُقْصَانه بالضَّرُورَة وَمثل ذَلكَ كَمَثَل المرْآتيْن المُسَاويَتَيْن في الصِّغَر وَالكبَر المُتَفَاوتَتَيْن بحَسَب الجلاَء وَالنُّورَانيَّة فَرآهُمَا شَخْصٌ وَقَال للتي جَلاَؤُهَا أَكْثَرُ إنَّهَا أَزْيَدُ وَأَكْبَرُ منَ الأُخْرَى التي لَيْسَ فيهَا ذَلكَ الجلاَءُ وَقَال شَخْصٌ آخَرُ: المرْآتَان مُتَسَاويَتَان لاَ زيَادَةَ لأَحَدَيْهمَا عَلَى الأُخْرَى وَلاَ نُقْصَانَ وَالتَّفَاوُتُ إنَّمَا هُوَ في الجلاَء وَالإرَاءَة اللذَيْن هُمَا منْ صفَات المرْآة فَنَظَرُ الشَّخْص الثَّاني صَائبٌ وَنَافذٌ إلى حَقيقَة الشَيْء وَنَظَرُ الأَوَّل مَقْصُورٌ عَلَى الظَّاهر لَمْ يُجَاوزْ منَ الصِّفَات إلى الذَّات (يَرْفَعُ اللهُ الذينَ آمَنُوا منْكُمْ وَالذينَ أُوتُوا العلمَ دَرَجَات)

وَبهَذَا التَّحْقيق الذي وُفِّقَ هَذَا الفَقيرُ لإظْهَاره انْدَفَعَ اعْترَاضَاتُ المُخَالفينَ عَلَى القَوْل بعَدَم زيَادَة الإيمَان وَنُقْصَانه وَلَمْ يَلزَمْ كَوْنُ إيمَان عَامَّة المُؤْمنينَ مُمَاثلاً وَمُسَاويًا لإيمَان الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ منْ جَميع الوُجُود فَإنَّ إيمَانَ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَمُ لَهُ جَلاَءٌ تَامٌّ وَنُورَانيَّةٌ وَلَهُ ثَمَرَاتٌ وَنَتَائجُ زَائدَةٌ بأَضْعَاف مُضَاعَفَة عَلَى إيمَان عَامَّة المُؤْمنينَ الذي فيه ظُلَمَاتٌ وَكُدُورَاتٌ عَلَى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ. وَكَذَا يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بزيَادَة إيمَان أَبي بَكْر ﵁ في الوَزْن عَلى إيمَان هَذه الأُمَّة زيَادَتَهُ باعْتبَار الجلاَء وَالنُّورَانيَّة بإرْجَاع الزِّيَادَة إلى الصِّفَة الكَاملة أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَنْبيَاءَ عَلَيْهمُ السَّلاَمُ وَعَامَّةَ النَّاس مُتَسَاوُونَ في نَفْس الإنْسَانيَّة وَالكُل مُتَّحدُونَ في الحَقيقَة وَالذَّات.

وَالتَّفَاضُل فيمَا بَيْنَهُمْ إنَّمَا هُوَ باعْتبَار الصِّفَات الكَاملة وَالذي لَيْسَ لَهُ صفَةٌ كَاملةٌ كَأَنَّهُ خَارجٌ منْ نَوْع الإنْسَان وَمَحْرُومٌ منْ فَضَائله وَمَعَ وُجُود هَذَا التَّفَاوُت لَمْ يَتَطَرَّقْ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانُ إلى نَفْس الإنْسَانيَّة وَلاَ يَصحُّ أَنْ يُقَال: إنَّ الإنْسَانيَّةَ في أَفْرَاد الإنْسَان قَابلةٌ للزِّيَادَة وَالنُّقْصَان وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلهمُ للصَّوَاب.

وَأَيْضًا إنَّهُمْ قَالوا إنَّ التَّصْديقَ الإيمَانيَّ عنْدَ البَعْض هُوَ التَّصْديقُ المَنْطقيُّ الذي هُوَ شَامل للظَّنِّ وَاليَقين فَعَلى هَذَا التَّقْدير يُمْكنُ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ في نَفْس

الإِيْمَان لكنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ المُرَادَ بِالتَّصْدِيقِ هُنَا اليَقِينُ وَالإِذْعَانُ القَلبِيُّ لاَ المَعْنَى العَامُّ الشَّامِلِ لِلظَّنِّ وَالوَهْمِ.

قَال الإِمَامُ الأَعْظَمُ: أَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا وَقَال الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَنِزَاعُهُمَا فِي الحَقِيقَة لفظيٌّ مَذْهَبُ الأَوَّل بِاعْتِبَار الزَّمَان الحَال وَمَذْهَبُ الثَّانِي بِاعْتِبَار المَآل وَعَاقِبَة الأَحْوَال وَلكنَّ التَّحَاشِي مِنْ صُورَةِ الاِسْتِثْنَاء أَوْلَى وَأَحْوَطُ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى المُنْصِف.

وَكَرَامَاتُ أَوْلِيَاء الله تَعَالَى حَقٌّ وَمِنْ كَثْرَةِ وُقُوعِ خَوَارِقِ العَادَات مِنْهُمْ صَارَ هَذَا المَعْنَى عَادَةً مُسْتَمِرَّةً لَهُمْ وَمُنْكِرُهَا مُنْكِرٌ عَلَى العِلم العَادِيِّ وَالضَّرُورِيِّ وَلاَ اشْتِبَاهَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُعْجِزَةِ النَّبِيِّ فَإِنَّ مُعْجِزَةَ النَّبِيِّ مَقْرُونَةٌ بِدَعْوَى النُّبُوَّة،

وَكَرَامَاتُ الوَلِيِّ خَالِيَةٌ عَنْ هَذَا المَعْنَى بَل هِيَ مَقْرُونَةٌ بِالإِقْرَارِ وَالاعْتِرَافِ بِمُتَابَعَة نَبِيٍّ فَأَنَّى الاشْتِبَاهُ بَيْنَهُمَا كَمَا زَعَمَهُ المُنْكِرُون.

وَتَرْتِيبُ الأَفْضَلِيَّة بَيْنَ الخُلفَاء الرَّاشِدِينَ عَلى تَرْتِيب خِلاَفَتِهِمْ وَلكنْ أَفْضَلِيَّةُ الشَّيْخَيْنِ ثَابِتَةٌ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ كَمَا نَقَلتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّة الدِّينِ أَحَدُهمْ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ﷺ قَال الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ:

إِنَّ فَضْل أَبِي بَكْر ثُمَّ عُمَرَ عَلى بَقِيَّة الأُمَّة قَطْعِيٌّ قَال الذَّهَبِيُّ: وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْ عَلِيٍّ فِي خِلاَفَتِه وَكُرْسِيِّ مَمْلَكَتِه، وَبَيْنَ الجَمِّ وَالغَفِير مِنْ شِيعَتِه أَنَّ أَبَا بَكْر وَعُمَرَ أَفْضَلُ الأُمَّة. ثُمَّ قَال وَرَوَاهُ عَنْ عَلِيٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ نَفْسًا وَعَدَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ثُمَّ قَال: فَقَبَّحَ اللهُ الرَّوَافِضَ مَا أَجْهَلَهُمْ وَرَوَى البُخَارِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَال: خَيْرُ النَّاس بَعْدَ النَّبِيِّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَبُو بَكْر ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ رَجُل آخَرُ فَقَال ابْنُهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الحَنَفِيَّة ثُمَّ أَنْتَ فَقَال إِنَّمَا أَنَا رَجُل مِنَ المُسْلمِينَ وَصَحَّحَ الذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَال: أَلاَ وَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً يُفَضِّلُونَنِي عَلَيْهِمَا وَمَنْ وَجَدْتُهُ يُفَضِّلنِي عَلَيْهِمَا فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَيْه مَا عَلَى المُفْتَرِي.

وَأَمْثَال ذَلكَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِه مِنَ الصَّحَابَة مُتَوَاتِرَةٌ بِحَيْثُ لاَ مَجَال فِيهَا لإِنْكَار أَحَد حَتَّى قَال عَبْدُ الرَّزَّاق عَنْ أَكَابِرِ الشِّيعَة: أَفْضَل الشَّيْخَيْنِ لِتَفْضِيل عَلِيٍّ إِيَّاهُمَا عَلَى نَفْسه وَإِلاَّ لَمَا فَضَّلتُهُمَا كَفَة بِي وِزْرًا أَنْ أُحِبَّهُ ثُمَّ أُخَالِفَهُ كُل ذَلكَ مُسْتَفَادٌ مِنَ الصَّوَاعِق وَأَمَّا تَفْضِيل عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ فَأَكْثَرُ عُلمَاء أَهْل السُّنَّة عَلَى أَنَّ الأَفْضَل بَعْدَ الشَّيْخَيْنِ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ وَمَذْهَبُ الأَئِمَّة الأَرْبَعَةِ المُجْتَهِدِينَ أَيْضًا هُوَ هَذَا وَالتَّوَقُّفُ المَنْقُول عَنِ الإِمَامِ مَالك فِي أَفْضَلِيَّة عُثْمَانَ

عَلى عَليٍّ فَقَدْ قَال القاضِي عِيَاضٌ: إِنَّهُ رَجَعَ عَنْ هَذَا التَّوَقُّفِ إِلى تَفْضِيلِ عُثْمَانَ وَقَال القُرْطُبِيُّ:

وَهُوَ الأَصَحُّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَكَذَلِكَ التَّوَقُّفُ المَفْهُومُ مِنْ عِبَارَةِ الإِمَامِ الأَعْظَمِ أَعْنِي قَوْلَهُ مِنْ عَلاَمَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ تَفْضِيلُ الشَّيْخَيْنِ وَمَحَبَّةُ الخَتَنَيْنِ وَلاخْتِيَارِه هَذه العِبَارَةَ عِنْدَ الفَقِيرِ مَحْمَلٌ آخرُ وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ ظُهُورُ الفِتَنِ وَالاخْتِلاَلِ فِي أُمُورِ النَّاسِ فِي زَمَنِ خِلاَفَةِ الخَتَنَيْنِ وَحُدُوثُ الكُدُورَاتِ مِنْ هَذه الجِهَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ اخْتَارَ الإِمَامُ لَفْظَ المَحَبَّةِ فِي حَقِّهِمَا مُلاَحِظًا لِهَذَا المَعْنَى وَجَعَلَ مَحَبَّتَهُمَا مِنْ عَلاَمَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلاَحِظَ فِيهَا شَائِبَةَ التَّوَقُّفِ كَيْفَ وَكُتُبُ الحَنَفِيَّةِ مَشْحُونَةٌ بِأَنَّ أَفْضَلِيَّتَهُمْ عَلى تَرْتِيبِ خِلاَفَتِهِمْ وَبِالجُمْلَةِ إِنَّ أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ يَقِينِيَّةٌ وَأَفْضَلِيَّةَ عُثْمَانَ دُونَهُمَا وَلَكِنَّ الأَحْوَطَ أَنْ لاَ نُكَفِّرَ مُنْكِرًا فَضْلِيَّةَ عُثْمَانَ بَل أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ بَل نَقُول:

إِنَّهُ مُبْتَدِعٌ وَضَال فَإِنَّ لِلعُلَمَاءِ اخْتِلاَفًا فِي تَكْفِيرِه وَفِي قَطِيعَةِ هَذَا الإِجْمَاعِ قِيل وَقَالَ وَذَلِكَ المُنْكِرُ قَرِينُ يَزِيدَ الخَائِبِ المَخْذُولِ وَقَدْ تَوَقَّفُوا فِي لَعْنِه احْتِيَاطًا وَالإِيذَاءُ الذي يُصِيبُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ جِهَةِ إِيذَاءِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ كَالإِيذَاءِ الذي أَصَابَهُ ﷺ مِنْ جُمْلَةِ إِيذَاءِ سِبْطَيْه قَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَى اللهَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَمَا عَدَّهُ مَوْلاَنَا سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيُّ فِي شَرْحِ عَقَائِدِ النَّسَفِيِّ إِنْصَافًا فِي هَذه الأَفْضَلِيَّةِ بَعِيدٌ عَنِ الإِنْصَافِ وَالتَّرْدِيدِ الذي ذَكَرَهُ فِيه لاَ حَاصِلَ فِيه؛ لأَنَّ المُقَرَّ عِنْدَ العُلَمَاءِ أَنَّ المُرَادَ بِالأَفْضَلِيَّةِ هُنَا بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ الثَّوَابِ عِنْدَ اللهِ - جَلَ وَعَلاَ - لاَ الأَفْضَلِيَّةُ التي هِيَ بِمَعْنَى كَثْرَةِ ظُهُورِ المَنَاقِبِ وَالفَضَائِلِ مَا لَمْ يُنْقَل مِثْلُهُ عَنْ صَحَابِيٍّ غَيْرِه حَتَّى قَال الإِمَامُ أَحْمَدُ: مَا جَاءَ لأَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الفَضَائِلِ مَا جَاءَ لِعَلِيٍّ وَمَعَ ذَلِكَ حَكَمَ هُوَ بِأَفْضَلِيَّةِ الخُلَفَاءِ الثَّلاَثِ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ وَجْهَ الأَفْضَلِيَّةِ شَيْءٌ آخرُ وَرَاءَ هَذه الفَضَائِلِ وَالمَنَاقِبِ وَالاطِّلاَعُ عَلَيْهَا إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ لِمَنْ أَدْرَكُوا زَمَانَ الوَحْيِ وَشَاهَدُوهُ حَتَّى عَلِمُوهَا بِالتَّصْرِيحِ أَوْ بِالقَرَائِنِ وَهُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَمَا قَال شَارِحُ العَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ إِنَّهُ لَوْ كَانَ المُرَادُ بِالأَفْضَلِيَّةِ كَثْرَةَ الثَّوَابِ فَلِلتَّوَقُّفِ جِهَةٌ سَاقِطٌ عَنِ الاعْتِبَارِ؛ لأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلتَّوَقُّفِ مَجَال لَوْ لَمْ يُعْلَمِ الأَفْضَلِيَّةُ مِنْ قِبَلِ صَاحِبِ الشَّرْعِ صَرَاحَةً أَوْ دَلاَلَةً وَحَيْثُ عُلِمَ فَعَلَى مَا يَتَوَقَّفُ وَإِنْ

لَمْ يَعْلَمْ فَلَمْ يَحْكُمْ بِالأَفْضَلِيَّةِ وَالذي يَرَى الكُل مُتَسَاوِيَةً وَيَزْعُمُ تَفْضِيل أَحَدهمْ عَلَى الآخَرِ فُضُولاً فَهُوَ فُضُولِيّ أَيُّ فُضولِيٍّ حَيْثُ يَزْعُمُ إِجْمَاعُ أَهْلِ الحَقِّ فُضُولاً وَلعَل لفظَ الفَضْل هُوَ الذي أَوْرَدَهُ فِي مَوَارِدِ الفُضُولِيِّ.

وَمَا قَال صَاحِبُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ إِنَّ سَبَبَ خلاَفَتِهِمْ مُدَّةَ أَعْمَارِهِمْ لَيْسَ فِيهِ دَلالَةٌ عَلَى مُسَاوَاتِهِمْ فِي الفَضْلِيَّةِ؛ لأَنَّ أَمْرَ الخِلاَفَةِ غَيْرُ أَمْرِ الأَفْضَلِيَّةِ وَلَوْ سُلِّمَ فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنْ شَطْحِيَّاتِه غَيْرُ لائِقٍ بِالتَّمَسُّكِ وَأَكْثَرُ كَشْفِيَّاتِه التي تُخَالِفُ عُلومَ أَهْلِ السُّنَّةِ بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّوَابِ فَلاَ يُتَابِعُهَا أَحَدٌ إِلاَّ مَرِيضَ القَلْبِ أَوْ مُقَلِّدَ صِرْف.

وَمَا وَقَعَ بَيْنَ الأَصْحَابِ مِنَ المُنَازَعَاتِ وَالمُشَاجَرَاتِ يَجِبُ حَمْلُهَا عَلَى مَحَامِل حَسَنَةٍ وَيَنْبَغِي تَبْرِيئَتُهُمْ عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّبِ قَال التَّفْتَازَانِيُّ مَعَ إِفْرَاطِه فِي حُبِّ عَلِيٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ: وَمَا وَقَعَ مِنَ المُخَالَفَاتِ وَالمُحَارَبَاتِ لَمْ يَكُنْ عَنْ نِزَاعٍ فِي الخِلاَفَةِ بَل عَنْ خَطَأٍ فِي الاجْتِهَاد.

وَفِي حَاشِيَةِ الخَيَالِيِّ عَلَيْه: فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ وَأَحْزَابَهُ بَغَوْا عَنْ طَاعَتِه مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِه وَأَنَّهُ الأَحَقُّ بِالإِمَامَةِ مِنْهُ بِشُبْهَةٍ هِيَ تَرْكُ القِصَاصِ عَنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَنُقِل فِي حَاشِيَةِ قُرَّة كَمَال عَنْ عَلِيٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ أَنَّهُ قَال: إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا وَلَيْسُوا بِكَفَرَةٍ وَلاَ فَسَقَةٍ لِمَا لَهُمْ مِنَ التَّأْوِيل.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ الخَطَأَ الاجْتِهَادِيَّ بَعِيدٌ عَنِ المَلاَمَةِ عَلَيْه وَالطَّعْنُ وَالتَّشْنِيعُ مَرْفُوعَانِ عَنْ صَاحِبِه يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ جَمِيعُ الأَصْحَابِ الكِرَامِ بِالخَيْرِ مُرَاعَاةً لِحُقُوقِ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْه وَعَلَى آلِه الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَأَنْ يُحِبَّهُمْ بِحُبِّ النَّبِيِّ - عَلَيْه السَّلاَمُ - قَال - عَلَيْه السَّلاَمُ - مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ.

يَعْنِي أَنَّ المَحَبَّةَ التي تَتَعَلَقُ بِأَصْحَابِي هِيَ عَيْنُ المَحَبَّةِ التِي تَتَعَلقُ بِي وَكَذَلِكَ البُغْضُ الذي يَتَعَلقُ بِهِمْ عَيْنُ البُغْضِ الذي يَتَعَلقُ بِي وَلاَ غَرَضَ لَنَا مِنْ مَحَبَّةِ مُحَارِبِي عَلِيٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ أَصْلاً بَل يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَأَذَّى مِنْهُمْ وَلكِنْ حَيْثُ كَانُوا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَكُنَّا مَأْمُورِينَ بِمَحَبَّتِهِمْ وَمَمْنُوعِينَ عَنْ بُغْضِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ فَلاَ جَرَمَ نُحِبُّ كُلهُمْ بِحُبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْتَرِزُ عَنْ بُغْضِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ لِكَوْنِهِمَا مُنْجَرِّيْنَ إِلَيْه ﷺ وَلكِنْ نَقُول لِلمُحِقِّ مُحِقًّا وَلِلمُبْطِل مُبْطِلاً كَانَ عَلِيٌّ عَلَى الحَقِّ وَمُخَالِفُوهُ عَلَى الخَطَأ.

وَالزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الفُضُول وَتَحْقِيقُ هَذَا المَبْحَث مَذْكُورٌ تَفْصِيلاً فِي المَكْتُوبِ الذِي كَتَبْتُهُ إِلى الخواجَهْ مُحَمَّد أَشْرَفَ فَإِنْ بَقِيَ هُنَا خَفَاءٌ فَلْيُرَاجِعْ هُنَاكَ.

وَلاَ بُدَّ بَعْدَ تَصْحِيحِ العَقَائِد مِنْ تَعَلمِ أَحْكَامِ الفقْه وَلاَ مَنْدُوحَةَ مِنْ تَعَلمِ عِلمِ الفَرْضِ وَالوَاجِب وَالحَلاَل وَالحَرَامِ وَالسُّنَّة وَالمَنْدُوب وَالمُشْتَبَه وَالمَكْرُوه وَالعَمَل بِمُقْتَضَى هَذَا العَلمِ أَيْضًا ضَرُورِيٌّ يَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّ مُطَالَعَةُ كُتُبَ الفقْه مِنَ الضَّرُورِيَّات وأنْ يُرَاعَى السَّعْيُّ البَليغُ فِي إتيان الأَعْمَال الصَّالحَة لنُوردَ هُنَا شيمَةً مِنْ فَضَائل الصَّلاَة وَأَرْكَانهَا فَإنَّهَا عمَادُ الدِّين فَيَنْبَغي استمَاعُهَا لاَ بُدَّ أَوَّلاً منْ إسْبَاغِ الوُضُوءِ وَمنْ غَسْل كُل عُضْو ثَلاَثًا ثَلاثًا عَلى وَجْه التَّمَام وَالكَمَال ليَكُونَ مُؤَدًّى عَلى وَجْه السُّنَّة وَيَنْبَغي الاسْتيعَابُ فِي مَسْحِ الرَّأْسِ وَالاحْتيَاطُ في مَسْحِ الأُذُنَيْنِ وَالرَّقَبَة وَوَرَدَ تَخْليل أَصَابعِ الرِّجْل بخنْصَرِ يَد اليُسْرَى منَ الأَسْفَل فَيَنْبَغي مُرَاعَاتُهُ أَيْضًا وَلاَ يَنْبَغِي المُسَاهَلَةُ فِي إتْيَان المُسْتَحَبِّ فَإنَّهُ مَحْبُوبُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَمَرْضيُّهُ تَعَالى فَإنْ عُلمَ في جَميعِ الدُّنْيَا فعْل وَاحدٌ مَرْضيٌّ وَمَحْبُوبٌ عنْدَ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَتَيَسَّرَ العَمَل بمُقْتَضَاهُ يَنْبَغي أَنْ يَغْتَنمَهُ وَحُكْمُهُ كَحُكْمِ جَوَاهرَ نَفيسَة اشْتَرَاهَا شَخْصٌ بقُطْعَان خزَف أَوْ رُوحِ نَالهَا ببَذْل جَمَاد لاَ طَائل فيه وَبَعْدَ الطُّهْرِ الكَمَال وَإسْبَاغِ الوُضُوء يَنْبَغي قَصْدُ الصَّلاَة التي هيَ معْرَاجُ المُؤْمنِ وَيَنْبَغي الاهْتمَامُ في أَدَاء الفَرْضِ مَعَ الجَمَاعَة بَل يَنْبَغي أَنْ لاَ يَتْرُكَ التَّكْبيرَةَ مَعَ الإمَامِ وَيَنْبَغي أَيْضًا أَدَاءُ الصَّلاَة في الوَقْت المُسْتَحَبِّ وَمُرَاعَاةُ القَدْر المَسْنُون في القرَاءَة وَلاَ بُدَّ من الطُّمَأْنينَة في الرُّكُوعِ وَالسُّجُود فَإنَّهَا إمَّا فَرْضٌ أَوْ وَاجبٌ عَلى القَوْل المُخْتَارِ وَيَنْبَغي أَنْ يَسْتَوِيَ قَائمًا عَلى الكَمَال في القَوْمَة عَلى نَهْجٍ يَرْجعُ كُل عُضْو إلى مَحَله وَيَسْتَقرُّ في مَقَرِّه وَالطُّمَأْنينَةُ لاَزمَةٌ أَيْضًا بَعْدَ الاسْتوَاء قَائمَةً فَإنَّهَا هُنَا إمَّا فَرْضٌ أَوْ وَاجبٌ أَوْ سُنَّةٌ عَلى اخْتلاَف الأَقْوَال وَهَكَذَا في الجَلسَة التي هيَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ يَلزَمُ فيهَا الطُّمَأْنينَةُ بَعْدَ الاسْتقْرَار كَمَا في القَوْمَة وَأَقَل تَسْبيحَات الرُّكُوعِ وَالسُّجُود ثَلاَثَ مَرَّات وَأَكْثَرُهَا إلى سَبْعِ مَرَّات أَوْ أَحَدَ عَشَرَ مَرَّةً عَلى اخْتلاَف الأَقْوَال وَتَسْبيحُ الإمَامِ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ عَلى قَدْرِ حَال المُقْتَدينَ وَيَنْبَغي أَنْ يَسْتَحيَ الإنْسَانُ منَ اقْتصَار التَّسْبيحَات عَلى أَقَل مَرْتَبَتهَا في حَال الانْفرَاد وَوَقْت قُوَّة الاسْتطَاعَة بَل يَقُومُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا وَوَقْتَ قَصْد السَّجْدَة يَضَعُ عَلى الأَرْضِ أَوَّلاً مَا هُوَ أَقْرَبُ إلى الأَرْضِ فَيَضَعُ أَوَّلاً رُكْبَتَيْه ثُمَّ يَدَيْه ثُمَّ أَنْفَهُ ثُمَّ جَبْهَتَهُ وَيَنْبَغي الابْتدَاءُ منَ اليَمين وَقْتَ وَضْعِ يَدَيْه وَرُكْبَتَيْه وَحينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ منَ السَّجْدَة يَنْبَغي أَنْ يَرْفَعَ أَوَّلاً مَا هُوَ أَقْرَبُ إلى السَّمَاء فَيَنْبَغي الابْتدَاءُ برَفْعِ الجَبينِ وَيَنْبَغي أَنْ يَنْظُرَ في القيَامِ إلى مَوْضعِ سُجُوده وَفي الرُّكُوعِ إلى ظَهْرِ قَدَمَيْه وَفي السُّجُود إلى رَأْسِ أَنْفه وَفي القُعُودِ إلى يَدَيْه فَإنَّهُ إذَا نَصَبَ البَصَرَ عَلى المَوَاضعِ المَذْكُورَة وَمَنَعَ النَّظَرَ

مِنَ التَّفْرِقَة تَتَيَسَّرُ الصَّلاَةُ بالجَمْعيَّة وَيَحْصُل فيهَا الخُشوعُ كَمَا هُوَ المَنْقُول عَن النَّبيِّ ﷺ وَكَذَلكَ تَفْريجُ الأَصَابعِ في الرُّكُوعِ وَضَمِّهَا في السُّجُود سُنَّةٌ فَيَنْبَغي مُرَاعَاتُهَا وَتَفْريجُ الأَصَابعِ وَضَمُّهَا لَيْسَا بلاَ فَائدَة بَل فيهمَا فَوَائدُ كَثيرَةٌ أَمَرَ الشَّارعُ بإتْيَانهمَا بمُلاَحَظَة تلكَ الفَوَائد وَلَيْسَ لَنَا فَائدَةٌ أَصْلاً تُسَاوي مُتَابَعَةَ صَاحب الشَّريعَة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ وَكُل هَذه الأَحْكَام مَذْكُورَةٌ في كُتُب الفقه بالتَّفْصيل وَالإيضَاحِ وَالمَقْصُودُ هُنَا التَّرْغيبُ فَي الأَعْمَال بمُقْتَضَى علم الفقْه وَفَّقَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَإيَّاكُمْ للأَعْمَال الصَّالحَة وَالمُوافقَة للعُلوم الشَّرْعيَّة بَعْدَ أَنْ وَفَّقْنَا لتَصْحيح العَقَائد اليَقينيَّة بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهمْ وَعَلى آل كُل منَ الصَّلوَات أَفْضَلَهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلها فَإنْ وَجَدْتُمْ في أَنْفُسكُمْ شَوْقًا إلى فَضَائل الصَّلاَة وَالاطِّلاَعِ عَلى كَمَالاَتهَا المَخْصُوصَة بهَا يَنْبَغي المُرَاجَعَةُ إلى ثَلاَثَة مَكَاتيبَ المُتَّصل بَعْضُهَا ببَعْض وَمُطَالَعَتُهَا الأَوَّل مَكْتُوبٌ باسْم وَلَدي مُحَمَّد صَادق وَالثَّاني باسْم المَيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ وَالثَّالثُ باسْم الشَّيْخ تَاج الدِّين.

وَبَعْدَ تَحْصيل جَنَاحَي الاعْتقَاد وَالعَمَل إذَا كَانَ تَوْفيقُ الحَقِّ رَفيقًا وَدَليلاً يَنْبَغي سُلوكُ طَريقَة الصُّوفيَّة العَليَّة لاَ لغَرَض تَحْصيل شَيْء زَايد عَلى ذَلكَ الاعْتقَاد وَالعَمَل وَنَيْل أَمْر جَديد سوَاهُمَا فَإنَّ ذَلكَ منْ طَول الأَمَل المُفْضي إلى الزَّلل بَل المَقْصُودُ منْهَا حُصُول اليَقين وَالاطْمئْنَان في المُعْتَقَدَات بحَيْثُ لاَ تَزُول بتَشْكيك مُشَكِّك وَلاَ تَبْطُل بإيرَاد شُبْهَة فَإنَّ قَدَمَ الاسْتدْلال لاَ ثَبَاتَ لَهَا وَلاَ قَرَارَ لخَزَف مَعْمُول منْ طين وَالمُسْتَدل لَيسَ لَهُ تَمْكينٌ ألاَ بذكْر الله تَطْمَئنُّ القُلوبُ.

وَحُصُول اليُسْر وَالسُّهُولة فَي إتْيَان الأَعْمَال وَزَوَال الكَسَالة وَالعنَاد وَالتَّعَنُّت النَّاشئَة منَ النَّفْس الأَمَّارَة وَلَيْسَ المَقْصُودُ منْ سُلوك طَريق الصُّوفيَّة أَيْضًا مُشَاهَدَةُ الصُّوَر وَالأَشْكَال الغَيْبيَّة وَمُعَايَنَةُ الأَلوَان وَالأَنْوَار اللاَّكَيْفيَّة فَإنَّ ذَلكَ دَاخل في اللهْو وَاللعب وَأَيُّ نُقْصَان في الأَنْوَار وَالصُّوَر الحسِّيَّتَيْن حَتَّى يَتْرُكَهَا شَخْصٌ وَيَتَمَنَّى الصُّوَرَ وَالأَنْوَارَ الغَيْبيَّتَيْن بارْتكَاب الرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات فَإنَّ هَذه الصُّوَرَ وَالأَنْوَارَ وَتلكَ الصُّوَرَ وَالأَلوَانَ كُلهَا مَخْلوقَةُ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَمنَ الآيَات الدَّالة عَلى وُجُوده تَعَالى.

وَاخْتيَارُ الطَّريقَة النَّقْشبَنْديَّة منْ بَيْن سَائر طُرُق الصُّوفيَّة أَوْلة وَأَنْسَبُ؛ لأَنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ قَدْ الْتَزَمُوا السُّنَّةَ السَّنيَّةَ وَاجْتنَابَ البدْعَة الشَّنيعَة وَلهَذَا تَرَاهُمْ يَفْرَحُونَ وَيَسْتَبْشرُونَ إذَا كَانَ فيهمْ دَوْلةُ المُتَابعَة وَإنْ لمْ يَكُنْ لهُمْ شَيْءٌ منَ الأَحْوَال وَمَتَى أَحَسُّوا فُتُورًا في المُتَابَعَة مَعَ وُجُود الأَحْوَال لاَ يَقْبَلونَ تلكَ الأَحْوَال وَلاَ تَبْغُونَهَا وَمنْ هَهُنَا لمْ يُجَوِّزُوا الرَّقْصَ وَالسَّمَاعَ وَلمْ يَقْبَلوا الأَحْوَال المُتَرَتِّبَة عَلَيْه باتِّفَاق منْهُمْ

وَإجْمَاعٍ بَل اعْتَقَدُوا ذِكْرَ الجَهْرِ بِدْعَةً وَمَنَعُوا أَصْحَابَهُمْ عَنْهُ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إلى ثَمَرَاتٍ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ كُنْتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الطَّعَامِ مَعَ حَضْرَةِ شَيْخِنَا فَقَالَ الشَّيْخُ كَمَالٌ الذي هُوَ مِنْ مُخْلِصِي حَضْرَةِ شَيْخِنَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ جَهْرًا حِينَ شَرَعَ فِي الأَكْلِ فَلَمْ يُنَاسِبْ ذَلِكَ مِنْهُ لِحَضْرَةِ شَيْخِنَا حَتَّى قَالَ بِالزَّجْرِ البَلِيغِ امْنَعُوهُ لاَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ طَعَامِنَا.

وَسَمِعْتُ حَضْرَةَ شَيْخِنَا يَقُولُ: إِنَّ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيَّ – قُدِّسَ سِرُّهُ – جَمَعَ عُلَمَاءَ بُخَارَا وَجَاءَ بِهِمْ إِلى خَانَقَاهْ شَيْخِه الأَمِير كَلالَ لِيَمْنَعُوهُمْ مِنْ ذِكْرِ الجَهْرِ فَقَال العُلَمَاءُ لِلأَمِيرِ: إِنَّ ذِكْرَ الجَهْرِ بِدْعَةٌ فَلاَ تَفْعَلوهُ فَقَال فِي جَوَابِهِمْ: لاَ أَفْعَلُ فَإِذَا صَدَرَ مِنْ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِثْلُ هَذِهِ المُبَالغَةِ فِي المَنْعِ عَنْ ذِكْرِ الجَهْرِ فَمَاذَا نَقُولُ فِي السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ وَالوَجْدِ وَالتَّوَاجُدِ وَالأَحْوَالِ وَالمَوَاجِيدِ الَّتِي تَتَرَتَّبُ عَلَى أَسْبَابٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ فَهِيَ مِنْ قَبِيلِ الاسْتِدْرَاجَاتِ عِنْدَ الفَقِيرِ فَإِنَّ الأَحْوَالَ وَالأَذْوَاقَ قَدْ تَحْصُلُ لأَهْلِ الاسْتِدْرَاجِ أَيْضًا وَيَظْهَرُ لَهُمْ فِي مَرَايَا صُورَةِ العَالَمِ كَشْفُ التَّوْحِيدِ وَالمُكَاشَفَةِ وَالمُعَايَنَةِ وَفَلاَسِفَةُ اليُونَانِ وَجُوكِيَّةُ الهُنُودِ وَبَرَاهِمَتُهُمْ شُرَكَاءُ فِي تِلْكَ الأُمُورِ وَعَلاَمَةُ صِدْقِ الأَحْوَالِ مُوَافَقَتُهَا لِلعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مَعَ الاجْتِنَابِ مِنَ ارْتِكَابِ الأُمُورِ المُحَرَّمَةِ وَالمُشْتَبِهَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّقْصَ وَالسَّمَاعَ دَاخِلٌ فِي الحَقِيقَةِ فِي اللهْوِ وَاللعِبِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ} الآيَة، نَازِلٌ فِي شَأْنِ المَنْعِ عَنِ الغِنَاءِ كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ الَّذِي هُوَ تِلْمِيذُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ أَنَّ المُرَادَ بِلَهْوِ الحَدِيثِ الغِنَاءُ فِي المَدَارِكِ لَهْوُ الحَدِيثِ السَّمَرُ وَالغِنَاءُ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ — يَحْلِفَانِ أَنَّهُ الغِنَاءُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالذينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ}(١) أَيْ: لاَ يَحْضُرُونَ الغِنَاءَ وَحُكِيَ عَنْ إِمَامِ الهُدَى أَبِي مَنْصُورٍ المَاتُرِيدِيِّ(٢) مَنْ قَالَ لِمُقْرِئِي زَمَانِنَا: أَحْسَنْتَ عِنْدَ قِرَاءَتِه يَكْفُرُ وَبَانَتْ مِنْهُ امْرَأَتُهُ وَأَحْبَطَ اللهُ كُلَّ حَسَنَاتِه وَحُكِيَ عَنْ أَبِي نَصْرٍ الدَّبُوسِيِّ عَنِ القَاضِي ظَهِيرِ الدِّينِ الخُوَارِزْمِيِّ: مَنْ سَمِعَ الغِنَاءَ مِنَ المُغَنِّي وَغَيْرِه أَوْ يَرى فِعْلاً مِنَ الحَرَامِ فَيُحَسِّنُ ذَلِكَ بِاعْتِقَادٍ أَوْ بِغَيْرِ اعْتِقَادٍ يَصِيرُ مُرْتَدًّا فِي الحَالِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ أَبْطَلَ حُكْمَ الشَّرِيعَةِ وَمَنْ أَبْطَلَ حُكْمَ

---

(١) ــ الآية: ٧٢ من سورة الفرقان.

(٢) **هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي** السمرقندي (أبو منصور) متكلم، أصولي، من أهم مصنفاته: شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبو حنيفة، تأويلات أهل السنة. توفي سنة ٣٣٣هـ. انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا ٤٣، مفتاح السعادة لطاش كوبرى زادة ٢/٢١، معجم المؤلفين لكحالة ٣/٦٩٢.

الشَّرِيعَة فَلاَ يَكُونُ مُؤْمِنًا عِنْدَ كُلِّ مُجْتَهِد وَلاَ يَقْبَلِ اللهُ طَاعَتَهُ وَأَحْبَطَ اللهُ كُلَّ حَسَنَاتِه أَعَاذَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ ذَلِكَ وَالآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ وَالرِّوَايَاتُ الفِقْهِيَّةُ فِي حُرْمَةِ الغِنَاءِ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى حَدٍّ يَعْذُرُ إِحْصَاؤُهَا وَمَعَ هَذِه كُلِّهَا الوَاوُ وَرَدَّ شَخْصٌ حَدِيثًا مَنْسُوخًا أَوْ رِوَايَةً شَاذَّةً فِي إِبَاحَةِ الغِنَاءِ لاَ يَنْبَغِي اعْتِبَارُهُ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَمْ يُفْتِ فَقِيهٌ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ بِإِبَاحَةِ الغِنَاءِ وَلَمْ يُجَوِّزِ الرَّقْصَ وَالضَّرْبَ بِالأَرْجُلِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مُلْتَقَطِ الإِمَامِ الهُمَامِ ضِيَاءِ الدِّينِ الشَّامِي.

وَعَمَلُ الصُّوفِيَّةِ لَيْسَ بِسَنَدٍ فِي الحِلِّ وَالحُرْمَةِ أَمَا يَكْفِيهِمْ أَنْ نَعْذُرَهُمْ وَلاَ نَلُومَهُمْ وَنُفَوِّضَ أَمْرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالمُعْتَبَرُ هُنَا قَوْلُ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَالإِمَامِ أَبِي يُوسُفَ وَالإِمَامِ مُحَمَّد رَحِمَهُمُ اللهُ لاَ عَمَلُ الشِّبْلِيِّ وَأَبِي الحُسَيْنِ النُّورِيِّ وَقَدْ جَعَلَت الصُّوفِيَّةُ القَاصِرُونَ اليَوْمَ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ دِينَهُمْ وَمِلَّتَهُمْ مُسْتَنِدِينَ إِلَى عَمَلِ مَشَائِخِهِمْ وَاتَّخَذُوهُ طَاعَتَهِمْ وَعِبَادَتَهِمْ أُولَئِكَ الذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا أَوْ لَعِبًا.

وَقَدْ عُلِمَ مِنَ الرِّوَايَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ مَنِ اسْتَحْسَنَ الفِعْلَ الحَرَامَ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ زُمْرَةِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ وَصَارَ مُرْتَدًّا فَيَنْبَغِي التَّأَمُّلُ مَاذَا يَكُونُ شَنَاعَةُ تَعْظِيمِ مَجْلِسِ السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ بَلِ اتِّخَاذُهُ طَاعَةً وَعِبَادَةً وَللهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ لَمْ يُبْتَلِ مَشَائِخُنَا بِهَذَا الأَمْرِ وَخَلَصُوا أَمْثَالَنَا المُقَلِّدِينَ مِنْ تَقْلِيدِ هَذَا الأَمْرِ وَقَدْ نَسْمَعُ أَنَّ المَخَادِيمَ يَمِيلُونَ إِلَى السَّمَاعِ وَيَعْقِدُونَ مَجْلِسَ السَّمَاعِ وَقِرَاءَةَ القَصَائِدِ فِي لَيَالِي الجُمُعَةِ وَأَكْثَرُ الأَصْحَابِ يُوَافِقُونَهُمْ فِي ذَلِكَ الأَمْرِ وَالعَجَبُ أَلْفَ عَجَبٍ أَنَّ مُرِيدِي السَّلاَسِلِ الآخَرِ إِنَّمَا يَرْتَكِبُونَ هَذَا الأَمْرَ مُسْتَدِلِّينَ إِلَى عَمَلِ مَشَائِخِهِمْ وَيَدْفَعُونَ الحُرْمَةَ الشَّرْعِيَّةَ بِعَمَلِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مُحِقِّينَ فِي هَذَا الأَمْرِ فِي الحَقِيقَةِ وَمَا مَعْذِرَةُ أَصْحَابِنَا فِي ارْتِكَابِ هَذَا الأَمْرِ وَفِيهِ ارْتِكَابُ الحُرْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ طَرَفٍ وَارْتِكَابُ مُخَالَفَةِ مَشَائِخِ طَرِيقِهِمْ مِنْ طَرَفٍ آخَرَ فَلاَ أَهْلُ الشَّرْعِيَّةِ رَاضُونَ عَنْ هَذَا الفِعْلِ وَلاَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ارْتِكَابُ الحُرْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ لَكَانَ مُجَرَّدُ إِحْدَاثِ أَمْرٍ فِي الطَّرِيقَةِ شَنِيعًا فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ مَعَهُ ارْتِكَابُ الحُرْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَاليَقِينُ أَنَّ جَنَابَ المِيرِ زَاجِيُو لاَ يَرْضَى بِهَذَا الأَمْرِ وَلَكِنْ لاَ يُصَرِّحُ بِالمَنْعِ أَيْضًا رِعَايَةً لِلأَدَبِ مَعَكُمْ وَلاَ يَنْهَى الأَصْحَابُ عَنْ هَذَا الاجْتِمَاعِ أَيْضًا وَالفَقِيرُ لَمَّا أَحْسَسْتُ تَوَقُّفًا فِي مَجِيئِي كَتَبْتُ هَذِه الفِقْرَاتِ وَأَرْسَلْتُهَا إِلَيْكُمْ فَيَنْبَغِي قِرَاءَتُهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا عِنْدَ الميرزا جيو وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمائَتَان

إلى الميرْزَا حُسَامِ الدِّين أَحْمَدَ

في بَيَان أَنَّ الأَسْرَارَ وَالدَّقَائقَ التي امْتَازَ بهَا لاَ يُمْكنُ إظْهَارُ نُبْذَة منْهَا بَل لاَ يُمْكنُ التَّكلمُ عَنْهَا بالرَّمْزِ وَالإشَارَة وَإنَّهَا مُقْتَبسَةٌ منْ مشْكَاة النُّبُوَّةِ وَيشْتَرِكُ فيهَا المَلاَ الأَعْلى أَيْضًا وَمَا يُنَاسبُهُ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَات وَتَبْليغ الدَّعَوَات ليَعُمَّ أَنَّ الصَّحيفَةَ الشَّريفَةَ التي أَرْسَلْتُهَا باسْمِ هَذَا الحَقير عَلى وَجْه الكَرَم قَدْ وَصَلتْ وَتَشرَّفْتُ بمُطَالعَتهَا جزَاكُمْ اللهُ - سُبْحَانَهُ - خَيْرَ الجَزَاء وَمَاذَا أَكْتُبُ منْ إنْعَامَات الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَكَيْفَ أُؤَدِّي شُكْرَهَا وَمَا يُفَاضُ منَ العُلومِ وَالمَعَارف يَكْتُبُ أَكْثَرَهَا وَيُحَرِّرُ بتَوْفيق الله - تَعَالى - وَيُوَصِّل إلى سَمْعِ أَهْلهَا وَلكنَّ الأَسْرَارَ وَالدَّقَائقَ التي كُنْتُ مُمْتَازًا بهَا فَلاَ يُمْكنُ إيرَادُ نُبْذَة منْهَا في عَرْصَة الظُّهُور بَل لاَ يُمْكنُ التَّكلمُ منْ تلكَ المَقُولة بالرَّمْزِ وَالإشَارَة حَتَّى أَنَّهُ لاَ يُوردُ رَمْزٌ منْ هَذه الأَسْرَار وَالدَّقَائق بَيْني وَبَيْنَ وَلدي الأَعَزِّ الذي هُوَ مَجْمُوعَةُ مَعَارفي وَنُسْخَةُ مَقَامَات السُّلوك وَالجَذْبَة بَل اجْتَهَدَ في سَتْرهَا منْهُ بالشُّحِّ التَّامِّ مَعَ أَنِّي أَعْلمُ أَنَّهُ منْ مَحَارمِ الأَسْرَار وَمَحْفُوظٌ منَ الغَلط وَالخَطَأ وَلكنْ مَاذَا أَصْنَعُ يَأْخُذُ دقَّةَ المَعَاني باللسَان يَعْني تَمَنُّعَهُ وَيَرْبُطُ منْ لطَافَة الأَسْرَار الشَّفَتَان فَنَقْدُ الوَقْت تكْرَارٌ يَضيقُ صَدْري وَلاَ يَنْطَلقُ لسَاني وَليْسَتْ تلكَ الأَسْرَارُ منْ قَبيل مَا لاَ يَنْبَغي إيرَادُهَا في البَيْنِ بَل لاَ يَسَعُهَا نطَاقُ البَيَان، شعْرٌ:

خَليلي مَا هَذَا بهَزْل وَإنَّمَا　　　عَجيبُ الأَحَاديث غَريبُ البَدَائع

وَهَذه الدَّوْلةُ التي نَحْنُ نَجْتَهدُ في سَتْرهَا مُقْتَبَسَةٌ منْ مشْكَاة نُبُوَّة الأَنْبيَاء - عَليْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَالمَلاَ الأَعْلى شُرَكَاءٌ في هَذه الدَّوْلة وَلك مَنْ يُشَرَّفُ بهَا منَ اتِّبَاعِ الأَنْبيَاء - عَليْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قَال أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: "**أَخَذْتُ عَنْ رَسُول الله ﷺ وعَاءَيْن**" يَعْني منَ العلمِ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَقَدْ بَثَثْتُهُ وَأَمَّا الآخرُ فَلوْ بَثَثْتُهُ قَطَعَ هَذَا البُلعُومَ وَذَلكَ العلمُ الآخرُ هُوَ علمُ الأَسْرَار وَلاَ يُدْركُهُ كُل أَحَد {ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيمِ}(١).

ثُمَّ المَعْرُوضُ أَنَّ الكُتَّابَ الذي كَتَبْتُهُ إلى أَوْلاَد شَيْخنَا يَنْبَغي أَنْ تُطَالعَهُ.

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ إنَّ إحْدَاثَ شَيْءٍ فِي الطَّرِيقَة لَيْسَ هُوَ عِنْدَ الفَقِيرِ بِأَقَل مِنْ إحْدَاث بِدْعَة فِي الدِّين، وَبَرَكَاتُ الطَّرِيقَةِ إِنَّمَا تُفَاضُ وَتَعُود عَلَى أَهْلهَا مَا لَمْ يَحْدُثْ فِيهَا مُحْدَثٌ فَإِذَا حَدَثَ فِيه مُحْدَثٌ يَنْسَدُّ طَرِيقُ الفُيُوضِ وَالبَرَكَات فَحِفْظُ الطَّرِيقَة مِنَ المُحْدَثَات مِنْ أَهَمِّ المُهِمَّات.

وَالاجْتِنَابُ عَنْ مُخَالفَة الطَّرِيقَة مِنَ الضَّرُورِيَّات فَكُل مَوْضِعٍ رَأَيْتُ فِيه مُخَالفَةَ الطَّرِيقَةِ يَنْبَغِي زَجْرُهُ وَمَنْعُهُ بِالمُبَالغَة وَالاجْتِهَاد فِي تَرْوِيجِ الطَّرِيقَة وَتَقْوِيَتهَا وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَان

إِلَى خَان خَانَان

فِي بَيَانِ العِلمِ المَوْرُوث مِنَ الأَنْبِيَاء
وَبَيَانِ المُرَاد بِالعُلَمَاءِ فِي حَدِيث "عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيل"
وَأَنَّ العِلمَ المَوْرُوثَ مِنَ الأَنْبِيَاء لَيْسَ هُوَ الأَسْرَارُ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُ الأَوْلِيَاءِ مِنَ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَالإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ وَمَا يُشَاكِلُهَا بَل غَيْرُهَا

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَبَعْدُ.

فَاعْلَمْ أَنَّ أَحْوَالَ فُقَرَاءِ هَذِهِ الحُدُودِ وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجَبَةٌ لِلحَمْدِ وَالمَسْئُولُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ سَلَامَتُكُمْ وَعَافِيَتُكُمْ وَثَبَاتُكُمْ وَاسْتِقَامَتُكُمْ.

وَلَمَّا كَانَ مَبْحَثُ عِلمِ الوِرَاثَةِ فِي البَيْنِ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ كَلِمَاتٍ مِنْ تِلْكَ المَقُولَةِ عَلَى حَسَبِ مُقْتَضَى الوَقْتِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الأَخْبَارِ "**العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**".

وَالعِلمُ الَّذِي بَقِيَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - نَوْعَانِ عِلمُ الأَحْكَامِ وَعِلمُ الأَسْرَارِ فَالعَالِمُ الوَارِثُ مَنْ يَكُونُ لَهُ سَهْمٌ مِنْ نَوْعَيِّ العِلمِ لَا مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِلوِرَاثَةِ فَإِنَّ الوَارِثَ مَنْ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ تَرِكَةِ المُوَرِّثِ لَا مِنْ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ وَالَّذِي لَهُ نَصِيبٌ مِنَ البَعْضِ العَيْنُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الغُرَمَاءِ حَيْثُ يَتَعَلَّقُ نَصِيبُهُ بِجِنْسِ حَقِّهِ وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - "**عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل**".

وَالمُرَادُ بِالعُلَمَاءِ هُنَا عُلَمَاءُ الوِرَاثَةِ لَا الغُرَمَاءُ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ نَصِيبَهُمْ مِنْ بَعْضِ التَّرِكَةِ فَإِنَّ الوَارِثَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: إِنَّهُ كَالمُوَرِّثِ بِوَاسِطَةِ القُرْبِ وَالجِنْسِيَّةِ بِخِلَافِ الغَرِيمِ فَإِنَّهُ خَالٍ عَنْ هَذِهِ العَلَاقَةِ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ وَارِثًا لَا يَكُونُ عَالِمًا إِلَّا أَنْ نُقَيِّدَ عِلمَهُ بِنَوْعٍ وَاحِدٍ وَنَقُولَ إِنَّهُ عَالِمٌ بِعِلمِ الأَحْكَامِ مَثَلًا وَالعَالِمُ المُطْلَقُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ وَارِثًا وَيَكُونُ لَهُ حَظٌّ وَافِرٌ وَنَصِيبٌ تَامٌّ مِنْ كِلَا نَوْعَيِ العِلمِ.

وَقَدْ زَعَمَ الأَكْثَرُونَ أَنَّ عِلمَ الأَسْرَارِ عِبَارَةٌ عَنْ عُلُومِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَشُهُودُ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ وَمُشَاهَدَةُ الكَثْرَةِ فِي الوَحْدَةِ وَأَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ مَعَارِفِ الإِحَاطَةِ وَسَرَيَانِ وُجُودِهِ - تَعَالَى - وَقُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ - سُبْحَانَهُ - عَلَى النَّهْجِ الَّذِي صَارَتْ مُنْكَشِفَةً وَمَشْهُودَةً لِأَرْبَابِ الأَحْوَالِ حَاشَا وَكَلَّا ثُمَّ حَاشَا وَكَلَّا مِنْ أَنْ

تَكُونَ هَذه العُلومُ وَالمَعَارفُ مَنْ علمِ الأَسْرَار وَلائقَةً بمَرْتَبَة النُّبوَّة فَإنَّ مَبْنَى تلكَ المَعَارِف السُّكْرُ وَغلَبَةُ الحَال التي هيَ مُنَافيَةٌ للصَّحْو وَعلمُ الأَنْبيَاء كُلهُ سَوَاءٌ كَانَ علم الأَحْكَام أَوْ علمَ الأَسْرَار نَاش منْ غَايَة الصَّحْو الذي مَا امْتَزَجَتْ فيه ذَرَّةٌ منَ السُّكْر بَل هَذه المَعَارفُ مُناسبَةٌ لمَقَام الولاَيَة التي لَهَا قَدَمٌ رَاسخٌ في السُّكْر فَتَكُونُ هَذه العُلومُ منْ أَسْرَار الولاَيَة لاَ منْ أَسْرَار النُّبُوَّة.

وَالولاَيَةُ وَإنْ كَانَتْ هيَ أَيْضًا ثَابتَةً وَلكنَّ أَحْكَامَهَا مَغْلوبَةٌ وَفي جَنْب أَحْكَام النُّبُوَّة مُتَلاَشيَةٌ وَمُضْمَحلةٌ، شعْرٌ:

وَمَتَى بَدَتْ أَنْوَارُ بَدْرٍ في الدُّجَا ... مَا للسُّهَى منْ حيلة سوَى الاخْتفَا

وَقَدْ كَتَبْتُ في كُتُبي وَرَسَائلي وَحَقَّقْتُ أَنَّ كَمَالاَت النُّبُوَّة لَهَا حُكْمُ البَحْر المُحيط وَكَمَالاَتَ الولاَيَة في جَنْبهَا قَطْرَةٌ مُحقَّرَةٌ وَلكنْ مَاذَا نَفْعَل وَقَدْ قَال جَمَاعَةٌ منْ عَدَم إدْرَاكهمْ لكَمَالاَت النُّبُوَّة: إنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة وَقَال طَائفَةٌ أُخْرَى في تَوْجيه هَذَا الكَلاَم إنَّ المُرَادَ به أَنَّ ولاَيَةَ نَبيٍّ أَفْضَل منْ نُبُوَّته وَكُل منْ هَذَيْن الفَريقَيْن قَدْ حَكَمُوا عَلى الغَائب منْ غَيْر علم بحَقيقَة النُّبُوَّة وَقَريبٌ منْ هَذَا الحُكم الحُكْمُ بتَرْجيح السُّكْر عَلى الصَّحْو فَإنْ عَرَفُوا حَقيقَةَ الصَّحْو لعَرَفُوا أَنَّ السُّكْرَ لاَ نسْبَةَ لهُ إلى الصَّحْو أَصْلاً، (ع):

مَا نسْبَةُ الفَرْشيِّ بالعَرْشيِّ

وَكَأَنَّهُمْ شَبَّهُوا صَحْوَ الخَوَاصِّ بصَحْو العَوَامِّ وَزَعَمُوا وُجُودَ المُمَاثَلة بَيْنَهُمَا فَرَجَّحُوا السُّكْر عَلَيْه وَليْتَهُمْ إذْ زَعَمُوا وُجُودَ المُمَاثَلة بَيْنَ صَحْو الخَوَاصِّ وَصَحْو العَوَامِّ لَمْ يَجْتَرئُوا عَلى هَذَا الحُكْم فَإنَّ منَ المُقَرَّر عنْدَ العُقَلاَء أَنَّ الصَّحْوَ أَفْضَل منَ السُّكْر مُطْلقًا وَهَذَا الحُكْمُ دَائميٌّ عنْدَهُمْ سَوَاءٌ كَانَ السُّكْرُ وَالصَّحْوُ مَجَازيَّيْن أَوْ حَقيقيَّيْن وَتَفْضيل الولاَيَة عَلى النُّبُوَّة وَتَرْجيحُ السُّكْر عَلى الصَّحْو شَبيهٌ بتَرْجيح الكُفْر عَلى الإسْلاَم وَتَفْضيل الجَهْل عَلى العلم فَإنَّ كُلاً منَ الكُفْر وَالجَهْل مُنَاسبٌ لمَقَام الولاَيَة وَكُلاً منَ الإسْلاَم وَالعلم مُنَاسبٌ لمَرْتَبَة النُّبُوَّة قَال الحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُور الحَلاَّجُ، شعْرٌ:

كَفَرْتُ بدين الله وَالكُفْرُ وَاجبٌ ... لديَّ وَعنْدَ المُسْلمينَ قَبيحٌ

وَمُحَمَّدٌ رَسُول الله ﷺ اسْتَعَاذَ منَ الكُفْر قُل كُل يَعْمَل عَلى شَاكلته فَكَمَا أَنَّ الإسْلاَمَ في عَالم المَجَاز أَفْضَل منَ الكُفْر كَذَلك يَنْبَغي أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهُ في الحَقيقَة أَفْضَل منَ الكُفْر فَإنَّ المَجَازَ قَنْطَرَةُ الحَقيقَة.

فإنْ قيل: كَمَا أَنَّ الكفْرَ وَالسُّكْرَ وَالجَهْل ثَابتٌ في مَرْتَبَة الجَمْع منْ مَقَامَات الولاَيَة كَذَلكَ الإسْلاَمُ وَالصَّحْوُ وَالمَعْرفَةُ مُتَحقِّقٌ في مَرْتَبَة الفرْق بَعْدَ الجَمْع منْهَا فَكَيْفَ يَصحُّ القَوْل بمُنَاسَبَة الكُفر وَالسُّكْر وَالجَهْل فَقَطْ لمَقَام الولاَيَة.

أَقُول: إنَّ إثْبَاتَ الصَّحْوِ وَأَمْثَالهُ في مَرْتَبَة الفرْق إنَّمَا هُوَ بالنِّسْبَة إلى مَرْتَبَة الجَمْع التي ليْسَ فيهَا غَيرُ السُّكْر وَالمَحْو وَإلاَّ فَصَحْوُ مَرْتَبَة الفرْق أَيْضًا مُمْتَزجٌ بالسُّكْر وَإسْلاَمُهَا مُخْتَلطٌ بالكُفْر وَمَعْرفَتُهَا مَشُوبَةٌ بالجَهْل فلوْ وَجَدْتُ مَجَالاً للكتَابَة لذَكَرْتُ أَحْوَال مَقَام الفرْق وَمَعارفه بالتَّفْصيل وَبَيَّنْتُ امْتزَاجَ السُّكْر وَأَمْثَاله فيهَا بالصَّحْو وَأَمْثَاله ولَعَل أَرْبَابَ الفطَانَة يَجدُونَ هَذَا المَعْنَى بالتَّفرُّس أَيْضًا وَالعَجَبُ كُل العَجَب أَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّ الأَنْبيَاءَ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إنَّمَا نَالوا مَا نَالوا منْ هَذه العَظَمَة وَالجَلالة كُلهَا منْ طَريق النُّبُوَّة لاَ منْ طَريق الولاَيَة،

وَغَايَةُ شَأْن الولاَيَة إنَّمَا هيَ الخَادميَّةُ للنُّبُوَّة فلوْ كَانَتْ للولاَيَة مَزيَّةٌ عَلى النُّبوَّة لكَانَ المَلاَئكَةُ الذينَ ولاَيَتُهمْ أَكْمَل منْ سَائر الولاَيَات أَفْضَل منَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَمَّا قَالتْ طَائفَةٌ منْ هَؤُلاَء القَوْم بأَفْضَليَّة الولاَيَة منَ النُّبُوَّة وَرَأَوْا ولاَيَةَ المَلائكَة المَلاَ الأَعْلى أَفْضَل منْ ولاَيَة الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قَالوا بالضَّرُورَة أَنَّ المَلائكَةَ أَفْضَل منَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَفَارَقُوا في ذَلكَ جُمْهُورَ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَكُل ذَلكَ لعَدَم الاطِّلاَع عَلى حَقيقَة النُّبوَّة وَلَمَّا كَانَتْ كَمَالاَتُ النُّبُوَّة خَفيَّةً في نَظَر النَّاس في جَنْب كَمَالاَت الولاَيَة بوَاسطَة بَعْد عَهْد النُّبوَّة بَسَّطْنَا الكَلاَمَ في هَذَا الكَلاَم البَابَ بالضَّرُورَة وَكَشَفْنَا شمَةً منْ حَقيقَة المُعَامَلة رَبَّنَا اغْفرْ لنَا ذُنُوبَنَا وإسْرَافَنَا في أَمْرنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلى القَوْم الكَافرينَ.

وَحَيْثُ كَانَ أَخي الأَرْشَدُ الشَّيْخُ مَيَانُ دَاوُدُ منَ المُتَرَدِّدينَ في تلكَ الحُدُود كَانَ بَاعثًا عَلى هَذَا التَّصْديع.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ وَالمِائَتَان

إلى مُرْتَضَى خَانَ

فِي التَّرْغِيبِ فِي إِيصَالِ الإِهَانَةِ إِلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَتَخْرِيبِ آلِهَتِهِمُ البَاطِلَةِ وَتَوْهِينِهَا وَإِظْهَارِ تَمَنِّيهِ هَذَا الأَمْرَ العَظِيمَ القَدْرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ.

الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى.

اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شَخْصٍ تَمَنِّيَ أَمْرًا مِنَ الأُمُورِ وَتَمَنِّي هَذَا الفَقِيرُ التَّشْدِيدَ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ – جَلَّ وَعَلَا – وَأَعْدَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَإِيصَالَ الإِهَانَةِ لِهَؤُلَاءِ الخَائِبِينَ وَاحْتِقَارِ آلِهَتِهِمُ البَاطِلَةِ وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنْ لَا عَمَلَ أَرْضَى عَنِ الحَقِّ – جَلَّ وَعَلَا – مِنْ هَذَا العَمَلِ وَلِهَذَا نُرَغِّبُكُمْ فِي هَذَا العَمَلِ المَرْضِيِّ مُكَرَّرًا وَأَرَى إِتْيَانَ هَذَا العَمَلِ مِنْ أَهَمِّ مُهِمَّاتِ الإِسْلَامِ وَحَيْثُ وُفِّقْتُ لِلتَّشْرِيفِ هُنَاكَ وَتَعَيَّنْتُ لِتَحْقِيرِ تِلْكَ البُقْعَةِ الكَثِيفَةِ وَإِهَانَةِ أَهْلِهَا يَنْبَغِي أَوَّلًا أَدَاءُ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ جَمْعٌ كَثِيرٌ لِتَعْظِيمِ ذَلِكَ المَقَامِ وَتَوْقِيرِ أَهْلِهِ للهِ – سُبْحَانَهُ – الحَمْدُ وَالمِنَّةُ وَعَلَى مَا لَمْ يَبْتَلِنَا بِهَذِهِ البَلِيَّةِ وَبَعْدَ أَدَاءِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ العُظْمَى يَنْبَغِي تَقْدِيمُ السَّعْيِ البَلِيغِ فِي تَحْقِيرِ هَؤُلَاءِ الخَائِبِينَ الخَاسِرِينَ وَتَوْهِينِ آلِهَتِهِمُ البَاطِلَةِ وَالاجْتِهَادِ فِي تَخْرِيبِ تِلْكَ الجَمَاعَةِ سِرًّا وَجَهْرًا مَهْمَا أَمْكَنَ وَتَيَسَّرَ وَإِيصَالِ أَنْوَاعِ الإِهَانَةِ لَنَا حَتَّى الأَصْنَامِ القَاصِرِينَ وَعَسَى أَنْ يَتَلَافَى وَيُتَدَارَكَ بِهَذَا العَمَلِ بَعْضُ المُدَاهَنَاتِ الوَاقِعَةِ فِي حَقِّهِمْ وَيَكُونُ ذَلِكَ كَفَارَةً لِتِلْكَ وَيَمْنَعُنِي ضَعْفُ البَدَنِ وَشِدَّةُ البَرْدِ مِنَ الوُصُولِ هُنَاكَ وَإِلَّا لَوَصَلْتُ إِلَى خِدْمَتِكُمْ لِلتَّرْغِيبِ فِي هَذَا الأَمْرِ وَرَمَيْتُ بِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ بُزَاقًا عَلَى ذَلِكَ الحَجَرِ وَجَعَلْتُهُ رَأْسَ بِضَاعَةِ السَّعَادَةِ وَمَاذَا أُبَالِغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ.

المَكْتُوبُ السَّبْعُونَ وَالمائَتَان
إلى الشَّيْخِ نُور مُحَمَّد
فِي بَيَانِ تَرْجِيحِ بَعْضِ الصُّحْبَةِ عَلى العُزْلَةِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى قَدْ نَسِيَ أَخِي نُورُ مُحَمَّد النَّائِينَ المَهْجُورِينَ عَلى نَهْجٍ لاَ يَذْكُرُهُمْ بِسَلاَمٍ وَلاَ بِكَلاَمٍ وَكَانَ مُتَمَنَّاكُمْ العُزْلَةَ وَالانْزِوَاءَ فَقَدْ تَيَسَّرَ ذَلِكَ وَلَكِنْ بَعْضُ الصُّحْبَةِ يُرَجَّحُ وَيُفَضَّلُ عَلى العُزْلَةِ وَكَفَى حَالَ أُوَيْسٍ القَرْنِيِّ أَنْ يَكُونَ مِقْيَاسًا حَيْثُ اخْتَارَ العُزْلَةَ وَلَمْ يَنَل صُحْبَةَ خَيْرِ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَلَمْ يَجِدْ حَظًّا مِنْ كَمَالاَتِ الصُّحْبَةِ وَصَارَ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَأَخَّرَ مِنَ الدَّرَجَةِ الأُولى مِنْ دَرَجَاتِ الخَيْرِ إلى الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ وَفِي كُل يَوْمٍ طَرْزٌ آخَرُ مِنَ الصُّحْبَةِ بِعِنَايَةِ اللهِ - تَعَالى - مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَانِ
إِلى الشَّيْخِ حَسَنٍ البَرْكِيِّ
فِي حَلِّ اسْتِفْسَارِهِ عَنِ الوَاقِعَةِ الَّتِي رَآهَا

الحَمْدُ للهِ وَعَلى عِبادِهِ الذينَ اصْطَفَى وَصَل مَكْتُوبُ أَخِي الأَعَزِّ الشَّيْخِ حَسَنٍ أَحْسَنَ اللهُ حَالَهُ وَبَلغَهُ كَمَالَهُ وَاتَّضَحَتْ الوَاقِعَةُ المَسْطُورَةُ التِي ظَهَرَتْ ظُهُورًا بَيِّنًا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَاجِيًا وَأَنْ تَجْتَهِدَ فِي إِتْيانِ مَا أَنْتَ مَأْمُورٌ بِهِ بِبَذْلِ الرُّوحِ وَأَنْ لاَ تَجُوزَ تَجَاوُزَ الحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ مِقْدَارَ شَعْرَةٍ وَأَنَّ تَتَحَلى بِمُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الحَقَّةِ، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي خَيالاَتٌ

فَإِنْ أَجَازَ وَالدُكُمْ وَرَضِيَ الإِخْوَانُ يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَنَمَ سَيْرُ بِلاَدِ الهِنْدِ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالسَّبْعُونَ وَالمائَتَان
إلى السَّيِّد مُحبِّ الله المَانْكَبُوريِّ
في بَيَان الإيمَانِ الغَيْبيِّ وَالإيمَان الشُّهُوديِّ
وَبَيَان التَّوْحيد الوُجُوديِّ وَالتَّوْحيد الشُّهُوديِّ
وَأَنَّ الضَّرُورِيَّ في تَحقُّق الفَنَاء هُوَ الشُّهُوديُّ
وَأَنَّ أَوَّل مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحيدَ الوُجُوديَّ صَاحبُ الفُتُوحَات المَكِّيَّة
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَاتُ لِيَعْلَمَ الأَخُ الأَعَزُّ المَيرُ مُحبُّ الله أَنَّ الإيمَانَ بالغَيْب بوُجُود الوَاجب - تَعَالى - وَسَائر صفَاته نَصيبُ الأَنْبيَاء وَأَصْحَابهمْ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَنَصيبُ الأَوْليَاء الذينَ ثَبَتَ لَهمُ الرُّجُوعُ الكُلِّيَّةِ وَنسْبَتُهُمْ نسْبَةُ الأَصْحَاب وَإنْ كَانَ هَؤُلاَء قَليلينَ بَل أَقَل وَنَصيبُ العُلَمَاء وَنَصيبُ عَامَّة المُؤْمنينَ أَيْضًا وَالإيمَانُ الشُّهُوديُّ نَصيبُ عَامَّة الصُّوفيَّة سَوَاءً كَانُوا منْ أَرْبَاب العُزْلَة أَوْ منْ أَصْحَاب العشْرَة فَإنَّ أَصْحَابَ العشْرَة وَإنْ كَانُوا مَرْجُوَّ عَيْنٍ لكنَّهُمْ مَا رَجَعُوا بالكُلِّيَّة بَل بَاطنُهُمْ مُسْتَشْرفٌ إلى الفَوْق وَمُنْجَذبٌ إلَيْه دَائمًا فَهُوَ بالظَّاهر مَعَ الخَلق وَبالبَاطنِ مَعَ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - فَالإيمَانُ الشُّهُوديُّ نَصيبُهُمْ دَائمًا وَالأَنْبيَاءُ - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - لَمَّا كَانُوا مَرْجُوعينَ بالكُلِّيَّة وَمُتَوَجِّهينَ ظَاهرًا وَبَاطنًا إلى دَعْوَة الخَلق بالحَقِّ - جَل وَعَلاَ - كَانَ الإيمَانُ الغَيْبيُّ نَصيبَهُمْ بالضَّرُورَة وَقَدْ حَقَّقَ هَذَا الفَقيرُ في بَعْضِ رَسَائله أَنَّ التَّوَجُّهَ نَحْوَ الفَوْق مَعَ وُجُود الرُّجُوع منْ عَلاَمَة النَّقْصِ وَعَدَم الوُصُول إلى نهَايَة الأَمْر وَالرُّجُوعُ بالكُلِّيَّة عَلاَمَةُ الوُصُول إلى نهَايَة النِّهَايَات وَالصُّوفيَّةُ زَعَمُوا أَنَّ الكَمَال إنَّمَا هُوَ في الجَمْعِ بَيْنَ التَّوَجُّهَيْنِ وَعَدُّوا الجَامعَ بَيْنَ التَّشْبيه وَالتَّنْزيه منَ الكَمَال، (ع):

وَللنَّاس فيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهبُ

فَإذَا فَرَغَ الأَنْبيَاءُ - عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - منْ وَظيفَة الدَّعْوَة وَتَوَجَّهُوا نَحْوَ عَالَم البَقَاء وَتَمَّتْ مَصْلحَةُ الرُّجُوعِ يَكُونُونَ مُتَوَجِّهينَ بكُلِّيَّتهمْ إلى الحَقِّ - جَل شَأْنُهُ - قَائلينَ بتَمَام الشَّوْق الرَّفيق الأَعْلى مُتَبَخْترينَ في مَرَاتب القُرْب شعْرٌ:

هَنيئًا لأَرْبَابِ النَّعيم نَعيمُهَا ... وَللعَاشقِ المسْكينِ مَا يَتجَرَّعُ

وَالكَمَال عِنْدَ الفَقِيرِ هُوَ أَنْ تَرْتَفِعَ الكَثْرَةُ وَقْتَ العُرُوجِ عَنِ النَّظَرِ بِالكُلِّيَّةِ حَتَّى لاَ تَكُونَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَيْضًا مَلحُوظَةً وَلاَ يَكُونُ غَيْرُ الأَحَدِيَّةِ المُجَرَّدَةِ مَشْهُودًا ثُمَّ يُعَامَلُ مَعَهُ مَا يُعَامَلُ مَعَهُ وَأَنْ يَقَعَ النَّظَرُ وَقْتَ الرُّجُوعِ إِلَى الكَثْرَةِ بِالتَّمَامِ وَلاَ يَكُونُ مَشْهُودَةً كَعَامَّةِ المُؤْمِنِينَ غَيْرَ الخَلقِ وَلاَ يَكُونُ شُغْلُهُ غَيْرَ أَدَاءِ الطَّاعَةِ وَدَعْوَى الخَلقِ إِلَى الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَإِذَا تَمَّ أَمْرُ الدَّعْوَةِ وَوَدَّعَ العَالَمَ الفَانِي يَتَوَجَّهُ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى جَنَابِ قُدْسِهِ - تَعَالَى - وَيُحَوِّلُ رَحْلَهُ مِنَ الغَيْبِ إِلَى الشَّهَادَةِ وَيُبَدِّلُ المُعَامَلَةَ المُرَاسَلَةَ بِمُعَامَلَةِ المُعَانَقَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

وَلاَ يَتَخَيَّلَنَّ النَّاقِصُ أَنَّ الرُّجُوعَ الكُلِّيَّ نَقْصٌ وَلاَ يَزْعَمَنَّ أَنَّ التَّوَجُّهَ بِالبَاطِنِ إِلَى الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - أَفْضَل مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الخَلقِ لِدَعْوَتِهِمْ وَتَكْمِيلِهِمْ فَإِنَّ صَاحِبَ الرُّجُوعِ مَا جَاءَ إِلَى مَقَامِ الرُّجُوعِ بِاخْتِيَارِ نَفْسِهِ بَل نَزَل مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَل بِإِرَادَةِ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَرَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالهَجْرِ عَنِ الوُصُولِ فَصَاحِبُ الرُّجُوعِ قَائِمٌ بِمُرَادِ الحَقِّ - جَل شَأْنُهُ - وَفَان عَنْ مُرَادِ نَفْسِهِ وَصَاحِبُ التَّوَجُّهِ مَحْفُوظٌ بِالوَصْلِ وَالشُّهُودِ وَمَسْرُورٌ بِالقُرْبِ وَالمَعِيَّةِ، شِعْرٌ:

إِذَا أُرْضِي مِنَّا قَلبِي بُعَادِي فَهَذَا الهَجْرُ أَحْظَى مِنْ وِصَالِي
لأَنِّي فِي الوِصَال عَبِيدُ نَفْسِي وَفِي الهَجْرِ أَنَّ مَوْلَى لِلمَوَالِي
وَشُغْلِي بِالحَبِيبِ بِكُل حَال أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شُغْلِي بِحَالِي

وَفَضَائِل الرُّجُوعِ وَكَمَالاَتُهُ كَثِيرَةٌ وَصَاحِبُ التَّوَجُّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صَاحِبِ الرُّجُوعِ قَطْرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى البَحْرِ المُحِيطِ وَهَذَا الرُّجُوعُ مِنْ فَضَائِل النُّبُوَّةِ وَذَاكَ التَّوَجُّهُ مِنْ آثَارِ الوِلاَيَةِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَكِنْ لاَ يُدْرِكُ هَذَا الكَمَال فَهُمُ كُل أَحَدٍ - ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ -.

وَقَال بَعْضُ الجَامِعِينَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّنْزِيهِ أَنَّ الإِيمَانَ بِالتَّنْزِيهِ حَاصِل لِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ وَالعَارِفُ هُوَ الذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الإِيمَانِ بِالتَّشْبِيهِ وَيَرَى الخَلقَ ظُهُورَ الخَالِقِ وَالكَثْرَةَ كِسْوَةَ الوَحْدَةِ وَيُطَالِعُ الصَّانِعَ فِي صُنْعِهِ وَبِالجُمْلَةِ إِنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى التَّنْزِيهِ الصِّرْفِ نَقْصٌ عِنْدَهُمْ وَشُهُودُ الوَحْدَةِ بِلاَ مُلاَحَظَةِ الكَثْرَةِ عَيْبٌ وَهَذِهِ الجَمَاعَةُ يَعُدُّونَ المُتَوَجِّهِينَ إِلَى الأَحَدِيَّةِ الصِّرْفَةِ نَاقِصِينَ وَيَظُنُّونَ مُلاَحَظَةَ الوَحْدَةِ بِلاَ مُطَالَعَةِ الكَثْرَةِ تَحْدِيدًا أَوْ تَقْيِيدًا سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَمَا دَرَوْا أَنَّ دَعْوَةَ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كُلهَا إِلَى تَنْزِيهٍ صِرْفٍ وَالكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ نَاطِقَةٌ بِالإِيمَانِ

التَّنْزِيهِيِّ وَالأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَنْفُونَ الآلِهَةَ البَاطِلَةَ الآفَاقِيَّةَ والأَنْفَسِيَّةَ وَيَدْعُونَ الخَلقَ إلى إبْطَالِهَا وَيَدُلونَ عَلى وَحْدَةِ وَاجبِ الوُجُودِ المُنَزَّهِ عَنِ التَّشْبيه وَالتَّكْييف هَل سَمعْتَ قَطُّ أَنَّ نَبيًّا دَعا إلى الإيمَانِ التَّشْبيهِيِّ وَقَال: إنَّ الخَلْقَ ظُهُورُ الخَالقِ وَجَميعُ الأَنْبيَاء مُتَّفقُونَ عَلى تَوْحيدِ وَاجبِ الوُجُود - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ وَنَفَى أَرْبَابٌ غَيْرَهُ - تَعَالى - قَال اللهُ - تَعَالَى - {قُل يَا أَهْلَ الكُتَّاب تَعالوْا إلى كَلَمَة سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ به شَيْئًا وَلاَ يَتَّخذ بَعْضُنَا بعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإنْ تَوَلوْا فَقُولوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلمُونَ}

وَهَؤُلاَءِ الجَمَاعَةُ يُثْبتُونَ أَرْبَابًا غَيْرَ مُتَنَاهيَة وَيَتَخَيَّلونَ كُلهُمْ ظهوراتِ رَبٍّ الأَرْبَاب وَمَا يَسْتَشْهدُونَ به في إثْبَات مَطَالبهِمْ منَ الكتَاب وَالسُّنَّة ليْسَ فيه اسْتشْهَادٌ أَصْلاً أَمَّا الكتَابُ فقَوْلهُ - تَعَالى - {هُوَ الأَوَّل وَالآخرُ وَالظَّاهرُ وَالبَاطنُ} {وَمَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلكنَّ اللهَ رَمَى} {إنْ الذينَ يُبَايعُونَك إنَّمَا يُبَايعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْديهِمْ} وَأَمَّا السُّنَّةُ فقَوْلهُ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّل فَليْسَ قَبْلكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخرُ فَليس بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهرُ فَليس فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ البَاطنُ فَليْسَ دُونكَ شَيْءٌ.

فَإنَّ جَميعَ الحَصْرِ في هَذه العبَارَات لنَفْيِ كَمَال الوُجُود عَمَّا سوَاهُ - تَعَالى - بأَبْلغِ الوُجُوهِ لاَ نَفْيِ أَصْل الوُجُودِ كَمَا قَال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لاَ صَلاَةَ إلاَّ بفَاتحَة الكتَاب.

وَقَال أَيْضًا: لاَ إيمَانَ لمَنْ لاَ أَمَانَةَ لهُ.

وَأَمْثَال ذَلكَ في الكتَاب وَالسُّنَّة كَثيرَةٌ وَهَذَا التَّوْجيهُ ليْسَ منْ قَبيل تَأْوِيل النُّصُوصِ كَمَا زَعَمُوا بَل هُوَ حَمْل النُّصُوصِ عَلى كَمَال البَلاَغَة كَمَا أَنَّ في العُرْف إذَا وَقَعَ الاهْتمَامُ برِسَالة شَخْص وَنيَابَته يُقَال: إنَّ يَدَهُ يَدَيَّ وَالمَقْصُودُ هُنَا ليْسَ الحَقيقَةَ بَل المَجَازُ الذي هُوَ أَبْلغُ منَ الحَقيقَة فَإذَا كَانَ وُقُوعُ الفعْل أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ بالنَّظَرِ إلى مقْدَار قُدْرَة الفَاعل الذي هُوَ عَبْدٌ مَمْلوكٌ لصَاحب القُدْرَة الكَاملة وَكَانَ التفَاتُ ذَلكَ القَادرِ المَالك وَتَوَجُّهُهُ إلى ذَلكَ الفعْل مَرْعيًّا للفعْل مَرْعيًّا يَصحُّ للمَالك أَنْ يَقُول أَنَا فَعلتُ هَذَا الفعْل لاَ أَنْتَ وَلاَ دَلالَةَ لهَذَا الكَلاَم أَصْلاً عَلى اتِّحَاد الفعْل وَلاَ عَلى اتِّحَاد الذَّات مَعَاذَ اللهُ منْ أَنْ يَكُونَ فعْل العَبْد المَمْلوك عَيْنَ فعْل المَالك المُقْتَدرِ أَوْ يَكُونَ ذَاتُهُ عَيْنَ ذَاته أَلمْ تَفْهَمْ هَذه الجَمَاعَةُ مَذَاقَ الأَنْبيَاءِ - عَليْهِمُ الصَّلاَةُ

وَالسَّلَامُ – فَإِنَّ مَدَارَ دَعْوَتِهِمْ عَلى إِثْبَاتِ الأَثْنِينِيَّةِ وَوُجُودِ المُغَايَرَةِ يَعْنِي بَيْنَ الخَلقِ وَالخَالقِ.

وَتَنْزِيل عِبَارَاتِهِمْ عَلى التَّوْحِيد وَالاتِّحَاد مِنَ التَّكَلُّفَات البَارِدَة فَإِنْ كَانَ المَوْجُودُ وَاحِدًا فِي الحَقِيقَة وَكَانَ مَا سِوَاهُ ظُهُورَاتِه وَكَانَ عِبَادَةُ مَا سِوَاهُ عِبَادَتَهُ كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ الجَمَاعَةُ لَمَ مَنَعَ الأَنْبِيَاءُ – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ – عَنْهَا بِالمُبَالَغَة وَالتَّأْكِيد وَلَمِ خَوَّفُوا بِالعُقُوبَات الأَبَدِيَّة عَلى عِبَادَة مَا سِوَاهُ وَلِمَ قَالوا العَابِدِيَّةُ أَعْدَاءُ الله وَلَمَ لَمْ يُطْلِعُوهُمْ عَلى مَنْشَأ غَلَطِهِمْ وَلَمْ يُزِيلوا عَنْهُمْ رُؤْيَةَ المُغَايَرَةِ النَّاشِئَة عَنِ الجَهْل فِيهِمْ وَلِمْ يُفْهِمُوهُمْ أَنَّ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ عَيْنُ عِبَادَتِه – جَل وَعَلاَ –.

قَال بَعْضُ هَؤُلَاءِ الجَمَاعَة: إِنَّ الأَنْبِيَاءَ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – إِنَّمَا أَخفَوْا أَسْرَارَ التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ عَنِ العَوَامِّ وَبَنَوْا أَمْرَ الدَّعْوَة عَلى إِثْبَات المُغَايَرَة وَأَخْفَوْا الوَحْدَةَ وَدَلوا عَلى الكَثْرَة بِسَبَب قُصُور فَهْم العَوَامِّ عَنْ ذَلكَ وَهَذَا القَوْل غَيْرُ مَسْمُوعٍ مِنْهُ كَمَا لاَ يُسْمَعُ القَوْل بِالتُّقَاة مِنَ الشِّيعَة فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ – عَلَيْهِم السَّلَامُ – أَحَقُّ بِتَبْليغ مَا هُوَ مُطَابِقٌ لنفْسِ الأَمْر فَإِنْ كَانَ الوُجُودُ فِي نَفْس الأَمْر وَاجِبَ الوُجُود وَصِفَاتِه وَأَفْعَاله – تَعَالى – وَتَقَدَّسَ فَإِنَّهُمْ أَحقَّاء بِإِعْلَانِهَا وَإِظْهَارِهَا وَإِنْ كَانَ قَاصِرُ النَّظَر قَاصِرًا عَنْ إِدْرَاكِهَا وَعَاجِزًا عَنْ فَهْمِهَا فَضْلاً عَنِ العَوَامِّ أَلاَّ تَرَى أَنَّ المُتَشَابِهَات القُرْآنِيَّةَ وَمَا وَرَدَ فِي الأَحَادِيث النَّبَوِيَّة مِنَ المُتَشَابِهَات يَعْجَزُ الخَوَاصُّ عَنْ فَهْمِهَا فَضْلاً عَنِ العَوَامِّ وَمَعَ ذَلكَ لَمْ يُمْنَعُوا وَلَمْ يَعُقْهُمْ تَوَهُّمُ غَلَط العَوَامِّ مِنْ إِبْدَائِهَا وَهَؤُلَاءِ الجَمَاعَةُ يُسَمُّونَ مَنْ يَقُول بِتَعَدُّد الوُجُود وَالمَوْجُود وَيَتَنَزَّهُ عَنْ عِبَادَة مَا سِوَى المَعْبُود – تَعَالى – وَتَقَدَّسَ مُشْرِكًا وَيَقُولونَ لمَنْ يَقُول بِوَحْدَة الوُجُود مُوَحِّدًا وَلوْ كَانَ يَعْبُدُ أَلفَ صَنَم بِتَخَيُّل إِنَّهَا ظُهُورَاتُ الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – وَأَنَّ عِبَادَتَهَا عِبَادَتُهُ – سُبْحَانَهُ – يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَمَّل بِالإِنْصَاف أَيُّ صِنْف مِنْ هَذَيْنَ الصِّنْفَيْنِ مُشْرِكٌ وَأَيُّ صِنْف مِنْهُمَا مُوَحِّدٌ وَالأَنْبِيَاءُ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – مَا دَعَوُا الخَلقَ إِلى وَحْدَة الوُجُود وَلمْ يَقُولوا لمَنْ قَال بِتَعَدُّد الوُجُود مُشْرِكًا بَل كَانَتْ دَعْوَتُهِمْ إِلى وَحْدَة المَعْبُود – جَل سُلطَانُهُ – وَأَطْلَقُوا الشِّرْكَ عَلى عِبَادَة مَا سِوَاهُ – تَعَالى – فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ الصُّوفِيَّةُ الوُجُودِيَّةَ مَا سِوَاهُ – تَعَالى – بِعُنْوَان الغَيْرِيَّة لاَ يَتخَلصُونَ مِنَ الشِّرْك وَمَا سِوَاهُ – تَعَالى – هُوَ مَا سِوَاهُ – تَعَالى – عَرَفُوا ذَلكَ أَوَّلاً وَبَعْضُ المُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ قَال: إِنَّ العَالَمَ لَيْسَ عَيْنَ الحَقِّ – جَل سُلطَانُهُ – وَيَتَحَاشَى مِنَ القَوْل بِالعَيْنِيَّة وَيَطْعَنُ فِي القَائِلينَ بِهَا وَشَنَّعَهُمْ وَيُنْكِرُ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّين بْنُ

عَرَبِيٍّ وَاتِّبَاعُهُ مِنْ هَذَا الوَجْه وَيُذَكِّرُهُمْ بِسُوءٍ وَمَعَ ذَلِكَ لاَ يَقُول بِمُغَايَرَة العَالَمِ لِلحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَل يَقُول إِنَّهُ لَيسَ عَيْنَ الحَقِّ وَلاَ غَيرَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهَذَا الكَلاَمُ بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَاب فَإِنَّ الاثْنَيْنِ مُتَغَايِرَان قَضِيَّةٌ مُقَرَّرَةٌ وَمُنْكِرُ المُغَايَرَة بَيْنَ الإِثْنَيْنِ مُصَادِمٌ لِبَدِيهَةِ العَقْل غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ المُتَكَلِّمِينَ قَالوا فِي صِفَات الوَاجِب إِنَّهَا لاَ هُوَ وَلاَ غَيْرُهُ وَأَرَادُوا بِالغَيْرِ الغَيْرَ المُصْطَلَحَ وَرَاعَوْا جَوَازَ الانْفِكَاك فِي المُتَغَايِرَيْنِ فَإِنْ صِفَاتَ الوَاجِب لَيْسَتْ مُنْفَكَّةً عَنِ الذَّات وَجَوَازُ الانْفِكَاك بَيْنَ الذَّات وَالصِّفَات القَدِيمَة غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فَقَوْل لاَ هُوَ وَلاَ غَيْرُهُ صَادِقٌ فِي الصِّفَات القَدِيمَة بِخِلاَف العَالَم فَإِنَّ تِلكَ النِّسْبَةَ مَفْقُودَةٌ فِيه كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ.

فَنَفْيُ العَيْنِيَّة وَالغَيْرِيَّة مَعًا مِنَ العَالَم بَعِيدٌ عَنِ الصِّدْق لُغَةً وَاصْطِلاَحًا وَهَؤُلاَء الجَمَاعَةُ إِنَّمَا زَعَمُوا العَالَمَ وَتَصَوَّرُوهُ كَالصِّفَات القَدِيمَة وَأَثْبَتُوا لَهُ الحُكْمَ المَخْصُوصَ بِهَا مِنْ قُصُورِهِمْ وَعَدَم وُصُولِهِمْ وَحَيْثُ قَالَتْ هَؤُلاَء الجَمَاعَةُ بِنَفْيِ الجَمَاعَة بِنَفْي عَيْنِيَّة العَالَم كَانَ اللاَّزِمُ لَهُمْ أَنْ يَقُولوا بِغَيْرِيَّتِه أَيْضًا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ زُمْرَة أَرْبَاب التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ وَيَحْكُمُوا بِتَعَدُّد الوُجُود وَفِي التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ لاَ بُدَّ مِنَ القَوْل بِالعَيْنِيَّة كَمَا قَال بِهَا الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّين بْنُ عَرَبِيٍّ وَأَتْبَاعُهُ وَالقَوْل بِالعَيْنِيَّة لاَ بِمَعْنَى أَنَّ العَالَمَ مُتَّحِدٌ بِالصَّانِعِ مَعَاذَ اللهِ مِنْ ذَلِكَ بَل بِمَعْنَى أَنَّ العَالَمَ مَعْدُومٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ وَاجِبُ الوُجُودِ - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ كَمَا حَقَّقَ هَذَا الفَقِيرُ هَذَا المَعْنَى فِي بَعْضِ رَسَائِله.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ الصُّوفِيَّةَ الوُجُودِيَّةَ إِنَّمَا يَقُولونَ لِمَنْ يَقُول بِتَعَدُّد الوُجُود مُشْرِكًا بِاعْتِبَار أَنَّهُ يَرَى وَيُشَاهِدُ الاثْنَيْنِ وَمُشَاهِدُ الاثْنَيْنِ هُوَ مُشْرِكُ الطَّرِيقَة ؟

أُجِيبُ أَنَّ رُؤْيَةَ الاثْنَيْنِ التِي هِيَ شِرْكُ الطَّرِيقَة تَنْدَفِعُ بِالتَّوْحِيد الشُّهُودِيِّ وَلاَ حَاجَةَ إِلى التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ فِي ذَلِكَ المَوْطِن بَل يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَكُونَ مَشْهُودُ السَّالِك وَمَلحُوظُهُ غَيْرَ الذَّات الأَحَد المُقَدَّسَة حَتَّى يَتَحَقَّقَ الفَنَاءُ وَيَنْدَفِعَ شِرْكُ الطَّرِيقَة كَمَا إِذَا رَأَى شَخْصٌ الشَّمْسَ فِي النَّهَار وَالمَقْصُودُ هُوَ كَوْنُ المَشْهُود هُوَ الشَّمْسَ وَحْدَهَا سَوَاءٌ كَانَتْ النُّجُومُ مَوْجُودَةً أَوْ مَعْدُومَةً بَل أَقُول: إِنَّ كَمَال الفَنَاء إِنَّمَا هُوَ فِي صُورَة تَكُونُ الأَشْيَاءُ مَوْجُودَةً وَمَعَ ذَلِكَ لاَ يَلتَفِتُ السَّالِكُ مِنْ كَمَال تَعَلقِه وَشَغَفِه بِالمَطْلُوب الحَقِيقِيِّ إِلى شَيْءٍ أَصْلاً بَل لاَ يُشَاهِدُ شَيْئًا وَلاَ يَقَعُ نَظَرُ بَصِيرَتِه إِلى شَيْءٍ قَطْعًا فَإِنْ لَمْ تَكُنْ الأَشْيَاءُ مَوْجُودَةً فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَحَقَّقُ الفَنَاءُ وَعَمَّنْ يَكُونُ فَانِيًا وَذَاهِلاً وَنَاسِيًا.

وَأَوَّل مَنْ صَرَّحَ بِالتَّوْحِيد الوُجُودِيِّ هُوَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ وَعِبَارَاتُ المَشَايِخِ المُتَقَدِّمِينَ وَإِنْ كَانَتْ مُشْعِرَةً بِالتَّوْحِيد وَمُنْبِئَةً عَنِ الاتِّحَاد وَلَكِنَّهَا قَابِلَةٌ لِلحَمْل عَلَى التَّوْحِيدِ الشُّهُودِيِّ فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ يُرَ غَيْرُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - قَال بَعْضُهمْ: لَيْسَ فِي جُبَّتِي سِوَى اللهِ وَقَال بَعْضُهمْ: سُبْحَانِي وَبَعْضُهمْ لَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرِي وَهَذِه كُلهَا أَزْهَارٌ تَفَتَّقَتْ مَنْ غُصْنِ رُؤْيَة الوَاحِد لاَ دَلالَةَ فِي وَاحِد مِنْهَا عَلَى التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ وَالذِي بَوَّبَ مَسْأَلَةَ وَحْدَة الوُجُود وَفَصْلهَا وَدَوَّنَهَا تَدْوِينَ النَّحْوِ وَالصَّرْف هُوَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّين بْنُ العَرَبِيِّ وَخَصَّصَ بَعْضَ المَعَارِف الغَامِضَة بَيَّنَ هَذَا المَبْحَث بِنَفْسِه حَتَّى قَال: إِنَّ خَاتَمَ النُّبُوَّة يَأْخُذُ بَعْضَ العُلومِ وَالمَعَارِف عَنْ خَاتَمِ الوِلاَيَة وَأَرَادَ بِخَاتَمِ الوِلاَيَة المُحَمَّدِيَّة نَفْسَهُ وَقَال الشُّرَّاحُ فِي تَوْجِيهه: إِنَّ السُّلطَانَ إِذَا أَخَذَ مِنْ خَازِنه شَيْئًا فَأَيُّ نُقْصَان فِيه وَبِالجُمْلة لاَ حَاجَةَ فِي تَحْصِيل الفَنَاءِ وَالبَقَاء وَحُصُول الوِلاَيَة الصُّغْرَى وَالكُبْرَى

إِلى التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ بَل لاَ بُدَّ فِي تَحَقُّق الفَنَاءِ وَحُصُول نِسْيَان السِّوَى مِنَ التَّوْحِيد الشُّهُودِيِّ بَل يُمْكِنُ أَنْ يَسِيرَ السَّالكُ مِنَ البِدَايَة إِلى النِّهَايَة وَلاَ يَظْهَرُ لَهُ شَيْءٌ مِنْ عُلومِ التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ وَمَعَارِفهَا أَصْلاً بَل يَكَادُ يُنْكِرُ هَذه العُلومَ وَعِنْدَ هَذَا الفَقِيرِ أَنَّ الطَّرِيقَ الذِي يَتَيَسَّرُ سُلوكُهُ بِدُونِ ظُهُورِ هَذِهِ المَعَارِفِ أَقْرَبُ مِنَ الطَّرِيقِ الذِي هُوَ مُتَضَمِّنٌ لِظُهُورِ هَذه المَعَارِف.

وَأَيْضًا إِنَّ أَكْثَرَ سَالكِي هَذه الطَّرِيق يَصِلونَ إِلى المَطْلوب وَأَكْثَرُ سَائِرِي ذَاكَ الطَّرِيق يَبْقَوْنَ فِي الطَّرِيقِ وَيَرْوُونَ مِنَ البَحْرِ بِقَطْرَة وَيُبْتَلوْنَ بِتَوَهُّمِ اتِّحَاد الظِّل بِالأَصْل وَيُحْرَمُونَ بِذَلكَ الوَصْل وَعَملتُ هَذَا المَعْنَى بِتَجَارِيبَ مُتَعَدِّدَة وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلهِمُ لِلصَّوَاب وَسَيْرُ الفَقِيرِ وَإِنْ كَانَ مِنَ الطَّرِيقِ الثَّانِي وَوَجَدَ حَظًّا وَافِرًا مَنْ ظُهُورَات عُلومِ التَّوْحِيد الوُجُودِيِّ وَمَعَارِفه وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ عِنَايَةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - شَامِلةً لِحَالِه وَكَانَ سَيْرُهُ السَّيْرَ المَحْبُوبِيَّ طَوَى بَوَادِيَ الطَّرِيقِ وَمَفَاوِيزَه بِأَمْدَاد فَضْله وَعِنَايَتِه - تَعَالى - وَجَاوَزَ مَرَاتِبَ الظِّلال وَوَصَل إِلى الأَصْل بِتَوْفِيقِ اللهِ - تَعَالى - وَعَوْنه. وَلَمَّا وَقَعَتْ المُعَامَلةُ عَلَى المُسْتَرْشِدِينَ رَأَى أَنَّ الطَّرِيقَ الآخَرَ أَقْرَبُ إِلى الوُصُول وَأَسْهَل مِنْ حَيْثُ الحُصُول الحَمْدُ للهِ الذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ، لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بِالحَقِّ.

تَنْبِيهٌ: قَدْ عُلمَ مِنَ التَّحْقِيق السَّابق أَنَّ المَوْجُودَات وَإِنْ كَانَتْ مُتَعَدِّدَةً وَمَا سِوَاهُ - تَعَالى - كَانَ مَوْجُودًا جَازَ أَنْ يَتَحَقَّقَ الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ وَتَحْصُل الوِلاَيَة

الصُّغْرَى وَالكُبْرَى فَإِنَّ الفَنَاءَ هُوَ نِسْيَانُ السِّوَى لاَ إِعْدَامُهُ وَاسْتِئْصَالُهُ وَمَا هُوَ اللاَّزِمُ فِيهِ أَنْ تَكُونَ رُؤْيَةُ السِّوَى مَفْقُودَةً لاَ أَنْ يَكُونَ السِّوَى مَعْدُومًا وَلاَ شَيْئًا مَحْضًا.

وَهَذَا الكَلاَمُ مَعَ ظُهُورِهِ قَدْ خَفِيَ عَلَى أَكْثَرِ الخَوَاصِّ وَمَاذَا نَقُول مِنَ العَوَامِّ وَجَعَلوا مَعْرِفَةَ وَحْدَةِ الوُجُودِ مِنْ شَرَائِطِ الطَّرِيقِ بِتَخَيُّلِ أَنَّ التَّوْحِيدَ الشُّهُودِيَّ هُوَ عَيْنُ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَزَعَمُوا القَائِلَ بِتَعَدُّدِ الوُجُودِ ضَالاً وَمُضِلاً حَتَّى تَخَيَّلَ الكَثِيرُونَ مِنْهُمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - مُنْحَصِرَةٌ فِي مَعَارِفِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَتَصَوَّرُوا أَنَّ شُهُودَ الوَحْدَةِ فِي مَرَايَا الكَثْرَةِ مِنْ تَمَامِ الأَمْرِ حَتَّى صَرَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ كَانَ بَعْدَ حُصُولِ كَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ فِي مَقَامِ الشُّهُودِ وَالوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ وَأَنَّ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ} إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ المَقَامِ وَيُؤَوِّلُ العِبَارَةَ هَكَذَا {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ} شُهُودَ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ وَكَأَنَّهُ فَهِمَ هَذِهِ الإِشَارَةَ مِنْ تَوَسُّطِ الوَاوِ بَيْنَ حُرُوفِ الكَثْرِ حَاشَا مَقَامُ النُّبُوَّةِ مِنْ أَنْ يَلِيقَ بِمِثْلِ هَذِهِ المَعَارِفِ وَكَلاَّ فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - إِنَّمَا دَعَوْا إِلَى اللهِ المُنَزَّهِ عَنِ المُمَاثَلَةِ وَالمُشَابَهَةِ وَالذِي يَكُونُ لَهُ مُتَّسَعٌ فِي مَرَايَا المَثَالِي لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ المَثَالِيِّ بَلْ هُوَ مُتَّسِمٌ بِسِمَةِ الكَيْفِ وَالمِثَالِ رَزَقَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - الإِنْصَافَ وَكَأَنَّهُمْ يَزِنُونَ الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بِمِيزَانِ كَمَالاَتِهِم وَيَزْعُمُونَ كَمَالاَتِهِمْ مُمَاثِلَةً لِكَمَالاَتِهِمْ {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ}، شِعْرٌ:

وَلَيْسَ لِشَيْءٍ كَامِنٍ جَوْفَ صَخْرَةٍ سِوَاهَا سَمَوَاتٌ لَدَيْهِ وَلاَ أَرْضُ

وَأَحْقَرُ أُمَّتِهِ ﷺ فِي اسْتِغْفَارٍ وَنَدَامَةٍ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ المَعْرِفَةِ التِي حَصَلَتْ لَهُ فِي أَوَائِلِ حَالِهِ وَبِنَفْيِ ذَلِكَ الشُّهُودِ مِنْ جَانِبِ قُدْسِهِ - تَعَالَى - كَحَوْلِ النَّصَارَى قَالَ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: كُلَمَا يَكُونُ مَرْئِيًّا وَمَسْمُوعًا أَوْ مُتَخَيَّلاً أَوْ مَوْهُومًا فَهُوَ غَيْرُهُ - تَعَالَى - يَنْبَغِي نَفْيُهُ بِحَقِيقَةِ كَلِمَةِ لاَ فَكَانَ شُهُودُ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَهِ أَيْضًا مُسْتَحِقًّا لِلنَّفْيِ فَهُوَ مُنْتَفٍ مِنْ جَانِبِ قُدْسِهِ وَكَلاَمُ الخواجهْ هَذَا هُوَ الذِي أَخْرَجَنِي مِنْ هَذَا الشُّهُودِ وَأَنْجَانِي مِنَ التَّعَلُّقَاتِ بِالمُشَاهَدَةِ وَالمُعَايَنَةِ،

وَحَوْلَ الرَّحْلِ مِنَ العِلْمِ إِلَى الجَهْلِ وَمِنَ المَعْرِفَةِ إِلَى الحَيْرَةِ جَزَاهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - خَيْرَ الجَزَاءِ وَأَنَا بِهَذَا الكَلاَمِ الوَاحِدِ مُرِيدُ الخواجهْ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيِّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - وَمُقَرْطَقُ الأُذُنِ بِكَلاَمِهِ هَذَا.

وَالحَقُّ أَنَّ قِيلاً مِنَ الأَوْلِيَاءِ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ العِبَارَةِ وَنَفَى جَمِيعَ المُشَاهَدَاتِ وَالمُعَايَنَاتِ عَلَى هَذَا النَّهْجِ وَقَالَ هُوَ - يَعْنِي الخَواجهْ النَّقْشَبَنْدِيَّ - فِي هَذَا المَقَامِ الذي هُوَ مَقَامُ الحَقِيقَةِ: مَعْرِفَةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - حَرَامٌ عَلَى بَهَاءِ الدِّينِ لَوْ لَمْ تَكُنْ بِدَايَتُهُ نِهَايَةَ أَبِي يَزِيدَ فَإِنَّ أَبَا يَزِيدَ مَعَ عِظَمِ شَأْنِه وَجَلالَة قَدْرِه مَا جَاوَزَ الشُّهُودَ وَالمُشَاهَدَةَ وَلَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ خَارِجَ مَضِيقِ سُبْحَانِي بِخِلاَفِ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ فَإِنَّهُ نَفَى جَمِيعَ مُشَاهَدَاتِه بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَعْنِي كَلِمَةَ لاَ، وَجَعَلَ الكُلَّ غَيْرَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَنْزِيهَ البِسْطَامِيِّ تَشْبِيهٌ عِنْدَ الخواجهْ وَلاَ مِثَالِيَّةَ مِثَالِيٌّ، وَكَمَالُهُ نَقْصٌ فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ نِهَايَتُهُ التي لَمْ تَتَجَاوَزِ التَّشْبِيهَ بِدَايَةً. الخواجهْ،

فَإِنَّ البِدَايَةَ تَكُونُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالنِّهَايَةَ تَكُونُ إِلى التَّنْزِيهِ وَلَعَلَّهُ حَصَلَ الاطِّلاَعُ لأَبِي يَزِيدَ فِي آخِرِ الحَالِ عَلَى هَذَا النَّقْصِ حَيْثُ قَالَ قُبَيْلَ الاحْتِضَارِ: إلهي مَا ذَكَرْتُكَ إِلاَّ عَنْ غَفْلَةٍ وَلاَ خَدَمْتُكَ إِلاَّ عَنْ فَتْرَةٍ فَعَرَفَ فِي ذَلكَ الحَالِ أَنَّ حُضُورَ السَّابِقِ كَانَ غَفْلَةً فَإِنَّهُ مَا كَانَ حُضُورَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَلْ كَانَ حُضُورَ ظِلٍّ مِنَ الظِّلاَلِ وَظُهُورًا مِنَ الظُّهُورَاتِ فَيَكُونُ غَافِلاً عَنْهُ - تَعَالى - بِالضَّرُورَةِ فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - غَيْرُ الظِّلاَلِ وَالظُّهُورَاتِ وَوَرَاءَ الوَرَاءِ وَالظِّلاَلِ وَالظُّهُورَاتِ إِنَّمَا هِيَ مَبَادٍ وَمُقَدِّمَاتٌ وَمَعَارِجُ وَمُعَدَّاتٌ وَمَا قَالَ الخواجهْ - قُدِّسَ سِرُّهُ -: نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ فِي البِدَايَةِ، مُطَابِقٌ لِلوَاقِعِ فَإِنَّ ابْتِدَاءَ تَوَجُّهِهِمْ إِلى الأُحَدِيَّةِ الصِّرْفَةِ يُرِيدُونَ مِنَ الاسْمِ وَالصِّفَةِ غَيْرَ الذَّاتِ وهَذَا الحَالُ تَحْصُلُ لِلمُبْتَدِئِينَ الرَّشِيدِينَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ بِطَرِيقِ الانْعِكَاسِ مِنْ شَيْخٍ مُقْتَدًى بِه مُشَرَّفٍ بِهَذَا الكَمَالِ عَرَفُوا أَوْ لَمْ يَعْرِفُوا فَتَكُونُ نِهَايَةُ الكَمَالِ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَةِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ هَذَا التَّوَجُّهَ إِلى الأُحَدِيَّةِ لَوْ غَلَبَ فِيهِمْ وَنَمَى وَجُعِلَ الظَّاهِرُ أَيْضًا مُنْصَبِغًا بِلَوْنِ البَاطِنِ يَكُونُ السَّالِكُ حِينَئِذٍ مُتَخَلِّصًا مِنْ رِقِّيَّةِ مُشَاهَدَةِ السُّفْلِيِّ وَشُهُودِ الأَدْنَى الذي يَظْهَرُ فِي مَرَايَا المُمْكِنَاتِ وَهَارِبًا مِنَ المَعَارِفِ التَّشْبِيهِيَّةِ وَإِنْ لَمْ يَغْلِبْ هَذَا التَّوَجُّهُ بَلْ كَانَ مَقْصُورًا عَلَى البَاطِنِ فَكَثِيرًا مَا يَكُونُ الظَّاهِرُ مُلْتَذًّا بِشُهُودِ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ وَمُحْتَظًّا بِالتَّوْحِيدِ وَالاتِّحَادِ وَلَكِنَّ هَذَا الشُّهُودَ مَقْصُورٌ فِي حَقِّهِمْ عَلَى الظَّاهِرِ غَيْرَ سَارٍ إِلى البَاطِنِ بَلْ بَاطِنُهُمْ مُتَوَجِّهٌ إِلى الأُحَدِيَّةِ الصِّرْفَةِ وَظَاهِرُهُمْ مُشَاهِدٌ لِلوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ بَلْ رُبَّمَا لاَ يَكُونُ تَوَجُّهُ البَاطِنِ بِوَاسِطَةِ غَلَبَةِ نِسْبَةِ الظَّاهِرِ مَعْلُومًا وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ سِوَى الشُّهُودِ الظَّاهِرِيِّ مَفْهُومًا كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَائِلِ أَحْوَالِ مُحَرِّرِ هَذِهِ السُّطُورِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ شُعُورٌ مِنَ

تُوَجُّه البَاطِنِ إلى الأُحَدِيَّة الصِّرْفَة بوَاسطَة غَلَبَة نسْبَة الظَّاهر، وَوَجَدَ نَفْسَهُ مُتَوَجِّهًا بالكُلِّيَّة إلى شُهُود الوَحْدَة في الكَثْرَة ثُمَّ رَزَقَهُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - بَعْدَ مُدَّة الاطِّلاَعَ عَلى تَوَجُّه البَاطنِ وَنَصْرَ البَاطنِ عَلى الظَّاهرِ وَأَوْصَل المُعَامَلَةَ إلى هُنَا الحَمْدُ لله - سُبْحَانَهُ - عَلى ذَلكَ وَمِنْ هَذَا القَبيل مَا صَدَرَ منْ بَعْضِ خُلفَاء هَذه الطَّائفَة العَليَّة منَ المَعَارف ظَاهرًا وَبَاطنًا بخلاَف غَيْرهمْ حَيْثُ إنَّهُمْ مُبْتَلوْنَ بهَذَا الشُّهُود ظَاهرًا أَوْ بَاطنًا وَيَزْعُمُونَ هَذَا الشُّهُودَ جَمْعًا بَيْنَ التَّشْبيه وَالتَّنْزيه وَيَعُدُّونَهُ منَ الكَمَال وَإنْ كَانَ لَهُمْ في البَاطنِ إيمَانٌ بالتَّنْزيه الصِّرْف فَإنَّ الابْتلاَءَ غَيْرُ الإيمَان وَالحَال غَيْرُ العلم.

وَأَمَّا الذينَ لاَ إيمَانَ لَهُمْ بالتَّنْزيه الصِّرْف وَلاَ يَعْتَقدُونَ شَيْئًا غَيْرَ المُشَاهَدَة السُّفْليَّة فَهُمُ المَلاَحدَةُ وَهُمْ خَارجُونَ عَنِ المَبْحَث وَشُهُود الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - في مَرَايَا المُمْكنَات الذي يَعُدُّهُ جَمَاعَةٌ منَ الصُّوفيَّة كَمَالاً وَيَزْعُمُونَهُ جَمْعًا بَيْنَ الشَّبيه وَالتَّنْزيهَ لَيْسَ هُوَ عنْدَ الفَقير شُهُودَ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَلَيْسَ المَشْهُودُ فيهَا غَيْرَ مُتَخَيَّلهمْ وَمَنْحُوتهمْ وَلاَ مَا يَروْنَهُ في المُمْكنِ وَاجبًا وَلاَ مَا يَجدُونَهُ في الحَادث قَديمًا وَلاَ مَا يَظْهَرُ في التَّشْبيه تَنْزيهًا وَإيَّاكَ وَالافْتتَانَ بتُرَّهَات الصُّوفيَّة وَاعْتقَادَ غَيْرِ الحَقِّ حَقًّا وَهَذه الجَمَاعَةُ وَإنْ كَانُوا مَعْذُورينَ في خُصُوصهمْ بغَلَبَة الحَال وَمَحْفُوظينَ منَ المُؤَاخَذَة بذَلكَ كَالمُجْتَهد المُخْطئ وَلكنْ لاَ نَدْري مَاذَا تَكُونُ المُعَامَلةُ بمُقَلديهمْ لَيْتَهُمْ يَكُونُوا كَمُقَلدي المُجْتَهد المُخْطئ وَإلاَّ فَالأَمْرُ مُشْكل وَالقيَاسُ الاجْتهَاديُّ أَصْل منَ الأُصُول الشَّرْعيَّة وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بتَقْليده بخلاَف الكَشْف وَالإلهَام فَإنَّا لَمْ نُؤْمَرْ بتَقْليده.

وَالإلهَامُ لَيْسَ بحُجَّة للغَيْر، وَالحُكْمُ الاجْتهَاديُّ حُجَّةٌ للغَيْر فَيَجبُ إذًا تَقْليدُ العُلَمَاء المُجْتَهدينَ وَيَنْبَغي طَلَبُ أُصُول الدِّين مُوَافَقَةً لآرَائهمْ وَمَا يَقُولهُ الصُّوفيَّةُ أَوْ يَفْعَلونَهُ مُخَالفًا لآرَاء العُلمَاء المُجْتَهدينَ لاَ يَنْبَغي تَقْليدُهُ بَل يَنْبَغي السُّكُوتُ عَنْ طَعْنهمْ بحُسْنِ الظَّنِّ بهمْ وَأَنْ يَعُدَّهُ منْ شَطيحَاتهمْ وَأَنْ يَصْرفَهُ عَنْ ظَاهره.

وَالعَجَبُ أَنَّ كَثيرًا منَ الصُّوفيَّة يَدُلُونَ العَوَامَّ عَلى الإيمَان بأُمُورهمُ الكَشْفيَّة كَوَحْدَة الوُجُود مَثَلاً وَيَدْعُونَهُمْ إليْه وَيُرَغِّبُونَهُمْ في تَقْليدهمْ فيهَا وَيُهَدِّدُونَهُمْ عَلى عَدَم الإيمَان بهَا وَلَيْتَهُمْ يَدُلونَهُمْ عَلى عَدَم الإنْكَار عَلى هَذه الأُمُور وَيُهَدِّدُون المُنْكرينَ فَإنَّ الإيمَانَ غَيْرُ عَدَم الإنْكَار.

وَالإِيمَانُ بِهَذِه الأُمُورِ لَيْسَ بِلاَزِمٍ وَلكِنْ يَنْبَغِي الاجْتِنَابُ وَالاحْتِرَازُ عَنِ الإِنْكَارِ لِئَلاَّ يَنْجَرَّ إِنْكَارُ هَذِه الأُمُورِ إِلى إِنْكَارِ أَرْبَابِهِمْ فَيُؤَدِّي إِلى بُغْضِ أَوْلِيَاءِ الحَقِّ - جَلَ وَعَلاَ - وَعَدَاوَتِهِمْ فَاللاَّزِمُ لِلإِنْسَانِ العَمَلُ عَلى وَفْقِ آرَاءِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ وَالسُّكُوتُ عَنْ كَشْفِيَّاتِ الصُّوفِيَّةِ بِحُسْنِ الظَّنِّ وَعَدَمِ الجَسَارَةِ بِلاَ وَنَعَمْ هُوَ الحَقُّ المُتَوَسِّطُ بَيْنَ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلْهِمُ لِلصَّوَابِ.

وَمِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ مُدَّعِي هَذَا الطَّرِيقِ لاَ يَقْنَعُونَ بِهَذَا الشُّهُودِ وَالمُشَاهَدَةِ بَلْ يَزْعُمُونَ هَذَا الشُّهُودَ تَنْزِيلاً وَيَقُولُونَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ بِالرُّؤْيَةِ البَصَرِيَّةِ يَقُولُونَ نَرَى ذَاتَ وَاجِبِ الوُجُودِ المُنَزَّهِ عَنِ المِثَالِ وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذِه الدَّوْلَةَ التِي كَانَتْ مُيَسَّرَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ المِعْرَاجِ تَتَيَسَّرُ لَنَا فِي كُلِ يَوْمٍ وَيُشَبِّهُونَ النُّورَ المَرْئِيَّ لَهُمْ بِإِسْفَارِ الصُّبْحِ وَيَزْعُمُونَ ذَلِكَ النُّورَ المَرْتَبَةَ اللاَّكَيْفِيَّةَ يَتَخَيَّلُونَ ظُهُورَ ذَلِكَ النُّورِ نِهَايَةَ مَرَاتِبِ العُرُوجِ تَعَالى اللهُ - سُبْحَانَهُ - عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَأَيْضًا إِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ المُكَالَمَةَ مَعَهُ - تَعَالى - وَيَقُولُونَ: أَمَرَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - بِكَذَا وَكَذَا وَيَنْقُلُونَ عَنْهُ - سُبْحَانَهُ - أَحْيَانًا وَعِيدًا فِي حَقِّ أَعْدَائِهِمْ وَمُبَشِّرُونَ أَحْيَانًا أَحْبَابَهُمْ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ كَلِمَةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَقِيَّةَ ثُلُثِ اللَّيْلِ وَأَرْبَعَةً إِلى صَلاَةِ الصُّبْحِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ كُلِ بَابٍ وَوَجَدْتُ مِنْهُ الجَوَابَ، لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا وَيُفْهَمُ مِنْ كَلِمَاتِ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ النُّورَ المَرْئِيَّ عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَعَيْنَ ذَاتِه - تَعَالى - لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ ظُهُورٌ مِنْ ظُهُورَاتِه - تَعَالى - وَظِلٌ مِنْ ظِلاَلِه وَلاَ شَكَّ أَنَّ اعْتِقَادَ ذَلِكَ النُّورِ ذَاتَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - افْتِرَاءٌ مَحْضٌ وَإِلحَادٌ صِرْفٌ وَزَنْدَقَةٌ خَالِصَةٌ وَمِنْ نِهَايَةِ تَحَمُّلِه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - عَدَمُ اسْتِعْجَالِه فِي عُقُوبَةِ أَمْثَالِ هَؤُلاَءِ المُفْتَرِينَ وَتَعْذِيبِهِمْ بِأَنْوَاعِ العَذَابِ وَعَدَمُ اسْتِئْصَالِهِمْ سُبْحَانَكَ عَلى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ سُبْحَانَكَ عَلى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ وَقَدْ هَلَكَ قَوْمُ مُوسَى - عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بِمُجَرَّدِ طَلَبِ الرُّؤْيَةِ وَسَمِعَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - نِدَاءَ لَنْ تَرَانِي بَعْدَ طَلَبِ الرُّؤْيَةِ وَخَرَّ صَعِقًا وَتَابَ مِنْ ذَلِكَ الطَّلَبِ وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ الذِي هُوَ مَحْبُوبُ رَبِّ العَالَمِينَ وَأَفْضَلَ المَوْجُودَاتِ وَسَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مَعَ كَوْنِه مُشَرَّفًا بِدَوْلَةِ المِعْرَاجِ البَدَنِيِّ وَتَجَاوُزُهُ العَرْشَ وَالكُرْسِيَّ وَعُلُوُّهُ عَلى الزَّمَانِ وَالمَكَانِ يَعْنِي خُلُوَّهُ وَخُرُوجَهُ مِنْهُمَا لِلعُلَمَاءِ اخْتِلاَفٌ فِي رُؤْيَتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَعَ وُجُودِ الإِشَارَةِ القُرْآنِيَّةِ

إِلَيْهَا وَأَكْثَرُهُمْ قَائلونَ بعَدَمهَا قَال الإمَامُ الغَزَالِيُّ: الأَصَحُّ إِنَّهُ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَا رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ المعْرَاجِ وَهَؤُلاَء القَاصرُونَ يَرَوْنَ اللهَ - سُبْحَانَهُ - كُل يَوْم بزَعْمهمُ البَاطل مَعَ وُجُود القيل وَالقَال بَيْنَ العُلَمَاء في رُؤْيَة مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ مَرَّةً وَاحدَةً فَقَبَّحَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - مَا أَجْهَلَهُمْ.

وَأَيْضًا يُعْلَمُ منْ كَلمَات هَؤُلاَء الجَمَاعَة أَنَّ نسْبَةَ الكَلاَم الذي يَسْمَعُونَهُ إِلى الله - سُبْحَانَهُ - عنْدَهُمْ كَنسْبَة الكَلاَم إلى المُتَكَلم وَهَذَا عَيْنُ الإِلحَاد مَعَاذَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - منْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ كَلاَمٌ بطَريق تَكلم فيه تَرْتيبُ الحُرُوف وَالتَّقْديمُ وَالتَّأَخُّرُ فَإِنَّ ذَلكَ منْ عَلاَمَات الحُدُوث وَالذي أَوْقَعَهُمْ في الأُغْلوطَات هُوَ كَلمَاتُ المَشَايخ الكبَار فَإنَّهُمْ أَيضًا أَثْبَتُوا لهُ - سُبْحَانَهُ - الكَلاَمَ وَالمُكَالمَةَ.

وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَم: المَشَايخ لاَ يَقُولونَ إِنَّ نسْبَةَ الكَلاَم إِلَيْه - تَعَالى - كَنسْبَته إِلى المُتَكلم بَل يَقُولونَ إِنَّهُ كَنسْبَة المَخْلوق إِلى الخَالق يَقينًا وَلاَ مَحْذُورَ في ذَلكَ أَصْلاً فَإنَّ مُوسَى - عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - سَمعَ منَ الشَّجَرَة كَلاَمَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - وَنسْبَةُ هَذَا الكَلاَم إلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - كَنسْبَة المَخْلوق إِلى الخَالق لاَ كَنسْبَة الكَلاَم إِلى المُتَكلم وَكَذَلكَ الكَلاَمُ الذي كَانَ يَسْمَعُهُ منْ جبْريل - عَلَيْه السَّلاَمُ - نسْبَتُهُ إِلى الحَقِّ كَنسْبَة المَخْلوق إِلى الخَالق.

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ ذَلكَ الكَلاَمَ أَيْضًا كَلاَمُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَمُنْكرُهُ كَافرٌ وَزنْديقٌ وَكَأَنَّ كَلاَمَ الحَقِّ مُشْتَركٌ بَيْنَ الكَلاَم النَّفْسيِّ وَالكَلاَم اللفْظيِّ الذي يُوجدُهُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - منْ غَيْر تَوَسُّط أَمْر مَا فَيَكُونُ الكَلاَمُ اللفْظيُّ أَيْضًا في الحَقيقَة كَلاَمَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - فَيَكُونُ مُنْكرُهُ كَافرًا بالضَّرُورَة فَافْهَمْ فَإنَّ هَذَا التَّحْقيقَ يَنْفَعُكَ في كَثير منَ المَوَاضعِ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ -.

وَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الوُجُودَ الذي نُثْبتُهُ في المُمْكنَات هُوَ وُجُودٌ ضَعيفٌ كَسَائر صفَات المُمْكنَات وَمَا مقْدَارُ علم المُمْكن في جَنْب علم الوَاجب - تَعَالى - وَأَيُّ اعْتبَار للقُدْرَة الحَادثَة في جَنْب القُدْرَة القَديمَة وَكَذَلكَ وُجُودُ المُمْكن في جَنْب وُجُود الوَاجب لاَ شَيْءٌ مَحضٌ فَكَيْفَ يَقَعُ النَّاظرُ في الشَّكِّ منْ تَفَاوُت مَرَاتب هَذَيْن الوُجُودَيْن أَنَّ إطْلاَقَ الوُجُود عَلى هَذَيْن الفَرْدَيْن هَل هُوَ بطَريق الحَقيقَة أَوْ عَلى أَحَدهمَا بطَريق الحَقيقَة وَعَلى الآخر بطَريق المَجَاز أَلاَ تَرَى أَنَّ الجَمَّ الغَفيرَ منَ الصُّوفيَّة يَتْقنُوا بالشِّقِّ الثَّاني وَقَالوا: إنَّ إطْلاَقَ الوُجُود عَلى وُجُود المُمْكن إِنَّمَا هُوَ بطَريق المَجَاز وَلاَ يُثْبتُ الوُجُودَ للمُمْكنَات إلاَّ العَوَامُّ وَأَخصُّ

الخَوَاصِّ وَالْمُرَادُ بِأَخصِّ الخَوَاصِّ الأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَمَنْ كَانَ مُشَرَّفًا بِوِلاَيَتِهِمُ الأَصْلِيَّةِ مِنْ أُمَمِهِمْ وَطَوَى دَائِرَةَ الظِّلاَلِ بِالتَّمَامِ فَأَمَّا العَوَامُّ فَنَظَرُهِمْ مَقْصُورٌ عَلَى الظَّاهِرِ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ وُجُودَ الوَاجِبِ وَوُجُودَ الْمُمْكِنِ قِسْمَانِ مِنَ الوُجُودِ الْمُطْلَقِ وَيَظُنُّونَ كِلَيْهِمَا مَوْجُودَيْنِ.

وَأَمَّا أَخصُّ الخَوَاصِّ فَأَبْصَارُهُمْ حَدِيدَةٌ فَيَجِدُونَ كِلاَ الوُجُودَيْنِ مِنْ أَفْرَادِ الوُجُودِ الْمُطْلَقِ وَيَعدُّونَ تَفَاوَتَ مَرَاتِبِ أَفْرَادِ الوُجُودِ الْمُطْلَقِ رَاجِعًا إِلَى صِفَاتِ الوُجُودِ وَاعْتِبَارَاتِهِ لاَ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَذَاتِهِ حَتَّى يَكُونَ فِي أَحَدِهِمَا حَقِيقَةٌ وَفِي الآخَرِ مَجَازًا وَأَمَا الْمُتَوَسِّطُونَ الذِينَ وَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ فَوْقَ رُتْبَةِ العَوَامِّ وَقَصَرُوا عَنْ إِدْرَاكِ كَمَالاَتِ أَخصِّ الخَوَاصِّ فَعَسِيرٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولوا بِوُجُودِ الْمُمْكَنَاتِ وَأَنْ يُطْلِقُوا لَفْظَ الوُجُودِ عَلَى وُجُودِ الْمُمْكِنِ بِطَرِيقِ الحَقِيقَةِ.

وَمُشْكِل وَمِنْ هَهُنَا قَالوا: إِنَّ الْمُمْكِنَ إِنَّمَا يُقَال لَهُ مَوْجُودًا بِعَلاَقَةِ أَنَّ لَهُ نِسْبَةً إِلَى الوُجُودِ كَمَا يُقَال: مَاءُ الشَّمْسِ لاَ إِنَّ الوُجُودَ قَائِمٌ بِهِ حَتَّى يَكُونَ مَوْجُودًا حَقِيقَةً. وَبَعْضُ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ سَاكِتٌ عَنْ وُجُودِ الْمُمْكِنِ غَيْرُ مُصَرِّحٍ بِنَفْيِهِ وَإِثْبَاتِهِ وَبَعْضُهُمْ يَنْفِي الوُجُودَ عَنِ الْمُمْكِنِ وَلاَ يَرَى مَوْجُودًا غَيْرَ الوَاجِبِ - تَعَالَى -.

وَبَعْضُهُمْ لاَ يَقُول بِغَيْرِيَّةِ وُجُودِ الْمُمْكِنِ لِوُجُودِ الوَاجِبِ كَمَا لاَ يَقُول بِعَيْنِيَّتِهِ لَهُ وَيُصَرِّحُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُمْكِنَ مَوْجُودٌ بِعَيْنِ الوُجُودِ الذِي بِهِ الوَاجِبُ - تَعَالَى - مَوْجُودٌ وَهَذِهِ العِبَارَةُ أَيْضًا تَنْفِي الوُجُودَ عَنِ الْمُمْكِنِ وَبِالجُمْلَةِ يُحْتَاجُ فِي إِثْبَاتِ وُجُودِ الْمُمْكِنِ إِلَى حِدَّةِ النَّظَرِ حَتَّى يُمْكِنَ رُؤْيَتُهُ حِينَ يُشَعْشِعُ أَنْوَارُ وُجُودِ الوَاجِبِ - تَعَالَى - كَمَا أَنَّ مَنْ لَهُمْ حِدَّةُ البَصَرِ يَرَوْنَ النُّجُومَ فِي النَّهَارِ مَعَ وُجُودِ تَشَعْشُعِ نُورِ الشَّمْسِ وَالذِينَ لَيْسَ لَهُمْ حِدَّةُ البَصَرِ لاَ يَقْدِرُونَ رُؤْيَتَهَا فَوُجُودُ الْمُمْكَنَاتِ فِي جَنْبِ وُجُودِ الوَاجِبِ كَوُجُودِ الكَوَاكِبِ فِي النَّهَارِ مَنْ كَانَ فِيهِ حِدَّةُ البَصَرِ يَقْدِرُ رُؤْيَتَهُ وَمَنْ هُوَ ضَعِيفُ البَصَرِ لاَ يَقْدِرُهَا

وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ وَلاَ سَهْمٌ

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَرَى العَوَامُّ وُجُودَ الْمُمْكَنَاتِ مَعَ وُجُودِ ضَعْفِ البَصَرِ وَعَمَى البَصِيرَةِ فِيهِمْ وَالحَال أَنَّ تَشَعْشُعَ أَنْوَارِ وُجُودِ الوَاجِبِ مَانِعٌ عَنْ رؤيتِهِ يَعْنِي الضِّعَافَ البَصَرِ ؟

أُجِيبُ أَنَّ العَوَامَّ أَرْبَابُ العِلْمِ لاَ أَرْبَابُ الرُّؤْيَةِ، وَكَلاَمُنَا فِي أَرْبَابِ الرُّؤْيَةِ لاَ فِي أَرْبَابِ العِلْمِ فَإِنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الْمَبْحَثِ فَكَانَ ظُهُورُ أَنْوَارِ الوَاجِبِ - تَعَالَى

– مَفْقُودًا فِي حَقِّهِمْ فَلاَ يَكُونُ مَانِعًا عَنْ رُؤْيَةِ وُجُودِ المُمْكِنَاتِ فِي حَقِّهِمْ أَوْ نَقُولُ: إِنَّ ظُهُورَ أَنْوَارِ الوَاجِبِ إِنَّمَا هُوَ مَانِعٌ عَنْ شُهُودِ وُجُودِ المُمْكِنَاتِ لاَ إِنَّهُ مَانِعٌ عَنِ العِلمِ بِوُجُودِ المُمْكِنَاتِ فَإِنَّ العِلمَ كَثِيرًا مَا يَحْصُلُ بِالسَّمَاعِ وَالتَّقْلِيدِ وَالنَّظَرِ وَالاسْتِدْلاَلِ كَمَا أَنَّ العِلمَ بِوُجُودِ الكَوَاكِبِ فِي النَّهَارِ حَاصِلٌ لِضِعَافِ البَصَرِ أَيْضًا مَعَ وُجُودِ ظُهُورِ الشَّمْسِ وَفِي العَوَامِّ العِلْمُ بِوُجُودِ المُمْكِنَاتِ لاَ شُهُودِهِ فَإِنَّ الشُّهُودَ مِنْ صِفَةِ البَصِيرَةِ وَبَصِيرَةُ العَوَامِّ مَطْمُوسَةٌ سَوَاءٌ كَانَ المَشْهُودُ مُلْكًا أَوْ مَلَكُوتًا أَوْ جَبَرُوتًا أَوْ لاَهُوتًا.

أَيُّهَا الأَخُ الأَعَزُّ، إِنَّ العَوَامَّ كَمَا أَنَّهُمْ مُشَارِكُونَ لأَخَصِّ الخَوَاصِّ فِي هَذَا المَبْحَثِ كَذَلِكَ لَهُمْ مُشَارَكَةٌ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ وَمِنْ هَهُنَا كَانَتْ مُعَامَلَةُ الأَنْبِيَاءِ وَمُعَاشَرَتُهُمْ – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْكَامِ كَمُعَامَلَةِ العَوَامِّ وَمَعَائِشِهِمْ – عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْكَامِ كَمُعَامَلَةِ العَوَامِّ وَمَعَائِشِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ مَعَ أَهْلِهِمْ وَعِيَالِهِمْ وَكَانَ خَيْرُ البَشَرِ ﷺ يُعَامِلُ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ مِثْلَ مُعَامَلَتِهِمْ وَحُسْنُ مُعَاشَرَتِهِ ﷺ مَشْهُورٌ، نُقِلَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبَّلَ يَوْمًا الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـــ وَأَظْهَرَ لَهُمَا تَمَامَ الانْبِسَاطِ فَقَالَ شَخْصٌ مِنَ الحَاضِرِينَ: إِنَّ لِي أَحَدَ عَشَرَ ابْنًا وَلَمْ أُقَبِّلْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَصْلاً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ هَذِهِ الرَّحْمَةَ أَعْطَاهَا اللهُ – سُبْحَانَهُ – لِعِبَادِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ.

وَحَيْثُ كَانَتْ لأَخَصِّ الخَوَاصِّ مُشَارَكَةٌ مَعَ العَوَامِّ فِي بَعْضِ الأَوْصَافِ وَإِنْ كَانَتْ صُورَةً كَانَ العَوَامُّ مَحْرُومِينَ مِنْ أَكْثَرِ كَمَالاَتِهِمْ بِسَبَبِ نُقْصَانِهِمْ وَقُصُورِ إِدْرَاكِهِمْ وَتَخَيُّلِهِمْ إِيَّاهُمْ كَأَنْفُسِهِمْ وَالذِينَ فَارَقُوهُمْ فِي الأَوْصَافِ وَالخِصَالِ تَرَاهُمْ يُعَظِّمُونَهُمْ وَيُوَقِّرُونَهُمْ وَلِهَذَا يُفَضِّلُونَ أَوْصَافَ الأَوْلِيَاءِ وَأَخْلاَقَهُمْ عَلَى مَا سِوَاهَا مِنَ الأَوْصَافِ التِي تُشَابِهُ أَوْصَافَهُمْ وَأَخْلاَقَهُمْ لِكَوْنِهَا مُغَايِرَةً لأَوْصَافِهِمْ وَأَخْلاَقِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الأَخْلاَقُ مَوْجُودَةً فِي الأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ –.

نُقِلَ عَنِ المَخْدُومِ الشَّيْخِ فَرِيدِ كَنْجِ شُكْرِ أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلاَدِهِ وَبَلَغَهُ خَبَرُ وَفَاتِهِ لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهِ تَغَيُّرٌ أَصْلاً وَقَالَ: مَاتَ جَرْوُ الكَلْبِ فَأَخْرِجُوهُ وَلَمَّا تُوُفِّيَ وَلَدُ سَيِّدِ البَشَرِ إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – بَكَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَحَزِنَ وَقَالَ: إِنَّا بِفِرَاقِكَ لَمَحْزُونُونَ. وَبَيَّنَ حُزْنَهُ بِالتَّأْكِيدِ مُبَالَغَةً فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الشَّيْخُ فَرِيدُ كَنْجِ شُكْرٍ أَمْ سَيِّدُ البَشَرِ ﷺ ؟

وَعِنْدَ العَوَامِّ الذينَ هُمْ كَالأَنْعَام بَلْ أَضَل مُعَامَلَةُ الأَوَّل أَوْلى وَأَفْضَل فَإِنَّهُمْ يَعُدُّونَهَا مِنْ عَدَمِ التَّعَلق بالسِّوَى وَيَزْعُمُونَ الثَّانيَ عَيْنَ التَّعَلق بالفَاني – أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ – مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمُ السُّوءِ وَحَيْثُ إِنَّ هَذِه الدَّارَ دَارُ امْتِحَان وَابْتلاء فَإِلقَاءُ العَوَامِّ في الاشْتبَاه وَالشُّبْهَة عَيْنُ الحكْمَة وَالمَصْلَحَة اللهُمَّ أَرنَا الحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرنَا البَاطلَ بَاطلاً وَارزُقنَا اجْتنَابَهُ بحُرْمَة سَيِّد البَشَر – عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلاَم وَنَقول: إنَّ إِيمَانَ الأَنْبيَاء – عَلَيْهم السَّلاَمُ – وَأَصْحَابه الكرَام وَالأَوْليَاء المُلحقينَ بالأَصْحَاب العظَام بَعْدَ الشُّهُور قَدْ تقَرَّرَ كَوْنُهُ بالغَيْب بوَاسطَة الرُّجُوع إلى الدَّعْوَة كَمَا أَنَّ شَخْصًا رَأى الشَّمْسَ في النَّهَار وَوَجَدَ فيه الإِيمَانَ الشُّهُوديَّ بوُجُود الشَّمْس فإذا جَاءَ الليْل يَتَبَدَّل إِيمَانُهُ الشُّهُوديُّ وإيمَانُ العُلمَاء وَإنْ كَانَ غَيْبًا وَلكنْ غَيْبُهُمْ عَرَضٌ لهُ حُكْمُ الحَدْس بوَاسطَة نُور مُتَابَعَة الأَنْبيَاء – عَلَيْهمُ السَّلاَمُ – وَخرَجَ منْ كَوْنه نَظَريًّا وَاسْتدْلاليًّا وَالمُرَادُ بالعُلمَاء هُنَا عُلمَاءُ الآخرَة فَإنَّ عُلمَاءَ الدُّنْيَا دَاخلونَ في عَامَّة المُؤْمنينَ وَأَفْضَل أَقْسَام الإيمَان الغَيْبيِّ المَنْسُوب إلى عَامَّة المُؤْمنين إيمَانٌ مَرْبُوطٌ بتَقْليد الأَنْبيَاء – عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – وَمَنُوطٌ بقال اللهُ وَقَالَ رَسُول الله صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ.

فَإنْ قيلَ: قَال العُلمَاءُ: إنَّ الإيمَانَ الاسْتدْلاليَّ أَفْضَل منَ الإيمَان التَّقْليديِّ حَتَّى إنَّ كَثيرًا منَ العُلمَاء عَدُّوا الاسْتدْلال منْ شَرَائط الإيمَان وَلمْ يَعْتَبرُوا الإيمَانَ التَّقْليديَّ وَأَنْتَ تَقُول: إنَّ الإيمَانَ التَّقْليديَّ أَفْضَل ؟

أُجيبَ: إنَّ الإيمَانَ الحَاصل بتَقْليد الأَنْبيَاء – عَلَيْهمُ السَّلاَمُ – إيمَانٌ اسْتدْلاليٌّ فَإنَّ صَاحبَ التَّقْليد يَعْرِفُ بالدَّليل أَنَّ الأَنْبيَاءَ – عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – صَادقُونَ في تَبْليغ الرِّسَالة منَ الله – تَعَالى – فَإنَّ الشَّخْصَ الذي صَدَّقَهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ – بالمُعجزَة صَادقٌ أَلبَتَّةَ وَالأَنْبيَاءُ – عَلَيْهمُ السَّلاَمُ – كُلهُمْ مُؤَيَّدُونَ بالمُعجزَات فَيَكُونُ كُلهُمْ صَادقينَ وَالتَّقْليدُ الغَيْرُ المُعْتَبَر هُوَ تَقْليدُ الآبَاء في الإيمَان فَقَطْ وَلاَ يَكُونُ صدْقُ الأَنْبيَاء – عَلَيْهمُ السَّلاَمُ – وَحَقِّيَّةُ تَبْليغهمْ مَنْظُورًا إليْه أَصْلاً وَهَذَا الإيمَانُ غَيْرُ مُعْتَبَر عنْدَ كَثير منَ العُلمَاء بَقيَ الإيمَانُ الاسْتدْلاليُّ الحَاصلُ منْ تَرْتيب مُقَدِّمَات أَرْبَاب النَّظَر منَ الصُّغْرَى وَالكُبْرَى فَهُوَ اسْتدْلال قَريبٌ منَ الأَمَاكن بَعيدٌ عَن الوُقُوع وَلاَ يُعْلمُ مَضَى أَحَدٌ منْ أَرْبَاب النَّظَر في مَقَام الاسْتدْلال عَلى إثْبَات الوَاجب مثْل مَوْلاَنَا جَلاَل الدِّين الدَّوَانيِّ فَإنَّهُ مُحَقِّقٌ وَمُتَأَخِّرُ الزَّمَان وَقَدْ سَعَى هُوَ في إثْبَات الوَاجب سَعْيًا بَليغًا وَمَعَ ذَلكَ لاَ يُوجَدُ مُقَدِّمَةٌ منْ مُقَدِّمَات اسْتدْلالاَته مُسَلمَةً منَ النَّقْض وَالمُعَارَضَة وَالمَنْع وَالدَّخل المُوَجَّهُ التي أَوْرَدَهَا مَحَشُوّ رسَالته وَيْل لصَاحب اسْتدْلاَل يَحْصُلُ الإيمَانُ بمُجَرَّد الاسْتدْلاَل وَلاَ يَكُونُ تَقْليدُ الأَنْبيَاء مُسْتَندَةً

وَمُعْتَمِدَة رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُول فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَان

إلى المِرْزَا حُسَامِ الدِّين أَحْمَدَ

فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَنْبَغِي للسَّالك أَنْ يَكُونَ ثَابتًا وَمُسْتَقِيمًا عَلى طَرِيقِ شَيْخه غَيْرَ مُلتَفت إلى طُرُق أُخَرَ وَأَنْ لاَ يَعْتَبِرَ الوَقَائِعَ التي تَظْهَرُ عَلى خِلاَفه فَإِنَّهَا مِنَ الشَّيْطَان العَدُوِّ وَمَا يُنَاسِبُ ذلكَ

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بِالحَقِّ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَوَات أَتَمُّهَا وَمِنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا قَدْ حَصَل السُّرُورُ وَالابْتِهَاجُ بِوُصُول صَحِيفَةِ الالتفَاف المُرْسَلة بِاسْمِ هَذَا الحَقِيرِ عَلى وَجْه الكَرَمِ جَزَاكُمُ اللهُ – سُبْحَانَهُ – خَيْرَ الجَزَاء وَقَدْ انْدَرَجَ فِيهَا أَنَّهُ لوْ كَانَتْ المُبَالغَةُ فِي مَنْعِ السَّمَاعِ مُتَضَمِّنَةً للمَنْعِ عَنْ سَمَاعِ المَوْلد الذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قِرَاءَةِ القَصَائِد النَّعْتيَّة وَالأَشْعَارُ غَيْرُ النَّعْتيَّة يَعْسُرُ تَرْكُ اسْتِمَاعِ المَوْلد عَلى الأخِ الأَعَزِّ المِيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ وَبَعْضُ الأَصْحَاب المَوْجُودِينَ هُنَا لأَنَّهُمْ رَأَوْا النَّبِيَّ ﷺ فِي الوَاقِعَة وَهُوَ ﷺ رَاضٍ عَنْ مَجْلسِ المَوْلد جدًّا وَيَصْعُبُ عَلَيْهِمْ تَرْكُ ذَلكَ جدًّا.

أَيُّهَا المَخْدُومُ، لوْ كَانَ للوَقَائِعِ اعْتِبَارٌ وَعَلى المَنَامَات اعْتِمَادٌ لاَ يَحْتَاجُ المُرِيدُونَ إلى الشُّيُوخِ وَيَكُونُ اخْتِيَارُ طَرِيقٍ مِنَ الطُّرُق عَبَثًا فَإِنَّ كُل مُرِيد يَعْمَل حِينَئذ بِمَا يُوَافِقُ وَقَائِعَهُ وَيُطَابِقُ لمَنَامَاته سَوَاءٌ كَانَتْ تلكَ الوَقَائِعُ وَالمَنَامَاتُ مُوَافِقَةً لطَرِيقَةِ شَيْخه أَوْ لاَ، وَسَوَاءٌ كَانَتْ مَرْضِيَّةً عِنْدَهُ أَوْ لاَ فَعَلى هَذَا التَّقْدِيرِ تَبْطُل سلسلَةُ الشَّيْخُوخَة وَالمُرِيدِيَّة وَكُل ذِى هَوَسٍ يَسْتَقِل بِوَضْعه وَيَسْتَبِدُّ بِطَوْره وَالمُرِيدُ الصَّادِقُ لاَ يَكُونُ عِنْدَهُ لأَلف وَاقِعَة صَادِقَة مِقْدَارُ نِصْف شَعِيرَة مِنَ الاعْتِبَار مَعَ وُجُود شَيْخه وَتَكُونُ المَنَامَاتُ عِنْدَ الطَّالبِ الرَّشِيد مَعَ دَوْلة حُضُور المُرْشِد مَعْدُودَةً مِنْ أَضْغَاث أَحْلاَم وَلاَ يُلتَفَتُ إلى شَيْءٍ مِنْهَا أَصْلاً الشَّيْطَانُ عَدُوٌّ قَوِيٌّ لاَ يَأْمَنُ المُنْتَهُونَ مِنْ كَيْدِه وَلاَ يَزَالونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ مِنْ مَكْرِه فَمَاذَا نَقُول فِي حَقِّ المُبْتَدِئِينَ وَالمُتَوَسِّطِينَ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ المُنْتَهِينَ مَحْفُوظُونَ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ مَصُونُونَ بِخِلاَفِ المُبْتَدِئِينَ وَالمُتَوَسِّطِينَ فَلاَ تَكُونُ وَقَائِعُهُم مُسْتَحِقَّةً لِلاعْتِمَادِ وَمَحْفُوظَةً عَنْ مَكْرِ عَدُوٍّ شَدِيدِ العِنَادِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الوَاقِعَةَ التِي يُرَى فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ صَادِقَةٌ وَمَحْفُوظَةٌ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَمَكْرِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِصُورَتِهِ كَمَا وَرَدَ فَتَكُونُ وَقَائِعُ مَا نَحْنُ فِيهِ صَادِقَةً وَمَحْفُوظَةً مِنْ مَكْرِ الشَّيْطَانِ.

أُجِيبُ أَنَّ صَاحِبَ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ جَعَلَ عَدَمَ تَمَثُّلِ الشَّيْطَانِ مَخْصُوصًا بِصُورَتِهِ ﷺ الخَاصَّةِ بِهِ المَدْفُونَةِ فِي المَدِينَةِ وَلاَ يَجُوزُ الحُكْمُ بِعَدَمِ تَمَثُّلِهِ مُطْلَقًا عَلَى أَيِّ صُورَةٍ كَانَ وَلاَ شَكَّ أَنَّ تَشْخِيصَ تِلْكَ الصُّورَةِ عَلَى صَاحِبِهَا - الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - خُصُوصًا فِي المَنَامِ مُتَعَسِّرٌ جِدًّا فَكَيْفَ تَكُونُ مُسْتَحِقَّةَ الاعْتِمَادِ فَإِنْ لَمْ نَجْعَلْ عَدَمَ تَمَثُّلِ الشَّيْطَانِ مَخْصُوصًا بِصُورَتِهِ ﷺ الخَاصَّةِ بِهِ وَجَوَّزْنَا عَدَمَ تَمَثُّلِهِ بِهِ عَلَى أَيِّ صُورَةٍ كَانَ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ وَمُنَاسِبٌ أَيْضًا لِرِفْعَةِ شَأْنِهِ ﷺ نَقُولُ: إِنَّ أَخْذَ الأَحْكَامِ عَنْ تِلْكَ الصُّورَةِ وَإِدْرَاكَ المَرْضِيِّ وَغَيْرِ المَرْضِيِّ لَهُ مِنَ المُشْكِلاَتِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ العَدُوُّ اللعِينُ مُتَوَسِّطًا فِي البَيْنِ وَمُرَئِيًا لِخِلاَفِ الوَاقِعِ وَاقِعِيًّا وَمُوقِعًا لِلرَّائِي فِي الاشْتِبَاهِ وَالالتِبَاسِ بِتَلْبِيسِ عِبَارَتِهِ وَإِشَارَتِهِ بِعِبَارَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِشَارَتِهِ كَمَا رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَ البَشَرِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَوْمًا جَالِسًا وَكَانَ عِنْدَهُ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ وَرُؤَسَاءُ أَهْلِ الكُفْرِ وَكَثِيرٌ مِنَ الأَصْحَابِ أَيْضًا فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النَّجْمِ وَلَمَّا بَلَغَ ذِكْرَ آلِهَتِهِمْ البَاطِلَةِ ضَمَّ الشَّيْطَانُ اللعِينُ كَلِمَاتٍ فِي مَدْحِ آلِهَتِهِمْ البَاطِلَةِ إِلَى قِرَاءَتِهِ ﷺ عَلَى نَهْجٍ ظَنَّهَا الحَاضِرُونَ مِنْ قِرَاءَتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَمْ يَجِدُوا إِلَى تَمَيُّزِهِ سَبِيلاً أَصْلاً فَفَرِحَ الكَافِرُونَ وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا صَالَحَنَا وَمَدَحَ آلِهَتَنَا وَتَحَيَّرَ مِنْهُ الحَاضِرُونَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ أَيْضًا وَلَمْ يَطَّلِعْ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى كَلاَمِ الشَّيْطَانِ اللعِينِ هَذَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا الوَاقِعَةُ فَعَرَضَ الأَصْحَابُ الكِرَامُ عَلَيْهِ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الفِقْرَاتِ قَدْ ظَهَرَتْ فِي أَثْنَاءِ كَلاَمِكَ فَحَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ فَجَاءَ جِبْرِيل - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - بِالوَحْيِ لِبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ الكَلاَمَ كَانَ إِلْقَاءً شَيْطَانِيًّا وَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ} الآيَاتُ الأَرْبَعُ فَإِذَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ كَلاَمَهُ البَاطِلَ فِي أَثْنَاءِ قِرَاءَتِهِ ﷺ فِي زَمَانِ حَيَاتِهِ وَفِي حَالَةِ يَقَظَتِهِ وَفِي مَحْضَرِ الصَّحَابَةِ بِحَيْثُ لاَ يَمْتَازُ مِنْ قِرَاءَتِهِ ﷺ فَمِنْ أَيْنَ يُدْرَى أَنَّ تِلْكَ الوَاقِعَةَ مَحْفُوظَةٌ مِنْ تَصَرُّفِ

الشَّيْطَانِ وَمَصُونَةٌ مِنْ تَلبيسه مَعَ كَوْنِهَا بَعْدَ وَفَاته ﷺ وَفي حَالَة المَنَامِ التي هيَ حَالَةُ تَعْطِيل الحَوَاسِّ وَمَحَل الاشْتبَاه وَالالتبَاسِ وَوُجُودِ انْفرَادِ الرَّأْيِ عَنْ سَائرِ النَّاسِ.

أَوْ نَقُول: إنَّ كَوْنَهُ ﷺ رَاضيًا بهَذَا العَمَل كَمَا يَرْضَى المَمْدُوحُ عَنِ المَادحينَ لَمَا كَانَ مُتَمَكّنًا في أَذْهَان قَارِئ القَصَائد وَسَامعهَا وَمُنْتَقشًا في مُتَخَيِّلاَتهم جَازَ أَنْ تَكُونَ تلكَ الصُّورَةُ المَرْئيَّةُ في الوَاقعَة هيَ الصُّورَةُ المُنْتَقَشَةُ في مُتَخَيِّلاَتهمْ منْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ لتلكَ الوَاقعَة حَقيقَةٌ وَتَمَلقٌ شَيْطَانيٌّ وَأَيْضًا إنَّ الوَاقعَات وَالرُّؤْيَا قَدْ تَكُونُ مَحْمُولَةً عَلى ظَاهرهَا وَحَقيقَتهَا وَهيَ التي يَرَاهَا الرَّائي بعَيْنهَا كَمَا إذَا رَأَى مَثَلاً صُورَةَ زَيْد في المَنَام وَكَانَ المُرَادُ بهَا هُوَ عَيْنُ حَقيقَة زَيْد وَقَدْ تُصْرَفُ عَنِ الظَّاهر وَتُحْمَل عَلى التَّأْويل وَالتَّعْبير كَمَّا إذَا رَأَى صُورَةَ زَيْد مَثَلاً في المَنَام وَأُريدَ بهَا عُمَرَ وَمَثَلاً بعَلاَقَة المُنَاسَبَة بَيْنَهُمَا فَمنْ أَيْنَ يُعْلمُ أَنَّ وَاقعَةَ الأَصْحَاب مَحْمُولَةٌ عَلى الظَّاهر غَيْرُ مَصْرُوفَة عَنْهُ وَلم لاَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بهَا الوَقَائعَ المُحْتَاجَةَ إلى التَّعْبير وَأَنْ تَكُونَ كنَايَةً عَنْ أُمُور أُخْرَى منْ غَيْر أَنْ يَكُونَ لتُمَثّل الشَّيْطَان فيهَا مَجَال وَبالجُمْلَة يَنْبَغي أَنْ لاَ يَكُونَ مَدَارُ الاعْتبَار عَلى الوَاقعَة فَإنَّ الأَشْيَاءَ مَوْجُودَةٌ في الخَارج فَيَنْبَغي السَّعْيُ حَتَّى تُرَى الأَشْيَاءُ في الخَارج فَإنَّ ذَلكَ هُوَ اللاَّئقُ بالاعْتمَاد وَلَيْسَ فيه مَجَال التَّعْبير وَمَا يُرَى في الخَيَال فَهُوَ مَنَامٌ وَخَيَال وَأَصْحَابُنَا هُنَاكَ يُعَامَلُونَ بوَضْعهمْ وَرَأْيهمْ منْ مُدَّة مَديدَة وَزمَامُ الاخْتيَار بأَيْديهمْ وَأَمَّا المَيْرُ مُحَمَّدُ نُعْمَانَ فَمَا المُخلصُ لَهُ غَيْرَ الانْقيَاد فَإنْ تَوَقَّفُوا عَنِ الامْتنَاع فَرْضًا لَمحَةً بَعْدَ المَنْع عيَاذًا بالله - سُبْحَانَهُ - فَنَنْظُرُ إلى مَنْ يَفرُّونَ وَبمَنْ يَلوذُونَ.

وَمُبَالَغَةُ الفَقير إنَّمَا هيَ بسَبَب مُخَالفَة طَريقَته سَوَاءٌ كَانَتْ المُخَالفَةُ بالسَّمَاع وَالرَّقْص أَوْ بقرَاءَة المَوَالد وَإنْشَاء القَصَائد وَلكُل طَريق وُصُول إلى مَطْلب خَاصٌّ به وَالوُصُول إلى المَطْلَب الخَاصِّ بهَذَا الطَّريق المُتَوَسِّط مَنُوط بتَرْك هَذه الأُمُور فَكُل مَنْ فيه طَلَبَ مَطْلَبَ هَذَا الطَّريق يَنْبَغي أَنْ يُجْتَنَبَ عَنْ مُخَالفَة هَذَا الطَّريق وَأَنْ لاَ تَكُونَ مَطَالبُ طُرُق أُخَرَ مَنْظُورَةً في نَظَره قَال الخواجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشَبَنْديُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: مانه اين كَار ميكينم وَنَه انكار ميكنيم. يَعْني نَحْنُ مَا نَفْعَل هَذَا الأَمْرَ لكَوْنه مُخَالفًا للطَّريق الخَاصِّ بنَا وَلاَ نُنْكرُهُ أَيْضًا لكَوْنه مَعْمُولاً عنْدَ مَشَائخَ أُخَرَ وَلكُل وُجْهَةٍ هُوَ مُوَليهَا فَإذَا حَدَثَ أَمْرٌ مُخَالفٌ لهَذه الطَّريقَة العَليَّة في

فَيْرُوزآبادَ الذي هُوَ مَلجَأٌ وَمَلاَذٌ لأَمْثَالِنَا الفُقَرَاءِ وَمَقَرٌّ قُدْوَةِ أَرْبَابِ المُتَابَعَةِ الضُّعَفَاءِ لاَ جَرَمَ يَكُونَ مُوجبًا لاضْطِرَابِ أَمْثَالِنَا الفُقَرَاءِ أَلْبَتَّةَ.

وَالمَخَادِيمُ الكِرَامُ أَحِقَّاءُ بِالقِيَامِ بِحفْظِ طَرِيقِ وَالدهِمُ المَاجد كَمَا أَنَّ أَوْلاَدَ الخواجهْ أَحْرَارِ - قُدِّسَ سِرُّهُ - قَامُوا بِحَفْظِ الطَّرِيقِ الأَصْلِ بَعْدَ عُرُوضِ التَّغَيُّرِ لِطَرِيقِ وَالدهِمُ المَاجد بَعْدَ وَفَاته وَجَادَلوا المُغَيِّرِينَ كَمَا أَنَّهُ وَصَلَ إلى سَمْعكُمْ الشَّرِيفِ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللهُ وَكَتَبْتُمْ شَيْئًا منْ مَشْرَب شَيْخنَا القَوِيِّ العَذْب نَعَمْ إِنَّهُ تَسَاهَلَ فِي أَوَائِل حَاله فِي بَعْضِ الأُمُورِ مَيْلاً منْهُ إلى مَذْهَب المُلاَمَتِيِّ وَاخْتيَارًا لهُ وَارْتَكَبَ تَرْكَ العَزِيمَة فِي بَعْضِ الأَشْيَاء، تَرْجيحًا لذَلكَ المَذْهَب وَلَكنَّهُ اجْتَنَبَ عَنْ هَذه الأُمُورِ فِي الآخَرِ وَلَمْ يَذْكُرْ الملا مَتيه أَصْلاً ليَنْظُرُوا بنَظَرِ الإنْصَاف وَليَتَفَكَّرُوا أَنَّ شَيْخَنَا إِذَا كَانَ فَرْضًا حَيًّا فِي الدُّنْيَا فِي هَذه الأَوَان وَانْعَقَدَ هَذَا المَجْلسُ وَالاجْتمَاعُ هَل يَحْسَبُونَ أَنَّهُ يَرْضَى عَنْ هَذَا الأَمْرِ وَيَسْتَحْسنُ هَذَا الاجْتمَاعَ أَوْ لاَ وَيَقِينُ الفَقير أَنَّهُ مَا كَانَ ليَجُوزَ هَذَا المَعْنَى بَل يُنْكرُهُ وَكَانَ مَقْصُودُ الفَقير الإعْلاَمَ تَقْبَلونَ أَوْ لاَ تَقْبَلونَ لاَ مُضَايَقَةَ أَصْلاً وَلاَ مَجَال للمُشَاجَرَة قَطْعًا فَلَئنْ اسْتَمَرَّ المَخَاديمُ وَالأَصْحَابُ المَوْجُودُونَ هُنَاكَ عَلى ذَلكَ الوَضْع واسْتَدامُوا فَلاَ نَصيبَ لنَا غَيْرَ الحِرْمَانِ مِنْ صُحْبَتهِمْ وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ وَالسَّلاَمُ أَوَّلاً وَآخرًا.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَان

إلى الشَّيْخِ يُوسُفَ البَرْكِيِّ

فِي الحَثِّ عَلى عُلوِّ الهِمَّة وَعَدَم الالتِفَات إلى الشُّهُودَات السُّفْلِيَّة المُتعَلقَة بِمَرَايَا الكَثْرَةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلوَاتِ وَتَبْليغِ الدَّعَوَات ليُعْلمَ أَنَّ رَسَائلكُمْ الثَّلاَثَ المُرْسَلة قَدْ وَصَلتْ وَاتَّضَحَ مَا انْدرَجَ فِيهَا مِنْ بَيَانِ وَقَائعِ الأَحْوَال وَالكَرَامَاتِ وَالحَال الذِي بَيَّنْتُهُ فِي آخرِ شُهُود الوَحْدَة فِي الكَثْرَة بهَذه العبَارَة،

وَالانْتهَاءُ الثَّاني هُوَ أَنْ يَكُونَ عَلى الحَال الأَوَّل وأنْ يغيبَ الغَيْبَةَ يَعْني أَنا عَبْدٌ وَخلقٌ وَمنْ أُمَّة مُحَمَّد المُصْطَفَى ﷺ فَهَذَا الحَال أَصيل وَفَوْقَ الأَحْوَال المَذْكُورَة وَلكنَّ الانْتهَاءَ غَيْرُهُ وَالنِّهَايَةُ بَعيدَةٌ عَنْهُ بمَرَاحِل، شعْرٌ:

وَذَا إِيوانُ الاسْتغْنَاء عَال فَهَيْهَاتَ التَّفكُّرَ فِي الوِصَال

وَكَانَ المَقْصُودُ منْ تَكْرَارِ الكَلمَة الطَّيِّبَة حَيْثُ كُنْتُ أَمَرْتُك به فِي المَكْتُوبِ السَّابقِ هُوَ نَفْيُ هَذَا الشُّهُود المُتَعَلق بالكَثْرَة للهِ - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمِنَّةُ قَدْ زَال ذَلكَ الشُّهُودُ عَنْك ببَرَكَة تَكْرَار هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ عَاليَ الهِمَّة وَأَلاَّ تَكْتَفِي بجَوْزِ هَذَا الطَّرِيقِ وَمَوْزه فَإنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - يُحبُّ مَعَاليَ الهِمَمِ وَلَقَدْ تَخلصْتَ منْ سكَّة التَّوْحيد الوُجُوديِّ الضَّيِّقَة إلى الطَّرِيقِ السُّلطَانيِّ فَيَا لَهَا منْ نعْمَة لوْ لَمْ تَتذَكَّرْ الأَحْوَال السَّابقَةَ وَلَمْ تَتفَكَّرْ لذَّاتَ شُهُود الوَحْدَة فِي الكَثْرَة وَصَرْفَ العُمْر بالاسْتقَامَة فِي السَّعْيِ وَالاجْتهَاد فِي هَذَا الطَّرِيقِ وَلَقَدْ رَأَيْنَا كَثيرًا مِنَ الخَشْخَاشيِّينَ تَرَكُوا شُرْبَ الخَشْخَاشِ وَاطَّلعُوا عَلى قُبْحه وَاسْتَمَرُّوا عَلى ذَلكَ مُدَّةً ثُمَّ جَرَّهُمْ تَذَكُّرُ الأَحْوَال المُتَرَتِّبَة عَلى شُرْبِ الخَشْخَاشِ وَتَفَكُّرٍ لذَات تلكَ الأَحْوَال اتِّفَاقًا إلى الحَالة القَديمَة.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ الشُّهُودَ الذي يَتَعلقُ بمَرَايَا الكَثْرَة مُوجبٌ للذَّة، وَالشُّهُودُ التَّنزِيهِيُّ الذي هُوَ نَاظرٌ إلى الجَهْل الالتذَاذيَّة مُتَعَسِّرٌ بَعيدٌ وَالسَّيْرُ إليْه مِنْ غَيْرِ إمْدَاد شَيْخٍ مُقْتَدًى به مُتَعَذِّرٌ أَلاَ تَرَى أَنَّ أَخَانَا الأَعَزَّ مَوْلاَنَا أَحْمَدَ البَرْكيَّ يَعُدُّهُ العَوَامُّ مِنْ عُلمَاء الظَّاهرِ وَهُوَ بنَفْسه أَيْضًا لاَ يَعْلمُ أَحْوَالهُ وَأَحْوَال أَصْحَابه وَسرُّ ذَلكَ أَنَّ بَاطنَهُ مُتَوَجِّهٌ إلى الشُّهُودِ التَّنْزِيهِيِّ الذي هُوَ مَوْطنُ الجَهْل وَإِيمَانُهُ مثْل

ذَلكَ أَنَّ بَاطنَهُ مُتوَجِّهٌ إِلى الشُّهُود التَّنْزِيهِيِّ الذي هُوَ مَوْطنُ الجَهْل وَإِيمَانُهُ مثْل العُلمَاء إِيمَانٌ بالغَيْب وَبَاطنه منْ عُلوِّ الفطْرَة غَيْرُ مُلتَفت إِلى شُهُود مُمْتَزِج بالكَثْرَة وَظَاهِرُهُ غَيْرُ مَفْتُون وَغَيْرُ مَغْرُور بتُرَّهَات الصُّوفيَّة وَوُجُودُهُ الشَّرِيفُ مُغْتَنَمٌ في تلكَ النَّوَاحي وَهَذه الحَالَةُ التي أَخْبَرْتُ بحُصُولهَا قَدْ اتَّصَفَ بهَا مَوْلاَنَا المَذْكُورُ وَتَحَقَّقَ منْ مُنْذُ أَزْمَانَ عَلمَ أَوْ لَمْ يَعْلمْ وَعنْدَ الفَقير أَنَّ مَدَارَ تلكَ البُقْعَة عَلى وُجُود مَوْلاَنَا وَالعَجَبُ كَيْفَ خَفيَ هَذَا المَعْنَى عَلى أَهْل الكَشْف في تلكَ النَّوَاحي وَجَلاَلةُ قَدْر مَوْلاَنَا ظَاهرَةٌ وَبَاهرَةٌ في علم الفَقير كَوُجُود الشَّمْس وَمَاذَا أَزِيدُ عَلى ذَلكَ وَالمَأْمُول الدُّعَاءُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَتَان
إلى الملا أَحْمَدَ البَرْكيِّ
في جَوَاب اسْتفْسَارَاته
وَالتَّحْرِيضِ عَلى تَعْليمِ العُلومِ الشَّرْعيَّة وَنَشْرِ الأَحْكَامِ الفقْهيَّة
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

وَبَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَات وَتَبْليغِ الدَّعَوَات أُنْهِيَ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَتْ الصَّحيفَتَان المُرْسلتان صُحْبَةَ الشَّيْخِ حَسَنٍ وَغَيْره وَأَوْرَثَتَا فَرَحًا وَافرًا وَقَدْ بَيَّنْتُ في إحْدَاهُمَا أَحْوَال الخواجهْ وَبَسٍّ وَاسْتَفْسَرْتُ في الأُخْرَى عَنْ قَبُولكَ فَتَوَجَّهْتُ في تلكَ الأَثْنَاء إلى حَالكَ فَرَأَيْتُ أَنَّ سُكَّانَ تلكَ النَّوَاحي يَغْدُونَ إلى جَانبكَ وَيَلتَجئُونَ إلَيْك فَعُلمَ منْ ذَلكَ أَنَّك قَدْ جَعَلتَ مَدَارَ تلكَ البُقْعَة وَجَعَلتَ أُنَاسَ تلكَ الحُدُود مَرْبُوطَةً بك للّه - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلى ذَلكَ وَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ هَذه المُعَامَلَةَ منْ جُمْلَة الوَاقعَات التي هيَ مَظَانُّ الرِّيَب وَالاشْتبَاه بَل عَدُّهَا منَ المَحْسُوسَات والمَشْهُودات وَالعُمْدَةُ لك في تَحْصيل هَذه الدَّوْلَة تَعْليمُ العُلوم الشَّرْعيَّة وَنَشْرُ الأَحْكَام الفقْهيَّة في مَوَاضعَ تَمَكَّنَ فيهَا الجَهْل وَرَسَخَتْ البدْعَةُ وَمَحَبَّتُك لأَوْليَاء الله - سُبْحَانَهُ - وَإخْلاَصُك لهُمْ وَقَدْ مَنَحَكَهُمَا اللهُ - تَعَالى - بمَحْضِ فَضْله فَعَلَيْكُمْ بتَعْليم العُلومِ الدِّينيَّة وَنَشْر الأَحْكَامِ الفقْهيَّة مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإنَّهَا ملاَكُ الأَمْر وَمَنَاطُ الارْتقَاء وَمَدَارُ النَّجَاة وَعَلَيْكُمْ شَدُّ نطَاق الهمَّة وَإحْكَامُهُ لأَنْ تَكُونُوا في عدَاد العُلمَاء وَدَلالة الخَلق إلى طَرِيق الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بالأَمْر بالمَعْرُوف وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَر قَال اللهُ - تَعَالى - {إنَّ هَذه تَذْكرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّه سَبيلاً} وَالذِّكْرُ القَلبيُّ الذي أَجَزْتُمْ به أَيْضًا مُؤَيِّدٌ لإتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَدَافعٌ لعنَاد النَّفْس الأَمَّارَة فَيَنْبَغي إجْرَاءُ هَذَا الطَّريق أَيْضًا وَأَنْ لاَ تَحْزَنَ عَلى عَدَمِ الاطِّلاَعِ عَلى أَحْوَالك وَأَحْوَال أَصْحَابك وَأَنْ لاَ تَجْعَلَهُ دَليلاً عَلى عَدَمِ الحَاصل فيكَ وَأَحْوَال الأَصْحَاب كَافيَةٌ للمرْآتيَّة لكُمَا لأَنَّك وَمَا ظَهَرَ في الأَصْحَاب إنَّمَا هُوَ أَحْوَالكَ ظَهَرَتْ فيهمْ بطَريقِ الانْعكَاس. وَالشَّيْخ حَسَنٌ أَحَدُ أَرْكَان دَوْلَتك وَمُعَاوِنٌ لك في مُعَامَلَتك فَإنْ وَقَعَ في خَاطرِك إرَادَةُ سَفَر مَا وَرَاءَ النَّهر أَوْ مَمَالك الهنْد فَرْضًا فَالنَّائبُ منَّا بك هُنَاكَ هُوَ الشَّيْخُ حَسَنٌ فَيَنْبَغي أَنْ تُرَاعيَ الالتفَاتَ وَالتَّوَجُّهَ في حَقِّه وَالاجْتهَادَ البَليغَ ليَتفَرَّغَ مَنْ تَعلم

العُلومَ الدِّينيَّةَ الضَّرُورِيَّةَ سَرِيعًا وَكَانَ سَفَرُهُ هَذَا إلى الهِنْد مُغْتَنَمًا في حَقّه وَحَقّكَ وَأَيْضًا رَزَقَنَا اللّٰهُ - سُبْحَانَهُ - وَإِيَّاكُمْ الاسْتِقَامَةَ عَلى مِلة الإسْلاَمِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا أَنْ وَاحِدًا مِنَ الأَصْحَابِ حَصَلَ لهُ تَرَقٍّ مِنْ مُدَّة ستَّة أَشْهُر وَمَا كَانَ يَظْهَرُ لهُ فِي حَالة الغَيْبَة وَعَدَمِ الشُّعُورِ مِنَ الأَرْوَاحِ الطَّيِّبَاتِ يَرَاهُ الآنَ في حَالة الإفَاقَة ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ: لاَ دَلالةَ في هَذه الرُّؤْيَة عَلى التَّرَقِّي سَوَاءً كَانَتْ في الشُّعُور أَوْ فِي غَيْره وَالقَدَمُ الأَوَّل فِي هَذَا الطَّرِيقِ أَنْ لاَ يُرَى غَيْرُ الحَقّ سُبْحَانَهُ أَصْلاً وَأَنْ لاَ يَبْقَى فِي فِكْرَته مَا سوَاهُ تَعَالى قَطْعًا لاَ بمَعْنَى أَنَّهُ لاَ يَرَى الأَشْيَاءَ غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَلاَ يَعْلمُهَا بعُنْوَان السِّوَى فَإنَّ هَذَا عَيْنُ رُؤْيَة الكَثْرَة بَل لاَ يُرَى غَيْرَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَصْلاً وَلاَ يُحسُّ به قَطْعًا وَهَذه الحَالةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بالفنَاء وَالمَنْزِل الأَوَّل منْ مَنَازِل هَذَا الطَّرِيق وَدُونَهُ خَرْطُ القَتَاد، شعْرٌ:

وَمَنْ لمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانيًا فَليْسَ لهُ فِي كِبْرِيَاهُ سَبيل

والمَكْتُوبَاتُ المَسْطُورَةُ في هَذه الأَيَّامِ عَزِيزَةُ الوُجُود جدًّا وَقَدْ انْدَرَجَتْ فيهَا فَوَائدُ كَثيرَةٌ وَقَدْ أَخذَ الشَّيْخُ حَسَنٌ نَقْلهَا مَعَهُ فَيَنْبَغي مُطَالعَتُهَا بكَمَال المُلاَحَظَة وَقَدْ التَمَسْتُ الدُّعَاءَ لوَالدَتك المَرْحُومَة فَأَجَبْنَاهُ وَقَبلنَاهُ وَبَقيَّةُ أَحْوَال هَذه الحُدُود بَيَّنَهَا الشَّيْخُ حَسَنٌ بالتَّفْصيل.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَن اتَّبَعَ الهُدَى}⁽¹⁾ وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالفَقيرُ وَأَوْلاَدُهُ يَلتَمسُ الدُّعَاءَ بحُسْن الخَاتمَة وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَان

إلى الشَّيْخِ بَدِيعِ الدِّين

فِي بَيَانِ مُحْكَمَاتِ القُرْآن وَمُتَشَابِهَاته وَبَيَانِ العُلَمَاء وَكَمَالاَته وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ جَعَلَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَإِيَّاكُمْ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ.

أَيُّهَا الأَخُ إِنْ اللهَ - سُبْحَانَهُ - قَسَمَ كِتَابَهُ المَجِيدَ عَلَى قِسْمَيْنِ مُحْكَمَاتٍ وَمُتَشَابِهَات.

فَالقِسْمُ الأَوَّل مُنْشَأٌ لِعِلْمِ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَام.

وَالقِسْمُ الثَّانِي مُخَزَّنٌ عَلَى الحَقَائِقِ وَالأَسْرَارِ وَمَا وَرَدَ فِي القُرْآنِ وَفِي الحَدِيث مِنَ اليَد وَالوَجْه وَالقَدَم وَالأَصَابِعِ وَالأَنَامِل كُلّهَا مِنَ المُتَشَابِهَات وَكَذَا مُقَاطَعَاتُ الحُرُوف الوَارِدَة فِي أَوَائِل السُّوَر القُرْآنِيَّة أَيْضًا مِنَ المُتَشَابِهَات التي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا إِلاَّ العُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ وَلاَ تَتَخَيَّل أَنَّ التَّأْوِيل عِبَارَةٌ عَنِ القُدْرَة التي عُبِّرَتْ عَنْهَا بِاليَد وَعَنِ الذَّات التي عَبَّرَ عَنْهَا بِالوَجْه بَل تَأْوِيلهَا مِنَ الأَسْرَارِ الغَامِضَة التي انْكَشَفَتْ لأَخَصِّ الخَوَاصِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ مِنَ الحُرُوف المُقَطَّعَات القُرْآنِيَّة فَإِنَّ كُل حَرْف مِنْهَا بَحْرٌ مواج مِنَ الأَسْرَارِ الخَفِيَّة بَيْنَ العَاشِقِ وَالمَعْشُوقِ وَرَمْزٌ غَامِضٌ مِنَ الرُّمُوزِ الدَّقِيقَة بَيْنَ المُحِبِّ وَالمَحْبُوب.

وَالمُحْكَمَاتُ وَإِنْ كُنَّ أُمَّهَات الكِتَاب وَلكِنَّ نَتَائِجَهُنَّ وَثَمَرَاتِهِنَّ التي هِيَ المُتَشَابِهَاتُ مِنْ مَقَاصِد الكِتَاب وَلَيْسَتْ الأُمَّهَاتُ إِلاَّ وَسَائِل لِحُصُول النَّتَائِجِ فَلبُّ الكِتَاب هُوَ المُتَشَابِهَاتُ وَقِشْرُ ذَلِكَ اللبِّ مُحْكَمَاتُ الكِتَاب وَالمُتَشَابِهَاتُ هِيَ التي تُبَيِّنُ الأَصْل بِالرَّمْزِ وَالإِشَارَة وَتُنْبِئُ عَنْ حَقِيقَة مُعَامَلَة تِلْكَ المَرْتَبَة العَالِيَة الشَّأْن بِخِلاَف المُحْكَمَات وَالمُتَشَابِهَات هِيَ الحَقَائِقُ وَالمُحْكَمَاتُ بِالنِّسْبَة إِلى المُتَشَابِهَات صُوَرُ تِلْكَ الحَقَائِق وَالعَالِمُ الرَّاسِخُ هُوَ الذي يَقْدِرُ عَلَى الجَمْع بَيْنَ اللبِّ وَالقِشْرِ وَالحَقِيقَة وَالصُّورَة عُلَمَاءُ القِشْر مَسْرُورُونَ بِالقِشْرِ وَمُكْتَفُونَ بِالمُحْكَمَات وَالعُلَمَاءُ

الرَّاسِخُونَ يَحْصُلُونَ المُحَكَّمَاتِ وَيَنَالُونَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ تَأْوِيلِ المُتَشَابِهَاتِ وَيَجْمَعُونَ بَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالصُّورَةِ أَعْنِي المُتَشَابِهَ وَالمُحْكَمَ وَأَمَّا مَنْ طَلَبَ تَأْوِيلَ المُتَشَابِهَاتِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِ المُحْكَمَاتِ وَمِنْ غَيْرِ عَمَلٍ بِمُقْتَضَاهَا وَتَرَكَ الصُّورَةَ وَسَلَكَ طَرِيقَ فِكْرِ الحَقِيقَةِ فَهُوَ جَاهِلٌ وَلَيْسَ لَهُ خَبَرٌ عَنْ جَهْلِهِ وَضَالٌ وَلَيْسَ لَهُ شُعُورٌ بِضَلاَلَتِهِ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ هَذِهِ النَّشْأَةَ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الصُّورَةِ وَالحَقِيقَةِ وَمَا دَامَتْ هَذِهِ النَّشْأَةُ مَوْجُودَةً لاَ تَنْفَكُّ الحَقِيقَةُ عَنِ الصُّورَةِ أَصْلاً.

قَالَ اللهُ تَعَالَى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ} أَيِ المَوْتُ؛ كَمَا قَالَ المُفَسِّرُونَ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى غَايَةَ العِبَادَةِ وَنِهَايَتَهَا زَمَانَ حُلُولِ المَوْتِ الذي هُوَ مُنْتَهَى هَذِهِ النَّشْأَةِ لأَنَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ انْفِكَاكُ الصُّوَرِ مِنَ الحَقَائِقِ فِي النَّشْأَةِ الأُخْرَوِيَّةِ التي هِيَ مَحَلُ ظُهُورِ الحَقَائِقِ فَكُلٌ مِنَ النَّشْأَتَيْنِ لَهَا حُكْمٌ عَلَى حِدَةٍ لاَ يَخْتَلِطُ حُكْمُ إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى إِلاَّ جَاهِلٌ أَوْ زِنْدِيقٌ مَقْصُودُهُ إِبْطَالُ الشَّرَائِعِ فَإِنَّ كُلَ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ ثَابِتٌ لِلْمُبْتَدِي فَهُوَ ثَابِتٌ أَيْضًا لِلْمُنْتَهِي وَعَامَّةُ المُؤْمِنِينَ وَأَخَصُّ الخَوَاصِّ مِنَ العَارِفِينَ سَوَاسِيَةٌ فِي هَذَا المَعْنَى مُتَسَاوِيَةُ الأَقْدَامِ فِيهِ لاَ فَرْقَ بَيْنَ شَخْصٍ وَشَخْصٍ وَالمُتَصَوِّفَةُ القَاصِرُونَ وَالمَلاَحِدَةُ الخَائِبُونَ فِي صَدَدِ إِخْرَاجِ رِقَابِهِمْ مِنْ رِبْقَةِ الشَّرِيعَةِ مُتَخَيِّلِينَ بِأَنَّ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ مَخْصُوصَةٌ بِالعَوَامِّ وَأَمَّا الخَوَاصُّ فَهُمْ مُكَلَّفُونَ بِالمَعْرِفَةِ فَقَطْ كَمَا أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ مِنْ جَهْلِهِمْ أَنَّ الأُمَرَاءَ وَالسَّلاَطِينَ لَيْسُوا مُكَلَّفِينَ بِغَيْرِ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ وَيَقُولُونَ إِنَّ المَقْصُودَ مِنْ إِتْيَانِ الشَّرِيعَةِ حُصُولُ المَعْرِفَةِ فَإِذَا حَصَلَتْ المَعْرِفَةُ سَقَطَتْ التَّكَالِيفُ الشَّرْعِيَّةُ وَيَسْتَشْهِدُونَ فِي إِثْبَاتِ مُدَّعَاهُمْ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى - {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ} أَيْ بِاللهِ كَمَا قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيُّ يَعْنِي انْتِهَاءَ العِبَادَةِ حُصُولُ مَعْرِفَةِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالظَّاهِرُ أَنَّ مُرَادَ مَنْ فَسَّرَ اليَقِينَ بِكَوْنِهِ بِاللهِ هُوَ كَوْنُ انْتِهَاءِ الكُلْفَةِ فِي العِبَادَةِ حُصُولَ مَعْرِفَةِ الحَقِّ - جَلَ وَعَلاَ - لاَ انْتِهَاءَ نَفْسِ العِبَادَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مُفْضٍ إِلَى الإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَيْضًا أَنَّ عِبَادَةَ العَارِفِينَ رِيَائِيَّةٌ فَإِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ مَا يَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَةِ وَالعِبَادَةِ لِيُقْتَدَى بِهِمْ فِي ذَلِكَ المُبْتَدِئُونَ وَاتْبَاعُهُمْ لاَ لِكَوْنِهِمْ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهَا وَيَنْقُلُونَ فِي تَأْيِيدِ هَذَا القَوْلِ أَقْوَالاً عَنِ المَشَايِخِ حَيْثُ قَالُوا مَا لَمْ يَكُنْ الشَّيْخُ مُنَافِقًا وَمُرَائِيًا لاَ يَنْتَفِعُ بِهِ المُرِيدُ خَذَلَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - مَا أَجْهَلَهُمْ وَاحْتِيَاجُ العَارِفِينَ إِلَى العِبَادَةِ عَلَى نَهْجٍ لَيْسَ فِي المُرِيدِينَ عشْرَةٌ فَإِنَّ عُرُوجَاتِهِمْ مَرْبُوطَةٌ بِالعِبَادَةِ وَتَرَقِّيَاتِهِمْ مَنُوطَةٌ بِإِتْيَانِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَا يَتَوَقَّعُ لِلْعُلُومِ غَدًا مِنْ

ثَمَرَات العبَادَة فَهُوَ حَاصل للعَارفينَ اليَوْمَ فَهُمْ إِذًا أَحقَّاء بالعبَادَة وَأَحْوَجُ إلى إِتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة منْ غَيْرهمْ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ عبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الصُّورَة وَالحَقيقَة فَالصُّورَةُ ظَاهرُ الشَّرِيعَة وَالحَقيقَةُ بَاطنُ الشَّرِيعَة فَالقشْرُ وَاللبُّ كلاَهُمَا منْ أَجْزَاء الشَّرِيعَة وَالمُحْكَمُ وَالمُتَشَابهُ منْ أَفْرَادهمَا وَعُلَمَاءُ الظَّاهر اكْتَفَوْا بقشْرهَا وَالعُلَمَاءُ الرَّاسخُونَ جَمَعُوا بَيْنَ اللبِّ وَالقشْر وَنَالوا حَظًّا وَافرًا منْ مَجْمُوعِ الصُّورَة وَالحَقيقَة فَيَنْبَغي أَنْ يُتَصَوَّرَ الشَّرِيعَةُ كَشَخْصٍ مُرَكَّب منَ الصُّورَة وَالحَقيقَة وَقَدْ تَعَلقَ جَمَاعَةٌ بصُورَتهَا وَشَغفُوا بهَا وَأَنْكَرُوا حَقيقَتَهَا وَلَمْ يَعْرفُوا لَهُمْ شَيْخًا يَقْتَدُونَ به غَيْرَ الهدَايَة وَالبَزْدَويّ وَهَؤُلاَء الجَمَاعَةُ هُمْ عُلَمَاءُ القشْر وَجَمَاعَةٌ أُخْرَى افْتَتَنُوا بحَقيقَتهَا وَلَكنْ لَمْ يَعْتَقدُوهَا حَقيقَةَ الشَّرِيعَة بَل زَعَمُوا الشَّرِيعَةَ مَقْصُورَةً عَلى الصُّورَة وَالقشْر وَتَصَوَّرُوا اللبَّ وَالحَقيقَةَ وَرَاءُهَا وَمَعَ ذَلكَ لَمْ يَمْتَنعُوا منْ إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَلَمْ يَتَخلفُوا عَنْهَا مقْدَارَ شَعْرَة وَلَمْ يُضَيّعُوا الصُّورَةَ وَعَدُّوا تَاركَ حُكْم منْ أَحْكَام الشَّرِيعَة بَطَّالاً وَضَالاً وَهَؤُلاَء أَوْليَاءُ الله - جَل سُلطَانُهُ - وَقَدْ انْقَطَعُوا عَمَّا سوَى الله تَعَالى بمَحَبَّته سُبْحَانَهُ.

وَدُونَ هَؤُلاَء جَمَاعَةٌ أُخْرَى وَهُمُ الذينَ اعْتَقَدُوا الشَّرِيعَةَ مُرَكَّبَةً منَ الصُّورَة وَالحَقيقَة وَتَيَقَّنُوا أَنَّهَا مَجْمُوعُ القشْر وَاللبِّ وَحُصُول صُورَة الشَّرِيعَة بدُون تَحْصيل الحَقيقَة سَاقطٌ عنْدَهُمْ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار وَحُصُول حَقيقَتهَا بدُون إثْبَات الوَرَّة نَاقصٌ غَيْرُ تَامٌّ بَل لاَ يَعُدُّونَ حُصُول الصُّورَة بدُون ثُبُوت الحَقيقَة منَ الإسْلاَم المُوجب للنَّجَاة كَمَا هُوَ حَال عُلَمَاء الظَّاهر وَعَامَّة المُؤْمنينَ وَيَتَصَوَّرُونَ حُصُول الحَقيقَة بدُون ثُبُوت الصُّورَة منْ جُمْلَة المُحَالاَت وَيُسَمُّونَ القَائل به زنْديقًا وَضَالاً.

وَبالجُمْلة إنَّ الكَمَالاَت الصُّوريَّةَ وَالمَعْنَويَّةَ مُنْحَصرَةٌ عنْدَ هَؤُلاَء الأَكَابر في الكَمَالاَت الشَّرْعيَّة وَالعُلوم وَالمَعَارف اليَقينيَّة مَقْصُورَةٌ عَلى العَقَائد الكَلاَميَّة الثَّابتَة بآرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة لاَ يَسْتَوي عنْدَهُمْ أُلوفٌ منَ الشُّهُود وَالمُشَاهَدَة وَمَسْأَلَةٌ وَاحدَةٌ منَ المَسَائل الكَلاَميَّة في تَنزِيهات الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - وَلاَ يَشْتَرُونَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيدَ وَالتَّجَليَات وَالظُّهُورَات المُخَالفَةَ لحُكْم منَ الأَحْكَام الشَّرْعيَّة بنصْف شَعيرَة بَل يَعُدُّونَ ظُهُورَ أَمْثَال هَذه المَذْكُورَات منْ مَظَانِّ الاسْتدْرَاج أُولَئكَ الذينَ هَدَى اللهُ فَبهُدَاهُمُ اقْتَدهْ وَهُمُ العُلَمَاءُ الرَّاسخُونَ وَهُمُ المُنْعَمُ عَلَيْهمُ الاطِّلاَعُ عَلى

حَقِيقَة المُعَامَلَة وَالمُوصِّل بِهِمْ بِسَبَب رِعَايَتِهِمُ الآدَاب الشَّرْعِيَّة إِلَى حَقِيقَة الشَّرِيعَة بِخِلاَف الفِرْقَة الثَّانِيَة فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلَى الحَقِيقَة وَمَفْتُونِينَ بِهَا وَلَمْ يُجَاوِزُوا الحَدَّ فِي إِتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة مِقْدَار شَعْرَة مَهْمَا أَمْكَنَ وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا اعْتَقَدُوا تِلْكَ الحَقِيقَةَ وَرَاءَ الشَّرِيعَة وَتَصَوَّرُوا الشَّرِيعَةَ قِشْرَهَا تَنَزَّلُوا بِالضَّرُورَة إِلَى ظِل مِنْ ظِلاَل تِلْكَ الحَقِيقَة وَلَمْ يَجِدُوا لِلْوُصُول إِلَى حَقِيقَة تِلْكَ المُعَامَلَة سَبِيلاً فَلاَ جَرَمَ كَانَ وِلاَيَتُهُمْ ظِلِّيَّةً وَقُرْبُهُمْ صِفَاتِيًّا بِخِلاَف العُلَمَاء الرَّاسِخِينَ فَإِنَّ وِلاَيَتَهُمْ أَصْلِيَّةٌ وَإِنَّهُمْ وَجَدُوا لِلْوُصُول إِلَى الأُصُول سَبِيلاً وَجَاوَزُوا حُجُبَ الظِّلاَل بِالتَّمَام فَلاَ جَرَمَ كَانَتْ وِلاَيَتُهُمْ وِلاَيَةَ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَوِلاَيَةُ هَؤُلاَء الأَوْلِيَاء ظِل وِلاَيَةَ الأَنْبِيَاء وَكَانَ هَذَا الفَقِيرُ مُتَوَقِّفًا فِي تَأْوِيل المُتَشَابِهَات وَمُفَوِّضًا إِيَّاهُ إِلَى عِلْمِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - مُدَّةً مَدِيدَةً وَلَمْ أَجِدْ لِلْعُلَمَاء الرَّاسِخِينَ نَصِيبًا مِنْهَا غَيْرَ الإِيمَان بِهَا وَالتَّأْوِيلاَت الَّتِي بَيَّنَهَا عُلَمَاءُ الصُّوفِيَّة لَمْ أَرَهَا لاَئِقَةً وَمُنَاسِبَةً بِشَأْن تِلْكَ المُتَشَابِهَات وَلَمْ أَرَ لِلأَسْرَارَ القَابِلَةَ لِلاسْتِتَار تَأْوِيلاَت كَمَا قَال عَيْنُ القُضَاة فِي تَأْوِيل بَعْضِ المُتَشَابِهَات مَثَلاً فِي أَلم أَرَادَ بِه الأَلَمَ اللاَّزم لِلْعِشْق وَالمَحَبَّة وَأَمْثَالهَا.

وَلَمَّا أَظْهَرَ لِي اللهُ - سُبْحَانَهُ - بِمَحْضِ فَضْلِه شَمَّةً مِنْ تَأْوِيل المُتَشَابِهَات وَفَتَحَ جَدْوَلاً مِنْ ذَاكَ البَحْرِ المُحِيط وَمُدَّةَ الأَرْضِ اسْتِعْدَادُ هَذَا المِسْكِين عَلِمْتُ أَنَّ لِلْعُلَمَاء الرَّاسِخِينَ أَيْضًا نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ تَأْوِيلاَت المُتَشَابِهَات الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ وَأَحَلْنَا تَعْبِيرَات الوَقَائِعِ المَطْلُوبَة المَسْطُورَة عَلَى الحُضُور وَلَمْ نَكْتُبْ مِنْ تِلْكَ المَقُولَة شَيْئًا مَاذَا أَفْعَل قَدْ جَرَى القَلَمُ بِمَعَارِفَ أُخَرَ وَاسْتَقْبَلَتْ مُعَامَلَةً غَيْرَهَا هِيَ بِالتَّسْطِير أَحْرَى وَالمَسْئُول مُسَامَحَتُكُمْ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَعَلَى إِخْوَانِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ العُلَى.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا عَبْد الحَيِّ
في بَيَان علم اليَقين وَعَيْن اليَقين وَحقِّ اليَقين
وَهَذَا منَ العُلوم المُناسبَة لوَسَط الحَال
وَنهَايَةُ الشُّهُود هُنَا هُوَ الشُّهُودُ الأَنْفُسيُّ
بَل شُهُودُ مَا وَرَاءَ الأَنْفُس
بَل نَفسُ الشُّهُود ليْسَ بشَيْءٍ بالنِّسْبَة إلى الوُصُول
كَمَا يُلوحُ ذَلكَ منْ سَائر مَكْتُوبَاته وَرَسَائله

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ أَنَّ علمَ اليَقين بذَات الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - عِبَارَةٌ عَنْ شُهُود الآيَات الدَّالة عَلى قُدْرَته - تَعَالى وَتَقَدَّسَ - وَيُقَال لذَلكَ الشُّهُود سَيْرًا آفَاقيًّا وَأَمَّا الشُّهُودُ وَالحُضُورُ الذَّاتيَّيْنِ فَليْسَ شَيْءٌ منْهُمَا بِمَنْصُورٍ فِي غَيْرِ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَهُوَ لاَ يَكُونُ فِي غَيْرِ نَفْسِ السَّالك، شعْرٌ:

فَلسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ سَيْرَكَ لَمْ يَكُنْ   إلاَّ إليْك إذَا بَلغْتَ المَنْزِلاَ

وَمَا يُشَاهدُهُ فِي خَارجه فَهُوَ منْ قَبِيل مُشَاهَدَة الآثَار وَالدَّلاَئل عَلى ذَاته - تَعَالى - لاَ مُشَاهَدَتُهُ عَزَّ سُلْطَانُهُ قَال قُطْبُ المُحَقِّقِينَ سَيِّد العَارفينَ نَاصرُ الدِّين الخواجهْ عُبَيْدُ الله - قُدِّسَ سرُّهُ -: إنَّ السَّيْرَ عَلى نَوْعَيْنِ سَيْرٌ مُسْتَطيل وَسَيْرٌ مُسْتَديرٌ فَالسَّيْرُ المُسْتَطيل بُعْدٌ فِي بُعْد وَالسَّيْرُ المُسْتَديرُ قُرْبٌ فِي قُرْب وَالسَّيْرُ المُسْتَطيل طَلبُ المَقْصُود منْ خَارجِ دَائرَة نَفْسه وَالسَّيْرُ المُسْتَديرُ الدَّوَرَانُ حَوْل قَلبه وَطَلبُ المَقْصُود منْ نَفْسه فَالتَّجَليَاتُ الكَائنَةُ فِي الصُّوَر الحسِّيَّة وَالمثَاليَّة وَكَذَلكَ التَّجَليَاتُ الكَائنَةُ فِي حُجُب الأَنْوَار دَاخلةٌ فِي علم اليَقين أَيُّ صُورَة كَانَتْ وَأَيُّ نُور كَانَ وَسَوَاءً كَانَ النُّورُ مُكَيَّفًا وَمُلوَّنًا أَوْ مُتَنَاهيًا أَوْ لاَ مُحيطًا كَانَ الكَائنَاتُ أَوْ لاَ قَال مَوْلاَنَا المَخْدُومُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الجَامِيُّ قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ السَّامِيَّ فِي شَرْح اللمُعَات عنْدَ بَيَان مَعْنَى هَذَا البَيْت، شعْرٌ:

يَا مَنْ طَلبْتُهُ منْ جَميع مَكَان   وَسَأَلتُ عَنْهُ أَقَاصيًا وأَدَاني

إنَّ هَذَا إشَارَةٌ إلى المُشَاهَدَة الآفَاقيَّة التي تُفيدُ علمَ اليَقين وَحَيْثُ إنَّهَا لاَ تُخبرُ عَنِ المَقْصُود وَلاَ تُعْطِي حُضُورَهُ لاَ جَرَمَ تَكُونُ كَشُهُود الدُّخَان وَالحَرَارَة

الدَّالِّيْنِ عَلَى ذَاتِ النَّارِ فَلاَ يَخْرُجُ ذَلِكَ الشُّهُودُ مِنْ دَائِرَةِ العِلمِ وَلاَ يَكُونُ مُفِيدَ العَيْنِ اليَقِينِ وَمُفْنِيًا لِوُجُود السَّالك.

وَعَيْنُ اليَقِينِ عِبَارَةٌ عَنْ شُهُود الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَعْدَ أَنْ كَانَ مَعْلومًا بِالعلمِ اليَقِينِيِّ وَهَذَا الشُّهُودُ مُسْتَلزِمٌ لِفَنَاء السَّالك وَعِنْدَ غَلَبَة هَذَا الشُّهُود يَكُونُ تَعيُّنُهُ مُتَلاَشِيًا بِالكُلِّيَّة وَلاَ يَبْقَى أَثَرٌ مِنْهُ في عَيْنِ شُهُوده وَيَكُونُ فَانِيًا وَمُسْتَهْلَكًا في الشُّهُود وَهَذَا الشُّهُودُ مُعَبِّرٌ عَنْهُ عِنْدَ هَذه الطَّائفة العَلِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بِالإِدْرَاك البَسِيط وَيُقَال لَهُ أَيْضًا مَعْرِفَةٌ وَالعَوَامُّ يُشَارِكُونَ الخَوَاصَّ في هَذَا الإِدْرَاكِ وَلكِنَّ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا هُوَ أَنَّ شُهُودَ الخَلقِ لاَ يَكُونُ مُزَاحِمًا في الخَوَاصِّ لِشُهُود الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - بَل لَيْسَ المَشْهُودُ بِعُيُون شُهُودهِمْ غَيْرَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَأَمَّا العَوَامُّ فَهُوَ مُزَاحِمٌ لَهُ فِيهِمْ وَلِهَذَا فِيهِمْ ذُهُول تَامٌّ عَنْ هَذَا الشُّهُود وَلَيْسَ لَهُمْ خَبَرٌ عَنْ هَذَا الإِدْرَاك، وَعَيْنُ اليَقِين هَذَا حِجَابُ علم اليَقِين كَمَا أَنَّ علمَ اليَقِين حِجَابُهُ وَعِنْدَ تَحَقُّقِ هَذَا الشُّهُودِ لاَ يُدْرَكُ شَيْءٌ غَيْرُ الحَيْرَةِ وَالجَهَالَة لاَ مَجَالَ لِلعِلمِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ أَصْلاً.

قَال بَعْضُ الكُبَرَاءِ قَدَّسَ اللهُ - تَعَالى - سِرَّهُ: عِلمُ اليَقِينِ حِجَابُ عَيْنِ اليَقِينِ وَعَيْنُ اليَقِين حِجَابُ علم اليَقِين.

وَقَال أَيْضًا: وَعَلاَمَةُ مَنْ عَرَفَ حَقَّ المَعْرِفَة أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى سِرِّه فَلاَ يَجِدُ عِلمًا بِهِ فَذَلِكَ الكَامِل في المَعْرِفَة التي لاَ مَعْرِفَةَ وَرَاءَهَا.

وَقَال بَعْضُهمْ أَيْضًا قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ: أَعْرَفُهُمْ بِاللهِ أَشَدُّهُمْ تَحَيُّرًا فِيه.

وَحَقُّ اليَقِينِ عِبَارَةٌ عَنْ شُهُوده - سُبْحَانَهُ - بَعْدَ ارْتِفَاعِ التَّعَيُّنِ وَاضْمِحْلاَل المُتَعَيِّنِ وَشُهُودُهُ هَذَا لِلحَقِّ بِالحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ بُدَّ لاَ يَحْمِل عَطَايَا المَلك إِلاَّ مَطَايَاهُ وَذَلِكَ يَتَصَوَّرُ في البَقَاء بِاللهِ الذي هُوَ مَقَامُ بِي يَسْمَعُ وبِي يُبْصِرُ الذي يَهَبُ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - فِيه لِلسَّالك وُجُودًا مِنْ عِنْده بِمَحْضِ عِنَايَته بَعْدَ تَحَقُّقه بِالفَنَاء المُطْلَق الذي هُوَ الفَنَاءُ في ذَاته وَصِفَاته - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - وَيُخْرِجُهُ مِنَ السُّكْرِ وَالغَيْبَة إِلَى الصَّحْوِ وَالإِفَاقَة وَيُقَال لِهَذَا الوُجُود الوُجُودُ المَوْهُوبُ الحَقَّانِيُّ وَفِي ذَلِكَ المَوْطِنِ لاَ يَكُونُ العِلمُ حِجَابًا لِلعَيْنِ وَلاَ العَيْنُ حِجَابًا لِلعِلمِ بَل يَكُونُ في عَيْنِ الشُّهُود عَالِمًا وَفي عَيْنِ العِلم مُشَاهِدًا وَهَذَا التَّعَيُّنُ هُوَ الذي يَجِدُهُ العَارِفُ في ذَلِكَ المَوْطِنِ عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ التَّعَيُّنَ الكَوْنِيُّ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ أَثَرٌ فِي نَظَرِ

شُهُوده وَلأَنَّهُ مِنَ التَّجليَات الصُّوريَّة التي هيَ أَنْ يَجدَ السَّالكُ التَّعيُّنات وَالصُّوَرَ عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهيَ تَعيُّنَاتٌ كَوْنيَّةٌ لَمْ يَتَطَرَّقْ إلَيْهَا الفَنَاءُ أَصْلاً، فَأَيْنَ أَحَدُهُمَا عَنِ الآخرِ مَا للتُّرَاب وَربِّ الأَرْبَاب وَظَاهرُ العبَارَة وَإنْ كَانَ عنْدَ العَوَامِّ مُوهمًا لعَدَمِ الفَرْق بَيْنَ التَّجلي الصُّوريِّ الذي هُوَ وَجَدَ أَنَّ السَّالكَ نَفْسَهُ عَيْنُ الحَقِّ وَبَيْنَ حَقِّ اليَقينِ الذي هُوَ أَيْضًا وُجْدَانُهُ نَفْسُهُ عَيْنُ الحَقِّ لكنْ في الحَقيقَة فَرْقٌ بَيْنَهُمَا وَهُوَ أَنَّ التَّعْبيرَ بأَنَّا في التَّجلي الصُّوريِّ يَقعُ عَلى الصُّورَة في حَقِّ اليَقينِ عَلى الحَقيقَة وَأَيْضًا أَنَّ السَّالكَ يَرَى الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - في التَّجلي الصُّوريِّ بنَفسه وَفي هَذَا المَوْطنِ يَرَى الحَقَّ بالحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ بنَفْسه فَإنَّهُ لاَ يُمْكنُهُ فيه رُؤْيَةَ نَفْسه فَإطْلاَقُ الشُّهُود في التَّجلي الصُّوريِّ عَلى سَبيل التَّجوُّز فَإنَّهُ لاَ يُمكنُ رُؤْيَةُ الحَقِّ بغَيْرِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهيَ في مَرْتَبَة حَقِّ اليَقينِ التي تَتَحقَّقُ فيهَا حَقيقَةُ الشُّهُود.

وَبَعْضُ شُيُوخِ الزَّمَان لَمَّا لَمْ يَطَّلعْ عَلى هَذَا الفَرْق وَلَمْ يَعْلَمْ تُعَيُّنًا سوَى التَّعَيُّنِ الكَوْنيِّ أَطَال لسَانَ الطَّعْنِ في الأَكَابر قَدَّسَ اللهُ - تَعَالى - أَسْرَارَهُمْ في تَفْسيرهِمْ حَقَّ اليَقينِ عَلى النَّهجِ الذي قَرَّرْتُهُ وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا اليَقينَ قَدْ يَحْصُل في التَّجَلي الصُّوريِّ الذي هُوَ أَوَّل القَدَمِ في السُّلوك وَهُمْ فَسَّرُوا به حَقَّ اليَقينِ الذي هُوَ نهَايَةُ الأَقْدَامِ فَكَيْفَ يَسْتَقيمُ بَل حَكَمَ أَنَّ الحَقَّ اليَقينَ الذي حَصَل لَهُمْ في النِّهَايَة يَحْصُل لنَا في التَّجلي الصُّوريِّ الذي هُوَ أَوَّل أَقْدَامنَا وَاللهُ يَهْدي مَنْ يَشَاءُ إلى صرَاطٍ مُسْتَقيمٍ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائتَان

إلى الملا عَبْد الكَرِيمِ السَّنامِيِّ

في بَيَان أنَّهُ لاَ بُدَّ لكُل إنْسَان بَعْدَ تَصْحيحِ العَقَائد وَالعَمَل بمُقْتَضَى الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة تُحصي سَلاَمَةً القَلب عَمَّا دُونَ الحَقِّ جَل وَعَلاَ وَمَدْحِ الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْديَّة العَليَّة وَفِي التَّحْرِيضِ عَلى إمْدَادِ المَوْتَى وَإعَانَتهمْ وَمَا يُنَاسبُهُ

الحَمْدُ لله وَعَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى وَصَل مَكْتُوبُ الأَخِ وَصَارَ مُوجبًا للفَرَحِ وَالنَّصيحَة التي لاَ زلتُ أَنْصَحُ بهَا الأَصْحَابَ وَلاَ أَزَال أَنْصَحُ بهَا إلى انْقضَاء عُمْرِي بَعْدَ تَصْحيحِ العَقَائد عَلى وَفْق مَا بُيِّنَ في الكُتُب الكَلاَميَّة المَخْصُوصَة بأَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَبَعْدَ إتْيَان الأَحْكَام الفقْهيَّة منَ الفَرْضِ وَالوَاجب وَالسُّنَّة وَالمَنْدُوب وَالحَلال وَالحَرَامِ وَالمَكْرُوه وَالمُشْتَبَه امْتثَالاً، وَانْتهَاءُ تَحْصيل سَلاَمَة القَلب عَنِ التَّعَلق بمَا سوَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَهيَ إنَّمَا تَتَيَسَّرُ إذَا لَمْ يَخْطُرْ في القَلب مَا سوَاهُ - تَعَالى - بحَيْثُ لوْ تَيَسَّرَتْ حَيَاةُ أَلف سَنَة فَرْضًا لاَ يَخْطُرُ في القَلب غَيْرُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - لاَ بمَعْنَى أَنَّ الأَشْيَاءَ تَخْطُرُ في البَال وَلكنْ لاَ يَعْرِفُهَا صَاحبُهُ بعُنْوَان غَيْرِ الحَقِّ - جَل وَعَلاَ - فَإنَّ هَذَا المَعْنَى مُيَسَّرٌ أَيْضًا في بدَايَة مُرَاقبي التَّوْحيد بَل بمَعْنَى أَنَّ الأَشْيَاءَ لاَ تَخْطُرُ في القَلب أَصْلاً وَمَبْنَى هَذَا وَمَدَارُهُ عَلى نسْيَان القَلب مَا دُونَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - عَلى نَهْجٍ لوْ ذُكِّرَ بالأَشْيَاء بالتَّكْليف لاَ يَتَذَكَّرُ وَهَذه الحَالَةُ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بالفَنَاء القَلبيِّ وَأَوَّل قَدَمٍ في هَذَا الطَّرِيقِ ، وَسَائرُ كَمَالاَت الوِلاَيَة مُتَفَرِّعَةٌ عَلى هَذه الدَّوْلَة، شعْرٌ:

وَمَنْ لمْ يَكُنْ في حُبِّ مَوْلاَهُ فَانيًا   فَليْسَ لهُ في كبْرِيَاء سَبيل

وَأَقْرَبُ الطُّرُق لأَجْل الوُصُول إلى هَذه الدَّوْلة العُظْمَى هُوَ الطَّرِيقَةُ العَليَّةُ النَّقْشَبَنْديَّةُ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَرْبَابهَا فَإنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ اخْتَارُوا الابْتدَاءَ منْ علمِ الأُمُورِ وَطَلبُوا منَ القَلب طَرِيقًا إلى مَقْلب القَلب وَلهُمْ عوَضًا عَنْ رِيَاضَات الآخَرِينَ وَمُجَاهَدَاتهمُ التزَامَ السُّنَّة وَاجْتنَابَ البدْعَة.

قَال الخَواجهْ بَهَاءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْديُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: طَرِيقُنَا أَقْرَبُ الطُّرُق وَلكنَّ التزَامَ السُّنَّة أَمْرٌ مُشْكل جدًّا فَطُوبَى لمَنْ تَوَسَّل بهِمْ وَاقْتَدَى بهِمْ لمَوْلاَنَا الجَاميِّ قُدِّسَ سرُّهُ شعْرٌ.

مَا أَحْسَنَ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ إِنَّهُمْ يَمْشُونَ بِالرَّكْبِ مُخَفِّينَ لِلحَرَمِ
تُزِيل وَسْوَسَةَ الخَلوَات صُحْبَتُهُمْ عَنْ قَلب صَحبِهِمْ يَا نِعْمَ مُغْتَنَمِ
لَوْ عَابَهُمْ قَاصِرٌ طَعْنًا بِهِمْ سَفَهًا بَرَّأْتُ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَشِ الكَلِمِ
هَل يَقْطَعُ الثَّعْلَبُ المُحْتَال سلسلةً قَيَّدَتْ بِهَا أَسَدَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهِمْ

وَالمَعْرُوضُ ثَانِيًا أَنَّ صَحِيفَةَ مُحِبِّنَا القَاضِي مُحَمَّد شَرِيف قَدْ وَصَلَتْ وَحَيْثُ كَانَتْ مُنْبِئَةً عَنْ مَحَبَّة الفُقَرَاء صَارَتْ مُوجِبَةً للفرَحِ فَبَلِّغْهُ دُعَاءَ الفَقِير.

وَثَالِثًا: قَدْ وَصَل مَكْتُوبُ أَخِينَا الشَّيْخِ حَبِيب الله وَقَدْ كَتَبَ خَبَرَ فَوْت وَالده المَرْحُوم إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ فَالمَرْجُوُّ تَبْلِيغُ الدُّعَاء مِنْ جَانِب الفَقِير وَأَدَاءُ مَرَاسِم التَّعْزِيَة وَلْيَمُدَّ وَالِدَهُ المَرْحُومَ بِالدُّعَاء وَلْيَعِنْهُ بِقِرَاءَة الفَاتِحَة وَالصَّدَقَات وَالاسْتِغْفَار فَإِنَّ المَيِّتَ كَالغَرِيق يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلحَقُهُ مِنْ وَلَد أَوْ أَب أَوْ أَخ أَوْ صَدِيق.

ورابعًا: إِنَّ المَكْشُوفَ أَنَّ الشَّيْخَ أَحْمَدَ اخْتَارَ طَرِيقَةَ هَؤُلَاء الأَكَابِر وَتَأَثَّر مِنْهَا رَزَقَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الاسْتِقَامَةَ عَلَيْهَا وَحَيْثُ كَانَ المُشَارُ إِلَيْه قَرِيبَ عَهْد بِالإِسْلَام يَنْبَغِي أَنْ تُعلمَهُ العَقَائِدَ الكَلَامِيَّة المَذْكُورَةَ فِي الكُتُب الفَارِسِيَّة وَالأَحْكَامَ الفِقْهِيَّةَ كَذَلِكَ حَتَّى يَعْرِفَ الفَرْضَ وَالوَاجِبَ وَالسُّنَّةَ وَالمَنْدُوبَ وَالحَلَال وَالحَرَامَ وَالمَكْرُوهَ وَالمُشْتَبَهَ وَيَعْمَل بِمُقْتَضَاهَا وَتَعَلمَ كِتَاب كلستان وَبُسْتَانَ وَتَعْلِيمُهُمَا دَاخِل فِيهَا لَا يَعْنِي وَالسَّلَامُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ وَالمائَتَان

إِلى الملا حَسَنٍ الكَشْمِيرِيِّ

فِي أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَةِ دَلَالَتِه إِيَّاهُ عَلى الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى بَلغَنَا مَهْدِيُّ عَلِيٍّ صَحِيفَتَكُمْ الشَّرِيفَةَ الصَّادِرَةَ بِاسْمِ هَذَا الفَقِيرِ عَلى وَجْه الكَرَم وَالالتفَات فَصَارَتْ مُوجِبَةً لِلفَرَحِ الوَافِرِ سَلمَكُمُ اللهُ – سُبْحَانَهُ – وَقَدْ وَقَعَ الاسْتِفْسَارُ عَنْ عِبَارَةِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ عَرَبِيٍّ – قُدِّسَ سِرُّهُ – هَذه أَنَّ سَبَبَ تَرْتِيب خلَافَةِ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَة ــ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ ــ مُدَّةَ أَعْمَارِهِمْ أَنَّهَا فِي أَيِّ كِتَاب وَقَعَتْ مِنْ مُصَنَّفَاتِه ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ، إِنِّي كُنْتُ رَأَيْتُ هَذه العِبَارَةَ فِي الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ وَلَمْ تَتَيَسَّرْ الآنَ تَعْيِينُ المَوْضِعِ مَعَ كَمَال التَّفَحُّصِ فَإِنْ وَقَعَ النَّظَرُ عَلَيْهَا مَرَّةً ثَانِيَةً نُخبِرُ بِه إِنْ شَاءَ اللهُ – تَعَالى –.

وَالمَعْرُوضُ أَنَّ الفَقِيرَ مُعْتَرِفٌ بِالقُصُورِ فِي أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَةِ دَلَالَتِكُمْ وَقُرْبًا لِعَجْزٍ فِي مُكَافَأَةِ إِحْسَانِكُمْ وَكَيْفَ لاَ فَإِنَّ هَذه الأُمُورَ كُلهَا مَبْنِيَّةٌ عَلى تِلكَ النِّعْمَةِ وَهَذه الأَحْوَال بِأَسْرِهَا مَرْبُوطَةٌ بِذَلِكَ الإِحْسَانِ وَقَدْ أُعْطِيتُ بِحُسْنِ وَسَاطَتِكُمْ مَا لَمْ يَرَهُ إِلاَّ القَلِيلُونَ وَمُنِحْتُ بِيُمْنِ وَسِيلَتِكُمْ مَا لَمْ يَذُقْهُ إِلاَّ الأَقَلُّونَ أُعْطِيتُ مِنْ خَوَاصِّ العَطَايَا مَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لِلأَكْثَرِينَ مِنْ عُلُومِ تِلكَ العَطَايَا وَجُعِلَتْ لِي الأَحْوَالُ وَالمَقَامَاتُ وَالأَذْوَاقُ وَالمَوَاجِيدُ وَالعُلُومُ وَالمَعَارِفُ وَالتَّجَلِّيَاتُ وَالظُّهُورَاتُ كُلهَا مَعَارِجَ العُرُوجِ فَوَصَلْتُ مِنْهَا بِعِنَايَتِه – سُبْحَانَهُ – إِلى مَدَارِجِ القُرْبِ وَمَنَازِلِ الوُصُول.

وَاخْتِيَارُ لَفْظِ القُرْبِ وَالوُصُول إِنَّمَا هُوَ مِنْ ضِيقِ مَيْدَانِ العِبَارَةِ وَلاَ فَلاَ قُرْبَ ثَمَّةَ وَلاَ وُصُول وَلاَ عِبَارَةَ وَلاَ إِشَارَةَ وَلاَ شُهُودَ وَلاَ مُشَاهَدَةَ وَلاَ حُلُول وَلاَ اتِّحَادَ وَلاَ كَيْفَ وَلاَ أَيْنَ وَلاَ زَمَانَ وَلاَ مَكَانَ وَلاَ إِحَاطَةَ وَلاَ سَرَيَانَ وَلاَ عِلمَ وَلاَ مَعْرِفَةَ وَلاَ جَهْل وَلاَ حَيْرَةَ، شِعْرٌ:

وَمَا أَيْدِيكَ مِنْ طَيْرِي عَلاَمَةٌ　　وَقَدْ أَضْحَى كَعَنْقَاء وَهَامَهْ
وَللعَنْقَاءِ بَيْنَ النَّاسِ اِسْمٌ　　وَلَيْسَتْ لاِسْمِ طَيْرِي اِسْتِدَامَهْ

وَلَمَّا كَانَ إِظْهَارُ إِحْسَانِ اللهِ - تَعَالى - وَإِنْعَامه بِهَذه النِّعْمَة التي ظُهُورُهَا مُتَرَتِّبٌ فِي عَالمِ الأَسْبَاب عَلَى نعْمَتكُمْ المَذْكُورَة مُتَضَمِّنًا لشُكْرِهَا أَدْرَجْتُهَا في ضِمْنِ فقْرَات وَقَيَّدْتُهَا بقَيْد الكَتَابَة رَجَاءَ أَنْ تُؤَدِّيَ بذَلكَ نُبْذَةً مَنْ شُكْرِ نعْمَتكُمْ المَسْطُورَةِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ الصَّلوَاتُ والتَّسْليمَاتُ.

المَكْتُوبُ الثَّمانُونَ وَالمائَتَان

إلى الحَافظ مَحْمُود

في بَيَانِ أَنَّ مَحَبَّةَ هَذه الطَّائفَة رَأْسُ مَال السَّعَادَة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوات وَتَبْليغِ الدَّعوَات ليَعُمَّ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّريفَ المَصْحُوبَ بجَنَاب مَوْلَانَا مَهْديٍّ عَليٍّ قَدْ وَصَلَ وَصَارَ مُوجبًا للفرَحِ لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ عَلى رُسُوخِ مَحَبَّة الفُقَرَاء التي هيَ رَأْسُ مَال السَّعَادَة الدُّنْيَويَّة وَالأُخْرَويَّة رُسُوخًا مَا بَحَثَ لَمْ يُؤَثِّرْ فيهَا تَمَادَى أَيَّامَ المُفَارَقَة.

وَاعْلَمْ أَنَّ المُحَافَظَةَ عَلى شَيْئَيْنِ وَالثَّبَاتَ عَلَيْهمَا منَ اللوَازمِ مُتَابَعَةُ صَاحب الشَّريعَة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحيَّةُ وَمَحَبَّةُ الشَّيْخِ المُقْتَدَى به مَعَ الإخْلَاصِ لهُ وَكُل شَيْءٍ يَحْصُل مَعَ وُجُود هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ فَهُوَ نعْمَةٌ زَائدَةٌ وَإنْ لَمْ يَحْصُل شَيْءٌ مَعَ وُجُود هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ فَلا غَمَّ أَصْلاً فَإنَّهُ سَيَحْصُل غَيْرُهُمَا فيمَا بَعْدُ وَإنْ تَطَرَّقَ عيَاذًا بالله - سُبْحَانَهُ - خَلل عَلى وَاحد منْ هَذَيْن وَبَقيَتْ الأَحْوَال وَالأَذْوَاقُ عَلى حَالهَا يَنْبَغي أَنْ يَعْتَقدَ ذَلكَ منَ اسْتدْرَاجٍ وَأَنْ يَعُدَّهُ منَ الخذْلَان وَهَذَا هُوَ طَريقُ الاسْتقَامَة وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

المَكْتُوبُ الحَادي وَالثَّمَانُونَ وَالمائَتَان

إلى المَيْر مُحَمَّد نُعْمَانَ

فِي بَيَان شُكْر نعمَة الانْتسَاب إلى سلسلة الطَّرِيقَة النَّقْشبَنْديَّة العَليَّة وبَيَان بَعْضِ خَصَائص هَذَا الطَّرِيق وَمَا يَلزَمُ فيه منَ الآدَاب

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى بأَيِّ لسَان نُؤَدِّي شُكْرَ هَذه النِّعْمَة العُظْمَى حَيْثُ شرَّفَنا اللهُ - سُبْحانَهُ وَتَعالى - بَعْدَ تَصْحيح العَقَائد بمُوجب آرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجمَاعَة شكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ بسُلوك الطَّريقَة النَّقْشبَنْديَّة العَليَّة وَجَعَلَنَا منْ مُريدي هَذه الطَّائفَة العَظيمَة الشَّأْن وَمُنْتَسبيهمْ وَعنْدَ الفَقير أَنَّ الخُطْوَةَ الوَاحدَةَ في هَذَا الطَّريق أَفْضَل منْ سَبْع خُطُوَات في طُرُق أُخرَ وَالطَّريقُ الذي يَفْتَحُ وَيُوصِّل إلى كَمالاَت النُّبُوَّة بطَريق التَّبَعيَّة وَالورَاثَة مَخْصُوصٌ بهَذَا الطَّريق العَالي وَمُنْتَهى طُرُق أُخرَ إلَى حُصُول كَمالاَت الولاَيَة لَمْ يَفْتَحْ منْهَا طَريقٌ مُوصِّل إلى كَمالاَت النُّبوَّة وَمنْ هَهُنَا كَتَبْتُ في كُتُبي وَرَسَائلي أَنَّ طَريقَ هَؤُلاَء الأَكَابر طَريقُ الأَصْحَاب الكرَام عَلَيْهمُ الرِّضْوَانُ وَكَمَا أَنَّ الأَصْحَابَ نَالوا منْ تلكَ الكَمالاَت بطَريق الورَاثَة حَظًّا وَافرًا كَذَلكَ مُنْتَهبُو هَذَا الطَّريق يَجدُونَ منْهَا نَصيبًا كَاملاً بطَريق التَّبَعيَّة وَالمُبْتَدئُونَ وَالمُتَوسِّطُونَ المُلتَزمُونَ لهَذَا الطَّريق المُتَصفُونَ بكَمَال مَحَبَّة المُنْتَهبينَ منْ أَهْل هَذَا الطَّريق فَهُمْ أَيْضًا رَاجُونَ ذَلكَ المَرْأُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ بشَارَةً للمَهْجُورينَ.

وَالخَائبُ في هَذَا الطَّريق وَالخَاسرُ فيه شَخْصٌ يَدْخُل فيه وَلاَ يُرَاعي آدَابَهُ وَيَخْتَرعُ فيه أُمُورًا مُحْدَثَةً وَيَعْتَمدُ عَلى مَنَامَاته وَوَقَائعه المُخَالفَة لهَذَا الطَّريق فَمَا ذَنْبُ الطَّريق عَلى هَذَا التَّقْدير بَل هُوَ مَاشٍ عَلى مُقْتَضَى مَنَامَاته وَوَاقعَاته مُتَوَجِّهٌ إلى طَرَف تُرْكسْتَانَ مُنْحَرفًا عَنْ طَريق الكَعْبَة باخْتيَاره، شعْرٌ:

أَلا هَلْ يَبْلُغَنْ أُمَّ القُرَى مَنْ غَدًا يَمْشي إلى صَوْب العرَاق

وَلاَ أَسْتَحْسنُ أَنْ أُشَوِّشَ طَريقَكُمْ هَذَا هُنَاكَ مَعَ وُجُود جَمْعيَّة الأَصْحَاب وَاجْتهَاد الطَّالبينَ فَإنْ وَقَعَتْ الإشَارَةُ بالسَّفَر إلى هَذه الحُدُود قَبْل هَذَا كَانَ ذَلكَ مَشْرُوطًا بشُرُوط وَالآنَ أَيْضًا مَشْرُوطٌ بالشُّرُوط فَإنْ تَتَوجَّهْ إلى هَذه الحُدُود بَعْدَ اسْتخَارَة مُكَرَّرَة وَانْشرَاح صَدْرٍ بلاَ تَرَدُّدٍ وَشُبْهَةٍ وَإجْلاَس شَخْصٍ مَكَانَكَ عَلى

نَهْجٍ لاَ يَتَطَرَّقُ فُتُورٌ أَصْلاً إلى الوَضْعِ السَّابِقِ فَلكَ ذَلكَ وَبدُون هَذه الشَّرَائط لاَ يَنْبَغِي تَضْيِيعُ المُعَامَلةِ هُنَاكَ وَإِيقَاعُ الفُتُورِ فِي جَمْعِيَّةِ الطَّالبِينَ وَمَاذَا أُبَالغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَتَان
إلى الملا بَديع
فِي بَيَانِ مُلاَقَاةِ الخَضِرِ وَإِلْيَاسَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ
وَبَيَانِ نُبْذَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِمَا

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ مِنَ اسْتِفْسَارِ الأَصْحَابِ عَنْ أَحْوَالِ الخَضِرِ - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلفَقِيرِ اطِّلاَعٌ عَلى أَحْوَالِهِ كَمَا يَنْبَغِي كُنْتُ مُتَوَقِّفًا فِي الجَوَابِ فَرَأَيْتُ اليَوْمَ فِي حَلَقَةِ الصُّبْحِ أَنَّ الإِلْيَاسَ وَالخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ حَضَرَا فِي صُورَةِ الرُّوحَانِيِّينَ فَقَالَ الخَضِرُ بِالإِلْقَاءِ الرُّوحَانِيِّ نَحْنُ مِنْ عَالَمِ الأَرْوَاحِ قَدْ أَعْطَى الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - أَرْوَاحَنَا قُدْرَةً كَامِلَةً بِحَيْثُ تَتَشَكَّلُ وَتَتَمَثَّلُ بِصُوَرِ الأَجْسَامِ وَيَصْدُرُ عَنْهَا مَا يَصْدُرُ عَنِ الأَجْسَامِ مِنَ الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ الجِسْمَانِيَّةِ وَالطَّاعَاتِ وَالعِبَادَاتِ الجَسَدِيَّةِ فَقُلْتُ لَهُ فِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ: أَنْتُمْ تُصَلونَ الصَّلاَةَ بِمَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ؟ فَقَالَ: نَحْنُ لَسْنَا مُكَلَّفِينَ بِالشَّرَائِعِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ كَافِيَةُ مُهِمَّاتِ قُطْبِ المَدَارِ مَرْبُوطَةً بِنَا وَهُوَ عَلى مَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ نُصَلي نَحْنُ أَيْضًا وَرَاءَهُ بِمَذْهَبِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ﵁ فَعُلِمَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَنَّهُ لاَ يَتَرَتَّبُ الجَزَاءُ عَلى طَاعَتِهِمْ بَل تَصْدُرُ عَنْهُمُ الطَّاعَةُ وَالعِبَادَةُ مُوَافِقَةً لأَهْلِ الطَّاعَةِ وَمُرَاعَاةً لِصُورَةِ العِبَادَةِ.

وَعُلِمَ أَيْضًا أَنَّ كَمَالاَتِ الوِلاَيَةِ مُوَافِقَةٌ لِفِقْهِ الشَّافِعِيِّ وَلِكَمَالاَتِ النُّبُوَّةِ مُوَافِقَةٌ لِفِقْهِ الحَنَفِيِّ فَعُلِمَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ حَقِيقَةُ كَلاَمِ الخَواجَهْ مُحَمَّد بَارِسَا - قُدِّسَ سِرُّهُ - حَيْثُ ذَكَرَ فِي الفُصُولِ السِّتَّةِ نَقْلاً أَنَّ عِيسَى - عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - يَعْمَل بَعْدَ نُزُولِهِ بِمَذْهَبِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ ﵁ فَوَقَعَ فِي الخَاطِرِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَنْ نَسْتَمِدَّ بِهِمَا وَأَنْ نَطْلُبَ مِنْهُمَا الدُّعَاءَ فَقَال إِذَا كَانَتْ عِنَايَةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - شَامِلَةً لِحَالِ شَخْصٍ فَلاَ مَدْخَلَ لَنَا هُنَاكَ وَكَأَنَّهُمْ أَخَذُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ البَيْنِ.

وَأَمَّا إِلْيَاسُ، عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـــ: فَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَصْلاً وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالثَّمانُونَ وَالمائتَان

إلى الصُّوفيِّ قُرْبَانَ

فِي بَيَانِ أَنَّ رُؤْيَةَ النَّبيِّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ المعْرَاجِ كَانَتْ فِي مَوْطِنِ الآخِرَةِ لاَ فِي مَوْطِنِ الدُّنْيَا

قَدْ سُئلتُ أَنَّ إجْمَاعَ أَهْلِ السُّنَّة وَالجمَاعَة مُنْعَقدٌ على أَنَّ الرُّؤْيَةَ غَيْرُ وَاقعيَّة فِي الدُّنْيَا حَتَّى مَنَعَ أَكْثَرُ عُلمَاءِ أَهْلِ السُّنَّة رُؤْيَةَ خَاتَمِ الرُّسُلِ وَالرِّسَالة عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَيْلَةَ المعْرَاجِ.

قَال حُجَّةُ الإسْلاَم: وَالأَصَحُّ أَنَّهُ - عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَا رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ المعْرَاجِ وَقَدْ اعْتَرَفْتَ أَنْتَ فِي رَسَائلك بِوُقُوعِ رُؤْيَته ﷺ رَبَّهُ فِي الدُّنْيَا فَمَا يَكُونُ وَجْهُ ذَلكَ ؟

أُجيبُ أَنَّ رُؤْيَتَهُ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ المعْرَاجِ مَا وَقَعَتْ فِي الدُّنْيَا بَل وَقَعَتْ فِي الآخرَة فَإنَّهُ ﷺ لَمَّا خَرَجَ لَيْلَة المعْرَاجِ منْ دَائرَة المَكَان وَالزَّمَان وَتَخَلصَ عَنْ مَضيق الإمْكَان وَجَدَ الأَزَل وَالأَبَدَ آنًا وَاحدًا وَرَأَى البدَايَةَ وَالنِّهَايَةَ نُقْطَةً وَاحدَةً وَرَأَى أَهْلَ الجَنَّة الذينَ يَدْخُلونَهَا بَعْدَ أُلوف منَ السِّنينَ فِي الجَنَّة حَتَّى أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَن بْنَ عَوْف رضي الله عنه الذي يَدْخُل الجَنَّةَ بَعْدَ خَمْسمائَة سَنَة منْ فُقَرَاء الأَصْحَاب رضْوَانُ الله عَليْهِمْ أَجْمَعينَ رَآهُ قَدْ دَخَل الجَنَّةَ بَعْدَ مُضيِّ تلكَ المُدَّة، وَسَأَلهُ عَنْ سرِّ تَوَقُّفه فَالرُّؤْيَةُ الوَاقعَةُ فِي ذَلكَ المَوْطنِ تَكُونُ دَاخلةً فِي الرُّؤْيَة الأُخْرَويَّة فَلاَ تَكُونُ مُنَافيَةً للإجْمَاعِ عَلى عَدَم وُقُوعهَا.

وَإطْلاَقُ الرُّؤْيَة الدُّنْيَويَّة عَليْهَا مَحْمُول عَلى التَّجَوُّز وَمَبْنيٌّ عَلى الظَّاهرِ وَالله - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بحَقَائق الأُمُورِ كُلهَا.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَتَان

إلى المُلا عَبْد القَادِرِ الأَنْبَالِيِّ

فِي بَيَانِ أَنَّ الأَحْوَالَ المَوَاجِيدَ نَصِيبُ عَالَمِ الأَمْرِ وَالعلمَ بِالأَحْوَالِ نَصِيبُ عَالَمِ الخَلقِ وَهَذِهِ المَعْرِفَةُ مِنَ المَعَارِفِ السَّابِقَة

وَحَقِيقَةُ المُعَامَلَةِ هِيَ التِي حُرِّرَتْ فِي مَكْتُوبِ المَخْدُومِ الأَكْبَرِ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ فِي بَيَانِ الطَّرِيق

اعْلَمْ أَنَّ الإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ مِنْ عَالَمِ الخَلقِ الذِي هُوَ ظَاهِرُهُ وَعَالَمِ الأَمْرِ الذِي هُوَ بَاطِنُهُ فَالأَحْوَالُ وَالمَوَاجِيدُ وَالمُشَاهَدَاتُ وَالتَّجَلِّيَاتُ التِي تَظْهَرُ فِي الابْتِدَاءِ وَالوَسَطِ نَصِيبُ عَالَمِ الأَمْرِ الذِي هُوَ بَاطِنُ الإِنْسَانِ وَكَذَلِكَ الحَيْرَةُ وَالجَهَالَةُ وَالعَجْزُ وَاليَأْسُ التِي تَحْصُلُ فِي الانْتِهَاءِ أَيْضًا نَصِيبُ عَالَمِ الأَمْرِ الذِي هُوَ بَاطِنُ الإِنْسَانِ وَللظَّاهِرِ بِحُكْمٍ، (ع):

وَللأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الكِرَامِ نَصِيبٌ

أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ تلكَ المُعَامَلَةِ عِنْدَ وُجُودِ القُوَّةِ فِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَبَاتٌ وَاسْتِقَامَةٌ وَلكِنْ يَكْتَسِبُ نَوْعًا مِنَ الانْصِبَاغِ.

وَالأَمْرُ الذِي يَتَعَلَّقُ بِالظَّاهِرِ بِالأَصَالَةِ هُوَ العِلمُ بِتلكَ الأَحْوَالِ فَإِنَّ البَاطِنَ لَهُ حُصُولُ الأَحْوَالِ لاَ العِلمُ بِهَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الظَّاهِرُ لَمَا يَفْتَحُ طَرِيقَ العِلمِ وَالتَّمْيِيزِ.

وَظُهُورُ الصُّوَرِ المِثَالِيَّةِ وَمَعَارِجِ المَقَامَاتِ إِنَّمَا هُوَ لإِدْرَاكِ الظَّاهِرِ فَالحَالُ لِلبَاطِنِ وَالعِلمُ بِالحَالِ لِلظَّاهِرِ فَعُلِمَ مِنْ هَذَا البَيَانِ أَنَّ الأَوْلِيَاءَ الذِينَ هُمْ أَصْحَابُ العِلمِ وَالذِينَ لاَ نُصِيبَ لَهُمْ مِنَ العِلمِ يَعْنِي بِالأَحْوَالِ لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمْ فِي نَفْسِ حُصُولِ الأَحْوَالِ فَإِنْ كَانَ الفَرْقُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ العِلمِ بِتلكَ الأَحْوَالِ وَعَدَمِ العِلمِ بِهَا كَمَا إِذَا طَرَأَتْ عَلَى شَخْصٍ مَثَلاً حَالَةُ الجُوعِ وَشَوَّشَتْ أَحْوَالَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الحَالَةَ يُسَمُّونَهَا جُوعًا وَشَخْصٌ آخَرُ طَرَأَ عَلَيْهِ تلكَ الحَالَةُ أَيْضًا وَلكِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الحَالَةَ مُعَبَّرٌ عَنْهَا بِالجُوعِ فَكُلٌ مِنْ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ مُسَاوٍ لِلآخَرِ فِي نَفْسِ تلكَ الحَالَةِ وَلاَ فَرْقَ إِلاَّ بِحَسَبِ العِلمِ وَعَدَمِ العِلمِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الجَمَاعَةَ الذِينَ لاَ عِلمَ لَهُمْ بِالأَحْوَالِ عَلَى قِسْمَيْنِ فَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ لَيْسَ لَهُمْ عِلمٌ بِنَفْسِ حُصُولِ الأَحْوَالِ وَلاَ وُقُوفَ لَهُمْ عَلَى تَلوِينَاتِهَا أَصْلاً.

وَطَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ لَهُمْ خَبَرٌ عَنْ تَلوينَات الأَحْوَال وَلكِنَّهُمْ لاَ يَقْدرُونَ عَلى تَشْخِيصِ الأَحْوَال وَهَذه الطَّائِفَةُ دَاخلونَ فِي أَرْبَاب العلم وَإِنْ لَمْ يَقْدرُوا عَلى تَشْخِيصِ الأَحْوَال وَمُسْتَحِقُّونَ لِلمَشْيَخَة وَتَشْخِيص الأَحْوَال لَيْسَ هُوَ وَظِيفَةَ كُل شَيْخٍ بَل تَظْهَرُ هَذه الدَّوْلَةُ بَعْدَ أَزْمنَة مُتَطَاولة حَتَّى يَتَشَرَّفَ بهَا وَاحدٌ وَيُحَال الآخَرُونَ عَلى علمه وَيُجْعَلونَ منْ مُتَطَفِّليه كَمَا أَنَّ الأَنْبيَاءَ أُولي العَزْم صَلوَاتُ الله وتسليماتُهُ عَلَيْهِمْ كَانُوا يُبْعَثُونَ بَعْدَ مُدَّة مَديدَة وَكَانَ كُل منْهُمْ يَخْتَصُّ بأَحْكَامٍ مُتَمَايزَةٍ وَكَانَ بَقيَّةُ الأَنْبيَاءِ يُؤمَرُونَ باتِّبَاعهِمْ وَيَكْتَفُونَ بالدَّعْوَة بتلكَ الأَحْكَامِ، شعْرٌ:

لَيْسَ عَلى الله بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَتَان
إلى السَّيِّد مُحبِّ الله المَانكَبُوريِّ
فِي بَيَان أَحْكَام السَّمَاعِ وَالوَجْد وَالرَّقْصِ وَبَعْضِ المَعَارف المُتَعَلقَة بالرُّوحِ
بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى.

اعْلمْ أَرْشَدَكَ اللهُ إلى طَرِيق السَّدَاد وَأَلهمَكَ الرَّشَادَ أَنَّ السَّمَاعَ وَالوَجْدَ نَافعٌ لجَمَاعَة مُتَّصفُونَ بتَقَلب الأَحْوَال وَمُتَّسمُونَ بتَبَدُّل الأَوْقَات فَفي وَقْت حَاضرُونَ وَفي وَقْت غَائبُونَ وَأَحْيَانًا وَاجدُونَ وَأَحْيَانًا فَاقدُونَ وَهُمْ أَرْبَابُ القُلوبِ يَنْتَقلونَ فِي مَقَام التَّجَليَات الصِّفَاتيَّة عَنْ صفَة إلى صفَة وَيَتَحَللونَ منَ اسْمٍ إلى اسْمٍ، تَلوُّنُ الأَحْوَال نَقْدُ وَقْتهمْ وَتَشَتُّتُ الآمَال حَاصل مَقَامهمْ وَدَوَامُ الحَال مُحَال في حَقِّهمْ وَاسْتمْرَارُ الوَقْت مُمْتَنعٌ في شَأْنهمْ فَزَمَانٌ في القَبْض وَزَمَانٌ في البَسْط فَهُمْ أَبْنَاءُ الوَقْت وَمَغْلوبُوهُ فَمَرَّةً يَعْرُجُونَ وَمَرَّةً يَهْبطُونَ وَأَمَّا أَرْبَابُ التَّجَليات الذَّاتيَّة الذينَ تَخَلصُوا منْ مَقَام القَلب بالتَّمَام وَاتَّصَلوا بمُقَلب القَلب وَرَجَعُوا بكُليَّتهمْ منْ رُقْيَة الأَحْوَال إلى مُحَوِّل الأَحْوَال فَهُمْ ليْسُوا مُحْتَاجينَ إلى الوَجْد وَالسَّمَاعِ فَإنَّ وَقْتَهُمْ دَائميٌّ وَحَالهُمْ سَرْمَديٌّ بَل لاَ وَقْتَ لهُمْ وَلاَ حَال فَهُمْ آبَاءُ الوَقْت وَأَرْبَابُ التَّمْكين وَهُمُ الوَاصلونَ الذينَ لاَ رُجُوعَ لهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَقْدَ لهُمْ قَطْعًا فَمَنْ لاَ فَقْدَ لهُ لاَ وَجْدَ لهُ نَعَمْ إنَّ طَائفَةً منَ المُنْتَهيينَ يَنْفَعُهُمُ السَّمَاعُ أَيْضًا مَعَ وُجُود اسْتمْرَار الوَقْت وَسَيُحَرَّرُ بَيَانُهُ بالتَّفْصيل في آخر هَذَا المَبْحَث إنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالى -.

فَإنْ قيل: قَالَ خَاتَمُ الرُّسُل وَالرِّسَالة عَليْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّةُ: لي مَعَ الله وَقْتٌ لاَ يَسَعُني فيه مَلكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبيٌّ مُرْسَل.

فَيُفْهَمُ منْ هَذَا الحَديث أَنَّ الوَقْتَ لاَ يَكُونُ دَائمًا ؟

أُجيبُ بَعْدَ تَسْليم صحَّة هَذَا الحَديث أَنَّ بَعْضَ المَشَايخ قَدْ أَرَادَ بالوَقْت الوَاقعِ فِي الحَديثِ وَقْتًا مُسْتَمرًا أَيْ لي مَعَ الله وَقْتٌ مُسْتَمرٌ فَلاَ إشْكَال.

وثانيًا: إنَّ الوَقْتَ المُسْتَمِرَّ قَدْ تَعْرِضُ فيه أَحْيَانًا كَيْفِيَّةٌ خَاصَّةٌ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بالوَقْتِ الوَقْتَ النَّادِرَ وَيَكُونَ المُرَادُ به هَذه الكَيْفِيَّةَ النَّادِرَةَ فَعَلَى هَذَا يَرْتَفِعُ الإشْكَال أَيْضًا.

فَإِنْ قِيل: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لاسْتِمَاعِ النَّغْمَة مَدْخَل في تَحْصيل تلكَ الكَيْفيَّة النَّادرَةَ فَصَارَ المُنْتَهي أَيْضًا مُحْتَاجًا إلى السَّمَاعِ في تَحْصيل تلكَ الكَيْفيَّة.

أُجيبُ أَنَّ تَحَقُّقَ تلكَ الكَيْفيَّة غَالبًا في حين أَدَاء الصَّلاَة فَإِنْ ظَهَرَتْ في خَارِجِ الصَّلاَة أَحْيَانًا فَهُوَ أَيْضًا منْ نَتَائجها وَثَمرَاتهَا وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ في حَديث "**وَقُرَّةُ عَيْني في الصَّلاَة**" إشَارَةٌ إلى هَذه الكَيْفيَّة النَّادرَة.

وَوَرَدَ أيضًا في الخَبَر: أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ منَ الرَّبِّ في الصَّلاَة، وَقَال اللهُ – تَعَالى – {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} وَلاَ شَكَّ أَنَّ كُل وَقْت يَكُونُ القُرْبُ الإلهيُّ فيه أَزْيدَ يَكُونُ مَجَال الغَيْر فيه أَشَدَّ انْتفاءً فَفُهمَ منْ هَذَا الحَديث وَهَذه الآيَة أَيْضًا أَنَّ ذَلكَ الوَقْتَ في الصَّلاَة وَالدَّليل عَلَى اسْتمْرَار الوَقْت وَدَوَامِ الوَصْل اتِّفَاقُ المَشَايخِ قَال ذُو النُّون المصْريُّ: مَا رَجعَ مَنْ رَجعَ إلاَّ منَ الطَّريق وَمَنْ وَصَل لاَ يَرْجعُ وَكَوْن ياد داشت عبَارَةٌ عَنْ دَوَام الحُضُور مَعَ جَنَاب قُدْس الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – أَمْرٌ مُقرَّرٌ في طَريقَة خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ بالجُمْلَة إنَّ الإنْكَارَ عَلَى دَوَام الوَقْت علاَمَةُ عَدَمِ الوُصُول وَمَا قَالهُ شرْذمَةٌ قَليلَةٌ منَ المَشَايخ كَابْن العَطَاء وَأَمْثَاله منْ جَوَاز رُجُوعِ الوَاصل إلى الصِّفَات البَشَريَّة فَيُفْهَمُ منْهُ عَدَمُ دَوَام الوَقْت فَهُوَ خلاَفٌ في جَوَاز الرُّجُوع لاَ في الوُقُوع فَإنَّ الرُّجُوعَ غَيْرُ وَاقعٍ أَلبَتَّةَ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى أَرْبَابه فَثَبَتَ إجْمَاعُ المَشَايخِ عَلى عَدَمِ رُجُوعِ الوَاصل وَكَانَ خلاَفُ البَعْضِ رَاجعًا إلى جَوَاز الرُّجُوعِ هَذَا.

وَطَائفَةٌ منَ المُنْتَهينَ تَحصُل لَهُمْ بُرُودَةٌ قَويَّةٌ في الوُصُول إلى مُشَاهَدَة الجَمَال اليز إلى بُعْد وُصُولهمْ إلى دَرَجَة منْ دَرَجَات الكَمَالاَت وَتُحصُل لَهُمْ نسْبَةٌ تَامَّةٌ تَمْنَعُهُمْ عَن العُرُوج إلى مَنَازل الوُصُول وَأَمَا مُهمُّ دَرَجَات مَنَازل الوُصُول لَمْ يَقْطَعُوهَا بَعْدُ وَلَمْ تَنْقَطعْ مَدَارجُ القُرْب بالانْتهَاء إلى غَايَته وَفيهمْ مَعَ وُجُود البُرُودَة مَيْل إلى العُرُوجِ وَتَمَنّب كَمَال القُرْب فَالسَّمَاعُ مُفيدٌ في حَقِّهمْ عَلى تَقْدير هَذه الصُّورَة وَمُوجَبٌ للحَرَارَة وَيَتَيَسَّرُ لَهُمْ في كُل وَقْت بمَدَد السَّمَاع العُرُوجُ إلى مَنَازل القُرْب وَبَعْدَ التَّسْكين يَهْبطُونَ منْ تلكَ المَنَازل وَلكنَّهُمْ يَسْتَصْحبُونَ مَعَهُمْ لوْنًا وَوَصْفًا منْ مَقَامَات ذَلكَ العُرُوجِ وَيَنْصَبغُونَ به وَهَذَا الوَجْدُ لَيْسَ هُوَ بَعْدَ

الفَقْد فَإِنَّ الفَقْدَ مَفْقُودٌ فِي حَقِّهِمْ بَل هُوَ لأَجْل التَّرَقِّي إِلَى مَنَازِل الوُصُول مَعَ وُجُود دَوَامِ الوَصْل وَمِنْ هَذَا القَبِيل سَمَاعُ المُنْتَهِينَ وَالوَاصِلِينَ وَوَجْدُهُمْ نَعَمْ إِنَّهُمْ وَإِنْ مُنِحُوا الجَذْبَةَ بَعْدَ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَلَكِنْ لَمَّا عَرَضَتْ لَهُمْ بُرُودَةٌ قَوِيَّةٌ لَمْ يَكْتَفُوا بِهَا فِي تَحْصِيلِ التَّرَقِّيَاتِ إِلَى مَنَازِل الوُصُول وَالعُرُوجِ وَاحْتَاجُوا إِلَى السَّمَاعِ.

وَطَائِفَةٌ مِنَ المَشَايِخ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ تَهْبطُ نُفُوسُهُمْ إِلَى مَقَامِ العُبُودِيَّة بَعْدَ وُصُولِهِمْ إِلَى دَرَجَة الوِلاَيَة وَأَرْوَاحُهُمْ مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى جَنَاب القُدْسِ فِي مَقَامِهَا الأَصْلِيِّ بِلاَ مُزَاحَمَةِ النُّفُوسِ وَكُلَّمَا يَصِلُ إِلَى الرُّوحِ مَدَدٌ مِنْ مَقَامِ النَّفْسِ المُطْمَئِنَّة الَّتِي صَارَتْ مُتَمَكِّنَةً وَرَاسِخَةً فِي مَقَام العُبُودِيَّة تَحْصُل لِلرُّوحِ بِوَاسِطَة ذَلِكَ الإِمْدَاد مُنَاسَبَةٌ خَاصَّةٌ بِالمَطْلُوب وَاطْمِئْنَانُ هَؤُلاَءِ الأَكَابِر فِي العِبَادَة وَتَسْكِينُهُم فِي أَدَاء حُقُوق العُبُودِيَّة وَالطَّاعَة وَمَيْل العُرُوجِ مَفْقُودٌ فِي طِبَاعِهِمْ وَشَوْقُ الصُّعُود قَلِيل فِي بَوَاطِنِهِمْ جَبِينُهُمْ لاَمِعٌ بِنُورِ مُتَابَعَة المِلة وَعُيُونُ بَصِيرَتِهِمْ مُكْتَحِلَةٌ بِكُحْل اتِّبَاعِ السُّنَّة فَلاَ جَرَمَ كَانَتْ أَبْصَارُهُمْ حَدِيدَةً يُبْصِرُونَ مِنْ بَعْدَمَا يَعْجزُ الأَقْرَبُونَ عَنْ رُؤْيَتِه وإِنْ كَانَ عُرُوجُهُمْ قَلِيلاً وَلَكِنَّهُمْ نُورَانِيُّونَ مُنَوَّرُونَ بِنُورِ الأَصْل وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ المَقَامِ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَجَلاَلَةُ القَدْر فَلاَ احْتِيَاجَ لَهُمْ إِلَى السَّمَاعِ وَالوَجْد بَل تُعْطِيهِم العِبَادَةُ مَا لِلسَّمَاعِ وَتَكْفِيهِمْ نُورَانِيَّتُهم بِنُورِ الأَصْل عَنِ العُرُوجِ.

وَالجَمَاعَةُ المُقَلِّدُونَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاعِ وَالوَجْد الَّذِينَ لاَ وُقُوفَ لَهُمْ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ يَحْسَبُونَ أَنْفُسَهُمْ عُشَّاقًا وَيُسَمُّونَهُمْ زُهَّادًا وَكَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ العِشْقَ وَالمَحَبَّةَ مُنْحَصِرَانِ فِي الرَّقْصِ وَالوَجْد.

وَمِنَ المُنْتَهِينَ طَائِفَةٌ يُمْنَحُونَ بَعْدَ قَطْعِ مَسَالِك السَّيْر إِلَى اللهِ وَالتَّحَقُّق بِالبَقَاء بِاللهِ جَذْبًا قَوِيًّا فَيَنْجَرُّونَ بِسِلْسِلَة الجَذْبَة جَرًّا جَرًّا، وَسِرَايَةُ البُرُودَة مَمْنُوعَةٌ هُنَاكَ وَالتَّسْلِيَةُ غَيْرُ جَائِزَة لاَ يَحْتَاجُونَ فِي العُرُوجِ إِلَى أُمُور غَرِيبَة وَلَيْسَ لِلسَّمَاعِ وَالرَّقْصِ إِلَى مَضِيق خَلْوَتِهِمْ سَبِيل الدُّخُول وَلاَ الوَجْدُ وَالتَّوَاجُدُ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مَقْبُول بَل يَصِلُونَ بِهَذَا العُرُوجِ الانْجِذَابِيِّ إِلَى نِهَايَة المَرْتَبَة المُمْكِنَة الوُصُول وَيَنَالُونَ بِوَاسِطَة مُتَابَعَة النَّبِيِّ ﷺ نَصِيبًا مِنْ مَقَامِه المَخْصُوص بِه وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الوُصُول مَخْصُوصٌ بِطَائِفَة الأَفْرَاد لاَ نَصِيبَ مِنْ هَذَا المَقَام الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - إِلَى العَالَمِ،

وَأُحِيلَ عَلَيْه تَرْبِيَةَ المُسْتَعِدِّينَ تَهْبطُ نَفْسُهُ إِلَى مَقَامِ العُبُودِيَّة وَرُوحُهُ مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى جَنَابِ المُقَدَّسِ بِلاَ نَفْسٍ وَهُوَ الجَامِعُ لِلكَمَالاَتِ الفَرْدِيَّة وَالحَاوِي لِلتَّكْمِيلاَتِ

القُطْبيَّة وَأَعْني بالقُطْب هَهُنَا قُطْبَ الإِرْشَاد لاَ قُطْبَ الأَوْتَاد وَعُلومُ المَقَامَات الظِّلِّيَّة وَمَعَارِفُ المَدَارِجِ الأَصْلِيَّة مُيَسَّرَةٌ لَهُ بَل لاَ ظِلَ فِي المَقَام الذي هُوَ فيه وَلاَ أَصْل فَإِنَّهُ قَدْ جَاوَزَ الظِّل وَالأَصْل وَمِثْل هَذَا الكَامل المُكَمِّل عَزِيزُ الوُجُود جدًّا حَتَّى أَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ بَعْدَ قُرُون مُتَطَاولة وَأَزْمِنَة مُتَبَاعدَة فَهُوَ أَيْضًا مُغْتَنَمٌ يَنوِّرُ به العَالَمُ نَظرَةُ شفَاءُ الأَمْرَاضِ القَلبيَّةِ وَتَوجُّهُهُ دَافعُ الأَخْلاَفِ الرَّدِيَّة الغَيْر المَرْضِيَّة وَهُوَ الذي أَتَمَّ مَدَارِجَ العُرُوجِ وَنَزَل إِلى مَقَامِ العُبُوديَّة وَاطْمَئَنَّ بِالعِبَادَة وَآنَسَ بهَا وَتَنْتَخبُ بَعْضُ هَذه الطَّائفة لمَقَام العَبْديَّة الذي لاَ مَقَامَ فَوْقَهُ مِنْ مَقَامَات الوِلاَيَة وَيَشْرُفُ به.

وَقَابليَّةُ مَنْصب المَحْبُوبيَّة أَيْضًا مُسَلمَةٌ إِلَيْه فَهُوَ جَامعٌ لِجَميع كَمَالاَت مَرْتَبَة الوِلاَيَة وَحَاوٍ لتَمَام مَقَامَات دَرَجَة الدَّعْوَة وَمُحْتَظ مِنَ الوِلاَيَة الخَاصَّة بِمَقَامِ النُّبُوَّة وَبِالجُمْلَة إِنَّ هَذَا المَصْرَعَ صَادقٌ في حَقِّه، (ع):

قَدْ اجْتَمَعَتْ فيه المَحَاسنُ كُلهَا

هَذَا وَالسَّمَاعُ وَالوَجْدُ مُضرٌّ للمُبْتَدي وَمُنَاف لعُرُوجه وَإِنْ وَقَعَ بالشَّرَائط وَسَيُحَرِّرُ نُبْذَةً مِنْ شَرَائط السَّمَاعِ فِي آخر هَذه الرِّسَالَة إِنْ شَاءَ الله - تَعَالَى - وَوَجْدُ المُبْتَدي مَعْلول وَحَالُهُ وَبَال وَحَرَكَتُهُ طَبيعيَّةٌ وَتَحَرُّكُهُ مَشُوبٌ بالهَوَى النَّفْسَانيِّ وَأَعْني بالمُبْتَدي مَنْ لَيْسَ مِنْ أَرْبَاب القُلُوب وَأَرْبَابُ القُلوب مُتَوَسِّطُونَ بَيْنَ المُبْتَدي وَالمُنْتَهي وَالمُنْتَهي هُوَ الفَاني في الله وَالبَاقي بالله وَهُوَ الوَاصل الكَامل وَللانْتهَاء دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَللوُصُول مَرَاتبُ لاَ يُمْكنُ قَطْعُهَا أَبَدَ الآبدينَ.

وَبِالجُمْلَة إِنَّ السَّمَاعَ نَافعٌ للمُتَوَسِّطينَ وَطَائفَةٌ مِنَ المُنْتَهينَ أَيْضًا كَمَا مَرَّ آنفًا وَلَكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ السَّمَاعَ لاَ يَحْتَاجُ إِلَيْه أَرْبَابُ القُلُوب أَيْضًا مُطْلَقًا بَل جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ لَمْ يَشَرَّفُوا بَعْدُ بدَوْلَة الجَذْبَة وَيُرِيدُونَ قَطْعَ المَسَافَة بالرِّيَاضَات وَالمُجَاهَدَات الشَّاقَّة فَالسَّمَاعُ وَالوَجْدُ مُمدٌّ وَمُعَاونٌ لهَؤُلاَءِ الجَمَاعَة فِي هَذه الصُّورَة وَأَمَّا إِذَا كَانَ أَرْبَابُ القُلوب مِنَ المَجْذُوبينَ فَقَطَعَ مَسَالكَ سَيْرِهمْ بِمَدَد الجَذْبَة وَلَيْسُوا مُحْتَاجينَ إِلى السَّمَاع.

يَنْبَغي أَيْضًا أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ نَفعَ السَّمَاعِ لأَرْبَاب القُلُوب الغَيْر المَجْذُوبينَ لَيْسَ عَلَى إِطْلاَقه بَل الانْتفَاعُ به مَشْرُوطٌ بالشَّرَائط وَبدُونهَا خَرْطُ القَتَاد فَمنْ جُمْلَة الشَّرَائط عَدَمُ الاعْتقَاد لكَمَال نَفْسه فلوْ كَانَ مُعْتَقدُ التَّماميَّة نَفْسَهُ فَهُوَ مَحْبُوسٌ نَعَمْ قَدْ يُورِثُهُ السَّمَاعُ أَيْضًا مِنَ العُرُوجِ وَلَكنَّهُ يَهْبطُ مِنْ مَقَامِ عُرُوجٍ إِلَيْه وَقْتَ السَّمَاعِ

بَعْدَ التَّسْكِين وَالشَّرَائِطُ المُبَيَّنَةُ فِي كُتُبِ الأَكَابِرِ مُسْتَقِيمِي الأَحْوَال كَعَوَارِفِ المَعَارِف أَكْثَرُهَا مَفْقُودَةٌ فِي سَمَاعِ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَان بَل مِثْل هَذَا السَّمَاعِ الذي شَاعَ فِي هَذَا الزَّمَان وَهَذَا الاجْتِمَاعِ الذي صَارَ مُتَعَارَفًا فِي هَذه أَلاَ وَإِنَّ لاَ شَكَّ فِي أَنَّهُ مَحْضٌ وَمُنَافٍ صِرْفٌ لاَ طَعْمَ لِلعُرُوجِ فيه وَلاَ يُتَصَوَّرُ الصُّعُودُ والتَّرَقِّي بِهِ وَإِمْدَادُ السَّمَاعِ مَفْقُودٌ فِي هَذَا المَحَل وَالمَضَرَّةُ مَوْجُودَةٌ فِي ذَلِكَ المَحْفَل.

تَنْبِيهٌ: إِنَّ السَّمَاعَ وَإِنْ كَانَ مُفِيدًا بِالنِّسْبَة إِلى بَعْضِ المُنْتَهِينَ وَلكِنْ لَمَّا كَانَ أَمَامَهُمْ مَرَاتِبُ العُرُوجِ فَهُمْ مِنَ الأَوْسَاطِ وَمَا لَمْ تَطْوِ مَرَاتِبَ العُرُوجِ المُمْكِنَة الحُصُول بِالتَّمَام فَحَقِيقَةُ الانْتِهَاء مَفْقُودَةٌ فِيهِمْ وَإِطْلاَقُ النِّهَايَة إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ نِهَايَة السَّيْرِ إِلى اللهِ وَهَذَا السَّيْرُ إِلى اسْمٍ إِلهِيٍّ كَانَ السَّالِكُ مَظْهَرَهُ وَالسَّيْرُ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الاسْمِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِه فَإِذَا جَاوَزَهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ مِمَّا يَنْكَشِفُ لأَرْبَابِه وَوَصَل إِلى الاسْمِ الحَقِيقِيِّ وَحَصَل لهُ هُنَاكَ فَنَاءٌ وَبَقَاءٌ فَهُوَ حِينَئذ يَكُونُ مُنْتَهِيًا حَقِيقِيًّا وَنِهَايَةُ السَّيْرِ إِلى اللهِ فِي الحَقِيقَة يَتَحَقَّقُ فِي ذَلِكَ المَحَل وَقَدْ عَدُّوا النِّهَايَةَ الأُولى التي هِيَ انْتِهَاءُ السَّيْرِ إِلى الاسْمِ مِنْ نِهَايَة السَّيْرِ إِلى الله وَاعْتَبَرُوهَا مِنْهَا أَيْضًا وَبِاعْتِبَارِ حُصُول الفَنَاء وَالبَقَاء فِي تِلكَ المَرْتَبَة أَطْلَقُوا اسْمَ الوِلاَيَة أَيْضًا.

وَمَا قِيل مِنْ أَنَّ لاَ نِهَايَةَ لِلسَّيْرِ فِي الله فَهَذَا السَّيْرُ فِي حِينِ البَقَاء وَبَعْدَ طَيِّ مَنَازِل العُرُوجِ وَمَعْنَى عَدَم نِهَايَة ذَلِكَ السَّيْر هُوَ أَنَّ السَّيْرَ إِذَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ الاسْمِ بِالتَّفْصِيل وَتَخَلقَ بِالشُّئُونَات المُنْدَرِجَة فيه لاَ يَصِل إِلى نِهَايَته أَصْلاً فَإِنَّ كُل اسْمٍ مُشْتَمِل عَلى شُئُونَات غَيْرِ مُتَنَاهِيَة وَأَمَّا إِذَا أُرِيدَ تَرْقِيَةٌ مِنْ ذَلِكَ الاسْمِ وَقْتَ العُرُوجِ فَيُمْكِنُ أَنْ يُطْوَى ذَلِكَ بِقَدَمٍ وَاحِد وَيَصِل إِلى نِهَايَة النِّهَايَة ثُمَّ إِنْ اسْتُهْلِكَ هُنَاكَ فَيَا لَهَا مِنْ شَرَافَة وَإِنْ أُرْجِعَ لِتَرْبِيَة الخَلق فَيَا لَهَا مِنْ فَضِيلَة وَكَرَامَة وَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ الوُصُول إِلى ذَلِكَ الاسْمِ أَمْرٌ سَهْل بَل لاَ بُدَّ مِنْ بَذْل الرُّوحِ حَتَّى يُشَرَّفَ بِتِلكَ الدَّوْلَة وَمَنْ ذَا الذي يَخْتَصُّ بِهَذه النِّعْمَة القُصْوَى مِنْ بَيْنِ أَقْرَانه وَيَمْتَازُ بِهَا وَمَا تَتَخَيَّلُهُ تَنْزِيهًا وَتَقْدِيسًا رُبَّمَا يَكُونَ عَيْنَ التَّشْبِيه وَالتَّنْقِيص بَل أَكْثَرَ المَرَاتِب الذي تَتَخَيَّلُهُ تَنْزِيهًا أَسْفَل وَأَدْوَنَ مِنْ مَقَامِ الرُّوحِ وَالتَّنْزِيهُ الذي يُخَيَّل لك فَوْقَ العَرْشِ فَهُوَ أَيْضًا دَاخِل فِي دَائِرَة التَّشْبِيه وَذَلِكَ المَكْشُوفُ المُنَزَّهُ مِنْ عَالَمِ الأَرْوَاحِ فَإِنَّ العَرْشَ مُحَدَّدُ الجِهَات وَمُنْتَهَى الأَبْعَاد وَعَالَمِ الأَرْوَاحِ وَرَاءَ عَالَمِ الجِهَات وَالأَبْعَاد فَإِنَّ الرُّوحَ لاَ مَكَانِيَّةَ لاَ يَسَعُهَا المَكَانُ. وَإِثْبَاتُ الرُّوحِ فِيمَا وَرَاءَ العَرْشِ يُوهِمُكَ أَنَّهَا بَعِيدَةٌ عَنْك وَالمَسَافَةُ بَيْنَك وَبَيْنَهَا طَوِيلَةٌ فَإِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ لأَنَّ نِسْبَةَ الرُّوحِ

مَعَ وُجُود لاَ مَكَانِيَّتِهَا مُسَاوِيَةٌ إلى جَمِيعِ الأَزْمِنَة وَالقَوْل بأَنَّهَا وَرَاءَ العَرْشِ لَهُ مَعْنًى آخَرُ لاَ تَعْرِفُهُ حَتَّى تَبْلُغَ هُنَاكَ.

وَطَائِفَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّة لَمَّا وَصَلوا إلى التَّنْزِيه الرُّوحِيِّ وَوَجَدُوهَا فَوْقَ العَرْشِ تَخَيَّلوهُ تَنْزِيهًا إلهيًّا - جَل شَأْنُهُ - وَظَنُّوا عُلومَ ذَلكَ المَقَام وَمَعَارِفَهُ مِنْ غَوَامِض العُلومِ وَحَلوا أَسْرَارَ الاسْتِوَاءِ في هَذَا المَقَامِ وَالحَقُّ أَنَّ ذَلكَ النُّور نُورُ الرُّوحِ وَقَدْ عُرِضَ للفَقِيرِ أَيْضًا مِثْل هَذَا الاشْتِبَاه عِنْدَ حُصُول ذَلكَ المَقَام وَلكِنْ لَمَّا أَدْرَكَتْني عِنَايَةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَرَقَّتْني مِنْ تِلكَ الوَرْطَة عَلِمْتُ أَنَّ ذَلكَ النُّورَ كَانَ نُورَ الرُّوحِ لاَ النُّورَ الإلهيَّ.

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَدِيَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ، وَحَيْثُ كَانَتْ الرُّوحُ لاَ مَكَانِيَّةً وَمَخْلوقَةً عَلى صُورَةٍ لاَ مِثَالِيَّةٍ فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ مَحَل اشْتِبَاهٍ وَاللهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيل.

وَجَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يَنْزِلونَ آخِذِينَ ذَلكَ النُّورَ يَعْني نُورَ الرُّوحِ التي فَوْقَ العَرْشِ وَيَحْصُل لهُمُ البَقَاءُ به فَيَظُنُّونَ أَنْفُسَهُمْ جَامِعِينَ بَيْنَ التَّشْبِيه وَالتَّنْزِيه فَإنْ وَجَدُوا ذَلكَ النُّورَ مُنْفَكًّا عَنْهُمْ يَتَصَوَّرُونَ ذَلكَ مَقَام الفَرْق بَعْدَ الجَمْعِ وَأَمْثَال هَذه المُغَالطَة فِيمَا بَيْنَ الصُّوفِيَّة كَثِيرَةٌ وَهُوَ سُبْحَانَهُ العَاصِمُ عَنْ مَظَانِّ الأَغْلاَط وَمَحَل الاحْتِيَاط.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ الرُّوحَ وَإنْ كَانَتْ بالنِّسْبَة إلى العَالمِ لاَ مِثْليَّةً وَلكنَّهَا بالنِّسْبَة إلى اللاَّمِثْليِّ الحَقِيقِيِّ دَاخِلَةٌ في دَائِرَة المِثْليِّ وَكَأَنَّهَا بَرْزَخٌ بَيْنَ العَالمِ المِثْليِّ وَبَيْنَ جَنَاب القُدْسِ الحَقِيقِيِّ فَفِيهَا وَصْفُ الطَّرَفَيْنِ وَكلاَ الاعْتِبَارَيْنِ صَحِيحٌ فِيهَا بخِلاَف اللاَّمِثْليِّ الحَقِيقِيِّ فَإنَّه لاَ سَبِيل للمِثْليِّ إليْه أَصْلاً فَمَا لَمْ يَعْرُجْ السَّالكُ مِنْ جَمِيعِ مَقَامَات الرُّوحِ لاَ يَصِل إلى ذَلكَ الاسْمِ فَيَنْبَغِي أَوَّلاً أَنْ يَتَجَاوَزَ جَمِيعَ طَبَقَات السَّمَوَات حَتَّى العَرْشِ وَالخُرُوجُ مِنْ لوَازِم المَكَان بالتَّمَام ثُمَّ يَلزَمُ ثَانِيًا طَيُّ مَرَاتبَ لاَ مَكَانِيَّة عَالمِ الأَرْوَاحِ فَيَصِل في ذَلكَ الوَقْت إلى ذَلكَ الاسْمِ، شِعْرٌ:

وَيَظُنُّ مَوْلاَنَا بأَنَّهُ وَاصِل مَا آنَ لَهُ غَيْرُ الظُّنُون حَاصِل

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ الوَرَاء فَإنَّ وَرَاءَ عَالمِ الخَلق هَذَا عَالمُ الأَمْر وَوَرَاء عَالمِ الأَمْر مَرَاتبُ الأَسْمَاء والشُّئُونَات ظِلاً وَأَصَالَةً وَإجْمَالاً وَتَفْصِيلاً فَيَنْبَغِي طَلَبُ المَطْلوب الحَقِيقِيِّ فِيمَا وَرَاءَ هَذه المَرَاتب الظِّليَّة وَالأَصْليَّة وَالكَوْنِيَّة وَالإلهيَّة وَالإجْمَاليَّة وَالتَّفْصِيليَّة فَمَنْ ذَا الذي يَنْعَمُ به عَليْه وَأَيُّ صَاحِب دَوْلة يَشْرُفُ بهَذه الدَّوْلة - ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيمِ -.

يَنْبَغِي للعَاقِل أَنْ يَكُونَ عَالِي الهِمَّة وَأَنْ لاَ يَقْنَعَ بِكُلمَا يَتَيَسَّرُ فِي الطَّرِيقِ وَأَنْ يَطْلبَ المَطْلوبَ فِي مَا وَرَاءَ الوَرَاء، شعْرٌ:

كَيْفَ الوُصُول إِلى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلل الجِبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

تَنْبِيـــهٌ آخَـــرُ

اعْلَمْ أَنَّ دَوَامَ الوَقْت وَاسْتمْرَارَهُ مُسَلمٌ لشَخْصٍ تَشرَّفَ بالبَقَاء بالله بَعْدَ تَحَقُّقه بالفَنَاء المُطْلق وَتَبَدَّل علمُهُ الحُصُولِيُّ حُضُورِيًّا وَلنُوَضِّحَ هَذَا المَبْحَثَ بِبَيَانٍ.

اعْلَمْ أَنَّ كُل علمٍ يَحْصُل للعَالِمِ منْ وَرَاء ذَاته فَطَرِيقُ حُصُوله لَهُ هُوَ حُصُول صُورَةِ المَعْلومِ فِي ذِهْنِ العَالِمِ وَكُل علمٍ لاَ يَحْتَاجُ فِي حُصُوله إِلى حُصُول الصُّورَةِ وَهُوَ علمُ الإِنْسَان بِذَاته فَهُوَ علمٌ حُضُورِيٌّ فَإِنَّ الذَّاتَ حَاضِرَةٌ عنْدَ العَالِمِ بِنَفْسهَا وَمَا دَامَتْ صُورَةُ المَعْلوم حَاصلةً فِي العلم الحُصُولِيِّ فَهُوَ مَعْلومٌ فِي ذِهْنِ المُتَوَجِّه فَإِذَا زَالتْ الصُّورَةُ عَنِ الذِّهْنِ زَال ذَلكَ التَّوَجُّهُ الذِّهْنِيُّ فَدَوَامُ التَّوَجُّه فِي العلمِ الحُصُولِيِّ مُحَال عَادِيٌّ بخلاَفه فِي العلمِ الحُضُورِيِّ فَإِنَّ الغَفْلةَ عَنِ المَعْلوم غَيْرُ مُتَصَوَّرَة هُنَاكَ فَإِنَّ مَنْشَأَ تُحَقق ذَلكَ العلمِ حُضُورُ ذَات العَالِمِ وَحَيْثُ كَانَ ذَلكَ الحُضُورُ دَائميًّا فَالعلمُ بالذَّات أَيْضًا يَكُونُ دَائميًّا وَزَوَال التَّوَجُّه إِلى ذَاته غَيْرُ مُمْكنٍ وَفِي البَقَاء بالله علمٌ حُضُورِيٌّ لاَ يُتَصَوَّرُ زَوَالُهُ.

وَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ البَقَاءَ بالله عبَارَةٌ عَنْ أَنْ يجدَ السَّالكُ نَفْسَهُ عَيْنَ الحَقِّ كَمَا عَبَّرَ البَعْضُ منْ هَذه الطَّائفَة عَنْ حَقِّ اليَقين بهَذه العبَارَة فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلكَ فَإِنَّ البَقَاء بالله الذي تَيَسَّرَ بَعْدَ الفَنَاء المُطْلقِ لاَ يُنَاسبُهُ أَمْثَال هَذه العُلومِ وَحَقُّ اليَقين الذي قَالَهُ البَعْضُ مُنَاسبٌ لبَقَاء يَحْصُل فِي الجَذْبَة وَالبَقَاءُ الذي هُوَ مَقْصُودُنَا غَيْرُ ذَلكَ، شعْرٌ:

فَوَالله لاَ تَدْرِي لذي الخَمْرِ لذَّةً وَلاَ نَشْوَةَ حَتَّى تَذُوقَ وَتَسْكَرَا

فَاسْتمْرَارُ التَّوَجُّه وَدَوَامُ الحُضُور إِنَّمَا ثَبَتَا فِي البَقَاء بالله وَلاَ إِمْكَانَ لدَوَامِ التَّوَجُّه قَبْل التَّحَقُّق بالبَقَاء بالله وَإِنْ تُوُهِّمَ ذَلكَ المَعْنَى لكَثيرينَ قَبْل الوُصُول إِلى هَذَا المَقَام خُصُوصًا فِي الطَّرِيقَة العَليَّة النَّقْشَبَنْديَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْلهَا وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ وَالصَّوَابُ مَا أُلهمْتُ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بالصَّوَاب وَإِلَيْه المَرْجعُ وَالمَآبُ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ أَوَّلاً وَآخرًا وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى رَسُوله دائمًا وَسَرْمَدًا.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّمانُونَ وَالمائَتَان

إلى مَوْلاَنَا أَمَان الله الفَقيه

فِي بَيَانِ أَنَّ الاعْتقَادَ الصَّحيحَ هُوَ المَأْخُوذُ منَ الكتَابِ وَالسُّنَّة عَلى وَفْقِ آرَاء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة

وَفي رَدِّ مَنْ يَسْتَنْبطُ منَ الكتَاب وَالسُّنَّة خلاَفَ مُعْتَقَدَات أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَأَدْرَكُوا بالكَشْف خلاَفَ مَا عَلَيْه أَهْل الحَقِّ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَن الرَّحِيم

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ وَأَلهَمَكَ سَوَاءَ الصِّرَاط أَنَّ منْ جُمْلَة ضَرُوريَّات الطَّريقِ للسَّالك الاعْتقَادُ الصَّحيحُ الذي اسْتَنْبَطَهُ عُلمَاءُ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة منَ الكتَاب وَالسُّنَّة وَآثَار السَّلف وَحَمْل الكتَاب وَالسُّنَّة عَلى المَعَاني التي فَهمَهَا جُمْهُورُ أَهْل الحَقِّ يَعْني عُلمَاءَ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة منْهُمَا أَيْضًا ضَرُوريٌّ فَإنْ ظَهَرَ فَرْضًا بطَريق الكَشْف وَالإلهَام مَا يُخَالفُ تلكَ المَعَاني المَفهُومَة يَنْبَغي أَنْ لاَ يَعْتَبرَهُ وَأَنْ يَسْتَعيذَ منْهُ مثْل الآيَات وَالأَحَاديث التي يُفْهَمُ منْ ظَوَاهرهَا التَّوْحيدُ الوُجُوديُّ وَكَذَلكَ الإحَاطَةُ وَالسَّرَيَانُ وَالقُرْبُ وَالمَعيَّةُ الذَّاتيَّةُ وَلَمْ يَفْهَمْ عُلمَاءُ أَهْل الحَقِّ منْ تلكَ الآيَات وَالأَحَاديث هَذه المَعَاني فَإنْ انْكَشَفَ للسَّالك في أَثْنَاء الطَّريق هَذه المَعَاني بأَنْ لاَ يَرَى غَيْرَ مَوْجُود وَاحد أَوْ بأَنْ يُدْركَ أَنَّ اللهَ - تَعَالى - مُحيطٌ بالذَّات أَوْ وَجَدَهُ قَريبًا بالذَّات فَهُوَ وَإنْ كَانَ مَعْذُورًا في ذَلكَ بسَبَب غَلبَة الحَال وَسُكْر الوَقْت فيمَا هُنَالكَ وَلكنْ يَنْبَغي لهُ أَنْ يَكُونَ مُلْتَجئًا إلى الله - تَعَالى - وَمُتَضَرِّعًا إلَيْه دَائمًا لأَنْ يُخَلصَهُ منْ هَذه الوَرْطَة وَأَنْ يَكْشفَ لهُ أُمُورًا مُطَابقَةً لآرَاء عُلمَاء أَهْل الحَقِّ وَأَنْ لاَ يَظْهَرَ لهُ مَا يُخَالفُ مُعْتَقَدَاتهمُ الحَقَّةَ وَلوْ مقْدَارَ شَعْرَة.

وَبالجُمْلة يَنْبَغي أَنْ يَجْعَل المَعَانيَ التي كَانَتْ مَفْهُومَةً لعُلمَاء أَهْل الحَقِّ مصْدَاقَ الكَشْف وَأَنْ لاَ يَجْعَل مَحَكَّ الإلهَام غَيْرَهَا فَإنَّ المَعَانيَ المُخَالفَةَ للمَعَاني المَفهُومَة لهُمْ سَاقطَةٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار لأَنَّ كُل مُبْتَدعٍ ضَال يَزْعُمُ أَنَّ مُقْتَدَى مُعْتَقَدَاته وَمَأْخَذَهَا الكتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإنَّهُ يُفْهَمُ منْهُمَا بحَسَب إفْهَامه الرَّكيكَة مَعَان غَيْرُ مُطَابقَة يُضل به كَثيرًا وَيَهْدي به كَثيرًا وَإنَّمَا قُلتُ إنَّ المُعْتَبَرَ هُوَ المَعَاني المَفْهُومَةُ لعُلمَاء أَهْل الحَقِّ وَأَنَّ مَا سوَاهَا ممَّا يُخَالفُهَا غَيْرُ مُعْتَبَرَة بنَاءً عَلى أَنَّهُمْ أَخَذُوا تلكَ المَعَانيَ منْ تَتَبُّع آثَار الصَّحَابَة وَالسَّلف الصَّالحينَ رضْوَانُ الله - تَعَالى - عَلَيْهم

أَجْمَعِينَ وَاقْتَبَسُوهَا مِنْ أَنْوَارِ نُجُومِ هِدَايَتِهِمْ وَلِهَذَا صَارَتْ النَّجَاةُ الأَبَدِيَّةُ مَخْصُوصَةً بِهِمْ وَالفَلاَحُ السَّرْمَدِيُّ نَصِيبًا لَهُمْ أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ.

فَإِنْ تَدَاهَنَ بَعْضُ العُلَمَاءِ فِي الفَرْعِيَّاتِ وَارْتَكَبُوا التَّقْصِيرَاتِ فِي العَمَلِيَّاتِ مَعَ وُجُودِ حَقِّيَّةِ الاعْتِقَادِ لاَ يَنْبَغِي بِسَبَبِ ذَلِكَ أَنْ يُنْكِرَ العُلَمَاءَ مُطْلَقًا وَأَنْ يَطْعَنَ فِيهِمْ كُلِّيًّا فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْضُ عَدَمِ الإِنْصَافِ وَصَرْفُ المُكَابَرَةِ بَلِ إِنْكَارُ أَكْثَرِ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ فَإِنَّ نَاقِلِي تِلْكَ الضَّرُورِيَّاتِ هُمُ العُلَمَاءُ وَنَاقِدِي جِيدِهَا عَنْ رَدِيئِهِ العُلَمَاءُ فَلَوْلاَ نُورُ هِدَايَتِهِمْ لَمَا اهْتَدَيْنَا وَلَوْلاَ تَمْيِيزُهُمُ الصَّوَابَ عَنِ الخَطَإِ لَغَوَيْنَا وَهُمُ الذِينَ بَذَلُوا جُهْدَهُمْ فِي إِعْلاَءِ كَلِمَةِ الدِّينِ القَوِيمِ وَسَلَكُوا بِأُنَاسٍ كَثِيرَةٍ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَمَنْ تَابَعَهُمْ نَجَا وَأَفْلَحَ وَمَنْ خَالَفَهُمْ ضَلَّ وَأَضَلَّ مِنَ الطَّرِيقِ الأَوْضَحِ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مُعْتَقَدَاتِ الصُّوفِيَّةِ بِالأُخْرَى أَعْنِي بَعْدَ تَمَامِ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَالوُصُولِ إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الوِلاَيَةِ هِيَ عَيْنُ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ الحَقِّ لِلْعُلَمَاءِ بِالنَّقْلِ وَالاسْتِدْلاَلِ وَلِلصُّوفِيَّةِ بِالكَشْفِ وَالإِلهَامِ وَإِنْ ظَهَرَ لِبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ بِوَاسِطَةِ السُّكْرِ وَغَلَبَةِ الحَالِ مَا يُخَالِفُ تِلْكَ المُعْتَقَدَاتِ وَلَكِنْ إِذَا جَاوَزَ تِلْكَ المَقَامَاتِ وَبَلَغَ نِهَايَةَ الأَمْرِ تَكُونُ تِلْكَ المُخَالَفَةُ هَبَاءً مَنْثُورًا وَإِلاَّ فَيَبْقَى عَلَى تِلْكَ المُخَالَفَةِ وَلَكِنَّ المَرْجُوَّ أَنْ لاَ يُوأَخَذَ بِهَا فَإِنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ المُجْتَهِدِ المُخْطِئِ وَالمُجْتَهِدُ مُخْطِئٌ فِي الاسْتِنْبَاطِ وَهُوَ فِي الكَشْفِ وَمِنْ جُمْلَةِ مُخَالَفَاتِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الحُكْمُ بِوَحْدَةِ الوُجُودِ وَالإِحَاطَةِ وَالقُرْبِ وَالمَعِيَّةِ الذَّاتِيَّاتِ كَمَا مَرَّ وَكَذَلِكَ إِنْكَارُهُمْ وُجُودَ الصِّفَاتِ السَّبْعَةِ أَوْ الثَّمَانِيَةِ فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ عَلَى ذَاتِ الحَقِّ - جَلَّ شَأْنُهُ - فَإِنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ ذَاهِبُونَ إِلَى وُجُودِهَا فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ زَايِدٍ عَلَى وُجُودِ الذَّاتِ.

وَمَنْشَأُ إِنْكَارِهِمْ هُوَ أَنَّ مَشْهُودَهُمْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ هُوَ الذَّاتُ فِي مِرْآةِ الصِّفَاتِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ المِرْآةَ تَكُونُ مُخْتَفِيَةً مِنْ نَظَرِ الرَّائِي فَحَكَمُوا بِعَدَمِ وُجُودِهَا فِي الخَارِجِ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ الاخْتِفَاءِ وَظَنُّوا أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَوْجُودًا لَكَانَتْ مَشْهُودَةً وَحَيْثُ لاَ شُهُودَ فَلاَ وُجُودَ وَطَعَنُوا فِي العُلَمَاءِ بِسَبَبِ حُكْمِهِمْ بِوُجُودِ الصِّفَاتِ بَلْ حَكَمُوا بِالكُفْرِ وَالثَّنَوِيَّةِ أَعَاذَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنَ الجَرَاءَةِ عَلَى الطَّعْنِ فَإِنْ تَيَسَّرَ

لَهُمُ التَّرَقِّي مِنْ هَذَا المَقَامِ وَخَرَجَ شُهُودُهُمْ مِنْ هَذَا الحِجَابِ وَزَالَ حُكْمُ المَرَاتِبِ لَرَأَوْا الصِّفَاتِ مُغَايِرَةً لِلذَّاتِ وَلَمَا أَنْكَرُوهَا وَلَمَا انْجَرَّ أَمْرُهُمْ إِلَى طَعْنِ أَكَابِرِ العُلَمَاءِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ مُخَالَفَاتِهِمْ حُكْمُهُمْ بِبَعْضِ أُمُورٍ يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ - تَعَالَى - فَاعِلًا بِالإِيجَابِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ لَمْ يُطْلِقُوا لَفْظَ الإِيجَابِ وَأَثْبَتُوا الإِرَادَةَ لَكِنَّهُمْ يَنْفُونَ الإِرَادَةَ فِي الحَقِيقَةِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ جَمِيعَ أَهْلِ المِلَلِ فِي هَذَا الحُكْمِ فَمِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الأُمُورِ حُكْمُهُمْ بِأَنَّ اللهَ - تَعَالَى - قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ بِمَعْنَى إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْ وَيَقُولُونَ بِأَنَّ الشَّرْطِيَّةَ الأُولَى وَاجِبَةُ الصِّدْقِ وَالثَّانِيَةَ مُمْتَنِعَةُ الصِّدْقِ وَهَذَا قَوْلٌ بِالإِيجَابِ بَلْ إِنْكَارُ القُدْرَةِ بِالمَعْنَى المُقَرَّرِ عِنْدَ أَهْلِ المِلَلِ فَإِنَّ القُدْرَةَ عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى صِحَّةِ الفِعْلِ وَالتَّرْكِ وَاللَّازِمُ لِقَوْلِهِمْ وُجُوبُ الفِعْلِ وَامْتِنَاعُ التَّرْكِ فَأَيْنَ أَحَدُهُمَا مِنَ الآخَرِ وَمَذْهَبُهُمْ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ هُوَ بِعَيْنِهِ مَذْهَبُ الفَلَاسِفَةِ وَإِثْبَاتُ الإِرَادَةِ مَعَ القَوْلِ بِوُجُوبِ صِدْقِ الأَوْلَى وَامْتِنَاعِ صِدْقِ الثَّانِيَةِ، وَامْتِيَازُهُمْ عَنِ الفَلَاسِفَةِ بِهَذَا الإِثْبَاتِ غَيْرُ نَافِعٍ فَإِنَّ الإِرَادَةَ هِيَ تَخْصِيصُ أَحَدِ المُتَسَاوِيَيْنِ فَحَيْثُ لَا تَسَاوِيَ لَا إِرَادَةَ وَهَهُنَا التَّسَاوِي مَعْدُومٌ لِلوُجُوبِ وَالامْتِنَاعِ فَافْهَمْ.

وَمِنْ جُمْلَةِ تِلْكَ الأُمُورِ بَيَانُهُمْ فِي مَسْأَلَةِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ عَلَى نَهْجٍ ظَاهِرُهُ إِثْبَاتُ الإِيجَابِ فَمِنْ جُمْلَةِ عِبَارَاتِهِمْ فِي هَذَا المَبْحَثِ هَذِهِ العِبَارَةُ: الحَاكِمُ مَحْكُومٌ وَالمَحْكُومُ حَاكِمٌ وَجَعْلُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - مَحْكُومَ أَحَدٍ وَإِثْبَاتُ حَاكِمٍ عَلَيْهِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ إِثْبَاتِ الإِيجَابِ مُسْتَقْبَحٌ جِدًّا إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ القَوْلِ وَزُورًا. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ المُخَالَفَاتِ كَثِيرَةٌ كَقَوْلِهِمْ بِعَدَمِ إِمْكَانِ رُؤْيَةِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - إِلَّا بِالتَّجَلِّي الصُّورِيِّ وَهَذَا القَوْلُ مُسْتَلْزِمٌ لِإِنْكَارِ رُؤْيَةِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالرُّؤْيَةُ الَّتِي جَوَّزُوهَا بِالتَّجَلِّي الصُّورِيِّ لَيْسَتْ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ رُؤْيَةَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَلْ هِيَ ضَرْبٌ مِنَ الشُّبْهِ وَالمِثَالِ، شِعْرٌ:

يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ

وَكَقَوْلِهِمْ بِقِدَمِ أَرْوَاحِ الكُمَّالِ وَأَزَلِيَّتِهَا وَهَذَا القَوْلُ أَيْضًا مُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الإِسْلَامِ فَإِنَّ عِنْدَهُمُ العَالَمُ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ مُحْدَثٌ وَالأَرْوَاحُ مِنْ جُمْلَةِ العَالَمِ لِأَنَّ العَالَمَ لِجَمِيعِ مَا سِوَى اللهِ - تَعَالَى - فَافْهَمْ.

فَيَنْبَغِي لِلسَّالِكِ قَبْلَ بُلُوغِهِ كُنْهَ الأَمْرِ وَحَقِيقَتَهُ أَنْ يَعُدَّ تَقْلِيدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الحَقِّ لَازِمًا لِنَفْسِهِ مَعَ وُجُودِ مُخَالَفَةِ كَشْفِهِ وَإِلْهَامِهِ وَأَنْ يَعْتَقِدَ العُلَمَاءَ مُحِقِّينَ وَنَفْسَهُ مُخْطِئًا لِأَنَّ مُسْتَنَدَ العُلَمَاءِ تَقْلِيدُ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

المُؤَيَّدِينَ بِالوَحْيِ القَطْعِي المَعْصُومَيْنِ عَنِ الخَطَأ وَالغَلط، وَكَشْفُهُ وَإِلهَامُهُ عَلى تَقْدِير مُخَالَفَتِه لِلأَحْكَام الثَّابِتَة خَطَأٌ وَغَلطٌ فَتَقْدِيمُ الكَشْف عَلى أَقْوال العُلَمَاء تَقْدِيمٌ لهُ فِي الحَقِيقَة عَلى الأَحْكَام القَطْعِيَّة المُنَزَّلَة وَهُوَ عَيْنُ الضَّلالة وَمَحْضُ الخَسَارَة.

وَكَمَا أَنَّ الاعْتِقَادَ بِمُوجَب الكِتَاب وَالسُّنَّة ضَرُورِيٌّ كَذَلِكَ العَمَل بِمُقْتَضَاهَا عَلى نَهْجٍ اسْتَنْبَطَهُ الأَئِمَّةُ المُجْتَهِدُونَ مِنْهُمَا وَاسْتَخْرَجُوا الأَحْكَامَ عَنْهُمَا مِنَ الحَلال وَالحَرَام وَالفَرْضِ وَالوَاجِب وَالسُّنَّة وَالمُسْتَحَبِّ وَالمَكْرُوه وَالمُشْتَبَه، وَالعِلمُ بِهَذِه الأَحْكَام أَيْضًا ضَرُورِيٌّ وَلاَ يَجُوزُ لِلمُقَلِّد أَخْذُ الأَحْكَامِ مِنَ الكِتَاب وَالسُّنَّة عَلى خِلاَف رَأْي المُجْتَهِد وَأَنْ يَعْمَل بِهَا وَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ فِي العَمَل القَوْلَ المُخْتَارَ فِي مَذْهَب مُجْتَهِده الذي قَلَّدَهُ وَتَبِعَهُ وَأَنْ يَعْمَل بِالعَزِيمَة مُجْتَنِبًا عَنِ البِدَعِ وَأَنْ يَسْعَى فِي جَمْعِ أَقْوَال المُجْتَهِدِينَ مَهْمَا أَمْكَنَ لِيَقَعَ العَمَلُ عَلى القَوْل المُتَّفَق عَلَيْه مَثَلاً أَنَّ الإِمَامَ الشَّافِعِيَّ اشْتَرَطَ النِّيَّةَ فِي الوُضُوء فَلاَ يَتَوَضَّأُ بِلاَ نِيَّة وَكَذَلِكَ قَال بِفَرْضِيَّة التَّرْتِيب فِي غَسْل الأَعْضَاء فَيَلتَزِمُ التَّرْتِيبَ وَافْتَرَضَ الإِمَامُ مَالِكٌ الدَّلكَ فِي غَسْل الأَعْضَاء فَيُدَلِّكُ أَلبَتَّةَ وَكَذَلِكَ قَالوا يُنْقَضُ الوُضُوءُ بِمَسِّ النِّسَاء وَالذَّكَر فَيُجَدِّدُ الوُضُوءَ إِنْ مَسَّ أَحَدَهُمَا وَعَلى هَذا القِيَاس فِي سَائِر الأَحْكَام الخِلاَفِيَّة وَبَعْدَ حُصُول هَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ الاعْتِقَادِيِّ وَالعَمَلِيِّ يَكُونُ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ العُرُوجِ إِلى مَدَارِجِ القُرْب الإِلهِيِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَطَالِبًا لِقَطْعِ المَنَازِل الظُّلمَانِيَّة وَالمَسَالِك النُّورَانِيَّة وَلكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ العُرُوجَ وَقَطْعَ المَنَازِل مَرْبُوطٌ بِتَوَجُّه شَيْخٍ كَامِل مُكَمَّل عَالِم بِالطَّرِيق بَصِير بِه هَاد إِلَيْه، نَظَرُهُ شِفَاءُ الأَمْرَاض القَلبِيَّة وَتَوَجُّهُهُ دَافِعُ الأَخْلاَق الرَّدِيَّة الغَيْر المَرْضِيَة فَليَطْلُبْ أَوَّلاً الشَّيْخَ فَإِنْ عَرَفَهُ بِمَحْضِ فَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - فَليَلزَمْهُ مُعْتَقِدًا أَنَّ مَعْرِفَتَهُ إِيَّاهُ نِعْمَةٌ عُظْمَى وَليَكُنْ مُنْقَادًا لهُ فِي تَصَرُّفَاته بِكُلِّيَّته قَال شَيْخُ الإِسْلاَم الهَرَوِيُّ: إِلهِي مَا هَذا الذي جَعَلتَ أَوْلِيَاءَك بِحَيْثُ مَنْ عَرَفَهُمْ وَجَدَكَ وَمَا لمْ يَجِدْك لمْ يَعْرِفْهُمْ وَيَفْنَى اخْتِيَارُهُ فِي اخْتِيَار شَيْخِه بِالكُلِّيَّة وَيُخلِي نَفْسَهُ عَنْ جَمِيعِ المُرَادَات وَيَشُدُّ نِطَاقَ الهِمَّة فِي خِدْمَته وَيَسْعَى سَعْيًا بَلِيغًا فِي امْتِثَال جَمِيع مَا يَأْمُرُ بِه شَيْخُهُ مُعْتَقِدًا بِأَنَّ رَأْسَ مَال سَعَادَته فِيه،

فَإِنْ رَأَى الشَّيْخُ المُقْتَدَى بِه أَنَّ المُنَاسِبَ لاسْتِعْدَاده الذِّكْرُ يَأْمُرُهُ بِه وَإِنْ رَأَى أَنَّ المُنَاسِبَ التَّوَجُّهُ وَالمُرَاقَبَةُ يُشِيرُ بِهِمَا أَيْضًا فِيمَا هُنَالِكَ وَإِنْ لَعَلِمَ الكِفَايَة بِمُجَرَّد الصُّحْبَة يَأْمُرُهُ أَيْضًا بِذَلِكَ.

وَبالجُمْلَة إنَّ الاحْتيَاجَ إلى الذِّكْر مَعَ وُجُود صُحْبَة الشَّيْخ لَيسَ شَرْطًا منْ شَرَائط الطَّريق أَصْلاً بَل يَأْمُرُ الشَّيْخُ بكُل مَا يَرَاهُ مُنَاسبًا لحَال الطَّالب فَإنْ وَقَعَ منْهُ تَقْصيرٌ في بَعْضِ شَرَائطِ الطَّريقِ يَتلاَفَاهُ بصُحْبَة الشَّيْخ فَيكُونُ تَوَجُّهُهُ جَابرًا لنُقْصَانه.

وَمَنْ لَمْ يَشْرُفْ بصُحْبَة مثْل هَذَا الشَّيْخ فَإنْ كَانَ منَ المُرَادينَ بجَذْبه الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَيَجْتَبيه إلَيْه وَيَكْفيه أَمْرَهُ بمَحْض عنَايَته التي لاَ غَايَةَ لَهَا وَلاَ نهَايَة وَيُعَلمُهُ كُل شَرْط وَأَدَب لاَزم لَهُ وَيَجْعَل رُوحَانيَّةَ بَعْضِ الأَكَابر وَسَائل طَريقه وَدَليله في قَطْعِ مَنَازل السُّلوك فَإنَّ تَوَسُّطَ رُوحَانيَّات المَشَايخ في قَطْع طَريق السُّلوك لاَزمٌ بطَريق جَرَى عَادَةَ الله - سُبْحَانَهُ - وَإنْ كَانَ منَ المُريدينَ فَأَمْرُهُ منْ غَيْر تَوَسُّط شَيْخٍ مُقْتَدًى به مُشْكل فَيَنْبَغي أَنْ يَلتَجئَ إلى الله - سُبْحَانَهُ - دائمًا إلَى أَنْ يَصل إلَى شَيْخٍ مُقْتَدًى به.

وَيَنْبَغي أَيضًا أَنْ يَعُدَّ رعَايَةَ شَرَائط الطَّريق لاَزمَةً وَقَدْ بَيَّنْتُ تلكَ الشَّرَائطَ في كُتُب المَشَايخ تَفْصيلاً فَيَنْبَغي مُرَاجَعَتُهَا وَمُلاَحَظَةُ مَا فيهَا وَرعَايَتُهَا بَعْدَ ذَلكَ وَمُعْظَمُ شَرَائط الطَّريق مُخَالفَةُ النَّفْس وَهيَ مَوْقُوفَةٌ عَلى رعَايَة مَقَام الوَرَع وَالتَّقْوَى الذي هُوَ الانْتهَاءُ منَ المَحَارم وَالانْتهَاءُ منَ المَحَارم لاَ يُتَصَوَّرُ إلاَّ بَعْدَ الاجْتنَاب منْ فُضُول المُبَاحَات فَإنَّ إرْخَاءَ العنَان في ارْتكَاب المُبَاحَات يُفْضي إلَى ارْتكَاب المُشْتَبهَات وَالمُشْتَبَهُ قَريبٌ منَ المُحَرَّمِ وَاحْتمَال الوُقُوع فيه أَقْوَى وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الحمَى يُوشكُ أَنْ يَقعَ فيه.

فَاجْتنَابُ المُحَرَّمَات كَانَ مَوْقُوفًا عَلى اجْتنَاب فُضُول المُبَاحَات فَلاَ بُدَّ في تَحقُّق الوَرَع منَ اجْتنَابِ فُضُول المُبَاحَاتِ وَلاَ بُدَّ للتَّرَقِّي وَالعُرُوجِ منْ تَحقُّق الوَرَع فَإنَّهُ مَرْبُوطٌ به.

وَبَيَانُهُ أَنَّ للأَعْمَال جُزْأَيْن امْتثَال الأَوَامر وَالانْتهَاءَ عَن المَنَاهي وَالامْتثَال يُشَاركُ فيه القُدْسيُّونَ فَإنْ وَقعَ التَّرَقِّي بالامْتثَال فَقَطْ لوَقَعَ للقُدْسيِّينَ أَيْضًا، وَالانْتهَاءُ عَن المَنَاهي خَاصٌّ بالإنْسيِّينَ لَيسَ هُوَ في القُدْسيِّينَ فَإنَّهُمْ مَعْصُومُونَ بالذَّات لَيسَ فيهمْ مَجَال المُخَالفَة حَتَّى يُنْهَوْنَ عَنْهَا فَلزمَ كَوْنُ التَّرَقِّي مَرْبُوطًا بهَذَا الجُزْء وَهَذَا الاجْتنَابُ هُوَ عَيْنُ مُخَالفَة النَّفْس فَإنَّ الشَّريعَةَ إنَّمَا وَرَدَتْ لرَفْع الأَهْوَاء النَّفْسَانيَّة وَدَفْع الرُّسُوم الظُّلمَانيَّة فَإنَّ مُقْتَضَى طَبيعَة النَّفْس إمَّا ارْتكَابُ المُحَرَّم أَوْ ارْتكَابُ الفُضُول المُفْضي أَخيرًا للمُحَرَّم فَاجْتنَابُ الفُضُول هُوَ عَيْنُ مُخَالفَة النَّفْس.

فَإِنْ قِيل: إنَّ فِي امْتَثَال الأَوَامر أَيْضًا مُخَالفَةَ النَّفْسِ فَإِنَّ النَّفْسَ لاَ تُرِيدُ الاشْتغَال بالعبَادَة فَيَكُونُ الامْتَثَال أَيْضًا مُسْتَلزِمًا للتَّرقِّي وَفِي المَلاَئكَة لَّما كَانَتْ مُخَالفَةُ الامْتَثَال مَفْقُودَةً لَمْ يَكُنْ سَبَبًا لتَرَقِّيهِمْ فَالقِيَاسُ مَعَ الفَارِق قُلتُ: إنَّ عَدَمَ إرَادَة النَّفْسِ العبَادَةَ وَعَدَمَ رضَاهَا بهَا إنَّمَا هُوَ بسَبَب كَوْنهَا طَالبَةً لفَرَاغهَا بحَيْثُ لاَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مُقَيَّدَةً وَمَشْغُولةً بشَيْءٍ وَهَذَا الفَرَاغُ وَعَدَمُ الاشْتغَال أَيْضًا دَاخلاَن فِي المُحَرَّمِ وَالفُضُول فَجَاءَتْ مُخَالفَةُ النَّفْسِ فِي امْتَثَال الأَوَامر منْ طُرُق اجْتنَاب المَرْحُومِ وَالفُضُول لاَ منْ طَرِيقِ أَدَاء الأَوَامرِ يَعْني المَأْمُورَاتِ فَقَطْ حَتَّى يُقَال: إنَّهُ مَوْجُودٌ فِي المَلاَئكَة أَيْضًا فَالقيَاسُ صَحيحٌ.

فَكَل طَرِيقَ مُخَالفَةُ النَّفْسِ فيه أَكْثَرُ فَهُوَ أَقْرَبُ الطُّرُق وَلاَ شَكَّ أَنَّ رعَايَةَ مُخَالفَةِ النَّفْسِ فِي طَرِيقَة النَّقْشَبَنْديَّة أَكْثَرُ منْهَا فِي سَائرِ الطُّرُق فَإِنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ اخْتَارُوا العَمَل بِالعَزِيمَةِ وَالاجْتنَاب عَنِ الرُّخْصَة وَمنَ المَعْلومِ أَنَّ كُلاً منَ اجْتنَاب المُحَرَّم فَقَطْ.

فَإِنْ قِيل: يُمكنُ أَنْ يَكُونَ المُخْتَارُ عنْدَ أَرْبَاب سَائرِ الطُّرُق أَيْضًا العَزِيمَةَ.

قُلتُ: إنَّ فِي أَكْثَرِ الطُّرُق سَمَاعًا وَرَقْصًا وَيَبْلُغُ الأَمْرُ فيه حَدَّ الرُّخْصَة بَعْدَ تَمَحُّل كَثير وَأَيْنَ فيه المَجَال للعَزِيمَة بَعْد وَكَذَلكَ ذكْرُ الجَهْرِ لاَ يُتَصَوَّرُ فيه مَا فَوْقَ الرُّخْصَة وَقَدْ أَحْدَثَ مَشَائخُ سَائرِ الطُّرُق أُمُورًا مُحْدَثَةً فِي طُرُقهِمْ لبَعْضِ نيَّات صَحيحَة، نهَايَةُ التَّصَحُّحِ فِي تلكَ الأُمُور الحُكْمُ بالرُّخْصَة بخلاَف أَكَابر هَذه السِّلسلةً العَليَّة فَإنَّهُمْ لاَ يُجَوِّزُونَ مقْدَارَ شَعْرَة منْ مُخَالفَة السُّنَّة فَتَكُونُ مُخَالفَةُ النَّفْسِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ أَتَمَّ فَيكُونُ أَقْرَبَ الطُّرُق فَيَكُونُ اخْتيَارُ هَذَا الطَّرِيقِ للطَّالبِ أَوْلى وَأَنْسَبَ لأَنَّ الطُّرُقَ فِي نهَايَة الأَقْرَبيَّة وَالمَطْلَبَ فِي كَمَال الرِّفْعَة.

وَقَدْ تَرَكَ جَمَاعَةٌ منْ مُتَأَخِّرِي خُلفَائهِمْ أَوْضَاعَ هَؤُلاَء الأَكَابرِ وَأَحْدَثُوا فِي هَذَا الطَّرِيقِ بَعْضَ الأُمُورِ وَاخْتَارُوا السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ وَالجَهْرَ وَمَنْشَأُ ذَلكَ عَدَمُ الوُصُول إلى حَقيقَة نيَّات أَكَابر هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة فَخَالوا أَنَّهُمْ يُكْملونَ وَيُتَمِّمُونَ هَذه الطَّرِيقَةَ بهَذه المُحَادَثَات وَالمُبْتَدعَات وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ بِهَا فِي تَخْرِيبِهَا وَيَجْتَهدُونَ فِي إِضَاعَتهَا وَاللهُ يُحقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدي السَّبيل.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَتَان
إلى أخِيه الحَقِيقيِّ مَنْبَع الحَقَائِق وَمَيَّان غُلاَم مُحَمَّد
في بَيَان الجَذْبَة وَالسُّلوك
وَبَيَان المَعَارِف المُنَاسِبَة لهَذَيْن المَقَامَيْن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَدِيَ لوْلاَ أنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بالحَقِّ وَخَتَمَهُمْ بأفْضَلهِمْ وَأكْمَلهِمْ مُحَمَّد الذي جَاءَ بالصِّدْق صَلَوَاتُ الله - سُبْحَانَهُ - وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ وَعَلى مَنْ تَابَعَهُمْ أجْمَعِينَ إلى يَوْم الدِّين آمينَ.

وَلقَدْ رَأَيْتُ الطَّالبينَ يَنْزِلونَ المَسْلكَ الطَّوِيل وَالمَطْلبَ الرَّفِيعَ بِوَاسِطَة دَنَاءَة الهِمَّة وَخِسَّة الفِطْرَة وَعَدَم وُجْدَان صُحْبَة الشَّيْخ الكَامِل المُكَمِّل إلى مَنْزِلة طَرِيق قَصِير وَمَقْصِد وَضِيع وَيَقْنَعُون بكُلمَا يَتَيَسَّرُ لهُمْ في الطَّرِيق مِنْ حَقِير وَخَطِير وَيَظُنُّونَ ذَلكَ مَقْصِدًا وَيَزْعُمُونَ أنْفُسَهُمْ بحُصُوله كَمَلةً وَأَرْبَابَ نِهَايَة وَيُطَبِّقُونَ مِنْ خِسَّة الفِطْرَة وَاسْتيلاَء قُوَاهُمُ المُتَخَيِّلة أحْوَالهُمُ النَّاقِصَةَ عَلى الأحْوَال الكَامِلة التي بَيَّنَهَا الكَمَلةُ الوَاصِلونَ مِنْ تَمَامِ أمْرِهِمْ وَنِهَايَة سَيْرِهِمْ كَمَا قِيل، (ع):

وَصَارَ الفَأْرُ في رُؤْيَاهُ نَاقَةً

وَيَكْتَفُونَ مِنَ البَحْرِ المُحِيط بقَطْرَة بَل بصُورَة قَطْرَة وَمِنْ بَحْر عُمَانَ برَشْحَة بَل بصُورَة رَشْحَة وَيَتَصَوَّرُونَ المِثَاليَّ غَيْرَ المِثَالي وَيَسْكُنُونَ عَنْ غَيْر المُكَيَّف بالمُكَيَّف وَيَتَخَيَّلونَ المِثْليَّ لاَ مِثْليًّا وَيَنْخَدِعُونَ عَنِ اللاَّمِثْليِّ غَيْر المِثَالي بالمِثْليِّ، وَأحْوَال جَمَاعَة آمَنُوا باللاَّمِثْليِّ بالتَّقْليد وَاعْتَقَدُوهُ أفْضَل مِنْ أحْوَال هَؤُلاَء الطَّالبينَ الذينَ لمْ يَتمَّ سُلوكُهمْ وَالظَّامِئينَ القَانِعينَ بالسَّرَاب بمَرَاتبَ فَإنَّهُ فَرْقٌ كَثِيرٌ بَيْنَ المُحِقِّ وَالمُبْطِل وَالمُصِيب وَالمُخْطِئ فَوَيْلٌ للطَّالبينَ القَاصِرِينَ المُنْقَطِعينَ عَنِ المَطْلب الذينَ يَظُنُّونَ المُحْدَثَ قَدِيمًا وَيَزْعُمُونَ المِثَاليَّ لاَ مِثَاليًّا إنْ لمْ يَكُونُوا مَعْذُورِينَ بالخَطَأ في الكَشْف وَيُؤَاخَذُونَ بهَذَا الخَطَأ وَالغَلط، رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أوْ أخْطَأْنَا.

وَهَذَا كَمَا إذَا كَانَ شَخْصٌ مَثَلاً طَالبَ كَعْبَة وَتَوَجَّهَ إليْهَا بكَمَال الشَّوْق فَاسْتَقْبَلهُ في أثْنَاء الطَّرِيق اتِّفَاقًا بَيْتٌ شَبِيهٌ بالكَعْبَة وَلوْ بحَسَب الصُّورَة فَخَالهُ كَعْبَةً وَصَارَ مُعْتَكِفًا هُنَاكَ وَشَخْصٌ آخَرُ لهُ عِلمٌ بخَوَاصِّ الكَعْبَة بالأخْذ عَنِ الوَاصِلينَ

إِلَيْهَا وَصَدَّقَ بِوُجُودِهَا بِحَسَبِ علمه فَهَذَا الشَّخْصُ وَإِنْ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً فِي طَلَبِ الكَعْبَةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْ غَيْرَ الكَعْبَةِ كَعْبَةً وَمُحِقٌّ فِي تَصْدِيقِه فَحَالُهُ أَفْضَلُ مِنْ حَالِ الطَّالِبِ المَذْكُورِ المُخْطِئِ نَعَمْ إِذَا لَمْ يَعْتَقِدْ الطَّالِبُ الغَيْرُ الوَاصِلِ إِلى المَطْلَبِ غَيْرَ المَطْلَبِ مَطْلَبًا فَحَالُهُ أَفْضَلُ مِنْ حَالِ مُقَلِّدٍ مُحِقٍّ لَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ فِي طَرِيقِ المَطْلَبِ فَإِنَّهُ مَعَ وُجُودِ حَقِّيَّةِ تَصْدِيقِهِ بِالمَطْلُوبِ قَاطِعٌ لِمَسَافَةِ طَرِيقِ المَطْلُوبِ وَلَوْ فِي الجُمْلَةِ فَلَهُ تَتَحَقَّقُ المَزِيَّةُ.

وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَيْضًا جَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِهَذَا الكَمَالِ وَالخَيَالِ وَالوِصَالِ الوَهْمِيِّ فِي مُسْنَدِ المَشْيَخَةِ وَدَعْوَةِ الخَلْقِ وَضَيَّعُوا بِعِلَّةِ مَنْقَصَتِهِمْ اسْتِعْدَادَ كَثِيرٍ مِنَ المُسْتَعِدِّينَ لِلْكَمَالاَتِ وَأَزَالُوا بِشُؤْمِ بُرُودَةِ صُحْبَتِهِمْ حَرَارَةَ طَلَبِ الطَّالِبِينَ ضَلُّوا فَأَضَلُّوا ضَاعُوا فَأَضَاعُوا وَتَخَيُّلُ هَذِهِ الكَمَالاَتِ وَتَوَهُّمُ الوِصَالِ فِي المَجْذُوبِينَ غَيْرِ السَّالِكِينَ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي السَّالِكِينَ المَجْذُوبِينَ لِلْغَيْرِ الوَاصِلِينَ فَإِنَّ المُبْتَدِيَ وَالمُنْتَهِيَ مُتَشَابِهَانِ فِي صُورَةِ الجَذْبَةِ وَمُتَسَاوِيَانِ فِي العِشْقِ وَالمَحَبَّةِ فِي الظَّاهِرِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فِي الحَقِيقَةِ وَكَانَتْ أَحْوَالُ كُلٍّ مِنْهُمَا مُغَايِرَةً لِأَحْوَالِ الآخَرِ وَمُمْتَازَةً عَنْهَا، (ع):

مَا نِسْبَةُ الفَرْشِيِّ بِالعَرْشِيِّ

فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُوجَدُ فِي البِدَايَةِ فَهُوَ مَعْلُولٌ وَإِلَى غَرَضٍ مَا مَحْمُولٌ وَحَيْثُ كَانَ مَا فِي الانْتِهَاءِ بِالحَقِّ فَهُوَ لِلْحَقِّ وَسَيُذْكَرُ تَفْصِيلُ هَذَا الكَلاَمِ عَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالَى - وَتَكُونُ هَذِهِ المُشَابَهَةُ الصُّورِيَّةُ وَالمُنَاسَبَةُ الضَّرُورِيَّةُ بَاعِثَةً عَلَى ذَلِكَ التَّخَيُّلِ وَحَيْثُ كَانَتْ الجَذْبَةُ مُقَدَّمَةً عَلَى السُّلُوكِ فِي طَرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ كَثُرَ هَذَا القِسْمُ مِنَ التَّخَيُّلِ وَالتَّوَهُّمِ فِي مَجَاذِبِ هَذَا الطَّرِيقِ الذِينَ لَمْ يُشَرَّفُوا بَعْدُ بِدَوْلَةِ السُّلُوكِ وَقَدْ يَحْصُلُ لِجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ تَقَلُّبَاتٌ فِي مَقَامِ الجَذْبَةِ وَتَنَقُّلاَتٌ عَنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فَيَظُنُّونَ ذَلِكَ قَطْعَ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَطَيَّ مَسَالِكِ السَّيْرِ إِلَى اللهِ وَيَزْعُمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِتِلْكَ التَّقَلُّبَاتِ مِنَ المَجْذُوبِينَ السَّالِكِينَ فَتَقَرَّرَ فِي الخَاطِرِ الفَاتِرِ أَنْ أَكْتُبَ فِقْرَاتٍ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ السُّلُوكِ وَالجَذْبَةِ.

وَبَيَانُ الفَرْقِ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ المَقَامَيْنِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ خَوَاصٍّ مُمَيِّزَةٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ الآخَرِ وَبَيَانُ الفَرْقِ بَيْنَ جَذْبَةِ المُبْتَدِي وَجَذْبَةِ المُنْتَهِي وَحَقِيقَةِ مَقَامِ التَّكْمِيلِ وَالإِرْشَادِ وَعُلُومٍ أُخَرَ مُنَاسَبَةٍ لِذَلِكَ المَقَامِ لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ.

فَشَرَعْتُ فيه بِحُسْنِ تَوْفيقه - سُبْحانَهُ - وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَهْدي السَّبيل وَهُوَ نِعْمَ المَوْلى وَنِعْمَ الوَكيل وَهَذَا المَكْتُوبُ مُشْتَمِل عَلى مَقْصدَيْنِ وَخاتِمَةُ المَقْصد الأَوَّل في بَيَان مَعَارِفَ مُتَعلقَة بِمَقَام الجَذْبَة وَالمَقْصد الثَّاني في بَيَان مَا يَتعلَقُ بالسُّلوك وَالخَاتمَةَ في بَعْضِ العُلومِ وَالمَعَارِف التي عَمَلهَا كَثيرُ المَنْفَعَة للطَّالِبينَ.

المَقصدُ الأَوَّل: اعْلَمْ أَنَّ المَجْذُوبَ غَيْرُ تَامِّ السُّلوك وَإِنْ كَانَ لهُ جَذْبٌ قَوِيٌّ دَاخِل في زُمْرَةِ أَرْبَابِ القُلوبِ مِنْ أَيِّ طَرِيق كَانَ مُنْجذبًا فَإِنَّهُ لاَ يُمْكنُ لهُ تَجَاوُزُ مَقَامِ القَلب وَالاتِّصَال بِمُقَلبِ القَلب مِنْ غَيْرِ سُلوك وَتَزْكِيَة نَفْس فَإِنَّ انْجذَابهُمْ قَلبِيٌّ وَحُبَّهُمْ عَرَضِيٌّ لاَ ذَاتِيٌّ وَلاَ أَصْليٌّ فَإِنَّ النَّفْسَ مُمْتَزِجَةٌ بِالرُّوحِ في هَذَا المَقَام، وَالظُّلمَةَ مُخْتَلطَةٌ بِالنُّور في هَذَا المُعَامَلة وَلاَ يُتَصَوَّرُ الخُرُوجُ عَنْ مَضِيقِ مَقَامِ القَلب بالكُلِّيَّة وَالاتِّصَال بِمُقَلب وَحُصُول الانْجذَاب الرُّوحِيِّ نَحْوَ المَطْلوب بِدُونِ تَخَلصِ الرُّوحِ مِنَ النَّفْسِ لأَجْلِ التَّوَجُّه إلى المَطْلوب، وَانْفكَاكُ النَّفْسِ عَنِ الرُّوحِ وَنُزُولهَا إلى مَقَامِ العُبُودِيَّة وَمَا دَامَ هَذَانِ مُجْتَمعَيْنِ في الحَقيقَة لاَ يُتَصَوَّرُ الانْجذَابُ الرُّوحِيُّ الخَالصُ فَإِنَّ لحَقيقَةَ الجَامعَةَ القَلبِيَّة قَائمَةٌ مُسْتَحْكَمَةٌ، وَتَخَلصُ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ إنَّمَا يُتَصَوَّرُ بَعْدَ قَطْعِ مَنَازِل السُّلوك وَطَيِّ مَسَالك السَّيْر إلى الله وَتَحقُّقِ السَّيْرِ فِي الله بَل بَعْدَ حُصُول مَقَامِ الفَرْق بَعْدَ الجَمْعِ الذي يَتَعلَقُ بالسَّيْرِ عَنِ الله بالله، شِعْرٌ:

هَل كُل ذي ذكْرٍ يَحْويه مُعْتَرَكٌ   أَوْ كُل مَنْ نَال مِنْ مُلك سُلَيْمَانَ

فَظَهَرَ الفَرْقُ بَيْنَ جَذْبِ المُنْتَهِي وَجَذْبِ المُبْتَدي، وَشُهُودُ المَجْذُوبِينَ أَرْبَابِ القُلوبِ مِنْ وَرَاءِ حجَابِ الكَثْرَة عَلمُوا هَذَا المَعْنَى أَوَّلاً وَلَيْسَ مَشْهُودُهُم إلاَّ عَالَمَ الأَرْوَاحِ الذي هُوَ شَبِيهٌ في اللطَافَة وَالإحَاطَة وَالسَّرَيَان بِمَوْجُوده صُورَةً فَإِنَّ الله خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته وَبِهَذه المُنَاسَبَة يَزْعُمُونَ شُهُودَ الرُّوحِ شُهُودَ الحَقِّ - تَعَالى وَتَقَدَّسَ - وَعَلى هَذَا القِيَاسِ الإحَاطَةَ وَالسَّرَيَانَ وَالقُرْبُ وَالمَعِيَّةُ فَإِنَّ نَظَرَ السَّالك لاَ يَنْفُذُ إلاَّ إلى المَقَامِ الفَوْق لاَ إلى مَقَام فَوْقَ الفَوْق وَالمَقَامُ الذي فَوْقَ مَقَامهِمْ هُوَ مَقَامُ الرُّوحِ فَلاَ يَنْفُذُ نَظَرُهُمْ إلى مَا فَوْقَ مَقَامِ الرُّوحِ وَلاَ يَكُونُ مَشْهُودُهُم شَيْئًا غَيْرَ الرُّوحِ وَالنَّظَرُ إلى مَا فَوْقَ مَقَامِ الرُّوحِ مَوْقُوفٌ عَلى الوُصُول إلى مَقَام الرُّوحِ وَحَال المَحَبَّة وَالانْجذَاب أَيْضًا كَحَال الشُّهُود وَشُهُود الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بَل مَحَبَّتُهُ وَالانْجذَابُ إليْه - تَعَالى - مَرْبُوطٌ بِحُصُول الفَنَاء المُعَبَّر عَنْهُ بِنِهَايَة السَّيْرِ إلى الله، شِعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي حُبِّ مَوْلاَهُ فَانيًا   فَلَيْسَ لَهُ فِي كِبْرِيَاء سَبِيل

وَإطْلاَقُ الشُّهُود فِي هَذَا المَقَام مِنْ ضيق مَيْدَان العبَارَة وَإلاَّ مُعَامَلَة هَؤُلاَء الأَكَابِر مُتَعَارَفَةٌ بِمَا وَرَاءَ وَرَاء الشُّهُود وَكَمَا أَنَّ مَقْصدَهُمْ لاَ مثْليٌّ وَلاَ كَيْفيٌّ كَذَلكَ اتِّصَالُهُمْ أَيْضًا لاَ مثْليٌّ وَلاَ كَيْفيٌّ لاَ سَبيل للمثَاليِّ إلى المِثَاليِّ لاَ يَحْمل عَطَايَا المَلك إلاَّ مَطَايَاهُ، شعْرٌ:

إنَّ للرَّحْمَن مَعَ أَرْوَاحِ نَاسٍ   اتِّصَالاً دُونَ كَيْفٍ وَقيَاسٍ

وَإحَاطَتُهُ - تَعَالى - وَسَرَيَانُهُ وَقُرْبُهُ وَمَعيَّتُهُ عنْدَ المُحقِّقينَ أَرْبَاب السُّلوك الوَاصلينَ إلى نهَايَة الأَمْر كُلهَا علميَّةٌ وَهُمْ مُوَافقُونَ لعُلمَاء أَهْل الحَقِّ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَالحُكْمُ بالقُرْب الذَّاتيِّ وَأَمْثَاله عنْدَهُمْ منْ عَدَم الحَاصل وَالبُعْد وَالمُقرَّبُونَ لاَ يَحْكُمُونَ بالقُرْب قَال وَاحدٌ منَ الكُبَرَاء: مَنْ قَال أَنَا قَريبٌ فَهُوَ بَعيدٌ وَمَنْ قَال أَنَا بَعيدٌ فَهُوَ قَريبٌ وَهَذَا هُوَ التَّصَوُّفُ وَالعلمُ المُتعَلقُ بالتَّوْحيد الوُجُوديِّ مَنْشَؤُهُ المَحبَّةُ وَالانْجذَابُ القَلبيُّ.

وَأَرْبَابُ القُلوب الذينَ لاَ جَذْبَةَ لَهُمْ بَل يَقْطَعُونَ المَنَازل بطَريق السُّلوك لاَ مُنَاسَبَةَ لهَذَا العلم بهمْ وَكَذَلكَ المَجْذُوبُونَ المُتَوَجِّهُونَ بالسُّلوك منَ القَلب إلى مُقَلب القَلب بالكُليَّة يَتَبَرَّءُونَ منْ هَذه العُلوم وَيَسْتَغْفرُونَ منْهَا.

وَبَعْضُ المَجْذُوبينَ وَإنْ سَلكُوا طَريقَ السُّلوك وَطَوَوْا المَنَازل وَلكنْ لاَ يَنْقَطعُ نَظَرُهُمْ عَن المَقَام المَأْلوف وَلاَ يَقْدرُونَ التَّوَجُّهَ إلى الفَوْق فَلاَ يَتْرُكُ أَمْثَال هَذه العُلوم أَذْيَالهُمْ وَلاَ يَقْدرُونَ الخُرُوجَ منْ هَذه الوَرْطَة وَالتَّخلصَ منْهَا؛ وَلهَذَا يَكُونُ فيهمْ ضَعْفٌ وَعُرُوجٌ في العُرُوج إلى مَدَارج القُرْب وَالصُّعُود إلى مَعَارج القُدْس {رَبَّنَا أَخرجْنَا منْ هَذه القَرْيَة الظَّالم أَهْلهَا وَاجْعَل لنَا منْ لدُنْكَ وَليًّا وَاجْعَل لنَا منْ لدُنْكَ نَصيرًا}.

وَعَلاَمَةُ الوُصُول إلى نهَايَة المَطْلب التَّبَرِّي منْ هَذه العُلوم فَإنَّهُ كَمَا تَحْصُل زيَادَةُ المُنَاسَبَة بالتَّنْزيه يُوجَدُ عَدَمُ مُنَاسَبَة العَالم بالصَّانع أَزْيَدَ وَلاَ مَعْنَى حينَئذٍ في اعْتقَاد أَنَّ العَالمَ عَيْنُ الصَّانع أَوْ في ظَنٍّ أَنَّ الصَّانعَ مُحيطٌ بالعَالم بالذَّات مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب.

مَعْرفَةٌ: قَال الخواجهْ بَهَاءُ الدِّين النَّقْشَبَنْديُّ قَدَّسَ اللهُ - تَعَالى - سرَّهُ الأَقْدَسَ: نَحْنُ نُدْرجُ النِّهَايَةَ في البدَايَة وَمَعْنَى هَذه العبَارَة هُوَ أَنَّ الانْجذَابَ وَالمَحبَّة

اللذَيْنِ يَتَيَسَّرَانِ للمُنْتَهِينَ فِي الانْتِهَاء مُنْدَرِجَانِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ فِي الانْجِذَابِ وَالمَحَبَّةِ اللذَيْنِ يَحْصُلانِ فِي الابْتِدَاء فَإِنَّ انْجِذَابَ المُنْتَهِي رُوحِيٌّ وَفِي المُبْتَدِي جَذْبٌ قَلْبِيٌّ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّ القَلْبَ بَرْزَخٌ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ يَحْصُلُ فِي ضِمْنِ الجَذْبِ القَلْبِيِّ الذَّبُّ للرُّوحِ أَيْضًا وَتَخْصِيصُ هَذَا الانْدِرَاجِ بِهَذَا الطَّرِيقِ مَعَ أَنَّهُ حَاصِلٌ فِي جَمِيعِ الجَذْبَاتِ بِهَذَا المَعْنَى مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ أَكَابِرَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَضَعُوا طَرِيقًا خَاصًّا لِحُصُولِ هَذَا المَعْنَى وَعَيَّنُوا مَسْلَكًا مَخْصُوصًا للوُصُولِ إِلَى هَذَا المَطْلَبِ وَيَحْصُلُ هَذَا المَعْنَى لِغَيْرِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الاتِّفَاقِ وَلَيْسَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ضَابِطَةٌ.

وَأَيْضًا إِنْ لِهَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ شَأْنًا خَاصًّا فِي مَقَامِ الجَذْبَةِ لَيْسَ هُوَ لِغَيْرِهِمْ فَإِنْ كَانَ فَنَادِرٌ وَلِهَذَا يَحْصُلُ لِبَعْضِهِمْ فِي هَذَا المَقَامِ مِنْ غَيْرِ قَطْعِ مَنَازِلِ السُّلُوكِ فَنَاءٌ وَبَقَاءٌ شَبِيهَانِ بِفَنَاءِ أَرْبَابِ السُّلُوكِ وَبَقَائِهِمْ وَيَتَيَسَّرُ لَهُمْ شُرْبٌ مِنْ مَقَامِ التَّكْمِيلِ شَبِيهٌ بِمَقَامِ السَّيْرِ عَنِ اللهِ بِاللهِ يُرَبُّونَ بِهِ المُسْتَعِدِّينَ وَسَيَجِيءُ تَحْقِيقُ هَذَا المَبْحَثِ عَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالَى -.

وَهَهُنَا دَقِيقَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الرُّوحَ كَانَ لَهَا قَبْلَ تَعَلُّقِهَا بِالبَدَنِ نَحْوٌ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى المَقْصُودِ فَلَمَّا تَعَلَّقَتْ بِالبَدَنِ زَالَ عَنْهَا ذَلِكَ التَّوَجُّهُ وَأَكَابِرُ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ العَلِيَّةِ وَضَعُوا طَرِيقًا لِظُهُورِ ذَلِكَ التَّوَجُّهِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ الرُّوحُ مُتَعَلِّقَةً بِالبَدَنِ انْتَقَلَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ إِلَى القَلْبِ فَيَحْصُلُ لَهُمْ فِيهِ تَوَجُّهٌ قَلْبِيٌّ جَامِعٌ لِتَوَجُّهِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَلَا شَكَّ أَنَّ التَّوَجُّهَ الرُّوحِيَّ مُنْدَرِجٌ فِي التَّوَجُّهِ القَلْبِيِّ وَأَمَّا التَّوَجُّهُ الرُّوحِيُّ فِي المُنْتَهِينَ فَهُوَ بَعْدُ فَنَاءِ الرُّوحِ وَبَقَائِهِ بِالوُجُودِ الحَقَّانِيِّ المُعَبَّرِ عَنْهُ بِالبَقَاءِ بِاللهِ، وَالتَّوَجُّهُ الرُّوحِيِّ الذِي هُوَ ضِمْنُ التَّوَجُّهِ القَلْبِيِّ بَلْ تَوَجُّهُ الرُّوحِ الذِي كَانَ قَبْلَ تَعَلُّقِهَا بِالبَدَنِ فَهُوَ تُوَجُّهٌ مَعَ وُجُودٍ وُجُودِ الرُّوحِ لَمْ يَتَطَرَّقْ الفَنَاءُ إِلَيْهَا أَصْلاً وَالفَرْقُ بَيْنَ تَوَجُّهِ الرُّوحِ مَعَ وُجُودِ وُجُودِهَا وَبَيْنَ تَوَجُّهِهَا مَعَ فَنَائِهَا كَثِيرٌ فَإِطْلَاقُ النِّهَايَةِ عَلَى ذَلِكَ التَّوَجُّهِ الرُّوحِيِّ المُنْدَرِجِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ تَوَجُّهِهَا الذِي يَبْقَى فِي النِّهَايَةِ هُوَ فَقَطْ فَالمُرَادُ بِانْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ انْدِرَاجُ صُورَةِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ لَا حَقِيقَتُهَا فَإِنَّ انْدِرَاجَهَا فِي البِدَايَةِ مُحَالٌ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَدَمُ إِتْيَانِ لَفْظِ الصُّورَةِ لِأَجْلِ التَّرْغِيبِ فِي طَلَبِ هَذَا الطَّرِيقِ وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ بِعَوْنِ اللهِ - تَعَالَى - وَالسَّابِقُونَ الذِينَ انْجِذَابُهُمْ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّلٍ وَكَسْبٍ بَلْ بِتَوَجُّهٍ وَحُضُورٍ فَذَلِكَ الانْجِذَابُ أَيْضًا قَلْبِيٌّ وَأَثَرٌ مِنْ تَوَجُّهِ الرُّوحِ السَّابِقِ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ بِالكُلِّيَّةِ بِوَاسِطَةِ تَعَلُّقِهَا بِالبَدَنِ وَالكَسْبِ وَالتَّعَمُّلِ لِظُهُورِ الوَجْهِ السَّابِقِ إِنَّمَا هُوَ لِجَمْعِهِ نَسَوْا التَّوَجُّهَ السَّابِقَ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ التَّعَلُّقِ وَكَأَنَّ

الكَسْبَ لأَجْلِ التَّنْبِيهِ عَلَى التَّوَجُّهِ السَّابِقِ وَالتَّذْكِيرِ لِتِلْكَ الدَّوْلَةِ الغَائِبَةِ الضَّائِعَةِ وَلَكِنَّ اسْتِعْدَادَ النَّاسِينَ لِلتَّوَجُّهِ السَّابِقِ أَلْطَفُ مِنَ اسْتِعْدَادِ السَّابِقِينَ المَذْكُورِينَ فَإِنَّ نِسْيَانَ التَّوَجُّهِ السَّابِقِ بِالكُلِّيَّةِ يُخْبِرُ عَنِ التَّوَجُّهِ الكُلِّيِّ إِلَى المُتَوَجَّهِ إِلَيْهِ بِالفِعْلِ وَعَنِ الفَنَاءِ فِيهِ بِخِلَافِ عَدَمِ نِسْيَانِ التَّوَجُّهِ السَّابِقِ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ السَّابِقِينَ يَحْصُلُ لَهُمْ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ عَلَى سَبِيلِ الشُّمُولِ لِكُلِّيَّتِهِمْ وَالسَّرَيَانِ فِيهَا وَيَأْخُذُ بَدَنُهُمْ أَيْضًا حُكْمَ رُوحِهِمْ كَمَا هُوَ شَأْنُ المَحْبُوبِينَ المُرَادِينَ.

وَالفَرْقُ بَيْنَ شُمُولِ المُحِبِّينَ وَشُمُولِ السَّابِقِينَ كَالفَرْقِ بَيْنَ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَصُورَتِهِ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأَرْبَابِهِ.

نَعَمْ إِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الشُّمُولِ مُتَحَقِّقٌ أَيْضًا فِي المُحِبِّينَ وَالوَاصِلِينَ وَالمُرِيدِينَ الكَامِلِينَ وَلَكِنَّهُ كَالبَرْقِ فِيهِمْ لَيْسَ بِدَائِمِيٍّ وَالتَّوَجُّهُ الدَّائِمِيُّ إِنَّمَا هُوَ مِنْ خَاصَّةِ المَحْبُوبِينَ.

مَعْرِفَةٌ: إِنَّ المَجْذُوبِينَ أَرْبَابَ القُلُوبِ إِذَا حَصَلَ لَهُمْ تَمَكُّنٌ وَرُسُوخٌ فِي مَقَامِ القَلْبِ وَتَيَسَّرَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ وَصَحْوٌ مُنَاسِبٌ لِذَلِكَ المَقَامِ يَقْدِرُونَ عَلَى إِيصَالِ الفَائِدَةِ إِلَى الطَّالِبِينَ وَيَحْصُلُ لِلطَّالِبِينَ فِي صُحْبَتِهِمُ انْجِذَابٌ وَمَحَبَّةٌ قَلْبِيَّةٌ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُوا مِنْ جِهَتِهِمْ مَرْتَبَةَ الكَمَالِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا بَعْدُ بِأَنْفُسِهِمْ حَدَّ الكَمَالِ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا وَاسِطَةً لِحُصُولِ الكَمَالِ لِغَيْرِهِمْ وَمَشْهُورٌ أَنَّ النَّاقِصَ لَا يَجِيءُ مِنْهُ كَامِلٌ، وَإِفَادَتُهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَزْيَدُ مِنْ إِفَادَةِ أَرْبَابِ السُّلُوكِ وَإِنْ بَلَغُوا نِهَايَةَ السُّلُوكِ وَحَصَلَ لَهُمْ جَذْبُ المُنْتَهِينَ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْزِلُوا إِلَى مَقَامِ القَلْبِ بِطَرِيقِ السَّيْرِ عَنِ اللهِ بِاللهِ فَإِنَّ المُنْتَهِيَ غَيْرَ المَرْجُوعِ لَيْسَ لَهُ مَرْتَبَةُ التَّكْمِيلِ وَالإِفَادَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ مُنَاسَبَةٌ بِالعَالَمِ وَتَوَجُّهٌ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْدِرَ عَلَى الإِفَادَةِ وَإِطْلَاقُ البَرْزَخِ عَلَى الشَّيْخِ المُقْتَدَى بِهِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ نُزُولِهِ إِلَى مَقَامِ البَرْزَخِيَّةِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ القَلْبِ وَأَخْذُهُ مِنْ كِلَا جِهَتَيِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ حَظًّا وَافِرًا فَمِنْ جِهَةِ الرُّوحِ يَسْتَفِيدُ مِنَ الفَوْقِ وَمِنْ جِهَةِ النَّفْسِ يُفِيدُ مَنْ دُونَهُ لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهِ التَّوَجُّهُ إِلَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الخَلْقِ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ أَحَدُهُمَا حِجَابًا لِلْآخَرِ فَالإِفَادَةُ وَالاسْتِفَادَةُ حَاصِلَتَانِ لَهُ مَعًا وَبَعْضُ المَشَايِخِ أَرَادَ بِبَرْزَخِيَّةِ الشَّيْخِ بَرْزَخِيَّتَهُ بَيْنَ الحَقِّ وَالخَلْقِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ: البَرْزَخُ جَامِعًا بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّنْزِيهِ وَلاَ يَخْفَى أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ البَرْزَخِيَّةِ التي بَنَاهَا عَلى السُّكْرِ غَيْرُ لائِقَةٍ بِمَقَامِ المَشْيَخَةِ الذي بَنَاهُ عَلى الصَّحْوِ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ فِي هَذَا المَقَامِ مُنْدَرِجَةٌ فِي غَلَبَاتِ أَنْوَارِ الرُّوحِ وَذَلِكَ الانْدِرَاجُ هُوَ الذي صَارَ مَنْشَأً لِلسُّكْرِ وَفِي مَقَامِ بَرْزَخِيَّةِ القَلْبِ يَتَفَرَّقُ كُل مِنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَيَمْتَازُ عَنِ الآخَرِ فَلاَ يَكُونُ فِيهِ مَجَالٌ لِلسُّكْرِ بِالضَّرُورَةِ بَلْ فِيهِ كُلُّهُ صَحْوٌ فَإِنَّهُ هُوَ المُنَاسِبُ لِمَقَامِ الدَّعْوَةِ هَذَا.

فَإِذَا نَزَلَ الشَّيْخُ الكَامِلُ إِلى مَقَامِ القَلْبِ تَحْصُلُ لَهُ المُنَاسَبَةُ بِالعَالَمِ بِوَاسِطَةِ البَرْزَخِيَّةِ وَيَكُونُ وَاسِطَةً لِحُصُولِ الكَمَالاتِ لِمُسْتَعِدِّي الكَمَالاتِ وَحَيْثُ كَانَ المَجْذُوبُ المُتَمَكِّنُ أَيْضًا فِي مَقَامِ القَلْبِ لَهُ مُنَاسَبَةٌ بِالعَالَمِ لاَ يَبْخَل بِالتَّوَجُّهِ إِلى أَهْلِ العَالَمِ وَقَدْ اكْتَسَبَ نَصِيبًا مِنَ الانْجِذَابِ وَحَصَلَ المَحَبَّةُ وَإِنْ كَانَا قَلبِيَّيْنِ فَلاَ جَرَمَ انْكَشَفَ لَهُ طَرِيقُ الإِفَادَةِ بَلْ أَقُولُ: إِنَّ كَمِّيَّةَ إِفَادَةِ المَجْذُوبِ المُتَمَكِّنِ أَزْيَدُ مِنْ كَمِّيَّةِ إِفَادَةِ المُنْتَهِي المَرْجُوعِ وَكَيْفِيَّةَ إِفَادَةِ المُنْتَهِي المَرْجُوعِ أَزْيَدُ مِنْ كَيْفِيَّةِ إِفَادَةِ المَجْذُوبِ فَإِنَّ المُنْتَهِيَ المَرْجُوعَ وَإِنْ حَصَلَتْ لَهُ المُنَاسَبَةُ بِالعَالَمِ لكِنَّهَا فِي الصُّورَةِ فَقَطْ وَفِي الحَقِيقَةِ هُوَ مُفَارِقَةٌ وَمُنْصَبِغٌ بِلَوْنِ الأَصْلِ وَبَاقٍ بِهِ وَمُنَاسَبَةُ هَذَا المَجْذُوبِ بِالعَالَمِ فِي الحَقِيقَةِ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ إِفَادَةِ العَالَمِ وَبَاقٍ بِالبَقَاءِ الذي بِهِ بَقَاءُ العَالَمِ فَبِوَاسِطَةِ المُنَاسَبَةِ الحَقِيقِيَّةِ تَكُونُ اسْتِفَادَةُ الطَّالِبِينَ مِنْهُ أَكْثَرَ بِالضَّرُورَةِ وَمِنَ المُنْتَهِي المَرْجُوعِ أَقَل وَلكِنَّ إِفَادَةَ كَمَالِ مَرَاتِبِ الوِلاَيَةِ مَخْصُوصَةٌ بِالمُنْتَهِي فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ المُنْتَهِي فِي كَيْفِيَّةِ الإِفَادَةِ أَرْجَحَ وَأَيْضًا لَيْسَ فِي المُنْتَهِي هِمَّةٌ وَتَوَجُّهٌ فِي الحَقِيقَةِ وَالمَجْذُوبُ صَاحِبُ هِمَّةٍ وَتَوَجُّهٍ فَيُقَدِّمُ أُمُورَ الطَّالِبِينَ وَيُرَقِّيهِمْ بِالهِمَّةِ وَالتَّوَجُّهِ وَإِنْ لَمْ يُبَلِّغْهُمْ حَدَّ الكَمَالِ.

وَأَيْضًا إِنَّ نِهَايَةَ التَّوَجُّهِ الذي يَحْصُلُ لِلطَّالِبِينَ مِنَ المَجْذُوبِينَ هِيَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ السَّابِقُ لِلرُّوحِ الذي نَسَوْهُ فَيَتَذَكَّرُونَهُ فِي صُحْبَتِهِمْ وَيَحْصُلُ ثَانِيًا بِطَرِيقِ الانْدِرَاجِ فِي التَّوَجُّهِ القَلْبِيِّ بِخِلاَفِ التَّوَجُّهِ الحَاصِلِ فِي صُحْبَةِ المُنْتَهِينَ فَإِنَّهُ تَوَجُّهٌ حَادِثٌ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا قَبْلَ ذَلِكَ أَصْلاً وَكَانَ مَوْقُوفًا عَلى فَنَاءِ الرُّوحِ بَلْ عَلى بَقَائِهَا بِالوُجُودِ الحَقَّانِيِّ فَلاَ بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ التَّوَجُّهُ الأَوَّلُ سَهْلَ الحُصُولِ وَالتَّوَجُّهُ الثَّانِي مُتَعَسِّرَ الوُجُودِ وَكُلَمَا هُوَ أَسْهَل فَهُوَ أَزْيَدُ وَكُلَمَا هُوَ مُتَعَسِّرٌ فَهُوَ أَقَل وَمِنْ هُنَا قَالُوا: إِنَّ الشَّيْخَ المُقْتَدَى بِهِ لَيْسَ بِوَاسِطَةٍ فِي تَحْصِيلِ جِهَةِ الجَذْبَةِ فَإِنَّ تِلْكَ النِّسْبَةَ كَانَتْ حَاصِلَةً أَوَّلاً أَوْ وَصَارَ مُحْتَاجًا إِلى التَّنْبِيهِ وَالتَّعْلِيمِ بِوَاسِطَةٍ وَلِهَذَا يُقَال

لِمِثْلِ هَذَا الشَّيْخِ شَيْخُ التَّعْلِيمِ لاَ شَيْخُ التَّرْبِيَةِ وَفِي جِهَةِ السُّلُوكِ لاَ بُدَّ مِنْ شَيْخٍ مُقْتَدًى بِهِ لِقَطْعِ مَنَازِلِ السُّلُوكِ وَتَرْبِيَتُهُ ضَرُورِيَّةٌ فِيهَا لاَ يَجُوزُ لِشَيْخٍ مُقْتَدًى بِهِ أَنْ يَأْذَنَ لِمِثْلِ هَذَا المَجْذُوبِ المُتَمَكِّنِ بِالإِجَازَةِ العَامَّةِ وَأَنْ يُجْلِسَهُ فِي مَقَامِ التَّكْمِيلِ وَالمَشْيَخَةِ فَإِنَّ بَعْضَ الطَّالِبِينَ يَكُونُ اسْتِعْدَادُهُمْ عَالِيًا جِدًّا وَتَكُونُ قَابِلِيَّتُهُمْ لِلْكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ، فَإِنْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا الطَّالِبِ فِي صُحْبَةِ ذَلِكَ المَجْذُوبِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَضِيعَ ذَلِكَ الاسْتِعْدَادُ فِيهَا وَأَنْ تَزُولَ عَنْهُ تِلْكَ القَابِلِيَّةُ كَمَا إِذَا كَانَتْ لِلأَرْضِ مَثَلاً قَابِلِيَّةٌ تَامَّةٌ لِزِرَاعَةِ البُرِّ فِيهَا فَإِنْ زَرَعُوا فِيهَا بَذْرًا جَيِّدًا مِنَ الحِنْطَةِ تُنْبِتُ زَرْعًا جَيِّدًا عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهَا وَأَنْ يَزْرَعُوا فِيهَا بَذْرَ قَمْحٍ رَدِيءٍ أَوْ بَذْرَ حِمَّصٍ تَكُونُ مَسْلُوبَ القَابِلِيَّةِ فَضْلاً عَنِ الإِنْبَاتِ.

فَإِنَّ لأَيِّ الشَّيْخِ المُقْتَدَى بِهِ فَرْضًا مَصْلَحَةً فِي رُخْصَتِهِ وَإِجَازَتِهِ وَوَجَدَ فِيهِ صَلاَحِيَّةَ الإِفَادَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُقَدِّرَ إِفَادَتَهُ وَإِجَازَتَهُ بِبَعْضِ القُيُودِ مِثْلِ ظُهُورِ مُنَاسَبَةِ الطَّالِبِ لِطَرِيقِ إِفَادَتِهِ وَعَدَمِ إِضَاعَةِ اسْتِعْدَادِهِ فِي صُحْبَتِهِ وَعَدَمِ طُغْيَانِ نَفْسِهِ بِتِلْكَ الرِّيَاسَةِ وَاقْتِدَاءِ النَّاسِ بِهِ فَإِنَّ هَوَى النَّفْسِ مَازَالَ عَنْهُ بَعْدُ لِعَدَمِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ فِيهِ فَإِذَا عُلِمَ أَنَّ الطَّالِبَ قَدْ بَلَغَ نِهَايَةَ الاسْتِفَادَةِ مِنْهُ وَغَايَةَ إِفَادَتِهِ إِيَّاهُ وَفِي اسْتِعْدَادِ الطَّالِبِ قَابِلِيَّةٌ لِلتَّرَقِّي يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ لَهُ هَذَا المَعْنَى وَأَنْ يَأْذَنَ لَهُ لِيَتِمَّ أَمْرُهُ مِنْ شَيْخٍ آخَرَ وَلاَ يَظْهَرُ لَهُ أَنَّهُ مُنْتَهٍ لِئَلاَّ يَكُونَ قَاطِعًا لِطَرِيقِ النَّاسِ بِهَذِهِ الحِيلَةِ.

وَالحَاصِلُ يُذْكَرُ لَهُ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الشَّرَائِطِ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِوَقْتِهِ وَحَالِهِ وَيَأْذَنُ لَهُ بِعَدِّهِ وَصِيَّةً تَامَّةً بِهَا.

وَأَمَّا المُنْتَهِي المَرْجُوعُ فَلاَ يُحْتَاجُ فِي إِفَادَتِهِ وَتَكْمِيلِهِ إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ القُيُودِ فَإِنَّ لَهُ بِوَاسِطَةِ جَامِعِيَّتِهِ مُنَاسَبَةً بِجَمِيعِ الطُّرُقِ وَالاسْتِعْدَادَاتِ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهُ كُلُّ شَخْصٍ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ وَمُنَاسَبَتِهِ وَإِنْ كَانَ التَّفَاوُتُ بِالسُّرْعَةِ وَالبَطْءِ بِوَاسِطَةِ قُوَّةِ المُنَاسَبَةِ وَضَعْفِهَا مُتَصَوَّرًا فِي صُحْبَةِ الشُّيُوخِ المُقْتَدَى بِهِمْ أَيْضًا وَلَكِنَّهُمْ مُتَسَاوُو الأَقْدَامِ فِي أَصْلِ الإِفَادَةِ.

وَالالتِجَاءُ إِلَى جَانِبِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالاعْتِصَامُ بِحَبْلِهِ المَتِينِ لاَزِمٌ لِلشَّيْخِ المُقْتَدَى بِهِ حِينَ إِفَادَةِ الطَّالِبِ خَوْفًا مِنْ مَكْرِهِ - سُبْحَانَهُ - فِي ضِمْنِ هَذَا الاشْتِهَارِ بَلْ يَنْبَغِي لَهُ أَنَّ يَنْفَكَّ عَنْ هَذَا الالتِجَاءِ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ الَّتِي يَمْنَحُهُ اللهُ

- سُبْحَانَهُ - إِيَّاهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ وَفِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ وَالأَفْعَالِ فَضْلاً عَنْ هَذَا الأَمْرِ - ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ -.

المَقْصدُ السُّلوك فِي بَيَانِ مَا يَتَعَلَّقُ بالسُّلوكِ.

اعْلَمْ أَنَّ الطَّالِبَ إِذَا كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى فَوْقَ بِطَرِيقِ السُّلوكِ فَمَتَى بَلَغَ اسْمًا هُوَ رَبُّهُ وَصَارَ فَانِيًا وَمُسْتَهْلَكًا فِيهِ يَصِحُّ إِطْلَاقُ الفَنَاءِ عَلَيْهِ وَبَعْدَ البَقَاءِ بِهَذَا الاسْمِ يَسْلَمُ إِطْلَاقُ البَقَاءِ عَلَيْهِ وَبِهَذَا الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ يُشَرَّفُ بِأَوَّلِ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الوِلَايَةِ وَلَكِنَّ هَهُنَا تَفْصِيلٍ وَبَسْطُ الكَلَامِ فِيهِ ضَرُورِيٌّ.

تَمْهِيدٌ: إِنَّ الفَيْضَ الوَارِدَ مِنْ ذَاتِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَتَقَدَّسَ عَلَى نَوْعَيْنِ نَوْعٍ يَتَعَلَّقُ بِالإِيجَادِ وَالإِبْقَاءِ وَالتَّخْلِيقِ وَالتَّرْزِيقِ وَالإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ وَأَمْثَالِهَا وَنَوْعٍ آخَرَ يَتَعَلَّقُ بِالإِيمَانِ وَالمَعْرِفَةِ وَسَائِرِ كَمَالَاتِ الوِلَايَةِ وَالنُّبُوَّةِ.

وَالنَّوْعُ الأَوَّلُ مِنَ الفَيْضِ بِتَوَسُّطِ الصِّفَاتِ فَقَطْ وَالنَّوْعُ الثَّانِي فَعَلَى البَعْضِ بِتَوَسُّطِ الصِّفَاتِ وَعَلَى البَعْضِ الآخَرِ بِتَوَسُّطِ الشُّئُونَاتِ وَالفَرْقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ وَالشُّئُونَاتِ دَقِيقٌ جِدًّا لَا يَظْهَرُ إِلاَّ عَلَى آحَادٍ مِنَ الأَوْلِيَاءِ المُحَمَّدِيِّ المَشْرَبِ وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ وَبِالجُمْلَةِ إِنَّ الصِّفَاتِ مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ عَلَى وُجُودِ الذَّاتِ، وَالشُّئُونَاتِ مُجَرَّدُ اعْتِبَارَاتٍ فِي الذَّاتِ وَلِنُوضِّحَ هَذَا المَبْحَثَ بِمِثَالٍ وَهُوَ أَنَّ المَاءَ مَثَلاً يَنْزِلُ مِنْ فَوْقَ إِلَى تَحْتَ بِالطَّبْعِ وَهَذَا الفِعْلُ الطَّبِيعِيُّ يُوهِمُ اعْتِبَارَ الحَيَاةِ وَالعِلْمِ وَالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ فِيهِ فَإِنَّ أَرْبَابَ العِلْمِ يَنْزِلُونَ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ بِوَاسِطَةِ ثِقَلِهِمْ وَبِمُقْتَضَى عِلْمِهِمْ وَلَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى جِهَةِ الفَوْقِ.

وَالعِلْمُ تَابِعٌ لِلحَيَاةِ، وَالإِرَادَةُ تَابِعٌ لِلعِلْمِ.

وَالقُدْرَةُ أَيْضًا ثَابِتَةٌ فَإِنَّ الإِرَادَةَ تَخْصِيصُ أَحَدِ المَقْدُورِينَ وَهَذِهِ الاعْتِبَارَاتُ المُثْبَتَةُ يَعْنِي المَوْهُومَةَ فِي ذَاتِ المَاءِ بِمَنْزِلَةِ الشُّئُونَاتِ فَلَوْ أُثْبِتَتْ صِفَاتٌ زَائِدَةٌ لِذَاتِ المَاءِ مَعَ وُجُودِ هَذِهِ الاعْتِبَارَاتِ لَكَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الصِّفَاتِ المَوْجُودَةِ بِوُجُودٍ زَائِدٍ وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِلمَاءِ بِالاعْتِبَارِ الأَوَّلِ أَنَّهُ حَيٌّ عَالِمٌ قَادِرٌ مُرِيدٌ بَلْ لَا بُدَّ لِصِحَّةِ إِطْلَاقِ هَذِهِ الأَسَامِي مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتٍ زَائِدَةٍ فَمَا وَقَعَ فِي عِبَارَةِ بَعْضِ المَشَايِخِ مِنْ إِطْلَاقِ الأَسَامِي المَذْكُورَةِ عَلَى المَاءِ مَبْنِيٌّ عَلَى عَدَمِ الفَرْقِ بَيْنَ الشُّئُونِ وَالصِّفَاتِ وَكَذَلِكَ الحُكْمُ بِنَفْيِ وُجُودِ تِلْكَ الصِّفَاتِ أَيْضًا مَحْمُولٌ عَلَى عَدَمِ ذَلِكَ الفَرْقِ.

وَالفَرْقُ الآخَرُ بَيْنَ الشُّئُونِ وَالصِّفَاتِ هُوَ أَنَّ مَقَامَ الشُّئُونِ مُوَاجِهٌ لِذِي الشَّأْنِ وَمَقَامِ الصِّفَاتِ لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَمُحَمَّدٌ رَسُول اللهِ ﷺ وَالأَوْلِيَاءُ الذِينَ عَلى قَدَمِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وُصُول الفَيْضِ الثَّانِي إِلَيْهِمْ بِوَاسِطَةِ الشُّئُونَاتِ وَسَائِرُ الأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَالأَوْلِيَاءِ الذِينَ عَلى أَقْدَامِهِمْ وَصُول هَذَا الفَيْضِ بَل الفَيْضُ الأَوَّل أَيْضًا إِلَيْهِمْ بِوَاسِطَةِ الصِّفَاتِ.

فَأَقُول: إِنَّ الاسْمَ الذي هُوَ رَبُّهُ ﷺ وَوَاسِطَةُ وَصُول الفَيْضِ الثَّانِي إِلَيْهِ ظِل شَأْن العِلمِ وَهَذَا الشَّأْنُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الشُّئُون الإِجْمَالِيَّة، وَظِلهُ عِبَارَةٌ عَنْ قَابِلِيَّةِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ لِذَلِكَ الشَّأْن بَل لِجَمِيعِ الشُّئُونِ الإِجْمَالِيَّةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ وَلكِنْ بِاعْتِبَارِ شُمُول شَأْن العِلم لهَا يَعْنِي لاَ بِالذَّات.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ هَذِهِ القَابِلِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ بَرْزَخًا بَيْنَ الذَّات وَبَيْنَ شَأْن العِلمِ وَلكِنْ لمَّا كَانَتْ إِحْدَى جِهَتَيْهَا لاَ لوْنِيَّةً وَهِيَ جِهَةُ الذَّات لاَ يَظْهَرُ لوْنُهَا فِي البَرْزَخِ فَذَلِكَ البَرْزَخُ مُنْصَبِغٌ بِلوْن جِهَة أُخْرَى وَهِيَ جِهَةُ شَأْن العِلمِ فَلاَ جَرَمَ قُلنَا إِنَّهَا ظِل ذَلكَ الشَّأْن وَأَيْضًا إِنَّ ظِل الشَّيْء عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ الشَّيْءِ وَلوْ شَبَهًا وَمِثَالاً فِي مَرْتَبَة ثَانِيَة وَحَيْثُ كَانَ حُصُول البَرْزَخِ بَعْدَ حُصُول الطَّرَفَيْنِ لاَ جَرَمَ يَنْكَشِفُ هَذَا البَرْزَخُ وَقْتَ المُكَاشَفَةِ تَحْتَ ذَلكَ الشَّأْنِ فَنَاسَبَ إِطْلاَقَ الظِّل بِاعْتِبَارِ هَذَا الظُّهُورِ بِالضَّرُورَة.

وَالأَسْمَاءُ التِي هِيَ أَرْبَابُ طَائِفَة مِنَ الأَوْلِيَاءِ الذِينَ عَلى قَدَمِه ﷺ فِي وُصُول الفَيْضِ الثَّانِي ظِلاَل تِلكَ القَابِلِيَّة الجَامِعَة وَكَالتَّفَاصِيل لِذَلكَ الظِّل المُجْمَل.

وَأَرْبَابُ سَائِرِ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَوَاسِطَةُ وَصُول الفَيْضِ الأَوَّل وَالثَّانِي إِلَيْهِمْ قَابِلِيَّاتُ اتِّصَاف الذَّات بِالصِّفَات المَوْجُودَةِ الزَّائِدَة.

وَأَرْبَابُ طَائِفَة مِنَ الأَوْلِيَاء الذِينَ عَلى أَقْدَامِهِمْ فِي حَقِّ وُصُول الفَيْضِ الأَوَّل وَالثَّانِي صِفَاتٌ وَوَاسِطَةُ وَصُول الفَيْضِ الأَوَّل إِلَيْهِ ﷺ قَابِلِيَّةُ اتِّصَاف الذَّات بِجَمِيعِ الصِّفَات وَكَأَنَّ القَابِلِيَّات التِي هِيَ وَسَائِل فَيَضَان الفُيُوضِ لِسَائِرِ الأَنْبِيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - ظِلاَل هَذِه القَابِلِيَّة الجَامِعَة وَكَالتَّفَاصِيل لِذَلكَ الجَامِعِ المُجْمَل وَوَسَائِطِ وَصُول الفَيْضِ الأَوَّل إِلى طَائِفَةٍ هُمْ عَلى قَدَمِهِ ﷺ أَيْضًا عَلى حِدَة.

فَإِنَّهَا صِفَاتٌ فَكَأَنَّ وَسَائِل وُصُول الفَيْضِ الأَوَّل فِي مُحَمَّدِيِّ المَشَارِب مُغَايِرَةٌ لِوَسَائِطِ وَصُول الفَيْضِ الثَّانِي بِخِلاَف غَيْرِهِمْ فَإِنَّهَا وَاحِدَةٌ فِيهِمْ وَبَعْضُ

المَشَايِخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ جَعَل رَبَّهُ ﷺ مُنْحَصِرًا فِي قَابلِيَّة الاتِّصَاف وَمَنْشَؤهُ عَدَمُ الفَرْقِ بَيْن الشُّئُونِ وَالصِّفَات بَل عَدَمُ العِلمِ بِمَقَامِ الشُّئُونِ وَاللهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهُوَ يُهْدِي السَّبِيل.

فَتَحَقَّقَ أَنَّ رَبَّهُ ﷺ رَبُّ الأَرْبَاب فِي مَقَامِ الشُّئُونِ وَفِي مَوْطِنِ الصِّفَاتِ وَوَاسِطَةٌ لِوُصُول كلاَ الفَيْضَيْن.

وَعُلِمَ أَيْضًا أَنَّ وُصُول فَيْضِ مَرَاتب كَمَالاَت ولاَيَته - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مِنَ الذَّات مِنْ غَيْر تَوَسُّط أَمْر زَائد؛ لأَنَّ الشُّئُونَ عَيْنُ الذَّات وَاعْتبَارُ الزِّيَادَة فِيهَا مِنْ مُنْتَزعَات العَقْل وَلهَذَا كَانَ التَّجَلي الذَّاتيُّ مَخْصُوصًا به ﷺ وَلَمَّا أَخَذَ كَمَال تَابعيَّة الفَيْضِ مِنْ طَرِيقَة حَصَل لَهُمْ أَيْضًا شُرْبٌ مِنْ هَذَا المَقَام وَالآخَرُونَ لَمَّا كَانَتْ فِي وُصُول الفَيْضِ إِلَيْهِمْ وَسَاطَةُ الصِّفَات فِي البَيْنِ وَالصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ بِوُجُودٍ زَائد وَقَعَ فِي البَيْن حَاجِزٌ حَصِينٌ وَكَانَ التَّجَلي الصِّفَاتيُّ مُتَعَيِّنًا لَهُمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ قَابلِيَّةَ الاتِّصَاف وَإِنْ كَانَتْ اعْتبَارِيَّةً وَلَيْسَ لَهَا وُجُودٌ زَائدٌ وَالصِّفَاتُ مَوْجُودَةٌ دُونَ قَابليَّاتهَا وَلَكنْ لَمَّا كَانَتْ القَابليَّاتُ كَالبَرَازِخِ بَيْنَ الذَّات وَالصِّفَات بَل بَيْن الشُّئُون وَالصِّفَات وَمِنْ شَأْن البَرْزَخِ أَنْ يَأْخُذَ لوْنَ طَرَفَيْه أَخَذَتْ القَابليَّاتُ أَيْضًا لوْنَ الصِّفَات وَحَصلَتْ الحَائيَّة، شعْرٌ:

وَمَا قَل هجْرَانُ الحَبيب وَإِنْ غدَا قليلاً وَنصفُ الشَّعْرِ فِي عَيْنِ ضَائرُ

فَلاَحَ مِنْ هَذَا البَيَان أَنَّ ظُهُورَ الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مِنْ غَيْر حجَاب لَيْسَ بِمُنَاف للتَّجَلي الشُّهُوديِّ وَلكنَّهُ مُنَاف للتَّجَلي الوُجُوديِّ وَلهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي جَانب وُصُول فَيْضِ كَمَالاَت الولاَيَة إِلَيْه ﷺ حَائل وَفِي جَانب وُصُول الفَيْضِ الوُجُوديِّ حَصَل الحَائل فِي البَيْن وَهُوَ قَابليَّةُ الاتِّصَاف كَمَا مَرَّ.

لاَ يُقَال: لَمَّا كَانَتْ الشُّئُونُ وَقَابليَّاتُهَا مِنَ الاعْتبَارَات العَقْليَّة ثَبَتَ لَهَا الوُجُودُ الذِّهْنيِّ فَلزِمَ مِنْهُ الحجَابُ العلميُّ،

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ حَجْبَ الصِّفَات خَارجيَّةٌ وَحَجْبَ الشُّئون علميَّةٌ لأَنَّا نَقُول: إِنَّ المَوْجُودَ الذِّهْنيَّ لاَ يَكُونُ حجَابًا بَيْنَ المَوْجُودينَ الخَارجيِّينَ فَإِنَّ حجَابَ المَوْجُود الخَارجيِّ لاَ يَكُونُ إِلاَّ مَوْجُودًا خَارجيًا وَلوْ سلمَ فَالحجَابُ العلميُّ يُمْكنُ ارْتفَاعُهُ مِنَ البَيْن بِحُصُول بَعْض المَعَارف بخلاَف الخَارجيِّ فَإِنَّهُ لاَ يُمْكنُ زَوَالهُ.

فَإِذَا عَلمْتَ هَذه المُقَدِّمَات فَاعْلَمْ أَنَّ السَّالكَ إِذَا كَانَ مُحَمَّديَّ المَشْرَب فَمُنْتَهَى سيرَة المُسَمَّى بالسَّيْر إِلَى الله إِلَى ظل الشَّأْن الذي هُوَ اسْمُهُ يَعْني رَبَّهُ وَبَعْدَ

الفَنَاء في ذَلكَ الاسْم يُشرَّفُ بالفَنَاء في الله وَإذَا صَارَ بَاقيًا به تَيَسَّرَ لهُ البَقَاءُ بالله أَيْضًا وَبهَذَا الفَنَاء وَالبَقَاء يَكُونُ دَاخلاً في أَوَّل مَرْتَبَة منَ الولاَيَة الخَاصَّة المُحَمَّديَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ فَإنْ لَمْ يَكُنْ مُحَمَّديَّ المَشْرَب يَصل إلى قَابليَّة صفَة أَوْ نَفْس صفَة هيَ رَبُّهُ فَإذَا كَانَ فَانيًا في هَذَا الاسْم يَعْني الصِّفَة أَوْ القَابليَّة التي وَصَل إليْهَا لاَ يُطْلَقُ عَليْهَا الفَاني في الله وَكَذَلكَ لاَ يَكُونُ بَاقيًا بالله عَلى تَقْدير بَقَائه بهَا فَإنَّ اسْمَ الله عبَارَةٌ عَنْ مَرْتَبَة جَامعَة لجَميع الشُّئُون وَالصِّفَات وَحَيْثُ كَانَتْ الزِّيَادَةُ في جهَة الشُّئون اعْتبَاريَّةً كَانَتْ الشُّئُونُ عَيْنَ الذَّات وَبَعْضُهَا عَيْنُ البَعْض الآخَر فَالفَنَاءُ في اعْتبَار وَاحد فَنَاءٌ في جَميع الاعْتبَارات بَل فَنَاءٌ في الذَّات وَكَذَلكَ البَقَاءُ باعْتبَار وَاحد بَقَاءٌ بجَميع الاعْتبَارَات فَإطْلاَقُ الفَاني في الله وَالبَاقي بالله يَصحُّ في هَذه الصُّورَة بخلاَفهَا في جَانب الصِّفَات فَإنَّهَا مَوْجُودَةٌ بوُجُود زَائد عَلى الذَّات وَمُغَايرَتُهَا للذَّات وَمُغَايرَةُ بَعْضهَا للبَعْض الآخَر تَحْقيقيَّةٌ فَالفَنَاءُ في صفَة وَاحدَة لاَ يَسْتَلزمُ الفَنَاءَ في جَميعهَا وَهَكَذَا الحَال في البَقَاء فَلاَ جَرَمَ لاَ يُقَال لهَذَا الفَاني فَانيًا في الله وللبَاقي بَاقيًا بالله بَل يَصحُّ أَنْ يُقَال لهُ الفَاني وَالبَاقي مُطْلقًا أَوْ مُقَيَّدًا بصفَة يَعْني الفَانيَ في صفَة العلم والبَاقيَ بتلكَ الصِّفَة فَيَكُونُ فَنَاءُ المُحَمَّديِّينَ أَتَمَّ بالضَّرُورَة وَبَقَاؤُهُمْ أَكْمَل وَأَيْضًا لَمَّا كَانَ عُرُوجُ المُحَمَّدي إلى جَانب الشُّئُون وَلاَ مُنَاسَبَةَ بَيْن الشُّئُون وَالعَالَم أَصلاً لأَنَّ العَالَمَ ظل الصِّفَات لاَ ظل الشُّئُون لزمَ أَنْ يَكُونَ فَنَاءُ السَّالك في شَأْن مُسْتَلزم للفَنَاء المُطْلَق عَلى نَهْج لاَ يَبْقَى منْ وُجُود السَّالك وَلاَ منْ أَثَره شَيْءٌ أَصْلاً.

وَهَكَذَا عَلى تَقْدير البَقَاء يَكُونُ بَاقيًا بتَمَامه وَكُليَّته بذَلكَ الشَّأْن بخلاَف الفَاني في الصِّفَات فَإنَّهُ يَنْخَلعُ عَنْ نَفْسه بالتَّمَام وَلاَ يَزُول أَثَرُهُ لأَنَّ وُجُودَ السَّالك أَثَرُ تلكَ الصِّفَة وَظلهَا فَظُهُورُ الأَصْل لاَ يَكُونُ مَاحيًا لوُجُود الظّل بالكُليَّة وَالبَقَاء عَلى مقْدَار الفَنَاء فَالمُحَمَّديُّ يَكُونُ أَمينًا عَن الرُّجُوع إلى الصِّفَات البَشَريَّة وَمَحْفُوظًا منْ خَوْف الرَّدِّ إلى مَرْتَبَة البَهيميَّة لأَنَّهُ مُنْخَلعٌ عَنْ نَفْسه بالكُليَّة وَصَارَ بَاقيًا به - سُبْحَانَهُ - فَيَكُونُ العَوْدُ مَمْنُوعًا عَلى هَذَا التَّقْدير بخلاَفه في صُورَة الفَنَاء الصِّفَاتيِّ فَإنَّ العَوْدَ هُنَاكَ مُمْكنٌ لبَقَاء أَثَر وُجُود السَّالك وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ وُقُوعُ الاخْتلاَف بَيْن المَشَايخ في جَوَاز رُجُوع الوَاصل وَعَدَم جَوَازه منْ هَذه الجهَة وَالحَقُّ هُوَ أَنَّهُ إنْ كَانَ مُحَمَّديًا فَمَحْفُوظٌ منَ العَوْد وَإلاَّ فَفي الخَطَر وَكَذَلكَ

الاخْتِلَافُ الوَاقِعُ فِي زَوَال أَثَر وُجُود السَّالك بَعْدَ فَنائه حَيْثُ قَال بَعْضُهمْ بزَوَال العَيْنِ وَالأَثَر وَالبَعْضُ الآخرُ لَمْ يُجوِّزْ زَوَال الأَثَر وَالحَقُّ فِي هَذَا البَاب أَيْضًا تَفْصيل فَإِنْ كَانَ مُحَمَّديًّا يُزُول عَنْهُ العَيْنُ وَالأَثَرُ كلاَهُمَا وَإلاَّ فَلاَ يَزُول عَنْهُ الأَثَرُ لأَنَّ أَصْل الصِّفَة التي هيَ أَصْلهُ بَاق فَلاَ يُمْكنُ زَوَال ظله رَأْسًا.

وَهَهُنَا دَقيقَةٌ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المُرَادَ بزَوَال العَيْنِ وَالأَثَر الزَّوَال الشُّهُوديُّ لاَ الوُجُوديُّ فَإِنَّ القَوْل بالزَّوَال الوُجُوديِّ مُسْتَلزمٌ للإلحَاد وَالزَّنْدَقَة وَجَمَاعَةٌ منْ هَذه الطَّائفَة تَصَوَّرُوا الزَّوَال زَوَالاً وُجُوديًّا فَهَرَبُوا منْ زَوَال أَثَر المُمْكنِ وَتَيَقَّنُوا أَنَّ القَوْل به إلحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ وَالحَقُّ مَا حَقَّقْتُ بإعْلاَمه - سُبْحَانَهُ - وَالعَجَبُ أَنَّهُمْ مَعَ قَوْلهمْ بالزَّوَال الوُجُوديِّ قَالوا بزَوَال العَيْنِ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ القَوْل بزَوَال عَيْن الوُجُود كَالحُكْم بزَوَال الأَثَر مُسْتَلزم للإلحَاد وَالزَّنْدَقَة وَبالجُمْلَة إنَّ الزَّوَال الوُجُوديَّ مُحَال في العَيْنِ، وَالأَثَرُ والشُّهُوديُّ مُمْكنٌ في كليْهمَا بَل وَاقعٌ وَلكنَّهُ مَخْصُوصٌ بمُحَمَّديِّ المَشْرَب فَالمُحَمَّديُّونَ يَنْخَلعُونَ عَن القَلب بالتَّمَام وَيَتَّصلونَ بمُقَلب القَلب وَهُمْ مُتَخَلصُونَ عَنْ تَقَلب الأَحْوَال وَمُحَرَّرُونَ عَنْ رُقْيَة السِّوَى بالكُلِّيَّة وَلَمَّا كَانَ وُجُودُ الآثَار لاَزمًا لغَيْرهمْ وَتَقَلبُ الأَحْوَال نَقْدَ وَقْتهمْ لَيْسَ لَهُمْ مُخَلصٌ منْ مَقَام القَلب لأَنَّ تَقَلبَ الأَحْوَال وَوُجُودَ الآثَار منْ شُعَب الحَقيقَة الجَامعَة القَلبيَّة فَيَكُونُ شُهُودُ غَيْرهمْ في الحجَاب دَائمًا فَإنَّ حجَابَ المَطْلوب إنَّمَا يَكُونُ عَلَى مقْدَار ثُبُوت بَقَايَا وُجُود السَّالك وَحَيْثُ كَانَ الأَثَرُ بَاقيًا فَالحجَابُ هُوَ ذَلكَ الأَثَرُ.

مَعْرفَةٌ: إذَا وَصَل السَّالكُ منْ طَريق سُلوك غَيْر مُتَعَارَف إلى مَرْتَبَة منْ مَرَاتبَ فَوْقَ اسْم هُوَ رَبُّهُ وَصَارَ فَانيًا وَمُسْتَهْلكًا في تلكَ المَرْتَبَة منْ غَيْر أَنْ يَصل إلى ذَلكَ الاسْم فَإطْلاَقُ الفَنَاء في الله في هَذه الصُّورَة أَيْضًا جَائزٌ وَكَذَلكَ البَقَاءُ بتلكَ المَرْتَبَة فَتَخْصيصُ الفَنَاء في الله بذَلكَ الاسْم اعْتبَاريٌّ لكَوْنه أَوَّل مَرْتَبَة منْ مَرَاتب الفَنَاء.

مَعْرفَةٌ: إنَّ السُّلوكَ عَلى أَنْوَاع فَسُلوكُ البَعْض منْ غَيْر تَقَدُّم الجَذْبَة وَفي البَعْض الجَذْبَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلى سُلوكهمْ وَجَمَاعَةٌ تَحْصُل لَهُمُ الجَذْبَةُ في أَثْنَاء قَطْع مَنَازل السُّلوك وَطَائفَةٌ يَتَيَسَّرُ لَهُمْ طَيُّ مَنَازل السُّلوك وَلكنَّهُمْ لاَ يَصلونَ إلى حَدِّ الجَذْبَة فَتَقَدُّمُ الجَذْبَة للمَحْبُوبينَ وبَاقي الأَقْسَام مُتَعلقَةٌ بالمُحبِّينَ وَسُلوكُ المُحبِّينَ تَحْصُل خُلاَصَةُ المَقَامَات العَشْرَة لاَ حَاجَةَ لَهُمْ إلى التَّرْتيب وَالتَّفْصيل، وَالعلمُ بوَحْدَة الوُجُود منَ الإحَاطَة وَالسَّرَيَان وَالمَعيَّة الذَّاتيَّة كُل ذَلكَ مَرْبُوطٌ بالجَذْبَة المُتَقَدِّمَة أَوْ

الْمُتَوَسِّطَةِ وَلَيْسَ لِلسُّلُوكِ الخَاصِّ وَجَذْبَةِ الْمُنْتَهِينَ مُنَاسَبَةٌ بِأَمْثَالِ هَذِهِ العُلُومِ وَلاَ مُنَاسَبَةَ أَيْضًا بَيْنَ حَقِّ اليَقِينِ المَخْصُوصِ بِالْمُنْتَهِينَ وَبَيْنَ العُلُومِ الْمُنَاسِبَةِ بِالتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ فَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ بُيِّنَ فِيهِ حَقُّ اليَقِينِ المَخْصُوصِ بِمَقَامِ المَجْذُوبِينَ مُنَاسِبًا لِمَقَامِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ فَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ المَخْصُوصِ بِالمَجْذُوبِ الْمُبْتَدِي أَوْ الْمُتَوَسِّطِ.

مَعْرِفَةٌ: قَالَ بَعْضُ المَشَايِخِ: إِذَا بَلَغَ شُغْلُ الطَّالِبِ الجَذْبَةَ فَدَلِيلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ تِلْكَ الجَذْبَةُ فَحَسْبُ يَعْنِي أَنَّهُ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَوَسُّطِ دَلِيلٍ آخَرَ بَلْ تِلْكَ الجَذْبَةُ كَافِيَةٌ لَهُ فَإِنْ أَرَادَ بِهَذِهِ الجَذْبَةِ جَذْبَةَ السَّيْرِ فِي اللهِ فَنَعَمْ إِنَّهَا كَافِيَةٌ وَلَكِنْ لَفْظُ الدَّلِيلِ مُنَافٍ لِهَذِهِ الإِرَادَةِ لأَنَّهُ لاَ مَسَافَةَ بَعْدَ السَّيْرِ فِي اللهِ حَتَّى يُحْتَاجَ فِي قَطْعِهَا إِلَى دَلِيلٍ وَكَذَلِكَ الجَذْبَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ يَعْنِي عَلَى السُّلُوكِ أَيْضًا لَيْسَتْ بِمُرَادَةٍ هُنَا كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ العِبَارَةِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهَا بِالضَّرُورَةِ جَذْبَةَ الْمُتَوَسِّطِ وَكِفَايَتُهَا فِي الوُصُولِ إِلَى المَطْلُوبِ لَيْسَ بِمَعْلُومٍ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَوَسِّطِينَ قَدْ تَوَقَّفُوا وَتَقَاعَدُوا مِنَ العُرُوجِ إِلَى فَوْقٍ عِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ الجَذْبَةِ وَزَعَمُوا تِلْكَ الجَذْبَةَ جَذْبَةَ النِّهَايَةِ فَإِنْ كَانَتْ كَافِيَةً لَمَا كَانَتْ تَتْرُكُهُمْ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ نَعَمْ إِذَا كَانَتْ الجَذْبَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالمَحْبُوبِينَ كَافِيَةً فَلَهَا مَجَالٌ يُمْكِنُ أَنْ تَجُرَّ المَحْبُوبِينَ بِسِلْسِلَةِ العِنَايَةِ وَلاَ تَتْرُكَهُمْ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ وَلَكِنْ كَوْنُ هَذِهِ الكِفَايَةِ فِي حَقِّ جَمِيعِ الجَذَبَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ مَمْنُوعٌ أَيْضًا بَلِ الجَذْبَةُ إِذَا آلَ أَمْرُهَا إِلَى السُّلُوكِ فَكَافِيَةٌ وَإِلاَّ فَمَجْذُوبٌ أَبْتَرُ وَلَيْسَ مِنَ المَحْبُوبِينَ.

الخَاتِمَةُ: قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ المَشَايِخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ: إِنَّ التَّجَلِّيَ الذَّاتِيَّ مُزِيلٌ لِلشُّعُورِ وَمُعَطِّلٌ لِلْحِسِّ وَقَدْ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ عَنْ حَالِهِ بِأَنَّهُ سَقَطَ وَوَقَعَ عَلَى الأَرْضِ عِنْدَ ظُهُورِ هَذَا التَّجَلِّي الذَّاتِي وَبَقِيَ مُدَّةً مَدِيدَةً مِنْ غَيْرِ حِسٍّ وَحَرَكَةٍ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، وَبَعْضُهُمْ مَنَعَ الكَلاَمَ وَغَيْرَهُ فِي التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ وَحَقِيقَةُ هَذَا الكَلاَمِ أَنَّ التَّجَلِّيَ هُوَ حِجَابُ اسْمٍ مِنَ الأَسْمَاءِ وَبَقَاءُ الحِجَابِ بِوَاسِطَةِ بَقَايَا أَثَرِ وُجُودِ صَاحِبِ التَّجَلِّي يَعْنِي الْمُتَجَلَّى لَهُ وَعَدَمُ الشُّعُورِ أَيْضًا بِوَاسِطَةِ تِلْكَ البَقِيَّةِ فَإِنْ كَانَ فَانِيًا بِالتَّمَامِ وَشُرِّفَ بِالبَقَاءِ بِاللهِ لاَ يَسْلُبُ التَّجَلِّي عَنْهُ الشُّعُورَ أَصْلاً، شِعْرٌ:

يُحْرَقُ بِالنَّارِ مَنْ يَمَسُّ بِهَا ... وَمَنْ هُوَ النَّارُ كَيْفَ يَحْتَرِقُ

بَل أَقُول: إنَّ التَّجَلي الذي فِي الحِجَاب لَيْسَ هُوَ تَجَليًا ذَاتيًا بَل دَاخل فِي التَّجَلي الصِّفَاتِيِّ وَالتَّجَلي المَخْصُوص به ﷺ بلاَ حجَاب.

وَعَلاَمَةُ وُجُود الحجَاب فقْدَانُ الشُّعُور وَفقْدَانُ الشُّعُور مِنَ البُعْد وَعَلاَمَةُ عَدَمِ الحجَاب وُجُودُ الشُّعُور وَالشُّعُورُ فِي كَمَال الحُضُور.

وَقَدْ أَخْبَرَ وَاحِدٌ مِنَ الأَكَابِر عَلَيْه الرَّحْمَةُ وَالغُفْرَانُ عَنْ حَال صَاحِب هَذَا التَّجَلي بِالأَصَالة وَالاسْتقْلال حَيْثُ قَال (شعْرٌ):

وَأُغْمِيَ مُوسَى مِنْ تَجَلي صَافَته وَأَنْتَ تَرَى ذَاتَ الآله وَتَبَسَّم

وَهَذَا التَّجَلي الذَّاتيُّ الذي لاَ حجَابَ فيه دَائميٌّ للمَحْبُوبينَ وَبَرْقيٌّ للمُحبِّينَ فَإِنَّ أَبْدَانَ المَحْبُوبينَ أَخَذَتْ حُكْمَ أَرْوَاحهِمْ وَسَرَتْ تلكَ النِّسْبَةُ فِي كُلِّيَّتهِمْ وَهَذه السِّرَايَةُ فِي المُحبِّينَ على سَبيل النُّدْرَة وَمَا وَقَعَ فِي الحَديث النَّبَوِيِّ مِنْ قَوْله - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لِي مَعَ الله وَقْتٌ. لَيْسَ المُرَادُ بالوَقْت هَذَا التَّجَلي البَرْقيُّ فَإِنَّ هَذَا التَّجَلي فِي حَقِّه - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - الذي هُوَ رَئِيسُ المُرَادينَ دَائميٌّ بَل هُوَ نَوْعٌ مِنْ خُصُوصيَّات هَذَا التَّجَلي الدَّائميُّ وَاقعٌ عَلى سَبيل النُّدْرَة وَالقلة كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَابه.

مَعْرفَةٌ: إنَّ المَشَايخ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فِي حَديث لِي مَعَ الله وَقْتَ لاَ يَسَعُنِي فيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبيٌّ مُرْسَل عَلى قسْمَيْن فَطَائفَةٌ أَرَادُوا بالوَقْت الوَقْتَ المُسْتَمِرَّ وَطَائفَةٌ أُخْرَى قَالوا بنُدْرَة الوَقْت وَالحَقُّ أَنَّ الوَقْتَ النَّادرَ مَعَ وُجُود اسْتمْرَار الوَقْت مُتَحَقِّقٌ أَيْضًا كَمَا مَرَّتْ الإشَارَةُ إلَيْه آنفًا وَتَحقق هَذَا الوَقْتُ النَّادرُ عنْدَ هَذَا الحَقير هُوَ فِي حين أَدَاء الصَّلاَة وَكَأَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَشَارَ بقَوْله وَقُرَّةُ عَيْني فِي الصَّلاَة. إلى ذَلكَ وَأَيْضًا قَال ﷺ: "**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي الصَّلاَة**" وَقَال تَبَارَكَ وتَعَالى {وَاسْجُدْ وَاقْتَربْ}.

وَكُل وَقْت فيه القُرْبُ الإلهيُّ أَزْيَدُ فَمَجَال الغَيْر فيه أَشَدُّ انْتفَاءً وَمَا قَال بَعْضُ المَشَايخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ مُخْبرًا عَنْ حَاله وَوَقْته وَاسْتمْرَاره حَالِيٌّ فِي الصَّلاَة كَحَال قَبْل الصَّلاَة يُنَافي الأَحَاديثَ المَذْكُورَةَ بَل النَّصُّ المَذْكُورُ يَنْفي المُسَاوَاةَ وَالاسْتمْرَارَ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلم أَنَّ الاسْتمْرَارَ الوَقْتَ مُتَحَقِّقٌ وَالكَلاَمَ إنَّمَا هُوَ فِي أَنَّ الحَالَةَ النَّادرَةَ مَعَ وُجُود اسْتمْرَار الوَقْت هَل هيَ مُتَحَقِّقَةٌ أَوْ لاَ وَالذي لَمْ يَطَّلعُوا عَلى نُدْرَة الوَقْت قَالوا بنَفْيهَا وَالذي لَهُمْ حَظٌّ مِنْ ذَلكَ المَقَام اعْتَرَفُوا بهَا.

وَالحَقُّ أَنَّ الذينَ أُعْطُوا الجَمْعِيَّةَ فِي الصَّلاَة بِتَبَعِيَّتِه عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم وَاحْتَظَوْا بِدَوْلَة قُرْب ذَلكَ الشُّرْب أَقَل قَليل رَزَقَنَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِكَمَال كَرَمِه نَصيبًا منْ هَذَا المَقَام بِحُرْمَة مُحَمَّد عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

مَعْرِفَةٌ: إِنَّ المُنْتَهِينَ مِنْ أَرْبَابِ الصِّفَات قَرِيبُونَ منَ المَجْذُوبِينَ فِي العُلومِ وَالمَعَارف وَكِلاَ الطَّائفَتَيْنِ عَلى وَصْف وَاحد فِي الشُّهُود فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مِنْ أَرْبَاب القُلوب غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ أَرْبَابَ الصِّفَات مُطَّلعُونَ عَلى التَّفَاصيل بِخلاَف المَجْذُوبينَ وَأَيْضًا إِنَّ أَرْبَابَ الصِّفَات فيهِمْ بِوَاسطَة السُّلوك وَالعُرُوجِ إِلى فَوْق زِيَادَةُ قُرْب النِّسْبَة إِلى المَجْذُوبينَ الذينَ لاَ عُرُوجَ لَهُمْ وَلكنَّ مَحَبَّةَ الأَصْل آخذَةٌ بِيَد المَجْذُوبينَ وَإِنْ كَانَ فِي البَيْنِ حُجُبٌ وَلاَ عَجَبَ لوْ اُعْتُبِرَ فِي المَجْذُوبينَ بِحُكْمِ المَرْء مَعَ مَنْ أَحَبَّ قُرْبُ الأَصْل وَمَعيَّتُهُ فَالمَجْذُوبُونَ لَهُمْ مُنَاسَبَة بِالمَحْبُوبينَ فِي المَحَبَّة فَإِنَّ الحُبَّ الذَّاتِيَّ وَلوْ مَعَ الحُجُب مُتَحَقِّقٌ فِي المَجْذُوبينَ أَيْضًا.

مَعْرِفَةٌ: قَدْ وَقَعَ فِي عِبَارَة البَعْض مِنْ هَذه الطَّائفَة أَنَّ للأَقْطَاب تَجَلي الصِّفَات وَللأَفْرَاد تَجلي الذَّات وَفِي هَذَا الكَلاَمِ مَجَالٌ للتَّأَمُّل فَإِنَّ القُطْبَ مُحَمَّديُّ المَشْرَب وَالمُحَمَّدِيُّونَ لَهُمُ التَّجَلي الذَّاتيُّ نَعَمْ إِنَّ فِي هَذَا التَّجَلي أَيْضًا تَفَاوُتًا كَثيرًا فَإِنَّ القُرْبَ الذي للأَفْرَاد لَيْسَ للأَقْطَاب وَلكنْ لكِلَيْهِمَا نَصيبٌ مِنَ التَّجَلي الذَّاتيِّ إِلاَّ أَنْ نَقُول: إِنَّهُ يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ مِنَ القُطْب قُطْبَ الأَوْتَاد الذي هُوَ عَلى قَدَمِ إِسْرَافيل - عَلَيْه السَّلاَمُ - لاَ عَلى قَدَم مُحَمَّد ﷺ.

مَعْرِفَةٌ: إِنَّ اللهَ خَلقَ آدَمَ عَلى صُورَته وَاللهُ - تَعَالى - مُنَزَّهٌ عَنِ الشَّبَه وَالمِثَال وَخَلقَ رُوحَ آدَمَ التي هِيَ خُلاَصَتُهُ عَلى صُورَة لاَ شبهية وَلاَ مِثْليَّة فَكَمَا أَنَّ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - لاَ مَكَانيٌّ كَانَتْ الرُّوحُ أَيْضًا لاَ مَكَانيَّةً وَنسْبَةُ الرُّوحِ إِلى البَدَن كَنسْبَته - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ إِلى العَالمِ لاَ دَاخلَةٌ فيه وَلاَ خَارِجَةٌ عَنْهُ وَلاَ مُتَّصلَةٌ بِه وَلاَ مُنْفَصلَةٌ عَنْهُ لاَ نَفْهَمُ فَيَا نسْبَةً سوَى القَيُّوميَّة وَمُقَوِّمُ كُل ذَرَّة مِنْ ذَرَّات البَدَن هُوَ الرُّوحُ كَمَا أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى قَيُّومُ العَالمِ وَقَيُّوميَّتُهُ - تَعَالى - للبَدَن بِوَاسطَة الرُّوحِ وَكُل فَيْض يَرِدُ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - عَلى البَدَن فَمَحَل وُرُوده ابْتدَاءً هُوَ الرُّوحُ ثُمَّ يَصل ذَلكَ الفَيْضُ بِوَاسطَة الرُّوحِ إِلى البَدَن وَلَمَّا كَانَتْ الرُّوحُ مَخْلوقَةً عَلى صُورَة لاَ شبهية وَلاَ مِثْليَّة لاَ جَرَمَ كَانَ فيهَا مَجَال للشَّبَهيِّ وَالمِثَاليِّ الحَقيقيِّ لاَ يَسَعُنِي أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي وَلكنَّ يَسَعُنِي قَلبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ إِنَّ الأَرْضَ وَالسَّمَاءَ لَمَّا

كَانَا مَعَ وُجُودِ الوَسْعَةِ فِيهِمَا دَاخِلَيْنِ فِي دَائِرَةِ المَكَانِ وَمُتَّسِمَيْنِ بِسِمَةِ الشَّبَهِ وَالمِثَالِ لَيْسَ فِيهِمَا مَجَالُ المَكَانِيِّ المُقَدَّسِ عَنِ الشَّبَهِ وَالمِثَالِ فَإِنَّ اللاَّمَكَانِيَّ لاَ يَسَعُهُ المَكَانِيُّ وَالمِثَالِيُّ لاَ يَتَمَكَّنُ فِي المِثَالِيِّ فَلاَ جَرَمَ تَحَقُّقُ السَّعَةِ وَالمَجَالِ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ الذِي هُوَ لاَ مَكَانٌ وَمُنَزَّهٌ عَنِ الشَّبَهِ وَالمِثَالِ.

وَالتَّخْصِيصُ بِقَلْبِ المُؤْمِنِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ قَلْبَ غَيْرِ المُؤْمِنِ هَابِطٌ عَنْ أَوْجِ المَكَانِيِّ وَمَأْسُورٌ لِلشَّبَهِيِّ وَالمِثَالِيِّ وَآخِذٌ حِكْمَةً وَلَمَّا كَانَ دَاخِلاً فِي دَائِرَةِ المَكَانِيِّ بِسَبَبِ ذَلِكَ النُّزُولِ وَالأَسْرِ وَاكْتَسَبَ المِثَالِيَّةَ ضَيَّعَ تِلْكَ القَابِلِيَّةَ أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ وَكُلُّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ وَسْعَةِ قَلْبِهِ مِنَ المَشَايِخِ فَمُرَادُهُ لاَ مَكَانِيَّةُ القَلْبِ فَإِنَّ المَكَانِيَّ وَإِنْ كَانَ وَسِيعًا ضَيِّقٌ أَلاَ تَرَى أَنَّ العَرْشَ مَعَ وُجُودِ عَظَمَتِهِ وَوُسْعَتِهِ لَمَّا كَانَ مَكَانِيًّا كَانَ حِكْمَةً فِي جَنْبِ المَكَانِيِّ الذِي هُوَ الرُّوحُ كَحُكْمِ الخَرْدَلَةِ بَلْ أَقَلَّ بَلْ أَقُولُ: إِنَّ هَذَا القَلْبَ لَمَّا كَانَ مَحَلَّ تَجَلِّي أَنْوَارِ القِدَمِ بَلْ وُجِدَ بَقَاءً بِالقِدَمِ لَوْ وَقَعَ فِيهِ العَرْشُ وَمَا فِيهِ لَصَارَ مُضْمَحِلاً وَمُتَلاَشِيًا بِحَيْثُ لاَ يَبْقَى مِنْهُ أَثَرٌ كَمَا قَالَ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ فِي هَذَا المَقَامِ: إِنَّ المُحْدَثَ إِذَا قُورِنَ بِالقَدِيمِ لَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ وَهَذَا لِبَاسٌ مُتَفَرِّدٌ مَخِيطٌ عَلَى قَدْرِ الرُّوحِ خَاصَّةً وَلَيْسَتْ هَذِهِ الخُصُوصِيَّةُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَيْضًا فَإِنَّهُمْ دَاخِلُونَ فِي دَائِرَةِ المَكَانِيِّ وَمُتَّصِفُونَ بِالمِثَالِيِّ فَلاَ جَرَمَ كَانَ الإِنْسَانُ خَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ وَلاَ عَجَبَ فِيهِ فَإِنَّ صُورَةَ الشَّيْءِ خَلِيفَةُ الشَّيْءِ وَمَا لَمْ يُخْلَقْ عَلَى صُورَةِ شَيْءٍ لاَ يَلِيقُ بِخِلاَفَةِ الشَّيْءِ وَمَا لَمْ يَكُنْ لاَئِقًا بِالخِلاَفَةِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَتَحَمَّلَ ثِقَلَ أَمَانَةِ أَصْلِهِ لاَ يَحْمِلُ عَطَايَا المَلِكِ إِلاَّ مَطَايَاهُ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً} كَثِيرُ الظُّلْمِ عَلَى نَفْسِهِ بِحَيْثُ لاَ يُبْقِي مِنْ وُجُودِهِ وَلاَ مِنْ تَوَابِعِ وُجُودِهِ أَثَرًا وَلاَ حُكْمًا كَثِيرُ الجَهْلِ حَتَّى لاَ يَكُونَ لَهُ إِدْرَاكٌ، وَالاعْتِرَافُ بِالجَهْلِ مَعْرِفَةٌ أَكْثَرُهُمْ مَعْرِفَةً بِاللهِ أَكْثَرُهُمْ تَحَيُّرًا فِيهِ.

تَنْبِيهٌ: فَإِنْ وَقَعَ فِي بَعْضِ العِبَارَاتِ لَفْظٌ مُوهِمٌ بِالظَّرْفِيَّةِ وَالمَظْرُوفِيَّةِ فِي شَأْنِهِ ـــ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ـــ يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى ضِيقِ مَيْدَانِ العِبَارَةِ وَأَنْ يَجْعَلَ المُرَادَ وَالمَقْصُودَ مِنَ الكَلاَمِ مُطَابِقًا لآرَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

مَعْرِفَةٌ: إِنَّ العَالَمَ صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ مَظَاهِرُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ - جَلَّ شَأْنُهُ - وَمَرَايَا الشُّئُونَاتِ وَالكَمَالاَتِ الذَّاتِيَّةِ وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَانَ كَنْزًا مَكْنُونًا وَسِرًّا مَخْزُونًا فَأَرَادَ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ مِنَ الخَلاَءِ إِلَى المَلأِ وَأَنْ يُورِدَ الإِجْمَالَ عَلَى التَّفْصِيلِ

فَخلَقَ العَالَمِ لِيَدُل عَلى أَصْله وَلِيَكُونَ عَلاَمَةً لحَقيقَته وَلاَ نسْبَةَ بَيْنَ العَالَمِ وَالصَّانِعِ سوَى أَنَّ العَالَمَ مَخلُوقَةٌ وَدَليل عَلى كَمَالاَته المَخْزُونَة - تَعَالَى - وَتَقَدَّسَ وَكُل حُكْمٍ وَرَاءَ ذَلكَ منْ جنْسِ الاتِّحَاد وَالعَيْنيَّة وَالإحَاطَة وَالمَعيَّة منَ السُّكْرِ وَغَلبَة الحَال وَالأَكَابرُ المُسْتَقيمُو الأَحْوَال الذينَ ذَاقُوا شَرَابًا مَنْ قَدَحِ الصَّحْوِ وَالوصَال يَتَبرَّءُونَ منْ هَذه العُلوم وَيَسْتَغْفرُونَ مَنْ مثْل هَذَا الحَال وَإنْ حَصَل لبَعْضهمْ هَذه العُلومُ في أَثْنَاء الطَّرِيق وَلكنَّهُمْ يُجَاوزُونَهَا بالأُخْرَى وَيُمْنَحُونَ عُلومًا أَزَليَّةً مُطَابقَةً لعُلوم الشَّريعَة وَلنُبَيِّنَ لتَحْقيق هَذَا المَبْحَث مثَالاً إنَّ العَالمَ التَّحْرِيرَ ذَا فُنُون مَثَلاً أَرَادَ أَنْ يُبْرزَ كَمَالاَته المَخزُونَةَ إلى عَرْصَة الظُّهُور وَأَنْ يُجَلي فُنُونَهُ المَكْنُونَةَ إلى المَلاَ فَأَوْجَدَ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ ليَظْهَرَ في حُجُب تلكَ الحُرُوف وَالأَصْوَات كَمَالاَتُهُ المَخْزُونَةُ وَفُنُونُهُ المَكْنُونَةُ ففى هَذه الصُّورَة لاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَ تلكَ الحُرُوف وَالأَصْوَات وَبَيْنَ المَعَاني المخزُونَة بَل بَيْنَ العَالمِ المُوجد لَهَا أَصْلاً إلاّ أَنَّ العَالمَ مُوجدُهَا وَهيَ دَالةٌ عَلى كَمَالاَته المَخزُونَة وَلاَ مَعْنَى في القَوْل بأَنَّ تلكَ الحُرُوفَ وَالأَصْوَاتَ عَيْنُ ذَلكَ العَالمِ المَوْجُود أَوْ عَيْنُ تلكَ المَعَاني وَكَذَلكَ الحُكْمُ بالإحَاطَة وَالمَعيَّة غَيْرُ وَاقعٍ في تلكَ الحَادثَة بَل المَعَاني عَلى صرَافَتهَا المَخزُونة نَعَمْ حَيْثُ تَحَقَّقَ بَيْنَ المَعَاني وَصَاحبهَا وَبَيْنَ الحُرُوف وَالأَصوَات مُنَاسَبَةُ الدَّاليَّة وَالمَدْلوليَّة رُبَّمَا يَحْدُثُ في التَّخَيُّل بَعْضُ المَعَاني الزَّائدَة وَالأَوْهَامِ الغَيْر الوَاقعَة وَالعَالمُ وَمَعَانيه المَخزُونَةُ مُنَزَّهَان وَمُبَرَّآن بالحَقيقَة عَنْ تلكَ النِّسْبَة الزَّائدَة وَهَذه الحُرُوفُ وَالأَصْوَاتُ مَوْجُودَةٌ في الخَارِجِ لاَ إنَّ العَالمَ وَالمَعَاني مَوْجُودٌ فَقَطْ وَالحُرُوفُ وَالأَصوَاتُ أَوْهَامٌ وَخَيَالاَتٌ فَكَذَلكَ العَالمُ الذي هُوَ عبَارَةٌ عَمَّا سوَاهُ - تَعَالى - مَوْجُودٌ في الخَارِجِ بالوُجُود الظِّليِّ وَالكَوْنُ الطَّبيعيُّ لاَ إنَّهُ أَوْهَامٌ وَخيَالاَتٌ فَإنَّ هَذَا المَذْهَبَ هُوَ عَيْنُ مَذْهَب السُّوفُسْطَائيِّ حَيْثُ يَقُولونَ: إنَّ العَالمَ أَوْهَامٌ وَخَيَالاَتٌ وَإثْبَاتُ الحَقيقَة للعَالمِ لاَ يُخرجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ أَوْهَامًا وَخيَالاَت بَل تَكُونُ الحَقيقَةُ مَوْجُودَةً لاَ العَالمُ فَإنَّ العَالمَ وَرَاءَ تلكَ الحَقيقَة المَفْرُوضَة.

تَنْبيهٌ: إنَّ المُرَادَ بمَظْهَريَّة العَالمِ وَمرْآتيَّته للأَسْمَاء وَالصِّفَات كَوْنُهُ مَظْهَرًا ومرْآةً لصُوَرِ الأَسْمَاء وَالصِّفَات لاَ لأَعْيَان الأَسْمَاء وَالصِّفَات فَإنَّ الاَسْمَ كَالمُسَمَّى لاَ يَكُونُ مُحَاطًا بالمرْآة أَصْلاً وَالصِّفَةَ كَالمَوْصُوف لاَ تَكُونُ مُقَيَّدَةً بمَظْهَرٍ قَطْعًا، شعْرٌ:

وَجَل اسْمُهُ سُبْحَانَهُ مثْل ذَاته   كَذَا وَصْفُهُ منْ أَنْ يُحَاطَا بمَظْهَر

مَعْرفَةٌ: إنَّ كَمَال أَتْبَاعه ﷺ وَإنْ كَانَ لَهُمْ بوَاسطَة اتِّبَاعه ﷺ نَصيبٌ منَ التَّجَلي الذَّاتيِّ الذي هُوَ منْ خَصَائصه ﷺ بالأَصَالة وَلسَائر الأَنْبيَاء – عَلَيْهمُ السَّلَامُ – تَجَلي الصِّفَات وَتَجَلي الذَّات أَشْرَفُ مَنْ تَجَلي الصِّفَات وَلَكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ للأَنْبيَاء – عَلَيْهمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – في تَجَلي الصِّفَات منْ مَرَاتب القُرْب مَا لَيْسَ لكَمَال التَّابعينَ منْ هَذه الأُمَّة مَعَ وُجُود تَجَلي الذَّات بطَريق التَّبَعيَّة وَهَذَا كَمَا أَنَّ شَخْصًا مَثَلاً إذَا وَصَلَ إلَى الشَّمْس بطَيِّ مَدَارج العُرُوج مَحَبَّةً لجَمَالهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْس غَيْرُ حَائل رَقيق وَشَخْصٌ آخَرُ مَعَ وُجُود مَحَبَّته لذَات الشَّمْس عَاجزٌ عَن العُرُوج إلى تلْكَ المَرَاتب وَإنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْس حَائل أَصْلاً فَلاَ شَكَّ أَنَّ الشَّخْصَ الأَوَّل أَقْرَبُ إلَى الشَّمْس وَأَعْلَمُ بكَمَالاَتهَا الدَّقيقَة فَكُل مَنْ فيه القُرْبُ أَزْيَدُ وَمَعْرفَتُهُ أَكْثَرُ فَهُوَ أَفْضَل وَكَمَالُهُ أَوْفَرُ فَلاَ يَبْلغُ وَليٌّ

منْ أَوْليَاء هَذه الأُمَّة التي هيَ خَيْرُ الأُمَم مَعَ وُجُود أَفْضَليَّة نَبيِّهمْ مَرْتَبَةَ نَبيٍّ منَ الأَنْبيَاء وَإنْ حَصَل بمُتَابَعَة نَبيِّه نَصيبٌ منْ مَقَام به الأَفْضَليَّةُ وَالفَضْل الكُليِّ إنَّمَا هُوَ للأَنْبيَاء – عَلَيْهمُ السَّلاَمُ – وَالأَوْليَاءُ طُفَيْليُّونَ وَلْيَكُنْ هَذَا آخرُ الكَلاَم وَالحَمْدُ لله – سُبْحَانَهُ – عَلَى ذَلكَ وَعَلى جَميع نعْمَائه وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى أَفْضَل أَنْبيَائه وَعَلى جَميع الأَنْبيَاء وَالمُرْسَلينَ وَالمَلاَئكَة المُقَرَّبينَ وَعَلى الصِّدِّيقينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالحينَ.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالثَّمَانُونَ وَالمائَتَان
إلى السَّيِّد أَبْيا المَانْكبُوريِّ
في المَنْعِ عَنْ أَدَاءِ صَلاَة النَّفْل بالجَمَاعَة
كَصَلاَة لَيْلَة العَاشُورَاء وَالبرَاءَة وَغَيْرِهَا
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله الذي شَرَّفَنَا بمُتَابَعَة سَيِّد المُرْسَلينَ وَجَنَّبَنَا عَنِ ارْتكَاب المُبْتَدَعَات في الدِّين، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى مَنْ قَمَعَ بُنْيَانَ الضَّلالة وَرَفَعَ أَعْلاَمَ الهدَايَة وَعَلى آله الأَبْرَار وَصَحْبه الأَخْيَار يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ لأَكْثَرِ النَّاسِ في هَذَا الزَّمَان منَ الخَوَاصِّ وَالعَوَامِّ اهْتمَامًا تَامًّا في أَدَاء النَّوَافل وَلكنَّهُمْ يَتَسَاهَلُونَ في أَدَاء المَكْتُوبَات وَلاَ يُرَاعُونَ فيهَا السُّنَنَ وَالمُسْتَحَبَّات إلاَّ قَليلاً يَرَوْنَ النَّوَافل عَزِيزَةً وَالفَرَائضَ حَقيرَةً وَذَليلةً قلمَا يُؤَدُّونَ الفَرَائضَ في أَوْقَاتهَا المُسْتَحَبَّة لاَ يَهْتَمُّونَ لإدْرَاك تَكْبير التَّحْرِيمَة مَعَ الجَمَاعَة بَل لاَ يُبَالونَ بفَوْت نَفْس الجَمَاعَة أيضًا وَإنَّمَا يَغْتَنمُونَ أَدَاءَ نَفْسِ الفَرَائضِ بالتَّكَاسُل وَالتَّسَاهُل وَيُؤَدُّونَ النَّوَافل بالجَمْعيَّة التَّامَّة وَرِعَايَة كَمَال الاهْتمَام في يَوْمِ عَاشُورَاءَ لَيْلَة البَرَاءَة وَاللَّيْلَة السَّابعَة وَالعشْرِينَ منْ رَجَب وَلَيْلَة أَوَّل جُمْعَة منْهُ وَهيَ التي يُسَمُّونَهَا لَيْلَةَ الرَّغَائب وَيَظُنُّونَ فعْلَهُمْ هَذَا حَسَنًا وَمُسْتَحْسَنًا وَلاَ يَدْرُونَ أَنَّهُ منْ تَسْويلاَت الشَّيْطَان الذي يَرَى السَّيِّئَات في صُورَة الحَسَنَات قَال شَيْخُ الإسْلاَم مَوْلاَنَا عَاصمُ الدِّينِ اللاهوري في حَاشيَة شَرْحِ الوقَايَة: إنَّ التَّطْويعَ بالجَمَاعَة وَتَرْكَ الفَرْضِ بالجَمَاعَة منْ تَسْويلاَت الشَّيْطَان.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ أَدَاءَ النَّوَافل بالجَمَاعَة منَ البدَعِ المَذْمُومَة وَالمَكْرُوهَة وَمنْ جُمْلَة البدَعِ التي قَال خَاتَمُ الرِّسَالة - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في شَأْنهَا **"مَنْ أَحْدَثَ في دِيننَا هَذَا فَهُوَ رَدٌّ"**.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَدَاءَ النَّوَافل بالجَمَاعَة مَكْرُوهٌ مُطْلَقًا في بَعْضِ الرِّوَايَات الفقْهيَّة وَفي بَعْضٍ آخَرَ الكَرَاهَةُ مَشْرُوطَةٌ بالتَّدَاعي وَالجَمْعيَّة فَعَلى هَذَا لَوْ صَلى اثْنَان النَّفْل في نَاحيَة المَسْجد منْ غَيْر تَدَاعٍ يَجُوزُ بلاَ كَرَاهَة وَفي الثَّلاَثَة اخْتلاَفُ المَشَايخ وَالأَرْبَعَةُ مَكْرُوهَةٌ بالاتِّفَاق في بَعْضِ الرِّوَايَات وَفي البَعْضِ الآخَرِ الأَصَحُّ أَنَّهَا

مَكْرُوهَةٌ فِي الفَتَاوَى السِّرَاجِيَّةِ كُرِهَ التَّطَوُّعَ بِالجَمَاعَةِ بِخِلاَفِ التَّرَاوِيحِ وَصَلاَةِ الكُسُوفِ وَفِي الفَتَاوَى الغِيَاثِيَّةِ قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ السَّرَخْسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

التَّطَوُّعُ بِجَمَاعَةٍ خَارِجَ رَمَضَانَ إِنَّمَا يُكْرَهُ إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيلِ التَّدَاعِي أَمَّا إِذَا اقْتَدَى وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانِ لاَ يُكْرَهُ وَفِي الثَّلاَثِ اخْتِلاَفٌ وَفِي الأَرْبَعِ يُكْرَهُ بِلاَ خِلاَفٍ وَذُكِرَ فِي الخُلاَصَةِ أَنَّ التَّطَوُّعَ بِجَمَاعَةٍ إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيلِ التَّدَاعِي يُكْرَهُ وَأَمَّا إِذَا صَلَّوْا بِجَمَاعَةٍ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَإِقَامَةٍ فِي نَاحِيَةِ المَسْجِدِ لاَ يُكْرَهُ وَقَالَ شَمْسُ الأَئِمَّةِ الحَلْوَانِيُّ: إِذَا كَانَ سِوَى الإِمَامِ ثَلاَثَةٌ لاَ يُكْرَهُ بِالاتِّفَاقِ وَفِي الأَرْبَعِ اخْتِلاَفٌ وَالأَصَحُّ أَنَّهُ يُكْرَهُ وَفِي الفَتَاوَى الشَّافِيَةِ: وَلاَ يُصَلِّي التَّطَوُّعَ بِالجَمَاعَةِ إِلاَّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَذَلِكَ إِنَّمَا يُكْرَهُ إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيلِ التَّدَاعِي يَعْنِي بِإِذانٍ وَإِقَامَةٍ مَا لَوْ اقْتَدَى وَاحِدٌ وَاثْنَانِ لاَ عَلَى سَبِيلِ التَّدَاعِي فَلاَ يُكْرَهُ وَإِذَا اقْتَدَى ثَلاَثَةٌ اخْتَلَفَ المَشَايِخُ رَحِمَهُمُ اللهُ - تَعَالَى - وَإِنْ اقْتَدَى أَرْبَعَةٌ كُرِهَ اتِّفَاقًا وَأَمْثَالُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَالكُتُبُ الفِقْهِيَّةُ بِهَا مَمْلُوءَةٌ فَإِنْ وَجَدْتَ رِوَايَةً مُجَوِّزَةً لأَدَاءِ النَّفْلِ بِالجَمَاعَةِ مُطْلَقًا سَاكِتَةً عَنْ ذِكْرِ العَدَدِ يَنْبَغِي حَمْلُهَا عَلَى المُقَيَّدِ الوَاقِعِ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى وَأَنْ يُرَادَ بِالمُطْلَقِ المُقَيَّدُ وَأَنْ يَقْصُرَ الجَوَازُ عَلَى اثْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثٍ لأَنَّ العُلَمَاءَ الحَنَفِيَّةَ وَإِنْ كَانُوا يُجْرُونَ المُطْلَقَ عَلَى إِطْلاَقِهِ فِي الأُصُولِ وَلاَ يَحْمِلُونَهُ عَلَى المُقَيَّدِ وَلَكِنَّهُمْ يُجَوِّزُونَ حَمْلَ المُطْلَقِ عَلَى المُقَيَّدِ فِي الرِّوَايَاتِ بَلْ عَدُّوهُ لاَزِمًا فَإِنْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى طَرِيقِ فَرْضِ المُحَالِ وَيُجْرَى عَلَى إِطْلاَقِهِ لَكَانَ هَذَا المُطْلَقُ مُعَارِضًا عَلَى ذَلِكَ المُقَيَّدِ إِذَا تَسَاوَيَا فِي القُوَّةِ.

وَالمُسَاوَاةُ فِي القُوَّةِ مَمْنُوعَةٌ فَإِنَّ رِوَايَةَ الكَرَاهَةِ مَعَ وُجُودِ كَثْرَتِهَا مُخْتَارَةٌ وَمُفْتًى بِهَا بِخِلاَفِ رِوَايَةِ الإِبَاحَةِ وَلَوْ سُلِّمَ مُسَاوَاتُهَا أَقُولُ: إِنَّ التَّرْجِيحَ عَلَى تَقْدِيرِ تَعَارُضِ أَدِلَّةِ الكَرَاهَةِ وَأَدِلَّةِ الإِبَاحَةِ فِي جَانِبِ الكَرَاهَةِ فَإِنَّ فِيهِ رِعَايَةَ الاحْتِيَاطِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ أُصُولِ الفِقْهِ فَالَّذِينَ يُصَلُّونَ صَلاَةَ النَّفْلِ يَوْمَ عاشوراءَ وَلَيْلَةَ البَرَاءَةِ وَلَيْلَةَ الرَّغَائِبِ بِجَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ بِحَيْثُ يَجْتَمِعُ فِي المَسَاجِدِ مائتَانِ أَوْ ثَلْثُمائَةِ رَجُلٍ وَيَسْتَحْسِنُونَ تِلْكَ الصَّلاَةَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الاجْتِمَاعِ وَالجَمَاعَةُ مُرْتَكِبُونَ أَمْرًا مَكْرُوهًا بِاتِّفَاقِ الفُقَهَاءِ، وَاسْتِحْسَانُ القَبَائِحِ مِنْ أَعْظَمِ القَبَائِحِ فَإِنَّ اعْتِقَادَ الحَرَامِ مُبَاحًا مُنْجَرٌّ إِلَى الكُفْرِ وَظَنَّ المَكْرُوهِ حَسَنًا أَقَلُّ مِنْهُ بِمَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَنْبَغِي مُلاَحَظَةُ شَنَاعَةِ هَذَا الفِعْلِ.

كَمَالَ المُلاَحَظَةِ وَاعْتِمَادُهُمْ فِي دَفْعِ الكَرَاهَةِ عَلَى عَدَمِ التَّدَاعِي نَعَمْ إِنَّ

عَدَمَ التَّدَاعِي يَدْفَعُ الكَرَاهَةَ عَلى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ وَلكِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِمُقْتَدٍ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ وَهُوَ أَيْضًا مَشْرُوطٌ بِكَوْنِه فِي نَاحِيَةِ المَسْجِد وَبِدُونِه خَرْطُ القَتَاد مَعَ أَنَّ التَّدَاعِيَ عِبَارَةٌ عَنْ إِعْلَامِ بَعْضًا آخَرَ لِأَدَاءِ صَلَاةِ النَّفْل وَهَذَا المَعْنَى مُتَحَقِّقٌ فِي تِلْكَ الجَمَاعَةِ فَإِنَّهُمْ يُعَلِّمُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا قَبِيلَةً قَبِيلَةً فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَغَيْرِه وَيَقُولُونَ يَنْبَغِي أَنْ نَذْهَبَ إِلى مَسْجِد الشَّيْخِ الفُلَانِيِّ أَوْ العَالِمِ الفُلَانِيِّ وَأَنْ نُؤَدِّيَ الصَّلَاةَ هُنَاكَ بِالجَمْعِيَّة وَهُمْ قَدْ اعْتَبَرُوا هَذَا الفِعْل فَمِثْل هَذَا الإِعْلَامِ أَبْلَغُ مِنَ الأَذَان وَالإِقَامَة فَثَبَتَ التَّدَاعِي أَيْضًا وَإِذَا جَعَلْنَا التَّدَاعِيَ مَخْصُوصًا بِالآذَان وَالإِقَامَة كَمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَات وَأَرَدْنَا بِهِمَا حَقِيقَةَ الأَذَان وَالإِقَامَة فَالجَوَابُ هُوَ مَا مَرَّ آنِفًا مِنْ أَنَّ عَدَمَ الكَرَاهَة مَخْصُوصٌ بِوَاحِد وَاثْنَيْنِ مَعَ شَرْط آخَرَ عَلى مَا مَرَّ ذِكْرُهُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ بِنَاءَ أَدَاءِ النَّفْل عَلى الإِخْفَاء وَالسَّتْرِ لِكَوْنِه مَظَنَّةَ رِيَاء وَسُمْعَة وَالجَمَاعَةُ مُنَافِيَةٌ لَهُ وَالمَطْلُوبُ فِي أَدَاء الفَرْضِ الإِظْهَارُ وَالإِعْلَانُ لِأَنَّهُ مُبَرَّأٌ عَنْ شَائِبَة الرِّيَاء وَالسُّمْعَة فَيَكُونُ المُنَاسِبُ أَنْ يُؤَدَّى بِالجَمَاعَة أَوْ نَقُول: إِنَّ كَثْرَةَ الاجْتِمَاعِ مَظَنَّةُ حُدُوث الفِتْنَة وَلِهَذَا اشْتَرَطُوا فِي أَدَاء صَلَاةِ الجُمْعَة حُضُورَ السُّلْطَان أَوْ نَائِبِه حَتَّى يَتَحَقَّقَ الأَمْنُ مِنْ حُدُوث الفِتْنَة وَفِي تِلْكَ الجَمَاعَات المَكْرُوهَات احْتِمَالَ إِيقَاظ الفِتْنَة القَوِيَّة أَيْضًا فَلَا يَكُونُ هَذَا الاجْتِمَاعُ مَعْرُوفًا بَل يَكُونُ مُنْكَرًا وَفِي الحَدِيث النَّبَوِيِّ عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَام "**الفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَهَا**" فَاللَّازِمُ لِوُلَاةِ الأُمُورِ وَقُضَاة الإِسْلَامِ وَأَهْل الاحْتِسَاب مَنْعُ هَذَا الاجْتِمَاعِ وَمُرَاعَاةُ الزَّجْرِ بِأَبْلَغِ الوُجُوه فِي هَذَا البَاب حَتَّى يَتَحَقَّقَ اسْتِيصَال هَذِه البِدْعَةِ المُنْجَرَّةِ إِلى الفِتْنَةِ وَاللهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيل.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ وَالمِائَتَانِ

إلى مَوْلاَنَا بَدْرِ الدِّين

فِي بَيَانِ أَسْرَارِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الذي كَشَفَ سِرَّ القَضَاءِ وَالقَدَرِ عَلى الخَوَاصِّ مِنْ عِبَادِهِ وَسَتَرَ عَنِ العَوَامِّ لِمَكَانِ الضَّلاَلِ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَاقْتِصَادِهِ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى مَنْ أَكْمَلَ بِهِ الحُجَّةَ البَالِغَةَ وَقَطَعَ بِهِ إِعْذَارَ العُصَاةِ الهَالِكَةِ وَعَلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الأَتْقِيَاءِ الذينَ آمَنُوا بِالقَدَرِ وَرَضُوا بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ مِمَّا قَدْ كَثُرَ فِيهِ الحَيْرَةُ وَالضَّلاَلِ غَلَبَ عَلى أَكْثَرِ نَاظِرِيهَا بَاطِلِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ بِمَحْضِ الجَبْرِ فِيمَا يَصْدُرُ عَنِ العَبْدِ بِالاخْتِيَارِ وَنَفَى بَعْضُهُمْ نِسْبَتَهُ إلى الوَاحِدِ القَهَّارِ وَأَخَذَ طَائِفَةٌ بِطَرَفِ الاقْتِصَادِ فِي الاعْتِقَادِ الذي هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ وَالمَنْهَجُ القَوِيمُ وَلَقَدْ وُفِّقَ لِهَذَا الطَّرِيقِ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الذينَ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ — وَعَنْ أَسْلاَفِهِمْ وَأَخْلاَفِهِمْ فَتَرَكُوا الإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ وَاخْتَارُوا الوَسَطَ وَالبَيْنَ رُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ ﷺ فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ هَل فَوَّضَ اللهُ الأَمْرَ إِلى العِبَادِ فَقَالَ فَقَالَ اللهُ - تَعَالى - أَجَلُ مِنْ أَنْ يُفَوِّضَ الرُّبُوبِيَّةَ إِلى العِبَادِ فَقَالَ لَهُ هَل جَبَرَهُمْ عَلى ذَلِكَ فَقَالَ اللهُ - تَعَالى - أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَجْبُرَهُمْ عَلى ذَلِكَ ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ فَقَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ فَقَالَ بَيْنَ بَيْنَ لاَ جَبْرَ وَلاَ تَفْوِيضَ وَلاَ كُرْهَ وَلاَ تَسْلِيطَ لِهَذَا قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِنَّ الأَفْعَالَ الاخْتِيَارِيَّةَ لِلعِبَادِ مَقْدُورَةَ اللهِ - تَعَالى - مِنْ حَيْثُ الخَلْقُ وَالإِيجَادُ وَمقدورةُ العِبَادِ عَلى وَجْهٍ آخَرَ مِنْ تَعَلُقٍ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالاكْتِسَابِ فَحَرَكَةُ العَبْدِ بِاعْتِبَارِ نِسْبَتِهَا إِلى قُدْرَتِهِ - تَعَالى - تُسَمَّى خُلْقًا وَبِاعْتِبَارِ نِسْبَتِهَا إِلى قُدْرَةِ العَبْدِ كَسْبًا لَهُ غَيْرَ أَنَّ الأَشْعَرِيَّ مِنْهُمْ ذَهَبَ إِلى أَنْ لاَ مَدْخَلَ لاخْتِيَارِ العِبَادِ فِي أَفْعَالِهِمْ أَصْلاً إِلاَّ أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - أَوْجَدَ الأَشْيَاءَ عَقِيبَ اخْتِيَارِهِمْ بِطَرِيقِ جَرْيِ العَادَةِ إِذْ لاَ تَأْثِيرَ لِلقُدْرَةِ الحَادِثَةِ عِنْدَهُ وَهَذَا المَذْهَبُ مَائِلٌ إِلى الجَبْرِ وَلِهَذَا يُسَمَّى بِالجَبْرِ المُتَوَسِّطِ قَالَ الأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الإِسْفِرَائِينِيُّ بِتَأْثِيرِ القُدْرَةِ الحَادِثَةِ فِي أَصْلِ الفِعْلِ وَحُصُولِ الفِعْلِ بِمَجْمُوعِ القُدْرَتَيْنِ وَقَدْ جَوَّزَ اجْتِمَاعَ المُؤَثِّرَيْنِ عَلى أَثَرٍ وَاحِدٍ بِجِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ وَقَالَ القَاضِي أَبُو بَكْرٍ البَاقِلاَّنِيُّ بِتَأْثِيرِ القُدْرَةِ الحَادِثَةِ فِي وَصْفِ الفِعْلِ بِأَنْ تَجْعَلَ الفِعْلَ مَوْصُوفًا بِمِثْلِ كَوْنِهِ طَاعَةً وَمَعْصِيَةً وَالمُخْتَارَةُ عِنْدَ العَبْدِ الضَّعِيفِ تَأْثِيرُ القُدْرَةِ الحَادِثَةِ فِي أَصْلِ الفِعْلِ وَفِي وَصْفِهِ مَعًا إِذْ لاَ مَعْنَى لِلتَّأْثِيرِ

فِي الوَصْفِ بِدُونِ التَّأْثِيرِ فِي الأَصْلِ إِذْ الوَصْفُ أَثَرُهُ المُتَفَرِّعُ عَلَيْهِ لَكِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى تَأْثِيرٍ زَائِدٍ عَلَى تَأْثِيرِ أَصْلِ الفِعْلِ إِذْ وُجُودُ الوَصْفِ زَائِدٌ عَلَى وُجُودِ الأَصْلِ وَلَا مَحْذُورَ فِي القَوْلِ بِالتَّأْثِيرِ وَإِنْ كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الأَشْعَرِيِّ إِذَا التَّأْثِيرُ فِي القُدْرَةِ أَيْضًا بِإِيجَادِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - كَمَا أَنَّ نَفْسَ القُدْرَةِ بِإِيجَادِهِ - تَعَالَى - وَالقَوْلُ بِتَأْثِيرِ القُدْرَةِ هُوَ الأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَمَذْهَبُ الأَشْعَرِيِّ دَاخِلٌ فِي دَائِرَةِ الجَبْرِ فِي الحَقِيقَةِ إِذْ لَا اخْتِيَارَ عِنْدَهُ حَقِيقَةً وَلَا تَأْثِيرَ لِلْقُدْرَةِ الحَادِثَةِ عِنْدَهُ أَصْلًا إِلَّا أَنَّ الفِعْلَ الاخْتِيَارِيَّ عِنْدَ الجَبْرِيَّةِ لَا يُنْسَبُ إِلَى الفَاعِلِ حَقِيقَةً بَلْ مَجَازًا وَعِنْدَ الأَشْعَرِيِّ يُنْسَبُ إِلَى الفَاعِلِ حَقِيقَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الاخْتِيَارُ ثَابِتًا لَهُ حَقِيقَةً لِأَنَّ الفِعْلَ يُنْسَبُ إِلَى قُدْرَةِ العَبْدِ حَقِيقَةً سَوَاءً كَانَتْ القُدْرَةُ مُؤَثِّرَةً وَلَوْ فِي الجُمْلَةِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ غَيْرِ الأَشْعَرِيِّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَوْ مَدَارًا مَحْضًا كَمَا هُوَ مَذْهَبُهُ وَبِهَذَا يَتَمَيَّزُ مَذْهَبُ أَهْلِ الحَقِّ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ البَاطِلِ.

وَنَفْيُ الفِعْلِ عَنِ الفَاعِلِ حَقِيقَةً وَإِثْبَاتُهُ لَهُ مَجَازًا كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الجَبْرِيَّةِ كُفْرٌ مَحْضٌ وَإِنْكَارٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ قَالَ صَاحِبُ التَّمْهِيدِ: وَمِنَ الجَبْرِيَّةِ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الفِعْلَ مِنَ العَبْدِ ظَاهِرًا وَمَجَازًا إِمَّا فِي الحَقِيقَةِ لَا اسْتِطَاعَةَ لَهُ وَالعَبْدُ كَالشَّجَرَةِ إِذَا حَرَّكَتْهَا الرِّيحُ تَحَرَّكَتْ فَكَذَلِكَ العَبْدُ مَجْبُورٌ كَالشَّجَرَةِ وَهَذَا كُفْرٌ، وَمَنِ اعْتَقَدَ هَذَا يَصِيرُ كَافِرًا وَقَالَ أَيْضًا فِي مَذْهَبِ الجَبْرِيَّةِ: قَوْلُهُمْ أَنْ لَيْسَ لِلْعَبْدِ أَفْعَالٌ عَلَى الحَقِيقَةِ لَا فِي الخَيْرِ وَلَا فِي الشَّرِّ وَمَا يَفْعَلُهُ العَبْدُ فَالفَاعِلُ هُوَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَهَذَا كُفْرٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لِقُدْرَةِ العَبْدِ تَأْثِيرٌ فِي الأَفْعَالِ وَلَمْ يَكُنْ الاخْتِيَارُ لَهُ حَقِيقَةً فَمَا مَعْنَى نِسْبَةِ الأَفْعَالِ إِلَى العَبْدِ حَقِيقَةً عِنْدَ الأَشْعَرِيِّ

قُلْتُ: إِنَّ القُدْرَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الأَفْعَالِ إِلَّا أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - جَعَلَهَا مَدَارًا لِوُجُودِ الأَفْعَالِ بِأَنْ يَخْلُقَ اللهُ - تَعَالَى - الأَفْعَالَ عَقِبَ صَرْفِ قُدْرَتِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ إِلَى الأَفْعَالِ بِطَرِيقِ جَرْيِ العَادَةِ وَكَأَنَّ القُدْرَةَ عِلَّةٌ عَادِيَّةٌ لِوُجُودِ الأَفْعَالِ فَيَكُونُ لِلْقُدْرَةِ مُدْخَلٌ فِي صُدُورِ الأَفْعَالِ عَادَةً لِأَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ بِدُونِ عَادَةٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الأَفْعَالِ فَبِاعْتِبَارِ العِلَّةِ العَادِيَّةِ تُنْسَبُ إِلَى العِبَادِ أَفْعَالُهُمْ حَقِيقَةً هَذَا هُوَ النِّهَايَةُ فِي تَصْحِيحِ مَذْهَبِ الأَشْعَرِيِّ وَالكَلَامُ بَعْدُ مَحَلُّ تَأَمُّلٍ.

اعْلَمْ أَنْ أَهْلَ السُّنَّة وَالجَمَاعَة آمَنُوا بالقَدَرِ بأَنَّ القَدَرَ خَيْرَه وَشَرَّهُ وَحُلوَهُ وَمُرَّهُ منَ الله - سُبْحَانَهُ - لأَنَّ مَعْنَى القَدَرِ هُوَ الإحْدَاثُ وَالإيجَادُ وَمَعْلومٌ أَنْ لاَ مُحْدثَ وَلاَ مُوجدَ إلاَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ - لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ خَالقُ كل شَيْء فَاعْبُدُوهُ وَالمُعتَزلةُ وَالقَدَريَّةُ أَنْكَرُوا القَضَاءَ وَالقَدَرَ وَزَعَمُوا أَنَّ أَفْعَالَ العبَاد حَاصلَةٌ بقُدْرَة العَبْد وَحْدَهَا قَالوا: لوْ قَضَى اللهُ الشَّرَّ ثُمَّ عَذَّبَهُمْ عَلى ذَلكَ لكَانَ ذَلكَ جَوْرًا منْهُ - سُبْحَانَهُ - وَهَذَا جهْل منْهُمْ لأَنَّ القَضَاءَ لاَ يَسْلبُ القُدْرَةَ وَالاخْتيَارَ عَنِ العَبْد لأَنَّهُ قَضَى بأَنَّ العَبْدَ يَفْعَلهُ أَوْ يَتْرُكُهُ باخْتيَاره.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّهُ يُوجَدُ الاخْتيَارَ وَهُوَ مُحققٌ للاخْتيَار لاَ مُنَاف لهُ وَأَيْضًا إنَّهُ مَنْقُوضٌ بأَفْعَال البَاري - تَعَالى - لأَنَّ فعْلَهُ - سُبْحَانَهُ - بالنَّظَر إلى القَضَاء إمَّا وَاجبٌ أَوْ مُمتَنعٌ لأَنَّهُ إنْ تَعلق القَضَاءُ بالوُجُود فَيَجبُ أَوْ بالعَدَم فَيمْتَنعُ فَإنْ كَانَ وُجُوبُ الفعْل بالاخْتيَار مُنَافيًا لهُ لَمْ يَكُنْ البَاري - تَعَالى - مُخْتَارًا وَهَذَا كُفْرٌ وَلاَ يَخْفَى أَنَّ القَوْلَ باسْتقْلاَل قُدْرَة العَبْد في إيجَاد أَفْعَاله مَعَ كَمَال ضَعْفه في غَايَة السَّخَافَة وَمَنْشَأ نهَايَة السَّفَاهَة وَلهَذَا بَالغ مَشَائخُ مَا وَرَاءَ النَّهْر شَكَرَ اللهُ - تَعَالى - سَعْيَهُمْ في تَضْليلهمْ في هَذه المَسْأَلة حَتَّى قَالوا: إنَّ المَجُوسَ أَسْعَدُ حَالاً منْهُمْ حَيْثُ لَمْ يُثْبتُوا إلاَّ شَريكًا وَاحدًا.

وَالمُعْتَزلةُ أَثْبَتُوا شُرَكَاءَ لاَ تُحْصَى وَزَعَمَتْ الجَبْريَّةُ أَنَّهُ لاَ فعْل للعَبْد أَصْلاً وَأَنَّ حَرَكَاته بمَنْزلة حَرَكَات الجَمَادَات لاَ قُدْرَةَ لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ اخْتيَارَ وَزَعَمُوا أَنَّ العبَادَ لاَ يُثَابُونَ بالخَيْر وَلاَ يُعَاقَبُونَ بالشَّرِّ.

وَالكُفَّارُ وَالعُصَاةُ مَعْذُورُونَ غَيْرُ مَسْئُولينَ لأَنَّ الأَفْعَال كُلهَا منَ الله - تَعَالى - وَالعَبْدُ مَجْبُورٌ في ذَلكَ وَهَذَا كُفْرٌ وَهَؤُلاَء المُرْجئَةُ المَلعُونُونَ الذينَ يَقُولُونَ بأَنَّ المَعْصيَةَ لاَ تَضرُّ وَالمَعَاصي لاَ يُعَاقَبُ وَرُويَ عَنِ النَّبيِّ صَلى اللهُ عليَة وَسَلمَ أَنَّهُ قَال "**لعنَت المُرْجئَةُ عَلى لسَان سَبْعينَ نَبيًّا**"

وَمَذْهَبُهُمْ بَاطل بالضَّرُورَة للفَرْق الظَّاهر بَيْنَ حَرَكَة البَطْش وَحَرَكَة الارْتعَاش وَنَعْلمُ قَطْعًا أَنَّ الأَوَّل باخْتيَاره دُونَ الثَّاني وَالنُّصُوصُ القَطْعيَّةُ تَنْفي هَذَا المَذْهَبَ أَيْضًا كَقَوْله - تَعَالى - {جَزَاءً بمَا كَانُوا يَعْمَلونَ}(١) وَقَوْله سُبْحَانَهُ {فَمَنْ شَاءَ فَليُؤْمنْ وَمَنْ شَاءَ فَليَكْفُرْ}(٢) إلى غَيْر ذَلكَ.

---

(١) — الآية: ١٤ من سورة الأحقاف.

(٢) — الآية: ٢٩ من سورة الكهف.

وَاعْلَمْ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِضَعْفِ هِمَمِهِمْ وَقُصُورِ نِيَّاتِهِمْ يَطْلُبُونَ الاعْتِذَارَ وَدَفْعَ السُّؤَالِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَيَمِيلُونَ إِلَى مَذْهَبِ الأَشْعَرِيِّ بَلْ إِلَى مَذْهَبِ الجَبْرِيِّ فَتَارَةً يَقُولُونَ بِأَنْ لاَ اخْتِيَارَ لِلعَبْدِ حَقِيقَةً وَنِسْبَةُ الفِعْلِ إِلَيْهِ مَجَازٌ وَتَارَةً يَقُولُونَ بِضَعْفِ الاخْتِيَارِ المُسْتَلْزِمِ لِلإِجْبَارِ وَمَعَ ذَلِكَ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ بَعْضِ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذَا المَقَامِ مِنْ أَنَّ الفَاعِلَ وَاحِدٌ لَيْسَ إِلاَّ هُوَ وَأَنْ لا تَأْثِيرَ لِقُدْرَةِ العَبْدِ فِي الأَفْعَالِ أَصْلاً وَأَنَّ حَرَكَاتِهِ بِمَنْزِلَةِ حَرَكَاتِ الجَمَادَاتِ بَلْ وُجُودُ العَبْدِ ذَاتًا وَصِفَةً كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ، وَأَمْثَالُ هَذَا الكَلاَمِ زَادَهُمْ جَرَاءَةً عَلَى المُدَاهَنَةِ وَالمُسَاهَلَةِ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ فَنَقُولُ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الكَلاَمِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ المَرَامِ: إِنَّ الاخْتِيَارَ لَوْ لَمْ يَكُنْ ثَابِتًا لِلعَبْدِ حَقِيقَةً كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الأَشْعَرِيِّ لَمَا نَسَبَ اللهُ - تَعالى - الظُّلْمَ إِلَى العِبَادِ إِذْ لاَ اخْتِيَارَ لَهُمْ وَلاَ تَأْثِيرَ لِقُدْرَتِهِمْ وَإِنَّمَا هِيَ مَدَارٌ مَحْضٌ عِنْدَهُ وَقَدْ نَسَبَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - الظُّلْمَ إِلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ المَجِيدِ وَمُجَرَّدُ المَدَارِيَّةِ بِدُونِ التَّأْثِيرِ وَلَوْ فِي الجُمْلَةِ لاَ يُوجِبُ الظُّلْمَ مِنْهُمْ.

نَعَمْ إِنَّ الإِيلاَمَ وَالتَّعْذِيبَ لِلعِبَادِ مِنْهُ - تَعَالى - مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الاخْتِيَارُ ثَابِتًا لَهُمْ لَيْسَ بِظُلْمٍ أَصْلاً إِذْ هُوَ - سُبْحَانَهُ - مَالِكٌ عَلَى الإِطْلاَقِ يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ أَمَّا نِسْبَةُ الظُّلْمِ إِلَيْهِمْ فَمُسْتَلْزِمٌ لِثُبُوتِ الاخْتِيَارِ لَهُمْ وَاحْتِمَالُ المَجَازِ فِي هَذِهِ النِّسْبَةِ خِلاَفُ المُتَبَادِرِ فَلاَ يُرْتَكَبُ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَأَمَّا القَوْلُ بِضَعْفِ الاخْتِيَارِ فَلاَ يَخْلُو إِمَّا يُرَادُ بِهِ الضَّعْفُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اخْتِيَارِهِ - تَعَالى - فَمُسَلَّمٌ وَلاَ نِزَاعَ فِيهِ لأَحَدٍ وَكَذَا الضَّعْفُ بِمَعْنَى عَدَمِ الاسْتِقْلاَلِ فِي صُدُورِ الأَفْعَالِ أَيْضًا مُسَلَّمٌ.

وَأَمَّا الضَّعْفُ بِمَعْنَى عَدَمِ المَدْخَلِيَّةِ لِلاخْتِيَارِ فِي الأَفْعَالِ فَمَمْنُوعٌ وَهُوَ أَوَّلُ المَسْأَلَةِ وَسَنَدُ المَنْعِ قَدْ مَرَّ مُفَصَّلاً.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ اللهَ - تَعَالى - كَلَّفَ عِبَادَهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ وَاسْتِطَاعَتِهِمْ وَخَفَّفَ فِي التَّكْلِيفِ لِضَعْفِ خَلْقِهِمْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾(١) كَيْفَ وَهُوَ سُبْحَانَهُ حَكِيمٌ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَلاَ يَلِيقُ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالحِكْمَةِ تَكْلِيفُ مَا لاَ يَسْتَطِيعُ لَهُ العَبْدُ فَلَمْ يُكَلِّفْ بِرَفْعِ الصَّخْرَةِ

---

(١) ــ الآية: ٢٨ من سورة النساء.

العَظِيمَة التِي لاَ يَقْدِرُ عَلى رَفْعِهَا العَبْدُ بَل كَلفَ بمَا هُوَ يَسيرٌ عَلى العَبْد منَ الصَّلاَة وَالمُشْتَملة عَلى القيَام وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُود وَالقرَاءَة المُيَسَّرَة وَكُل ذلكَ يَسيرٌ غَايَةَ اليُسْر وَكَذَا الصَّوْمُ مَثلاً في نهَايَة السُّهُولة وَالزَّكَاةُ أَيْضًا كَذَلكَ إذْ قَدَّر برُبْعِ العُشْر وَلَمْ يُقَدِّرْ بالكُل وَالنِّصْف مَثلاً لئَلاَّ يَثْقل عَلى العِبَاد وَمنْ كَمَال الرَّأْفَة جَعَل للمَأْمُور به خَلفًا إنْ تَعَسَّرَ الأَصْل فَجَعَل للوُضُوء خَلفًا هُوَ التَّيَمُّمُ وَكَذَا أَحْكَم بأَنَّ مَنْ لَمْ يَقْدرْ عَلى القيَام صَلى قَاعدًا وَإنَّ مَنْ لَمْ يَقْدرْ عَلى القُعُود صَلى مُضْطَجعًا وَكَذَا مَنْ لَمْ يَقْدرْ عَلى الرُّكُوعِ وَالسُّجُود صَلى مُوميًا إلى غَيْر ذَلكَ ممَّا يَخْفَى عَلى النَّاظرِ في الأَحْكَام الشَّرْعيَّة بنَظَر الاعْتبَار وَالإنْصَاف فَيَجدُ تَمَامَ التَّكْليفَات الشَّرْعيَّة في غَايَة اليُسْر وَنهَايَة السُّهُولة وَيُطَالعُ كَمَال الرَّحْمَة منْهُ - سُبْحَانَهُ - بالعبَاد في صَفَحَات التَّكْليفَات، وَمصْدَاقُ تَخْفيف التَّكْليفَات تَمَنِّي العَوَامِّ في زيَادَة التَّكليف منَ المَأْمُورَات فَإنَّ بَعْضَهُمْ يَتَمَنَّى الزِّيَادَةَ في الصَّوْم المَفْرُوض وَبَعْضَهُمْ في الصَّلوَات المَفْرُوضَات وَعَلى هَذَا القيَاس وَمَا هَذَا التَّمَنِّي إلاَّ لكَمَال التَّخْفيف.

وَعَدَمُ وُجْدَان اليُسْر في أَدَاء الأَحْكَام للبَعْض مَبْنيٌّ عَلى وُجُود ظُلمَات نَفْسَانيَّة وَكُدُورَات طَبيعيَّة نَاشئَة عَنْ هَوَى النَّفْس الأَمَّارَة المُنْتَصبَة لمُعَادَاة الله - سُبْحَانَهُ - قَال اللهُ - سُبْحَانَهُ -: {كَبُرَ عَلى المُشْركينَ مَا تَدْعُوهُمْ إليْه}(١). وَقَال - تَعَالى - {وَإنَّهَا لكَبيرَةٌ إلاَّ عَلى الخَاشعينَ}(٢) فَكَمَا أَنَّ مَرَضَ الظَّاهر مُوجبُ العُسْر في أَدَاء الأَحْكَام كَذَلكَ مَرَضُ البَاطن أَيْضًا مُوجبٌ لذَلكَ العُسْر وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ الشَّريفُ لإبْطَال رُسُوم النَّفْس الأَمَّارَة وَرَفْع هَوَاجسهَا فَهَوَى النَّفْس وَمُتَابَعَةُ الشَّريعَة عَلى طَرَفَي نَقيض فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ وُجُودُ ذَلكَ العُسْر دَليل وُجُود هَوَى النَّفْس فَيُقَدَّرُ وُجُودُ الهَوَى بقَدْر العُسْر فَإذَا انْتَفَى الهوَى كُليَّةً انْتَفَى العُسْرُ رَأْسًا وَأَمَّا كَلاَمُ بَعْض الصُّوفيَّة المَذْكُورُ سَابقًا في نَفْي الاخْتيَار وَضَعْفه فَاعْلَمْ أَنَّ كَلاَمَهُمْ إنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابقًا لأَحْكَام الشَّريعَة فَلاَ اعْتبَارَ لَهُ أَصْلاً فَكَيْفَ يَصْلحُ للحُجَّة وَالتَّقْليد وَإنَّمَا الصَّالحُ للحُجَّة وَالتَّقْليد أَقْوَال العُلمَاء منْ أَهْل السُّنَّة فَمَا وَافَقَ أَقْوَالهُمْ منْ كَلاَم الصُّوفيَّة يُقْبَل وَمَا خَالفَهُمْ لاَ يُقْبَل عَلى أَنَّا نَقُول: إنَّ الصُّوفيَّةَ المُسْتَقيمَةَ الأَحْوَال لاَ يَتَجَاوَزُونَ الشَّريعَةَ أَصْلاً لاَ في الأَحْوَال وَلاَ في الأَعْمَال وَلاَ في الأَقْوَال وَلاَ في العُلوم وَلاَ في المَعَارف وَيَعْلمُونَ أَنَّ بَقيَّةَ الخلاَف مَعَ الشَّريعَة

---

(١) ـــ الآية: ١٣ من سورة الشورى.

(٢) ـــ الآية: ٤٥ من سورة البقرة.

نَاشِيَةٌ عَنْ سَقَمٍ فِي الحَال وَخَلل فيه وَلوْ صَدَقَ الحَال مَا خَالفَ الشَّرِيعَةَ الحَقَّةَ وَبِالجُمْلة خلاَفُ الشَّرِيعَة دَليل الزَّنْدَقَة وَعلاَمَةُ الإلحَاد.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنْ الصُّوفِيَّ لوْ تَكَلَمَ بِكَلاَم مُخَالف للشَّرِيعَة نَاشٍ عَنِ الكَشْف فِي غَلبَة الحَال وَسُكْرِ الوَقْت فَهُوَ مَعْذُورٌ وَكَشْفُهُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَغَيْرُ صَالحٍ للتَّقْلِيد بَل يَنْبَغِي أَنْ يُحْمل كَلاَمُهُ وَيُصْرَفَ عَنْ ظَاهِره فَإنَّ كَلاَمَ السَّكَارَى يُحْمَل وَيُصْرَفُ عَنِ الظَّاهِرِ هَذَا مَا تَيَسَّرَ لِي فِي هَذَا المَقَامِ بِعَوْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ تَعَالى الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى.

المَكْتُوبُ التِّسْعُونَ وَالمِائَتَانِ

إلى الملا مُحَمَّد هَاشِم

فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ الَّذي خَصَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ به فِي أَوَائِلِ حَالِه وَوَفَّقَهُ لِتَسْلِيكِ الطَّالِبِينَ إِلَيْه وَبَيَانِ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ وَبَيَانَ انْدِرَاجَ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ وَبَيَانِ الحُضُورِ المُعْتَبَرِ عِنْدَ أَكَابِرِ هَذَا الطَّرِيقِ المُعَبَّرِ عَنْهُ بِالنِّسْبَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ الأَحْوَالِ وَالأَذْوَاقِ وَالمَعَارِفِ الحَاصِلَةِ لَهُ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَبَيَانَ جَذَبَاتِ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ وَمَا يُنَاسِبُهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَآلِه وَأَصْحَابِه الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ اعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ الذي هُوَ أَقْرَبُ وَأَسْبَقُ وَأَوْفَقُ وَأَوْثَقُ وَأَسْلَمُ وَأَحْكَمُ وَأَصْدَقُ وَأَدل وَأَعلى وَأَجل وَأَرْفَعُ وَأَكْمل هُوَ الطَّرِيقَةُ النَّقْشَبَنْدِيَّةُ العَلِيَّةُ قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَ أَهَالِيهَا وَأَسْرَارَ مَوَالِيهَا وَكُل عَظَمَة هَذَا الطَّرِيقِ وَعُلُوُّ شَأْنِ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ بِوَاسِطَةِ التِزَامِ مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَاجْتِنَابُ البِدْعَةِ الغَيْرِ المَرْضِيَّةِ وَهُمُ الذينَ انْدَرَجَتْ نِهَايَةُ الأَمْرِ فِي بِدَايَتِهِمْ كَالأَصْحَابِ الكِرَامِ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ مِنَ المَلِكِ المَنَّانِ وَكَانَ شُعُورُهُمْ وَحُضُورُهُمْ عَلَى سَبِيلِ الدَّوَامِ وَصَارَ فَوْقَ شُعُورِ الآخَرِينَ بَعْدَ الوُصُولِ إلى دَرَجَةِ الكَمَالِ.

أَيُّهَا الأَخُ، أَرْشَدَكَ اللهُ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ لَمَّا ظَهَرَ فِي هَذَا الدَّرْوِيشِ هَوَسُ هَذَا الطَّرِيقِ وَصَارَتْ عِنَايَةُ الحَقِّ - جَلَ وَعَلَا - هَادِيَتَهُ وَأَوْصَلَتْهُ إِلَى صَاحِبِ الوِلَايَةِ وَمَعْدِنِ الحَقِيقَةِ هَادِي طَرِيقِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ وَإِلَى السَّبِيلِ المُوَصِّلِ إِلَى دَرَجَاتِ الوَلَايَةِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ الرَّضِيِّ شَيْخِنَا وَإِمَامِنَا مُحَمَّدِ البَاقِيِّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ أَحَدِ كِبَارِ خُلَفَاءِ طَائِفَةِ حَضَرَاتِ الأَكَابِرِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ فَعلمُ هَذَا الدَّرْوِيشَ ذِكْرُ اسْمِ الذَّاتِ وَتَوَجُّهٌ بِالطَّرِيقِ المَعْهُودِ حَتَّى ظَهَرَ فِي التِذَاذ تَامٌّ وَعَرَضَ لِي البُكَاءُ مِنْ كَمَالِ الشَّوْقِ ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِد كَيْفِيَّةُ الذُّهُولِ وَعَدَمُ الشُّعُورِ المُعْتَبَرَةِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ المُسَمَّاةِ بِالغَيْبَةِ فَرَأَيْتُ فِي تِلْكَ الغَيْبَةِ بَحْرًا مُحِيطًا وَوَجَدْتُ صُوَرَ العَالَمِ وَأَشْكَالَهُ كَالظِّلِّ فِي ذَلِكَ البَحْرِ وَاسْتَوْلَتْ هَذِه الغَيْبَةُ شَيْئًا فَشَيْئًا وَامْتَدَّتْ وَصَارَتْ تَمْتَدُّ أَحْيَانًا إِلَى سَاعَتَيْنِ مِنْ نَهَارٍ وَأَحْيَانًا إِلَى أَرْبَعِ سَاعَاتٍ وَكَانَتْ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ تَسْتَوْعِبُ اللَيْلِ وَلَمَّا عَرَضْتُ هَذِهِ الوَاقِعَةَ عَلَى حَضْرَةِ

الشَّيْخِ قَالَ: قَدْ حَصَلَ نَحْوٌ مِنَ الفَنَاءِ وَمَنْعٌ عَنِ الذِّكْرِ وَأَمَرَ بِحِفْظِ ذَلِكَ الحُضُورِ وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ حَصَلَ لِي الفَنَاءُ المُصْطَلَحُ فَعَرَضْتُهُ عَلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالاشْتِغَالِ بِشَأْنِكَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَصَلَ فَنَاءُ الفَنَاءِ فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُ تَمَامَ العَالَمِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ وَمُتَّصِلاً بَعْضُهُ بِبَعْضٍ قُلْتُ: نَعَمْ فَقَالَ: إِنَّ المُعْتَبَرَ فِي حُصُولِ فَنَاءِ الفَنَاءِ هُوَ حُصُولُ عَدَمِ الشُّعُورِ مَعَ وُجُودِ رُؤْيَةِ هَذَا الاتِّصَالِ فَحَصَلَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَنَاءُ الفَنَاءِ بِتِلْكَ الصِّفَةِ فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَعَرَضْتُ مَا حَصَلَ بَعْدَ الفَنَاءِ مِنَ الحَالَةِ وَقُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ عِلْمِي بِالنِّسْبَةِ إِلَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - حُضُورِيًّا وَأَجَل الأَوْصَافَ الَّتِي كَانَتْ مَنْسُوبَةً إِلَى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ظُهُورُ نُورٍ مُحِيطٍ بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ فَظَنَنْتُهُ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَكَانَ لَوْنُ ذَلِكَ النُّورِ سَوَادًا فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ الحَقُّ - جَلَّ وَعَلاَ - مَشْهُودٌ وَلَكِنَّ ذَلِكَ الشُّهُودَ فِي حِجَابِ النُّورِ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الانْبِسَاطَ الَّذِي يُرَى فِي ذَلِكَ النُّورِ هُوَ فِي العِلْمِ وَإِنَّمَا يُرَى مُنْبَسِطًا كَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ تَعَلُّقِ ذَاتِ الحَقِّ - جَلَّ وَعَلاَ - بِالأَشْيَاءِ المُتَعَدِّدَةِ الوَاقِعَةِ أَعْلَى وَأَدْنَى فَيَنْبَغِي نَفْيُ الانْبِسَاطِ ثُمَّ شَرَعَ ذَلِكَ النُّورُ الأَسْوَدُ المُنْبَسِطُ فِي الانْقِبَاضِ وَالتَّضَايُقِ حَتَّى صَارَ كَنُقْطَةٍ فَقَالَ: يَنْبَغِي نَفْيُ تِلْكَ النُّقْطَةِ أَيْضًا حَتَّى يَنْجَرَّ الأَمْرُ إِلَى الحَيْرَةِ فَفَعَلْتُ كَذَلِكَ حَتَّى زَالَتْ تِلْكَ النُّقْطَةُ المَوْهُومَةُ أَيْضًا مِنَ البَيْنِ وَانْجَرَّ الأَمْرُ إِلَى الحَيْرَةِ الَّتِي هُنَاكَ شُهُودُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ فَلَمَّا عَرَضْتُهُ عَلَيْهِ قَالَ: هَذَا الحُضُورُ هُوَ الحُضُورُ المُعْتَبَرُ عِنْدَ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَنِسْبَتُهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ هَذَا الحُضُورِ وَيُقَالُ لِهَذَا الحُضُورِ حُضُورًا بِلاَ غَيْبَةٍ أَيْضًا وَانْدِرَاجُ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ يُتَصَوَّرُ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ وَحُصُولُ هَذِهِ النِّسْبَةِ لِلطَّالِبِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ كَأَخْذِ الطَّالِبِ فِي سَلاَسِلَ أُخَرَ الأَذْكَارَ وَالأَوْرَادَ مِنْ شَيْخِهِ لِيَعْمَلَ بِهَا وَيَصِلَ إِلَى مَقْصُودِهِ، (ع):

وَقِسْ مِنْ حَالِ بُسْتَانِي رَبِيعِي

وَكَانَ حُصُولُ هَذِهِ النِّسْبَةِ العَزِيزَةِ الوُجُودِ لِهَذَا الدَّرْوِيشِ بَعْدَ مُضِيِّ شَهْرَيْنِ وَبِضْعَةِ أَيَّامٍ مِنَ ابْتِدَاءِ تَعْلِيمِ الذِّكْرِ وَبَعْدَ تَحَقُّقِ هَذِهِ النِّسْبَةِ حَصَلَ فَنَاءٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ الفَنَاءُ الحَقِيقِيُّ وَحَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنَ الوُسْعَةِ مَا لَيْسَ لِتَمَامِ العَالَمِ مِنَ العَرْشِ إِلَى مَرْكَزِ الفَرْشِ قَدْرٌ فِي جَنْبِهِ مِقْدَارُ خَرْدَلَةٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُ نَفْسِي وَكُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ العَالَمِ بَلْ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْهُ الحَقَّ - جَلَّ وَعَلاَ - وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُ كُلَّ ذَرَّةٍ فُرَادَى فُرَادَى عَيْنَ نَفْسِي وَرَأَيْتُ نَفْسِي عَيْنَ جَمِيعِ الذَّرَّاتِ حَتَّى وَجَدْتُ تَمَامَ العَالَمِ

مُضْمَحلاً فِي ذَرَّة وَاحدَة ثُمَّ بَعْدَ ذَلكَ رَأَيْتُ نَفْسِي بَل جَميعَ ذَرَّة مُنْبَسطًا وَوَسيعًا بحَيْثُ يَسَعُ تَمَامَ العَالَمِ وَأَضْعَافَهُ بَل وَجَدْتُ نَفْسِي وَكُل ذَرَّة نُورًا مُنْبَسطًا سَارِيًا فِي كُل ذَرَّة، وَصُوَرُ العَالَمِ وَأَشْكَالُهُ مُضْمَحل فِي ذَلكَ النُّور وَمُتَلاَش فيه بَل وَجَدْتُ كُل ذَرَّة مُقَوِّمًا لتَمَام العَالَمِ وَلَمَّا عَرَضْتُ ذَلكَ قَال: إنَّ مَرْتَبَةَ حَقِّ اليَقين في التَّوْحيد هِيَ ذَلكَ وَجَمْعُ الجَمْعِ عبَارَةٌ عَنْ هَذَا المَقَامِ ثُمَّ وَجَدْتُ صُوَرَ العَالَمِ وَأَشْكَالَهُ التِي كُنْتُ وَجَدْتُهَا أَوَّلاً عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - مَوْهُومَةً فِي ذَلكَ الوَقْت وَمَا كُنْتُ وَجَدْتُهُ منَ الذَّرَّات عَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَجَدْتُ جَميعَهَا منْ غَيْر تَفَاوُت وَتَمْييز مَوْهُومَةً فَعَرَضَتْ لي حينَئذ غَايَةُ الحَيْرَة فَتَذَكَّرْتُ في ذَلكَ الوَقْت عبَارَةَ الفُصُوص التي كُنْتُ سَمعْتُهَا منْ وَالدي المَاجد عَلَيْه الرَّحْمَةُ حَيْثُ قَال: إنْ شئْتَ قُلتَ إنَّهُ أَيُّ العَالَمِ حَقٌّ وَإنْ شئْتَ قُلتَ: إنَّهُ خَلقٌ وَإنْ شئْتَ قُلتَ: إنَّهُ منْ وَجْه حَقٌّ وَمنْ وَجْه خَلقٌ وَإنْ شئْتَ قُلتَ بالحَيْرَة لعَدَم تَمْييز بَيْنهمَا فَصَارَتْ هَذه العبَارَةُ مُسَكِّنَةً لذَلكَ الاضْطرَاب في الجُمْلة وَبَعْدَ ذَلكَ أَتَيْتُ مُلاَزَمَةَ شَيْخنَا وَعَرَضْتُ عَلَيْه حَالي فَقَال مَا كَانَ حُضُورُكَ صَافيًا بَعْدَ عَلَيْك بالاشْتغَال بأَمْرك حَتَّى يَظْهَرَ تَمَيُّزُ المَوْجُود منَ المَوْهُومِ فَقَرَأْتُ عَلَيْه عبَارَةَ الفُصُوص المُشْعرَة بَعْدَ التَّمْييز فَقَال: إنَّ الشَّيْخَ مَا بَيْنَ حَال الكَامل وَعَدَم التَّمْييز أَيْضًا ثَابتٌ بالنِّسْبَة إلى البَعْضِ فَكُنْتُ مَشْغُولاً حَسَبَ الأَمْر فَأَظْهَرَ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - بَعْدَ يَوْمَين بمَحْضِ تَوَجُّه حَضْرَة شَيْخنَا تَمْييزًا بَيْنَ المَوْجُود وَالمَوْهُوم حَتَّى وَجَدْتُ المَوْجُودَ الحَقيقيَّ مُمْتَازًا منَ المَوْهُومِ المُتَخَيَّل وَرَأَيْتُ الصِّفَات وَالأَفْعَال وَالآثَارَ التي تُرَى منَ المَوْهُومِ صَادرَةً عَنِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَوَجَدْتُ تلكَ الصِّفَات وَالأَفْعَال أَيْضًا مُوهمَةً وَلَمْ أَرَ في الخَارجِ مَوْجُودًا غَيْرَ ذَات وَاحدَة وَلَمَّا عَرَضْتُ ذَلكَ قَال: هَذَا هُوَ مَرْتَبَةُ الفَرْق بَعْدَ الجَمْعِ وَنهَايَةُ السَّعْي إلى هُنَا وَبَعْدَ ذَلكَ يَظْهَرُ مَا اسْتُودعَ في قَابليَّة كُل شَخْص وَاسْتعْدَاده وَقَال مَشَائخُ الطَّريقَة لهَذَا المَرْتَبَة مَقَامُ التَّكْميل.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدَّرْويشَ لَمَّا نَظَرْتُ إلى كُل ذَرَّة منْ ذَرَّاتي بَعْدَمَا أُخْرجْتُ في المَرَّة الأَوْلى منَ السُّكْر إلى الصَّحْو وَبَعْدَ مَا شُرِّفْتُ بَعْدَ الفَنَاء بالبَقَاء لَمْ أَجدْ غَيْرَ الحَقِّ وَوَجَدْتُ جَميعَ الذَّرَّات مرْآةً لشُهُوده - سُبْحَانَهُ - ثُمَّ أُخْرجْتُ منْ ذَلكَ المَقَامِ إلى الحَيْرَة وَلَمَّا رَجَعْتُ إلى نَفْسي يَعْني صَحَوْتُ منَ الحَيْرَة وَجَدْتُ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - مَعَ كُل ذَرَّة منْ ذَرَّات وُجُودي لاَ فيهَا وَكَانَ المَقَامُ السَّابقُ في النَّظَر أَسْفَل وَأَدْنَى منْ هَذَا المَقَامِ الثَّاني ثُمَّ أُخْرجْتُ إلى الحَيْرَة وَلَمَّا أَفَقْتُ وَجَدْتُ الحَقَّ -

سُبْحَانَهُ - فِي تِلْكَ المَرَّةِ لاَ مُتَّصِلاً بِالعَالَمِ وَلاَ مُنْفَصِلاً عَنْهُ وَلاَ دَاخِلَ العَالَمِ وَلاَ خَارِجَهُ وَصَارَتْ نِسْبَةُ المَعِيَّةِ وَالإِحَاطَةِ وَالسَّرَيَانِ عَلَى نَهْجٍ كُنْتُ وَجَدْتُهَا أَوَّلاً مُنْتَفِيَةً بِالكُلِّيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ مَشْهُودًا بِتِلْكَ الكَيْفِيَّةِ بَلْ كَأَنَّهُ مَحْسُوسٌ وَكَأَنَّ العَالَمَ أَيْضًا مَشْهُودًا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِلحَقِّ - سُبْحَانَهُ - شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ النِّسَبِ المَذْكُورَةِ ثُمَّ وَقَعْتُ فِي الحَيْرَةِ وَلَمَّا أُخْرِجْتُ إِلَى الصَّحْوِ صَارَ مَعْلُومًا أَنَّ لِلحَقِّ - سُبْحَانَهُ - نِسْبَةً بِالعَالَمِ وَرَاءَ النِّسَبِ المَذْكُورَةِ وَهَذِهِ النِّسْبَةُ مَجْهُولَةُ الكَيْفِيَّةِ وَكَانَ - تَعَالَى - مَشْهُودًا بِالنِّسْبَةِ المَجْهُولَةِ الكَيْفِيَّةِ ثُمَّ أُخْرِجْتُ إِلَى الحَيْرَةِ وَعُرِضَ لِي فِي تِلْكَ المَرْتَبَةِ نَحْوٌ مِنَ القَبْضِ وَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي صَارَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - مَشْهُودًا بِغَيْرِ تِلْكَ النِّسْبَةِ المَجْهُولَةِ الكَيْفِيَّةِ عَلَى طَوْرٍ لاَ نِسْبَةَ لَهُ بِالعَالَمِ أَصْلاً لاَ مَعْلُومَةَ الكَيْفِيَّةِ وَلاَ مَجْهُولَةَ الكَيْفِيَّةِ وَكَانَ العَالَمُ مَشْهُودًا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ بِتِلْكَ الخُصُوصِيَّةِ وَحَصَلَ لِي فِي ذَلِكَ الوَقْتِ عِلْمٌ خَاصٌّ عِنَايَةً مِنَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَبِسَبَبِ هَذَا العِلْمِ لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالخَلْقِ مُنَاسَبَةٌ أَصْلاً مَعَ وُجُودِ كِلاَ الشُّهُودَيْنِ وَصَارَ مَعْلُومًا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ أَنَّ هَذَا المَشْهُودَ مَعَ هَذِهِ الصِّفَةِ وَمَعَ هَذَا التَّنْزِيهِ لَيْسَ هُوَ ذَاتَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ ذَلِكَ بَلْ هُوَ صُورَةٌ مِثَالِيَّةٌ لِتَعَلُّقِ تَكْوِينِهِ - تَعَالَى - الَّذِي هُوَ وَرَاءَ التَّعَلُّقَاتِ الكَوْنِيَّةِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ التَّعَلُّقُ مَعْلُومَ الكَيْفِيَّةِ أَوْ مَجْهُولَ الكَيْفِيَّةِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، شِعْرٌ:

كَيْفَ الوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا   قُلَلُ الجِبَالِ وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

أَيُّهَا الأَخُ الأَعَزُّ إِنِّي إِنْ أَجْرَيْتُ القَلَمَ فِي تَفْصِيلِ الأَحْوَالِ وَتَبَيُّنِ المَعَارِفِ لاَنْجَرَّ إِلَى التَّطْوِيلِ وَالإِطْنَابِ وَعَلَى الخُصُوصِ لَوْ بَيَّنْتُ مَعَارِفَ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَعُلُومَ ظِلِّيَّةِ الأَشْيَاءِ لَعَلِمَ الَّذِينَ مَضَى عُمْرُهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا قَطْرَةً مِنْ ذَلِكَ البَحْرِ الَّذِي لاَ نِهَايَةَ لَهُ وَالعَجَبُ أَنَّ تِلْكَ الجَمَاعَةَ لاَ يَظُنُّونَ هَذَا الدَّرْوِيشَ مِنْ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ بَلْ يَعُدُّونَهُ مِنَ العُلَمَاءِ المُنْكِرِينَ لِلتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَيَزْعُمُونَ مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ أَنَّ الإِصْرَارَ عَلَى المَعَارِفِ التَّوْحِيدِيَّةِ مِنَ الكَمَالِ وَالتَّرَقِّي مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ نَقْصٌ أَوْ مُحَالٌ، شِعْرٌ:

كَمْ مِنْ بَلِيدٍ غُفُولٍ عَنْ مَعَائِبِهِ   يَسْتَحْسِنُ العَيْبَ زَعْمًا أَنَّهُ حَسَنٌ

وَمُسْتَشْهَدُ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ فِي هَذَا الأَمْرِ أَقْوَالُ المَشَايِخِ المُتَقَدِّمِينَ الَّتِي صَدَرَتْ فِي التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ رَزَقَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - الإِنْصَافَ مِنْ أَيْنَ عَلِمُوا أَنَّ هَؤُلاَءِ المَشَايِخَ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ تَرَقٍّ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ وَبَقُوا مَحْبُوسِينَ فِيهِ وَلَيْسَ الكَلاَمُ

فِي حُصُولِ المَعَارِفِ التَّوْحيدِيَّةِ فَإِنَّهُ وَاقِعٌ أَلْبَتَّةَ وَإِنَّمَا الكَلاَمُ فِي التَّرَقِّي مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ فَإِنْ قَالوا: صَاحِبُ التَّرَقِّي مُنْكِرٌ لِلتَّوْحِيدِ وَاصْطَلحُوا عَلى ذَلِكَ فَلاَ مُنَاقَشَةَ فِيه.

وَلنَرْجعْ إِلى أَصْلِ الكَلاَمِ وَنَقُول: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي القَلِيلِ دَلاَلَةٌ عَلى الكَثِيرِ وَفِي القَطْرَةِ إِشَارَةٌ إِلى البَحْرِ الغَزِيرِ اكْتَفَيْتُ بِالقَطْرَةِ وَاقْتَصَرْتُ عَلى القَلِيل.

أَيُّهَا الأَخُ، إِنَّ شَيْخَنَا لَمَّا حَكَمَ لِي بِالكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ أَجَازَ لِي بِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَأَحَال عَلى جَمَاعَةٍ مِنَ الطَّالبِينَ كَانَ لِي فِي ذَلِكَ الوَقْتِ تَرَدُّدٌ فِي كَمَالِي وَتَكْمِيلِي فَقَال: لَيسَ هَذَا مَحَلَّ التَّرَدُّدِ فَإِنَّ المَشَايخ العِظَامَ قَالوا لِهَذَا المَقَامِ مَقَامُ الكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ فَلوْ جَازَ تَرَدُّدٌ فِي هَذَا المَقَامِ يَلزَمُهُ تَرَدُّدٌ فِي كَمَالِيَّةِ هَؤُلاَءِ المَشَايخِ الكِرَامِ فَشَرَعْتُ فِي تَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ حَسَبَ الأَمْرِ وَرَاعَيْتُ التَّوَجُّهَاتِ فِي أَحْوَالِ الطَّالبِينَ فَصَارَتْ الآثَارُ العِظَامُ مَحْسُوسَةً فِي المُسْتَرْشِدِينَ حَتَّى تَقَرَّرَ عَلى السَّاعَاتِ أَمْرُ السِّنِينَ وَاشْتَغَلتُ بِهَذِهِ الأَشْغَالِ أَوْقَاتًا ظَهَرَ آخِرَ الأَمْرِ العِلمُ يَنْقصِي وَظَهَرَ لِي أَنَّ التَّجَلِيَ البَرْقِيَّ الذِي قَالَ المَشَايخُ فِيهِ أَنَّهُ نِهَايَةُ الأَمْرِ لَمْ يَظْهَرْ لِي فِي هَذَا الطَّرِيقِ أَصْلاً وَلَمْ يَعْلَمْ السَّيْرَ إِلى اللهِ وَالسَّيْرَ فِي اللهِ أَيْضًا إِنَّهُمَا مَا هُمَا وَلاَ بُدَّ مِنْ تَحْصِيلِ هَذِهِ الكَمَالاَتِ وَصَارَ العِلمُ بِنَقْصِي مُبَرْهَنًا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ فَجَمَعْتُ الطَّالبِينَ الذِينَ حَوْلِي وَحَدَّثْتُهُمْ حَدِيثَ نَقْصِي وَوَدَّعْتُ جَمِيعَهُمْ وَلَكِنَّ الطَّالبِينَ حَمَلوا هَذَا المَعْنَى عَلى التَّوَاضُعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ وَلَمْ يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ كَانُوا عَليْهِ فَرَزَقَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - الأَحْوَالَ المُنْتَظَرَةَ بِحُرْمَةِ حَبِيبِهِ عَليْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

اعْلمْ أَنَّ حَاصِلَ طَرِيقَةِ حَضْرَةِ خَوَاجكَانَ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ وَاجْتِنَابُ البِدْعَةِ الرَّدِيَّةِ وَالأَهْوَاءِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالعَمَلِ بِالعَزِيمَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ وَالاحْتِرَازُ عَنِ العَمَلِ بِالرُّخْصَةِ وَالاسْتِهْلاَكِ وَالاضْمِحْلاَلِ أَوَّلاً فِي جِهَةِ الجَذْبَةِ وَعَبَّرُوا عَنْ هَذَا الاسْتِهْلاَكِ بِالعَدَمِ.

وَالبَقَاءُ الذِي يَحْصُلُ فِي هَذِهِ الجِهَةِ بَعْدَ الاسْتِهْلاَكِ مُعَبَّرٌ عَنْهُ بِوُجُودِ العَدَمِ يَعْنِي وُجُودَ بَقَاءٍ مُتَرَتِّبٍ عَلى العَدَمِ الذِي هُوَ الاسْتِهْلاَكُ وَهَذَا الاسْتِهْلاَكُ وَالاضْمِحْلاَلُ لَيسَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الغَيْبَةِ عَنِ الحِسِّ بَل قَدْ تَتَّفِقُ الغَيْبَةُ عَنِ الحِسِّ لِلبَعْضِ مَعَ هَذَا الاسْتِهْلاَكِ وَقَدْ لاَ تَقَعُ لِلبَعْضِ الآخَرِ وَصَاحِبُ هَذَا البَقَاءِ يُمْكِنُ أَنْ يَرْجِعَ إِلى الصِّفَاتِ البَشَرِيَّةِ وَأَنْ يَعُودَ إِلى الأَخْلاَقِ النَّفْسَانِيَّةِ بِخِلاَفِ البَقَاءِ الذِي هُوَ

مُتَرَتِّبٌ عَلى الفَنَاء فَإِنَّ العَوْدَ مِنْهُ غَيْرُ جَائِزٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيُّ قَدَّسَ اللهُ – تَعَالَى – سِرَّهُ الأَقْدَسَ: إِنَّ وُجُودَ العَدَمِ يَعُودُ إِلى وُجُود البَشَرِيَّة وَأَمَّا وُجُودُ الفَنَاء فَلاَ يَعُودُ إِلى وُجُود البَشَرِيَّة أَصْلاً فَإِنَّ البَاقِيَ بِالبَقَاءِ الأَوَّل هُوَ فِي الطَّرِيقِ بَعْدُ وَالرُّجُوعُ عَنِ الطَّرِيقِ مُمْكِنٌ وَالثَّانِي وَاصِل مُنْتَه وَلاَ رُجُوعَ لِلوَاصِل قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الأَكَابِرِ: مَا رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إِلاَّ مِنَ الطَّرِيقِ وَمَنْ وَصَلَ لاَ يَرْجِعُ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ وُجُود العَدَمِ وَإِنْ كَانَ فِي الطَّرِيقِ وَلكِنْ لَهُ بِحُكْمِ انْدِرَاجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ شُعُورٌ بِنِهَايَةِ الأَمْرِ وَمَا هُوَ مُيَسَّرٌ لِلْمُنْتَهِي فِي الآخِرِ حَاصِلٌ لَهُ خُلاَصَتُهُ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ إِجْمَالاً وَهَذِهِ النِّسْبَةُ لَمَّا كَانَتْ فِي المُنْتَهِي بِطَرِيقِ الشُّمُول وَعُمُومِ السَّرَيَانِ صَارَتْ حَاصِلَةً فِي رُوحَانِيَّتِه وَجِسْمَانِيَّتِه البَتَّةَ وَفِي صَاحِب وُجُود العَدَمِ مَقْصُورٌ عَلى خُلاَصَة القَلْب وَلَوْ فِي الجُمْلَة وَعَلى سَبِيل الإِجْمَال فَلاَ جَرَمَ كَانَ المُنْتَهِي صَاحِبَ تَفْصِيل وَرُجُوعُهُ إِلى صِفَات الجِسْمَانِيَّة مُمْتَنِعًا فَإِنَّ سَرَيَان تِلْكَ النِّسْبَة فِي مَرَاتِب جِسْمَانِيَّتِه خَلَعَهُ عَنْ صِفَاتِهَا وَجَعَلَهُ فَانِيًا وَهَذَا الفَنَاءُ مَوْهِبَةٌ مَحْضَةٌ وَالرُّجُوعُ عَنِ المَوْهِبَةِ المَحْضَة لاَ يَلِيقُ بِجَنَاب قُدْسه – تَعَالَى – وَتَقَدَّسَ بِخِلاَف صَاحِب وُجُود العَدَمِ فَإِنَّ تِلْكَ السِّرَايَةَ مَفْقُودَةٌ فِي حَقِّه.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ هَذِه المَرَاتِبَ لَمَّا كَانَتْ تَابِعَةً لِلقَلْب كَانَتْ تِلْكَ النِّسْبَةُ أَيْضًا سَارِيَةً فِيهَا وَكَسَرَتْ سُورَتَهَا وَجَعَلَتْهَا مَغْلُوبَةً وَلكِنَّهَا مَا بَلَغَتْ حَدَّ الفَنَاء وَالزَّوَال فَيُمْكِنُ الرُّجُوعُ عَنْهُ إِذَا المَغْلُوبُ قَدْ يَغْلِبُ بِعُرُوض بَعْضِ العَوَارِضِ وَلُحُوقِ بَعْضِ المَوَانِعِ وَالزَّائِل لاَ يَعُودُ كَمَا مَرَّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ بَعْضَ المَشَايِخِ مِنْ هَذِه السِّلسلة العَلِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ قَدْ أَطْلَقُوا الفَنَاءَ وَالبَقَاءَ عَلى الاسْتِهْلاَك وَالاضْمِحْلاَل المَذْكُور وَالبَقَاء الذي يَتَرَتَّبُ عَلَيْه وَأَثْبَتُوا التَّجَلي وَالشُّهُودَ الذَّاتِيَّيْنِ أَيْضًا فِي تِلْكَ المَرْتَبَة وَقَالُوا لِهَذَا البَاقِي وَاصِلاً وَقَالُوا بِتَحَقُّقِ يَادداشت الذي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ دَوَام الحُضُور مَعَ جَنَاب الحَقِّ – سُبْحَانَهُ – فِي هَذَا المَقَامِ أَيْضًا وَكُل ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ انْدِرَاجِ النِّهَايَة فِي البِدَايَة وَإِلاَّ فَالفَنَاءُ وَالبَقَاءُ لاَ يَكُونَان إِلاَّ لِلمُنْتَهِي الذي هُوَ الوَاصل وَالتَّجَلي الذي مَخْصُوصٌ بِه وَدَوَامُ الحُضُور مَعَ الله – سُبْحَانَهُ – لاَ يَكُونُ إِلاَّ لِلمُنْتَهِي الوَاصل إِذْ هُوَ الذي لاَ رُجُوعَ لَهُ أَصْلاً وَأَمَّا الإِطْلاَقُ الأَوَّل فَهُوَ أَيْضًا صَحِيحٌ بِالاعْتِبَارِ المَذْكُورِ وَمُبْتَنٍ عَلى وَجْهٍ وَجِيهٍ وَمِنْ هَذَا القَبِيل مَا وَقَعَ فِي كِتَاب الفِقْرَات لِحَضْرَة الخواجهْ عُبَيْد

الله أَحْرَار قَدَّسَ اللهُ سرَّهُ الأَقْدَسَ مِنْ إطْلَاق الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَالتَّجَلي وَالشُّهُود الذَّاتِيَّيْنِ وَالوَصْل وَدَوَامِ الحُضُور.

قَال وَاحدٌ منَ الأعزَّة: إنَّ مَبْنَى ذَلكَ الكتَاب الذي عبَارَةٌ عَنْ مكتوبات وَرَسَائل مُرْسَلة إلى بَعْض مُخْلصيه عَلى درَايَة مَنْ أَرْسَلتَ إلَيْه وَمَعْرفَته وَكَلمُوا النَّاسَ عَلى قَدْر عُقُولهمْ مُرَاعًى فيه وَمنْ هَذَا القَبيل أَيْضًا رسَالَةُ سلسلة الأَحْرَار الوَاقعَة عَلى طَريق كَلَام حَضْرَة الخواجهْ أَحْرَار وَالرُّبَاعيَّات المَشْرُوحَة التي كَتَبَهَا حَضْرَةُ شَيْخنا مُؤَيِّد الدِّين الرَّضيِّ مَوْلَانَا مُحَمَّد البَاقي سَلمَهُ اللهُ - تَعَالى - وَهَذَا البَقَاءُ بَل جَميعُ مَا هُوَ وَاقعٌ في طَرَف الجَذْبَة نَاظرٌ إلى تَوْحيد الوُجُود وَلهَذَا بَيَّنَ بَعْضُ المَشَايخ حَقَّ اليَقين عَلى نَهْج مَآله إلى التَّوْحيد الوُجُوديِّ وَهَذَا البَيَانُ أَوْقَعَ البَعْضَ في اشْتبَاه أَنَّ حَقَّ اليَقين الذي هُوَ مَنْسُوبٌ إلَيْهمْ وَمُخْتَصٌّ بهمْ عبَارَةٌ عَن التَّجَلي الصُّوريِّ وَانْجَرَّ ذَلكَ إلى الطَّعْن وَالتَّشْنيع وَالحَقُّ أَنَّ هَذَا حَقُّ اليَقين المَنْسُوب إلَيْهمُ الذي بَيَّنَهُ بَعْضُ المَشَايخ حَاصل في جهَة الجَذْبَة وَهَذه المَعْرفَةُ مُنَاسَبَةٌ لهَذَا المَقَام وَالتَّجَلي الصُّوريُّ شَيْءٌ آخَرُ كَمَا لَا يَخْفَى عَلى أَرْبَابه وَأَطْلَقُوا دَوَامَ الحُضُور عَلى مَرْتَبَة شُهُود الوَحْدَة في مرْآة الكَثْرَة عَلى نَهْج تَكُونُ المرْآةُ مُخْتَفيَةً بالتَّمَام وَلَا يَبْقَى المَشْهُودُ غَيْرَ الوَجْه البَاقي أَصْلاً لرُؤْيَتهمْ هَذَا المَقَامَ مُنَاسبًا ليادداشت يَعْني دَوَامَ الحُضُور وَيَقُولونَ لهَذَا الشُّهُود تَجَليًا ذَاتيًّا أَيْضًا وَشُهُودًا ذَاتيًّا وَيُقَال لهَذَا المَقَام مَقَامَ الإحْسَان وَعَبَّرُوا عَنْ ذَلكَ الاسْتهْلَاك وَالاضْمحْلال بالوَصْل، (ع):

أَنْتَ غبٌّ فيه وَذَا عَيْنُ الوصَال

وَهَذَا الاصْطلَاحُ مَخْصُوصٌ بحَضْرَة نَاصر الدِّين الخواجهْ عُبَيْد الله أَحْرَار - قُدِّسَ سرُّهُ - وَلَمْ يَتَكَلمْ بهَذَا الاصْطلَاح أَحَدٌ منَ المَشَايخ المُتَقَدِّمينَ منْ هَذه السِّلسلة، (ع):

وَجَميعُ مَا فَعَل المَليحُ مَليحُ

وَمنْ كَلمَاته القُدْسيَّة أَنَّ اللسَانَ مرْآةُ القَلب وَالقَلبَ مرْآةُ الرُّوح وَالرُّوحُ مرْآةُ الحَقيقَة الإنْسَانيَّة وَالحَقيقَةَ الإنْسَانيَّةَ مرْآةُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَالحَقَائقُ الغَيْبيَّة تَصل إلى اللسَان منْ غَيْب الذَّات بقَطْع هَذه المَسَافَة البَعيدَة وَمنْهُ تُقْبل صُورَةَ اللفْظ وَتَصل إلى مَسَامع المُسْتَعدِّينَ للحَقَائق وَقَال أَيْضًا: كُنْتُ في مُلازَمَة بَعْض الأَكَابر مُدَّةً فَأُنْعمَ عَليَّ بشَيْئَيْن أَحَدهمَا أَنَّ كُلمَا أَكْتُبُهُ يَكُونُ جَديدًا لا قَديمًا.

وَثَانيهمَا أَنَّ كُلمَا أَقُول يَكُونُ مَقْبُولاً لاَ مَرْدُودًا وَيُفْهَمُ مِنْ كَلمَاته القُدْسيَّة هَذه جَلالَةُ شَأْنه وَعُلوُّ مَنْزلة مَعَارفه وَاتَّضَحَ أَيْضًا أَنَّهُ ليْسَ فِي البَيْنِ فِي هَذه الكَلمَات يَعْني لاَ مَدْخَل لهُ فِي صُدُورهَا عَنْهُ وَإِنَّمَا ظَهَرَتْ مِنْهُ بطَريق الانْعكَاسِ وَليْسَ وَظيفَتُهُ وَدَخْلهُ فيهَا غَيْرَ المِرْآتيَّة لهَا وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بحَقيقَة الحَال وَمَا عنْدَهُ منْ عُلوٍّ دَرَجَة وَمَنْزلة الكَمَال وَأَنْشَدَ هَذه المَثْنَويَّات، شعْرٌ:

كَانَ كُل النَّاسِ أَصْحَابِي عَلى ظَنِّهِمْ وَالقَلبُ بِالسِّرِّ اخْتَلى
لَمْ يَكُنْ سرِّي بَعيدًا منْ أَنيــــ ـــني وَلكنْ أَيْنَ فَهْمٌ للـــدُّنَى

وَسَيَكْتُبُ هَذَا الحَقيرُ نُبْذَةً منْ حَقيقَة عُلومه وَمَعَارفه فِي آخرِ هَذَا المَكْتُوبِ عَلى مقْدَار فَهْمه القَاصر وَالأَمْر عنْدَ الله - سُبْحَانَهُ -.

وَإِذَا شَرَّفَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - بكَمَال عنَايَته بَعْدَ حُصُول الجَذْبَة وَتَمَامِ تلكَ الجهَة بنعْمَة السُّلوك يُمْكنُ أَنْ يَقْطَعَ بمَدَد الجَذْبَة المَسَافَة البَعيدَةَ التي قَدَّرُوهَا بخَمْسينَ أَلفَ سَنَة وَفِي قَوْله {تَعْرُجُ المَلاَئكَةُ وَالرُّوحُ إِليْه فِي يَوْمٍ كَانَ مقْدَارُهُ خَمْسينَ أَلفَ سَنَة}(١) رَمْزٌ إِلى هَذَا التَّقْدير فِي مُدَّة قَليلة وَأَنْ يَصل إِلى حَقيقَة الفَنَاء فِي الله وَالبَقَاء بالله وَمُنْتَهَى السُّلوك وُصُول السَّالك إِلى نهَايَة السَّيْر إِلى الله الذي هُوَ مُعَبَّرٌ عَنْهُ الفَنَاءُ المُطْلقُ وَبَعْدَ ذَلكَ أَيْضًا مَقَامُ الجَذْبَة الذي عَبَّرُوا عَنْهُ بالسَّيْر فِي الله، وَالبَقَاءُ بالله وَالسَّيْرُ إِلى الله عبَارَةٌ عَن السَّيْر إِلى الاسْم الذي السَّالكُ مَظْهَرُهُ وَالسَّيْرُ فِي الله سَيْرٌ فِي ذَلكَ الاسْمِ فَإِنَّ كُل اسْمٍ جَامعٌ لأَسْمَاء غَيْر مُتَنَاهيَة فَيَكُونُ السَّيْرُ فيه أَيْضًا غَيْرُ مُتَنَاه وَلهَذَا الدَّرْويشِ فِي هَذَا المَقَام مَعْرفَةٌ خَاصَّةٌ وَسَتُذْكَرُ إِنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالى - عَنْ قَريبٍ وَهَذَا الاسْمُ فِي مَرَاتب العُرُوجِ فَوْقَ العَيْنِ الثَّابتَة فَإِنَّ العَيْنَ الثَّابتَةَ للسَّالك ظل ذَلكَ الاسْمِ وَصُورَتُهُ العلميَّةُ وَالجَمَاعَةُ المَخْصُوصَةُ بفَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - يَعْرُجُونَ منْ هَذَا الاسْمِ أَيْضًا وَيَتَرَقَّوْنَ إِلى مَا شَاءَ اللهُ بلاَ نهَايَةٍ، شعْرٌ:

وَمنْ بَعْد هَذَا يَدُقُّ بَيَانُهُ وَمَا كَتَمَهُ أَحْظَى لدَيَّ وَأَجْمَل

وَالوَاصلونَ منْ سَائرِ أَرْبَاب السُّلوك وَإِنْ كَانُوا مُشَاركينَ لهُمْ فِي الجهَة الثَّانيَة وَمُتَحَقِّقُونَ بالفَنَاء فِي الله وَالبَقَاء بالله وَلكنَّ المَسَافَةَ التي يَقْطَعُهَا أَرْبَابُ السُّلوكِ بالرِّيَاضَاتِ وَالمُجَاهَدَاتِ وَيَصلونَ إِلى مُنْتَهَاهَا فِي أَزْمنَةٍ طَويلةٍ يَقْطَعُهَا أَكَابرُ

---

(١) ـــ الآية: ٤ من سورة المعارج.

هَذه السِّلسلة العَليَّة بالتذاذ دَوْلة الشُّهُود وَذَوْق وُجْدَان المَقْصُود في أَزْمنَة قَليلة وَيَصلونَ إلى كَعْبَة المَطْلُوب ثُمَّ بَعْدَ الوُصُول يَحْصُل لَهُمْ تَرْقِّيَاتٌ غَيْرُ مُتَنَاهيَةٍ وَالمُنْتَهُونَ منْ أَرْبَاب السُّلوك قليلو النَّصيب منْ ذَلكَ التَّرَقِّي وَالقُرْب فَإنَّ تَقَدُّمَ الجَذْبَة عَلى السُّلوك يَسْتَدْعي نَحْوًا منَ المَحْبُوبيَّة فَإنَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ مُرَادًا لاَ يَحْصُل لَهُ جَذْبٌ فَإذَا انْجَذَبَ يَقعُ أَقْرَبَ أَلبَتَّةَ وَيَحْصُل لَهُ زيَادَةُ القُرْب وَالفَرْقُ بَيْنَ المُرَاد وَغَيْر المُرَاد كَثيرٌ {ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْل العَظيمِ}(١) مَثْنَويٌّ، شعْرٌ:

عشْقُ عُشَّاق بطَبْل ونفير عشْقُ مَعْشُوق خَفيٌّ وَستِّيرٍ
عشْقُ مَعْشُوق مَزيد في السِّمَن غَيْرَ أَنَّ الثَّاني مُضْنٍ للبَدَن

فَإنْ قيل: إنَّ المُرَادينَ منْ سَائر السَّلاَسل أَيْضًا شُرَكَاءُ لَهُمْ في هَذَا التَّرَقِّي وَالقُرْب فَإنَّ الجَذْبَةَ مُقَدَّمَةٌ عَلى سُلوكهمْ فَمَا يَكُونُ مَزيَّةُ هَذَا الطَّريق عَلى غَيْره منَ الطُّرُق وَلأَيِّ شَيْءٍ يُقَال لَهُ إنَّهُ أَقْرَبُ الطُّرُق ؟

أُجيبَ: إنَّ سَائرَ الطُّرُق لَيْسَتْ بمَوْضُوعَة لحُصُول هَذَا المَعْنَى بَل تَحْصُل هَذه الدَّوْلَةُ لبَعْضهمْ عَلى سَبيل الاتِّفَاق وَهَذَا الطَّريقُ مَوْضُوعٌ لحُصُول هَذَا المَعْنَى وياددَاشت الذي يَقَعُ في عبَارَات أَكَابر هَذه السِّلسلة العَليَّة يُتَصَوَّرُ بَعْدَ تَحَقُّق كلاَ جهَتي الجَذْبَة وَالسُّلوك، وَإطْلاَقُ النِّهَايَة عَلَيْه باعْتبَار نهَايَة مَرَاتب الشُّهُود وَالحُضُور وَإلاَّ فَالنِّهَايَةُ المُطْلَقَةُ وَرَاءَ الوَرَاء.

وَتَفْصيلهُ أَنَّ الشُّهُودَ إمَّا في مرْآة الصُّورَة أَوْ في مرْآة المَعْنَى أَوْ فيمَا وَرَاءَ الصُّورَة وَالمَعْنَى وَقَالوا لهَذَا الشُّهُود العَاري عَن الحجَاب يَعْني حجَابَ الصُّورَة وَالمَعْنَى برْقيًّا يَعْني أَنَّ حُصُول هَذَا الشُّهُود كَالبَرْق ثُمَّ يَكُونُ في الحجَاب فَإذَا حَصَل لهَذَا الشُّهُود بمَحْض فَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - دَوَامٌ وَخَرَجَ عَنْ مَضيق الحُجُب بالتَّمَام يُعَبِّرُونَ عَنْهُ حينَئذ بياددَاشت الذي هُوَ حُضُورٌ بلاَ غَيْبَة فَإنَّ الشُّهُودَ مَادَامَ يَحْتَجبُ وَلَمْ يَحْصُل لَهُ دَوَامُ عَدَم الاحْتجَاب لاَ يُطْلَقُ عَلَيْه اسْمُ ياددَاشت.

وَهَهُنَا دَقيقَةٌ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كُل وَاصل لاَ رُجُوعَ لَهُ حُضُورُهُ دَائميٌّ وَلكنَّ سَرَيَانَ تلكَ النِّسْبَة في كُليَّته كَالبَرْق بخلاَف المَحْبُوبينَ الذينَ جَذْبَتُهُمْ مُقَدَّمَةٌ عَلى سُلوكهمْ فَإنَّ هَذَا السَّرَيَانَ دَائميٌّ فيهمْ وَكُليَّتُهُمْ آخذَةٌ لحُكْم السِّرِّ وَعَاملَةٌ عَمَل السِّرِّ كَمَا مَرَّت الإشَارَةُ إليْه لاَنَتْ أَجْسَادُهُمْ كَمَا لاَنَتْ أَرْوَاحُهُمْ

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

حَتَّى صَارَتْ ظَوَاهِرُهُمْ بَوَاطِنَهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ ظَوَاهِرَهُمْ فَلاَ جَرَمَ لاَ يَكُونُ فِي حُضُورِهِمْ لِلغَيْبَةِ مَجَال فَتَكُونُ هَذِه النِّسْبَةُ فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَبِ عَلَى كُل حَال وَهَذِه العِبَارَةُ شَائِعَةٌ فِي كُتُبِهِمْ وَرَسَائِلِهِمْ لِهَذَا المَعْنَى فَإِنَّ النِّسْبَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الحُضُور، وَنِهَايَةُ مَرَاتِبِ الحُضُورِ هِيَ أَنْ يَكُونَ الحُضُورُ بِلاَ حِجَاب وَدَائِمًا وَتَخْصِيصُ مَشَائِخِ هَذِه الطَّرِيقَةِ هَذِه النِّسْبَةَ بِأَنْفُسِهِمْ بِاعْتِبَار وَضْعِ الطَّرِيقِ لِحُصُول هَذِه الدَّوْلَة كَمَا مَرَّ وَإِلاَّ فَإِنْ تَيَسَّرَتْ لِبَعْضِ أَكَابِرَ طُرُقٌ آخَرُ أَيْضًا فَجَائِزٌ بَل وَاقِعٌ وَقَدْ أَظْهَرَ قُدْوَةُ أَكَابِرِ أَهْلِ اللهِ الشَّيْخُ أَبُو سَعِيد أَبُو الخَيْرِ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ رَمْزًا مِنْ هَذَا الحُضُورِ وَطَلَبَ تَحْقِيقَهُ مِنْ أُسْتَاذِه حَيْثُ سَأَلَهُ هَل يَكُونُ هَذَا الحَدِيثُ دَائِمِيًّا ؟

فَقَال الأُسْتَاذُ فِي جَوَابِه: لاَ يَكُونُ فَأَعَادَ الشَّيْخُ المَسْأَلَةَ ثَانِيًا وَوَجَدَ الجَوَابَ الأَوَّل ثُمَّ كَرَّرَ السُّؤَال ثَالِثًا فَقَال أُسْتَاذُهُ فِي جَوَابِه: فَإِنْ كَانَ فَنَادِرٌ فَرَقَصَ الشَّيْخُ وَقَال هَذَا مِنْ تِلْكَ النَّوَادِر.

وَمَا قُلْتُ مِنْ أَنَّ النِّهَايَةَ المُطْلَقَةَ وَرَاءَ الوَرَاءِ فَبَيَانُهُ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ العُرُوجُ بَعْدَ تَحَقُّقِ هَذَا الحُضُورِ يَقَعُ السَّالِكُ فِي لُجَّةِ الحَيْرَةِ وَيَخْلُفُ هَذَا الحُضُورَ وَرَاءَ ظَهْرِه كَسَائِرِ مَرَاتِبِ العُرُوجِ وَهَذِه الحَيْرَةُ هِيَ المُسَمَّاةُ بِالحَيْرَةِ الكُبْرَى المَخْصُوصَةِ بِالأَكَابِرِ كَمَا وَقَعَ فِي كُتُبِ القَوْمِ قَال وَاحِدٌ مِنَ الأَكَابِرِ فِي هَذَا المَقَامِ، شِعْرٌ:

حسن تومرا كرد جنان زبر وزبر   كزخال وخط وزلف توام نيست خبر

مَضْمُونُهُ:

نَسِيتُ اليَوْمَ مِنْ عِشْقٍ صَلاَتِي   فَلاَ أَدْرِي غَدَائِي مِنْ عَشَائِي

وَقَال الآخَرُ:

تَعَالَى العِشْقُ عَنْ كُفْرٍ وَدِين   كَذَاكَ عَنِ التَّشَكُّكِ وَاليَقِين
رَأَيْتُ العَقْـــل مَقْرُونًا بِكُـــفْرٍ   وَذِي دِين وَشَكٌّ وَاليقـــين
فَجُزْتُ عَوَالِمًا مِنْ غَيْرِ عَقْل   فَلَمْ أَرَ بَعْدُ مِـــنْ كُفْرٍ وَدِين
وَكُل الكَوْن سَدَّكَ فِي طَرِيقٍ   أَرَى ذَا سَدّ يَأْجُـــوجَ بِعَيْنِ

وَقَال الآخَرُ مِنَ الأَعِزَّة

وَقَدْ سَارُوا وَطَارُوا نَحْوَ أَوْجٍ   فَعَادُوا صِفْرَ جَيْبٍ وَاليَدَيْن

وَبَعْدَ حُصُول هَذِه الحَيْرَةِ مَقَامُ المَعْرِفَةِ وَمَنْ ذَا يَشْرُفُ بِهَذِه الدَّوْلَة وَمَنْ ذَا يَحْتَظِي بِالإِيمَانِ الحَقِيقِيِّ بَعْدَ الكُفْرِ الحَقِيقِيِّ الذِي هُوَ مَقَامُ الحَيْرَةِ وَنِهَايَةُ مَطْلُوبِ

المُحَقِّقِينَ فِي هَذَا الإِيمَانِ وَمَقَامُ الدَّعْوَةِ وَكَمَالِ مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - عَلَى وَفْقِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - {أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}في هَذَا المَقَامِ وَكَانَ ﷺ يَطْلُبُ هَذَا الإِيمَانَ حَيْثُ قَالَ فِي دُعَائِهِ "**اللهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا صَادِقًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ**" وَكَانَ يَسْتَعِيذُ مِنَ الكُفْرِ الحَقِيقِيِّ الذِي هُوَ مَقَامُ الحَيْرَةِ حَيْثُ قَالَ "**أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ**"

وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ نِهَايَةُ مَرَاتِبِ حَقِّ اليَقِينِ وَهَهُنَا لَيْسَ العِلْمُ وَالعَيْنُ بَعْضُهُمَا حِجَابًا عَنْ بَعْضٍ، شِعْرٌ:

هَنِيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

وَاعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ أَنَّ جَذْبَةَ هَؤُلاَءِ الأَعِزَّةِ عَلَى نَوْعَيْنِ النَّوْعُ الأَوَّلُ: وَاصِلٌ مِنَ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ﷺ وَبِهَذَا الاعْتِبَارِ يُنْسَبُ طَرِيقُهُمْ إِلَيْهِ ﷺ وَحُصُولُ هَذَا النَّوْعِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الوَجْهِ الخَاصِّ الذِي هُوَ قَيُّومُ جَمِيعِ المَوْجُودَاتِ وَالاسْتِهْلاَكِ وَالاضْمِحْلاَلِ فِيهِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: مَبْدَأُ ظُهُورِهِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ حَضْرَةُ الخَواجَهْ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيِّ وَهُوَ يَنْبَعِثُ مِنْ طَرِيقِ المَعِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ وَوَصَلَتْ تِلْكَ الجَذْبَةُ مِنْ حَضْرَةِ الخَواجَهْ إِلَى أَوَّلِ خُلَفَائِهِ الخَواجَهْ عَلاَءِ الدِّينِ وَلَمَّا كَانَ هُوَ قُطْبُ الإِرْشَادِ فِي وَقْتِهِ وَقَعَ طَرِيقًا أَيْضًا لِحُصُولِ هَذِهِ الجَذْبَةِ وَذَلِكَ الطَّرِيقُ مَشْهُورٌ فِيمَا بَيْنَ خُلَفَاءِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ بِالعَلاَئِيِّ وَرُبَّمَا يَقَعُ فِي عِبَارَاتِهِمْ أَنَّ أَقْرَبَ الطُّرُقِ الطَّرِيقَةُ العَلاَئِيَّةُ وَأَصْلُ هَذِهِ الجَذْبَةِ وَإِنْ كَانَ مِنَ الخَواجَهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ وَلَكِنَّ وَضْعَ الطَّرِيقِ لِتَحْصِيلِهَا مَخْصُوصٌ بِالخَواجَهْ عَلاَءِ الدِّينِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمَا وَالحَقُّ أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ كَثِيرُ البَرَكَةِ وَقَلِيلُهُ أَنْفَعُ مِنْ كَثِيرِ طُرُقِ الآخَرِينَ وَخُلَفَاءُ مَشَائِخِ العَلاَئِيَّةِ وَالأَحْرَارِيَّةِ مُشَرَّفُونَ وَمُحْتَظُونَ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ العُظْمَى وَيُرَبُّونَ الطَّالِبِينَ بِهَذَا الطَّرِيقِ نَالَ الخَواجَهْ أَحْرَارٌ هَذِهِ الدَّوْلَةَ العُظْمَى مِنْ مَوْلاَنَا يَعْقُوبَ الجَرْخِيِّ عَلَيْهِمَا الرِّضْوَانُ وَهُوَ مِنْ خُلَفَاءِ الخَواجَهْ عَلاَءِ الدِّينِ.

وَالنَّوْعُ الأَوَّلُ مِنَ الجَذْبَةِ الذِي هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ﷺ وُضِعَ لِحُصُولِهِ طَرِيقًا عَلَى حِدَةٍ وَذَلِكَ الطَّرِيقُ هُوَ الوُقُوفُ العَدَدِيُّ وَالسُّلُوكُ الذِي يَتَحَقَّقُ بَعْدَ هَذِهِ الجَذْبَةِ أَيْضًا عَلَى نَوْعَيْنِ بَلْ عَلَى أَنْوَاعٍ نَوْعٍ بَلَغَ الصِّدِّيقَ ﷺ مَقْصُودَهُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، وَخَاتَمُ الرِّسَالَةِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - أَيْضًا وَصَلَ مِنْ مَوْطِنِ الجَذْبَةِ بِهَذَا الطَّرِيقِ وَلَمَّا كَانَ الصِّدِّيقُ ﷺ مُتَخَلِّقًا بِكَمَالِ الأَخْلاَقِ الذِي كَانَ فِيهِ

ﷺ وَفَانيًا فيه خُصَّ منْ بَيْنِ سَائِرِ الأَصْحَابِ رِضْوَانُ اللهِ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بخُصُوصِيَّةِ هَذَا الطَّرِيقِ وَهَذِهِ النِّسْبَة أَعْنِي نِسْبَةَ الجَذْبَة وَالسُّلوك المَذْكُورَيْنِ الآنَ وَصَلَتْ إلى الإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادق بهَذه الخُصُوصيَّة وَلَمَّا كَانَتْ وَالدَةُ الإمَامِ منْ بَنَات أَوْلَاد الصِّدِّيق ﷺ قَالَ الإِمَامُ بمُلاحَظَة كلا الاعْتبَارَيْن ولدنى أَبُو بَكْرٍ مَرَّتَيْنِ وَحَيْثُ كَانَ الإِمَامُ أَخَذَ نسْبَةً عَلى حدَة منْ آبَائه الكرَام صَارَ جَامعًا كلاً هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ وَجَمَعَ تلْكَ الجَذْبَةَ مَعَ سُلوكهِمْ وَوَصَل إلى المَقْصُود بهَذَا السُّلوك وَالفَرْقُ بَيْنَ هَذَيْنِ السُّلوكَيْنِ هُوَ أَنَّ سُلوكَ الإِمَام عَليٍّ يَقْطَعُ بالسَّيْرِ الآفَاقيِّ وَسُلوكُ الصِّدِّيق لاَ يَتَعلقُ بالآفَاق كَثيرًا وَيُشَبَّهُ بنَقْب نُقْبَة منْ مَوْطن الجَذْبَة إلى أَنْ تَصل إلى المَقْصُود.وَفي السُّلوك الأَوَّل تَحْصُل المَعَارفُ وَفي الثَّاني غَلَبَةُ المَحَبَّة فَلاَ جَرَمَ كَانَ الإِمَامُ عَليٌّ بَابَ مَدينَة العلم وَكَانَ للصِّديق قَابليَّةٌ خلته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم قَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم "**لَوْ كُنْتُ مُتَّخذًا خَليلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَليلاً**" وَحَصَلَ الإِمَامُ باعْتبَار جَامعيَّته للجَذْبَة التي مَبْنَاهَا المَحَبَّةُ

وَجهَةُ السُّلوك الآفَاقيِّ الذي هُوَ مَنْشَأُ العُلوم وَالمَعَارف نَصيبًا وَافرًا منَ المَحَبَّة وَالمَعْرفَة ثُمَّ فَوَّضَ الإِمَامُ هَذه النِّسْبَةَ المُرَكَّبَةَ بطَريق الوَديعَة إلى سُلطَان العَارفينَ وَكَأَنَّهُ حَمل ثقَل هَذه الأَمَانَة عَلى ظَهْره ليُسَلمهَا إلى أَهْلهَا بالتَّدْريج وَوَجَّهَ عنَانَ تَوَجُّهه إلى جَانب آخَرَ لَمْ تَكُنْ لهُ مُنَاسَبَة بتلكَ النِّسْبَة قَبْل تَحَمُّل تلْكَ الأَمَانَة وَفي هَذَا التَّحْميل أَيْضًا حكَمٌ كَثيرَةٌ وَإنْ كَانَ نَصيبُ الحَاملينَ منْهَا قَليلاً وَلكنْ لَهَا نَصيبٌ وَافرٌ منْ أَنْوَار هَؤُلاَء الأَكَابر كَمَا أَنَّ نَوْعًا منَ السُّكْر مَثَلاً الذي هُوَ مُنْدَمجٌ وَمُمْتَزجٌ فيهَا منْ آثَار أَنْوَار سُلطَان العَارفينَ وَهَذَا السُّكْرُ يَجْعَل المُبْتَدئَ غَائبًا عَن الحسِّ وَيُورثُهُ عَدَمَ الشُّعُور ثُمَّ يَسْتَترُ بَعْدَ ذَلكَ بالتَّدْريج باعْتبَار غَلبَة الصَّحْو تَكُونُ هَذه النِّسْبَةُ مُنْدَمجَةً في مَرَاتب الصَّحْو ففى الظَّاهرِ صَحْوٌ وَفي البَاطنِ سُكْرٌ وَهَذَا البَيْتُ في بَيَان حَالهمْ، شعْرٌ:

بقَلبكَ صَاحبْنَا وَجَانب بظَاهر وَذَا السَّيْر في الدُّنْيَا قَليل النَّظَائر

وَعَلى هَذَا القيَاس أَخَذْتُ منْ كُل وَاحد منَ الأَكَابر نُورًا وَوَصَلتْ إلى أَهْلهَا وَهُوَ العَارفُ الرَّبَّانيُّ الخواجهْ عَبْدُ الخَالق الغجدواني رَأْسُ حَلقَة سلسلة خوجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ففى ذَلكَ الوَقْت حَصَلتْ لتلكَ النِّسْبَة طَرَاوَةٌ كُليَّةٌ وَبَرَزَتْ في عَرْصَة الظُّهُور ثُمَّ صَارَ جَانبُ السُّلوك الآفَاقيِّ مُخْتَفيًا بَعْدَهُ في هَذه السِّلسلة وَصَارُوا يَسْلكُونَ طُرُقًا آخَرَ بَعْدَ حُصُول الجَذْبَة وَيَعْرُجُونَ منْهَا وَلَمَّا جَاءَ

حَضْرَةُ الخواجهْ بَهَاءِ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأَقْدَسَ إلى عَالَمِ الظُّهُورِ ظَهَرَتْ تلكَ النِّسْبَةُ ثَانيًا بتلكَ الجَذْبَةِ وَالسُّلوك الآفاقيِّ وَصَارَ هُوَ بِهَذَيْنِ الجِهَتَيْنِ جَامعًا لِكَمَالِ المَعْرِفَةِ وَالمَحَبَّةِ وَمَعَ وُجُود ذَلكَ القِسْمِ الوَاحد منَ الجَذْبَة أُعْطِيَ قِسْمًا آخَرَ مِنْهَا أَيْضًا مُنْبَعِثًا مِنْ طَرِيقِ المَعِيَّةِ كَمَا مَرَّ وَحَصَل مِنْ كَمالاته نَصيبٌ وَافرٌ لنَائب مَنَابه أَعْني حَضْرَةَ الخواجهْ عَلاَءِ الحَقِّ وَالدِّين وَتَشَرَّفَ بِدَوْلَة عَلاَ الجَذْبَتَيْنِ وَالسُّلوكَ الآفَاقِيِّ وَبَلَغَ مَقَامَ قُطْبِيَّةِ الإِرْشَادِ وَكَذَلكَ الخواجهْ مُحَمَّدُ بارسا - قُدِّسَ سِرُّهُ - حَازَ حَظًّا وَافرًا مِنْ كَمَالاَته قَال حَضْرَةُ الخواجهْ في آخرِ حَيَاته فِي حَقِّه مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ فَلينْظُرْ إِلى مُحَمَّد وَنُقل عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَال: المَقْصُودُ مِنْ مَوْجُود بِهاءِ الدِّين وُجُودُ مُحَمَّد وَمَعَ وُجُودِ هَذه الكَمَالاَت في خواجَهْ بَارسَا مَنْحُهُ الخواجهْ عَارِف الدِّيك كرانى فِي آخرِ حَيَاته نسبَةَ الفَرْدِيَّة وَهَذه النِّسْبَةُ صَارَتْ مَانعَةً لهُ منَ المَشْيَخَة وَتَكْميلِ الطَّلَبَة وَإلاَّ كَانَ لهُ فِي الكَمَال وَالتَّكْميل دَرَجَةٌ عَليًّا قَال حَضْرَةُ الخواجهْ في شَأْنه: لوْ رَبَّة هُوَ المُريدينَ لَيُنَوِّرَ العَالَمَ منْهُ وَوَجَدَ مَوْلاَنَا عَارِفٌ هَذه النِّسْبَةَ أَعْنِي نِسْبَةَ الفَرْدِيَّة مِنْ وَالِد زَوْجَته مَوْلاَنا بَهاءِ الدِّينِ يَعْنِي القشلاقى.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ وَجْهَ الفَرْدِيَّة إلى الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - بالتَّمَامِ لاَ تَعَلقَ لهُ بالمَشْيَخَة وَالتَّكْميل وَالدَّعْوَة فَإنْ اجْتَمَعَتْ تلكَ النِّسْبَةُ مَعَ نسْبَة قُطْبِيَّة الإرْشَاد التي هِيَ مَقَامُ دَعْوَة الخَلق وَتَكْميلهِمْ يَنْبَغي أَنْ يُنْظرَ فَإنْ كَانَتْ نسْبَةُ الفَرْدِيَّة غَالبَةً فَطَرَفُ الإرْشَاد وَالتَّكْميل ضَعيفٌ وَمَغْلوبٌ عَلى هَذه التَّقْدير وَإلاَّ فَصَاحبُ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ في حَدِّ الاعْتدَال ظَاهرُهُ مَعَ الخَلق بالتَّمَامِ وَبَاطنُهُ مَعَ الحَقِّ - تَعَالى - وَتَقَدَّسَ بالكُليَّة، وَالدَّرَجَةُ العَليَّا في مَقَامِ دَعْوَة الخَلق لصَاحب هَاتَيْن النِّسْبَتَيْن.

وَنسْبَةُ قُطْبيَّة الإرْشَاد وَإنْ كَانَتْ وَحْدَهَا كَافيَةً في الدَّعْوَة وَلكنْ لهَؤُلاَء الأَكَابرِ في هَذَا المَقَامِ مَرْتَبَةٌ عَلى حدَة، نَظَرُهُمْ شفَاءُ الأَمْرَاضِ القَلبيَّة وَصُحْبَتُهُمْ دَافعَةٌ للأَخْلاَق الغَيْرِ المَرْضيَّة وَكَانَ سَيِّدُ الطَّائفَة جُنَيْدٌ مُسْتَسْعدًا بهَذه الدَّوْلة وَمُشَرَّفًا بهَذه المَنْزلة حَصَلتْ لهُ نسْبَةُ القُطْبيَّة منْ شَيْخه السَّرِّيِّ السَّقَطيِّ وَنسْبَةُ الفَرْدِيَّة منَ الشَّيخِ مُحَمَّد القَصَّاب وَمنْ كَلمَاته القُدْسيَّة أَنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَني مُريدَ السَّرِيِّ أَنَا مُريدُ مُحَمَّدٍ القَصَّاب جَعَل نِسْبَةَ الفَرْديَّة غَالبَةً وَنَسيَ نسْبَةَ القُطْبيَّة وَرَآهَا مَعْدُومَةً في جَنْبهَا.

وَبَعْدَ خُلفَاءِ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ كَانَ سرَاجُ هَذه الطَّائفَة العَليَّة حَضْرَةَ

الخواجهْ عُبَيْدَ اللهِ أَحْرَارِ - قُدِّسَ سِرُّهُ - تَوَجَّهَ إلى السَّيْرِ الآفَاقِيِّ بَعْدَ إِتْمَامِ جَذْبَةِ خواجكان قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَأَوْصَلَ السَّيْرَ إلى الاسْمِ وَحَصَلَ لَهُ الاسْتِهْلاَكُ وَالفَنَاءُ فيه قَبْلَ دُخُوله إلى الاسْمِ ثُمَّ عَادَ إلى مَوْطِنِ الجَذْبَة وَحَصَلَ لَهُ في تلكَ الجِهَةِ اسْتِهْلاَكٌ وَاضْمِحْلاَل خَاصٌّ وَوَجَدَ البَقَاءَ أَيْضًا في تلكَ الجهَة وَبالجُمْلَة كَانَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ في تلكَ الجهَة وَمَا تَيَسَّرَ مِنَ العُلومِ وَالمَعَارِف مِنَ الفَنَاء وَالبَقَاء تَيَسَّرَ لَهُ في هَذَا المَقَامِ وَإِنْ كَانَ في العُلومِ تَفَاوُتٌ بِوَاسطَة تَغَايُرِ الجِهَتَيْنِ وَمِنَ التَّفَاوُت إِثْبَاتُ تَوْحِيد الوُجُود وَعَدَمُهُ وَكَذَلكَ إِثْبَاتُ أُمُورٍ مُنَاسِبَة للتَّوْحِيد المَذْكُور مِنَ الإِحَاطَة وَالسَّرَيَان وَالمَعِيَّة الذَّاتِيَّات وَشُهُود الوَحْدَة في الكَثْرَة مَعَ اكْتِفَاء الكَثْرَة بالكُلِّيَّة بحَيْثُ لاَ يُرَجِّعُ كَلِمَةَ أَنَا إلى السَّالك أَصْلاً وَأَمْثَال ذَلكَ بخلاَف العُلوم التي تَتَرَتَّبُ عَلى البَقَاء الذي بَعْدَ الفَنَاء المُطْلَق فَإِنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلكَ بَل هِيَ مُطَابقَةٌ لعُلوم الشَّرِيعَة حَقِيقَةً غَيْرَ مُحْتَاجَة إلى التَّمَحُّلاَت والتَّكلفَات وَالأَسْئلة وَالأَجْوِبَة وَبالجُمْلَة إِنَّ البَقَاءَ في جهَة الجَذْبَة أَيِّ جَذْبَة كَانَتْ لاَ يُخرِجُ السَّالكَ مِنَ السُّكْرِ وَلاَ يُدْخلهُ في الصَّحْوِ وَلهَذَا لاَ يَرْجعُ أَنَا إلى السَّالك الباقي مَعَ وُجُود البَقَاء وَلاَ تَقَعُ الإِشَارَةُ عَلَيْه لأَنَّ في الجَذْبَة غَلَبَةَ المَحَبَّة، وَغَلَبَةُ المَحَبَّة يَلزمُهَا السُّكْرُ لاَ يَنْفَكُّ عَنْهَا بوَجْه مِنَ الوُجُوه وَلهَذَا تَكُونُ عُلومُهَا مُمْتَزِجَةً بالسُّكْر يَعْني بالمَعَارِف السُّكْرِيَّة كَالقَوْل بوَحْدَة الوُجُود فَإِنَّ مَبْنَاهَا عَلى السُّكْر وَغلبَة المَحَبَّة بحَيْثُ لاَ يَبْقَى في نَظَر المُحبِّ سوَى المَحْبُوب فَيَحْكُمُ بنَفْي مَا سوَاهُ فَإِنْ خَرَجَ مِنَ السُّكْرِ إلى الصَّحْوِ لاَ يَكُونُ شُهُودُ المَحْبُوب مَانعًا عَنْ شُهُود مَا سوَاهُ فَلاَ يَحْكُمُ بوَحْدَة الوُجُود وَالبَقَاء الذي بَعْدَ الفَنَاء المُطْلَق وَنهَايَةُ السُّلوك فَهُوَ مَنْشَأُ الصَّحْوِ وَمَبْدَأُ المَعْرِفَة لاَ مَدْخَل للسُّكْر في ذَلكَ المَوْطن وَمَا غَابَ عَنِ السَّالك في حَالَة الفَنَاء يَرْجعُ إِلَيْه كُلهُ وَلكنْ مُنْصَبِغًا بصَبْغِ الأَصْل وَهُوَ المَعْنَى بالبَقَاء بالله فَبالضَّرُورَة لاَ يَكُونُ للسُّكْر مَجَال في عُلومِ أَرْبَابِ هَذَا البَقَاء فَتَكُونُ عُلومُهُمْ مُطَابَقَةً لعُلومِ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

وَأَيْضًا إِنِّي سَمِعْتُ وَاحدًا مِنَ الأَعزَّة يَقُول: إِنَّ حَضْرَةَ الخواجهْ أَحْرَارَ - قُدِّسَ سِرُّهُ - حَصَلَ أَيْضًا نسْبَةً مِنْ آبَائه وَأَجْدَاده مِنْ طَرَف أُمِّه وَقَدْ كَانُوا أَصْحَابَ أَحْوَال غَرِيبَة وَجَذَبَات قَوِيَّة وَكَانَ لحَضْرَة الخواجهْ أَحْرَارَ نَصِيبٌ وَافرٌ مِنْ مَقَام الأَقْطَاب الإثْنَى عَشَرَ الذينَ تَأْييدُ الدِّين كَانَ مَرْبُوطًا بهمْ وَلهُمْ شَأْنٌ عَظيمٌ في المَحَبَّة وَحَصَلَ لهُ تَأْييدُ الشَّرِيعَة وَنُصْرَةُ الدِّينِ مِنْ هَذه الجهَة وَقَدْ ذَكَرْتُ ثَمَّةَ مِنْ

أَحْوَاله فِيمَا سَبَقَ ثُمَّ تَحَقَّقَ إِحْيَاءُ طَرِيقَة هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ وإِشَاعَةُ آدَاب هَؤُلَاءِ الأَعِزَّة بَعْدَهُ خُصُوصًا فِي مَمَالِكِ الهِنْدِ الَّتِي كَانَ أَهْلُهَا مَحْرُومِينَ مِنْ كَمَالَاتِهِمْ بِظُهُورِ مَعْدِنِ الإِرْشَاد.

وَمَنِيعُ المَعَارِف مُؤَيِّدُ الدِّينِ الرَّضِيُّ شَيْخُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّد البَاقِي سَلمَهُ اللهُ وَقَدْ أَرَدْتُ أَنَّ أَذْكُرَ نُبْذَةً مِنْ كَمَالَاتِه أَيْضًا فِي هَذَا المَكْتُوبِ وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يُفْهَمْ رِضَاؤُهُ فِي هَذَا البَابِ تَرَكْتُ الجَرَاءَةَ عَلَيْه.

المَكْتُوبُ الحَادي وَالتِّسْعُونَ وَالمائَتَان

إلى مَوْلاَنَا عَبْد الحَيِّ

فِي بَيَان مَرَاتب التَّوْحِيد الوُجُوديِّ والشُّهُوديِّ وَمَا يَتَعَلَقُ بهمَا منَ المَعَارف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَلى آله وَأَصْحَابه أَجْمَعينَ.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالى أَنَّ مَنْشَأَ التَّوْحيد الوُجُوديِّ فِي جَمَاعَة كَثْرَةُ مُمَارَسته مُرَاقَبَات التَّوْحيد وَمُلاَحَظَة مَعْنَى لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ بلاَ مَوْجُود إلاَّ اللهُ وَتَعَقُّلهُ كَذَلكَ وَظُهُورُ هَذَا القسْمِ منَ التَّوْحيد بَعْدَ التَّمَحُّل وَالتَّأَمُّل وَالتَّخَيُّل بوَاسطَة اسْتيلاَء سُلطَان الخَيَال فَإنَّ منْ كَثْرَة مُزَاوَلَة مَعْنَى التَّوْحيد تَنْتَقشُ هَذه المَعْرفَةُ في المُتَخَيَّلَة وَحَيْثُ كَانَتْ مَجْعُولَةً بجَعْل الجَاعل تَكُونُ مَعْلومَةً البَتَّةَ وَلَيْسَ صَاحبُ هَذَا التَّوْحيد منْ أَرْبَاب الأَحْوَال فَإنَّ أَرْبَابَ الأَحْوَال أَرْبَابُ القُلوب وَلاَ خَبَرَ لهُ في ذَلكَ الوَقْت عَنْ مَقَام القَلب بَل هُوَ علميٌّ لاَ غَيْرُ بَل للعلم دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْض وَمَنْشَأُ التَّوْحيد الوُجُوديِّ في جَمَاعَة أُخْرَى الانْجذَابُ وَالمَحَبَّةُ القَلبيَّةُ حَيْثُ اشْتَغَلوا ابْتدَاءً بالأَذْكَار وَالمُرَاقبَات خَاليَةً عَنْ تَخَيُّل مَعْنَى التَّوْحيد وَبَلغُوا بالجَدِّ وَالجَهْد أَوْ بمُجَرَّد سَبْق العنَايَة مَقَامَ القَلب وَحَصَّلوا الجَذْبَ فَإنْ ظَهَرَ لَهُمْ في هَذَا المَقَام جَمَال التَّوْحيد الوُجُوديِّ فَسَبَبُهُ يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ غَلبَةَ مَحَبَّة المَجْذُوب فَإنَّهَا جَعَلتْ مَا سوَى المَحْبُوب مُخْتَفيًا عَنْ نَظَرهمْ وَمَسْتُورًا فَإذَا لَمْ يرَوْا مَا سوَى المَحْبُوب وَلَمْ يَجدُوهُ فَلاَ جَرَمَ لاَ يَعْلمُونَ مَوْجُودًا غَيْرَ المَحْبُوب وَهَذَا القسْمُ منَ التَّوْحيد منَ الأَحْوَال وَمُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ علة التَّخَيُّل وَشَائبَة التَّوَهُّم وَالانْتقَاش في الخَيَال فَإنْ رَجَعَتْ هَذه الجَمَاعَةُ الذينَ هُمْ منْ أَرْبَاب القُلوب منْ ذَلكَ المَقَام إلى العَالَم يُشَاهدُونَ مَحْبُوبَهُمْ فِي كُل ذَرَّة منْ ذَرَّات العَالَم وَيَرَوْنَ المَوْجُودَات مَرَايَا حُسْن المَحْبُوب وَمَجَالي جَمَاله فَإنْ تَوَجَّهُوا بمَحْض فَضْل الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - منْ مَقَام القَلب إلى جَنَاب قُدْس مُقَلب القَلب تَشْرَعُ هَذه المَعْرفَةُ التَّوْحيديَّةُ الحَاصلةُ فِي مَقَام القَلب فِي الزَّوَال وَكُلمَا صَعدُوا فِي مَعَارج العُرُوج يَجدُونَ أَنَّ فيهمْ غَيْرَ

مُناسب لتلكَ المَعْرفَة حَتَّى تَبلغ جَماعَةٌ منْهُم حَدَّ الإنْكَار وَالطَّعْن في أَرْبَاب تلكَ المَعْرِفَة مثْل شَيْخ رُكْنِ الين أَبُو المَكَارِمِ عَلاَءِ الدَّوْلَة السِّمْنَانيِّ وَلاَ يَبْقَى لبَعْضٍ آخَرَ شُغْل بنَفْي تلكَ المَعْرفَة وَإثْبَاتهَا.

وَكَاتبُ هَذه السُّطُور يَتَحَاشَا منْ إنْكَار أَرْبَاب هَذه المَعْرفَة وَيُبْعدُ نَفْسَهُ عَنْ طَعْنهِمْ فَإنَّهُ إنَّمَا يَكُونُ للإنْكَار وَالطَّعْن مَجَال إذَا كَانَ لأَرْبَاب ذَلكَ الحَال حينَ ظُهُوره قَصْدٌ وَاختيَارٌ وَهَذَا المَعْنَى ظَهَرَ فيهِمْ منْ غَيْر إرَادَة وَصُنْع منْهُمْ فَهُمْ مَغْلُوبُونَ لذَلكَ الحَال فَيَكُونُونَ مَعْذُورينَ البَتَّةَ وَلاَ رَدَّ وَلاَ طَعْنَ للمُضْطَرِّ المَعْذُور وَلكنِّي أَعْلَمُ أَنَّ فَوْقَ هَذه المَعْرفَة مَعْرفَةً أُخْرَى وَوَرَاءَ هَذَا الحَال حَالَةً أُخْرَى وَالمَحْبُوسُونَ في هَذَا المَقَام مَمْنُوعُونَ عَنْ كَمَالات كَثيرَة وَمَحْرُومُونَ منْ مَقَامَات عَديدَة وَقَدْ فُتحَ لهَذَا الفَقير قَليل البضَاعَة بَابُ هَذه المَعْرفَة منْ غَيْر مُمَارَسَة مَعْنًى التَّوْحيد في ضمْن المُرَاقَبَات وَالأَذْكَار بَل منْ غَيْر جَدٍّ وَجُهْد بفَضْل الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - في مُلاَزَمَة مَنْبَع الهدَايَة وَالإفَاضَة.

وَمَعْدنُ الحَقَائق وَالمَعَارف المُسْتَفَاضَة مُؤَيِّدُ الدِّين الرَّضيُّ شَيْخُنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٌ البَاقيُّ - قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى سرَّهُ الأَقْدَسَ - بَعْدَ تَعْليم الذِّكْر وَتَوَجُّهه وَالتفَاته وَإيصَاله إلى مَقَام القَلْب وَأُعْطيتُ في هَذَا المَقَام عُلومًا غَزيرَةً وَمَعَارفَ كَثيرَةً وَانْكَشَفَتْ دَقَائقُ هَذه المَعَارف وَبَقيتُ مُدَّةً مَديدَةً في هَذَا المَقَام ثُمَّ أَخْرَجْتُ آخرَ الأَمْر منْ مَقَام القَلْب بيُمْن عنَايَته لعَبْده وَتَوَجَّهَتْ هَذه المَعَارفُ في ضمْن ذَلكَ نَحْوَ الزَّوَال حَتَّى صَارَتْ بالتَّدْريج مَعْدُومَةً وَالمَقْصُودُ منْ إظْهَار الأَحْوَال ليُعْلَمَ أَنَّ مَا هُوَ المَسْطُورُ وَالمَرْقُومُ مُحَرَّرٌ عَلى وَجْه الذَّوْق وَالكَشْف لاَ عَلى وَجْه الظَّنِّ وَالتَّقْليد وَمَا ظَهَرَ منْ بَعْض أَوْليَاء الله تَعَالَى منَ المَعَارف التَّوْحيديَّة لعَلهَا ظَهَرَتْ منْهُمْ في ابْتدَاء أَحْوَالهمْ منْ مَقَام القَلْب فَلاَ يَلحَقُهُمْ حينَئذ نَقْصٌ منْ هَذه الجهَة أَصْلاً وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الفَقيرُ أَيْضًا رَسَائل في المَعَارف التَّوْحيديَّة وَلَمَّا نَشَرَ بَعْضُ الأَصْحَاب تلكَ الرَّسَائل تَعَسَّرَ جَمْعُهَا فَتُركَتْ عَلى حَالهَا وَإنَّمَا يَلزَمُ النَّقْصُ إذَا لَمْ يُجَاوزُوا هَذَا المَقَامَ.

وَطَائفَةٌ أُخْرَى منْ أَرْبَاب التَّوْحيد الذينَ حَصَل لَهُمُ الاسْتهْلاَكُ وَالاضْمحْلال في مَشْهُودهمْ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ وَجُل همَّتهم أَنْ يَكُونُوا مُضْمَحلينَ وَمَعْدُومينَ في مَشْهُودهمْ دَائمًا وَأَنْ لاَ يُرَى أَثَرٌ منْ لوَازم وُجُودهمْ وَيَرَوْنَ رُجُوعَ أَنَا إلى أَنْفُسهمْ كُفْرًا.

وَنِهَايَةُ الأَمْرِ عِنْدَهُمُ الفَنَاءُ وَالانْعِدَامُ حَتَّى يَرَوْنَ المُشَاهَدَةَ أَيْضًا تَعَلُّقًا.

قَالَ بَعْضُهُمْ: أَشْتَهِي عَدَمًا لاَ أَعُودُ أَبَدًا وَهُمْ قَتْلَى المَحَبَّةِ، وَحَدِيثُ "**مَنْ قَتَلَتْهُ مَحَبَّتِي فَأَنَا دِيَتُهُمْ**" صَادِقٌ فِي حَقِّهِمْ وَمُتَحَقِّقٌ فِي شَأْنِهِمْ وَهُمْ تَحْتَ ثِقَلِ الوُجُودِ لَيْلاً وَنَهَارًا لاَ يَسْتَرِيحُونَ لَمْحَةً فَإِنَّ الرَّاحَةَ فِي الغَفْلَةِ وَلاَ مَجَالَ لِلغَفْلَةِ عَلَى تَقْدِيرِ دَوَامِ الاسْتِهْلاَكِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ الهَرَوِيُّ: مَنْ أَغْفَلَنِي عَنِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - سَاعَةً أَرْجُو أَنْ يَغْفِرَ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ وَالغَفْلَةُ لاَزِمَةٌ لِلوُجُودِ البَشَرِيَّةِ وَجَعَلَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالَى ظَاهِرَ كُلٍّ مِنْهُمْ مِنْ كَمَالِ كَرَمِهِ مَشْغُولاً بِأُمُورٍ مُسْتَلْزِمَةٍ لِلغَفْلَةِ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ لِيُخَفِّفَ عَنْهُمْ أَثْقَالَ الوُجُودِ فِي الجُمْلَةِ.

أَلِفَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ وَجَعَلَ طَائِفَةً مَشْغُولَةً بِتَصْنِيفِ الكُتُبِ وَتَحْرِيرِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَشُغِلَ بَعْضُهُمْ بِأُمُورٍ مُبَاحَةٍ كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ الإِصْطَخْرِيُّ يَذْهَبُ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَمَعَهُ كِلاَبٌ يَصْطَادُ بِهِنَّ فَسَأَلَ شَخْصٌ وَاحِدٌ مِنَ الأَعِزَّةِ عَنْ سِرِّهِ فَقَالَ: لِيَتَخَلَّصَ عَنْ ثِقَلِ الوُجُودِ لَحْظَةً وَرُوِّحَ بَعْضُهُمْ بِعُلُومِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ وَشُهُودِ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ تِلْكَ الأَثْقَالِ سَاعَةً وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ مَا ظَهَرَ مِنْ بَعْضِ أَكَابِرِ مَشَائِخِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ - قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ - مِنَ المَعَارِفِ التَّحِيدِيَّةِ فَإِنَّ نِسْبَتَهُمْ تَجُرُّ إِلَى التَّنْزِيهِ الصِّرْفِ لاَ تَعَلُّقَ لَهَا بِالعَالَمِ وَشُهُودُ العَالَمِ وَمَا كَتَبَهُ مَعْدَنُ الإِرْشَادِ وَمَنْبَعُ الحَقَائِقِ وَالمَعَارِفِ نَاصِرُ الدِّينِ الخواجهْ عُبَيْدُ اللهِ أَحْرَارُ مِنَ المَعَارِفِ المُنَاسِبَةِ بِعُلُومِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ، وَشُهُودُ الوَحْدَةِ فِي الكَثْرَةِ مِنَ القِسْمِ الأَخِيرِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَكِتَابُ الفِقْرَاتِ لَهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى بَعْضِ عُلُومِ التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهَا مَنْشَأُ عُلُومِ ذَلِكَ الكِتَابِ.

وَالمَقْصُودُ مِنْ تِلْكَ المَعَارِفِ اسْتِينَاسُهُ وَأُلْفَتُهُ بِالعَالَمِ وَكَذَلِكَ مَعَارِفُ شَيْخِنَا المُحَرَّرَةِ فِي بَعْضِ الرَّسَائِلِ عَلَى طِبْقِ كَلاَمِ كِتَابِ الفِقْرَاتِ وَلَيْسَ مَنْشَأُ هَذِهِ العُلُومِ التَّوْحِيدِيَّةِ الجَذْبَةَ وَلاَ غَلَبَةَ المَحَبَّةِ وَلاَ نِسْبَةَ لِمَشْهُودِهِمْ بِالعَالَمِ وَمَا يُرَى لَهُمْ فِي مِرْآةِ العَالَمِ إِنَّمَا هُوَ شِبْهُ مَشْهُودِهِمْ وَمِثَالُهُ لاَ مَشْهُودُهُمُ الحَقِيقِيُّ كَمَا أَنَّ شَخْصًا إِذَا كَانَ عَاشِقًا لِجَمَالِ الشَّمْسِ وَمِنْ كَمَالِ المَحَبَّةِ أَفْنَى نَفْسَهُ فِي الشَّمْسِ بِحَيْثُ لَمْ يَتْرُكْ مِنْ نَفْسِهِ اسْمًا وَلاَ رَسْمًا فَإِذَا أُرِيدَ تَسْلِيَتُهُ وَأُنْسُهُ وَأُلْفَتُهُ بِمَا سِوَى الشَّمْسِ لِيَتَنَفَّسَ مِنْ غَلَبَةِ تُشَعْشُعُ أَنْوَارَهَا لَمْحَةً وَيَسْتَرِيحُ مِنْهَا لَحْظَةً يُرَى لَهُ الشَّمْسُ فِي مَجَالِي هَذَا العَالَمِ وَيَحْصُلُ لَهُ بِتِلْكَ العَلاَقَةِ أُنْسٌ وَأُلْفَةٌ بِهَذَا العَالَمِ وَيُقَالُ لَهُ أَحْيَانًا: إِنَّ هَذَا العَالَمَ

عَيْنُ الشَّمْسِ وَلاَ مَوْجُودَ غَيْرَهَا أَصْلاً وَأَحْيَانًا يُرَى لهُ جَمَال الشَّمْسِ فِي مِرْآةِ ذَرَّات العَالَم.

لاَ يُقَال: إنَّ العَالَمَ إذَا لَمْ يَكُنْ عَيْنَ الشَّمْسِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ يَكُونُ الإخْبَارُ بِأَنَّهُ عَيْنُ الشَّمْسِ خلاَفَ الوَاقِعِ لأَنَّا نَقُول: إنَّ لبَعْضِ أَفْرَاد العَالَم مَعَ بَعْضٍ آخَرَ اشْتِرَاكًا فِي بَعْضِ الأُمُور وَامْتِيَازًا فِي بَعْضٍ آخَرَ وَالحَقُّ – سُبْحَانَهُ – بكَمَال قُدْرَته يُخْفِي عَنْ نَظَر هَؤُلاَء الأَكَابر الأُمُورَ البَاعثَةَ عَلَى الامْتيَاز بوَاسطَة بَعْضِ الحكَم وَالمَصَالح وَيَبْقَى الأَجْزَاءُ المُشْتَرَكَةُ فَقَطْ مَشْهُودَةً فَيَحْكُمُونَ باتِّحَاد بَعْضهَا لبَعْضٍ بالضَّرُورَة فَتَجدُ الشَّمْسَ فيمَا نَحْنُ فيه بهَذه العَلاَقَة عَيْنَ العَالَم وَكَذَلكَ الحَقُّ – سُبْحَانَهُ – وَإنْ لَمْ يَكُنْ لهُ مُنَاسَبَةٌ بالعَالَم في الحَقيقَة أَصْلاً وَلكنَّ المُشَابَهَةَ الاسْميَّةَ قَدْ تَصيرُ مُصَحِّحَةً لهَذَا الاتِّحَاد فَإنَّ الحَقَّ – سُبْحَانَهُ – مَثَلاً مَوْجُودٌ وَالعَالَمُ أَيْضًا مَوْجُودٌ وَإنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الوُجُودَيْن في الحَقيقَة مُنَاسَبَةٌ أَصْلاً وَكَذَلكَ هُوَ تَعَالى عَالمٌ وَسَميعٌ وَبَصيرٌ وَحَيٌّ وَقَادرٌ وَمُريدٌ وَبَعْضُ أَفْرَاد العَالَم أَيْضًا مُتَّصفٌ بهَذه الصِّفَات وَإنْ كَانَ صفَاتُ كُل منْهُمَا مُغَايرَةً لصفَات الآخَر وَلكنْ لَمَّا كَانَتْ خُصُوصيَّةُ الوُجُود الإمْكَانيِّ وَنَقَائصُ المُحْدَثَات مَسْتُورَةً عَنْ نَظَرهمْ سَاغَ لَهُمْ لوْ حَكَمُوا بالاتِّحَاد وَهَذَا القسْمُ الأَخيرُ منَ التَّوْحيد أَعْلَى أَقْسَام التَّوْحيد بَل لَيْسَ أَرْبَابُ هَذه المَعْرفَة في الحَقيقَة مَغْلوبي هَذَا الوَارد وَلَمْ يَكُنْ البَاعثُ عَلى هَذه المَعْرفَة سُكْرَهُمْ بَل أَورَدَ عَلَيْهمْ هَذَا الوَاردُ لأَجْل مَصْلَحَة مَا وَأُريدَ إخْرَاجُهُمْ منَ السُّكْر إلى الصَّحْو بسَبَب هَذه المَعْرفَة وَتَسْليَتهمْ بهَا كَمَا تَتَسَلى جَمَاعَةٌ بالسَّمَاع وَالرَّقْص وَطَائفَةٌ بالاشْتغَال ببَعْض أُمُور مُبَاحَة.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ هَؤُلاَء المَذْكُورينَ منْ هَذه الطَّوَائف يَشْتَغلونَ ببَعْض أُمُور مُغَايرَة لمَشْهُودهمْ وَيَتَسلوْنَ بهَا عَلى مَا عَرَفْتُ بخلاَف هَؤُلاَء الأَكَابر فَإنَّهُمْ لاَ يَلتَفتُونَ إلى أَمْر مُغَاير لمَشْهُودهمْ وَلاَ يَتَسلوْنَ به فَلاَ جَرَمَ قَدْ يُرَى لَهُمُ العَالَمُ عَيْنَ مَشْهُودهمْ أَوْ يَظْهَرُ لَهُمْ مَشْهُودُهُمْ في مرْآة العَالَم ليَخفَّ عَنْهُمْ ذَلكَ الثِّقَل سَاعَةً وَمَنْشَأُ هَذَا القسْم الأَخير منَ التَّوْحيد لَمْ يَكُنْ مَعْلومًا لهَذَا الحَقير بطَريق الكَشْف وَالذَّوْق بَل المَعْلومُ هُوَ الجهَتَان السَّابقَتَان وَهَذَا القسْمُ ظَنِّيٌّ وَلهَذَا لَمْ أَكْتُبْ في كُتُبي وَرَسَائلي إلاَّ هَاتَيْن الجهَتَيْن بَل الجهَةَ الثَّانيَةَ فَقَطْ وَجَعَلتُ التَّوْحيدَ الوُجُوديَّ مُنْحَصرًا فيهَا وَلكنْ لَمَّا وَقَعَ المُرُورُ ببَلدَة دَهْلي المَحْرُوسَة بَعْدَ رحْلَة مُرْشدي وَقبْلَتي بنيَّة زيَارَة قَبْره الشَّريف إنْفَاقًا وَذَهَبْتُ لزيَارَة قَبْره الشَّريف يَوْمَ عيد ظَهَرَ في أَثْنَاء

التَّوَجُّه إلى مَزَارِهِ المُتَبَرَّكِ مِنْ رُوحَانِيَّتِهِ المُقَدَّسَة التِفَاتٌ تَامٌّ وَمُنْحَنًى مِنْ كَمَال أَلطَافِه وَإشْفَاقِه للغُرَبَاء نِسْبَتُهُ الخَاصَّةُ المَنْسُوبَةُ إلى الخواجهْ أَحْرَارَ – قُدِّسَ سِرُّهُ – وَلَمَّا وَجَدْتُ تلكَ النِّسْبَةَ في نَفْسٍ وَجَدْتُ حَقِيقَةَ تلكَ العُلومِ وَالمَعَارِفِ بطَرِيقِ الذَّوْقِ بالضَّرُورَةِ وَعَلِمْتُ أَنَّ مَنْشَأَ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ فِيهِمَا لَيْسَ هُوَ الانْجِذَابُ القَلْبِيُّ وَغَلَبَةُ المَحَبَّةِ بَل المَقْصُودُ مِنْ تلكَ المَعْرِفَةِ تَخْفِيفُ تلكَ المَحَبَّةِ وَلَمْ أَرَ إظْهَارَ هَذَا المَعْنَى مُنَاسِبًا إلى مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الوَجْهَانِ السَّابِقَانِ مَذْكُورَيْنِ في بَعْضِ الرَّسَائِلِ وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ أُنَاسٌ قَلِيلُو الدِّرَايَةِ في تَوَهُّمِ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ هَذَا البَيَانِ تَنْقِيصُ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ الجَلِيلَيْنِ بِأَنَّ طَرِيقَهُمَا طَرِيقُ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ وَأَطَالُوا بِهَذَا السَّبَبِ لِسَانَ الفِتْنَةِ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ التَّوَهُّمُ في بَعْضِ الطُّلَّابِ القَلِيلِي الإخْلَاصِ وَاليَقِينِ بَاعِثًا عَلَى فُتُورِ أَحْوَالِهِمْ فَرَأَيْتُ المَصْلَحَةَ في إظْهَارِ هَذَا القِسْمِ مِنَ التَّوْحِيدِ بالضَّرُورَةِ وَرَأَيْتُ المُنَاسِبَ ذِكْرَ تلكَ الوَاقِعَةِ للاسْتِشْهَادِ فَحَرَّرْتُهَا لِذَلِكَ.

نَقَلَ دَرْوِيشٌ مِنْ مُخْلِصِي شَيْخِنَا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ بِأَنَّا نَكْتَسِبُ النِّسْبَةَ مِنْ مُطَالَعَةِ كُتُبِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَل المَقْصُودُ أَنْ تُغْفَلَ أَنْفُسُنَا سَاعَةً وَهَذَا الكَلَامُ مُؤَيِّدٌ للكَلَامِ السَّابِقِ.

وَنَقَلَ مَعْدِنُ الفَضِيلَةِ الشَّيْخُ عَبْدُ الحَقِّ الذي هُوَ مِنْ مُخْلِصِي شَيْخِنَا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قُبَيْلَ أَيَّامِ رِحْلَتِهِ:

قَدْ صَارَ مَعْلُومًا لَنَا بِيَقِينِ يَقِينٍ أَنَّ التَّوْحِيدَ الوُجُودِيَّ سِكَّةٌ ضَعِيفَةٌ وَالطَّرِيقُ السُّلْطَانِيُّ غَيْرُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمَ ذَلِكَ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الآنَ قَدْ ظَهَرَ هَذَا القِسْمُ مِنَ اليَقِينِ بِهِ وَيُفْهَمُ مِنْ هَذَا الكَلَامِ أَيْضًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِمَشْرَبِهِ مُنَاسَبَةٌ بِالتَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ في آخِرِ الأَمْرِ وَإِنْ كَانَ قَدْ ظَهَرَ مِثْلُ هَذَا التَّوْحِيدِ في ابْتِدَاءِ الحَالِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِضَائِرٍ بَل قَدْ ظَهَرَ مِثْلُ هَذَا التَّوْحِيدِ لِكَثِيرٍ مِنَ المَشَايِخِ في ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ ثُمَّ انْقَلَعُوا عَنْهُ في الآخِرِ.

وَأَيْضًا: إنَّ بَيْنَ طَرِيقِ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ وَطَرِيقِ الخواجهْ أَحْرَارَ فَرْقًا وَمُغَايَرَةً بَعْدَ الوُصُولِ إلى مَقَامِ الجَذْبَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَكَذَلِكَ بَيْنَ عُلُومِهِمَا وَمَعَارِفِهِمَا أَيْضًا فَرْقٌ وَغَالِبُ تَوَجُّهِ الخواجهْ أَحْرَارَ بَعْدَ ذَلِكَ إلى نِسْبَةِ أَجْدَادِهِ مِنْ طَرَفِ أُمِّهِ وَكَانُوا كُبَرَاءَ بَطْنًا بَعْدَ بَطْنٍ وَهَذَا الفَنَاءُ وَالانْعِدَامُ الذي ذُكِرَ فِيمَا سَبَقَ مِنْ لَوَازِمِ نِسْبَةِ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ وَهَذَا الفَقِيرُ اخْتَارَ لِتَرْبِيَةِ الطَّالِبِينَ طَرِيقَ حَضْرَةِ الخواجهْ النَّقْشَبَنْدِيِّ لِمَصْلَحَةِ أَبْنَاءِ هَذَا الوَقْتِ وَرَأَيْتُ المُنَاسِبَ ظُهُورَ عُلُومِ هَذَا الطَّرِيقِ

وَمَعَارِفِهِ التِي هِيَ أَكْثَرُ مُنَاسَبَةً بِعُلومِ الشَّرِيعَةِ فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ الفَاسِدِ الذِي ظَهَرَ فِيهِ ضَعْفٌ تَامٌّ فِي أَرْكَانِ الشَّرِيعَةِ فَعَيَّنْتُ هَذَا الطَّرِيقَ لإِفَادَةِ الطَّالِبِينَ فَلَوْ أَرَادَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - تَرْوِيجَ الطَّرِيقَةِ الأَحْرَارِيَّةِ بِوَاسِطَةِ هَذَا الحَقِيرِ لِنُورِ العَالَمِ بِأَنْوَارِهَا فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ أَنْوَارَ كُلٍ مِنْ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ المُعَظَّمَيْنِ عَلى وَجْهِ الكَمَالِ وَكُشِفَ عَنْ طَرِيقِ تَكْمِيلِ كُلٍ مِنْهُمَا أَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ، شِعْرٌ:

مَلِيكٌ مِنْ عِنَايَتِهِ وَلُطْفِهِ   لأَعْطِي لِلفَقِيرِ العَالَمِينَا

آخَرُ

فَإِذَا أَتَى بَابَ العَجُوزِ خَلِيفَةٌ   إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سَبَالِكَا

وَقَدْ أَوْرَدْتُ بَعْضَ الأَسْرَارِ الخَفِيَّةِ بِحُكْمِ {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} فِي مَعْرِضِ الظُّهُورِ نَفَعَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - الطَّالِبِينَ بِهَا وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهَا لا تَزِيدُ المُنْكِرِينَ غَيْرَ الإِنْكَارِ وَلَكِنَّ المَقْصُودَ إِفَادَةُ الطَّالِبِينَ وَالمُنْكِرُونَ خَارِجُونَ عَنِ المَبْحَثِ وَمُبْعَدُونَ عَنْ مَطْمَحِ النَّظَرِ {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} وَلاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَابِ البَصِيرَةِ أَنَّ اخْتِيَارَ طَرِيقٍ مِنَ الطُّرُقِ لأَجْلِ مَصْلَحَةٍ لاَ يَسْتَلْزِمُ أَفْضَلِيَّةَ هَذَا الطَّرِيقِ عَلى طَرِيقٍ آخَرَ وَلاَ يَلْزَمُ مِنْهُ تَنْقِيصُهُ، شِعْرٌ:

وَيُمْكِنُ غَلقُ أَبْوَابِ الحُصُونِ   وَلَكِنْ لاَ نَجَاةَ مِنَ الكَلاَمِ

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالتِّسْعُونَ وَالمائَتَان
إلى الشَّيْخِ حُمَيْد البنْكَاليِّ
في بَيَانِ الآدَاب الضَّرُورِيَّة للمُرِيدِينَ وَدَفْعِ بَعْضِ الشُّبَه

بسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ لله الذي أَدَّبَنا بالآدَاب النَّبَوِيَّة وَهَذَّبَنا بالأَخْلاَقِ المُصْطَفَوِيَّة عَلَيْه وَعَلى آله أَفْضَل الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَأَزْكَى التَّحيَّة.

اعْلَمْ أَنَّ سَالكِي هَذَا الطَّرِيقِ لاَ يَخْلونَ عَنْ أَحَد الحَالَيْنِ إمَّا أَنْ يَكُونُوا مُرِيدِينَ وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا مُرَادِينَ فَإِنْ كَانُوا مُرَادِينَ فَطُوبَى لَهُمْ يُوصَل بِهِمْ إلى المَطْلَب الأَعْلَى مِنْ طَرِيقِ الانْجِذَاب وَالمَحَبَّة مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَيَعْمَلونَ كُل أَدَب لاَزِمٍ بوَاسطَة أَوْ بِلاَ وَاسطَة فَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهُمْ زَلةٌ يُنَبَّهُونَ عَلَيْهَا سَرِيعًا وَلاَ يُؤَاخَذُونَ بِهَا فَإِنْ احْتَاجُوا إلى شَيْخٍ ظَاهِرٍ يَهْتَدُونَ إلَيْه مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ عَنْهُمْ وَبالجُمْلة إنَّ العنَايَةَ الأَزَليَّةَ مُتَكَلفَةٌ لحَال هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَلاَ بُدَّ مِنْ حُصُول أَمْرِهِمْ بِسَبَبٍ أَوْ بِلاَ سَبَبٍ وَاللهُ يَجْتَبِي إلَيْه مَنْ يَشَاءُ.

وَإِنْ كَانُوا مُرِيدِينَ فَأَمْرُهُمْ مِنْ غَيْرِ شَيْخٍ كَامِلٍ مُكَمِّلٍ وَالشَّيْخُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُشَرَّفًا بدَوْلَة الجَذْبَة وَالسُّلوك وَمُسْتَسْعدًا بسَعَادَة الفَنَاء وَالبَقَاء وَأَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَمَّ السَّيْرَ إلى الله وَالسَّيْرَ في الله وَالسَّيْرَ عَنِ الله بالله وَالسَّيْرَ في الأَشْيَاء بالله فَإِنْ كَانَتْ جَذْبَتُهُ مُقَدَّمَةً عَلى سُلوكه وَتَرَبَّى بتَرْبيَة المُرَادِينَ فَهُوَ كبْرِيتٌ أَحْمَرُ وَكَلاَمُهُ دَوَاءٌ وَنَظَرُهُ شفَاءٌ، إحْيَاءُ القُلوب المَيِّتَة مَنُوطٌ بتَوَجُّهه الشَّرِيف وَتَزْكيَةُ النُّفُوسِ العَاتيَة مَرْبُوطَةٌ بالتفَاته اللطيف فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ صَاحِبُ دَوْلَة مثْلِ ذَلكَ فَالسَّالكُ المَجْذُوبُ أَيْضًا مُغْتَنمٌ يَحْصُلُ مِنْهُ تَرْبيَةُ النَّاقصينَ وَيَصلونَ بوَسَاطَته إلى دَوْلَة الفَنَاء وَالبَقَاءِ، شعْرٌ:

مَتَى قسْنَا السَّمَا بالعَرْشِ يَنْحَطُّ   وَمَا أَعْلاَهُ إنْ قسْنَا بأَرْضِ

فَإِنْ اهْتَدَى الطَّالبُ بعنَايَة الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - إلى مثْلِ هَذَا الشَّيْخِ الكَاملِ المُكَمَّلِ وَوَصَل إلَيْه يَنْبَغِي أَنْ يَغْتَنمَ وُجُودَهُ وَأَنْ يُفَوِّضَ نَفْسَهُ إلَيْه بالتَّمَامِ وَأَنْ يَعْتَقدَ سَعَادَتَهُ في مَرْضِيَّاته وَشَقَاوَته في خلاَف مَرْضيَّاته وَبالجُمْلة يَنْبَغي أَنْ

يَجْعَل هَوَاهُ تَابِعًا لِرِضَاهُ وَفِي الخَبَرِ النَّبَوِيِّ – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – – "**لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَابِعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**"

اعْلَمْ أَنَّ رِعَايَةَ آدَابِ الصُّحْبَةِ وَمُرَاعَاةَ شَرَائِطِهَا مِنْ ضَرُورِيَّاتِ هَذَا الطَّرِيقِ حَتَّى يَكُونَ طَرِيقُ الإِفَادَةِ وَالاسْتِفَادَةِ مَفْتُوحًا وَبِدُونِهَا لاَ نَتِيجَةَ لِلصُّحْبَةِ وَلاَ ثَمْرَةَ لِلْمُجَالَسَةِ وَلنُورِدَ بَعْضَ الآدَابِ وَالشَّرَائِطِ الضَّرُورِيَّةِ فِي مَعْرِضِ البَيَانِ يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهَا بِسَمْعِ العَقْلِ

اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ أَنْ يَعْرِضَ بِقَلْبِهِ عَنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ وَأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى شَيْخِهِ وَأَنْ لاَ يَشْتَغِلَ بِالنَّوَافِلِ وَالأَذْكَارِ مَعَ وُجُودِ الشَّيْخِ بِلاَ إِذْنِهِ وَلاَ يَلْتَفِتَ فِي حُضُورِهِ إِلَى غَيْرِهِ بَلْ يَجْلِسُ لَدَيْهِ مُتَوَجِّهًا بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ حَتَّى لاَ يَشْتَغِلَ عَنْهُ بِالذِّكْرِ أَيْضًا إِلاَّ أَنْ يَأْمُرَهُ بِهِ وَلاَ يُصَلِّيَ فِي حُضُورِهِ غَيْرَ الفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ.

وَنُقِلَ عَنْ سُلْطَانِ هَذَا الوَقْتِ أَنَّ وَزِيرَهُ كَانَ قَائِمًا عِنْدَهُ فَالْتَفَتَ الوَزِيرُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ اتِّفَاقًا إِلَى ثَوْبِهِ وَأَصْلَحَ أَزْرَارَهُ بِيَدِهِ فَوَقَعَ نَظَرُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الحَالِ فَرَآهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى غَيْرِهِ فَقَالَ لَهُ بِلِسَانِ العِتَابِ: أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْضِمَ هَذَا الفِعْلَ تَكُونُ وَزِيرِي وَتَلْتَفِتُ فِي حُضُورِي إِلَى غَيْرِي وَتَشْتَغِلُ بِإِصْلاَحِ أَزْرَارِ ثَوْبِكَ فَيَنْبَغِي التَّأَمُّلُ إِذَا كَانَتْ رِعَايَةُ الآدَابِ الدَّقِيقَةِ لاَزِمَةً فِي وَسَائِلِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ تَكُونُ رِعَايَةُ الآدَابِ لاَزِمَةً عَلَى الوَجْهِ الأَتَمِّ فِي وَسَائِلِ الوُصُولِ إِلَى اللهِ وَمَهْمَا أَمْكَنَ لاَ يَقُومُ فِي مَحَلٍ يَقَعُ ظِلُّهُ عَلَى ثَوْبِ شَيْخِهِ أَوْ عَلَى ظِلِّهِ وَلاَ يَضَعُ رِجْلَهُ فِي مُصَلاَّهُ وَلاَ يَتَوَضَّأُ فِي مُتَوَضَّاهُ وَلاَ يَسْتَعْمِلُ ظُرُوفَهُ الخَاصَّةَ بِهِ وَلاَ يَشْرَبُ مَاءً وَلاَ يَأْكُلُ طَعَامًا وَلاَ يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي حُضُورِهِ بَلْ لاَ يَكُونُ مُتَوَجِّهًا إِلَى أَحَدٍ وَلاَ يَمُدُّ رِجْلَهُ عِنْدَ غَيْبَةِ شَيْخِهِ إِلَى جَانِبٍ هُوَ فِيهِ وَلاَ يَرْمِي بُزَاقَهُ إِلَى ذَلِكَ الجَانِبِ وَكُل شَيْءٍ يَصْدُرُ عَنْ شَيْخِهِ يَعْتَقِدُهُ صَوَابًا وَإِنْ لَمْ يَرَ صَوَابًا فِي الظَّاهِرِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ بِطَرِيقِ الإِلْهَامِ وَالإِذْنِ فَلاَ يَكُونُ لِلاعْتِرَاضِ مَجَالٌ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ وَإِنْ تَطَرَّقَ الخَطَأُ إِلَى إِلْهَامِهِ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ فَإِنَّ الخَطَأَ الإِلْهَامِيَّ كَالخَطَأِ الاجْتِهَادِيِّ لاَ يَجُوزُ فِيهِ المَلاَمَةُ وَالاعْتِرَاضُ وَأَيْضًا إِنَّ المُرِيدَ لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَحَبَّةُ الشَّيْخِ وَكُل مَا يَصْدُرُ عَنِ المَحْبُوبِ يَكُونُ مَحْبُوبًا فِي نَظَرِ المُحِبِّ فَلاَ يَكُونُ لِلاعْتِرَاضِ مَجَالٌ وَلْيَقْتَدِ بِشَيْخِهِ فِي الكُلِّيِّ وَالجُزْئِيِّ سَوَاءٌ كَانَ فِي الأَكْلِ وَالشُّرْبِ أَوِ اللِّبْسِ أَوِ النَّوْمِ أَوِ الطَّاعَةِ وَيَنْبَغِي أَنْ يُصَلِّيَ الصَّلاَةَ عَلَى طَرْزِ صَلاَتِهِ وَأَنْ يَأْخُذَ الفِقْهَ مِنْ عَمَلِهِ، شِعْرٌ:

مَنْ كَانَ فِي قَصْرِه الحَسْنَاءُ قَدْ فَرَغَا   مِنَ التَّنَزُّه فِي البُسْتَان وَالمَرْجِ

وَلاَ يَتْرُكُ فِي نَفْسِه مَجَالاً لِلاعْتِرَاضِ عَلَى حَرَكَاتِه وَسَكَنَاتِه أَصْلاً وَإِنْ كَانَ الاعْتِرَاضُ مِقْدَارَ حَبَّةِ خَرْدَلَة فَإِنَّهُ لاَ نَتِيجَةَ لِلاعْتِرَاضِ غَيْرَ الحِرْمَان وَأَشْقَى جَمِيعِ الخَلاَئِقِ وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ السَّعَادَةِ الذِينَ يَرَوْنَ عُيُوبَ هَذِه الطَّائِفَةِ نَجَّانَا اللهُ – سُبْحَانَهُ – مِنْ هَذَا البَلاَءِ العَظِيمِ وَلاَ يَطْلُبُ مِنْ شَيْخِه الكَرَامَاتِ وَخَوَارِقَ العَادَاتِ وَإِنْ كَانَ هَذَا الطَّلَبُ بِطَرِيقِ الخَوَاطِرِ وَالوَسَاوِسِ فَهَلْ سَمِعْتَ قَطُّ أَنَّ مُؤْمِنًا طَلَبَ مِنْ نَبِيِّه مُعْجِزَةً وَإِنَّمَا طَلَبَهَا الكُفَّارُ وَأَهْلُ الإِنْكَارِ شِعْرٌ.

المُعْـــجِزَاتُ مُفِيـــدَةٌ قَهْرَ العِدَا   وَنَتِيجَـــةُ التَّقْلِيدِ ذَاكَ الاقْتِدَا
مَا المُعْجِزَاتُ مُفِيدَةَ الإِيمَانِ بَلْ   قَدْ يَجْذِبُ التَّقْلِيدُ نَحْوَ الاهْتِدَا

فَإِنْ عُرِضَتْ لِخَاطِرِه شُبْهَةٌ يَعْرِضُهَا عَلَى شَيْخِه مِنْ غَيْرِ تَوَقُّف فَإِنْ لَمْ تَنْحَلِ فَلْيَرَ التَّقْصِيرَ مِنْ نَفْسِه وَلاَ يَجُوزُ عَوْدُ مَنْقَصَةٍ أَصْلاً إِلَى جَانِبِ شَيْخِه فَإِنْ وَقَعَتْ عَلَيْهَا وَاقِعَةٌ لاَ يَكْتُمُهَا عَنْ شَيْخِه وَيَطْلُبُ تَعْبِيرَ الوَقَائِعِ مِنْهُ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا انْكَشَفَ لَهُ مِنَ التَّعْبِيرِ وَيَطْلُبُ مِنْهُ تَمْيِيزَ صَوَابِه عَنْ خَطَئِه وَلاَ يَعْتَمِدُ عَلَى كُشُوفِه أَصْلاً فَإِنَّ الحَقَّ مُمْتَزِجٌ بِالبَاطِلِ فِي هَذِه الدَّارِ وَالصَّوَابُ مُخْتَلِطٌ بِالخَطَأِ وَلاَ يُفَارِقُهُ بِلاَ ضَرُورَةٍ وَلاَ إِذْنٍ مِنْهُ فَإِنَّ اخْتِيَارَ الغَيْرِ وَتَفْضِيلَهُ عَلَيْهِ مُنَافٍ لِلإِرَادَةِ وَلاَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِه وَلاَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُ بِرَفْعِ صَوْتِه فَإِنَّهُ سُوءُ أَدَبٍ وَكُلُّ فَيْضٍ وَفُتُوحٍ يَرِدُ عَلَيْهِ فَلْيَعْتَقِدْ أَنَّهُ بِوَاسِطَةِ شَيْخِه فَإِنْ رَأَى فِي الوَاقِعَةِ أَنَّ الفَيْضَ يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مَشَائِخَ أُخَرَ فَلْيَرَهُ أَيْضًا مِنْ شَيْخِه وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الشَّيْخَ لَمَّا كَانَ جَامِعًا لِلكَمَالاتِ وَالفُيُوضَاتِ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهُ فَيْضٌ خَاصٌّ مُنَاسِبٌ لاسْتِعْدَادِه الخَاصِّ المُلاَئِمِ لِكَمَالِ شَيْخٍ مِنَ الشُّيُوخِ أَعْنِي الذِي ظَهَرَتْ مِنْهُ صُورَةُ الإِفَاضَةِ لَطِيفَةً مِنْ لَطَائِفِ شَيْخِه لَهَا مُنَاسَبَةٌ بِذَلِكَ الفَيْضِ ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ ذَلِكَ الشَّيْخِ فَتَخَيَّلَ المُرِيدُ تِلْكَ اللَّطِيفَةَ بِوَاسِطَةِ الابْتِلاَءِ شَيْخًا وَظَنَّ أَنَّ الفَيْضَ مِنْهُ وَهَذِه مَغْلَطَةٌ عَظِيمَةٌ حَفِظَنَا اللهُ مِنْ زَلَّةِ الأَقْدَامِ وَرَزَقَنَا الاسْتِقَامَةَ عَلَى اعْتِقَادِ الشَّيْخِ وَمَحَبَّتِه بِحُرْمَةِ سَيِّدِ البَشَرِ – عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – وَبِالجُمْلَةِ الطَّرِيقُ كُلُّهُ آدَابٌ مِثْلٌ مَشْهُورٌ لاَ يَصِلُ العَارِي عَنِ الآدَابِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَإِنْ رَأَى المُرِيدُ نَفْسَهُ مُقَصِّرًا فِي رِعَايَةِ بَعْضِ الآدَابِ وَلَمْ يَبْلُغْ حَدَّ أَدَائِهَا كَمَا يَنْبَغِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ عُهْدَتِهَا بِالسَّعْيِ فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ وَلَكِنْ

لاَ بُدَّ مِنَ الاعْتِرَافِ بِالتَّقْصِيرِ فَإِنْ لَمْ يُرَاعِ الآدَابَ عِيَاذًا بِاللهِ - سُبْحَانَهُ - وَلَمْ يَرَ نَفْسَهُ مُقَصِّرًا فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنْ بَرَكَاتِ هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ، شِعْرٌ:

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ نَحْوَ السَّعَادَةِ مُقْبِلاً … فَشُهُودُهُ وَجْهَ النَّبِيِّ لاَ يَنْفَعُهُ

نَعَمْ إِذَا وَصَلَ المُرِيدُ بِبَرْكَةِ تُوَجُّهِ الشَّيْخِ وَهِمَّتِهِ إِلَى مَرْتَبَةِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَظَهَرَ لَهُ طَرِيقُ الإِلهَامِ وَالفِرَاسَةِ وَسَلَمَ لَهُ الشَّيْخُ ذَلِكَ وَصَدَّقَهُ وَشَهِدَ لَهُ بِالكَمَالِ وَالإِكْمَالِ فَحِينَئِذٍ يَسُوغُ لِمِثْلِ هَذَا المُرِيدِ أَنْ يُخَالِفَ شَيْخَهُ فِي بَعْضِ الأُمُورِ الإِلهَامِيَّةِ وَأَنْ يَعْمَلَ بِمُقْتَضَى إِلهَامِهِ وَإِنْ تَحَقَّقَ عِنْدَ الشَّيْخِ خِلاَفُهُ فَإِنَّ المُرِيدَ قَدْ خَرَجَ حِينَئِذٍ عَنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ وَالتَّقْلِيدُ خَطَأٌ فِي حَقِّهِ أَلاَ تَرَى أَنَّ الأَصْحَابَ الكِرَامَ خَالَفُوا رَأْيَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأُمُورِ الاجْتِهَادِيَّةِ وَالأَحْكَامِ الغَيْرِ المُنَزَّلَةِ وَظَهَرَ الصَّوَابُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ فِي جَانِبِ الأَصْحَابِ كَمَا لاَ يَخْفَى عَلَى أَرْبَابِ العِلْمِ أُولِي الأَلْبَابِ فَعُلِمَ أَنَّ مُخَالَفَةَ الشَّيْخِ بَعْدَ الوُصُولِ إِلَى مَرْتَبَةِ الكَمَالِ وَالإِكْمَالِ مُجَوَّزٌ وَعَنْ سُوءِ الأَدَبِ مُبَرًّأٌ بَلِ الأَدَبُ هُنَا هُوَ هَذِهِ المُخَالَفَةُ وَإِلاَّ فَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا مُؤَدَّبِينَ بِكَمَالِ الأَدَبِ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا بِلاَ تَقْلِيدٍ وَتَقْلِيدُ أَبِي يُوسُفَ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى بَعْدَ بُلُوغِهِ مَرْتَبَةَ الاجْتِهَادِ خَطَأٌ وَالصَّوَابُ إِنَّمَا هُوَ مُتَابَعَةُ رَأْيِهِ لاَ رَأْيِ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ اُشْتُهِرَ عَنِ الإِمَامِ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: نَازَعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ القُرْآنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

وَلَعَلَّكَ سَمِعْتَ أَنَّ تَكْمِيلَ الصِّنَاعَةِ بِتَلاَحُقِ الأَفْكَارِ فَإِنَّهَا لَوْ بَقِيَتْ عَلَى فِكْرٍ وَاحِدٍ لَمَا حَصَلَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ أَلاَ تَرَى أَنَّ النَّحْوَ الذِي كَانَ فِي زَمَنِ سِيبَوَيْهِ حَصَلَ لَهُ اليَوْمَ بِاخْتِلاَفِ الآرَاءِ وَتَلاَحُقِ الأَفْكَارِ وَالأَنْظَارِ زِيَادَةُ مِائَةِ أَمْثَالِهِ وَبَلَغَ نِهَايَةَ كَمَالِهِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ هُوَ وَاضِعَ بِنَائِهِ وَمُؤَسِّسَ أَسَاسِهِ كَانَ الفَضْلُ لَهُ فَضْلَ المُتَقَدِّمِينَ وَلَكِنَّ الكَمَالَ لِهَؤُلاَءِ المُتَأَخِّرِينَ "**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**" حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

تَنْبِيهٌ: لِرَفْعِ شُبْهَةِ بَعْضِ المُرِيدِينَ اعْلَمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: الشَّيْخُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، الإِحْيَاءُ وَالإِمَاتَةُ مِنْ لَوَازِمِ مَقَامِ المَشْيَخَةِ وَالمُرَادُ بِالإِحْيَاءِ الإِحْيَاءُ الرُّوحِيُّ لاَ الجِسْمِيُّ وَكَذَلِكَ المُرَادُ بِالإِمَاتَةِ الرُّوحِيَّةُ لاَ الجِسْمِيَّةُ وَالمُرَادُ بِالحَيَاةِ وَالمَوْتِ الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ اللَّذَانِ يُوصِلاَنِ إِلَى مَقَامِ الوِلاَيَةِ وَالكَمَالِ، وَالشَّيْخُ المُقْتَدَى بِهِ مُتَكَفِّلٌ بِهَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - فَلاَ بُدَّ إِذًا لِلشَّيْخِ مِنْ هَذَيْنِ فَمَعْنَى يُحْيِي وَيُمِيتُ يُبْقِي وَيُفْنِي وَلاَ دَخْلَ لِلإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ فِي مَقَامِ المَشْيَخَةِ، وَحُكْمُ الشَّيْخِ المُقْتَدَى بِهِ

كَحُكْمِ كَهْرُبَاءِ كُل مَنْ لهُ مُنَاسَبَةٌ به يَعْدُو مِنْ وَرَائه وَيَنْجَذبُ إلَيْه كَالحَشيشِ بِالنِّسْبَة إلى كَهْرُبَا وَيَنَال منْهُ نُصيبَهُ مُسْتَوْفًى وَليْسَتْ الكَرَامَاتُ وَخوَارِقُ العَادَات لجَذْب المُرِيدينَ فَإنَّ المُريدينَ يَتَجَذَّبُونَ إلَيْه بالمُنَاسَبَة المَعْنَوِيَّة.

وَأَمَّا الذينَ لاَ مُنَاسَبَةَ لَهُمْ بِهَؤُلاَءِ الأَكَابر فَهُمْ مَحْرُومُونَ مَنْ نعمِ كَمَالاَتهِمْ وَإِنْ شَاهَدُوا أُلوفًا مِنْ كَرَامَاتِهِمْ يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَشْهَدَ لهَذَا المَعْنَى بِأَبي جَهْل وَأَبِي لَهَبٍ.

قَال اللهُ سُبْحَانَهُ في حَقِّ الكُفَّار: {وَإنْ يرَوْا كُل آيَة لاَ يُؤْمنُوا بهَا حَتَّى إذَا جَاءُوكَ يُجَادِلونَك}⁽¹⁾ يَقُول الذِينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ. وَالسَّلاَمُ.

---

(١) ـــ الآية: ٢٥ من سورة الأنعام.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَتَان

إلى الشَّيْخ مُحَمَّد البُحْتَرِيِّ

فِي جَوَابِ سُؤَاله عَنْ قَوْله عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "لي مَعَ الله وَقْتٌ" وَقَالَهُ أَبُو ذَرٍّ الغفاريُّ أَيْضًا وَعَنْ قَوْل الشَّيْخ عَبْد القَادر الجيلَانيِّ قُدِّسَ سرُّهُ: "قَدَمي هَذه عَلى رَقَبَة كُل وَليٍّ" وَقَول غَيْرِه أَيْضًا: "وَهَل المُرَادُ بكُل وَلي أَوْليَاء عَصْرِه أَوْ مُطْلَقًا" وَمَا يُنَاسبُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ صرتُ مُبْتَهجًا وَمَسْرُورًا بوُرُود الصَّحيفَة الشَّريفَة التي أَرْسَلتَهَا يَا لَهَا منْ نعْمَة يَذْكُرُ أَوْلِيَاءَ الله تَعَالى المُنْقَطعينَ المَهْجُورينَ وَقَدْ انْدَرَجَ فيهَا أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ لي مَعَ الله وَقْتٌ وَقَال أَبُو ذَرٍّ الغفَاريُّ ﷺ أَيْضًا مثْل ذَلكَ وَقَال الشَّيْخُ مُحْيي الدِّين عَبْدُ القَادر الجيلَانيُّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: قَدَمي هَذه عَلى رَقَبَة كُل وَلي، وَقَال آخرُ مثْل ذَلكَ وَقَدْ تَكُونُ في هَذَيْن الكَلَامَيْن مُنَازعَةٌ في بَعْض الأَحْيَان فَنَرْجُو منْ عنَايَتكُمْ كتَابَةَ مَا انْطَوَى في هَذَيْن الكَلَامَيْن منَ المَعْنَى وَالفَرْقَ بَيْنَهُمَا وَأَرْسَالهُ إلَيْنَا وَلتَكُن الكتَابَةُ بالتَّوَجُّه التَّامِّ مُشْتَملَةً مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا منَ الكَلَام وَوَاضحَةً لتَكُونَ قَريبَةً منْ فَهْم هَذَا الغَريب.

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ هَذَا الفَقيرَ قَدْ كَتَبَ في رَسَائله أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ لَهُ وَقْتٌ نَادرٌ مَعَ وُجُود اسْتمْرَار الوَقْت وَأَنَّ ذَلكَ الوَقْتَ النَّادرَ كَانَ في حين أَدَاء الصَّلَاة وَلعَلَك سَمعْتَ: الصَّلَاةُ معْرَاجُ المُؤمن وَأَرحْني بهَا يَا بلال، شَاهدٌ عَدْل في إثْبَات هَذه المَطْلَب وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ أَبُو ذَرٍّ الغفَاريُّ أَيْضًا مُشَرَّفًا بهَذه الدَّوْلَة بطَريق الورَاثَة وَالتَّبَعيَّة فَإنَّ لكَمَال تَابعيَّة - عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - - نَحيبًا وَافرًا وَحَظًّا كَاملاً منْ جَميع كَمَالَاته ﷺ بطَريق الورَاثَة.

وَأَمَّا مَا قَال حَضْرَةُ الشَّيْخ عَبْدُ القَادر الجيلَانيِّ - قُدِّسَ سرُّهُ -: قَدَمي هَذه عَلى رَقَبَة كُل وَليِّ الله أَوْ جَميع الأَوْليَاء فَقَدْ جَعَل صَاحبُ العَوَارف الذي هُوَ مُريدُ الشَّيْخ أَبي النَّجيب السَّهْرُورَديُّ وَمُرَبَّاهُ وَكَانَ منْ مَحَارم الشَّيْخ عَبْد القَادر وَمُصَاحبيه هَذه الكَلمَةَ منَ الكَلمَات التي صَدَرَتْ عَن المَشَايخ في بدَايَة الأَحْوَال بوَاسطَة بَقَايَا السُّكْر، وَنُقل في النَّفَحَات عَن الشَّيْخ حَمَّاد الذي هُوَ منْ شُيُوخ

حَضْرَة الشَّيْخ عَبْد القَادر الجيلاَنيِّ أَنَّهُ قَال بطَريق الفرَاسَة: إنَّ لهَذَا العَجَميِّ قَدَمًا تَكُونُ في وَقْته عَلى رَقَبَة جَميعِ الأَوْليَاء وَيَكُونُ مَأْمُورًا أَلبَتَّة بأَنْ يَقُول: قَدَمي هَذه عَلى رَقَبَة كُل وَليِّ الله وَيَقُول ذَلكَ البَتَّةَ وَيَضَعُ الأَوْليَاءُ جَميعَهُمْ رقَابَهُمْ يَعْني تَوَاضُعًا وَتَخَضُّعًا وَعَلى كُل حَال إنَّ حَضْرَةَ الشَّيْخ مُحقٌّ في هَذَا الكَلاَم سَوَاء صَدَرَ عَنْهُ منْ بَقَايَا السُّكْر أَوْ حَالَة الصَّحْو وَسَوَاءً كَانَ مَأْمُورًا بإظْهَاره أَوْ لاَ فَإنَّ قَدَمَهُ كَانَتْ عَلى رقَاب جَميعِ الأَوْليَاء في ذَلكَ الوَقْت وَكَانَ أَوْليَاءُ ذَلكَ الوَقْت جَميعُهُمْ تَحْتَ قَدَمه وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الحُكْمَ مَخْصُوصٌ بأَوْليَاء ذَلكَ الوَقْت دُونَ الأَوْليَاء المُتَقَدِّمينَ عَلَيْه وَالمُتَأَخِّرينَ عَنْهُ فَإنَّهُمْ خَارجُون عَنْ هَذَا الحُكْم كَمَا يُفْهَمُ منْ كَلاَم الشَّيْخ حَمَّاد أَنَّ قَدَمَهُ تَكُونُ في وَقْته عَلى رَقَبَة جَميعِ الأَوْليَاء وَأَيْضًا أَنَّهُ كَانَ في بَغْدَادَ غَوْثٌ فَذَهَبَ الشَّيْخُ عَبْدُ القَادر وَابْنُ السَّقَّا وَعَبْدُ الله لزيَارَته فَقَال ذَلكَ الغَوْثُ بطَريق الفرَاسَة في حَقِّ الشَّيْخ: كَأَنِّي أَرَاكَ تَصْعَدُ المنْبَرَ في بَغْدَادَ وَتَقُول: قَدَمي هَذه عَلى رَقَبَة كُل وَليِّ الله وَأَرَى أَوْليَاءَ وَقْتكَ يَضَعُونَ رقَابَهُمْ وَيَخْفضُونَهَا إجْلاَلاً لكَ وَإكْرَامًا.

وَيُفْهَمُ منْ كَلاَم هَذَا الغَوْث أَيْضًا أَنَّ هَذَا الحُكْمَ كَانَ مَخْصُوصًا بأَوْليَاء ذَلكَ الوَقْت فَإذَا أَعْطَيَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - في هَذَا الوَقْت أَيْضًا شَخْصًا بَصَرًا بَصيرًا يَرَى مثْل مَا رَأَى ذَلكَ الغَوْثُ أَنَّ رقَابَ أَوْليَاء ذَلكَ الوَقْت تَحْتَ قَدَمه وَأَنَّ هَذَا الحُكْمَ لاَ يَتَجَاوَزُ إلى غَيْر أَوْليَاء ذَلكَ الوَقْت وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا الحُكْمُ في الأَوْليَاء المُتَقَدِّمينَ فَإنَّ فيهمُ الأَصْحَابَ الكرَامَ عَلَيْهمُ الرِّضْوَانُ وَهُمْ أَفْضَل منْ حَضْرَة الشَّيْخ بيَقين وَكَيْفَ يَتَمَشَّى أَيْضًا في المُتَأَخِّرينَ فَإنَّ فيهمُ المَهْديَّ الذي بَشَّرَ النَّبيُّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - بقُدُومه وَوُجُوده وَقَال إنَّهُ خَليفَةُ الله وَكَذَلكَ عيسَى - عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - الذي هُوَ منَ الأَنْبيَاء أُولي العَزْم منَ السَّابقينَ وَمُلحَقٌ بأَصْحَاب خَاتَم الرُّسُل بمُتَابَعَة شَريعَته - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلعَل وَجْهَ مَا قَالهُ النَّبيُّ ﷺ لاَ يُدْرَى أَوَّلهُمْ خَيْرٌ أَمْ آخرُهُمْ هُوَ جَلاَلةُ شَأْن مُتَأَخِّري هَذه الأُمَّة.

وَبالجُمْلة: إنَّ لحَضْرَة الشَّيْخ عَبْد القَادر في الولاَيَة شَأْنًا عَظيمًا وَدَرَجَةً عُليَا أَوْصَل الولاَيَةَ الخَاصَّةَ المُحَمَّديَّةَ منْ طَريق السِّرِّ إلى النُّقْطَة الأَخيرَة وَصَارَ رَأْس حَلقَة تلكَ الدَّائرَة.

لاَ يُتَوهَّمُ هُنَا أَنَّ الشَّيْخَ إِذَا كَانَ رَأْسَ حَلقَة دَائرَة الولاَيَة المُحَمَّديَّة يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ منْ جَميعِ الأَوْلِيَاء فَإنَّ الولاَيَةَ المُحَمَّديَّةَ فَوْقَ جَميعِ ولاَيَات الأَنْبيَاء - عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - لأَنَّا نَقُول: إِنَّهُ رَأْسُ حَلقَة الولاَيَة المُحَمَّديَّة الحَاصلة منْ طَريقِ السِّرِّ كَمَا مَرَّ لاَ رَأْسُ حَلقَة تلكَ الولاَيَة مُطْلَقًا حَتَّى يَلزَمَ الأَفْضَليَّةُ أَوْ نَقُول: إنَّ كَوْنَ رَأْسِ حَلقَة الولاَيَة المُحَمَّديَّة مُطْلَقًا لَيْسَ بِمُسْتَلزِم للأَفْضَليَّة لأَنَّهُ يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ أَسْبَقَ قَدَمًا مِنْهُ فِي كَمَالات النُّبُوَّة المُحَمَّديَّة بطَريقِ التَّبَعيَّة وَالورَاثَة فَتَثْبُتُ الأَفْضَليَّةُ لَهُ منْ جهَة تلكَ الكَمَالات وَفي جَمَاعَة منْ مُريدي حَضْرَة الشَّيْخِ عَبْد القَادر غُلُوٌّ كَثيرٌ في حَقِّه وَتَجَاوُزٌ إِلى جَانب الإِفْرَاط في المَحَبَّة مثْل مُحبِّي عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ المُفْرطينَ فيه، وَيُفْهَمُ منْ فَحْوَى كَلاَمِ هَؤُلاَء الجَمَاعَة وَكَلمَاتهِمْ أَنَّهُمْ يَعْتَقدُونَ الشَّيْخَ أَفْضَلَ منْ جَميعِ الأَوْلِيَاء المُتَقدِّمينَ وَالمُتَأَخِّرينَ وَلاَ يُعْلمُ أَنَّهُمْ يُفَضِّلُونَ عَلَيْه أَحَدًا غَيْرَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَهَذَا منْ إِفْرَاط المَحَبَّة.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الكَرَامَات وَخَوَارقَ العَادَات التي ظَهَرَتْ منْ حَضْرَة الشَّيْخِ لَمْ تَظْهَرْ مِنْ وَليٍّ أَصْلاً فَيَكُونُ الفَضْلُ لَهُ ؟

قُلت: إِنَّ كَثْرَةَ ظُهُور الخَوَارق لاَ دَلالَةَ فيهَا عَلى الأَفْضَليَّة بَل يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ الذي لَمْ يَظْهَرْ منْهُ خَارقٌ أَصْلاً أَفْضَل منَ الذي ظَهَرَتْ منْهُ خَوَارقُ وَكَرَامَاتٌ قَال شَيْخُ الشُّيُوخِ في العَوَارف بَعْدَ ذكْر الكَرَامَات وَخَوَارق الشَّيْخِ للعَادَات: وَكُل هَذه مَوَاهبُ الله تَعَالى وَقَدْ يُكَاشَفُ بهَا قَوْمٌ وَيُعْطَى وَقَدْ يَكُونُ فَوْقَ هَؤُلاَء مَنْ لاَ يَكُونُ لَهُ شَيْءٌ منْ هَذَا؛ لأَنَّ هَذه كُلهَا تَقْويَةُ اليَقين وَمَنْ مُنحَ صَرْفَ اليَقين لاَ حَاجَةَ لَهُ إِلى شَيْءٍ منْ هَذَا فَكُل هَذه الكَرَامَات دُونَ مَا ذَكَرْنَاهُ مَنْ تُجَوْهُر الذِّكْر في القَلب وَجَعْل كَثْرَة ظُهُور الخَوَارق دَليلاً عَلى الأَفْضَليَّة كَجَعْل كَثْرَة فَضَائل عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ وَمَنَاقبُهُ دَليلاً عَلى أَفْضَليَّته عَلى الصِّدِّيق ﷺ فَإِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ منْهُ هَذَا القَدْرُ منَ الفَضَائل وَالمَنَاقب.

اسْمَعْ أَيُّهَا الأَخُ: إِنَّ خَوَارقَ العَادَات عَلى نَوْعَيْن، النَّوْعُ الأَوَّل: العُلومُ وَالمَعَارفُ الإِلهيَّةُ التي تَتَعلقُ بذَات الوَاجب - جَل وَعَلاَ - وَصفَاته وَأَفْعَاله وَرَاءَ طَوْر نَظَر العَقْل وَخلاَفُ المُتَعَارَف المُعْتَاد وَجَعَل الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - عبَادَهُ الخَاصَّةَ مُمْتَازينَ بهَا وَالنَّوْعُ الثَّاني: كَشْفُ صُوَر المَخلوقَات وَالأَخْبَار عَن المُغَيَّبات التي تَتَعلقُ بالعَالم وَالنَّوْعُ الأَوَّل مَخْصُوصٌ بأَهْل الحَقِّ وَأَرْبَاب المَعْرِفَة وَالنَّوْعُ الثَّاني

شَامِلٍ لِلمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ فَإِنَّهُ حَاصِلٌ لِأَهْلِ الاسْتِدْرَاجِ أَيْضًا وَالنَّوْعُ الأَوَّلُ لَهُ شَرَافَةٌ وَاعْتِبَارٌ عِنْدَ الحَقِّ - جَلَّ وَعَلاَ - لِكَوْنِهِ مَخْصُوصًا بِأَوْلِيَائِهِ وَعَدَمِ مُشَارَكَةِ أَعْدَائِهِ فِيهِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي مُعْتَبَرٌ عِنْدَ عَوَامِّ الخَلاَئِقِ وَمُعَزَّزٌ وَمُكَرَّمٌ عِنْدَ أَنْظَارِهِمْ حَتَّى لَوْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الاسْتِدْرَاجِ يَكَادُونَ يَعْبُدُونَهُ مِنْ جَهْلِهِمْ وَيُطِيعُونَهُ وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَيَنْهَاهُمْ بَلِ المَحْجُوبُونَ لاَ يَعُدُّونَ النَّوْعَ الأَوَّلَ مِنَ الخَوَارِقِ.

وَالكَرَامَاتُ وَالخَوَارِقُ مُنْحَصِرَةٌ عِنْدَهُمْ فِي النَّوْعِ الثَّانِي وَالكَرَامَاتُ مَخْصُوصَةٌ عِنْدَهُمْ بِكَشْفِ صُوَرِ المَخْلُوقَاتِ وَالأَخْبَارِ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ مَا أَبْعَدَهُمْ عَنِ العَقْلِ أَيُّ شَرَافَةٍ وَأَيُّ كَرَامَةٍ فِي عِلْمٍ يَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِ المَخْلُوقَاتِ حَاضِرَةً كَانَتْ أَوْ غَائِبَةً بَلِ الأَلْيَقُ وَالأَنْسَبُ أَنْ يُبَدَّلَ مِثْلُ هَذَا العِلْمِ جَهْلاً لِيَحْصُلَ نِسْيَانُ المَخْلُوقَاتِ وَأَحْوَالِهَا.

وَاللاَّئِقُ بِالشَّرَافَةِ وَالكَرَامَةِ هُوَ مَعْرِفَةُ الحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَهِيَ الْمُسْتَحِقَّةُ لِلإِعْزَازِ وَالاحْتِرَامِ.

شِعْرٌ.

وَمَلِيحَةٌ مَهْـــجُورَةٌ وَدَمِيمَةٌ　　مَقْبُولَةٌ مِنْ أَجْلِ ذَا عَقْلِيٍّ عَطِل

غَيْرُهُ

وَرُبَّ مَلِيحٍ لاَ يُحِبُّ وَضِدُّهُ　　يُقَبَّلُ مِنْهُ العَـــيْنُ وَالخَـــدُّ وَالفَـــمُ

وَقَرِيبٌ مِمَّا ذَكَرْنَا مَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ الهَرَوِيُّ وَالإِمَامُ الأَنْصَارِيُّ فِي مَنَازِلِ السَّائِرِينَ وَشَارِحِهِ وَالَّذِي ثَبَتَ عِنْدِي بِالتَّجْرِبَةِ أَنَّ فِرَاسَةَ أَهْلِ المَعْرِفَةِ إِنَّمَا هِيَ فِي تَمَيُّزِهِمْ مَنْ يَصْلُحُ لِحَضْرَةِ اللهِ - جَلَّ وَعَلاَ - مِمَّنْ لاَ يَصْلُحُ وَيَعْرِفُونَ أَهْلَ الاسْتِعْدَادِ الَّذِينَ اشْتَغَلُوا بِاللهِ - سُبْحَانَهُ - وَوَصَلُوا إِلَى حَضْرَةِ الجَمْعِ وَهَذِهِ فِرَاسَةُ أَهْلِ المَعْرِفَةِ وَأَمَّا فِرَاسَةُ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ بِالجُوعِ وَالخَلْوَةِ وَتَصْفِيَةِ البَاطِنِ مِنْ غَيْرِ وَصْلِهِ إِلَى جَانِبِ الحَقِّ تَعَالَى فَلَهُمْ فِرَاسَةُ كَشْفِ الصُّوَرِ وَالإِخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِالخَلْقِ فَإِنَّهُمْ لاَ يُخْبِرُونَ إِلاَّ عَنِ الخَلْقِ لأَنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنِ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَأَمَّا أَهْلُ المَعْرِفَةِ فَلاشْتِغَالِهِمْ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَارِفِ الحَقِّ تَعَالَى لاَ يَكُونُ إِخْبَارُهُمْ إِلاَّ عَنِ الحَقِّ تَعَالَى وَلَمَّا كَانَ العَالَمُ أَكْثَرُهُمْ أَهْلَ انْقِطَاعٍ عَنِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - وَاشْتِغَالِ

بالدُّنْيَا مَالتْ قُلوبُهُمْ إلى أَهْل كَشْف الصُّوَر وَالأَخْبَار عَمَّا غَابَ منْ أَحْوَال المَخْلوقَات فَعَظَّمُوهُمْ وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ أَهْل الله وَخَاصَّتُهُ وَأَعْرَضُوا عَنْ كَشْف أَهْل الحَقيقَة وَاتَّهَمُوهُمْ فيمَا يُخْبرُونَ عَنِ الله - سُبْحَانَهُ - وَقَالوا: لوْ كَانَ هَؤُلاَء أَهْل الحَقِّ كَمَا يَزْعُمُونَ لاَخْبَرُونَا عَنْ أَحْوَالنَا وَأَحْوَال المَخْلوقَات وَإذَا كَانُوا لاَ يَقْدرُونَ عَلى كَشْف أَحْوَال المَخْلوقَات فكَيْفَ يَقْدرُونَ عَلى كَشْف أُمُور أَعْلى منْ هَذه وَكَذَّبُوهُمْ بهَذَا القيَاس الفَاسد وَعَميَتْ عَلَيْهمُ الأَنْبَاءُ الصَّحيحَةُ وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالى قَدْ حَمَى هَؤُلاَء عَنْ مُلاَحَظَة الخَلق وَخَصَّهُمْ وَشَغَلهُمْ عَمَّا سوَاهُ حمَايَةً لهُمْ وَغَيْرَةً عَليْهمْ وَلوْ كَانُوا ممَّنْ يَتَعَرَّضُ لأَحْوَال الخَلق مَا صَلحُوا للحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَقَدْ رَأَيْنَا أَهْل الحَقِّ إذَا التَفَتُوا أَدْنَى التفَات إلى كَشْف الصُّوَر أَدْرَكُوا منْهَا مَا لاَ يَقْدرُ غَيْرُهُمْ عَلى إدْرَاكه بالفرَاسَة التي يُثْبتُهَا أَهْل المَعْرفَة وَهيَ الفرَاسَةُ فيمَا يَتَعَلقُ بالحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَمَا يَقْرُبُ منْهُ وَأَمَّا فرَاسَةُ أَهْل الصَّفَاء الخَارجينَ المُتَعَلقينَ بالخَلق فَلاَ يَتَعَلقُ بجَنَاب الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَلاَ مَا يَقْرُبُ منْهُ وَيَشْتَركُ المُسْلمُونَ وَالنَّصَارَى وَاليَهُودُ وَسَائرُ الطَّوَائف فيهَا لأَنَّهَا ليْسَتْ شَريفَةً عنْدَ الله سُبْحَانَهُ فَيَخْتَصُّ بهَا أَهْلهُ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَتَان

إلى المَخْدُومِ جَامِعِ العُلومِ الظَّاهِريَّةِ وَالأَسْرَارِ البَاطنيَّة
مَجْد الدِّينِ الخواجهْ مُحمَّد مَعْصُومٍ سَلمَهُ اللهُ تَعَالَى
في بَيَانِ مَا يَتَعَلقُ بصفَاتِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ الثَّمَان
وَفي تَحْقيقِ مَبَادي تَعيُّنَات الأَنْبيَاء عَليْهمُ السَّلَامُ
وَمَبَادي تَعيُّنَاتِ سَائر الخَلَائق وَمَا يَتعَلقُ بذَلكَ
وَفي الفرْق بَيْنَ تَجَليَات الأَنْبيَاء وَالأَوْليَاء وَشُهُودهمْ
وَتَحْقيقِ الوَصْل العُرْيَان لكَمَال الأَتْبَاعِ مَعَ وُجُودِ وَسَاطَةِ الأَنْبيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
وَفي تَحْقيقِ أَلفاظ المَحْوِ وَالاضْمحْلال الوَاقعَة في عبَارَةِ المَشَايخِ
قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

اعْلمْ أَنَّ صفَات وَاجب الوُجُود تَعَالى وَتَقَدَّسَ الثَّمَان الحَقيقيَّة التي أَوَّلهَا الحَيَاةُ وَآخرُهَا التَّكْوينُ عَلى ثَلَاثَة أَقْسَام قسْمٍ تَعلقُهُ بالعَالمِ أَغلَبُ وَإضَافَتُهُ إلى الخَلق أَكْثَرُ كَالتَّكْوينِ وَمنْ هَهُنَا أَنْكرَ جمَاعَةٌ منْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وُجُودَهَا وَقَالوا: إنَّهَا منَ الصِّفَات الإضَافيَّة وَالحَقُّ أَنَّهَا منَ الصِّفَات الحَقيقيَّة الغَالبَة عَليْهَا الإضَافَةُ، وَقسْمٌ آخرُ مَا فيه الإضَافَةُ وَلَكنَّهَا أَقل بالنِّسْبَة إلى القسْمِ السَّابقِ كَالعلمِ وَالقُدْرَة وَالإرَادَة وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالكَلَامِ.

وَالقسْمُ الثَّالثُ هُوَ أَعْلى الأَقْسَامِ الثَّلَاثَة لَا تَعَلقَ لهُ بالعَالمِ بوُجُوه من الوُجُوه وَليْسَ فيه رَائحَةٌ منَ الإضَافَة كَالحَيَاة وَهَذه الصِّفَةُ أَجْمَعُ الصِّفَات وَأَصْل الكُل وَأَسْبقُهَا وَأَقْرَبُ إليْهَا صفَةُ العلمِ التي هيَ مَبْدَأُ تَعيُّنِ خَاتَمِ الرُّسُل - عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَبَقيَّةُ الصِّفَات مَبَادي تَعيُّنَات خلَائقَ أُخَرَ وَلمَّا كَانَ لكُل صفَة باعْتبَارِ تَعلقَات مُتَعَدِّدَة جُزْئيَّاتٌ فَإنَّ التَّكْوينَ مَثَلًا لهُ باعْتبَارِ تَعلقَات شَتَّى جُزْئيَّاتٌ وَهيَ التَّخْليقُ وَالتَّرْزيقُ وَالإحْيَاءُ وَالإمَاتَةُ كَانَتْ تلكَ الجُزْئيَّاتُ مثل كُليَّاتهَا مَبَادئَ تَعيُّنَات الخَلَائق وَكُل مَنْ كَانَ مَبْدَأُ تَعيُّنه كُليًّا تَكُونُ أَرْبَابُ تَعيُّنَات مَبَاديهَا جُزْئيَّات ذَلكَ الكُلي اتِّبَاعًا لذَلكَ الشَّخْص وَمُعَاشرينَ تَحْتَ قَدَمه وَمنْ هَهُنَا تَسْمَعُهُمْ يقُولونَ: إنَّ فُلَانًا تَحْتَ قَدَمِ مُحَمَّدٍ وَفُلَانًا تَحْتَ قَدَمِ مُوسَى وَفُلَانًا

تَحْتَ قَدَم عيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإذَا حَصَل لتلكَ الجُزْئيَّات تَرَقٍّ بطَريق السُّلوك تَكُونُ مُلحَقَةً بكُليَّاتهَا وَيَكُونُ شُهُودُ الجزئيَّات شُهُودَ الكُليَّات وَيَكُونُ الفرْقُ بالأَصَالة وَالتَّبَعيَّة وَالامْتيَاز بوُجُود التَّوَسُّط وَعَدَمه فَإنَّ مَا يَجدُهُ التَّابعُ وَيَرَاهُ لاَ يُمْكنُ أَنْ يَكُونَ بدُون تَوَسُّط الأَصْل وَرُبَّمَا لاَ يَعْلَمُ التَّابعُ منْ قُصُوره الأَصْل مُتَوَسِّطًا وَلك الأَصْل حَائل في الحَقيقَة بَيْنَ التَّابع وَمَشْهُوده لاَ أَنَّهُ حَائل مَانعٌ عَن الشُّهُود بَل هُوَ بَاعثٌ عَلى الشُّهُود كَالمَنْظَر الصَّافي وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَترَقَّى جُزْئيَّاتُ كُليٍّ إلى غَيْره بأَنْ تَخرُجَ منْهُ وَتَدْخُل تَحتَ كُليٍّ آخرَ وَيَكُونُ مَشْهُودُها مَشْهُودَ ذَلكَ الكُليِّ الآخَر مثْل أَنْ يَنْتَقل الذينَ كَانُوا تَحْتَ قَدَم مُوسَى مَثَلاً إلى تَحْت قَدَم عيسَى وَلكنْ يُمْكنُ أَنْ يَدْخُلوا تَحتَ قَدَم مُحَمَّد بَل هُمْ تَحْتَ قَدَمه ﷺ دَائمًا.

فَإنَّ رَبَّ مُحَمَّد رَبُّ الأَرْبَاب وَأَصْل جَميع تلكَ الكُليَّات فَيَكُونُ بالنِّسْبَة عَلى تلكَ الجُزْئيَّات أَصْلَ الأَصْل وَكَأَنَّ هَذَا التَّرَقِّيَ إلى أَصْل الأَصْل لاَ إلى أَصْل مُبَاينٍ لأَصْلهَا.

وَالفرْقُ حينَئذ بَيْنَ الجُزْئيَّات وَبَيْنَ كُليَّاتهَا هُوَ أَنَّ الجُزْئيَّ حَائلان أَحَدُهُمَا أَصْلهُ الذي هُوَ كُليٌّ لَهُ وَثَانيهمَا أَصْل الأَصْل وَالكُليُّ الذي هُوَ أَصْل ذَلكَ الجُزْئيِّ حجَابُهُ أَصْل الأَصْل فقَطْ فَعُلمَ منْ هَذَا أَنَّ شُهُودَ مُحَمَّد رَسُول الله صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ بلاَ حجَاب التَّعيُّنَات وَشُهُود غَيْره في حُجُب التَّعيُّنَات وَلاَ أَقل منْ أَنْ يَكُونَ في حجَاب التَّعيُّن المُحَمَّديِّ وَمنْ هَهُنَا قَالوا: إنَّ تَجَليَ الذَّات منْ خَاصَّة مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ وَتَجلي غَيْره في حُجُب الصِّفَات وَلاَ أَقل منْ أَنْ يَكُونَ في حجَاب رَبِّ الأَرْبَاب فَإنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ فَوْقَ جَميع الأَسْمَاء وَالصِّفَات سوَى صفَة الحَيَاة.

فَإنْ قيل: يَلزَمُ عَلى هَذَا البَيَان أَنَّ شُهُودَ سَائر الأَنْبيَاء- عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في حجَاب مَبْدَأ التَّعيُّن المُحَمَّديِّ الذي هُوَ البَيَانُ أَنَّ شُهُودَ سَائر الأَنْبيَاء- عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - في حجَاب مَبْدَأ التَّعيُّن المُحَمَّديِّ الذي هُوَ رَبُّهُ وَشُهُودُ أَوْليَاء أُمَّته الذينَ هُمْ تَحْتَ قَدَمه ﷺ بالأَصَالة أَيْضًا في حجَاب رَبِّ الأَرْبَاب كَشُهُود سَائر الأَنْبيَاء فَمَا الفَرْقُ بَيْنَ شُهُود سَائر الأَنْبيَاء وَبَيْنَ شُهُود أَوْليَاء أُمَّته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ؟

قُلتُ: إنَّ للأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - شُهُودًا آخرَ غَيْرَ هَذَا الشُّهُود الذي هُوَ في حجَاب الحَقيقَة المُحَمَّديَّة حَصَل لَهُمْ ذَلكَ الشُّهُودُ منْ طَريق مَبَادي تَعَيُّنَاتهمْ

يُشَاهِدُونَ مِنْهُ غَيْبَ الغَيْبِ بِالأَصَالَةِ وَاضِعِينَ مَنَاظِرَهُمُ المَخْصُوصَةَ بِهِمْ عَلَى أَبْصَارِ بَصَائِرِهِمْ.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ حُصُولَ هَذَيْنِ الشُّهُودَيْنِ لَيْسَ هُوَ بِمَعْنَى أَنَّهُمَا يَتَحَقَّقَانِ مَعًا بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ التَّرَقِّيَ إِذَا بَلَغَ أَصْلَ الأَصْلِ فَشُهُودُهُ فِي حِجَابِ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ كَعِيسَى – عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – حَيْثُ أَنَّهُ يُشَرَّفُ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ نُزُولِهِ وَهَذَا التَّرَقِّي مُتَعَسِّرٌ جِدًّا بَلْ قَرِيبٌ مِنَ الاسْتِحَالَةِ لَا بُدَّ مِنَ الفَضْلِ العَظِيمِ مِنْ طَرَفِ اللهِ تَعَالَى وَفِي عَالَمِ الأَسْبَابِ لَا بُدَّ مِنْ شَفَقَةِ الشَّيْخِ المُحَمَّدِيِّ المَشْرَبِ فَإِنْ لَمْ يَتَرَقَّ مِنْ أَصْلِهِ وَلَمْ يَنْفَكَّ مِنْ حَقِيقَتِهِ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى حَقِيقَةِ الحَقَائِقِ فَشُهُودُهُ إِنَّمَا هُوَ حَقِيقَتُهُ المَخْصُوصَةُ بِهِ.

اعْلَمْ وَتَنَبَّهْ كَمَا أَنَّ إِلَى حَضْرَةِ ذَاتِ الحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ طَرِيقًا مِنْ حَقِيقَةِ الحَقَائِقِ يُوصَلُ مِنْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى بَعْدَ مَنَازِلَ كَثِيرَةٍ كَذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الحَقَائِقِ الكُلِّيَّاتِ أَيْضًا طَرِيقٌ إِلَيْهَا يَحْصُلُ الوُصُولُ مِنْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ بَعْدَ طَيِّ مَرَاحِلَ مُتَكَثِّرَةٍ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ فِي طَرِيقِ حَقِيقَةِ الحَقَائِقِ الوَصْلَ العُرْيَانَ وَفِي سَائِرِ الطُّرُقِ وَإِنْ تَيَسَّرَ وَصْلُ الذَّاتِ وَلَكِنَّ الحِجَابَ الرَّقِيقَ كَالغِلَالَةِ مِنْ مُنْتَهَى أُصُولِ حَقِيقَةِ الحَقَائِقِ العَالِيَةِ الَّتِي هِيَ الحَقِيقَةُ المُحَمَّدِيَّةُ حَائِلٌ فِي البَيْنِ وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَاجِزًا حَصِينًا وَمَانِعًا مَتِينًا وَلَكِنْ صَارَتْ حَاجِزِيَّتُهُ مَانِعَةً عَنْ إِطْلَاقِ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ وَإِلَّا فَسَائِرُ الأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ – أَيْضًا نَصِيبٌ مِنَ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ بِالأَصَالَةِ وَلِكَمَالِ أُمَمِهِمْ أَيْضًا بِتَبَعِيَّتِهِمْ.

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَتْ صِفَةُ الحَيَاةِ فَوْقَ صِفَةِ العِلْمِ كَانَ تَعَيُّنُ صِفَةِ الحَيَاةِ فِي طَرِيقِ حَقِيقَةِ الحَقَائِقِ أَيْضًا حَائِلًا فَكَيْفَ يَكُونُ فِيهِ الوَصْلُ العُرْيَانُ وَكَيْفَ يَكُونُ فِيهِ التَّجَلِّي الذَّاتِيُّ ؟

أُجِيـــبَ: أَنَّ ذَلِكَ التَّعَيُّنَ كَلَا تَعَيُّنٍ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَمْحُوًّا وَمُتَلَاشِيًا فِي المَرْتَبَةِ الفَوْقَانِيَّةِ وَلَا يَبْقَى لَهُ اعْتِبَارٌ فِي مَرْتَبَةِ الذَّاتِ أَصْلًا وَسَائِرُ الصِّفَاتِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَيْضًا اعْتِبَارٌ فِي مَرْتَبَةِ الذَّاتِ وَلَكِنَّهَا قَبْلَ وُصُولِهَا إِلَى مَرْتَبَةِ الذَّاتِ تَتَلَاشَى بِنَوْعٍ مَا بِخِلَافِ صِفَةِ الحَيَاةِ فَإِنَّهَا تَصِلُ إِلَى مَرْتَبَةِ الذَّاتِ ثُمَّ تَتَلَاشَى فِيهَا وَلِهَذَا كَانَ تَعَيُّنُ الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَسَائِرُ تَعَيُّنَاتِ الخَلَائِقِ دَائِمًا وَصَارَ زَوَالُهَا فِي مَرْتَبَةٍ مِنَ المَرَاتِبِ مُحَالًا.

نَعَمْ، إنَّ الوُصُول إلى شَيْءٍ غَيْرِ الاضْمِحْلال فيه وَمَا وَقَعَ في عِبارَة بَعْضِ المَشَايِخِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ مِنْ لفْظِ المَحْوِ وَالاضْمِحْلال فَالمُرَادُ به المَحْوُ النَّظَرِيُّ لاَ المَحْوُ العَيْنِيُّ، يَعْني يَرْتَفِعُ تَعَيُّنُ السَّالك عَنْ نَظَرِهِ لاَ أَنَّهُ يَصيرُ مَمْحُوًّا في نَفْس الأَمْر فَإِنَّهُ إلحَادٌ وَزَنْدَقَةٌ، وَحَمَل بَعْضُ نَاقصي أَرْبَاب هَذَا الطَّريق هَذه الأَلفَاظُ المُوهمَةَ عَلى المَحْوِ وَالاضْمِحْلال العَيْنيِّ وَوَصَلوا به إلى الزَّنْدَقَة وَأَنْكَرُوا الثَّوَابَ وَالعَذَابَ الأُخْرَوِيَّيْنِ وَتَخَيَّلوا أَنَّهُمْ يَعُودُون منَ الكَثْرَة إلى الوَحْدَة مَرَّةً أُخْرَى كَمَا وَرَدُوا منَ الوَحْدَة إلى الكَثْرَة أَوَّل مَرَّة وَزَعَمُوا أَنَّ تلكَ الكَثْرَةَ تَصيرُ مُضْمَحلةً في الوَحْدَة وَخَال بَعْضُ هَؤُلاَءِ الزَّنَادقَة ذَلكَ الانْمحَاءَ وَالاضْمحْلال قيَامَةً كُبْرَى وَأَنْكَرَ الحَشْرَ وَالنَّشْرَ وَالحسَابَ وَالصِّرَاطَ وَالميزَانَ ضَلوا فَأَضَلوا كَثيرًا منَ النَّاسِ وَرَأَيْتُ شَخْصًا منْ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَةِ يَسْتَشْهِدُ لمَطْلَبه بِشِعْرِ مَوْلاَنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجَامِيِّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - هَذَا شِعْرٌ.

جامى معادو مبدأ مَا وحد تست وبس ما در ميانه كثيرة موهوم والسلام

تَرْجَمَةٌ.

مَا مَبْدَأٌ وَلاَ مَعَادٌ صَاحِ إلاَّ وَحْدَةً
مَا نَحْنُ في ذَا البَيْنِ إلاَّ كَثْرَةً مُوهمَةً

وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ مُرَادَ مَوْلاَنَا الجَامِيِّ بهَذَا البَيْت العَوْدُ وَالرُّجُوعُ إلى الوَحْدَة باعْتبَارِ النَّظَرِ وَالشُّهُود يَعْني لاَ يَبْقَى المَشْهُودُ غَيْرَ الذَّات الأَحَد وَتَخْتَفي الكَثْرَةُ عَن النَّظَرِ بالتَّمَامِ لاَ الرُّجُوعِ العَيْنِيِّ وَالعَوْد الوُجُوديِّ وَلعَل بهمْ عَمًى أَمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَمْ يَزَل العَجْزُ وَالنَّقْصُ وَالاحْتيَاجُ عَنْ كَامل أَصْلاً فَمَا يَكُونُ مَعْنَى الرُّجُوعِ الوُجُوديِّ إلى الوَحْدَة فَإنْ تَخيَّلوا أَنَّ هَذَا الرُّجُوعَ إنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ المَوْت فَهُمْ كُفَّارٌ وَزَنَادقَةٌ حَيْثُ يُنْكرُونَ العَذَابَ الأُخْرويَّ وَيُبْطلون دَعْوَةَ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ -.

فَإنْ قيل: أَنْتَ قَدْ كَتَبْتَ في بَعْضِ رَسَائلك أَنَّ فَنَاءَ الأَخْفَى مَخْصُوصٌ بالولاَيَة المُحَمَّدَيَّة فَمَا مَعْنَى هَذَا الكَلاَم ؟

أُجيبَ: قَدْ عُلمَ منَ التَّحْقيق السَّابق أَنَّ الوَصْل العُرْيَانَ مَخْصُوصٌ بالولاَيَة المُحَمَّدَيَّة وَأَنَّ مَا سوَاهَا وَإنْ ارْتَفَعَتْ فيهَا الحُجُبُ وَلكنْ لاَ بُدَّ منْ حَيْلولة حجَاب رَقيق كَالغلالة حَاصل منْ تَوَسُّط الحَقيقَة المُحَمَّدَيَّة كَمَا مَرَّ فَالأَخْفَى الذي هُوَ نهَايَةُ المَرَاتب الإنْسَانيَّة في العُلوِّ تَبْقَى منْهُ بَقيَّةٌ عَلى قَدْر تلكَ الحَيلولة فَلاَ يَجُوزُ إطْلاَقُ الفَنَاءِ المُطْلَق فيه بمُلاَحَظَة تلكَ البَقيَّة وَمَنَ الذي يَجدُ بَقَاءَ تلكَ البَقيَّة غَيْرِ المُحَمَّديِّ

المَشْرَب بَل إنَّ حَصَلتْ حدَّةُ النَّظَر هَذه لوَاحد منْ أُلوف منَ الُمحَمَّديِّ المَشْرَب فَهُوَ أَيْضًا مُغْتَنَمٌ فَإنَّ مَشَائخَ الطَّبَقَات تَكَلمَ أَكْثَرُهمْ إلَى الرُّوحِ وَالسِّرِّ لاَ يُدْرَى هَل تَكَلمَ أَحَدٌ عَنِ الخَفيِّ أَوْ لاَ فَكَيْفَ عَنِ الأَخْفَى وَالذي خَاضَ فِي بَحْرِ الأَخْفَى وَأَدْرَكَ كُل ذَرَّة منْ ذَرَّاته وَاطَّلعَ عَلَيْهَا فَهُوَ كبْرِيتٌ أَحْمَرُ {ذَلكَ فَضْل اللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}(١).

فَإنْ قيل: إنَّ اعْتقَادَكَ هُوَ أَنَّ كُلمَا يَحْصُل للنَّبيِّ - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - منَ الكَمَالات يَكُونُ منْهَا نَصيبٌ لكَمال أَتْبَاعه أَيْضًا بطَريق التَّبَعيَّة فَيلزَمُ منْهُ أَنْ يَكُونَ منَ الوَصْل العُرْيَانِ نَصيبٌ لَهُمْ أَيْضًا وَالحَال أَنَّ النَّبيَّ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَائل فِي البَيْنِ.

أُجيبَ: إنَّ حَيْلولَةَ النَّبيِّ لاَ تَضُرُّ في الوَصْل العُرْيَان فَإنَّ ذَلكَ الوَصْل بالتَّبَعيَّة لاَ بالأَصَالة فَالحَيْلولةُ تَكُونُ مُؤَكِّدَةٌ للتَّبَعيَّة لاَ مُنَافيَةٌ لَهَا فَإنَّ مَعْنَى التَّبَعيَّة تَحَقُّقُ الُمتَوَسِّط لاَ ارْتفَاعُهُ فَإنَّهُ مُنَاسبٌ للأَصَالة فَتُثْبتُ الحَيْلولةَ وَيَحْصُل الوَصْل العُرْيَانُ أَيْضًا بالتَّبَعيَّة فَافْهَمْ.

فَإنْ قيل: مَا وَجْهُ إطْلاَقِ الوَصْل العُرْيَانِ وَالتَّجَلي الذَّاتيِّ فِي مَادَّة كَمَال أَتْبَاعه صَلى اللهُ عَليْه وَسَلمَ.

وَعَدَمُ تَجْويز هَذَا الإطْلاَق في حَقِّ سَائر الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ - وَمَا الفَرْقُ بَيْنَهُمَا مَعَ أَنَّ حَيْلولَةَ نَبيِّنَا ﷺ حَاصلةٌ في كلاَ المَادَّتَيْن.

أُجيبَ: إنَّ تَجْويزَ هَذَا الإطْلاَق فِي مَوَادِّ كَمَال الأَتْبَاعِ باعْتبَارِ التَّبَعيَّة فَإنَّ تَوَسُّطَ نَبيٍّ لَيْسَ بمُنَاف لهَذَا الإطْلاَق كَمَا مَرَّ بخلاَف سَائرِ الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - فَإنَّهُ لوْ جُوِّزَ هَذَا الإطْلاَقُ فِي حَقِّهمْ يَكُونُ باعْتبَارِ الأَصَالة فَإنَّ هَؤُلاَء الأَكَابرَ قَطَعُوا المَنَازل بالأَصَالة وَوَصَلوا إلى حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلاَ شَكَّ أَنَّ حُصُول الُمتَوَسِّطِ وَتَحَقُّقَهُ فِي صُورَةِ الأَصَالة يَكُونُ مُنَافيًا لذَلكَ الإطْلاَقِ فَصَارَ الفَرْقُ وَاضحًا.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلمَ أَنَّ فَرْقَ الأَصَالة وَالتَّبَعيَّة فيمَا بَيْنَ الأَنْبيَاء الُمتَقَدِّمينَ وَكَمَال أَوْليَاء هَذه الأُمَّة مُوجبٌ لأَفْضَليَّة الأَنْبيَاء - عَلَيْهمُ السَّلاَمُ - فَإنَّ الأَصْل مَقْصُوديٌّ وَالتَّابعَ طُفَيْليٌّ وَإنْ صَحَّ إطْلاَقُ الوَصْل العُرْيَانِ وَالتَّجَلي الذَّاتيِّ فِي مَادَّة الاتِّبَاعِ وَلمْ

---

(١) ــ الآية: ٢١ من سورة الحديد، والآية: ٤ من سورة الجمعة.

يَصِحَّ ذَلكَ الإطْلاَقُ فِي المَتْبُوعِينَ يَعْنِي الأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ - وَلكنْ مَا قُدِّرَ طُفَيْلِيٌّ فِي جَنْبِ المَقْصُودِيِّ حَتَّى يُدَّعَى التَّسَاوِي لهُ وَكَيْفَ يُتصوَّرُ المُسَاوَاةُ فَإنَّ تلكَ الدَّوْلَةَ فِي الأَصْل عَلى الوَجْه الأَتَمِّ وَالأَكْمَل وَفي التَّابِعِ عَلى وَجْه الاسْمِ وَالرَّسْمِ وَلكنَّ هَذه المُنَاسَبَة تُصَحِّحُ النِّسْبَةَ وَتَجْعَل التَّابِعَ كَالمَتْبُوعِ وَلهَذَا قَالَ خَاتَمُ الرُّسُل - عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - "**عُلمَاءُ أُمَّتي كَأَنْبيَاء بَني إسْرَائيل**"

فَلاَحَ منْ هَذَا البَيَان وَاتَّضَحَ أَنَّ حُصُول التَّجَلي الذَّاتِيِّ لأَوْلِيَاء هَذه الأُمَّة لاَ يَكُونُ مُوهمًا لفَضْلهمْ عَلى الأَنْبيَاء الذينَ ليْسَ فيهمُ التَّجَلي الذَّاتيُّ فَافْهَمْ فَإنَّهُ منْ مَزَلة الأَقْدَامِ وَأَنْصفَ فَإنَّ هَذه العُلومَ ممَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - هَذَا العَبْدَ بهَا بحُرْمَة حَبيبه مُحَمَّد - عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -.

فَإنْ قيل: المُقَرَّرُ أَنَّ المَقْصُودَ منْ خلق العَالمِ هُوَ خَاتَمُ الرُّسُل - عَلَيْه وَعَليْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - غَيْرُهُ طُفَيْليٌّ فِي نَفْسِ الوُجُود وَفي حُصُول الكَمَالات وَيَصلونَ إلى الدَّرَجَات العُلى بتَبَعيَّته وَلهَذَا يَكُونُ آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لوَائه وَأَنْتَ تَقُول إنَّ دَوْلَةَ الوُصُول لسَائرِ الأَنْبيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ - بِطَرِيقِ الأَصَالة لاَ بطْرِيقِ التَّبعيَّة فَمَا وَجْهُ ذَلكَ ؟

قَلتُ: كَمَا أَنَّ لُمحَمَّد رَسُول الله ﷺ طَرِيقًا منْ حَقيقَته إلى حَضْرَة الذَّات تَعالتْ وَتَقَدَّسَتْ كَذَلكَ لسَائرِ الأَنْبيَاء - عَليْهِمُ السَّلاَمُ - أَيْضًا منْ حَقَائقهمْ طُرُقٌ إلى حَضْرَة الذَّات تَعَالى شَأْنُهَا لاَ تَبَعيَّةَ فيمَ فِي هَذَا الوُصُول بخلاَف الأُمَم فَإنَّهُمْ يَصلونَ إلى المَطْلب بتَبَعيَّة الأَنْبيَاء منْ طَرِيق حَقَائقهمُ المُنَاسب لاسْتعْدَاد كُل منْهُمْ وَالأَصَالةُ مَفْقُودَةٌ في حَقِّهمْ.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّ وَصُول سَائرِ الأَنْبيَاء - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ - وَإنْ كَانَ بالأَصَالة وَلكنَّهُ ليْسَ بوَصْل عُرْيَان فَإنَّ حَقيقَةَ خَاتَمِ الرُّسُل - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - صَارَتْ حجَابًا رَقيقًا عَنِ المَطْلوب فَكُل فَيْضٍ وَارد يَتَّصل بهَذه الحَقيقَة أَوَّلاً بالضَّرُورَة ثُمَّ يَصل بتَوَسُّطهَا إلى الآخَرينَ وَمَعْنَى التَّبَعيَّة حُصُول هَذَا التَّوَسُّط فَتلكَ الأَصَالةُ لاَ تُنَافي لهَذه التَّبَعيَّة يَنْبَغي حُسْنُ التَّأَمُّل إنَّ التَّبَعيَّةَ التي ثَبَتَتْ في حَقِّهمْ وَرَاءَ تلكَ التَّبَعيَّة فَإنَّهَا مُنَافيَةٌ للأَصَالة كَمَا مَرَّ غَيْرَ مَرَّة فَافْتَرَقَا.

فَإنْ قيل: هَل في مَرَاتبِ العُرُوجِ نَصيبٌ للكُمَّل منْ مَرْتَبَة صفَة الحَيَاة أَوْ لاَ ؟

قُلتُ: نَعَمْ.

فإنْ قيل: قَدْ مَرَّ أنَّ نهايَةَ هذه الصِّفَة اضْمحْلال وتَلاش في حَضْرَة الذَّات تَعالَتْ وتَقدَّسَتْ فمَا يَكُونُ نَصيبُ الكَمَال منْ مَقام المَحْو والتَّلاشي وَقدْ قُلتُ فيمَا سَبَقَ: إنَّ تَعيُّنَات الحَقَائق ليْسَ لَها اضْمحْلال عَيْنيٌّ فإنْ كَانَ فَنظَريٌّ فإنَّ القَوْل بالاضْمحْلال العَيْنيِّ مُفْضٍ إلى الزَّنْدَقَة.

قُلتُ: منْ أيْنَ يَلزَمُ في حُصُول النَّصيب منْهَا الاضْمحْلال العَيْنيُّ بَل الاضْمحْلال النَّظَريُّ كَاف فيه وإنْ كَانَتْ المَرَاتبُ مُتَفاوتَةً في ذَلكَ الاضْمحْلال فَافْهَمْ واللهُ - سُبْحَانَهُ - أعْلَمُ بحَقيقَة الحَال.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}⁽¹⁾ والتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وعَلى آله منَ الصَّلوَات أتَمُّهَا ومنَ التَّسْليمَات أكْمَلهَا.

---

(١) ــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائتَان

إِلى الحَاجِّ يُوسُف الكشميرى

فِي بَيَانِ النَّظَرِ عَلى القَدَمِ وَهَوْشٍ دردم وَالسَّفَرِ فِي الوَطَنِ وَالخَلوَةِ فِي الجَلوَةِ التي هِيَ أُصُول الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَلِيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ أَهْلِيهَا

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنْ وَاحِدًا مِنَ الأُصُول المُقَرَّرَة فِي الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة ــ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَار مَشَائخهَا ــ النَّظَر عَلى القَدَم، وَلَيْسَ المُرَاد بِالنَّظَر عَلى القَدَم أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَتجَاوَزَ النَّظَر القَدَم وَأَنْ يَمِيل إِلى الفَوْق قَبْل القَدَم؛ فَإِنَّهُ خلاَفُ الوَاقِعِ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ يَتفَوَّقُ القَدَمَ وَيَتَقدَّمُ عَلَيْه دَائمًا وَيَجْعَل القَدَمَ رَدِيفَهُ، فَإِنَّ العُرُوجَ عَلى مَدَارِجِ العُلى يَكُونُ أَوَّلاً بِالنَّظَر، ثُمَّ يَصْعَدُ بَعْدَ ذَلكَ بِالقَدَم، فَإِذَا وَصَلَتْ القَدَم إِلى مَرْتَبَة النَّظَر يَتفَوَّقُ النَّظَر مِنْهَا إِلى دَرَجَة فَوْقَانِيَّة وَتَصْعَدُ القَدَمُ أَيْضًا بِتَبَعِيَّته، ثُمَّ يَتَرَقَّى النَّظَرُ بَعْدَ ذَلكَ مِنْ ذَلكَ المَقَام، ثُمَّ تَتْبَعُهُ القَدَم وَعَلى هَذَا القِيَاسِ فَإِنْ كَانَ المُرَاد بِه أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَرَقَّى النَّظَر إِلى مَقَامٍ لاَ يَكُونُ لِلقَدَم فِيه مَجَال فَهُوَ أَيْضًا غَيْر وَاقِعٍ؛ فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَنْفَرِدِ النَّظَرُ بَعْد تَمَامِ السَّيْرِ القَدَمِيِّ يَفُوتُ كَثِيرٌ مِنْ مَرَاتب الكَمَال.

بَيَانُهُ: أَنَّ نهَايَةَ القَدَم إِلى نهَايَة اسْتعْدَاد السَّالك بَل إِلى نهَايَة اسْتعْدَاد نَبِيِّ السَّالك عَلى قَدَمه، لكنَّ القَدَمَ الأَوَّل بِالأَصَالة وَالقدَمَ الثَّانيَ بِالتَّبَعِيَّة، وَلاَ قَدَمَ لهُ فَوْقَ مَرَاتب ذَلكَ الاسْتعْدَاد وَلكنْ لهُ فيه نَظر فَإِنْ حَصَلَت الحِدَّة لِذَلكَ النَّظَر فَمُنْتَهَاهُ نهَايَة مَرَاتب نَظَر ذَلكَ النَّبِيِّ الذي السَّالك عَلى قَدَمه؛ فَإِنَّ لِكُمَّل أَتْبَاعَ نَبِيٍّ نَصِيبًا مِنْ جَمِيعِ كَمَالاَته، وَلكنَّ القَدَمَ وَالنَّظَرَ يَتَوَافَقَان إِلى نهَايَة مَرَاتبَ اسْتعْدَاد السَّالك بِالأَصَالة وَبِالتَّبَعِيَّة، وَبَعْدَ ذَلكَ يَعْجزُ القَدَمُ وَيَصْعَدُ النَّظَر وَحْدَهُ وَيَتَرَقَّى إِلى نهَايَة مَرَاتب نَظَر ذَلكَ النَّبِيِّ.

فَعُلِمَ: أَنَّ نَظَرَ الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ أَيْضًا يَصْعَدُ فَوْقَ أَقْدَامِهِمْ وَأَنَّ لِكُمَّل أَتْبَاعهِمْ أَيْضًا نَصِيبًا مِنْ مَقَامَات أَنْظَارهِمْ، كَمَا أَنَّ لَهُمْ نَصِيبًا مِنْ مَقَامَات أَقْدَامهِمْ وَفَوْقَ أَقْدَامهِمْ وَفَوْقَ قَدَم خَاتَم الرُّسُل ــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ــ مَقَام الرُّؤْيَة التي هِيَ مَوْعُودَةٌ لِغَيْره فِي الآخرَة فَمَا هُوَ نسْبَة لِغَيْرِه نَقْد لهُ، وَلِكُمَّل أَتْبَاعه مِنْ هَذَا المَقَامِ نَصِيب وَأَنْ لَمْ يَكُنْ رُؤْيَة، شعْرٌ:

خَليليَّ مَا هَذَا بِهَزْل وَإِنَّمَا　　　عَجيبُ الأَحَاديث بَديعُ الغَرَائب

وَلنَرْجعَ إلى أَصْلِ الكَلاَمِ وَنَقُول: فَإِنْ كَانَ المُرَاد به أَنَّهُ يَنْبَغي أَنْ يَتخَلفَ القَدَم عَنِ النَّظَرِ عَلى وَجْه لاَتَّصَل إلى مَقَام النَّظَر في وَقْت منَ الأَوْقَات فَحَسَنَ؛ فَإِنَّ هَذَا المَعْنَى لَيْسَ بِمَانِعٍ للتَّرَقِّي، وَكَذَلكَ إِذَا كَانَ المُرَاد بالنَّظَرِ وَالقَدَمِ النَّظَرُ وَالقَدَمُ الظَّاهريَّان فَلهُ مَجَال؛ فَإِنَّ النَّظَرَ تَحْصُل لهُ التَّفْرقَةُ وَقْتَ المَشْيِ وَيَتَشَتَّتُ بالوُقُوعِ عَلى مَحْسُوسَات مُتَلوِّنَة فَإِنَّ نَصْبَ النَّظَر إلى القَدَمِ يَكُونُ أَقْرَب إلى الجَمْعيَّة وَهَذَا المُرَاد مُنَاسِبٌ لمَعْنَى كَلمَةٍ هِيَ قَرِينَةٌ وَهِيَ هَذِه: **"هوش دردم"** يَعْني: العَقْل فِي النَّفْسِ.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّ الكَلمَة الأُولى: لدَفْعِ تَفرقَةٍ مُنْبَعثَة عَنِ الآفَاق.

وَالكَلمَةَ الثَّانيَة: لدَفْعِ التَّفْرقَة الأَنْفُسيَّة.

وَالكَلمَةَ الثَّالثَة: التي هِيَ قَرِينُ هَاتَيْنِ الكَلمَتَيْنِ كَلمَة: **"السَّفَرُ فِي الوَطَنِ"**.

وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ السَّيْرِ فِي الأَنْفُسِ الذي هُوَ مَنْشَأ حُصُول انْدرَاج النِّهَايَة فِي البدَايَة الذي هُوَ مَخْصُوصٌ بِهَذه الطَّرِيقَة العَليَّة، وَالسَّيْر فِي الأَنْفُسِ وَإِنَّ كَانَ فِي جَميعِ الطُّرُق وَلكنَّهُ فِي سَائرِ الطُّرُق بَعْدَ حُصُول السَّيْر الآفَاقي بخلاَف هَذَا الطَّريق؛ فَإِنَّ فيه الشُّرُوعَ منْ هَذَا السَّير وَالسَّيْر الآفَاقي مُنْدرِج فِي ضِمْنه، فَلوْ قُلنَا: إنَّ فِي هَذَا الطَّرِيق انْدرَاجَ البدَايَة فِي النِّهَايَة بِهَذَا الاعْتبَار أَيْضًا لسَاغَ.

وَالكَلمَةَ الرَّابعَة التي هِيَ قَرِينٌ هَذه الكَلمَات الثَّلاَث كَلمَة: **"الخَلوَة فِي الجَلوَة"**.

وَمَتَى تَيسَّرَ السَّفَرُ فِي الوَطَنِ يُسَافِرُ فِي خَلوَة الوَطَنِ أَيْضًا فِي نَفْسِ الجَلوَة، وَلاَ تَتَطرَّقُ تَفرقَة الآفَاق إلى حُجْرَة الأَنْفُس، وَهَذَا أَيْضًا عَلى تَقْدير غَلق أَبْوَاب الحُجْرَة وَسَدِّ جَميع رَوْزَنَتهَا وَكُوَّتهَا فَيَنْبَغي أَنْ لاَ يَكُونَ فِي جلوَة التَّفْرقَة مُتَكلمًا وَلاَ مُخَاطبًا وَلاَ مُلتَفتًا إلى أَحَد، وَكُل هَذه التَّمَحُّلاَت وَالتَّكلفَات فِي البدَايَة وَالوَسَط وَأَمَّا فِي النِّهَايَة فَلاَ شَيْء يُلزِمُ منْهَا أَصْلاً؛ فَإِنَّ المُنْتَهَى مُتَّصِفٌ بِالجَمْعيَّة فِي نَفْسِ التَّفْرقَة وَبالحُضُور فِي عَيْنِ الغَفْلة.

وَلاَ يُظَنُّ منْ هُنَا: أَنَّ التَّفْرقَةَ وَعَدَمَ التَّفرقَة مُتَسَاويَان فِي حَقِّ جَمْعيَّة المُنْتَهِي مُطْلقًا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلكَ، بَل المُرَاد أَنَّهُمَا مُتَسَاويَان فِي جَمْعيَّة البَاطِن، وَمَعَ

ذَلكَ لوْ جَمعَ ظَاهِرَهُ مَعَ بَاطنه وَدفَعَ التَّفرقَة عَنْ ظَاهِره أَيْضًا يَكُونُ أَوْلى وَأَنْسَبَ؛ قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لنَبِيِّه ــ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ــ: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْه تَبْتِيلاً}.

يَنْبَغِــي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّهُ لاَبُد فِي بَعْضِ الأَوْقَات منْ تَفرقَة الظَّاهِرِ لأَدَاء حُقُوق الحَقِّ فَتَكُونُ تَفرقَة الظَّاهر فِي بَعْضِ الأَوْقَات مُسْتَحْسَنَةً أَيْضًا.

وَأَمَّا تَفْرقَةُ البَاطن: فَلَيْسَتْ بِمُسْتَحْسَنَة فِي وَقْت منَ الأَوْقَات؛ فَإِنَّهُ خَالصُ حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ ثَلاَث حِصَص منَ العَبْد المُسْلم لأَجْلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ تَمَام البَاطنِ وَنِصْف الظَّاهر وَبَقِيَ النِّصْفُ الآخَرُ منَ الظَّاهرِ لأَدَاء حُقُوق الخَلق وَلَمَّا كَانَ فِي أَدَاء تلكَ الحُقُوق امْتثَال أَوَامر الحَقِّ سُبْحَانَهُ صَارَ ذَلكَ النِّصْف أَيْضًا رَاجعًا إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: {إِلَيْه يَرْجِعُ الأَمْرُ كُله} فَاعْبُدْهُ.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَتَان
إلى المَخْدُوم الخواجة مُحَمَّد سَعيد قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ
فِي بَسَاطَةِ صفَات الحَقِّ جَل وَعَلاَ
وَنَفْيِ تَعَدُّدِ تَعَلقِهَا بِالأَشْيَاءِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ، وَالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَآله الطَّاهِرَيْنِ أَجْمَعِينَ:

اعْلَمْ: أَنَّ صفَات الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ كَذَاته تَعَالى مُنَزَّهَة عَنِ الشُّبْه وَالمثَال وَبَسَائط حَقيقيَّة؛ مَثَلاً: إنَّ صفَةَ العلم انْكشَاف وَاحد بَسيط تَنْكَشفُ المَعْلومَات الأَزَليَّة وَالأَبَديَّة بهَذَا الانْكشَاف الوَاحد، وَكَذَلكَ قُدْرَة وَاحدَة كَاملة بَسيطَة تُوجدُ المَقْدُورَات الأَزَليَّةَ وَالأَبَديَّةَ بوَاسطَتهَا، وَكَذَلكَ كَلاَمٌ وَاحدٌ بَسيطٌ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُتَكلمٌ بهَذَا الكَلاَمِ منَ الأَزَل إلى الأَبَد، وَعَلى هَذَا القيَاس في سَائر الصِّفَات الحَقيقيَّة وَالتَّعَدُّد الحَاصل منْ تَعَلق العلم وَالقُدْرَة بالمَعْلومَات وَالمَقْدُورَات أَيْضًا مَفْقُودٌ في تلكَ المَرْتَبَة، وَالأَشْيَاء مَعْلومَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَقْدُورَتُه، وَلكنْ لاَ تَعَلقَ لصفَة العلمِ وَالقُدْرَة بهَا أَصْلاً، وَهَذه المَعْرفَة وَرَاءَ طَوْر نَظَر العَقْل.

وَأَرْبَاب العُقُول لاَ يُجَوِّزُونَ مثْل هَذَا المَعْنَى أَصْلاً وَيَعدُونَ عَدَم تَعَلق العلم وَالقُدْرَة بالأَشْيَاء مَعَ كَوْنهَا مَعْلومَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَمَقْدُورَتَهُ مُحَالاً، أَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ الأَزَل وَالأَبَد حَاضر في تلكَ المَرْتَبَة ؟! بَل لاَ مَجَال للآن فيهَا أَيْضًا سوَى التَّعْبير به لكَوْنه أَقْرَبَ الشَّيْء وَأَوْفَقَهُ بهَا، وَمَعْلومَات الأَزَل وَالأَبَد حَاضرَة في ذَلكَ الآن وَفي ذَلكَ الآن الحَاضر يَعْلمُ الحَقَّ سُبْحَانَهُ زَيْدًا مَثَلاً مَعْدُومًا وَمَوْجُودًا وَجَنينًا وَصَبيًّا وَشَابًّا وَشَيْخًا وَحَيًّا وَمَيِّتًا وَكَائنًا في البَرْزَخِ وَالحَشْر وَالنَّار وَالجَنَّة، وَمَعْلوم أَنَّهُ لاَ تَعَلقَ لذَلكَ الآن بهَذه الأَطْوَار أَصْلاً؛ فَإنَّهُ لوْ حَصَل لهُ تَعَلق لخَرَجَ عَنْ كَوْنه آنًا وَيُسَمَّى زَمَانًا وَيَصيرُ مَاضيًا وَمُسْتَقْبَلاً فَهَذه الأَطْوَار ثَابتَة في ذَلكَ الآن وَغَيْر ثَابتَة.

فَعَلى هَذَا: لوْ ثَبَتَ انْكشَافٌ بَسيطٌ حَقيقيٌّ لاَ يَكُونُ لهُ تَعَلقٌ بوَاحد منَ المَعْلومَات وَيَكُونُ جَميع المَعْلومَات مُنْكَشفَة بهَذَا الانْكشَاف الوَاحد، فَأَيّ عَجَب فيه فَإنَّ اسْتحَالةَ جَمْع الضِّدَّيْنِ مَفْقُودَة في ذَلكَ المَوْطنِ؛ فَإنَّهَا مَشْرُوطَة باتِّحَاد

الزَّمَان وَالجهَة، وَلاَ مَجَال هُنَا للزَّمَان؛ إذْ لاَ يَجْري عَلَيْه سُبْحَانَهُ زَمَان، وَاتِّحَاد الجهَة أَيْضًا مَفْقُود للفرْق بالإجْمَال وَالتَّفْصيل، وَهَذَا كَمَنْ يَقُول أَنَا أَرَى الاسْمَ وَالفعْل وَالحَرْفَ التي كَل وَاحد منْهَا قَسيم للآخَر مُتَّحدًا بَعْضهَا ببَعْض في مَرْتَبَة الكَلمَة في آن وَاحد، وَأَجدُ المُنْصَرفَ غَيْرَ مُنْصَرف، وَالمَبْنيَّ عَيْنَ مُعْرَب، وَيَقُول: وَمَعَ وُجُود هَذه الجَامعيَّة لاَ تَعلقَ للكَلمَة بوَاحد منْ هَذه الأَقْسَام وَمُسْتَغْنيَة عَنْهَا بالتَّمَام لاَ يُنْكرُ أَحَد منَ العُقَلاَء عَلى هَذَا الشَّخْص وَلاَ يَسْتَبْعدُونَ كَلاَمَهُ، فَلمَ يَسْتَبْعدُونَ مَا نَحْنُ فيه ؟! وَيَتَوقَّفُونَ عَنْ قَبُوله ؟! وَللهِ المَثَل الأَعْلى.

فَإنْ قيلَ: لَمْ يَقل أَحَدَ مُثل هَذَا الكَلاَم:

قُلت: مَا الضَّرَرُ فيه ؟! فَإنَّهُ وَإنْ لَمْ يَقُل به أَحَد وَلكنَّهُ لَيْسَ بمُخَالف لكَلاَمِ الآخَرينَ وَلَيْسَ أَيْضًا ممَّا لاَ يُنَاسبُ لمَرْتَبَة الوُجُود تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، (ع):

كُل أَنْتَ خَريزَةً وَالغَيْرُ فَلوْذَجًا

وَالمثَال الذي يُمْكنُ أيرَادُهُ في المَخْلوقَات لتَوْضيح هَذه المَعْرفَة: هُوَ أَنَّهُمْ قَالوا: إنَّ العلمَ بالعلة مُسْتَلزَمٌ للعلم بالمَعْلوم، وَالمَدْرَكَةُ مُتَوَجِّهَةَ في هَذه الصُّورَة بالأَصَالَة إلى العلة وَمُتَعَلقَة بهَا، وَيَحْصُل العلمُ بالمَعْلول بتَبَعيَّة العلم بالعلة منْ غَيْر تَجَدُّد تَعَلق آخَر به، وَلكنْ أَرْبَاب المَعْقُول لاَ يُجَوِّزُونَ مَعْلوميَّة المَعْلول في هَذه الصُّورَة أَيْضًا منْ غَيْر تَعَلق العلم بالمَعْلول في مَرْتَبَة ثَانيَة وَإنْ لَمْ يَكُنْ ذَلكَ التَّعَلق بالأَصَالَة وَلكنْ لاَ يُعْلمُ وُجُودُ مثَال أَقْرَبَ منْ هَذَا المثَال، وَالمَقْصُود التَّوْضيح لاَ الإثْبَاتُ، وَاللهُ تَعَالى أَعْلم بحَقَائق الأُمُور كُلهَا {وَالسَّلاَم عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى} وَالتَزمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَات وَالتَّحيَّات المُبَارَكَات.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَتَان

إلى مَوْلاَنَا بَدْرِ الدِّين

فِي تَحْقِيقِ إحَاطَة الحَقِّ وَسَرَيَانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَتَوْضِيحِ ذَلكَ بِأَمْثلةٍ وَبَيَانِ رِعَايَةِ حِفْظِ المَرَاتِبِ الوُجُوديَّةِ وَالإِمْكَانيَّةِ

اعْلَمْ: أَنَّ إحَاطَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بالأَشْيَاءِ وَسَرَيَانَهُ فيهَا كَإِحَاطَةِ الُمجْمَل بالُمفصَّل، وَسَرَيَانُهُ فيه كَالكَلمَة مَثلاً سَارِيَةٌ فِي جَمِيعِ أَقْسَامِهَا مِنَ الاسْمِ وَالفعْل وَالحَرْف وَكَذَا فِي أَقْسَامِ الأَفْعَال منَ المَاضي وَالُمضَارِعِ وَالأَمْرِ وَالنَّهْي وَالَمصْدَر وَاسْمِ الفَاعل وَاسْمِ المَفْعُول وَالُمسْتَثْنَى الُمنْقَطع وَالُمتَّصل وَالحَال وَالتَّمَيُّز وَالثُّلاَثيِّ وَالرُّبَاعيِّ وَالخُمَاسيِّ وَالحُرُوف الجَارَّة وَالنَّاصيَة وَالحُرُوف الُمخْتَصَّة بالأَفْعَال وَالحُرُوف الُمخْتَصَّة بالأَسْمَاء وَالحُرُوف الدَّاخلة عَلَيْهمَا إلى غَيْر ذَلكَ مِنَ الأَسْمَاءِ الحَاصلة منَ التَّقْسيمَات الغَيْر الُمتَنَاهيَة؛ فَهَذه الأَقْسَام كُلهَا ليْسَتْ غَيْرَ الكَلمَة، بَل هَذه اعْتبَارَات مُنْدَرجَة تَحْتَ الكَلمَة مَا زَادَ فِي تَفْصيلهَا وَتَمْييزهَا عَنِ الكَلمَة وَتَمْييز بَعْضهَا عَنْ بَعْض شَيْءٌ إلاَّ اعْتبَارُ العَقْل، وَفي الخَارِجِ لَيْسَتْ إلا الكَلمَة؛وَلهَذَا صَحَّ الحَمْل وَلَكنْ لكُل مَرْتَبَة منَ المَرَاتب اسْم يَخْتَصُّ هُوَ بهَا وَأَحْكَام لاَ تُوجَدُ فِي غَيْرهَا؛ مَثَلاً: الدَّالة عَلى المَعْنَى بالاسْتقْلاَل منَ الاقْتِرَان بالزَّمَان فعْل وَبغَيْرِ الاقْتِرَان اسْمٌ وَغَيْر الدَّالة عَلى المَعْنَى بالاسْتقْلاَل حَرْفٌ وَكَذَا الُمقْتَرِنُ بالزَّمَان المَاضي فعْل مَاضٍ، وَبالزَّمَان الحَال وَالاسْتقْبَال مُضَارِعٌ، وَمَا وُجدَ فيه علتَان منَ العلل التِّسْعَةَ المَشْهُورَةَ فَغَيْرُ مُنْصَرف، وَإلاَّ فَمُنْصَرف، وَحُرُوفٌ عَملهَا الجَرُّ جَارَّةٌ، وَحُرُوفٌ عَملهَا النَّصْبُ نَاصبَةٌ؛ فَإطْلاَق اسْمِ مَرْتَبَة عَلى مَرْتَبَة أُخْرَى، وَإجْرَاءُ أَحْكَام إحْدَاهُمَا عَلى الأُخْرَى كَإطْلاَق الفعْل المَاضي عَلى الُمضَارِعِ، وَالُمنْصَرف عَلى غَيْرِ الُمنْصَرف، وَالجَارَّة عَلى النَّاصبَة، مَعَ كَوْن المَرَاتب كُلهَا لَيْسَتْ إلاَّ الكَلمَة ـــ: ضَلاَلةٌ وَخُرُوجٌ عَنِ الصِّرَاط السَّوِيِّ.

فَنَقُول وَالله سُبْحَانَهُ أَعْلم: إنَّ لكُل مَرْتَبَة منْ مَرَاتبَ تَنَزُّل الوُجُود اسْمًا مُخْتَصًّا بهَا وَأَحْكَامًا لاَ تُوجَدُ إلاَّ فيهَا؛ فَالوُجُوب الذَّاتيُّ وَالاسْتغْنَاءُ الذَّاتيُّ مُخْتَصَّان بمَرْتَبَة الجَمْعِ، والألوهية وَالإمْكَان الذَّاتيِّ وَالافْتقَارُ الذَّاتيُّ مُخْتَصَّان بمَرْتَبَةِ الكَوْنِ وَالفَرْقِ، وَالمَرْتَبَةُ الأُولى مَرْتَبَةُ الرُّبُوبيَّةِ وَالخَالقيَّةِ، وَالمَرْتَبَةُ الثَّانيَةُ مَرْتَبَةُ

العُبُوديَّة وَالمَخْلوقيَّة؛ فَلوْ أُطلقَ أَسَامِيٍّ إِحْدَاهُمَا عَلى الأُخْرَى وَأُجْرِيَ الأَحْكَامُ المُخْتَصَّةُ بِمُرَتَّبَة عَلى مَرْتَبَة أُخْرَى لكَانَ زَنْدَقَةً وَكُفْرًا مَحْضًا.

وَالعَجَبَ مِنْ بَعْضِ المَلاَحِدَة وَالزَّنَادقَة إِنَّهُمْ كَيْفَ يَخْلطُونَ المَرَاتب وَيَجْرُونَ أَحْكَامَ مَرْتَبَة عَلى مَرْتَبَة أُخْرَى فَيَصِفُونَ المُمْكنَ بصفَات الوَاجب، وَالوَاجبَ بصفَات المُمْكن مَعَ علمهمْ بتَمَايُز صفَات المُمْكن الذي هُوَ مَرْتَبَةٌ وَاحدَةٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ وَاخْتلاَف أَحْكَامهمْ وَعلمهمْ بعَدَم زَوَال تَمايُزهمْ وَاخْتلاَف أَحْكَامهمْ أَصْلاً مَعَ اتِّحَادهمْ في المَرْتَبَة الكَوْنيَّة، فَإِنَّهُمْ يَعْلمُونَ بالبَدَاهَة مَثلاً أَنَّ الحَرَارَةَ وَالإشْرَاقَ مِنْ صفَات النَّار المُخْتَصَّة بهَا لَيْسَتْ وَاحدَة منْهَا في المَاء.وَلاَ يُوصَفُ بهَا المَاء، وَكَذَا البُرُودَة التي اخْتَصَّتْ بالمَاء لَيْسَتْ في النَّار، وَكَذَا يُمَيِّزُونَ بالضَّرُورَة بَيْنَ أَزْوَاجهمْ وَأُمَّهَاتهم، وَيَحْكُمُونَ بتَفْرقَة أَحْكَامهنَّ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ الهَادي إلى سَبيل الرَّشَاد {وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالتِّسْعُونَ وَالمِائَتَان

إلى السَّيِّد مُحبّ الله المانكبوري

فِي بَيَان الوُصُول إلى نِهَايَة الأَمْر بطَرِيق الإشَارَة وَلطِيف العِبَارَة وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلى سِرِّ هَذَا المُعَمَّى أَحَدٌ غَيْرُ المَخْدُومِ الأَكْبَر عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ

اعْلَـــمْ ــ أَرْشَدَكَ اللهُ ــ: لَمَا كَانَ السَّيْرُ مُدَّةً مَدِيدَةً فِي الظِّلاَل وَجَدْتُ الوُصُول إلى الظِّل عَيْنَ الحُصُول، وَالآنَ لَمَّا تَيَسَّرَ الوُصُول إلى الأَصْل: لَيْسَ الحُصُول غَيْرَ الظِّل كَالمِرْآة الكَائِنَة فِي يَدِ شَخْص الوَاصِلة إِلَيْهِ لاَ نُصِيبُ لهُ مِنَ الشَّخْصِ إلاَّ ظِلهُ فَافْهَمْ فَإِنَّ كَلاَمَنَا إِشَارَة.

وَاعْلَـــمْ: أَنَّ العَبَّارَةَ المُنَاسبَةَ لبَيَان الطَّرِيق التِي حَرَّرْتُ بطَرِيق الرَّمْز وَالإِشَارَة رَأَيْتُهَا مُنَاسبَةً لهَذَا المَقَامِ وَجَعَلتُهَا مُنْدَرِجَةً فِي هَذَا المَكْتُوب أَيْضًا.

يَنْبَغِي أَنْ يفهما ذِكْر كَثِير مَأْخُوذ مِنْ شَيْخٍ صَاحِب عِرْفَان المُدَاوَمَة عَلَيْهِ الرُّجُوع إلى فَضْل الرَّحْمَنِ الوَصْل العُرْيَان وَالبَاقِي كُلهمْ حُسْبَان، {وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى} وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله مِنَ الصَّلوَاتِ أَتَمّهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَات أَكْمَلهَا.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ وَالمائَتَان
إلى الشَّيْخ فَرِيد الراهولي
في التَّعْزِيَة وَالدَّلالَة عَلى الرِّضَا بالقَضَاء
وَبَيَان فَضيلة المَوْت بالطَّاعُون
وَأَنَّ الفِرَارَ مِنْهُ كَبِيرَةٌ كَالفِرَار يَوْمَ الزَّحْف

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوات وَتَبْليغ الدَّعَوَات:

لِيُعْلَمَ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّرِيفَ قَدْ وَصَل وَقَدْ بُيِّنَ فيه المصيباتُ: {إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ}، يَنْبَغِي الصَّبْرُ وَالتَّحمُّل وَالرِّضَاءُ بالقَدْر (شِعْر):

إنْ كُنْت تُؤْذيني فَلسْت بمُعْرِض   وَقَدْ اسْتَنْبَطْتْ منَ الأَعزَّة ذلتي

قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصيبَة فَبمَا كَسَبَتْ أَيْديكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثير}، وَقَال تَعَالى: {ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْر بمَا كَسَبَتْ أَيْدي النَّاس}، وَقَدْ هَلكَ في هَذَا الوَبَاء منْ شُؤْم أَعْمَالنَا البَقَرَات لكَثْرَة اخْتلاَطهَا بنَا وَمَاتَتْ النِّسَاءُ أَكْثَرَ منَ الرِّجَال، فَإنَّ تَعلقَ بَقَاء نَوْع الإنْسَان بوُجُودهنَّ أَكْثَرُ، وَالذي فَرَّ منَ المَوْت في هَذَا الوَبَاء وَسَلمَ فَالتُّرَاب عَلى حَيَاته وَالذي لَمْ يَهْرُبْ وَمَاتَ فَطُوبَى لهُ وَبُشْرَى لهُ بالشَّهَادَة، وَقَدْ جزَمَ شَيْخ الإسْلاَم ابْن حَجَر في كتَاب بذَلكَ: "**المَاعُون في فَضْل الطَّاعُون**" بأَنَّ المَيِّتَ بالطَّعْن لاَ يُسْأَل؛ لأَنَّهُ نَظيرُ المَقْتُول في المَعْرَكَة، وَبأَنَ الصَّابرُ في الطَّاعُون مُحْتَسبًا يَعْلمُ أَنَّهُ مَا يُصيبُهُ إلاَّ مَا كُتبَ لهُ إذَا مَاتَ فيه بغَيْر الطَّعْن لاَ يُفْتَنُ أَيْضًا؛ لأَنَّهُ نَظيرُ المُرَابط، كَذَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الأَجَل السُّيُوطيُّ في كتَاب: "**شَرْحُ الصُّدُور بشَرْحِ أَحْوَال المَوْتَى وَالقُبُور**"، وَقَال: وَهُوَ حُجَّةٌ جدًّا.

وَالذي لَمْ يَهْرُبْ وَلَمْ يَمُتْ منْ جُمْلة الغُزَات وَالمُجَاهدينَ وَمنْ زُمْرَة الصَّابرينَ وَالمُبْتَلَيْنَ وَلكُل شَخْص أَجَل مُسَمًّى لاَ تَقْديمَ فيه وَلاَ تَأْخيرَ، وَسَلاَمَةُ أَكْثَر الهَاربينَ إنَّمَا هيَ لعَدَم مَجيئ أَجَلهمْ، لاَ أَنَّ الفرَارَ نَجَّاهُمْ منَ المَوْت، وَهَلاَك أَكْثَر الصَّابرينَ إنَّمَا هُوَ لبُلوغ أَجْلهمْ فَلَيْسَ الفرَار يُنْجي وَلاَ الاسْتقْرَارُ يُهْلكُ، وَهَذَا الفرَار ـــ كَالفرَار يَوْمَ الزَّحْف ـــ مَعْصيَةٌ كَبيرَةٌ وَمنْ مَكْر الله سُبْحَانَهُ؛ حَيْثُ يُسَلمُ الهَاربينَ وَيُهْلكُ الصَّابرينَ: {يُضل به كَثيرًا وَيَهْدي به كَثيرًا}، وَقَدْ سَمعْنَا صَبْرَكُمْ وَتَحَمُّلكُمْ وَإمْدَادَكُمْ وَإعَانَتَكُمْ للمُسْلمينَ ـــ جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ خَيْرًا ـــ وَلاَ

يَضيقَنَّ قَلبُكُمْ في مَرْتَبَة الأَطْفَال وَتَحمُّل أَذَاهُمْ؛ فَإِنَّ المَرْجُوَّ تَرَتُّبُ أَجْرٍ جَزِيل عَلَيْهِ، وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ ؟! وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوب المُوفي ثَلاَثَمِائَة
إِلى المَخْدُومِ زاده جَامعِ العُلومِ العَقْلِيَّة وَالنَّقْلِيَّة
مَجْد الدِّين مُحَمَّد مَعْصُوم سَلمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى
فِي بَيَانِ الأَسْرَارِ الغَامضَة وَالمَعَارِف الغَرِيبَة بلسَان الرَّمْزِ وَالإشَارَة وَانْدرَجَ فِيهِ أَيْضًا إِيمَاءٌ مِنْ: {قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}

الحَمْدُ لله وَسَلاَم عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

إذَا حَصَلَ للإنْسَان الكَامل اسْمُ الجَامعيَّة بَعْدَمَا طَوَى مَرَاتبَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات بالسَّيْرِ التَّفْصيليِّ وَصَارَ مرْآةً لكَمَالاَت الأَسْمَاء وَالصِّفَات الإلهيَّة جُل سُلطَانه وَاخْتَفى عَدَمه الذَّاتيّ الذي هُوَ مرْآة تلكَ الكَمَالاَت بالتَّمَامِ وَلَمْ يَكُنْ فيه شَيْء غَيْر تلكَ الكَمَالاَت ظَاهرًا فَفي هَذَا الزَّمَان يَتَشرَّفُ بالبَقَاء الخَاصِّ الذي هُوَ مَنُوطٌ بتلكَ الكَمَالاَت بَعْدَ حُصُول الفَنَاء التَّامِّ الذي هُوَ مَرْبُوطٌ باخْتفَاء عَدَمه وَيُصَدِّقُ عَلَيْه اسْم الولاَيَة وَبَعْدَ ذَلكَ إذَا كَانَتْ العنَايَة الأَزَليَّة شَاملة لحَالة يُمْكنُ أَنْ تَنْعَكسَ تلكَ الكَمَالاَت التي كَانَ العَارف بَاقيًا بهَا مَرَّة ثَانيَة في مرْآة حَضْرَة الذَّات وَأَنْ تَظْهَرَ فيهَا وَفي هَذَا الوَقْت يَظْهَرُ سرُّ قَابَ قَوْسَيْن.

يَنْبَغِــي: أَنَّ يُعْلَمَ أَنَّ ظُهُورَ شَيْءٍ فيهَا في هَذَا المَوْطن كنَايَةٌ عَنْ حُصُول نسْبَة مَجْهُولَة للشئ بتلكَ المرْآة، لاَ أَنَّ فيه حَقيقَةَ المرْآة، وَحُصُول الشَّيْء فيهَا ـــ وَلله المَثَل الأَعْلى ـــ فَإذَا صَارَتْ تلكَ الكَمَالاَتُ التي كَانَ العَارف بَاقيًا بهَا مُنْعَكسَةً في مرْآة جَنَاب القُدْس بطَريق الحَقيقَة وَالأَصَالة وَظَهَرَتْ فيهَا وَحَصَلتْ لهَا فيهَا النِّسْبَةَ المَجْهُولةَ الكَيْفيَّةَ فَلاَ جَرَمَ يُطْلَقُ حينَئذ عَلَيْهَا أَنَا الذي كَانَ مُتَعَلقًا بالعَارف وَتَرَى نَفْسهَا عَيْن تلكَ الكَمَالاَت الظَّاهرَةَ وَنهَايَةَ عُرُوج "**أَنَا**" في مَقَام قَاب قَوْسَيْن إلى هُنَا.

اسْمَعْ أَيُّهَا الوَلَدُ: إنَّ مرْآة الصُّورَة التي يَنْعَكسُ فيهَا الحُسْن وَالجَمَال لوْ حَصَل لهَا فَرْضًا الحَيَاةُ وَالعلمُ، يَعْني لوْ أَدْرَكَتْ ظُهُورَ الحُسْن وَالجَمَال فيهَا لكَانَتْ بالضَّرُورَة مُتَلذِّذَةً به وَمُحْتَظَةً بحَظٍّ أَوْفَرَ، وَفي مرْآة الحَقيقَة وَإنْ كَانَتْ اللذَّةُ وَالأَلمُ مَفْقُودَيْنَ لكَوْنهمَا منْ صفَات الإمْكَان، وَلكنَّ الأَمْرَ اللاَّئقَ بتلكَ المَرْتَبَة العُليَا المُبرَّأ عَنْ سمَات النَّقْص وَالحُدُوث كَائن وَثَابت فيهَا، (شعْر):

خَليليٌّ مَا هَذَا بِهَزْل وَإنَّمَا حَديثٌ عَجيبٌ منْ غَريبِ البَدَائعِ

وَهَذه الكَمَالاَت الظَّاهِرَة التي حَصَلتْ لَهَا في تلكَ المَرْتَبَة النِّسْبَةُ المَجْهُولةُ الكَيْفِيَّة حُكْمهَا كَحُكْمِ عَالَمِ الخَلقِ الإنْسَانيِّ بالنِّسْبَة إلى عَالَمِ الأَمْرِ وَسِرِّ "**مَنْ عَرَفَ نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**" مَوْجُودٌ وَحَاصِل هُنَا وَلَمَّا حَصَلتْ لِهَذه الكَمَالاَت الظَّاهِرَة التي هِيَ تَفْصِيل إجْمَال حَضْرَة الذَّات ــ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ــ نِسْبَة مَجْهُولة الكَيْفِيَّة بِحَضْرَة الإجْمَال وَتَيَسَّر لَهَا اتِّصَال بلاَ كَيْفَ وَصَارَتْ مِرْآةً لِحَضْرَة الإجْمَال ظَهَرَ فِي حَضْرَة الإجْمَال التَّفْصِيل أَيْضًا بالضَّرُورَة بِمُجَرَّد الاعْتبَار وَبِمَحْضِ التَّوَهُّمِ وَصَارَ سَبَبًا لعُرُوجٍ: "**أَنَا**" العَارِف وَهَذَا الكَمَال مَرْبُوط بِمَقَامٍ أَوْ أَدْنَى (ع):

بَلغَ اليَرَاع إلى هُنَا فَتَكَسَّرَا

وَهَذَا هُوَ بَيَان نِهَايَة النِّهَايَة وَغَايَة الغَايَة الذي فَهْمُهُ بَعيدٌ عَنْ إدْرَاك الخَوَاصِّ بِمَرَاحِل، فَمَاذَا تَقُول مِنَ العَوَامِّ ؟! وَالذي اهْتَدَى إلى هَذه الدَّوْلَة وَالمَعْرفَة مِنْ أَخَصِّ الخَوَاصِّ أَيْضًا أَقَل قَليل (شِعْر):

وَإذَا أَتَى بَابَ العَجُوز خَلِيفَةٌ　　إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سبَالكَا

وَهَذه النِّهَايَة باعْتبَارِ الظُّهُورَات وَالتَّجَليَات لاَ يَتَصَوَّرُ بَعْدَ ذَلكَ تَجَل وَلاَ ظُهُور (شِعْر):

وَمنْ بَعْد هَذَا مَا يَدقُّ صفَاته　　وَمَا كَتْمُهُ أَحْظَى لدَيَّ وَأَجْمَل

{وَالسَّلاَم عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهدَىٰ} وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله وَعَلى جَميعِ الأَنْبيَاء وَالمُرْسَلينَ، وَعَلى آل كل وَالمَلائكَة المُقَرَّبينَ منَ الصَّلَوَات أُتمُّهَا وَأَوْلاَهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا وَأَعْلاَهَا وَمنَ التَّجَليَات أَدْوَمُهَا وَأَبْقَاهَا، وَمنَ البَرَكَات أَعَمُّهَا وَأَشْمَلهَا.

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالثَّلاَثمِائَة

إِلى مَوْلاَنَا أَمَان الله

فِي بَيَان قُرْبَ النُّبوَّة وَقُرْبَ الولاَيَة وَالطُّرُقِ المُوصِّلة إِلى قُرْب النُّبُوَّة

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات:

لِيَعْلَمْ وَلَدِي أَمَانُ الله أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ القُرْبِ الإلهِيِّ ـــ جَل سُلطَانه ـــ الذي لَيْسَ فِيه شَائبَةُ الظِّلِّيَّة وَعُرُوجُهُ نَاظِرٌ وَمُتَوجِّهٌ إِلى الحَقِّ وَنُزُولهُ إِلى الخُلق، وَهَذَا القُرْب نَصيبَ الأَنْبِيَاء ـــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـــ بالأَصَالة، وَهَذَا المَنْصب مَخصُوص بِهؤُلاَءِ الأَكَابر ـــ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ ـــ وَخَاتَم هَذَا النَّصْب سَيِّدُ البَشَرِ ﷺ وَيَكُونُ عِيسَى ـــ عَلَيْه السَّلاَمُ ـــ بَعْدَ نُزُوله تَابِعًا لِشَرِيعَة خَاتَم الرُّسُل.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَن لِلأَتْبَاعِ وَالخُدَّام نَصِيبًا مِنْ دَوْلَة المَتْبُوعِينَ وَالمَخَاديم وَحِصَّتهِمْ فَيَكُونُ لِكُمَّل الأَتْبَاع أَيْضًا نَصِيبٌ مِنْ قُرْب الأَنْبِيَاء ـــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـــ وَيَكُونُ مِنْ عُلومٍ ذَلكَ المَقَام وَمَعَارِفه كَمَالاَته أَيْضًا نُصِيبُ لَهُمْ بِطَرِيق الوِرَاثَة (ع):

وَللأَرْض مِنْ كَأْس الكِرَام نُصِيبُ

فَحُصُول كَمَالاَت النُّبُوَّة للأَتْبَاعِ بِطَرِيق التَّبَعِيَّة وَالوِرَاثَة بَعْدَ بِعْثَة خَاتَمِ الرُّسُل ـــ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـــ لَيْسَ بِمُنَافٍ لِخَاتميَّته ﷺ **{فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ}**.

اعْلَمْ ـــ أَسْعَدَكَ الله ـــ: أَنَّ الطَّرِيقَ المُوصل إِلى كَمَالاَت النُّبُوَّة اثْنَان:

طَرِيق مَرْبُوط بِطَيِّ كَمَالاَت مَقَام الولاَيَة مُفَصَّلة، وَمَنُوطٌ بِحُصُول التَّجَلِيَات الظِّلِّيَّة وَالمَعَارِف السُّكْرِيَّة التِي هِيَ مُنَاسِبَةٌ بِقُرْب الولاَيَة وَبَعْدَ طَيٍّ هَذه الكَمَالاَت وَحُصُول التَّجَلِيَات بِوَضْعِ القَدَمِ فِي كَمَالاَت النُّبُوَّة وَفِي هَذَا المَقَامِ وُصُول بالأَصْل وَالالتفَات إِلى الظِّلِّ ذَنب.

وَالطَّرِيق الثَّانِي: هُوَ الذي يَتَيَسَّرُ فيه الوُصُول إِلى كَمَالاَت النُّبُوَّة بِدُون تَوَسُّط حُصُول كَمَالاَت الولاَيَة وَهَذَا الطَّرِيق الثَّانِي طَرِيقٌ سُلطَانِيٌّ وَأَقْرَبُ إِلى الوُصُول، وَكُل مَنْ وَصَل إِلى كَمَالاَت النُّبُوَّة ـــ إِلاَّ شَاءَ الله ـــ وَصَل مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ العِظَامِ وَالصَّحَابَة الكِرَام بِتَبَعِيَّتِهِمْ وَوِرَاثَتِهِمْ.

وَالطَّرِيقُ الأَوَّل بعيدٌ وَطَويل وَعَسِيرُ الحُصُول وَمُتَعَذِّرُ الوُصُول وَقَدْ تَخَيَّل طَائِفَةٌ مِنَ الأَوْلِيَاءِ فِي مَقَام الولاَيَة الذِينَ تَشَرَّفُوا بِشَرَف النُّزُول أَنَّ الكَمَالاَت التي تَتَعَلَقُ بِمَقَام النُّزُول هِيَ كَمَالاَتُ النُّبُوَّة، وَظَنُّوا التَّوَجُّه إلى الخُلق الذي هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ الدَّعْوَة أَنَّهُ مِنْ خَصَائِصَ مَقَام النُّبُوَّة وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَل هَذَا النُّزُول كَالعُرُوجِ مِنْ مَقَام الولاَيَة وَفَوْق مَقَام الولاَيَة عُرُوج وَنُزُول غَيْر ذَيْنِكَ يَتَعَلقَان بِالنُّبُوَّة، وَهَذَا التَّوَجُّه إلى الخَلق غَيْر ذَاكَ التَّوَجُّه إلى الخَلق الذي هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَقَام النُّبُوَّة، وَهَذه الدَّعْوَة غَيْر تلكَ الدَّعْوَة التي عَدُّوهَا مِنْ كَمَالاَت النُّبُوَّة وَمَاذَا يَصْنَعُونَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ فِي خَارِجِ دَائِرَة الوِلاَيَة وَلَمْ يُدْرِكُوا حَقِيقَةَ كَمَالاَت النُّبُوَّة وَظَنُّوا نِصْف الولاَيَة الذي هُوَ جَانِبٌ العُرُوجِ تَمَام الولاَيَة وَزَعَمُوا نِصْفَهَا الآخَر الذي هُوَ جَانِبٌ النُّزُول مَقَام النُّبُوَّة، (شِعْر):

وَلَيْسَ لِشَيْءٍ كَامِنٍ جَوْفَ صَخْرَة سِوَاهَا سَمَوَاتٌ لَدَيْهِ وَلاَ أَرْضُ

وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَيَسَّرَ الوُصُول لِشَخْص بِالطَّرِيقِ الأَوَّل وَيَجْمَعَ كَمَالاَت الولاَيَة وَالنُّبُوَّة المُفَصَّلَة وَيَحْصُل لهُ تَمْييزُ مَا بَيْنَ كَمَالاَت هَذَيْن المَقَامَيْن كَمَا يَنْبَغِي، وَيَفْرُقُ بَيْنَ عُرُوجِ كُل مِنْهُمَا وَنُزُولهِمَا وَيَحْكُمُ أَنَّ نُبُوَّةَ نَبِيٍّ أَفْضَل مِنْ ولاَيَته.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَم: أَنَّ كَمَالاَت مَقَام الولاَيَة المُفَصَّلة وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَاصِلة بَعْدَ الوُصُول بِالطَّرِيق الثَّانِي وَلكِنْ زُبْدَةَ الولاَيَة وَخُلاَصَتَهَا مُيَسَّرَةٌ بِأَحْسَنِ الوُجُوه بِحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يُقَال: إِنَّ أَهْلَ الوِلاَيَة حَصَّلوا مِنْ كَمَالاَت الولاَيَة قِشْرَهَا، وَهَذَا الوَاصِل حَازَ لُبَّهَا.

نَعَمْ: إِنَّ هَذَا الوَاصل قَلِيل النَّصِيب مِنْ بَعْضِ العُلومِ السُّكْرِيَّةِ وَالظُّهُورَات الظِّلِّيَّة التي حَاصِلة لأَرْبَاب الولاَيَة، وَهَذَا المَعْنَى لَيْسَ بِمُوجِب لِلمَزِيَّة، بَل هَذه العُلوم وَالظُّهُورَات عَيْبٌ وَعَارٌ عَلَى ذَلكَ الوَاصِل، بَل تَلِيقُ بِأَنْ تَعُدَّهَا ذَنْبًا وَسُوءَ أَدَب، نَعمَ: إِنَّ وَاصِل الأَصْل مُنْقَبِضٌ وَمُسْتَغْفِرٌ مِنْ ظِلاَل ذَلكَ الأَصْل وَالتَّعَلق بِالظِّل إِنَّمَا هُوَ حِين عَدَمُ الوُصُول إلى أَصْل ذَلكَ الظِّل، وَالتَّعَلق بِهِ بَعْدَ الوُصُول إلى أَصْله مِنْ عَدَم الحَاصِل وَالتَّوَجُّه إِلَيْه سُوء الأَدَب.

أَيُّهَا الوَلَدُ: إِنَّ حُصُول كَمَالاَت النُّبُوَّة مَرْبُوطٌ بِمَوْهِبَة مَحْضَة وَمَنُوطٌ بِتَكْرِمَة صِرْفَة لاَ مَدْخَل لِلتَّمَحُّل وَتَجَشُّم الكَسْب فيه أَصْلاً، أَيُّ عَمَل وَأَيُّ كَسْب يَكُونُ مُنْتِجًا لِهَذه الدَّوْلَة العُظْمَى وَأَيُّ رِيَاضَة وَأَيَّة مُجَاهَدَة تَكُونُ مُثْمِرَةً لِهَذه النِّعْمَة

الأَسْنَى، بخلاَف كَمَالاَت الولاَيَة؛ فَإِنَّ مَبَاديهَا وَمُقَدِّمَاتهَا كَسْبِيَّة وَحُصُولهَا مَرْبُوط بالرِّيَاضَة وَالْمجَاهَدَة وَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ بَعْض الأَشْخَاص مُشَرَّفًا بهَذه الدَّوْلة أَيْضًا منْ غَيْر تَجَشُّم كَسْب وَمُبَاشَرَة عَمَل، وَالفَنَاء وَالبَقَاء اللذَان الولاَيَةُ عبَارَةٌ عَنْهُمَا أَيْضًا منَ المَوْهبَة يَشْرُفُ بهمَا بَعْدَ كَسْب المُقَدِّمَات بالفَضْل وَالكَرَم كُل مَنْ أُريدَ لهُ ذَلكَ، وَريَاضَاتُ رَسُول الله ﷺ وَمُجَاهَدَاتُهُ قَبْل البعْثَة وَبُعْدهَا لَمْ تَكُنْ لتَحْصيل هَذه الدَّوْلة، بَل كَانَ المَنْظُورُ مَنَافعَ وَفَوَائدَ أُخرَ مثْل قلة الحسَاب وَكَفَّارَة الزَّلاَّت البَشَريَّة وَارْتفَاع الدَّرَجَات وَمُرَاعَاة صُحْبَة المَلك المُرْسَل الذي هُوَ بَريء منَ الأَكْل وَالشُّرْب وَكَثْرَة ظُهُور الخَوَارق المُنَاسبَة لمَقَام النُّبُوَّة.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ حُصُول هَذه المَوْهبَة في حَقِّ الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهمُ السَّلاَمُ ــ بلاَ تَوَسُّط وَفي حَقِّ أَصْحَابهمُ الذينَ تَشَرَّفُوا بهَذه الدَّوْلة بالتَّبَعيَّة وَالورَاثَة إنَّمَا هُوَ بتَوَسُّط الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهمُ السَّلاَمُ ــ وَبَعْدَ الأَنْبيَاء وَأَصْحَابهمْ قَل مَنْ تَشَرَّفَ بهَذه الدَّوْلَة وَإنْ كَانَ تَشَرُّفُهُمْ بهَا جَائزًا، (شعْر):

لَوْ جَاءَ منْ فَيْض رُوح القُدْس منْ مَدَد   غَيْر المَسيح ليَصْنَعُ مثْل مَا صَنَعَا

وَأَظُنُّ أَنَّ هَذه الدَّوْلَةَ أَلقَتْ الظِّل في كبَار التَّابعينَ وَأَكَابر تَبع التَّابعينَ أَيْضًا ثُمَّ أَسْتَتَرَتْ بَعْدَ ذَلكَ حَتَّى إذَا بَلغَتْ النَّوْبَةُ الأَلفَ الثَّانيَ منْ بعْثَته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم بَرزَتْ هَذه الدَّوْلةُ في هَذَا الوَقْت أَيْضًا بالتَّبَعيَّة وَالورَاثَة وَجَعَلتْ الآخر مُشَابهًا بالأَوَّل (شعْر):

فَإذَا أَتَى بَابَ العَجُوز خَليفَة   إيَّاكَ يَا صَاحَ وَنَتفَ سبالكا

﴿ وَالسَّلاَم عَلَى مَن اتَّبَعَ الهُدَى ﴾ وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمّ الصَّلوَات وَأَكْمَل التَّحيَّات.

الْمَكْتُوب الثَّانِي وَالثَّلاَثمائَة
إِلى المَخْدُوم زاده جَامِعِ العُلوم الظَّاهِرِيَّةِ وَالبَاطِنِيَّةِ
مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدِ مَعْصُوم سَلمَهُ الله تَعَالَى
فِي بَيَانِ فِرَق الولاَيَةِ الثَّلاَثِ
وَأَنَّ النُّبُوَّةَ أَفضَل مِنَ الولاَيَةِ
وبَعْض خصَائِص مَقَام النُّبُوَّة
وَمَا يُنَاسِبُ ذلكَ

اعْلَمْ ـ أَرْشَدَك اللَّهُ تَعَالَى ـ: أَنَّ الوِلاَيَةَ عِبَارَةٌ عَنْ قُرْبٍ إِلهِيٍّ لاَ يُتَصَوَّرُ بِلاَ شَائِبَةِ الظِّليَّة وَلاَ يَحْصُل بِدُون حَيْلولة الحُجُبِ فَإِنْ كَانَتْ وِلاَيَة الأَوْلِيَاءِ فَمُتَّسِمَة بسمَة الظِّليَّة أَلْبَتَّة ووِلاَيَةِ الأَنْبِيَاءِ وَإِنْ كَانَتْ خَارِجَة عَن الظِّلَّةِ وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مُتَحَقِّقَة بدُونِ حَيْلُولة حُجُبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَوِلاَيَة المَلاَ الأَعْلَى وَإِنْ كَانَتْ فَوْقَ حَجْبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَلَكِنَّهَا الأَبَدُ لهَا مِنْ حُجُبِ الشُّئُونِ وَالاعْتِبَارَاتِ وَالتي لَمْ يَتَطَرَّقْ عَلَيْهَا شَائبَة الظِّليَّة وَتَرَكَتْ حُجُب الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الطَّرِيقِ إِنَّمَا هِيَ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَة فَتَكُونُ النُّبُوَّة أَفْضَل مِنَ الوَلاَيَةِ بِالضَّرُورَةِ وَيَكُونُ قُرْبُ النُّبُوَّةِ ذَاتِيًا وَأَصْلِيًا، وَمَنْ لَمْ يطَّلعْ عَلى حَقِيقَتهِمَا حَكَمَ بِالعَكْسِ وَجَزَمَ بِالقَلبِ، فَيَكُونُ الوُصُول فِي مَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ وَالحُصُول فِي مَقَامِ الوِلاَيَةِ؛ فَإِنَّ الحُصُول لاَ يُتَصَوَّرُ بِدُون مُلاَحَظَة الظِّليَّة بِخِلافِ الوُصُول.

وَأَيْضًا: إِنَّ فِي كَمَال الحُصُول رَفْعَ الاثْنينيَّة، وَفِي كَمَال الوُصُول بَقَاءَ الاثْنَيْنِيَّة؛ فَرَفْعُ الاثْنَيْنِيَّة يَكُونُ مُنَاسِبًا لمَقَام الوِلاَيَةِ، وَبَقَاء الاثْنَيْنِيَّة مُلائِمًا لمَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ، فَإِذَا كَانَ رَفْعُ الاثْنَيْنِيَّة مُنَاسِبًا لمَقَام الوِلاَية يَكُونُ السُّكرُ فِي جَمِيعِ الوقْت لازِمًا لِمَقَامِ الوِلاَيَةِ بِالضَّرُورَةِ وَحَيْثُ كَانَ مَرْتَبَة النُّبُوَّة بَقَاء الاثْنَيْنِيَّة يَكُونُ الصَّحْوُ مِنْ خَوَاصِّ تِلكَ المَرْتَبَةِ.

وَأَيْضًا: إِنَّ حُصُول التَّجَلِّيَاتِ سَوَاءَ كَانَ فِي كُسْوَة الصوَر وَالأَشْكَال أَوْ فِي حُجُب الأَلوَان وَالأَنْوَارِ كُله فِي مَقَامَاتِ الولاَيَةِ وفِي طَيّ مُقَدِّمَاتِهَا وَمَبَادِيهَا بِخِلاَفِ مَرْتَبَةِ النُّبُوَّة؛ فَإِنَّ فِي ذَلكَ المَوْطِنِ وُصُولاً إِلى الأَصْل وَاسْتِغْنَاء عَنِ التَّجليَاتِ وَالظُّهورَات التِي كُلهَا ظِلال ذَلكَ الأَصْل، وَكَذَلكَ الاحْتِيَاج إِلى تِلك

التَّجَلّيَات وَقْتَ طَيِّ مُقدّمَات تلكَ المَرْتَبَة وَمَبَاديهَا إلاّ أَنْ يَقعَ العُرُوج منْ طَريقِ الوِلاَيَة فَحينَئذ حُصُول تلكَ التَّجَلّيَات بِوَاسِطَةِ الوِلاَيَةِ لاَ بِوَاسِطَةِ طَيِّ مَسَافَة طَريقِ الوُصُول إلى كَمَالاَت النُّبُوَّة.

وَبالجُمْلَــــة: إنَّ التَّجَلّيَات وَالظُّهورَات تُنْبئُ عَنِ الظّلال، وَالذي تَخلصَ عَنِ التَّعَلقِ بالظّلال تَخَلصَ عَنِ التَّجَلّيَاتِ يَنْبَغي أَنْ يَطْلبَ سرَّ: ﴿ مَا زَاغَ البَصَرُ ﴾ منْ هَهُنَا.

أَيُّهَـــا الوَلَـــدُ: إنَّ اضْطرَاب العشْق وَطَنْطَنَةَ المَحَبَّة وَالنّيَاحَ المُهَيِّجَة للشَّوْق وَالصِّيَاح المُمْتَزجَة بالتَّأَلم وَالذَّوْق وَالوَجْد وَالرَّقْص ـــ: كُلهَا في مَقَامَات الظّلال وَفي أَوَان الظُّهُورَات وَالتَّجَليَات الظّلّيَّة وَبَعْدَ الوُصُول إلى الأَصْل لاَ يُتَصَوَّرُ حُصُول هَذه الأُمُور، وَالمَحَبَّة في ذَلكَ المَوْطن بمَعْنَى إرَادَة الطَّاعَة كَمَا قَال العُلمَاء لاَ إنَّهَا مَعْنًى زَائدٌ عَلَيْهَا مَنْشَأٌ للشَّوْق وَالذَّوْق كَمَا ظَنَّ بَعْضَ الصُّوفيَّة.

اسْمَـــعْ أَيُّهَـــا الوَلَـــدُ: وَحَيْثُ كَانَ رَفْع الإثْنَينيَّة مَطْلوبًا في مَقَام الوِلاَيَة يَسْعَى الأَوْليَاءُ في إزَالة الإرَادَة بالضَّرُورَة؛ قَال الشَّيْخ البسطام: "**أُريدُ أَنْ لاَ أُريدُ**"، وَحَيْثُ كَانَ رَفْعُ الإثْنينيَّة غَيْرَ مَنْظُور في مَرْتَبَة النُّبُوَّة لَمْ يَكُنْ زَوَال نَفْس الإدَارَة مَطْلوبًا وَكَيْفَ يَكُونُ مَطْلوبًا؛ فَإنَّ الإرَادَةَ صفَة كَاملة في حَدِّ ذَاتهَا فَإنْ تَطرَّقَ النَّقْصُ إليْهَا فَإنَّمَا هُوَ بوَاسطَة خُبْث مُتعَلقَاتهَا؛ فَيَنْبَغي أَنْ لاَ يَكُونَ مُتَعَلقُهَا أَمْرًا خَبيثًا وَغَيْرَ مَرْضيٍّ، بَل يَكُونُ جَميعَ المُرَادَات مَرْضيَّ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَكَذَلكَ يَجْتَهدُونَ في مَقَامِ الوِلاَيَة في نَفْيِ جَميعِ الصِّفَات البَشَريَّة، وَالمَطْلوب في مَرْتَبَة النُّبُوَّة نَفْيُ المُتَعلقَات السُّوء لهَذه الصِّفَات لاَ نَفْيُ أَصْل هَذه الصِّفَات؛ فَإنَّهَا كَاملة في حَدِّ ذَاتهَا؛ مَثَلاً: إنَّ صفَةَ العلم منَ الصِّفَات الكَاملة فَإنْ تَطرَّقَ إليْهَا نَقْصٌ فَإنَّمَا هُوَ منْ جهَة سُوء مُتَعلقهَا فَكَانَ الضَّرُوريُّ نَفْيَ سُوء المُتَعلق لاَ نَفْيَ أَصْلهَا، وَعَلى هَذَا القيَاس: فَالذي وَصَل إلى مَقَام النُّبُوَّة منْ طَريق الوِلاَيَة لاَبُد لهُ منْ نَفْيِ أَصْل الصِّفَات في أَثْنَاء الطَّريق، وَالذي وَصَل إليْه بدُون تَوَسُّط الوِلاَيَة لاَ حَاجَةَ لهُ إلى نَفْيِ أَصْل الصِّفَات، بَل يَنْبَغي لهُ نَفْيُ المُتَعلقَات السُّوء لهَذه الصِّفَات.

يَنْبَغِـــي أَنْ يُعْلمَ: أَنَّ المُرَادَ بهَذه الوِلاَيَة المَذْكُورَة الوِلاَيَةُ الظّلّيَّةُ التي يُعَبَّرُ عَنْهَا بالوِلاَيَة الصُّغْرَى وَولاَيَة الأَوْليَاء، وَأَمَّا ولاَيَةُ الأَنْبيَاء التي جَاوَزَتْ الظّل فَهيَ غَيْرُهَا وَالمَطْلوب فيهَا نَفْيُ المُتَعلقَات السُّوء للصِّفَات البَشَريَّة لاَ نَفْيُ أَصْل تلكَ الصِّفَات، فَإذَا حَصَل نَفْيُ المُتَعلقَات السُّوء للصِّفَات حَصَلتْ ولاَيَةُ الأَنْبيَاء ـــ

عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ــ فَإِنْ وَقَعَ العُرُوجُ بَعْدَ ذَلكَ يَكُونُ مُتَعَلقًا بِكَمَالاَت النُّبُوَّة

فَلاَح مِنْ هَذَا البَيَان أَنَّهُ لاَبُد للنُّبُوَّة مِنْ أَصْل الوِلاَيَة؛ فَإِنَّ الوِلاَيَةَ مِنْ مَبَاديهَا وَمُقَدِّمَاتهَا، وَأَمَّا الوِلاَيَةُ الظِّلِّيَّة فَلاَ حَاجَةَ إِلَيْهَا فِي الوُصُول إلى كَمَالاَت النُّبُوَّة، بَل تَتَّفقُ للبَعْضِ وَلاَ يَقَعُ العُبُور عَلَيْهَا للبَعْضِ الآخَرِ فَإِنَّهُمْ وَلاَ شَكّ أَنَّ نَفْيَ أَصْل الصِّفَات مُتَعَسِّر بالنِّسْبَة إلى مُتَعَلقَاتهَا السُّوء فَيَكُونُ حُصُول كَمَالاَت النُّبُوَّة أُهَوِّنُ وَأُيسِّرُ وَأَقْرُبُ بالنِّسْبَة إلى حُصُول كَمَالاَت الوِلاَيَة، وَهَذَا التَّفَاوُت بالسَّيْر وَالقُرْب جَارٍ فِي كُل أَمْر لهُ وَصُول إلى الأَصْل بالنِّسْبَة إلى أُمُور مُفَارِقَة للأَصْل؛ أَلاَّ تَرَى أَنَّ كيمِّيَاءَ الأَصْل مُيسَّر بسُهُولة العَمَل وَحَاصل بأَقْرَب الطُّرْق، وَالذي فَارَقَ أَصْلهُ فِي محْنَة وَتعبَ بحَيْثُ يَفْنَى عُمْرُهُ فِي تَحْصيله وَمَعَ ذَلكَ لاَ حَاصل لهُ غَيْر الحرْمَان وَمَا حَصَّلَهُ بَعْد اللتيا واللتي لهُ شباهة بالأَصْل وَكَثيرًا مَا تَزُول عَنْهُ تلكَ الشَّبَاهَةُ العَارِضَة وَيَعُود إلى أَصْله وَيَؤُول إلى الدَّنَاءَة وَالخَبَاثَة بخلاَف أَصْل أَصْله فَإِنَّهُ مَعَ وُجُود سُهُولة العَمَل وَقُرْب الطَّرِيق أَمين مِنْ خَوْف الزُّيُوفَة وَالخَبَاثَة.

وَلَمَا وَصَل جَمَاعَةٌ مِنْ سُلاَّك هَذَا الطَّرِيق بالرِّيَاضَة الشَّاقَّة وَالمُجَاهدَة الشَّديدَة إلى ظل مِنَ الظِّلاَل ظَنُّوا أَنَّ الوُصُول إلى المَطْلَب مَنُوطٌ بالرِّيَاضَات الشَّاقَّة وَالمُجَاهَدَات الشَّديدَة، وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ لهُ طَرِيقًا آخَرَ أَقْرَب مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ وَمُوصل إلى نهَايَة النِّهَايَة وَهُوَ طَرِيق الاجْتبَاء الذي هُوَ مَنُوطٌ بمُجَرَّد الفَضْل وَالكَرَمِ وَالطَّرِيق الذي اخْتَارَهُ هَؤُلاَءِ الجَمَاعَة هُوَ طَرِيق الإِنَابَة مَرْبُوط بالمُجَاهدَة وَالوَاصلون مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ أَقَل قَليل وَالوَاصلونَ مِنْ طَرِيق الاجْتبَاء جَمٌّ غَفيرٌ، الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِم السلام ــ كُلهمْ سَارُوا عَلى طَرِيق الاجْتبَاء وَأَصْحَابهمْ ــ رضْوَان الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ ــ أَيْضًا وَصَلوا مِنْ طَرِيق الاجْتبَاء بالتَّبَعيَّة وَالوِرَاثَة وَرِيَاضَات أَرْبَاب الاجْتبَاء إنَّمَا هِيَ لأَدَاء شُكْر نعْمَة الوُصُول؛ قَال ــ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ فِي جَوَاب السَّائل عَنْ وَجْه رِيَاضَاته الشَّديدَة مَعَ كَوْن ذُنُوبه المُتَقَدِّمَة وَالمُتَأَخِّرَة مَغْفُورَة "**أَفَلاَ أَكُونُ عبداً شكوراً**" وَمُجَاهدَات أَهْل الإِنَابَة لأَجْل حُصُول الوُصُول شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَطَرِيق الاجْتبَاء الحَمْل وَالجَذْب عَلى الطَّرِيقِ، وَطَرِيق الإِنَابَة السَّيْر عَلى الطَّرِيقِ وَبَيْنَ الجَذْب وَالسَّيْر فَوْقٌ عَظيمٌ يَجْذبُ سَرِيعًا وَيُوَصِّل به بَعيدًا، وَالسَّائر يَسيرُ بَطيئًا، وَرُبَّمَا يَبْقَى فِي الطَّرِيق؛قَال حَضْرَة الخواجهْ بَهَاء الدِّين النَّقْشَبَنْديُّ ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ: "**نَحْنُ المُفَضَّلونَ**"، نَعِمَ: لوْلاَ الفَضْل كَيْفَ يُمْكنُ أَنْ تَكُونَ نهَايَة

غَيْرِهِمْ مُنْدَرِجَة فِي بِدَايَتِهِمْ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾.

وَلْنَرْجِعْ إِلى أَصْلِ الكَلاَمِ وَنَقُول: إِنَّ هَذَا الفَقِيرَ قَدْ كَتَبَ فِيمَا كَتَبَ إِلى شَيْخِهِ المُعَظَّمِ مِنَ العَرَائِضِ أَنَّهُ قَد ارْتَفَعَتْ جَمِيعِ المُرَادَاتِ، وَلَكِنَّ نَفْسَ الإِرَادَةِ بَاقِيَةٌ عَلى حَالِهَا، ثُمَّ كَتَبَ بَعْدَ مُدَّةٍ: أَنَّ الإِرَادَةَ أَيْضًا صَارَتْ مُرْتَفِعَةً مِثْلَ المُرَادَاتِ، وَلَما شَرَّفَهُ الحَقّ سُبْحَانَهُ بِوِرَاثَةِ الأَنْبِيَاء ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ عَلِمَ أَنَّهُ كَانَ ارْتِفَاعُ المُتَعَلقِ بِالسُّوءِ لِتِلكَ الإِرَادَةِ وَزَوَالِهِ لاَ ارْتِفَاعَ نَفْس الإِرَادَةِ فَإِنَّهُ لاَ يَلزَمُ ارْتِفَاع المُتَعَلقِ بِالسّوء لِتِلكَ الإرَادَة وَزَوَاله لارْتِفاع نفْس الإرَادَة فإنّهُ لا يَلزَم ارْتِفَاع أَصْل الإرادَة فِي حُصُول ارْتِفَاع المتعَلق السُّوءَ عَلى الوَجْهِ الأَتَمِّ وَالأَكْمَل بَل الشَّيْء كَثِيرًا مَا يَتَيَسَّرُ بِمُجَرَّدِ الفَضْل وَلاَ يَتَيَسَّرُ عَشْر عُشَيْرِهِ بِالتَّعَمُّل وَالتَّكَلفِ.

أَيُّهَا الوَلَدُ: يَنْبَغِي فِي مَقَامِ الوِلاَيَةِ اليَأْسُ وَالإِعْرَاضُ الكُليُّ عَنِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَنْ يُعَدَّ التَّعَلقُ بِالآخِرَةِ كَالتَّعَلقِ بِالدُّنْيَا، وَأَنْ يَرَى شَوْق الآخِرَةِ كَشَوْق الدُّنْيَا غَير مَحْمُودَةٍ؛ قَال الإِمَام دَاوُد الطَّائِيّ: «**إِنْ أَرَدْتَ السَّلاَمَةَ سَلمْ عَلى الدُّنْيَا، وَإِنْ أَرَدْتَ الكَرَامَةَ كَبِّرْ عَلى الآخِرةِ**».

وَقَالَ غَيْره مِنْ هَذِه الطَّائِفَةِ: «إِنَّ فِي قَوْله تَعَالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةِ﴾ الآيَة شِكَايَةٌ مِنَ الفَرِيقَيْنِ.

وَبِالْجُمْلةِ: إِنَّ الفَنَاءَ الذي هُوَ عِبَارَة عَنْ نِسْيَان مَا سِوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ شَامِل للدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ كِلاَهُمَا مِنْ أَجْزَاءِ الوِلاَيَةِ فَلاَ بُدَّ إِذاً فِي الوِلاَيةِ مِنْ نِسْيَانِ الآخِرَةِ، وَالتَّعَلق بِالآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ مَحْمُودٌ فِي كَمالاَت النُّبُوَّةِ وَشَوْق الآخِرَةِ إِنَّمَا هُوَ مَرْضِيٌّ فِيهَا، بَل الشَّوْق وَالخَوْف فِي ذَلكَ المَوْطِنِ هُوَ شَوْقُ الآخِرَة وَخَوْف والتَّعَلقُ بالآخِرَةِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خوفاً وطمعاً﴾، وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ عَذَابه﴾، وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَالذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَالذِينَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ أَوْصَاف أَرْبَابِ هَذَا المَقَامُ بُكَاؤُهُمْ وَأَنِينُهُمْ مَنْ تَذَكُّرَ أَحْوَال الآخِرَةِ وَحُزْنهمْ مِنْ خَوْفَ أَهْوَال يَوْمَ القِيَامَةِ، يَسْتَعِيذُونَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ عَلى الدَّوام، وَيَخَافُونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، ويلْتَجِئون مِنْهُ إِلى المَلك الجَبَّارِ بِالتَّضَرُّعِ التَّامِّ، شَوْق الحَقّ جَل وَعَلاَ عِنْدَهُمْ هُمْ شَوْقَ الآخِرَة، وَمَحَبَّتهم مَحَبَّة الآخِرَة؛ فَإِنَّ اللقَاءَ مَوْعِد فِي الآخِرَةِ وَكَمَال الرِّضَا أَيْضًا مَوْقُوف عَلى الآخِرَةِ الدُّنْيا مَبْغُوضَة الحَقّ وَعَلاَ وَالآخِرَةِ مَرْضِيَّتُهُ وَلاَ يُمْكِنُ جَعْلِ المَرْضِيَّة مُسَاوِيَة للمَبْغُوضَةِ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ؛ فَإِنَّ المَبْغُوضَة مستحقة للإِعْرَاضِ وَالمَرْضِيَّةُ

مُسْتحقَّة للإقْبَال، وَالإعْرَاضُ عَنِ المَرْضيَّة عَيْنُ السُّكْر وَخلاَف مَدْعُوِّه تَعَالى المَرْضيِّ؛ وَقَوْله تَعَالى: {وَالله يَدْعُو إِلى دَارِ السَّلاَم} شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى، وَالله سُبْحَانَهُ يُرَغِّبُ في الآخرَة بالمُبَالغَة وَالتَّأْكيد فَالإعْرَاضُ عَنِ الآخرَة مُعَارَضَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ في الحَقيقَة وَسَعْيٌ في رَفْعِ مَرْضيِّه، وَحَيْثُ كَانَ لدَاوُدَ الطَّائيِّ قَدَم رَاسخ في الولاَيَة قَال مَعَ جَلالة شَأْنه في حَقِّ تُرْك الآخرَة إِنَّهُ كَرَامَةٌ، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الأَصْحَاب الكرَامَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ ـــ كُلهمْ كَانُوا مُبْتَلِيْنَ بفكْر الآخرَة وَخَائفينَ وَجلينَ منْ عَذَابهَا، "مَرَّ عُمَرُ ﷺ بدَار إِنْسَان فَسمعَ قَارئاً يَقْرَأُ قَوْله تَعَالى: {إِنَّ عَذَاب رَبِّك لوَاقعٌ مَا لَهُ منْ دَافعٍ} فَسَقَطَ منْ سَمَاعِ هَذه الآيَة منْ دَابَّته عَلى الأَرْضِ مَغْشيًّا عَلَيْه فَحَملوهُ إِلى بَيْته فَبَقيَ منْ أَلَمِ ذَلكَ مَرِيضًا إِلى مُدَّةٍ مَديدَةٍ حَتَّى كَانَ النَّاس يَعُودُونَهُ".

نَعَـــــمْ: يَتَيَسَّرُ نسْيَانُ الدُّنْيَا وَالآخرَة في أَوَاسط الأَحْوَال في مَقَام الفَنَاء وَيَرَى فيه التَّعَلقَ بالآخرَة كَالتَّعَلق بالدُّنْيَا، وَأَمَّا إِذَا تَيَسَّرَ التَّشَرُّفُ بالبَقَاء وَبَلغَ الأَمْرُ نهَايَتَهُ وَأَلقَتْ كَمَالاَت النُّبُوَّة ظلهَا فَحينَئذ كَل الهَمِّ هَمُّ الآخرَة وَالاسْتعَاذَة منَ النَّار وَتَمَنِّي الجَنَّة لاَ مُنَاسَبَةَ لأَشْجَار الجَنَّة وَأَنْهَارهَا وَحُورهَا وَغلمَانهَا بالأَشْيَاء الدُّنْيَويَّة بَل هَؤُلاَء في طَرَفَي النَّقيضِ مثْل نُقَاضَة الغَضَب وَالرِّضَا، وَأَشْجَار الجَنَّة وَأَنْهَارهَا وَجَميع مَا فيهَا نَتَائج الأَعْمَال الصَّالحَة وَثَمرَاتهَا قَال رَسُول الله ﷺ: "**إِنَّ الجَنَّةَ قيعَانٌ وَإِنَّ غرَاسَهَا قَوْلك سُبْحَانَ الله وَالحَمْد لله وَلاَ إِلهَ إِلاَّ الله وَالله أَكْبَرُ**".

وَقَال: "**مَنْ قَال سُبْحَانَ الله العَظيم وَبحَمْده غُرسَتْ لهُ نَخْلةٌ في الجَنَّة**".

فَصَارَتْ شَجَرَة الجَنَّة نَتيجَة التَّسْبيح وَكَمَا أَنَّ الكَمَالاَت التَّنْزيهيَّة في هَذه الكَلمَة مُنْدَرجَة في كُسْوَة الحُرُوف وَالأَصْوَات، كَذَلكَ في الجَنَّة تُعَبَّأُ تلكَ الكَمَالاَت في كُسْوَة الأَشْجَار.

عَلى هَذَا القيَاس: جَميع مَا في الجَنَّة منْ نَتَائجِ الأَعْمَال الصَّالحَة وَمَا انْدَرَجَ في ضمْنِ كُسْوَة صَلاَح قَوْليٍّ أَوْ فعْليٍّ مَنَ الكَمَالاَت الوُجُوديَّة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ يَظْهَرُ في الجَنَّة في حُجُب اللذَّات وَالتَّنَعُّمَات فَيَكُونُ ذَلكَ التَّلَذُّذُ وَالتَّنَعُّمُ مَقْبُولاً وَمَرْضيًّا بالضَّرُورَة، وَوَسيلَة للقَاء وَالوُصُول فَإِنَّ كَانَتْ رَابعَةُ المسْكينَة وَاقفَة عَلى هَذَا السِّرِّ لَمَا خَطَرَ في قَلبهَا فكْرُ إِحْرَاق الجَنَّة وَلَمَا تَرَى التَّعَلق بهَا غَيْر التَّعَلق بالحَقِّ سُبْحَانَهُ بخلاَف التَّلَذُّذ وَالتَّنَعُّم الدُّنْيَويِّ؛ فَإِنَّ مَنْشَأَهُ الخُبْث وَنَتيجَتَهُ الحرْمَان في

الآخِرَة أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُ فَإِنْ كَانَ التَّلذُّذ الدُّنْيَوِيُّ مُبَاحًا شَرْعِيًّا فَالْمُحَاسَبَة أَمَامَنَا فَوَيْل أَلفَ وَيْل إِنْ لَمْ تَأْخُذ الرَّحْمَةُ الإِلهِيَّةُ بِأَيْدِينَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُبَاحًا شَرْعِيًّا فَهُوَ مَوْرِد الوَعِيد الشَّدِيد: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنْ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾

فَكَيْفَ يَكُونُ لِهَذَا التَّلذُّذِ مُنَاسَبَة بِذَلكَ التَّلذُّذِ فَإِنَّ هَذَا سُمٌّ قَاتِل وَذَاكَ تِرْيَاقٌ نَافِعٌ فَهُمُ الآخِرَة.

أَمَّا نَصِيب عَوَامِّ المُؤْمِنِينَ وَأَمَّا نَصِيب أَخَصِّ الخَوَاصِّ وَأَمَّا الخَوَاصُّ فَهُمْ يَتَبَرَّأُونَ مِنْ هَذَا الهَمِّ وَيَرَوْنَ الكَرَامَةَ فِي خِلَافِه (ع):

وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِب

المَكْتُوب الثَّالث وَالثَّلاثِمَائة
إِلى الحَاجِّ يُوسُف الكشميري
فِي بَيَانِ مَعَانِي كَلمَات الأَذَان

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلوَاتِ:

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ كَلمَاتِ الأَذَانِ سَبْعَةٌ: «الله أَكبَرُ، أي: الله أَكْبَرُ أَنَّ يَكُونَ لهُ حَاجَةٌ إِلى عِبَادَةِ عَابِدٍ، كُرِّرَتْ هَذه الكَلمَةُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ لِتَأْكِيدِ هَذا المَعْنَى المُهِمِّ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، أَيْ: أَشْهَدُ أَنَّهُ مَعَ كِبْرِيَائِهِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنِ العِبَادَةِ لَيْسَ المُسْتَحِقُّ للعِبَادَةِ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللَّهِ، أَيْ: أَشْهَدُ أَنَّهُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ رَسُولُه سُبْحَانَهُ وَمُبَلِّغٌ عَنْهُ تَعَالى طَرِيقَ العِبَادَةِ؛ فَلاَ تَكُونُ العِبَادَة اللاَّئِقَةِ بِجَنَاب قُدُسه تَعَالى إلاَّ مَا هِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ جِهَةِ تَبْلِيغِهِ وَرِسَالتِهِ عَليْهِ وَعَلى آلهِ الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ، حَيَّ عَلى الصَّلاَة حَيَّ عَلى الفَلاَحِ: كَلمَتَانِ لِطَلبِ المُصَلي إِلى أَدَاءِ الصَّلاَةِ المُؤَدِّيَةِ إِلى الفَلاَحِ، الله أَكْبَرُ: أَي: أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَلِيقَ بِجَنَاب قُدُسِهِ تَعَالى عِبَادَةُ أَحَدٍ، لاَ إِلهَ إِلاَّ الله: أَي: إِنَّهُ تَعَالى لاَ مَحَالَةَ هُوَ المُسْتَحِقُّ للعِبَادَةِ وَإِنْ لَمْ تَصْدُرِ العِبَادَةُ مِنْ أَحَدٍ مَا لاَئِقَةً بَجَنَابِ قُدُسِهِ تَعَالى.

يَنْبَغِي: إِدْرَاكُ عَظَمَةِ شَأْنِ الصَّلاَةِ مِنْ عَظَمَةِ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ المَوْضُوعَةِ للإِعْلاَمِ بِوَقْتِ الصَّلاَةِ (ع):

وَعَام الرُّخْص يُعْلمُ مِنْ رَبِيع

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ المُصَلينَ المُفْلِحِينَ، بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلينَ عَليْهِ وَعَلَيْهِمْ أَتَمّ الصَّلوَاتِ وَأَكْمَل التَّحِيَّاتِ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُمِائَة

إلى مَوْلاَنَا عَبْد الحَيِّ

في بَيَان الأَعْمَال الصَّالحَة التي نيطَ بهَا وَعَدَد دُخُول الجَنَّة في أَكْثَر الآيَات القُرْآنيَّة

وَفي بَيَان أَدَاء الشُّكْر

وَبَيَان بَعْض مَعَاني الصَّلاَة وَأَسْرَارهَا

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَات:

اعْلَمْ ــ أَسْعَدَكَ اللهُ تَعَالى ــ: أَنَّهُ كَانَ لي تَرَدُّدٌ منْ مُدَّة مَديدَة في أَنَّ المُرَادَ بالأَعْمَال الصَّالحَة التي جَعَل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَعْدَ دُخُول الجَنَّة مَرْبُوطًا بهَا في أَكْثَر الآيَات القُرْآنيَّة هَل هُوَ جَميعُ الأَعْمَال الصَّالحَة أَوْ بَعْضهَا، فَإنْ كَانَ الجَميعُ فَذَلكَ مُتَعَسِّرٌ؛ فَإنَّهُ قَل مَنْ يَكُونُ مُوَفَّقًا لإتْيَان الجَميع، وَإنْ كَانَ البَعْضُ فَمَجْهُول غَيْرُ مُتَعَيِّنٍ فَأُفيضَ في الخَاطر أَخيرًا بمَحْض فَضْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ: لعَل المُرَادَ بتلكَ الأَعْمَال الصَّالحَة أَرْكَانُ الإسْلاَم الخَمْسَةُ التي بُنيَ الإسْلاَمُ عَلَيْهَا، فَإذَا أُدِّيَتْ هَذه الأُصُول الخَمْسَةُ عَلى وَجْه الكَمَال فَالمَرْجُوُّ أَنْ تَكُونَ النَّجَاةُ وَالفَلاَحُ نَقْدَ الوَقْت فَإنَّ هَذه الخَمْسَةَ في حَدِّ ذَاتهَا أَعْمَال صَالحَةٌ وَمَوَانعُ للسَّيِّئَات وَالمُنْكَرَات؛ وَقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ إنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَن الفَحْشَاء وَالمُنكَر ﴾ شَاهدٌ لهَذَا المَعْنَى وَإذَا تَيَسَّرَ إتْيَان هَذه الخَمْسَة يُرْجَى حُصُول أَدَاء الشُّكْر، فَإذَا حَصَل أَدَاءُ الشُّكْر حَصَلت النَّجَاةُ منَ العَذَاب: ﴿ مَا يَفْعَل اللهُ بعَذَابكُمْ إنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾.

فَيَنْبَغي للإنْسَان أَنْ يَجْتَهدَ في إتْيَان هَذه الخَمْسَة غَايَةَ الاجْتهَاد؛ خُصُوصًا في إقَامَة الصَّلاَة التي هيَ عمَاد الدِّين، وَإنْ لاَ يَرْضَى بتَرْك أَدْنَى أَدَب منْ آدَابهَا مَهْمَا أَمْكَنَ؛ فَمَنْ أَتَمَّ الصَّلاَةَ فَقَدْ حَصَّل أَصْلاً عَظيمًا منْ أُصُول الإسْلاَم وَحَازَ وَنَال حَبْلاً مَتينًا لأَجْل الخَلاَص وَفَازَ وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّق.

اعْلَـــمْ: أَنَّ التَّكْبيرَة الأُولى في الصَّلاَة إشَارَة إلى اسْتغْنَائه وَكبْريَائه تَعَالى منْ عبَادَة العَابدينَ وَصَلاَة المُصَلينَ، وَسَائر التَّكْبيرَات التي بَعْدَ كُل رُكْن منَ الأَرْكَان إشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ إلى عَدَم ليَاقَة أَدَاء كُل رُكْن لأَنْ يَكُونَ عبَادَةً لجَنَاب قُدْسه تَعَالى، وَحَيْثُ كَانَ مَعْنَى التَّكْبير مَلحُوظًا في تَسْبيح الرُّكُوع لَمْ يَشْرُع التَّكْبيرُ بَعْدَ الرُّكُوع بخلاَف السَّجْدَتَيْن؛ فَإنَّهُمَا مَعَ وُجُود التَّسْبيحَات فيهمَا شُرعَ التَّكْبيرُ في أَوَّلهمَا وَآخرهمَا وَذَلكَ لئَلاَّ يَتَوَهَّمَ أَحَدٌ أَنَّ السُّجُودَ لَمَّا كَانَ نهَايَة

الانْحطَاط وَغَايَةَ الانْخفَاض وَكَمَال التَّذَلل وَالانْكسَار قَدْ أُدِّيَ فيه حَقُّ العَبادَة وَلأَجْل دَفْع هَذَا التَّوَهُّم أَيْضًا اُخْتيرَ في تَسْبيح السُّجُود لفْظُ: "**أَعْلَى**" وَسُنَّ تَكْرَارُ التَّكْبير، وَلَمَّا كَانَت الصَّلاَةُ معْرَاجَ المُؤْمنِ شُرِعَ في آخرِهَا قرَاءَةُ كَلمَات شُرِّفَ بهَا رَسُول الله ﷺ لَيْلَةَ المعْرَاجِ؛ فَيَنْبَغي للمُصَلى أَنْ يَجْعَلَ صَلاَتَهُ معْرَاجَهُ، وَأَنْ يَطْلُبَ فيهَا غَايَةَ القُرْب؛ قَال ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ: "**أَقْرَب مَا يَكُونُ العَبْد منَ الرَّبِّ في الصَّلاَة**".

وَلَمَّا كَانَ المُصَلي مُنَاجيَ رَبِّه وَمَشَاهدَ عَظَمَته وَجَلاله حُقَّ أَنْ يَظْهَرَ فيه رُعْبٌ وَهَيْبَةٌ وَقْتَ أَدَاء الصَّلاَة فَلأَجْل تَسْليَته شُرِعَ خَتْمُ الصَّلاَة بالتَّسْليمَتَيْنِ، وَمَا وَرَدَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ منَ "التَّسْبيح وَالتَّحْميد وَالتَّكْبير وَالتَّهْليل مائَة مَرَّة بَعْدَ أَدَاء الصَّلاَة الفَرْضِ" سرُّهُ في علمِ الفَقير أَنْ يَتَلاَفَى بالتَّسْبيحِ وَالتَّكْبيرِ مَا وَقَعَ في أَدَاء الصَّلاَة منَ القُصُور وَالتَّقْصير، وَالاعْتِرَافُ بعَدَم لِيَاقَة تلكَ العبَادَة وَعَدَم تَماميَّتهَا، وَحَيْثُ كَانَ أَدَاءُ العبَادَة مُيَسَّرًا بتَوْفيق الله تَعَالى لزمَ أَدَاءَ شُكْر تلكَ النِّعْمَة بالتَّحْميد وَأَنْ لاَ يَرَى مُسْتَحقَّ العبَادَة غَيْرَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، فَإذَا كَانَ أَدَاء الصَّلاَة مَقْرُونًا بالشَّرَائط وَالآدَاب وَحَصَلَ بَعْدَ ذَلكَ تَلاَفي التَّقْصيرَات وَشُكْرُ نعْمَة التَّوْفيق وَنَفْيُ اسْتحْقَاق العبَادَة عَنْ غَيْره تَعَالى منْ صَميم القَلب بهَذه الكَلمَات الطَّيِّبَة فَالمَرْجُوُّ أَنْ تَكُونَ هَذه الصَّلاَةُ لاَئقَةً بقَبُوله تَبَارَكَ وَتَعَالى وَأَنْ يَكُونَ صَاحبُهَا مُصَليًا مُفْلحًا، اللهُمَّ اجْعَلْني منَ المُصَلينَ المُفْلحينَ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهمْ وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَات.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالثَّلاثمائة

إلى المير مُحبِّ الله المانكبوري

فِي بَيَانِ أَسْرَارِ الصَّلاَةِ

وَالفَرْقِ بَيْنَ صَلاَةِ المُبْتَدِئ وَالعَامِّيِّ وَبَيْنَ صَلاَةِ المُنْتَهِي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ ـ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالى ـ: أَنْ تَمَامِيَّةَ الصَّلاَةِ وَكَمَالَهَا عِنْدَ الفَقِيرِ عِبَارَةٌ عَنْ إِتْيَانِ فَرَائِضِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا وَمُسْتَحَبَّاتِهَا التي كُلُّهَا مُبِينَةٌ فِي الكُتُبِ الفِقْهِيَّةِ بِالتَّفْصِيلِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ هَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ أَمْرٌ آخَرُ لَهُ مُدْخَلٌ فِي تَمَامِيَّةِ الصَّلاَةِ؛ فَإِنَّ الخُشُوعَ فِي الصَّلاَةِ مُنْدَرِجٌ أَيْضًا فِي هَذِهِ الأَرْبَعَةِ، وَخُضُوعَ القَلْبِ أَيْضًا مَنُوطٌ بِهَا.

وَاكْتَفَى جَمَاعَةٌ بِعِلْمِ هَذِهِ الأُمُورِ وَاخْتَارُوا المُسَاهَلَةَ وَالمُدَاهَنَةَ فِي العَمَلِ بِهَا؛ فَلاَ جَرَمَ قَلَّ نَصِيبُهُمْ مِنْ كَمَالاَتِ الصَّلاَةِ وَاهْتَمَّ جَمَاعَةٌ بِحُضُورِ القَلْبِ مَعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَقَلَّ التِفَاتُهُمْ إِلَى آدَابِ أَعْمَالِ الجَوَارِحِ، وَاقْتَصَرُوا عَلَى الفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ، وَهَذِهِ الجَمَاعَةُ أَيْضًا لَمْ يَتَنَبَّهُوا عَلَى حَقِيقَةِ الصَّلاَةِ وَلَمْ يَعْرِفُوهَا، وَطَلَبُوا كَمَالَ الصَّلاَةِ مَنْ غَيْرِهَا وَلَمْ يَعُدُّوا حُضُورَ القَلْبِ مِنْ جُمْلَةِ أَحْكَامِ الصَّلاَةِ، وَمَا وَرَدَ فِي الخَبَرِ مِنْ أَنَّهُ "**لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِحُضُورِ القَلْبِ**" يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بِالحُضُورِ حُضُورَ القَلْبِ مَعَ هَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ لِئَلاَّ يَقَعَ فُتُورٌ فِي إِتْيَانِ أَمْرٍ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ، وَلاَ يَقَعُ فِي ذِهْنِ الفَقِيرِ حُضُورٌ وَرَاءَ هَذَا الحُضُورِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ تَمَامِيَّةُ الصَّلاَةِ وَكَمَالُهَا مَرْبُوطًا بِهَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ وَلَمْ يَكُنْ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَهُ مَلْحُوظًا فِي كَمَالِهَا ـ: مَاذَا يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَ صَلاَةِ المُبْتَدِئ وَبَيْنَ صَلاَةِ المُنْتَهِي ؟! بَل بَيْنَ صَلاَةِ العَامِّيِّ التي تَكُونُ مَقْرُونَةً بِإِتْيَانِ هَذِهِ الأُمُورِ ؟!

قُلت: إِنَّ الفَرْقَ مِنْ جِهَةِ العَامِلِ لاَ مِنْ جِهَةِ العَمَلِ؛ فَإِنَّ أَجْرَ عَمَلٍ وَاحِدٍ يَتَفَاوَتُ بِوَاسِطَةِ تَفَاوُتِ عَامِلَيْنِ بِحَيْثُ يَكُونُ أَجْرُهُ إِذَا وَقَعَ مِنْ عَامِلٍ مَقْبُولاً مَحْبُوبًا أَضْعَافَ مُضَاعَفِ ذَلِكَ الأَجْرِ إِذَا وَقَعَ مِنْ غَيْرِهِ؛ لأَنَّ العَامِلَ كُلَّمَا يَكُونُ عَظِيمَ القَدْرِ يَكُونُ عَمَلُهُ جَزِيلَ الأَجْرِ؛ وَمِنْ هَهُنَا قَالُوا: إِنَّ العَمَلَ المَقْرُونَ بِالرِّيَاءِ مِنَ العَارِفِ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ المُرِيدِ بِالإِخْلاَصِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ عَمَلُ العَارِفِ مَقْرُونًا بِالإِخْلاَصِ، وَلِهَذَا كَانَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ﷺ يَطْلُبُ سَهْوَ النَّبِيِّ ﷺ مُعْتَقِدًا أَنَّ سَهْوَهُ

أَفْضَلَ مِنْ صَوَابِه، وَعَمْدَهُ حَيْثُ قَالَ: "**يَا لَيْتَنِي كُنْت سَهْوَ مُحَمَّد**" مُتَمَنِّيًا أَنْ يَكُونَ بِكُلِّيَّتِه سَهْوَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم، وَمُعْتَقِدًا أَنَّ أَعْمَالَهُ التَّامَّةَ وَأَحْوَالَهُ الكَامِلَةَ أَنْقَصُ مِنْ سَهْوِهِ ﷺ فِي العَمَلِ فَسَأَلَ بِتَمَامِ التَّمَنِّي أَنْ تَكُونَ دَرَجَةَ تَمَامِيَّةِ حَسَنَاتِه كَدَرَجَةِ سَهْوِه ــ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ــ وَسَهْوُهُ ﷺ مِثْلُ سَلاَمِه عَلَى رَأْسِ رَكْعَتَيْنِ مِنْ رُبَاعِيِّ الفَرْضِ بِطَرِيقِ السَّهْوِ كَمَا رُوِيَ، فَصَلاَةُ المُنْتَهِي مَعَ وُجُودِ النَّتَائِجِ وَالثَّمَرَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ فِيهَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أَجْر جَزِيل فِي الآخِرَةِ بِخِلاَفِ صَلاَةِ المُبْتَدِئِ وَالعَامِّيِّ، (ع):

مَا نِسْبَةُ الفَرْشِي بِالعَرْشِي

وَلِنَذْكُرْ نُبْذَةً مِنْ خَصَائِصِ صَلاَةِ المُنْتَهِي لِيُقَاسَ عَلَيْهَا غَيْرُهَا:

إِنَّ المُنْتَهِيَ يَجِدُ لِسَانَهُ أَحْيَانًا عِنْدَ قِرَاءَةِ القُرْآنِ وَإِتْيَانِ التَّسْلِيمَاتِ وَالتَّكْبِيرَاتِ كَشَجَرَةِ مُوسَوِيَّة وَلاَ يَرَى قُوَاهُ وَجَوَارِحَهُ غَيْرَ الآلاَتِ وَالوَسَائِط، وَيَجِدُ أَحْيَانًا أَنَّ تَعَلُّقَ بَاطِنِه وَحَقِيقَتِه قَد انْقَطَعَ عَنْ ظَاهِرِه وَصُورَتِه بِالتَّمَام، وَصَارَ مُلْحَقًا بِعَالَمِ الغَيْبِ، وَحَصَّلَ نِسْبَةً بِالغَيْبِ مَجْهُولَةِ الكَيْفِيَّة، وَإِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ يَرْجِعُ ثَانِياً.

أَوْ نَقُول: فِي جَوَابِ أَصْلِ السُّؤَال: إِنَّ إِتْيَانَ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ المَذْكُورَةِ عَلَى وَجْهِ الكَمَالِ إِنَّمَا هُوَ نَصِيبُ المُنْتَهِي، وَالمُبْتَدِئُ وَالعَامِّيُّ بَعِيدَانِ عَنْ أَنْ يَكُونَا مُوَفَّقَيْنِ لإِتْيَانِهَا عَلَى وَجْهِ الكَمَال، وَإِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَإِنَّهَا لَكَبِيرَة إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ، {وَالسَّلاَم عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}.

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُمائَة

إلى مَوْلاَنَا صَالِحٍ

فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَنَاقِبِ المَخْدُومِ زَادَهْ الأَكْبَرِ الخواجهْ مُحَمَّد صَادِقٍ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالغُفْرَانُ وَكَمَالاَته

وَالمَخْدُومَيْنِ الأَصْغَرَيْنِ الخواجهْ مُحَمَّد فَرْخ وَمُحَمَّد عيسَى رَحِمَهُمُ اللهُ

وَبَيَان فَنَاء أَرْبَاب الوِلاَيَة

وَعَدَم الاحْتيَاجِ إلَيْه فِي قُرْبِ النُّبُوَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

﴿ الحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى ﴾:

وَلعَل أَخَانَا مُلاَّ صَالحٍ سَمعَ وَاقعَات أَهْل سَرهَنْدَ وَقَد اخْتَارَ وَلدي الأَعْظَمُ رَضيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ أَخَوَيْه الأَصْغَرَيْن مُحَمَّد فَرْخ وَمُحَمَّد عيسَى أَيْضًا سَفَرَ الآخرَة ﴿ إنَّا لله وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ ﴾ حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ أَوَّلاً عَلَى مَا أَعْطَى البَاقينَ القُوَّةَ وَالصَّبْرَ، وَثَانيًا عَلَى مَاجَعَل في البَليَّة سرًّا وَنعْمَ مَا قيل (شعْرٌ).

إنْ كُنْتَ تُؤْذينى فلَسْتُ بمُعْرِضٍ وَقَد اسْتَطَبْتُ منَ الأَعزَّة ذلَتي

كَانَ وَلدي المَرْحُومُ آيَةً من آيَات الله وَرَحْمَةً منْ رَحمَات رَبِّ العَالمينَ، وَقَدْ نَال في سنِّ أَرْبَعٍ وَعشْرينَ مَا لم يَنلهُ إلاَّ الأَقلُونَ، وَبَلغ رُتْبَةَ المَوْلويَّة وَمَلكَةَ تَدْريسِ العُلومِ العَقْليَّة وَالنَّقْليَّة حَدَّ الكَمَال حَتَّى إنَّ تَلاَمذَتَهُ يَشْتَغلونَ بدَرْسِ البَيْضَاويِّ وَشَرْحِ المَوَاقف وَأَمْثَالهمَا بالقُدْرَة التَّامَّة، وَحكَايَاتُ مَعْرفَته وَعرْفَانه وَقصَصُ شُهُوده وَكُشُوفه مسْتَغْنيَةٌ عَنِ البَيَانَ وَمَعْلومُكُمْ أَنَّهُ في سنِّ ثَمَان كَانَ مَغْلوبَ الحَال عَلَى نَهْجٍ عَالجَهُ حَضْرَةُ شَيْخنَا ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ لتَسْكين حَاله بطَعَامٍ السُّوق الذي هُوَ مَشْكُوكٌ فيه وَمُشْتَبهٌ.

وَقَال: إنَّ مَحَبَّتي لمُحَمَّد صَادق ليْسَتْ هيَ لأَحَد وَكَذَلكَ مَحَبَّتُهُ لنَا ليْسَتْ هيَ لأَحَد غَيْرنَا ليُعلمَ جَلالَةُ شَأْنه منْ هَذَا الكَلاَم، وَقَدْ بَلغَ الولاَيَةَ المُوسَويَّةَ إلى النُّقْطَة الأَخيرَة، وَكَانَ يُبَيِّنُ عَجَائبَ تلْكَ الولاَيَة وَغَرَائبَهَا، وَكَانَ دَائمًا خَاضعًا وَخَاشعًا وَمُلتَجأً وَمُتَضَرِّعًا وَمُتَذَللاً وَمُنْكَسرًا وَكَانَ يَقُول: إنَّ كُلاًّ منْ أَوْليَاء الله تَعَالى طَلبَ شَيْئًا منَ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى وَأَنَا طَلبْتُ الالتجَاءَ وَالتَّضَرُّعَ وَمَا أَكْتُبُ منْ مُحَمَّد فَرْخ قَدْ كَانَ ابْنَ إحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَ مَشْغُولاً بطَلب العلم وَكَانَ يَقْرَأُ الكَافيَةَ بالشُّعُور وَكَانَ مُشْفقًا منْ عَذَاب الآخرَة عَلى الدَّوَام وَكَانَ يَدْعُو بأَنْ يُفَارقَ الدُّنْيَا الدَّنيَّةَ في سنِّ الطُّفُوليَّة ليَتَخلصَ منْ عَذَاب الآخرَة وَشَاهَدَ

منْهُ بَعْضُ الأَصْحَاب الذينَ كَانُوا يُمَرِّضُونَهُ في مَرَضِ مَوْته غَرائبَ وَعَجَائبَ وَمَا أَكْتُبُ منْ خوَارِق مُحَمَّد عيسَى وَكَرَامَاته التي رَآهَا النَّاسُ قَبْل بُلوغه سَنَةً وَبالجُمْلة كَانُوا جَوَاهرَ نَفيسَةً مُفَوَّضَةً إلى عَلى سَبيل الوَديعَة لله - سُبْحَانَهُ - الحَمْدُ وَالمنَّةُ سَلَمْتُ الأَمَانَةَ إلى أَهْلهَا بلاَ كُرْه وَلاَ إكْرَاه، اللهُ لاَ تَحرِمْنَا أَجرَهُمْ وَلاَ تُفتنَا بِعْدَهُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ والتَّسْليمَاتُ، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمَلى حَديثُ الأَحبَّة

اعْلَمْ أَنَّ المَقْصُودَ منَ الفَنَاء الذي هُوَ عبارَةٌ عَنْ نسْيَان مَا سوَى الحَقِّ تَعَالى هُوَ زَوَال تَعلق المَحبَّة بمَا دُونَ الحَقَّ - سُبْحَانَهُ - فَإنَّهُ إذَا زَالتْ ذَوَاتُ الأَشْيَاء وَصفَاتُهَا وَأَفْعَالهَا عَنِ النَّظَر وَالإدْرَاك يَزُول تَعلقُ المَحبَّة بهَا بالضَّرُورَة وَلاَ بُدَّ في طَرِيقِ الولاَيَة منْ نسْيَان السِّوَى ليَزُول التَّعلقُ بمَا دُونَ الحَقَّ - جَل وَعَلاَ - في مَدارِجِ قُرْب النُّبُوَّة لاَ حَاجَةَ في زَوَال التَّعَلق بالأَشْيَاء إلى نسْيَان الأَشْيَاء أَصْلاً فَإنَّ في قُرْب النُّبُوَّة لاَ يَبْقَى التَّعَلقُ بالأَصْل الذي هُوَ حَسَنٌ وَجَميل في حَدٍّ ذَاته اسْمًا وَلاَ رَسْمًا عَنِ التَّعَلق بِالأَشْيَاء التي هيَ قَبيحَةٌ لاَ حُسْنَ فيهَا في نَفْسهَا سَوَاءً نَسيَتْ الأَشْيَاءَ أَوْ لاَ فَإنَّ صفَةَ الذَّمِّ إنَّمَا عَرَضَتْ للعلم بالأَشْيَاء بوَاسطَة قُبْحِ التَّعَلق بهَا لكَوْنه مُسْتَلزِمًا للإعْرَاضِ عَنْ جنَاب قُدْسه تَعَالى فَإذَا زَال التَّعَلقُ بالأَشْيَاء زَالتْ صفَةُ الذَّم عَنِ العلمِ بهَا فَلمْ يَبْقَ مَذْمُومًا وَكَيْفَ يَكُونُ العلمُ بالأَشْيَاء مَذْمُومًا فَإنَّ الأَشْيَاءَ كُلهَا مَعلومَاتُ الحَقِّ - جَل سُلطَانُهُ - وَعلمُهُ بهَا منْ صفَاته الكَاملة.

فَإنْ قيـــل: إذَا لَمْ يَكُنْ العلمُ بمَا دُونَ الحَقَّ ــ جَل وَعَلاَ ــ زَائلاً فَكَيْفَ يَجْتَمعُ العلمُ بالحَقِّ تَعَالى مَعَ العلمِ بمَا سوَاهُ – سُبْحَانَهُ – في وَقْتٍ وَاحدٍ فَلاَ مَنْدُوحَةَ؛ إذًا منْ نسْيَان مَا سوَاهُ تَعَالى؟

قُلتُ: أَنَّ العَلمَ المُتَعَلقَ بالأَشْيَاء منْ قَبيل العلمِ الحُصُوليِّ وَالعلمَ المُتَعَلقِ بحَضْرَة الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - وَتَعَالى مُشَابَهٌ بالعلم الحُضُوريِّ فَكلاَ العلمَيْن يَجْتَمعَان في وَقْت وَاحد وَلاَ يَلزَمُ منْهُ مَحْذُورٌ أَصْلاً وَإنَّمَا يَلزَمُ المَحْذُورُ إذَا كَانَ كلاَ العلمَيْنِ حُصُوليَّيْنِ.

وَإنَّمَا قُلنَا منْ قَبيل العلمِ الحُصُوليِّ وَمُشَابَهٌ بالعلمِ الحُضُوريِّ فَإنَّهُ ليْسَ هُنَاكَ حَقيقَةُ الحُصُول وَلاَ مَجَال للحُضُور وَعلمُه تَعَالى مُشَابَهٌ بالعلم الحُضُوريِّ فَإنَّهُ ليْسَ هُنَاكَ حَقيقَةُ الحُصُول وَلاَ مَجَال للحُضُورِ وَعَلمُهُ تَعَالى المُتَعَلقُ بالأَشْيَاءِ ليْسَ

حُصُولِيًّا فَإِنَّهُ لاَ حُلول للحَوَادث فِي ذَاته تَعَالَى وَصِفَاته وَلاَ حُصُول وَعِلمُ مِثْل هَذَا العَارِف ظِل مِنْ ذَلكَ العِلم وَالعِلمُ المُتَعَلق بحَضْرَة الحَقِّ - سُبْحَانَهُ - لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَال إِنَّهُ حُضُورِيٌّ فَإِنَّهُ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلى المُدْرِكَة مِنْ نَفْسِ المُدْرِكَة أَيْضًا وَالعِلمُ الحُضُورِيُّ بِالنِّسْبَة إِلى ذَلكَ العِلم كَالعِلم الحُصُولِيِّ بِالنِّسْبَة إِلى العِلم الحُضُورِيِّ وَهَذِه المَعْرِفَةُ وَرَاءَ طَوْر العَقْل وَالفِكْر مَنْ لَمْ يَذُقْ لَم يَدرِ فَتَقَرَّرَ أَنَّ العِلمَ بِالأَشْيَاء لَيْسَ بِمُنَافٍ للعِلم بِالحَقِّ فَلاَ يَكُونُ نِسْيَانُ الأَشْيَاء لاَزِمًا أَصْلاً بِخلاَف طَرِيق الوِلاَيَة فَإِنَّ زَوَال عَلاَقَة الأَشْيَاء هُنَاكَ غَيْرُ مُتَصَوَّر بِدُون نِسْيَان الأَشْيَاء فَإِنَّ فِي الوِلاَيَة تَعَلقًا بِالظِّلاَل وَلَيْسَ فِي ذَلكَ التَّعَلق قُدْرَةُ إِزَالَة التَّعَلق بِالأَشْيَاء مَعَ وُجُود العِلم بِهَا فَلاَ بُدَّ فِيهَا أَوَّلاً مِنْ نِسْيَان الأَشْيَاء حَتَّى تَزُول التَعَلقَاتُ بِهَا وَهَذِه مَعْرِفَةٌ مَخْصُوصَةٌ بِهَذَا الدَّرْوِيشِ لَمْ يَتَكَلمْ بِهَا أَحَدٌ، الحَمْدُ لله الذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُل رَبِّنَا بِالحَقِّ.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاَثُمِائَة
إلى مَوْلاَنَا عَبْد الوَاحد اللاهوري
في بَيَانِ مَعْنَى الكَلمَةَ الطَّيِّبَة سُبْحَانَ الله وَبحَمْده وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلاَة يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَا يَجدُهُ العَابدُ وَقْتَ العبَادَة منَ الحُسْنِ وَالكَمَال في عبَادَته كُل ذَلكَ رَاجعٌ إلى تَوْفيق الله - جَل سُلطَانُهُ - وَمنْ حُسُنِ تَرْبيَته وَإحْسَانه تَعَالى وَمَا يَجدُهُ منَ النُّقْصَان وَالقُصُور في العبَادَة كُل ذَلكَ عَائدٌ إلى نَفْسِ العَابد نَاشٍ منْ خُبْثهَا الجَبَليِّ وَلاَ شَيْءَ منْهَا رَاجعٌ إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى أَصْلاً بَل هُنَاكَ مَحْضُ الخَيْر وَالكَمَال وَكَذَلكَ كُلمَا يَقَعُ في العَالَمِ حُسْنُهُ وَكَمَالُهُ رَاجعٌ إلى جَنَاب قُدْسه تَعَالى وَسره، وَنَقْصُهُ عَائدٌ إلى دَائرَة المُمْكنَات التي لَهَا قَدَمٌ رَاسخٌ في العَدَم الذي هُوَ مَنْشَأُ جَميع الشَّرِّ وَالنَّقْص، وَالكَلمَةُ الطَّيِّبَةُ سُبْحَانَ الله وَبحَمْده مُبَيِّنَةٌ لهَذَيْن الأَمْرَيْن بأَبْلَغ الوُجُوه وَمُنَزِّهَةٌ لهُ - سُبْحَانَهُ - وَمُقَدِّسَةٌ إيَّاهُ تَعَالى عَمَّا لاَ يَليقُ بجَنَاب قُدْسه تَعَالى منَ الشُّرُور وَالنَّقَائص كَمَال التَّنْزيه وَالتَّقْديس وَبعبَارَة الحَمْد الوَاقعَة فيهَا يُؤَدِّي الشُّكْرَ عَلى صفَاته الحَميدَة وَأَفْعَاله الجَميلة وَعَلى إنْعَامَاته العَديدَة وَإحْسَانَاته الجَزيلة لكَوْنه رَأْسَ كُل شُكْرٍ وَلهَذَا وَرَدَ في الحَديث النَّبَويِّ: إنَّ مَنْ قَال هَذه الكَلمَةَ الطَّيِّبَةَ في يَوْمٍ أَوْ لَيْلة مائَةً مَرَّة لاَ يُسَاويه أَحَدٌ في العَمَل في ذَلكَ اليَوْم أَوْ الليْلة إلاَّ مَنْ قَال هَذه الكَلمَةَ الطَّيِّبَةَ مثْلهُ وَكَيْفَ يُساويه فَإنَّ كُل عَمَل وَعبَادَة أَدَاءُ شُكْرٍ مَنْ شُكْره تَعَالى وَقَدْ أَدَّى بجُزْء وَاحد منْ هَذه الكَلمَة وَبَقيَ الجُزْءُ الأَخيرُ منْهَا الذي هُوَ لبَيَان تَنْزيهه وَتَقْديسه - سُبْحَانَهُ - زَائدًا عَلَيْه فَعَلَيْكُمْ بإتْيَان هَذه الكَلمَة كُل يَوْمٍ وَلَيْلة مائَةَ مَرَّةٍ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُوَفقُ.

فَإنْ قيل: قَدْ وَرَدَ في الحَديث النَّبَويِّ ﷺ سُبْحَانَ الله وَبحَمْده عَدَدَ خَلقه وَرضَاءَ نَفْسه وَزنَةَ عَرْشه وَمدَادَ كَلمَاته.

وَوَرَدَ أَيْضًا سُبْحَانَ الله ملءَ الميزَان.

وَوَرَدَ أَيْضًا أَضْعَافَ مَا حَمدَهُ جَميعُ خَلقه وَلَمْ يَقُل القَائل غَيْرَ مَرَّة وَاحدَة وَلَمْ يَقَعْ العَدَدُ غَيْرَ فَرْد وَاحد فَبِأَيِّ اعْتبَار يُقَال عَدَدَ خَلقه وَمَا يَكُونُ مَعْنًى رضَاءَ نَفْسه وَكَيْفَ يَكُونُ زنَةَ عَرْشه وَكَيْفَ يَصحُّ أَنْ يُقَال مدَادَ كَلمَاته وَكَيْفَ يُمْلاَ به الميزَانُ وَبِأَيِّ مَعْنًى يُقَال إنَّهُ أَضْعَافُ مَا حَمدَهُ جَميعُ خَلقه ؟

قُلتُ: إنَّ الإِنْسَانَ جَامعُ عَالم الخَلق وَعَالم الأَمْر وَكُلمَا هُوَ في عَالم الخَلق وَالأَمْر فَهُوَ في الإِنْسَان مَعَ شَيْء زَائد عَلَيْه وَهُوَ هَيْئَتُهُ الوَحْدَانيَّةُ التي نَشَأَتْ منْ تَرَكُّب الخَلق وَالأَمْر وَهَذه الهَيْئَةُ الوَحْدَانيَّةُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لشَيْء غَيْره وَهيَ أُعْجُوبَةٌ غَريبَةٌ وَأُنْمُوذَجيَّةٌ بَديعَةٌ فَالحَمْدُ الذي يَقَعُ منَ الإِنْسَان يَكُونُ أَضْعَافَ حَمْد جَميع الخَلاَئق وَعَلى هَذَا القيَاس سَائرُ الأَسْئلة فَيَنْبَغي أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بجَميع الخَلق مَا سوَى الإِنْسَان وَلئنْ أَدْخَلنَا فيه الإِنْسَانَ أَيْضًا أَجْزَأَ نَفْسَهُ وَيَرَى نَفْسَهُ كُلاً للكُل فَعَلى هَذَا التَّقْدير يَجدُ حَمْدَ نَفْسه أَضْعَافَ حَمْد نَفْسه وَأَضْعَافَ حَمْد جَميع أَفْرَاد الإِنْسَان أَيْضًا.

{وَالسَّلاَمُ عَلى مَن اتَّبَعَ الهُدَى}⁽¹⁾ وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَفْضَل الصَّلوَات وَأَكْمَل التَّحيَّات.

---

(١) ـــ الآية: ٤٧ من سورة طه.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلاَثُمِائَة

إلى مَوْلاَنَا فَيْضِ اللهِ البَانِي پتي

فِي بَيَانِ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلى اللسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ"

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالى قَال - عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلى اللسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ" وَجْهُ خِفَّتِهِمَا عَلى اللسَانِ ظَاهِرٌ لِقِلةِ الحُرُوفِ وَأَمَّا وَجْهُ ثِقَلِهِمَا فِي المِيزَانِ وَكَوْنِهِمَا حَبِيبَتَيْنِ إلى الرَّحْمَنِ فَلأَنَّ الجُزْءَ الأَوَّل مِنَ الكَلِمَةِ الأُولى يُفِيدُ تَنْزِيهَهُ تَعَالى وَتَقْدِيسَهُ - سُبْحَانَهُ - عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِجَنَابِ قُدْسِهِ - عَزَّ وَجَل - وَإِبْعَادَ جَنَابِ كِبْرِيَائِهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ وَسِمَاتِ الحُدُوثِ وَالزَّوَال.

وَالجُزْءُ الثَّانِي مِنْ تِلكَ الكَلِمَةِ يُفِيدُ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الكَمَال وشُئُونَاتِ الجَمَال لهُ تَعَالى سَوَاءٌ كَانَتْ الصِّفَاتُ وَالشُّئُونَاتُ مِنَ الفَضَائِل أَوْ مِنَ الفَوَاضِل وَجَعْل الإِضَافَةَ لِلاسْتِغْرَاقِ فِي الجُزْءَيْنِ يُفِيدُ ثُبُوتَ جَمِيعِ التَّنْزِيهَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ وَثُبُوتُ جَمِيعِ صِفَاتِ الكَمَال وَالجَمَال لهُ تَعَالى فَحَاصِل الجُزْءَيْنِ مِنَ الكَلِمَةِ الأُولى إِرْجَاعُ جَمِيعِ التَّنْزِيهَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ للهِ - سُبْحَانَهُ - وَإِثْبَاتُ جَمِيعِ صِفَاتِ الكَمَال وَالجَمَال لهُ - عَزَّ وَجَل -، وَحَاصِل جُزْءَي الكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ إِثْبَاتُ جَمِيعِ التَّنْزِيهَاتِ وَالتَّقْدِيسَاتِ لهُ تَعَالى مَعَ إِثْبَاتِ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ لهُ - عَزَّ وَجَل - وَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلى أَنَّ سَلبَ النَّقَائِصِ عَنْهُ تَعَالى لَيْسَ إِلاَّ لأَجْل عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ - سُبْحَانَهُ - فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ الكَلِمَتَانِ ثَقِيلَتَيْنِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَيْنِ إِلى الرَّحْمَنِ وَأَيْضًا إِنَّ التَّسْبِيحَ مِفْتَاحُ التَّوْبَةِ بَل زِيَادَةُ التَّوْبَةِ وَخُلاَصَتُهَا كَمَا حَقَّقْتُ فِي بَعْضِ المَكَاتِيبِ فَيَكُونُ التَّسْبِيحُ وَسِيلةً إِلى مَحْوِ الذُّنُوبِ وَعَفْوِ السَّيِّئَاتِ فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ ثَقِيلاً فِي المِيزَانِ وَمُرَجِّحًا لِكِفَّةِ الحَسَنَاتِ وَحَبِيبًا إِلى الرَّحْمَنِ لأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ العَفْوَ.

وَأَيْضًا إِنَّ المُسَبِّحَ الحَامِدَ لمَا نَزَّهَ جَنَابَ قُدْسِهِ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهِ وَأَثْبَتَ صِفَاتِ الكَمَال وَالجَمَال لهُ تَعَالى فَالمَرْجُوُّ مِنَ الكَرِيمِ الوَهَّابِ - جَل شَأْنُهُ - أَنْ يُنَزِّهَ المُسَبِّحَ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهِ وَيُوجَدَ فِي الحَامِدِ صِفَةَ الكَمَال كَمَا قَال تَعَالى {هَل جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ} فَلاَ جَرَمَ تَكُونُ الكَلِمَتَانِ ثَقِيلتَيْنِ فِي المِيزَانِ لِمَحْوِ السَّيِّئَاتِ بِتَكْرَارِهِمَا وَحَبِيبَتَيْنِ إِلى الرَّحْمَنِ لِوُجُودِ الأَخْلاَقِ الحَمِيدَةِ بِوَاسِطَتِهِمَا وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُمائة
إلى مَوْلانَا الحَاجِّ مُحَمَّد الفَرْكَتِيِّ
فِي بَيَانِ المُحَاسَبَةِ اليَوْمِيَّةِ واللَّيْلِيَّةِ
كَمَا وَرَدَ حَاسِبُوا إلخْ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ أُنهِيكُمْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ المَشَايِخِ الكِرَامِ قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمُ اخْتَارُوا طَرِيقَ المُحَاسَبَةِ وَكَانُوا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطَالِعُونَ قُبَيْلَ النَّوْمِ دَفْتَرَ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمُ اليَوْمِيَّةِ وَيُدْرِكُونَ حَقِيقَةَ كُلٍّ مِنْهَا بِالتَّفْصِيلِ وَيَتَدَارَكُونَ تَقْصِيرَاتِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالالتِجَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى العَزِيزِ الغَفَّارِ وَيَشْتَغِلُونَ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى وَشُكْرِهِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَيَرْجِعُونَ بِهَا إِلَى تَوْفِيقِهِ تَعَالَى.

كَانَ صَاحِبُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ - قُدِّسَ سِرُّهُ - مِنَ المُحَاسِبِينَ وَقَالَ: أَنَا زِدْتُ فِي مُحَاسَبَتِي عَلَى مَشَائِخَ آخَرَ حَتَّى حَاسَبْتُ خَطَرَاتِي وَنِيَّاتِي وَلِلتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ مِائَةُ مَرَّةٍ قُبَيْلَ النَّوْمِ عَلَى نَهْجٍ ثَبَتَ عَنِ المُخْبِرِ الصَّادِقِ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حُكْمُ المُحَاسَبَةِ عِنْدَ الفَقِيرِ وَكَانَ المُسَبِّحُ يَعْتَذِرُ مِنْ تَقْصِيرَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ بِتَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّسْبِيحِ التِي هِيَ مِفْتَاحُ التَّوْبَةِ وَيُنَزِّهُ جَانِبَ قُدْسِهِ تَعَالَى وَيُقَدِّسُهُ عَمَّا عَادَ إِلَيْهِ مِنَ ارْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ فَإِنَّ مُرْتَكِبَ السَّيِّئَاتِ إِذَا كَانَ عَظَمَةُ جَنَابِ قُدْسِ الآمِرِ وَالنَّاهِي وَكِبْرِيَائِهِ مَلْحُوظَةً وَمَنْظُورَةً إِلَيْهِ مَا كَانَ يُبَادِرُ إِلَى تَرْكِ امْتِثَالِ أَمْرِهِ تَعَالَى وَلَمَّا بَادَرَ عُلِمَ أَنَّهُ لَا اعْتِدَادَ وَلَا اعْتِبَارَ عِنْدَهُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ تَعَالَى أَعَاذَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ ذَلِكَ فَبِتَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّنْزِيهِ بِتَلَافِي هَذَا التَّقْصِيرِ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ فِي الاسْتِغْفَارِ طَلَبَ سَتْرِ الذَّنْبِ وَفِي تَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّنْزِيهِ طَلَبَ اسْتِيصَالِ الذَّنْبِ أَيْنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ سُبْحَانَ اللهِ كَلِمَةٌ عَجِيبَةٌ أَلْفَاظُهَا فِي غَايَةِ القِلَّةِ وَمَعَانِيهَا وَمَنَافِعُهَا فِي غَايَةِ الكَثْرَةِ وَبِتَكْرَارِ كَلِمَةِ التَّحْمِيدِ يُؤَدَّى شُكْرُ نِعْمَةِ تَوْفِيقِهِ وَسَائِرِ نِعَمِهِ تَعَالَى وَتَكْرَارُ كَلِمَةِ التَّكْبِيرِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ جَنَابَ قُدْسِهِ تَعَالَى أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الاعْتِذَارُ وَالشُّكْرُ لَائِقًا بِحَضْرَتِهِ - سُبْحَانَهُ - فَإِنَّ اعْتِذَارَ البُعْدِ وَاسْتِغْفَارًا مُحْتَاجٌ إِلَى اعْتِذَارَاتٍ وَاسْتِغْفَارَاتٍ كَثِيرَةٍ وَحَمْدُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

المُحَاسَبُونَ يَكْتَفُونَ بِالاسْتِغْفَارِ وَالشُّكْرِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

المَكْتُوبُ العَاشِرُ وَالثَّلاثُمائَة
إلى مَوْلاَنَا مُحَمَّد هَاشِمٍ
في بَيَان جَامعيَّة الإنْسَانِ
مَعَ بَعْضِ الأَسْرَارِ الغَامَضَة المُتَعلقَة بِهَذَا المَقَامِ
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَات ليُعْلَمَ أَنَّ جَميعَ مَا في الإنْسَان منَ الكَمَالات مُسْتَفَادَةٌ منْ مَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَإنْ علمًا فَمُسْتَفَادٌ منْ علمِ تلكَ المَرْتَبَة وإنْ قُدْرَةً فَمَأْخُوذَةٌ منْ قُدْرَة تلكَ المَرْتَبَة وَعَلى هَذَا القيَاسِ.

وَأَمَّا كَمَال كُل مَرْتَبَة فَعَلى مقْدَارِ تلكَ المَرْتَبَة فَحُكْمُ علمِ الإنْسَان في جَنْب علمِ الوَاجب كَحُكْمِ المَيِّت الذي هُوَ لاَ شَيْءَ مَحْضٌ بالنِّسْبَة إلى حَيٍّ بحَيَاة أَبَديَّة وَكَذَلكَ قُدْرَةُ العَبْد في جَنْب قُدْرَة الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ لَهَا حُكْمُ وَقُدْرَةُ العَنْكَبُوت الذي يَنْسجُ بَيْتَهُ بالنِّسْبَة إلى قُدْرَة شَخْصٍ تَصيرُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُونَ وَالجبَال وَالبحَارُ دكًا دكًا وَهَبَاءً مَنْثُورًا بنَفْخَته الوَاحدَة يَنْبَغي أَنْ يَقيسَ الكَمَالات الأُخَرَ عَلى ذَلكَ وَهَذَا التَّفَاوُتُ إنَّمَا يُقَال منْ ضيق العبَارَة وَإلاَّ فَمَا النِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا، (ع):

مَا نسْبَةُ الفَرْشيِّ بالعَرْشيِّ

فَصَارَتْ كَمَالاتُ الإنْسَان في صُورَة كَمَالات مَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَلَمْ يَحْصُل لهَذه الكَمَالات منْ كَمَالات تلكَ المَرْتَبَة غَيْرُ المُشَارَكَة في الاسْمِ وَمنْ هَهُنَا وَرَدَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلى صُورَته وَمَعْنَى مَنْ عَرفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ يَلوحُ منْ هَذَا البَيَان فَإنَّ جَميعَ مَا في نَفْسِ الإنْسَان وَإنْ كَانَ صُورَةً هُوَ الذي حَقيقَتُهُ حَاصلةٌ في مَرْتَبَة الوُجُوب تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَمنْ هَهُنَا يُعْرَفُ سرُّ خلاَفَة الإنْسَان فَإنَّ صُورَةَ الشَيْء خَليفَةُ الشَيْء وَفي هَذَا المَقَام ظَنَّتْ الزَّنَادقَةُ وَالمُجَسِّمَةُ أَنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَل - في صُورَة الإنْسَان وَأَثْبَتُوا القُوَى وَالجَوَارحَ الإنْسَانيَّةَ في حَضْرَته - جَل سُلطَانُهُ - منْ عَدَم العَقْل ضَلوا فَأَضَلوا وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ إطْلاَقَ الصُّورَة وَأَمْثَالهَا في تلكَ الحَضْرَة منْ قَبيل التَّشْبيه وَالتَّمْثيل لاَ عَلى سَبيل التَّحْقيق وَالتَّثْبيت فَإنَّ حَقيقَةَ الصُّورَة تَقْتَضي التَّبَعُّضَ وَالتَّرَكُّبَ وَالتَّجَزِّيَ وَكُل ذَلكَ مُنَافٍ للوُجُوبِ وَمَانعٌ للقدَمِ.

وَالُمتَشَابِهَاتُ القُرْآنِيَّةُ أَيْضًا مَصْرُوفَاتٌ عَنِ الظَّوَاهِرِ وَمَحْمُولاَتٌ عَلى التَّأْوِيل قَال اللهُ تَعَالى {وَمَا يَعْلمُ تَأْوِيلهُ إِلى اللهُ} يَعْنِي لاَ يَعْلمُ تَأْوِيل المُتَشَابه إِلاَّ اللهُ فَعُلمَ مِنْ هَذَا أَنَّ المُتَشَابهَ مَحْمُول عَلى التَّأْوِيل عِنْدَ اللهِ تَعَالى أَيْضًا وَمَصْرُوفٌ عَنِ الظَّاهِرِ وَأَنَّهُ تَعَالى يُعْطِي العُلمَاءَ الرَّاسخينَ أَيْضًا نَصشيبًا مِنْ علمِ هَذَا التَّأْويل كَتَأْوِيل اليَد بالقُدْرَة وَالوَجْه بالذَّات حَاشَا وَكَلاَّ بَل إِنَّ هَذَا التَّأْوِيل مِنَ الأَسْرَارِ التِي يَمْنَحُ اللهُ علمَهَا أَخصَّ الخَوَاصِّ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَم أَنَّ صَاحِبَ الفُتُوحَات المَكِّيَّة وَأَتْبَاعَهُ يَقُولونَ إِنَّ صفَات الوَاجِب تَعَالى وَتَقَدَّسَ كَمَا أَنَّهَا عَيْنُ الذَّات كَذَلكَ بَعْضُهَا عَيْنُ البَعْضِ الآخَرِ مَثَلاً العلمُ كَمَا أَنَّهُ عَيْنُ الذَّات كَذَلكَ هُوَ عَيْنُ القُدْرَة وَعَيْنُ الإِرَادَة وَعَيْنُ السَّمْعِ وَعَيْنُ البَصَرِ وَعَلى هَذَا القِيَاسِ سَائِرُ الصِّفَات وَهَذَا الكَلاَمُ عِنْدَ الفَقير بَعيدٌ عَنِ الصَّوَاب فَإِنَّ هَذَا الكَلاَمَ مَبْنِيٌّ عَلى نَفْيِ وُجُود الصِّفَات الزَّائدَة وَهُوَ خلاَفُ مَذْهَب أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة فَإِنَّ الصِّفَات الثَّمَان أَوْ السَّبْعَ عَلى وَفْق آرَاء هَؤُلاَء الأَكَابر مَوْجُودَةٌ في الخَارِجِ وَلعَل تَوَهُّمَ الذَّات وَالصِّفَات الوَاجبيَّة نَشَأَ فيهمْ منْ تَخَيُّلهمْ تَغَايُرَ مَا في ذَاكَ المَوْطنِ وَتَبَايُنَهُ كَتَغَايُر مَا في هَذَا المَوْطنِ وَتَبَايُنه وَلَمَّا لَمْ يَجدُوا في ذَاكَ المَوْطنِ تَغَايُرًا وَتَبَايُنًا كَتَغَايُر هَذَا المَوْطنِ لاَ جَرَمَ حَكَمُوا بنَفْيِ التَّغَايُر وَالتَّمَايُزِ وَقَالوا بعَيْنيَّة بَعْضهَا بَعْضًا وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ تَمَايُزَ ذَلكَ المَوْطنِ وَتَغَايُرَهُ مثْل ذَات الوَاجب وَصفَاته تَعَالى لاَ كَيْفيٌّ وَلاَ مثْليٌّ وَلاَ مُنَاسبَةَ بَيْنَ ذَاكَ التَّمَايُز وَبَيْنَ هَذَا التَّمَايُز إِلاَّ بحَسَب الصُّورَة وَالاسْمِ فَيَكُونُ التَّمَايُزُ وَالتَّبَايُنُ مُتَحَقِّقًا في ذَلكَ المَوْطنِ وَنَحْنُ عَاجزُونَ عَنْ إِدْرَاكه لاَ إِنَّا نَنْفي كُل مَا لاَ نُدْرِكُهُ وَنُخَالفُ بذَلكَ أَهْلَ التَّحْقيقِ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - المُلهِمُ للصَّوَاب.

المَكْتُوبُ الحَادي عَشَرَ وَالثَّلاَثُمائة

إلى المَخْدُومِ ذَادَهْ الخواجهْ مُحَمَّد سَعِيد

فِي بَيَانِ الأَسْرَارِ الغَامِضَةِ وَالحَقَائِقِ النَّادِرَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِالحُرُوفِ المُقَطَّعَاتِ التي هِيَ مِنَ المُتَشَابِهَاتِ القُرْآنِيَّةِ التي لِلعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ اطِّلاَعٌ عَلَيْهَا بِطَرِيقِ الرَّمْزِ وَالإِشَارَةِ

شِعْرٌ:

های دوجشمی ست مربي   همجو ألف رب حبيب خدا
لام مربي خليل الله ست   ميم ز تدبير كليم آكله ست

مَبْدَأُ أَمْرِ الكَلِيمِ - عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَقِيقَةُ الأَلف وَمَبْدَأُ مُعَامَلَة هَذَا الحَقِيرِ أَيْضًا بِتَبَعِيَّته وَوِرَاثَته حَقِيقَةُ الأَلف وَلَكنَّ رُجُوعَ الكَلِيمِ - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ - إِلى حَقِيقَة المِيم وَرُجُوعَ الحَقِيرِ إِلى حَقِيقَة الهَاء ذَاتُ عَيْنَيْنِ وَمَرْجعي وَمَلاَذي الآنَ هُوَ حَقِيقَةُ الهَاء وَهَذه الحَقِيقَةُ هِيَ التي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِغَيْبِ الهَوى وَهَذه الحَقِيقَةُ خَزِينَةُ الرَّحْمَة وَمُسْتَقَرُّ الرَّحْمَة الوَاحدَة التي وَسعَتْ كُلَّ شَيْءٍ في الدُّنْيَا وَمُسْتَوْدَعُ التِّسْعَة وَالتِّسْعِينَ رَحْمَةُ التي ادُّخرَتْ للعُقْبَى كُلُّهَا هُوَ هَذه الحَقِيقَةُ كَأَنَّ إِحْدَى عَيْنِهَا مَخْزَنُ رَحْمَة الدُّنْيَا وَالأُخْرَى خَزِينَةُ رَحْمَة الأُخْرَى وَصفَةُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ تَتَشَعَّبُ مِنْ هَذه الحَقِيقَة وَفي ذَلكَ المَوْطن ظُهُورُ جَمَال صِرْف لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْه شَائبَةٌ منَ الجَلاَل وَجَمِيعُ مَا يُصِيبُ الأَوْلِيَاءَ في الدُّنْيَا منَ المحْنَة وَالغَمِّ وَالسُّرُور في الدُّنْيَا ظُهُورُ جَلاَل مُوري بِالجَمَال هَذَا هُوَ المَكْرُ الإِلهيُّ - جَلَّ سُلْطَانُهُ - يُضِلُّ بِه كَثيرًا وَيَهْدي بِه كَثيرًا وَمَبْدَأُ أَمْرِ خَاتَمِ الرُّسُلِ - عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَقِيقَةٌ فَوْقَ حَقِيقَة الأَلف وَكَذَلكَ مَبْدَأُ أَمْرِ الخَليل أَيْضًا هُوَ هَذه الحَقِيقَةُ الفَوْقَانِيَّةُ.

غَايَةُ مَا في البَابِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَبْدَأ خَاتَمِ الرُّسُلِ إِجْمَالُ تلْكَ الحَقِيقَة وَحَقِيقَةَ مَبْدَأ الخَليل تَفْصِيلُهَا وَمَرْجعُ خَاتَمِ الرُّسُلِ - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَقِيقَةُ الأَلف وَمَرْجعُ الخَليل عَلَيْه السَّلاَمُ حَقِيقَةُ اللاَّم وَذَلكَ؛ لأَنَّ مُنَاسَبَةَ الإِجْمَال للوَحْدَة أَكْثَرُ فَلاَ جَرَمَ تَيَسَّرَ الرُّجُوعُ إِلى الأَلف الذي هُوَ قَرِيبٌ منَ الوَحْدَة وَمُنَاسَبَةُ التَّفْصِيل للكَثْرَة أَزْيَدُ فَبِالضَّرُورَة كَانَ رُجُوعُهُ إِلى اللاَّم الذي هُوَ قَرِيبٌ منَ الكَثْرَة فَإِبْرَاهِيمُ - عَلى نَبِيِّنَا وَ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - كَانَ كَثيرَ البَرَكَة في المَبْدَأ وَفي المَعَاد وَالمَرْجع وَمنْ هَهُنَا سَأَلَ النَّبيُّ ﷺ صَلاَةً وَبَرَكَةً مُمَاثلَتَيْنِ لصَلاَة الخَليل وَبَرَكَته عَلَيْه السَّلاَمُ وَرَبُّ خَاتَمِ الرُّسُلِ في أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى التي رُتْبَتُهَا فَوْقَ رُتْبَة الصِّفَات

الاسْمُ المُبارَكُ اللهُ تَعالى شَأْنُهُ ورَبُّ هَذا الحَقير الاسْمُ المُبارَكُ الرَّحْمَنُ - جَل وَعَلاَ - وَحَيْثُ كَانَ لِهَذا الحَقير مُناسَبَةٌ للكَليم في المَبْدَأ وَصَل مِنْهُ إليْه بَركَاتٌ كَثيرَةٌ وَإنْ لَمْ تَكُنْ ولاَيَةُ هَذا الحَقير ولاَيَةً مُوسَوِيَّةً وَلكِنَّهُ مَمْلوءٌ مِنْ بَرَكَات تلكَ الولاَيَة وَحَصَل لهُ تَرَقِّياتٌ كثيرَةٌ مِنْ هَذا الطَّريق.

وَالاسْتفَادَةُ التي حَصَلَتْ لِهَذا الحَقير مِنْ تلكَ الولاَيَة مِنْ طَريق إجْمَال تلكَ الولاَيَة وَاسْتفَادَةُ وَلدي الأَعْظَمِ عَليْه الرَّحْمَةُ مِنْ طَريق تَفْصيلهَا وَولاَيَةُ هَذا الفَقير المُسْتَفَادَةُ مِنَ الولاَيَة المُوسَوِيَّة شَبيهَةٌ بولاَيَة رَجُل مُؤْمِنٍ مِنْ آل فِرْعَوْنَ وَولاَيَةُ وَلدي الأَعْظَمِ شَبيهَةٌ بولاَيَة سَحَرَة فِرْعَوْنَ الذينَ آمَنُوا.

المَكْتُوبُ الثَّانِي عَشَرَ وَالثَّلاثُمِائَة

إِلى المِير مُحَمَّد نُعْمَانَ

فِي أَجْوِبَة أَسْئِلته

مِنْ جُمْلَتِهَا السُّؤَال عَنْ تَحْقِيقِ الإِشَارَةِ فِي التَّشَهُّد عِنْدَ الحَنَفِيَّة

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلى سَيِّد المُرْسَلِينَ وَعَلى إِخْوَانه مِنَ الأَنْبِيَاء وَالمُرْسَلِينَ وَالمَلاَئكَة المُقَرَّبِينَ وَعِبَاد الله الصَّالحِينَ وَصَلَتْ الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ المُرْسَلَةُ مَعَ مُلاَّ مَحْمُود فَأَوْرَثَتْ فَرَحًا وَافِرًا وَسَأَلْتُ أَنَّ العُلَمَاءَ يَقُولُونَ إِنَّ بُقْعَةَ الرَّوْضَة المُتَبَرِّكَة المَدَنِيَّة – عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ – أَعْظَمُ يَعْني قَدْرًا مِنْ مَكَّةَ المُعَظَّمَة وَكَيْفَ تَكُونُ بُقْعَةُ الرَّوْضَة المُتَبَرِّكَة أَعْظَمَ مِنْهَا مَعَ كَوْن صُورَة الكَعْبَة وَحَقِيقَتِهَا مَسْجُودًا إِلَيْهِمَا لِلصُّورَة وَالحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّتَيْنِ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ مَا ثَبَتَ عِنْدَ الفَقِير هُوَ أَنَّ خَيْرَ البِقَاعِ الكَعْبَةُ المُعَظَّمَةُ ثُمَّ بَعْدَهَا الرَّوْضَةُ المُقَدَّسَةُ النَّبَوِيَّةُ المَدَنِيَّةُ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالتَّحِيَّةُ ثُمَّ بَعْدَهَا أَرْضًا لِلحَرَم المَكِّيِّ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالى عَنِ الآفَات فَإِنْ قَالَ العُلَمَاءُ بِأَفْضَلِيَّة الرَّوْضَة المُتَبَرِّكَة عَلى مَكَّةَ المُعَظَّمَة يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُمْ بِذَلِكَ مَا سِوَى أَرْضِ الكَعْبَة المُقَدَّسَة.

وَسَأَلْتُ أَنَّ مُلاَزِمِي مَوْلاَنَا المَرْحُومَ أَعْلَمَ اللهُ كَتَبُوا رِسَالَةً فِي مَادَّة تَجْوِيزِ الإِشَارَة بِالسَّبَّابَة وَقَدْ أَرْسَلْتُ الرِّسَالَةَ المَذْكُورَةَ فَبِمَ تُشِيرُ فِي هَذَا البَاب ؟

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ الأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ فِي بَاب تَجْوِيز الإِشَارَة بِالسَّبَّابَة كَثِيرَةٌ جِدًّا وَوَرَدَ بَعْضُ الرِّوَايَات الفِقْهِيَّة الحَنَفِيَّة أَيْضًا فِي هَذَا البَاب كَمَا أَوْرَدَهَا مَوْلاَنَا فِي رِسَالَته وَإِذَا لُوحِظَتْ الكُتُبُ الفِقْهِيَّةُ الحَنَفِيَّةُ مُلاَحَظَةً جَيِّدَةً يُعْلَمُ أَنَّ رِوَايَات جَوَاز الإِشَارَة غَيْرُ رِوَايَات الأُصُول وَغَيْرُ ظَاهِر المَذْهَب وَمَا قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ الشَّيْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ كَانَ رَسُول الله ﷺ يُشِيرُ وَنَصْنَعُ كَمَا يَصْنَعُ رَسُول الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا قَوْلِي وَقَوْل أَبِي حَنِيفَةَ ﷺ مِنْ رِوَايَات النَّوَادِر لاَ مِنْ رِوَايَات الأُصُول فِي الفَتَاوَى الغَرَائب فِي المُحِيط هَل يُشِيرُ بِإِصْبَعه السَّبَّابَة مِنْ بَدْءِ اليُمْنَى لَمْ يَذْكُرْ مُحَمَّدٌ هَذه المَسْأَلَةَ فِي الأَصْل وَقَدْ اخْتَلَفَ المَشَايِخ فِيهَا مِنْهُمْ مَنْ قَال لاَ يُشِيرُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَال يُشِيرُ وَذَكَرَ مُحَمَّدٌ فِي غَيْر الأُصُول حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُشِيرُ ثُمَّ قَال فِيهَا هَذَا مَا ذَكَرُوا وَالتَّصْحِيحُ أَنَّ الإِشَارَةَ حَرَامٌ وَفِي السِّرَاجِيَّة: وَيُكْرَهُ أَنْ يُشِيرَ بِالسَّبَّابَة فِي الصَّلاَة عِنْدَ قَوْله أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ هُوَ المُخْتَارُ

وَفِي الكُبْرَى وَعَلَيْهِ الفَتْوَى؛ لأَنَّ مَبْنَى الصَّلاَة عَلَى السُّكُون وَالوَقَار وَفِي الغَيَائِيَّة مِنَ الفَتَاوَى لاَ يُشِيرُ بِالسَّبَّابَة عِنْدَ التَّشَهُّد هُوَ الْمُخْتَارُ وَعَلَيْه الفَتْوَى وَفِي جَامِعِ الرُّمُوزِ لاَ يُشِيرُ وَلاَ يَعْقِدُ وَهُوَ ظَاهِرُ أُصُول أَصْحَابِنَا كَمَا فِي الزَّاهِدِيِّ وَعَلَيْه الفَتْوَى كَمَا فِي الْمُضْمَرَات وَالوَلْوَالِجِيِّ وَالْخُلاَصَة وَغَيْرِهَا وَعَنْ أَصْحَابِنَا جَمِيعًا أَنَّهُ سُنَّةٌ فِي خِزَانَة الرِّوَايَات مِنَ التَّتَارْخَانِيَّة ثُمَّ إِذَا أَخَذَ فِي التَّشَهُّد وَانْتَهَى إِلَى قَوْلِه أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ هَل يُشِيرُ وَفِي الكُبْرَى وَعَلَيْه الفَتْوَى وَمِنْهُمْ مَنْ قَال يُشِيرُ وَفِي الغَيَائِيَّة وَلاَ يُشِيرُ بِالسَّبَّابَة عِنْدَ التَّشَهُّد هُوَ الْمُخْتَارُ اهـ.

وَحَيْثُ ذَكَرْتُ حُرْمَةَ الإِشَارَة فِي الرِّوَايَات الْمُعْتَبَرَة وَأَفْتَوْا بِكَرَاهَتِهَا وَنَهَوْا عَنْهَا وَقَالوا: إِنَّهَا ظَاهِرُ أُصُول أَصْحَابِنَا لاَ يَجُوزُ لأَمْثَالنَا الْمُقَلدِينَ الجَرَاءَةُ عَلَى الإِشَارَة عَمَلاً بِمُقْتَضَى الأَحَادِيث وَارْتِكَابُ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوه أَوْ مَنْهِيٍّ عَنْهُ بِفَتَاوَى كَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاء الْمُجْتَهِدِينَ وَمُرْتَكِبُ هَذَا الأَمْرِ مِنَ الْحَنَفِيَّة لاَ يَخْلو مِنْ أَحَد الحَالَيْن إِمَّا أَنْ لاَ يَثْبُتُ لِلعُلَمَاء الْمُجْتَهِدِينَ علمُ الأَحَادِيث المَعْرُوفَة الوَارِدَة فِي جَوَازِ الإِشَارَة وَإِمَّا أَنْ يَقُول بِعَدَم عَمَل هَؤُلاَء الأَكَابِر بِمُقْتَضَى هَذه الأَحَادِيث مَعَ عَمَلهِمْ بِوُرُودِهَا وَثُبوتِهَا عِنْدَهُمْ وَيَظُنُّ أَنَّهُمْ حَكَمُوا بِالْحُرْمَة وَالكَرَاهِيَة عَلَى خِلاَف الأَحَادِيث بِمُقْتَضَى آرَائِهِمْ وَكُل مِنْ هَذَيْنِ الشِّقَّيْنِ فَاسِدٌ لاَ يُجَوِّزُهَا إِلاَّ سَفِيهٌ وَمُعَانِدٌ.

وَمَا قَال فِي تَرْغِيب الصَّلاَة أَنَّ رَفْعَ أُصْبُعِ الشَّهَادَة فِي التَّشَهُّد سُنَّةُ العُلَمَاء الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَمَّا العُلَمَاءُ الْمُتَأَخِّرُون فَقَدْ نَهَوْا عَنْهَا وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا غُلُوَّ الرَّوَافِض فِيهَا تَرَكُوهَا خَوْفًا مِنْ تُهْمَة السُّنِّيِّ بِالرَّفْض مُخَالفٌ لِرِوَايَات الكُتُب الْمُعْتَبَرَة فَإِنَّ ظَاهِرَ أُصُول أَصْحَابِنَا عَدَمُ الإِشَارَة وَعَدَمُ العَقْد فَكَأَنَّ عَدَمَ الإِشَارَة سُنَّةُ العُلَمَاء الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَمْ يَكُنْ وَجْهُ التَّرْك نَفْيَ التُّهْمَة وَحُسْنُ ظَنِّنَا بِهَؤُلاَء الأَكَابِر هُوَ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ فِي هَذَا البَاب دَلِيل الْحُرْمَة وَالكَرَاهَة لَمَا حَكَمُوا بِهِمَا وَحَيْثُ قَالوا بَعْدَ ذِكْرِ سُنِّيَّة الإِشَارَة وَاسْتِحْبَابِيَّتِها هَذَا مَا ذَكَرُوا وَالصَّحِيحُ أَنَّ الإِشَارَةَ حَرَامٌ عُلِمَ أَنَّ أَدِلةَ سُنِّيَّة الإِشَارَة وَاسْتِحْبَابِيَّتِهَا لَمْ تَبْلغْ عِنْدَ هَؤُلاَء الأَكَابِر مَرْتَبَةَ الصِّحَّة بَل صَحَّتْ خِلاَفُهَا.

غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّهُ لاَ دَلِيل لَنَا عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا لاَ يَسْتَلزِمُ القَدْحَ فِي هَؤُلاَءِ الأَكَابِر.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ لَنَا دَلِيلاً عَلَى خِلاَفِ ذَلِكَ.

قُلْنَا: إِنَّ عِلمَ المُقلد غَيْرُ مُعْتَبَرَ فِي إِثْبَات الحل وَالحُرْمَة وَإِنَّمَا المُعْتَبَرُ فِي هَذَا البَاب هُوَ ظَنُّ المُجْتَهد وَالقَوْل فِي حَقِّ أدلة المُجْتَهد أَنَّهَا أَوْهَنُ مِنْ بَيْت العَنْكَبُوت جَرَاءَةً عَظِيمَةً وَتَرْجِيحٌ لعَلهُ عَلى علم هَؤُلاَءِ الأَكَابِر وَإِبْطَال لظَاهِر أُصُول أَصْحَابنَا الحَنَفيَّة وَتَخْرِيبٌ للرِّوَايَات المُفْتَى بهَا وَهَؤُلاءِ الأَكَابرُ حَكَمُوا بشُذُوذ هَذه الأَحَاديث فَإِنَّهُمْ لقُرْب عَهْدهمْ وَوُفُور علمهمْ وَحُصُول الرَّوْع وَالتَّقْوَى لَهُمْ أَعْلَمُ بهَا منْ أَمْثَالنَا العَاجزينَ وَأَعْرَفُ منَّا بصحَّتهَا وَسَقَمهَا وَنَسْخهَا وَعَدَم نَسْخهَا وَلَهُمْ في تَرْك العَمَل بمُقْتَضَى هَذه الأَحَاديث وَجْهٌ مُوجَّهٌ أَلبَتَّةَ وَبَلغَ علمُ أَمْثَالنَا قَاصري الفَهْم أَنَّ بَيْنَ رُوَاة الأَحَاديث اخْتلاَفًا كَثيرًا في كَيْفيَّة الإشَارَة وَالعَقْد، وَكَثْرَةُ اخْتلاَفهمْ هَذه أَوْرَثَتْ اضْطرَابًا في نَفْس الإِشَارَة فَمنْ بَعْض الرِّوَايَات يُفْهَمُ ثُبُوتُ الإِشَارَة بلاَ عَقْد.

وَمَنْ قَال بالإِشَارَة مَعَ العَقْد فَفي بَعْض الرِّوَايَات جُعل العَقْدُ ثَلاَثَةً وَخَمْسينَ وَفي بَعْضهَا عَقْدُ ثَلاَثَة وَعشْرينَ وَبَعْضُهُمْ رَوَى بقَبْض الخنصَر وَالبنْصر وَحَلق الإبْهَام وَالوُسْطَيّ وَالإِشَارَة بالسَّبَّابَة وَفي روَايَة بمُجَرَّد وَضْع الإبْهَام عَلى الوُسْطَيّ وَوَرَدَ في بَعْض الرِّوَايَات أَنَّهُ يُشيرُ بوَضْع اليَد اليُمْنَى عَلى ظَهْر يَده اليُسْرَى وَالرُّسْغ عَلى الرُّسْغ وَالسَّاعد عَلى السَّاعد وَفي بَعْض الرِّوَايَات أَنَّهُ يُشيرُ بقَبْض جَميع الأَصَابع وَفي بَعْض الرِّوَايَة أَنَّهَا منْ غَيْر تَحْريك السَّبَّابَة وَفي بَعْض الرِّوَايَات بإِثْبَات التَّحْريك وَالوَاقعُ في بَعْض الرِّوَايَة أَنَّهَا وَقْتَ قرَاءَة التَّشَهُّد منْ غَيْر تَعْيين وَفي بَعْضهَا أَنَّهَا وَقْتَ التَّكَلم بكَلمَة الشَّهَادَة وَفي بَعْض الرِّوَايَة مُقَيَّدَةٌ بوَقْت الدُّعَاء أَعْني: يَا مُقَلبَ القُلُوب ثَبِّتْ قَلبي عَلى دينكَ.

وَلَمَّا رَأَى العُلمَاءُ الحَنَفيَّةُ اضْطرَابَ الرُّوَاة في كَيْفيَّة الإشَارَة لَمْ يُثْبتُوا فعْلاً زَائدًا في الصَّلاَة عَلى خلاَف القيَاس وَهُوَ أَنَّ بنَاءَ الصَّلاَة عَلى السُّكُون وَالوَقَار وَأَيْضًا أَنَّ تَوْجيهَ الأَصَابع نَحْوَ القبْلة مَهْمَا أَمْكَنَ سُنَّةٌ كَمَا قَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - وَليُوَجّهْ منْ أَعْضَائه القبْلةَ مَا اسْتَطَاعَ.

فَإِنْ قيلَ: إنَّ كَثْرَةَ الاخْتلاَف إنَّمَا يُورثُ الاضْطرَابَ إذَا لَمْ يُمْكن التَّوْفيقُ بْن الرِّوَايَات وَالتَّوْفيقُ فيمَا نَحْنُ فيه مُمْكنٌ فَإنَّهُ يُمْكنُ أَنْ يَفْعَل جَميعَ مَا وَرَدَ في جَميع الرِّوَايَات في أَوْقَات مُخْتَلفَة.

قُلنَا: قَدْ وَقَعَ في أَكْثَر الرِّوَايَات لفْظُ كَانَ وَهُوَ عنْدَ غَيْر المَنْطقيِّينَ منَ

الأَدوَات الكُلِّيَّة فَلاَ يُمْكِنُ التَّوْفِيقُ وَمَا نُقل عَنِ الإمَامِ الأَعْظَمِ مِنْ قَوْلِه إِذَا وَجَدْتُمْ حَديثًا مُخَالفًا لقَوْلي فَاتْرُكُوا قَوْلي وَاعْمَلوا بالحَديث بالمُرَاد بهَذَا الحَديث حَديثٌ لَمْ يَبْغِ الإمَامُ وَحُكم بخلافه بنَاءً عَلى عَدَم علمه به وَأَحَاديثُ الإشَارَة لَيْسَتْ منْ هَذَا القَبيل فَإنَّهَا أَحَاديثُ مَعْرُوفَةٌ لَيْسَ فيهَا احْتمَال عَدَم العلم.

فَإنْ قيل: إنَّ العُلَمَاءَ الحَنَفيَّة قَدْ أَفْتَوْا بجوَازِ الإشَارَة أَيْضًا فَيَنْبَغي أَنْ يَجُوزَ العَمَل بكُل منْهُمَا عَلى مُقْتَضَى الفَتَاوَى المُتَعَارضَة.

قُلنَا: إذَا وَقَعَ التَّعَارضُ بَيْنَ الجَوَاز وَعَدَم الجَوَاز وَبَيْنَ الحل وَالحُرْمَة فَالتَّرْجيحُ في جَانب عَدَم الجَوَاز وَعَدَم الحُرْمَة وَأَيْضًا قَال الشَّيْخُ ابْنُ الهَمَّامِ في أَحَاديث رَفْعِ اليَدَيْنِ أَنَّهَا مُعَارضَةٌ لأَحَاديث عَدَم الرَّفْعِ فَتَرَجَّحُ أَحَاديثُ عَدَمِ الرَّفْعِ بالقيَاس فَإنَّ مَبْنَى الصَّلاَة عَلى السُّكُون وَالخُشُوعِ الذي هُوَ مَطْلوبٌ وَمَرْغُوبٌ فيه بالإجْمَاع.

وَالعَجَبُ منَ الشَّيْخِ ابن الهَمَّامِ أَنَّهُ قَال وَعَنْ كَثير منَ المَشَايخ عَدَمُ الإشَارَة وَهُوَ خلاَفُ الرِّوَايَة وَالدِّرَايَة كَيْفَ نُسبَ الجَهْل إلى العُلَمَاء المُجْتَهدينَ المُتَمَسِّكينَ بالقيَاس الذي هُوَ الأَصْل الرَّابعُ منْ أَدلة الشَّرْعِ وَهُوَ ظَاهرُ المَذْهَب الرِّوَايَةُ عَنْ أَبي حَنيفَةَ وَهَذَا الشَّيْخُ قَدْ ضَعَّفَ حَديثَ القُلَّتَيْنِ.

الاضْطرَابُ الحَاصل منْ كَثْرَة اخْتلاَف الرِّوَايَة.

وَيَكْتُبُ وَلدي الأَرْشَدُ مُحَمَّدُ سَعيد رسَالَةً في هَذَا البَاب.

فَإذَا نُقلتْ إلى البَيَاض نُرْسلهَا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى.

وَكَتَبْتَ إنَّ منْ طَالبي الطَّريقَة جَمَاعَةً في كُل طَرَف وَلَمْ أَتَجَاسَرْ عَلى إجَازَة أَحَد منْهُمْ بتَعْليم الطَّريقَة في مَحَل أَصْلاً فَنَنْظُرُ بمَا تَكُونُ الإشَارَةُ.

فَاعْلَمْ أَنَّ كُل مَنْ تَرَوْنَهُ مُنَاسبًا يَكُونُ رَئيسَ حَلقَة جَمَاعَة وَهَذَا الأَمْرُ مُفَوَّضٌ إلى رَأْيكُمْ وَليَصْدُرِ الأَمْرُ بَعْدَ الاسْتخَارَة وَالتَّوَجُّه وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثَ عَشَرَ وَالثَّلاَثُمِائَة

إلى الخواجهْ مُحَمَّد هَاشم
في حَل أسْئلة كَتبَهَا وَهيَ سَبْعَةٌ
وَأَمْرِ خَتْم هَذَا المُجلد مِنَ المَكْتُوبَات بهَذَا المَكْتُوب لمُوَافقَة عَدَدهَا لعَدَد الأَنْبيَاء المُرْسَلينَ وَعَدَد أصْحَاب بَدْر
وَأَمَرَ بكتَابَة عَرَائضِ المَخْدُومِ زَادَهُ الأَعْظَمِ عَلَيْه الرَّحْمَةُ فِي آخرِ هَذه المَكتُوبات لِيذْكُرَهُ النَّاظِرُونَ بالدُّعَاءِ وَقرَاءَة الفَاتحَة لرُوحه

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغِ الدَّعوَات ليَعْلَمَ أخُونَا الخَواجهْ مُحَمَّدُ هَاشم أَنَّ الأَسْئلَة التي انْدَرجَتْ في مَكتُوبِ المَيْر مُحِبِّ الله وَطَلَبْتَ حَلهَا نَكتُبُ في جَوَابهَا مَا هُوَ مَعْلومٌ لنَا وَنُرْسلهُ.

حَاصل السُّؤَال الأَوَّل أَنَّ القُرْبَ الإلهيِّ - جَل سُلطَانُهُ - بِحَسَبِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَطَيِّ جَميعِ مَقَامَات الجَذْبَة وَالسُّلوك.

وَالأَصْحَابُ الكرَامُ قَدْ فُضِّلوا عَلى جَميعِ أوْليَاء الأُمَّة بصُحْبَة خَيْر الأَنَام - عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - مَرَّةً وَاحدَةً فَهَل هَذَا السَّيْرُ وَالسُّلوكُ وَالفَنَاءُ وَالبَقَاءُ حَصَلتْ لهُمْ في تلكَ الصُّحْبَة الوَاحدَة وَكَانَتْ أفْضَل منْ جَميعِ السَّيْر وَالسُّلوك وَالفَنَاء وَالبَقَاء.

وَأَيْضًا هَل حَصَل لهُمُ الفَنَاءُ وَالبَقَاءُ بتَوَجُّهه وَتَصرُّفه - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - أَوْ بمُجَرَّد دُخُولهِمْ فِي الإِسْلاَمِ وَأَيْضًا هَل كَانَ لهُمْ علمٌ بالسُّلوك وَالجَذْبَة حَالاً وَمَقَامًا أَوْ لاَ.

فَإنْ كَانَ فَبأَيِّ اسْمٍ سَمَّوْهُ وَإنْ لمْ يَكُنْ لهُمْ طَرِيقُ السُّلوك وَالجَذْبَة فَيُمْكنُ أَنْ نَقُول لهَذَا بدْعَةً حَسَنَةً.

اعْلمْ أَنَّ حَل هَذَا المُشْكل مَنُوطٌ بالصُّحْبَة وَمَوْقُوفٌ عَلى الخدْمَة فَإنَّ الكَلاَمَ الذي لمْ يَتَكلمْ به أَحَدٌ في هَذه المُدَّة كَيْفَ يَكُونُ مَفْهُومًا وَمَعْقُولاً لكُمْ بكتَابَة وَاحدَة وَلكنْ لمَّا سَأَلتُمْ لاَ بُدَّ منَ الجَوَاب وَمنْ حَله عَلى وَجْه الإجْمَال بالضَّرُورَة فَيَنْبَغي الإصْغَاءُ إليْه.

اعْلمْ أَنَّ القُرْبَ الذي هُوَ مَنُوطٌ بالفَنَاء وَالبَقَاء وَالسُّلوك وَالجَذْبَة هُوَ قُرْبُ الوِلاَيَة الذي تَشَرَّفَ به أَوْليَاءُ الأُمَّة وَالقُرْبُ الذي تَيَسَّرَ للأَصْحَاب الكرَامِ في

صُحْبَةِ خَيْرِ الأَنَامِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هُوَ قُرْبُ النُّبُوَّةِ حَصَلَ لَهُمْ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَالوِرَاثَةِ وَلاَ فَنَاءَ فِي هَذَا القُرْبِ وَلاَ بَقَاءَ وَلاَ جَذْبَةَ وَلاَ سُلوكَ وَهَذَا القُرْبُ أَفْضَلُ مِنْ قُرْبِ الوِلاَيَةِ وَأَعْلَى مِنْهُ بِمَرَاتِبَ فَإِنَّ هَذَا القُرْبَ قُرْبُ الأَصْلِ وَذَلِكَ القُرْبَ قُرْبُ الظِّلاَلِ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَكِنْ لاَ يُدْرِكُ كُل أَحَدٍ مَذَاقَ هَذِهِ المَعْرِفَةِ كَادَ الخَوَاصُّ أَنْ يُشَارِكُوا العَوَامَّ فِي عَدَمِ فَهْمِ هَذِهِ المَعْرِفَةِ، شِعْرٌ:

كربو عَلى نواى قلندر نواختى   صوفى بدى هرآنكه بعالم قلندرست

نَعَمْ: إِذَا وَقَعَ العُرُوجُ إِلى ذُرْوَةِ كَمَالاَتِ قُرْبِ النُّبُوَّةِ مِنْ طَرِيقِ الوِلاَيَةِ فَلاَ مَنْدُوحَةَ حِينَئِذٍ مِنَ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَالجَذْبَةِ وَالسُّلوكِ فَإِنَّ هَذِهِ مَبَادٍ وَمُعِدَّاتٌ لِذَلِكَ القُرْبِ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ السَّيْرُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ بَلْ وَقَعَ الاخْتِيَارُ عَلى الطَّرِيقِ السُّلْطَانِيِّ لِقُرْبِ النُّبُوَّةِ فَلاَ حَاجَةَ حِينَئِذٍ إِلى الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَالجَذْبَةِ وَالسُّلوكِ وَسَيْرِ الأَصْحَابِ الكِرَامِ مِنْ طَرِيقِ قُرْبِ النُّبُوَّةِ السُّلْطَانِيِّ فَلَمْ يَحْتَاجُوا إِلى الجَذْبَةِ وَالسُّلوكِ وَالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَلْيُطْلَبْ بَيَانُ هَذِهِ المَعْرِفَةِ مِنَ المَكْتُوبِ المُحَرَّرِ بِاسْمِ أَمَانِ اللهِ وَمَا كَتَبَهُ الفَقِيرُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ مَكْتُوبَاتِهِ وَرَسَائِلِهِ مِنْ أَنَّ مُعَامَلَتِي فِيمَا وَرَاءَ السُّلوكِ وَالجَذْبَةِ وَوَرَاءَ الظُّهُورَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ المُرَادُ بِهِ هُوَ هَذَا القُرْبُ فَإِنِّي حِينَ كُنْتُ فِي مُلاَزَمَةِ حَضْرَةِ شَيْخِنَا – قُدِّسَ سِرُّهُ – أَخَذْتُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ فِي الظُّهُورِ فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ بِهَذِهِ العِبَارَةِ قَدْ ظَهَرَ لِي أَمْرُ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلى هَذَا الأَمْرِ كَالسَّيْرِ الآفَاقِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلى السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَلَمْ أَجِدْ حِينَئِذٍ فِي نَفْسِي قُدْرَةَ التَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِأَزْيَدَ مِنْ هَذِهِ العِبَارَةِ وَلَمَّا صَارَتْ هَذِهِ المُعَامَلَةُ العَجِيبَةُ بَعْدَ سِنِينَ مُنَقَّحَةً وَمُحَرَّرَةً حَرَّرْتُهَا بِعِبَارَةٍ مُجْمَلَةٍ الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَتَكُونُ عِبَارَاتُ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ وَالجَذْبَةِ وَالسُّلوكِ مُحْدَثَةً وَمِنْ مُخْتَرَعَاتِ المَشَايِخِ ذَكَرَ المَوْلَوِيُّ الجَامِيُّ فِي النَّفَحَاتِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ عَنِ الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ أَبُو سَعِيدٍ الخَرَّازُ – قُدِّسَ سِرُّهُ –.

وَحَاصِلُ السُّؤَالِ الثَّانِي أَنَّ فِي الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ التِزَامُ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَالحَالُ أَنَّهُ – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ – صَدَرَ عَنْهُ رِيَاضَاتٌ عَجِيبَةٌ وَمُجَاهَدَاتٌ شَدِيدَةٌ كَالجُوعِ الشَّدِيدِ وَفِي هَذَا الطَّرِيقِ يَمْنَعُونَ عَنِ الرِّيَاضَةِ بَلْ يَرَوْنَهَا بِوَاسِطَةِ ظُهُورِ الكُشُوفَاتِ الصُّورِيَّةِ بِهَا مَضَرَّةً وَالعَجَبُ أَنَّهُ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ احْتِمَالُ الضَّرَرِ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّةِ ؟

أَيُّهَا المُحبُّ: مَنْ قَال إنَّ الرِّيَاضَةَ مَمْنُوعَةٌ في هَذَا الطَّرِيقِ وَمِنْ أَيْنَ سُمِعَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الرِّيَاضَةَ مَضَرَّةٌ وَفي هَذَا الطَّرِيقِ دَوَامُ المُحَافَظَة عَلى اتِّبَاعِ السُّنَّة السَّنِيَّة - عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ - وَالسَّعْي في سَتْرِ الأَحْوَال وَاخْتِيَار تَوَسُّط الحَال وَرِعَايَة حَدِّ الاعْتِدَال في المَطَاعِمِ وَالمَلاَبِسِ وَسَائِرِ الأَفْعَال كُل ذَلكَ مِنَ الرِّيَاضَات الشَّاقَّة وَالمُجَاهَدَات الشَّدِيدَة.

غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ العَوَامَّ كَالأَنْعَام لاَ يَعُدُّونَ هَذه الأُمُورَ منَ الرِّيَاضَات وَلاَ يَرَوْنَهَا منَ المُجَاهَدَات بَل الرِّيَاضَةُ وَالمُجَاهَدَةُ مُنْحَصِرَةٌ عنْدَهُمْ في الجُوعِ وَكَثْرَةُ الجُوعِ عَظِيمُ القَدْرِ في نَظَرِهِمْ فَإنَّ الأَكْل عنْدَ هَؤُلاَءِ المُتَّصِفِينَ بصِفَات البَهَائِمِ مِنْ أَهَمِّ المَهَامِّ وَأَعْظَمِ المَقَاصِد فَلاَ جَرَمَ يَكُونُ تَرْكُهُ مِنَ الرِّيَاضَة الشَّاقَّة وَالمُجَاهَدَة الشَّدِيدَة عنْدَهُمْ بخِلاَف المُحَافَظَة عَلى السُّنَّة وَالتزَام مُتَابَعَتهَا وَأَمْثَالهَا فَإنَّ هَذه الأُمُورَ لاَ قَدْرَ لَهَا عنْدَ العَوَامِّ وَلاَ اعْتدَادَ بهَا حَتَّى يَرَوْنَ تَرْكَهَا منَ المُنْكَرَات وَتَحْصِيلهَا منَ الرِّيَاضَات فَاللاَّزِمُ لأَكَابِرِ هَذه الطَّرِيقَة أَنْ يَجْتَهِدُوا في سَتْرِ الأَحْوَال وَتَرْك الرِّيَاضَة التي هِيَ عَظِيمَةُ القَدْرِ عنْدَ العَوَامِّ وَبَاعثَةٌ عَلى قَبُول الأَنَام وَمُسْتَلزِمَةٌ للشُّهْرَة المُتَضَمِّنَة عَلى الآفَات العظَام قَال - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - - "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إلَيْه بالأَصَابعِ في دينه وَدُنْيَاهُ"

وَعنْدَ الفَقيرِ الجُوعُ الكَثيرُ أَسْهَل وَأَيْسَرُ جدًّا منْ مُرَاعَاة حَدِّ الاعْتِدَال في المَأْكُولاَت.

وَرِيَاضَةُ رِعَايَةِ تَوَسُّطِ الحَال مُسْتَحَقَّةٌ لأَنْ تَكُونَ أَزْيَدَ وَأَفْضَل مِنْ رِيَاضَة كَثْرَة الجُوعِ.

قَال حَضْرَةُ وَالدي المَاجد - قُدِّسَ سِرُّهُ -:

رَأَيْتُ في علم السُّلوك رِسَالةً وَرَأَيْتُ فيهَا أَنَّ رِعَايَةَ حَدِّ الاعْتدَال في المَأْكُولاَت وَالمُحَافَظَةَ عَلى الحَدِّ الوَسَط فيهَا كَافيَةٌ في الوُصُول إلى المَطْلوب لاَ حَاجَةَ مَعَ هَذه المُرَاعَاة إلى الذِّكْر وَالفكْر وَالحَقُّ أَنَّ تَوْسِيطَ الحَال في المَطَاعمِ وَالمَلاَبِسِ بَل جَميعِ الأُمُور حَسَنَةٌ وَجَميلةٌ جدًّا. شعْرٌ.

إيَّاكَ وَالأَكْل حَتَّى يَحْدُثَ الثِّقَل وَلاَ تُجوِّعَنَّ إلى يَضْعُفُ البَدَنُ

وَقَدْ أَعْطَيَ الحَقُّ - سُبْحَانَهُ - نَبِيَّنَا - عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فَكَانَ ﷺ يَتَحَمَّل بهَذه القُوَّة ثقَل الجُوعِ.

وَالأَصْحَابُ الكرَامُ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ كَانُوا يَتَحَمَّلونَ هَذَا الثِّقَل

بَرَكَةَ صُحْبَةِ خَيْرِ البَشَرِ - عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَمْ يَقَعْ فُتُورٌ وَخَلل فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ أَصْلاً وَكَانَتْ قُدْرَتُهُمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الأَعْدَاءِ مَعَ وُجُود الجُوعِ عَلَى نَهْجٍ لاَ تَبْلُغُ قُدْرَةُ أَهْلِ الشِّبَعِ عُشْرَهَا وَمِنْ هَهُنَا غَلَبَ العِشْرُونَ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى مِائَتَيْنِ مِنَ الكُفَّارِ وَمِائَةٌ مِنْهُمْ عَلَى أَلف مِنْهُمْ وَأَهْلِ الجُوعِ مِنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ يَكَادُونَ يَعْجَزُونَ عَنْ إِتْيَانِ الآدَابِ وَالسُّنَنِ بَلْ رُبَّمَا يَخْرُجُونَ عَنْ عُهْدَةِ الفَرَائِضِ بِالتَّكَلُّفِ فَتَقْلِيدُ الصَّحَابَةِ فِي هَذَا الأَمْرِ بِلاَ قُدْرَةٍ تَعَرُّضٌ لِلعَجْزِ عَنْ إِتْيَانِ السُّنَنِ وَالفَرَائِضِ.

نُقِل عَنِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ ﷺ أَنَّهُ اخْتَارَ صَوْمَ الوِصَالِ تَقْلِيدًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَسَقَطَ مِنَ الضَّعْفِ وَعَدَمِ القُوَّةِ عَلى الأَرْضِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - عَلَى سَبِيلِ الاعْتِرَاضِ "أَنَا لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي".

فَلَمْ يَسْتَحْسِنْ التَّقْلِيدَ بِلاَ قُدْرَةٍ وَأَيْضًا إِنَّ الأَصْحَابَ الكِرَامَ كَانُوا مَحْفُوظِينَ وَمَأْمُونِينَ مِنَ المَضَرَّاتِ المُتَوَلِّدَةِ مِنْ كَثْرَةِ الجُوعِ بِبَرَكَةِ صُحْبَةِ خَيْرِ الأَنَامِ - عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَلَيْسَ ذَلِكَ مُيَسَّرًا لِغَيْرِهِمْ.

بَيَانُـــهُ: إِنَّ كَثْرَةَ الجُوعِ مُوَرِّثَةٌ لِلصَّفَاءِ أَلبَتَّةَ تُورِثُ طَائِفَةً صَفَاءَ القَلْبِ وَجَمَاعَةً صَفَاءَ النَّفْسِ، وَصَفَاءُ القَلْبِ يَزِيدُ الهِدَايَةَ وَيُورِثُ النُّورَ وَصَفَاءُ النَّفْسِ يَسْتَتْبِعُ الضَّلاَلَةَ وَيَزِيدُ الظُّلْمَةَ أَلاَ تَرَى أَنَّ فَلاَسِفَةَ اليُونَانِ وَبَرَاهِمَةَ الهُنُودِ وَجُوكِيَّتَهُمْ أَوْرَثَتْ الرِّيَاضَةَ كُلَّهُمْ صَفَاءَ النَّفْسِ وَدَلَّتْهُمْ بِذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الضَّلاَلَةِ وَجَرَّتْهُمْ إِلى الخَسَارَةِ حَتَّى اعْتَمَدَ أَفْلاَطُونُ الأَحْمَقُ عَلى صَفَاءِ نَفْسِهِ وَجَعَلَ الصُّوَرَ الكَشْفِيَّةَ الخَيَالِيَّةَ مُقْتَدَاهُ فَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يُصَدِّقْ عِيسَى - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - وَكَانَ مَبْعُوثًا فِي زَمَنِهِ وَقَالَ: نَحْنُ قَوْمٌ مَهْدِيُّونَ لاَ حَاجَةَ بِنَا إِلى مَنْ يَهْدِينَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ هَذَا الصَّفَاءُ المُوجِبُ لِزِيَادَةِ الظُّلْمَةِ لَمَا كَانَتْ الصُّوَرُ الكَشْفِيَّةُ الخَيَالِيَّةُ سُدَّةً فِي طَرِيقِهِ وَمَانِعَةً لَهُ عَنِ الوُصُولِ إِلى المَطْلَبِ وَقَدْ وَجَدَ هُوَ نَفْسَهُ بِسَبَبِ هَذَا الصَّفَاءِ نُورَانِيًّا وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ الصَّفَاءَ لَمْ يُجَاوِزْ القِشْرَ الرَّقِيقَ مِنْ نَفْسِهِ الأَمَّارَةِ وَإِنَّهَا عَلَى خُبْثِهَا وَنَجَاسَتِهَا وَلَمْ يَزِدْ فَيَا شَيْئًا سِوَى أَنَّ تِلْكَ كَنَجَاسَةٍ مُغَلَّظَةٍ مُغْلَقَةٍ بِغِلاَفٍ رَقِيقٍ مِنَ السُّكَّرِ.

وَالقَلْبُ الذِي هُوَ نُورَانِيٌّ فِي حَدِّ ذَاتِهِ وَطَاهِرٌ وَإِنَّمَا قَعَدَ عَلَى وَجْهِهِ غُبَارٌ مِنْ مُجَاوَرَتِهِ النَّفْسَ الظُّلْمَانِيَّةَ يَرْجِعُ إِلى حَالِهِ الأَصْلِيِّ بِقَلِيلٍ مِنَ التَّصْفِيَةِ وَيَصِيرُ

نُورَانِيًّا بِخِلاَفِ النَّفْسِ فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ فِي حَدِّ ذَاتِهَا وَالظُّلْمَةُ مِنْ صِفَاتِهَا الذَّاتِيَّةِ وَمَا لَمْ تُزَكَّ وَلَمْ تُطَهَّرْ بِسِيَاسَةِ القَلْبِ بَلْ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالتِزَامِ الشَّرِيعَةِ - عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ - بَلْ بِمَحْضِ فَضْلِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - لاَ يَزُولُ عَنْهَا خُبْثُهَا الذَّاتِيُّ وَلاَ يُتَصَوَّرُ عَنْهَا الفَلاَحُ وَالخَيْرُ وَأَفْلاَطُونَ قَدْ ظَنَّ صَفَاءَهُ الذي تَعَلَّقَ بِنَفْسِهِ الأَمَّارَةِ كَصَفَاءِ القَلْبِ العِيسَوِيِّ فَتَخَيَّلَ نَفْسَهُ بِالضَّرُورَةِ مُهَذَّبًا وَمُطَهَّرًا مِثْلَهُ وَحُرِمَ مِنْ دَوْلَةِ مُتَابَعَتِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَصَارَ مُتَّسِمًا بِسِمَةِ الخَسَارَةِ الأَبَدِيَّةِ أَعَاذَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - مِنْ هَذَا البَلاَءِ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ المَضَرَّةُ مُضْمَرَةً وَمَكْمُونَةً فِي طَبِيعَةِ الجُوعِ تَرَكَ أَكَابِرُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ رِيَاضَةَ الجُوعِ وَاخْتَارُوا رِيَاضَةَ الاعْتِدَالِ فِي المَطْعُومَاتِ وَمُجَاهَدَةَ رِعَايَةِ الاقْتِصَادِ فِي سَائِرِ الحَالاَتِ وَتَرَكُوا مَنَافِعَ الجُوعِ لاحْتِمَالِ الضَّرَرِ العَظِيمِ وَتَرَتُّبِ الآفَاتِ، وَالآخَرُونَ لاَحَظُوا مَنَافِعَهُ وَأَغْمَضُوا عَنْ مَضَارِّهِ فَرَغِبُوا فِيهِ وَمِنَ المُقَرَّرِ عِنْدَ العُقَلاَءِ أَنَّهُ يَتْرُكُ المَنَافِعَ الكَثِيرَةَ لاحْتِمَالِ المَضَرَّةِ اليَسِيرَةِ وَقَرِيبٌ مِنْ هَذِهِ المَقَالَةِ مَا قَالَهُ العُلَمَاءُ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ: إِنَّ الأَمْرَ إِذَا دَارَ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالبِدْعَةِ الأَفْضَلُ تَرْكُ هَذَا الأَمْرِ لاحْتِمَالِ كَوْنِهِ بِدْعَةً دُونَ إِتْيَانِهِ بِسَبَبِ احْتِمَالِ كَوْنِهِ سُنَّةً يَعْنِي أَنَّ فِي احْتِمَالِ كَوْنِهِ بِدْعَةً احْتِمَالَ الضَّرَرِ وَفِي احْتِمَالِ كَوْنِهِ سُنَّةً تَوَقُّعَ المَنَافِعِ فَيَنْبَغِي تَرْكُهُ تَرْجِيحًا لاحْتِمَالِ الضَّرَرِ عَلَى تَوَقُّعِ المَنَافِعِ فَلاَ عَجَبَ لَوْ عُرِضَ الضَّرَرُ فِي إِتْيَانِ السُّنَّةِ مِنْ طَرِيقٍ آخَر.

وَحَقِيقَةُ هَذَا الكَلاَمِ هِيَ أَنَّ هَذِهِ السُّنَّةَ كَأَنَّهَا كَانَتْ مُوَقَّتَةً بِذَلِكَ القَرْنِ وَلَمَّا لَمْ يَجِدْ جَمَاعَةٌ كَوْنَهَا مُوَقَّتَةً بِوَاسِطَةِ الدِّقَّةِ وَالخَفَاءِ بَادَرُوا عَلَى فِعْلِهَا بِالتَّقْلِيدِ وَجَمَاعَةٌ لَمَّا وَجَدُوهَا مُوَقَّتَةً تَرَكُوا التَّقْلِيدَ فِيهَا وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الحَالِ.

وَالسُّؤَالُ الثَّالِثُ قَدْ ذُكِرَ فِي كُتُبِ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنَّ نِسْبَتَنَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى الصِّدِّيقِ ﷺ بِخِلاَفِ سَائِرِ الطُّرُقِ فَإِنْ قَالَ مُدَّعٍ: إِنَّ أَكْثَرَ الطُّرُقِ وَاصِلٌ إِلَى الإِمَامِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الصِّدِّيقِ فَلِمَ لاَ نَنْسُبُ بَقِيَّةَ الطُّرُقِ أَيْضًا إِلَى الصِّدِّيقِ ؟

الجَوَابُ: إِنَّ الإِمَامَ نِسْبَةٌ مِنَ الصِّدِّيقِ وَنِسْبَةٌ مِنْ عَلِيٍّ ــ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى ــ عَنْهُمَا وَكَمَالاَتُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ مَعَ وُجُودِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي الإِمَامِ عَلَى حِدَةٍ وَمُتَمَيِّزٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ فَأَخَذَتْ طَائِفَةٌ عَنْهُ النِّسْبَةَ الصِّدِّيقِيَّةَ بِوَاسِطَةِ المُنَاسَبَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ وَانْتَسَبُوا إِلَى الصِّدِّيقِ وَأَخَذَتْ جَمَاعَةٌ عَنْهُ أَيْضًا النِّسْبَةَ

العُلوِيَّةَ بِالْمُنَاسَبَة العُلْويَّة وَانْتَسَبُوا إلى عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ وَقَدْ كُنْتُ ذَهَبْتُ بَلدَةَ بَنَارِسَ لِحَاجَة مَا وَهُنَاكَ يَجْتَمِعُ نَهْرُ كنك مَعَ نَهْرِ جن وَمَعَ هَذَا الاجْتِمَاعِ يُشَاهَدُ أَنَّ نَهْرَ كنك غَيْرُ مُخْتَلَط بِنَهْرِ جمن بَل مُتَمَايِزٌ عَنْهُ بِحَيْثُ تُوهِّمَ أَنَّ بينَهمَا بَرْزَخًا يَمْنَعُ اخْتِلاَطَ أَحَدهمَا بِالآخَر، وَالذينَ هُمْ فِي طَرَفِ نَهْرِ كنك يَشْرَبُونَ مِنْ نَهَرِ كنك وَالذينَ هُمْ عَلَى طَرَفِ نَهْرِ جمن يَشْرَبُونَ مِنْ مَاءِ نَهْرِ جمن.

فَإنْ قِيلَ: إنَّ الخَوَاجَةَ مُحَمَّدَ بَارْسَا – قُدِّسَ سِرُّهُ – قَدْ حَقَّقَ فِي رِسَالَته التَّقَدُّسِيَّة أَنَّ الإِمَامَ عَلِيًّا كَلمَ اللهِ وَجْهَهُ كَمَا أَنَّهُ وَجَدَ التَّرْبِيَةَ مِنْ خَاتَمِ الرِّسَالَة – عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ – وَالتَّحِيَّةُ كَذَلِكَ وَجَدَ التَّرْبِيَةَ مِنَ الصِّدِّيقِ ﷺ فَتَكُونُ نسبَةُ عَلَيٍّ عَيْنَ نِسْبَة الصِّدِّيقِ فَمَاذَا يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَهُمَا ؟

قُلنَا: أَنَّ خُصُوصِيَّاتِ المَحَالِ مَعَ وُجُود اتِّحَاد النِّسْبَة بَاقِيَة عَلى حَالهَا وَقَدْ يَعْرِضُ لِمَاء وَاحد بوَاسطَة تَعَدُّد المَحَال خُصُوصِيَّاتٌ مُتَمَيِّزَةٌ فَيَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إلى كُلِ مِنْهُمَا طَرِيقٌ بِالنَّظَرِ إلَى خُصُوصِيَّة كُل مِنْهُمَا.

وَحَاصِلُ السُّؤَالِ الرَّابِعِ: هُوَ أَنَّهُ قَدْ حُرِّرَ فِي مَكْتُوب مُلاَّ مُحَمَّد صدِّيق أَنَّهُ إذَا كَانَ لِشَخْصٍ اسْتِعْدَادُ الوِلاَيَة المُوسَوِيَّة لاَ يُدْرَى أَنَّ صَاحِبَ تَصَرُّف هَل يَقْدرُ عَلى إخْرَاجه إلى الوِلاَيَة المُحَمَّدِيَّة أَوْ لاَ، وَحُرِّرَ فِي مَكْتُوب المَخْدُوم زَادَهْ الأَكْبَر ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ بِأَنِّي أَخْرَجْتُكَ مِنَ الوِلاَيَة المُوسَوِيَّة إلى الوِلاَيَة المُحَمَّدِيَّة فَمَا وَجْهُ التَّوْفِيق.

الجَوَابُ: إنَّ الوَاقِعَ فِي مَكْتُوب مُلاَّ مُحَمَّد صدِّيق هُوَ أَنَّ الإِخْرَاجَ مِنَ الوِلاَيَة المُوسَوِيَّة إلى الوِلاَيَة المُحَمَّدِيَّة لَيْسَ بِمَعْلُومِ الوُقُوعِ وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلكَ الوَقْتِ عِلمٌ بِوُقُوعِ هَذَا الأَمْرِ وَلَمَّا صَارَ مَعْلُومًا بَعْدَ ذَلكَ وَحَصلَتْ قُدْرَةُ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيل كَتَبْتُ بِأَنِّي أَخْرَجْتُكَ مِنْ هَذه الوِلاَيَة إلى تِلكَ الوِلاَيَة فَلَمْ يَجد اتِّحَادُ الزَّمَان حَتَّى يُتَصَوَّرَ التَّنَاقُضُ.

وَحَاصِلُ السُّؤَالِ الخَامِس: أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُنَا يَلبَسُونَ قَمِيصًا مَشْقُوقَ الجَيْب عَلَى الصَّدْرِ، وَيَقُولونَ: "**إنَّ السُّنَّةَ هِيَ هَذَا**"، وَأَصْحَاب المِير يَلبَسُونَ قَمِيصًا مُدَوَّرَ الجَيْبِ فَمَا تَحْقِيقُ ذَلكَ ؟

اعْلَــــمْ: أَنَّا نَحْنُ أَيْضًا فِي التَّرَدُّد فِي هَذَا البَابِ؛ فَإنَّ العَرَبَ يَلبَسُونَهُ مَشْقُوقًا عَلى الصَّدْرِ وَيُرُونَهُ سُنَّةً، وَيُفْهَمُ مِنْ بَعْضِ الكُتُبِ الحَنَفِيَّة أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلرِّجَال لبْسُ قَمِيصٍ مَشْقُوقِ الصَّدْرِ لِكَوْنه لبَاسَ النِّسَاءِ؛ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو

دَاوُد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال: "لعنَ رَجُل يَلبَسُ لِبْسَ المَرْآة وَلعنَت المَرْأَةُ تلبَسُ لِبْسَ الرَّجُل" وَفي مَطَالب المُؤْمنينَ: "وَلاَ تَتَشَبَّهُ المَرْأَةُ بالرِّجَال وَلاَ يَتَشَبَّهُ الرَّجُل بالنِّسَاء؛ فَإنَّ كلاَ الفريقَيْنِ مَلعُونٌ".

بَل يُفْهَمُ أَنَّ القَميصَ المَشْقُوقَ الصَّدْر لَيْسَ مِنْ لبَاس أَهْل الدِّين وَأَهْل العلم؛ وَلهَذَا جَوَّزُوهُ لأَهْل الذِّمَّة في جَامع الرُّمُوز نَقْلاً عَن المُحيط؛ فَلاَ يَلبَسُ، أَيُّ: الذِّمِّيِّ، مَا يَخْتَصُّ بأَهْل الدِّين وَالعلم كَالرِّدَاء وَالعمَامَة بَل قَميصًا خَشنًا منَ الكرْبَاس جَيْبُهُ عَلى صَدْره كَالنِّسَاء.

وَأَيْضًا إنَّ مَشْقُوقَ الجَيْب عَلى الصَّدْر لَيْس قَميصًا عَلى قَوْل بَعْض العُلمَاء بَل هُوَ درْعٌ وَإنَّمَا القَميصُ عنْدَهُمْ مَا يَكُونُ مَشْقُوقَ الجَيْب عَلى المَنْكبَيْن في جَامع الرُّمُوز في بَيَان كَفَن المَرْأَة وَفي الهدَايَة بَدَل القَميص الدِّرْع.

وَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ شَقَّهُ إلى الصَّدْر وَالقَميصُ إلى المَنْكب، وَقَالوا بالتَّرَادُف:

وَالصَّوَاب عنْدَ الفقير هُوَ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الرِّجَال مَمْنُوعينَ عَن التَّشَبُّه بالنِّسَاء، تَوَقَّفَ الحُكْمُ عَلى مَعْرفَة عَادَة النِّسَاء، فَنَنْظُرُ إذَا كَانَ في مَحَل تَلبَسُ فيه النِّسَاءُ قَميصًا شقُّهُ عَلى الصَّدْر يَنْبَغي أَنْ يُتْرَكَ الرِّجَال لبْسَهُ لئَلاَّ يَتَشَبَّهُوا بالنِّسَاء، وَأَنْ يَلبَسُوا قَميصًا شقُّهُ عَلى المَنْكب، وَإذَا كَانَ في مَحَل تَلبَسُ فيه النِّسَاءُ قَميصًا شقُّهُ عَلى المَنْكب يَخْتَارُ الرِّجَال قَميصًا شقُّهُ عَلى الصَّدْر ففي بلاَد العَرَب تَلبَسُ النِّسَاءُ قَميصًا مُدَوَّرَ الجَيْب فَيَلبَسُ الرِّجَال مَا شقُّهُ عَلى الصَّدْر بالضَّرُورَة، وَفي مَا وَرَاءَ النَّهْر وَالهند تَلبَسُ النِّسَاءُ قَميصًا شقُّهُ عَلى الصَّدْر، فَيَخْتَارُ الرِّجَال قَميصًا شقُّهُ عَلى المَنْكب بالضَّرُورَة.

قَالَ الشَّيْخ ميان عَبْدُ الحَقّ: كُنْتُ في مَكَّةَ فَرَأَيْتُ وَاحدًا منْ مُريدي الشَّيْخ نظَام النَّار نُولي يَطُوفُ بالبَيْت لاَبسًا قَميصًا مُدَوَّرَ الجَيْب وَصَارَ جَمْعٌ منَ العَرَب يَتَعَجَّبُونَ منْ قَميصه قَائلينَ: إنَّهُ لبسَ قَميصَ النِّسَاء فَباعْتبَار العُرْف وَالعَادَة يَكُونُ عَمَل كُل منَ العَرَب وَالهنْد وَأَهْل مَا وَرَاءَ النَّهْر صَوَابًا: ﴿ وَلكُل وُجْهَةٌ هُوَ مُوَليهَا ﴾ فَلوْ ثَبَتَتْ سُنِّيَّةُ لبْس القَميص المَشْقُوق عَلى الصَّدْر لَمَا جَوَّزَ عُلمَاءُ الحَنَفيَّة لبْسَهُ لأَهْل الذِّمَّة وَلَمَا جَعَلوا خلاَفَهُ مَخْصُوصًا بأَهْل العلم وَالدِّين، وَلَمَّا كَانَت النِّسَاءُ أَقْدَمَ وَأَسْبَقَ في هَذَا اللبَاس منَ الرِّجَال جَعَلوا لبَاسَ الرِّجَال هُنَا تَابعًا للبَاس النِّسَاء.

وَحَاصل السُّؤَال السَّادس: هُوَ أَنَّ تَوَجُّهُ الطَّالب في هَذَا الطَّريق لَمَّا كَانَ إلى الأُحَديَّة الصِّرْفَة منَ ابْتدَاء الأَمْر كَانَ اللاَّزمُ أَنْ لاَ يَجْتَمعَ هَذَا التَّوَجُّهُ مَعَ النَّفْي

وَالإِثْبَات؛ فَإِنَّ التَّوَجُّهَ وَقْتَ النَّفْيِ إِلى الغَيْرِ.

الجَوَابُ: إِنَّ التَّوَجُّهَ إِلى الغَيْرِ إِنَّمَا هُوَ لِتَقْوِيَة التَّوَجُّه إِلى الأُحَدِيَّة وَتَرْبِيَتِه، وَالمَقْصُودُ مِنْ نَفْيِ الغَيْرِ حُصُول دَوَامِ ذَلِكَ التَّوَجُّه مِنْ غَيْرِ مُزَاحِمَة الأَغْيَار، فَالتَّوَجُّهُ إِلى نَفْيِ الغَيْرِ لَيْسَ بِمُنَاف لِلتَّوَجُّه إِلى الأُحَدِيَّة وَإِنَّمَا المُنَافِي لَهُ التَّوَجُّهُ إِلى الغَيْرِ لاَ التَّوَجُّهُ إِلى نَفْيِ الغَيْرِ، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَحَاصِل السُّؤَال السَّابِعِ: هُوَ أَنَّ كُل ذِكْر يُسْتَعْمَل بِاللسَان يَسْتَعْمِلهُ المُبْتَدِئُونَ فِي هَذه الطَّرِيقَة بِالقَلب؛ فَالنَّفْي وَالإِثْبَات هَلْ يُسْتَعْمَل جَمِيعُهُ بِالقَلب أَوْ لاَ بَل بَعْضه بِالقَلبِ وَبَعْضه بِغَيْرِه ؟ فَإِنْ كَانَ المُسْتَعْمَل بِالقَلبِ جَمِيعَهُ فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ مُدلاً إِلى فَوْق وَصَرْفُهُ إِلى يَمين.

الجَوَابُ: مَا النُّقْصَانُ إِنْ كَانَ المُسْتَعْمَل بِالقَلب جَمِيعَهُ فَإِنْ لاَ يَمُدُّ بِالقَلب إِلى فَوْق وَيُصْرَفُ إِلى يَمين وَيَجُرُّ إِلاَّ الله نَحْوَهُ أَي القَلبَ مَعَ أَنَّ النَّفْيَ وَالإِثْبَاتَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ بِالتَّخَيُّل لاَ دَخْل فِيه لِلسَان وَالحَنَك أَصْلاً حَتَّى يُشْتَرَطَ مُوَاطَأَةُ القَلبِ وَالقَوْل، وَهَذَان السُّؤَالاَن الأَخِيرَان مِنْ قَبِيل تَشْكِيكَاتِ الفَخْرِ الرَّازِيِّ، فَلئِنْ تَأَمَّلتُمْ فِيهِمَا تَأَمُّلاً جَيِّدًا لاَنْدَفَعَا.

بَقِيَّةُ المَرَام: أَنَّ بَعْضَ الأَصْحَاب المَوْجُودِينَ هُنَاكَ قَدْ كَتَبَ مُكَرِّرًا أَنَّ المِير قَلِيل الالتِفَات إِلى أَحْوَال الطَّالِبِينَ فِي هَذه الأَيَّام وَمَشْغُول بِالعِمَارَة وَيَصْرِفُ مَبْلَغ الفُتُوحِ فِي خَرَجَ العِمَارَة وَيَبْقَى الفُقَرَاءُ مَحْرُومِينَ، وَكَتَبُوا هَذه المُقَدِّمَات عَلى نَهْجٍ يُفْهَمُ مِنْهُ شَائِبَةُ الاعْتِرَاضِ وَتَفُوحُ رَائِحَةُ الإِنْكَار.

فَليَعْلَمُوا: أَنَّ إِنْكَارَ هَذه الطَّائِفَة سُمٌّ قَاتل، وَالاعْتِرَاضَ عَلى أَفْعَال هَؤُلاَءِ الأَكَابِرِ وَأَقْوَالهِمْ سُمُّ الأَفْعَى يُؤَدِّي إِلى المَوْتِ الأَبَدِيِّ، وَيُفْضِي إِلى الهَلاَكِ السَّرْمَدِيِّ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ هَذَا الإِنْكَار وَالاعْتِرَاضُ رَاجِعًا إِلى الشَّيْخِ وَكَانَ سَبَبًا لإِيذَائه، وَمُنْكِرُ هَذه الطَّائِفَة مَحْرُومٌ مِنْ بَرَكَاتهِمْ وَالمُعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ خَائِبٌ وَخَاسِرٌ فِي جَمِيعِ الأَوْقَات، وَمَا لَمْ يَكُنْ جَمِيعُ حَرَكَات الشَّيْخِ وَسَكَنَاته مُسْتَحْسَنَةً فِي نَظَرِ المُرِيد لاَ يَنَال نَصِيبًا مِنْ كَمَالاَته، فَإِنْ نَال يَكُونُ اسْتِدْرَاجًا وَيَكُونُ عَاقِبَتَهُ هَلاَكًا وَبَوَارًا وَفَضِيحَةً وَدَمَارًا، فَإِنْ وُجِدَ المُرِيد فِي نَفْسه مَجَال الاعْتِرَاضِ عَلى الشَّيْخِ مِقْدَارَ شَعْرَة مَعَ وُجُود كَمَال مَحَبَّته وَإِخْلاَصه لَهُ فَليَتَيَقَّنْ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلاَّ خَيْبَتَهُ وَخَسَارَتَهُ وَحِرْمَانَهُ مِنْ كَمَالاَت الشَّيْخِ أَوْ رَذَالَته، فَإِنْ خَطَرَ فِي قَلب المُرِيد فَرْضًا شُبْهَة فِي فِعْل مِنْ أَفْعَال الشَّيْخِ وَلَمْ تَنْدَفِعْ فَليَسْتَفْسره عَنْهُ عَلى نَهْجٍ يَكُونُ

خَالِيًا عَنْ شَائِبَة الاعْتِرَاض وَمُبَرَّأً عَنْ مَظَنَّة الإِنْكَار، وَحَيْثُ كَانَ الْمُحِقُّ وَالْمُبْطِل مُمْتَزِجَان وَمُلْتَبِسَان فِي هَذَا الزَّمَان فَلَوْ ظَهَرَ مِنَ الشَّيْخِ أَمْرٌ مُخَالِفٌ لِلشَّرِيعَة أَحْيَانًا يَنْبَغِي لِلْمُرِيدِينَ أَنْ لاَ يُقَلِّدُوهُ فِيه بَل يَطْلُبُونَ لَهُ مَحْمَلاً بِحُسْنِ الظَّنِّ مَهْمَا أَمْكَنَ، وَيَبْتَغُونَ وَجْهَ صِحَّتِه، فَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ وَجْهُ الصِّحَّة يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَجِئُوا وَيَتَضَرَّعُوا إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي دَفْعِ هَذَا الابْتِلاَء عَنْهُمْ، وَيَطْلُبُوا مِنْهُ تَعَالى سَلاَمَةَ الشَّيْخِ وَعَافِيَته بِالْبُكَاء وَالابْتِهَال، فَإِنْ عَرَض لِلْمُرِيد شُبْهَة فِي حَقِّ الشَّيْخ لارْتِكَابِه الأَمْر الْمُبَاح لاَ تُعْتَبَرُ تِلْكَ الشُّبْهَةَ وَلاَ يَعْبَأُ بِهَا؛ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَمْنَعْ مَالِكُ الأُمُور ـــ جَل سُلطَانه ـــ عَنْ إِتْيَان الْمُبَاح وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلى فَاعِله كَيْفَ يَسُوغُ لِغَيْرِه سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْه مِنْ قِبَلِ نَفْسِه، وَكَمْ مِنْ مَوَاضِعَ يَكُونُ فِيه تَرْكُ الأَوْلَى أَوْلَى مِنْ إِتْيَانه، وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيث: "أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ"، وَحَيْثُ كَانَ فِي الشَّيْخِ المير قَبْضٌ مُفْرِطٌ كَيْفَ يَسُوغُ الاعْتِرَاضُ عَلَيْه أَنْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلى أَحْوَال الْمُرِيد وَلَمْ يَشْتَغِل بِهِمْ، وَطَلَب تَسْلِيَة مِنْ بَعْضِ الأُمُور الْمُبَاحَة، وَكَانَ عَبْد الله الإِصْطَخْرِيُّ يَذْهَبُ إِلى الصَّحْرَاء مَعَ كِلاَب الصَّيْد لِتَسْلِيَة نَفْسِه، وَبَعْض الْمَشَايِخ كَانُوا يَطْلُبُونَ تَسْلِيَهُمْ فِي السَّمَاعِ وَأَصْوَات النَّغْمَة، ﴿ وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى ﴾ وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله أَتَمُّ الصَّلَوَات وَأَكْمَل التَّسْلِيمَات.

العَرِيضَةُ الأُولى

مِنَ العَرَائِضِ الَّتِي كَتَبَهَا الْمَخْدُوم زَادَهُ الأَعْظَم عَلَيْه الرَّحْمَة وَالغُفْرَان

عَرِيضَةُ أَقَل العَبِيد مُحَمَّد صَادِق أُنْهِي إِلى العَرْضِ الأَشْرَف أَنَّ أَحْوَال هَذِه الحُدُود وَأَوْضَاعَهَا عَلى الجَمْعِيَّة الصُّورِيَّة وَالمَعْنَوِيَّة بِيَمِين التَّوَجُّهَات العَلِيَّة، وَقَدْ كَانَ الخَاطِر مُتَفَرِّقًا وَمُتَشَتِّتًا مُنْذُ مُدَّة مِنْ طَرَف خِدْمَة الحَضْرَة فَقَدَّمَ الميَان بَدْرُ الدِّين يَوْمَ تَحْرِيرِ العَرِيضَة وَبَلغ خَبَرَ العَافِيَة الكَامِلة فَحَصَل فَرَحٌ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَسُرُورٌ غَيْرُ مَحْصُور، الحَمْدُ لله عَلى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيراً.

وَيَا قِبلتي أَنَّ الحَافِظَ بَهَاء الدِّين خَتَمَ القُرْآنَ المَجِيدَ فِي اللَّيْلة الثَّالِثَة عَشْرَةَ وَشَرَعَ الحَافِظُ مُوسَى فِي اللَّيْلة الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ وَقَرَأَ فِي كُل لَيْلَة خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ وَيَخْتِمُ اللَّيْلة الآتِيَة الَّتِي هِيَ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ.

وَتَقَرَّرَ الحَافِظُ بَهَاءُ الدِّين لِلخَتْمِ فِي العَشْرِ الأَخِير.

المَقْصُود سَلاَمَةُ الحَضْرَة، وَبَيْنَمَا الحَافِظُ يَقْرَأُ القُرْآنَ لَيْلَةً فِي التَّرَاوِيحِ ظَهَرَ مَقَام وَسِيعٌ كَثِيرُ النُّورَانِيَّة كَأَنَّهُ كَانَ مَقَامُ الحَقِيقَة القُرْآنِيَّةِ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ الجَرَاءَةُ عَلَى ادِّعَاء ذَلِكَ، وَصَارَ مَعْلومًا أَنَّ الحَقِيقَةَ المُحَمَّدِيَّةَ ـــ عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّة ـــ إِجْمَال هَذَا المَقَام وَكَأَنَّهَا بَحْر كَبِير مُلِئَ فِي كُوزٍ، وَفِي هَذَا المَقَامِ تَفْصِيل الحَقِيقَة المُحَمَّدِيَّة وَلأَكْثَرِ الأَنْبِيَاء وَكُمَّل الأَوْلِيَاءِ نَصِيبٌ مِنْ بَعْضِ هَذَا المَقَامِ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادَاتِهِمْ وَلاَ يُدْرَى حُصُول نَصِيبٍ مِنْ تَمَامِ ذَلِكَ لِغَيْرِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم.

وَهَذَا الحَقِير أَيْضًا نَال مِنْهُ نَصِيبًا ـــ رزَقَنَا الله سُبْحَانَهُ نَصِيبًا كَاملاً مِنْهُ بِبَرَكَة التَّوَجُّه العَالِي ـــ وَذَلِكَ المَقَام لَمْ يَتَّضِحْ إِلَى الآنَ كَمَا يَنْبَغِي وَبَقِيَّة الأَحْوَال عَلَى الجَمْعِيَّة وَيُفْهَمُ فِي هَذَا الشَّهْر حُصُول بَرَكَة كَثِيرَة وَأَوْضَاع أَخِي مُحَمَّد سَعِيد طَيِّبَة وَأَوْقَاتُهُ مَصْرُوفَةٌ بِالجَمْعِيَّة وَالذِّكْر وَأَهْل البَلَد أَيْضًا يَحْضُرُون بِالذَّوْق التَّامِّ وَقَدْ حَفِظَ الفَقِيرُ إِلَى الآنَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ وَشَيْئًا فَوْقَهَا، وَيَحْفَظُ إِلَى يَوْمِ العِيدِ خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ تَخْمِينًا وَالعُبُودِيَّة.

العَرِيضَـــــةُ الثَّانِيَـــــةُ

عَرِيضَةُ أَقَل العَبِيد مُحَمَّد صَادق: أُنْهِيَ إِلى ذُرْوَة العرض أَنَّ أَحْوَال هَذه الحُدُود وَأَوْضَاعَهَا مُسْتَوْجَبَةٌ للشُّكْر، وَالمَطْلوبُ وَالمَسْئُول خَيْرِيَّةُ ذَلكَ الجَنَاب مَعَ جَمِيعِ الخُدَّامِ وَالأَصْحَاب، وَقَدْ حَصَلَ الابْتهَاجُ بِمُطَالعَة النَّمِيقَة الأَنِيقَة وَالصَّحِيفَة الشَّرِيفَة المُرْسَلة مَعَ إِسْمَاعِيل مَدَّ الله سُبْحَانَهُ ظلال عُطُوفَة حَضْرَة القِبْلة عَلى كَافَّة أَهْل الإِسْلاَمِ وَأَبْقَاهَا بِحُرْمَة النَّبيِّ وَآله الأَمْجَاد عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَيَا قِبْلتِي مَاذَا كَسَبَ مِنْ سُوء الأَحْوَال لاَ بضَاعَةَ لِي غَيْرُ الحَسْرَة وَالنَّدَامَة عَلى صُدُور سُوء الأَعْمَال وَتَضْيِيع الأَحْوَال الحَاصلة فِي المَاضِي وَالحَال وَالمُتَمَنِّي أَنْ لاَ تَفُوتَ لَحْظَةٌ وَلاَ سَاعَةٌ فِي خِلاَف رِضَائِه تَعَالى وَهُوَ لاَ يَتَيَسَّرُ إِلاَّ أَنْ يَمُدَّ خُدَّام ذَلكَ الجَنَاب وَيَأْخُذُوا بِيَدِي، (ع):

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مِنَ الكِرَام

للهِ المِنَّةُ عَلى نِعْمَة الاسْتقَامَة إِلى الآنَ عَلى طَرِيق أَمَرْتُمْ بِه وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْه فُتُورٌ بِيُمْنِ الدَّوْحَة الشَّرِيف بَلْ نَرْجُو التَّرَقِّيَ وَالتَّزَايُدَ يَوْمًا فَيَوْمًا وَتَنْعَقِدُ الصُّحْبَة بَعْدَ الفَجْر وَالظُّهْر وَالحَافظ بِهَا إِذَا فَرَغَ مِنَ التَّرَدُّدَات وَوَجَدَ الفُرْصَةَ يَشْتَغل بقرَاءَة القُرْآن، وَالفَقِيرُ مَقْبُوضٌ مَرَّةً وَمَبْسُوطٌ أُخْرَى، وَالقَبْضُ وَالبَسْط وَالتَّوَجُّه وَالذَّوْق وَالسُّكُون وَغَيْرُهَا تَتَعلقُ بالبَدَن فَقَطْ لاَ تَتَجَاوَزُهُ إِلى غَيْره وَاللطَائِف السِّتَّة لَيْسَتْ مُتَوَجِّهَةً وَلاَ عَامِلةً فَإِنْ كَانَتْ مُتَوَجِّهَة فَتَوَجُّهُهَا مثْل العلم الحُضُور عَيْنَهُ.

وَأَرَى التَّوَجُّه وَالذَّوْق وَأَمْثَالهمَا دَاخلة فِي الظِّلاَل لاَ أَجدُهَا مُجَاوِزهَا وَكَانَتْ اللطَائف أَوَّلاً مُخْتَلطَة بالبَدَن وَلَمْ يَكُنْ أَمْرٌ سِوَى البَدَن مَفْهُومًا فِي نَظَر البَصِيرَة كَمَا كَانَتْ عَرَضْتُهُ فِي الحُضُور المَوْفُور السُّرُور وَالآنَ أَجدُهَا مُمْتَازَة عَن البَدَن وَأَرَى ذَلكَ المَقَام مَقَام البَقَاء عَرَضَ أَيْضًا نَوْعٌ مِنَ الفَنَاء للطَّائف وَفُهِمَ أَنَّ الأَمْرَ لاَ يَتِمُّ بِدُون هَذَا الفَنَاء الذي يَكُونُ بَعْدَ البَقَاء مَقْبُوض مُنْذُ أَيَّام، وَمُعَامَلة السُّرُور قَليلة نَنْظُرُ مَاذَا يَظْهَرُ بَعْدَ ذَلكَ.

وَإِلى الآنَ لَمْ يَحْصُل التَّوَجُّه إِلى العَالَمِ وَحَيْثُ كَانَ عَرْضُ الأَحْوَال ضَرُورِيًّا تَجَاسَرْنَا بِتَحْرِير كَلمَات وَيَا قِبْلتِي أَرَى الحَضْرَ فِي المَنَامِ فِي كُل لَيْلة إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَد مِنْ ذَلكَ فَإِنَّ الزِّيَادَةَ دَاخلة فِي التَّكْليفَات الرَّسْمِيَّة وَالسَّلاَمُ وَالعُبُوديَّةُ.

العَرِيضَةُ الثَّالِثَةُ

عَرِيضَة أَقَل العَبِيد مُحَمَّد صَادِق: أُنْهِيَ إِلى مَوْقِف العَرْضَ أَنَّ هَذَا الحَقِيرَ كَانَ مَقْبُوضًا وَمَغْمُومًا مِنْ مُدَّة فَأَدْرَكَتْ العِنَايَة الإِلهِيَّة آخِرَ الأَمْرِ بِمَحْضِ التَّوَجُّه الأَقْدَس وَحَصَل بَسْطٌ عَظِيمٌ وَصَارَ مَعْلومًا فِي ذَلِكَ البَسْطِ أَنَّ الذِّكْرَ وَالتَّوَجُّهَ مَثَلاً كَانَا أَولاً مِنْ جَانِب هَذَا الشَّخْصِ وَالآنَ كُل شَيْء مِنْ جَانِبه تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَلاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي غَيْرَ قَابِلِيَّة لقَبُول مَا يَرِدُ مِنْ جَانِبه تَعَالى كَمِرْآة تَطْلعُ عَلَيْهَا الشَّمْس فَاحْتَرَقَ بِذَلِكَ الطُّلوعِ كُل ظُلمَة وَكُدُورَة فِي البَدَن وَاللطَائِف وَحَصَل لَهَا نُور وَبَرَكَة كَمَا يَنْبَغِي؛ فَانْشَرَحَ الصَّدْرُ وَاتَّسَعَ القَلبُ وَصَارَ البَدَن كَالنُّور مُضِيئًا أُلطَفْ مِنَ الرُّوحِ وَالسِّرِّ اللذَيْنِ كَانَا قَبْل ذَلِكَ، وَوَجَدَتْ التَّجَلي الأَكْمَل مِنْ بَيْنِ اللطَائِف لِلقَلب فَلمَّا نَظَرَتْ إِلى القَلب ظَهَرَ أَنَّ فِي القَلب قَلبًا آخَرَ وَالتَّجَلي لهُ، فَلمَا نَظَرَتْ إِلى قَلبِ القَلب ظَهَرَ أَنَّ فِي ذَلكَ القَلب قَلبًا آخَرَ وَهَكَذَا إِلى غَيْرِ النِّهَايَة فَلمْ يَظْهَرْ قَلبٌ بَسِيطٌ إِلاَّ وَفِيه قَلبٌ آخَرُ وَلكِنْ يَتَوَهَّمُ الآنَ أَنَّهُ انْتَهَى إِلى قَلب بَسِيط وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُتَّقِينَ وَعُلمَ أَنَّ الحَالاَت المُتَقَدِّمَةَ عَلى هَذه الحَالَة بِالنِّسْبَة إِلَيْهَا كَانَتْ كُلهَا تَكَلفَات صِرْفَةً، وَقَدْ كَانَ خَطَر لِي اسْم هَذَا المَقَام وَلكِنْ كَتَبْتُهُ تَحَامِيًا عَنْ سُوءِ الأَدَبِ فِيَا قِبْلتِي أَنَّ هَذه كُلهَا أَثَر يَسِير مِنْ آثَارِ التَّوَجُّه الأَطْهَر (شعر):

فَلوْ أَنَّ لِي فِي كُل مَنْبَت شَعْرَة ... لسَانًا أَبُثُّ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقَصِّرًا

وَالمَرْجُوّ سَلاَمَةُ الحَضْرَة، وَكَيْفَ أَكْتُبُ تَمَنِّيَ نَيْل مُلاَزمَة خُدَّامِ الجَنَاب ؟! وَكَيْفَ أَشْرَحُهُ وَالتَّصْوِير لَيْلاً وَنَهَار فِي كُل سَاعَة إِنَّهُ فِي أَيِّ وَقْت وَمَسْعُود فِي أَيِّ سَاعَة سَعْيُهُ حَصَل المَطْلبُ الأَعْلى وَالمَقْصُودُ الأَعَزُّ وَلاَ تَمَنِّيَ لِي غَيْرُ هَذَا التَّمَنِّي يَسَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذه الدَّوْلَةَ العُظْمَى بِأَحْسَن الوُجُوه وَأَوْفَق الطُّرُق بِحُرْمَة النَّبِيِّ وَآله الأَمْجَادِ عَليْه وَعَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلوَاتِ أَتَمُّهَا وَأَكْمَلهَا وَالعُبُودِيَّة.

المَكْتُوبُ الرَّابِعَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاثَمِائَة

إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ الجونفوري

فِي بَيَانِ تَحْرِيرِ مَذْهَبِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ(١) ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ فِي مَسْأَلَة وَحْدَة الوُجُود وَمَا هُوَ مُخْتَارُ حَضْرَةِ شَيْخِنَا سَلَمَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الذي جَعَلَ الإِمْكَانَ مِرْآةً للوُجُوب، وَصَيَّرَ العَدَمَ مَظْهَرًا للوُجُود. وَالوُجُوبُ وَالوُجُودُ وَإِنْ كَانَا صِفَتَيْ كَمَاله سُبْحَانَهُ فَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ جَمِيعِ الأَسْمَاء، وَالصِّفَات، وَوَرَاءَ الشُّئُون، وَالاعْتِبَارَات، وَوَرَاءَ الظُّهُور، وَالبُطُون، وَوَرَاءَ البُرُوز، وَالكُمُون، وَوَرَاءَ التَّجَلِّيَات(٢) وَالظُّهُورَات، وَوَرَاءَ المُشَاهَدَات(٣)، وَالمُكَاشَفَات(٤)، وَوَرَاءَ كُلِ مَحْسُوسٍ، وَمَعْقُول، وَوَرَاءَ كُلِ مَوْهُومٍ، وَمُتَخَيَّل.

---

١ ــ **محيي الدين ابن عربي:** الشيخ الأكبر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المرسي المعروف بابن عربي، حكيم، صوفي، متكلم، فقيه، مفسر، أديب، شاعر، مشارك في علوم أخرى، ولد في مرسية بالأندلس في رمضان، وانتقل إلى إشبيلية، وسمع من ابن بشكوال، ورحل إلى مصر والحجاز وبغداد والموصل وبلاد الروم، أنكر عليه أهل مصر آراءه؛ فعمل بعضهم على إراقة دمه، وحبس فسعى في خلاصه علي بن الفتح البجائي فنجا واستقر بدمشق وتوفي بها في ٢٢ ربيع الآخر سنة [٦٣٨هـ ــ ١٢٤٠م ، ودفن بسفح قاسيون.

(٢) ــ **التجلي:** ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب.(معجم مصطلحات الصوفية للكاشاني ص١٧٣)

(٣) ــ **المشاهدة:** لغة: المعاينة (لسان العرب / شهد) أما في اصطلاح الصوفية؛ فقد عرفها ابن عربي بأنها: رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وعرفها الكاشاني بأنها شهود الذات بارتفاع الحجاب مطلقا.، وذكر بأن صورته في البدايات: إعتقاد حضور الحق بذاته لكل شيئ، والإيمان بذلك؛ لقوله تعالى: " أو لم يكف بربك أنه على كل شيئ شهيد "، وفي المعاملات: إيقلن كون الأعمال كلها لوجه الله، وفي **الأخلاق:** تيقن أن الكمالات الخلقية كلها لله، **وفي الأصول:** تحقيق أن سيره كله ليس إلا إلى الله، وفي الله، وبالله، ووجهه مسلم لله إلى الله.،وفي الأودية: إدراك الحق بنور البصيرة المكحلة بنوره، **وفي الأحوال:** شهود تجليات أنوار الجمال، وخلوص الحب للجميل، **وفي الولايات:** كشف سبحات الجلال عن جمال الذات. انظر: ابن عربي: اصطلاحات الصوفية:٢٩١.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية:٣٤٧.

(٤) ــ المكاشفة لغة مصدر كاشف، والأصل فيها الكشف، وهو: رفع الشيئ عما يواريه، ويغطيه، يقال:

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ الوَرَاء، ثُمَّ وَرَاءَ الوَرَاء، ثُمَّ وَرَاءَ الوَرَاء، (شعر):

وَمَا أُبْديك منْ طَيْرِي عَلامَهْ وَأَضْحَى مثْل عَنْقَاءَ وَهَامَهْ
وَللعَنْقَاءِ بَيْنَ النَّاسِ إِسْمٌ وَلَيْسَتْ لاسْمِ طَيْرِيَ اسْتدَامَهْ

فَلا يَصِل حَمْدُ حَامد إلى جَنَاب قُدُسِ ذَاته؛ بَل مُنْتَهي جَمِيعِ المَحَامِدِ دُونَ سُرَادقَات عزَّته؛ فَهُوَ الذي أَثْنَي عَلَى نَفْسه، وَحَمدَ ذَاتَهُ بذَاته.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ الحَامدُ والمَحْمُودُ، وَمَا سوَاهُ عَاجزٌ عَنْ أَدَاءِ الحَمْد المَقْصُود، وَقَدْ عَجزَ عَنْ حَمْده سُبْحَانَهُ مَنْ هُوَ حَامل لوَاء الحَمْد يَوْمَ القيَامَة، تَحْتَهُ آدَمُ، وَمَنْ دُونَهُ، وَهُوَ أَفْضَل البَرَايَا، وَأَكْملهُمْ ظُهُورًا، وَأَقْرَبُهُمْ مَنْزلَةً، وَأَجْمَعُهُمْ كَمَالاً، وَأَشْملهُمْ جمَالاً، وَأَتَمُّهُمْ بَدْرًا، وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا، وَأَعْظَمُهُمْ أُبَّهَةً وَشَرَفًا، وَأَقْوَمُهُمْ دينًا، وَأَعْدَلُهُمْ ملةً، وَأَكْرَمُهُمْ حَسَبًا، وَأَشْرَفُهُمْ نَسَبًا، وَأَعْرَفُهُمْ بَيْتًا.

لوْلاهُ لَمَا خَلقَ اللهُ سُبْحَانَهُ الخَلقَ، وَلَمَا أَظْهَرَ الرُّبُوبيَّةَ. وَكَانَ نَبيًّا وَآدَمُ بَيْنَ المَاء وَالطِّين، وَإذَا كَانَ يَوْمُ القيَامَة كَانَ هُوَ إمَامَ النَّبيِّينَ، وَخَطيبَهُمْ، وَصَاحبَ شَفَاعَتهمُ الذي قَال: " نَحْنُ الآخرُونَ، وَنَحْنُ السَّابقُونَ يَوْمَ القيَامَة، وَإنِّي قَائلٌ قَوْلا غَيْرَ فَخْر، وَأَنَا حَبيبُ الله، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبيِّينَ، وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّل النَّاسِ خُرُوجًا إذَا بُعثُوا، وَأَنَا قَائدُهُمْ إذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطيبُهُمْ إذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا مُسْتَشْفعُهُمْ إذَا حُبسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرهُمْ إذَا يَئسُوا، وَالمَفَاتيحُ يَوْمَئذ بيَدَيَّ "(١).

كشف فلان الأمر يكشفه كشفا: أى أظهره، انظر: ابن منظور: لسان العرب: كشف.، والمراد بالمكاشفة عند الصوفية: شهود الأعيان وما فيها من الأحوال في عين الحق؛ فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية.، وذكر الكاشاني: أن صورتها في **البدايات**: الإيمان بحقائق الأسماء الإلهية، وفي **الأبواب**: إنفعال القو النفسانية عن معاني الأسماء الإلهية، **وفي المعاملات**: التهدي للعمل بمقتضاها،وإجابة دواعيها.، **وفي الأخلاق**: الوقوف على كيفية التخلق بالأخلاق الإلهية.، **وفي الأصول**: الشعور بأنوار التجليات الإلهية الباعثة على السلوك المطلقة على شهود التجليات الأسمائية.، **وفي الأحوال**: تلألؤ لأنوار الوجود الأسمائية المهيجة للمحبة الصادقة الجاذبة للسالك إلى حضرة العندية.، **وفي الولايات**: إنكشاف الحجب بصفاء صفات السالك فيها..، انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية:٣٤٦

(١) ـــ أوله أخرجه البخاري: ك:التوحيد: ب: قول الله تعالى: " يريدون أن يبدلوا كلام الله " ح ٧٠٧٥ عن أبي هريرة ﷺ بلفظ " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة "، وبقيته أخرجه الدارمي في سننه: ح ٤٨، عن أنس بن مالك ﷺ، وعزاه السيوطي لابن مردويه عن أنس (الدر المنثور جـ٨ تفسير سورة الإنسان، تفسير قوله تعالى " إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤ منثورا.... ")

در قافله كه اوست دانم نرسم   اين بسكه رسدز دور بانك جرسم

تَرْجَمَةٌ:

كَيْفَ اللحَاقُ بِرَكْبٍ وَهْوَ قَائِدُهُمْ   يَا نعْمَ إنْ جَاءَ منْ بَعْد صَدٌّ جَرْسُهُ

صَلَوَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَتَسْليمَاتُهُ تَعَالى، وَتَحيَّاتُهُ عَزَّ شَأْنُه، وَبَرَكَاتُهُ جَل بُرْهَانُهُ عَلَيْه، وَعَلى جَميعِ إخْوَانه منَ النَّبيِّينَ، وَالْمُرْسَلينَ، وَالْمَلائكَة الْمُقَرَّبينَ، وَعَلى أَهْل الطَّاعَة أَجْمَعينَ، صَلاةً، وَسَلامًا، وَتَحيَّةً، وَبَركَةً، هُوَ لَها أَهْلٌ، وَهُمْ لَها أَهْلٌ؛ كُلمَا ذَكَرَهُ الذَّاكرُونَ، وَكُلمَا غفَل عَنْ ذكْره الغَافلونَ،

وَبَعْدَ الحَمْد، وَالصَّلَوَات وَتَبْليغِ الدَّعَوَات، وَإرْسَال التَّحيَّات.

لِيُعْلَمَ: أَنَّ الصَّحيفَةَ الشَّريفَةَ الْمُرْسَلَةَ إلى هَذَا الفَقير(١) بَلَغَهَا أَخي الأَعَزُّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ طَاهر فَطَابَ الوَقْتُ، وَحَصَلَ السُّرُورُ. وَحَيْثُ كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لحَقَائق أَرْبَاب الكَشْف(٢) وَالشُّهُود(٣)، وَمَعَارفهمْ زَادَت الفَرَحَ عَلى الفَرَحِ، جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ؛ فَصَارَ الفَقيرُ أَيْضًا بَاعثًا عَلى التَّصْديعِ بإيرَاد كَلمَات في البَيْنِ منْ أَذْوَاق(٤) هَذه الطَّائفَة العَليَّة، وَمَذَاقهمْ، عَلى وَفْق مَا في صَحيفَتكُمْ.

أَيُّهَا الْمَخْدُومُ: إنَّ منَ الْمَعْلوم أَنَّ الوُجُودَ مَبْدَأُ كُل خَيْر وَكَمَال، وَالعَدَمَ مَنْشَأُ كُل نَقْصٍ وَشَرٍّ وَزَوَال؛ فَيَكُونُ الوُجُودُ ثَابتًا للوَاجب. وَالعَدَمُ يَكُونُ نَصيبَ

---

(١) ــ **الفقير**: يعني بذلك نفسه؛ فالصوفية يطلقون على أنفسهم لفظ " الفقراء" لكي يروا دائماً جميع أعمالهم وأحوالهم امتنانا وفضلا من الله عز وجل.، والفقر لغة: نقيض الغنى (ينظر لسان العرب / فقر)، وأما في اصطلاح أهل التصوف؛ فقد قال الكاشاني، بأن أصله: " **الرجوع إلى العدم الأصلي، حتى يرى العبد وجوده وعمله وحاله ومقامه، كلها فضلا من الله وامتنانا محضا.، وذكر له صورا متعددة؛ فصورته في الأبواب: تجريد النفس من التعلق بالدنيا والميل إليها، وفي الأخلاق: الشكر عند وجود الدنيا وعدمها، والمواساة بما رزق منها.، وفي الأحوال: رؤية نفسه ملك الحق بتصرف فيها كيف يشاء** ". انظر: الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ٢٧٩، ٢٨٠، وعرفه ابن العلاء: " بأن لا يكون لك، فإذا كان لك فلا يكون لك حتى تؤثر، انظر: السهروردي عوارف المعارف: ٣٤٣

(٢) ــ راجع تعريف المكاشفة ص.

(٣) ــ عرفه الكاشاني في معجمه فقال: هو رؤية الحق بالحق. ا.هــ.، انظر:الكاشاني:معجم اصطلاحات الصوفية:١٧١.

(٤) ــ الذوق: هوأول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي.، كذا عرفه الكاشاني.، وقال السهروردي: الذوق إيمان. ا. هــ.، وعرفه ابن العربي بأنه: أول مباديء التجليات الإلهية.،انظر: الكاشاني:معجم اصطلاحات الصوفية:١٨١، السهروردي: عوارف المعارف: ٣٦٩.

الُمْكنِ؛ حَتَّى يَكُونَ جَمِيعُ الخَيْرِ وَالكَمَال عَائدًا إِلَيْهِ تَعَالى، وَكُل نَقْصٍ وَشَرٌّ رَاجِعًا إِلى الُمْكنِ.

وَإِثْبَاتُ الوُجُود للمُمْكنِ، وَإِرْجَاعُ الخَيْرِ وَالكَمَال إِلَيْهِ إِشْرَاكُهُ فِي الحَقِيقَةِ بِهِ سُبْحَانَهُ فِي ملكه وَمُلكُهُ جَل سُلطَانُهُ.

وَكَذَلكَ القَوْل بعَيْنيَّة الُمْكن للوَاجب تَعَالى شَأْنُهُ، وَجَعْل صفَاته وَأَفْعَاله عَيْنَ صفَاته وَأَفْعَاله سُبْحَانَهُ إِسَاءَةُ أَدَب، وَإِلحَادٌ فِي أَسْمَائه وَصفَاته تَعَالى، وَأَيْنَ المَجَال للكَنَّاسِ الخَسِيسِ الُمتَّسمِ بالنَّقْصِ، وَالخُبْثِ الذَّاتِيِّ أَنْ يَتَصَوَّرَ نَفْسَهُ عَيْنَ سُلطَانٍ ذِي شَأْن مَنْشَإِ كُل خيْرَات وَكَمَالات؟!

وَيَتَوَهَّمَ صفَاته وَأَفْعَالهُ الذَّميمَةً عَيْنَ صفَاته وَأَفْعَاله الجَميلة.

وَعُلمَاءُ الظَّاهرِ أَثْبَتُوا للمُمْكنِ(١) وُجُودًا، وَجَعَلوا وُجُودَ الوَاجِبِ(٢) تَعَالى وَوُجُودَ الُمْكن منْ أَفْرَاد مُطْلقِ الوُجُود.

وَغَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّهُمْ قَالوا بأَقْدَميَّة وُجُود الوَاجب، وَأَوْلويَّته بنَاءً عَلى قَضيَّة التَّشْكِيكِ(٣)، وَهَذَا المَعْنَى مُوجِبٌ لتَشْرِيكِ الُمْكنِ للوَاجبِ تَعَالى فِي الكَمَالاتِ

---

(١) ــ قال الغزالي في تعريف الممكن: هو ما يجوز أن يوجد، ويجوز أن لا يوجد.، وقال ابن سينا: هو الذي متى فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال، والممكن الوجود: هو الذي لا ضرورة فيه بوجه، أي: لا في وجوده ولا في عدمه.، انظر: المعجم الفلسفي:١٦٨.

(٢) ــ **الواجب**: يطلق عند الفلاسفة ويراد به الله تعالى.، انظر: المعجم الفلسفي:١٨٢.

(٣) ــ **التشكيك**: عند الفلاسفة والمتكلمين يعني: إتفاق من وجه واختلاف من وجوه.، وهو على أنواع:

تشكيك بالنسبة:وه يدل على صفة في كثيرين،أحدهم حد أصيل حاصل عليها بالمطابقة،والآخرون منسوبون إليها لعلاقة ما، كقولنا: هواء صحي، وغذاء صحي، ومترل صحي،وما إلى ذلك مما هو علة او وسيلة أو أثر للصحةالتي هي للحيوان بالمطابقة، وداخلة في تعريف سائر الحدود الثانوية.

تشكيك بالتناسب: وهو يدل على مشاركة حقيقية من كثيرين مختلفين بالماهية في صفة ما، ولكن لاختلافهم بالماهية تجيئ المشاركة في الصفة مختلفة في كل نوع منهم، من حيث أن الصفة يجب أن تكون في الموجود على قدره، وتبعا لماهيته، كما لو أطلقنا لفظ العارف على الله وعلى الإنسان والحيوان، فلا شك أن المعرفة في كل على حسب ماهيته لا على نحو واحد.

تشكيك بالأولوية: وهو إختلاف الأفراد في الأولوية وعدمها كالوجود فإنه في الواجب أتم وأثبت وأقوى عنه في الممكن.

وَالفَضَائِل النَّاشئَة منَ الوُجُود ـــ تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا ـــ وَقَدْ وَرَدَ في الحَديث القُدُسيِّ: " الكبْرِيَاءُ رِدَائي، وَالعَظَمَةُ إزَاري "(١) فَلوْ كَانَ لعُلمَاء الظَّاهر تَنَبُّهٌ لهَذَا المَعْنَى لَمَا أَثْبَتُوا للمُمْكنِ وُجُودًا أَصْلا، وَلَمَا أَعْطَوْا لهُ الخَيْرَ وَالكَمَال اللذَيْن هُمَا مُخْتَصَّان به سُبْحَانَهُ بِاعْتِبَارِ اخْتِصَاصِ الوُجُودِ بِهِ تَعَالى ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسينَا أَو أَخْطَأْنَا﴾(٢).

وأَكْثَرُ الصُّوفيَّة ـــ خُصُوصًا المُتَأَخِّرِينَ منْهُمْ ـــ يَعْتَقدُونَ أَنَّ المُمْكنَ عَيْنُ الوَاجبِ تَعَالى، وَيَزْعُمُونَ صِفَاتِه وَأَفْعَالهُ عَيْنَ صِفَاتِه وَأَفْعَاله تَعَالى، وَيَقُولونَ [رباعي]:

همسايه وهمنشين وَهَمْره هَمّه اوست   درداق كداواطلس شه همه اوست
درانجمن فرق وهان خانهء جمع   بِاللهِ همه اوست ثم بِاللهِ همه اوست

تَرْجَمَةٌ:

الجَارُ والصَّحْبُ وَالرُّكْبَانُ كُلهُ هُوْ   فِي كُسْوَةِ الفَقْرِ وَالسُّلطَانُ كُلهُ هُوْ
فِي جَلوَةِ الفَرْقِ أَوْ فِي خَلوَةِ الجَمْعِ هُوْ   بِاللهِ كُلهُ هُوْ وَاللهُ كُلهُ هُوْ

وَهَؤُلاءِ الأَكَابرُ: وَإنْ تَنَزَّهُوا، وَتَخَلصُوا عَنِ الإشْرَاكِ فِي الوُجُودِ، وَهَرَبُوا مِنَ الإثْنينيَّة(٣)؛ وَلكنَّهُمْ وَجَدُوا غَيْرَ الوُجُود، وَاعْتَقَدُوا النَّقَائصَ كَمَالات، وَقَالوا: " لاَ شَيْءَ مِنَ النَّقْصِ وَالشَّرِّ الذَّاتِيَّيْنِ أَصْلا، وَإنْ كَانَ فَنسْبِيٌّ، وَإضَافِيٌّ.

تشكيك بالتقدم والتأخر: وهو أن يكون حصول معناه في بعضها متقدما على حصوله في البعض، كالوجود أيضا؛ فإن حصوله في الواجب قبل حصوله في الممكن.

تشكيك بالشدة والضعف: وهو أن يكون حصول معناه في بعضها أشد من البعض كالوجود أيضا؛ فإنه في الواجب أشد من الممكن. انظر المعجم الفلسفي: ٤٢.

(١) المسند للإمام أحمد: جـ٢ مسند أبي هريرة، سنن أبي داود، ك: اللباس، ب: ما جاء في الكبر ح ٤٠٩٠.عن أبي هريرة ﷺ، سنن ابن ماجه ك ك: الزهد، ب: البراءة من الكبر والتواضع.، ح ٤١٧٤.عن أبي هريرة ﷺ، والحديث صححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٦٠٣٣.

(٢) البقرة: ٢٨٦

(٣) ـــ **الإثنينية**: مذهب يقول بمبدأين يدبران العالم، أو يدبره احدهما ويفسده الآخر.، وعرفها التهانوي في كشافه فقال: "هي كون الطبيعة ذات وحدتين، ويقابلها كون الطبيعة ذات وحدة واحدة أو وحدات."

ويرجع هذا المذهب إلى أوائل عهد الفلسفة، قال أنكساغوراس: إن المادة كانت مختلطة مضطربة فنظمها العقل أى الإله العاقل.، وقال أفلاطون مثل ذلك.، والمانويون ثنائيون،لكن الفرق عندهم بين المبدأين ليس الفرق بين العقل وعدم العقل، وإنما هو الفرق بين الخير والشر، وكلهم يأبون التسليم بحدوث

فَالسُّمُّ القَاتل: فيه شَرٌّ وَقُبْحٌ بالنِّسْبَة إلى الإنْسَان مَثَلا؛ لِكَوْنه مُزيلا لحَيَاته.

وَأَمَّا بالنِّسْبَة إلى الحَيَوان الذي فيه سُمٌّ؛ فَمَاءُ الحَيَاة، وَالتِّرْيَاقُ النَّافعُ.

وَمُقْتَدَاهُمْ فِي هَذَا الأَمْرِ، وَمُسْتَنَدُهُمْ فِي الكَشْفِ وَالشُّهُود؛ فَإِنَّهُمْ وَجَدُوا علـــى قَدْرِ مَا ظَهَرَ لَهُمْ منْ عَالمِ الغَيْب.

اللهُمَّ أَرِنَا حَقَائِقَ الأَشْيَاء كَمَا هيَ، وَهَا نَحْنُ نُبَيِّنُ أَوَّلا مَذْهَبَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ العَرَبيِّ ـــ قُدِّسَ سِرُّهُ ـــ؛ فَإِنَّهُ إِمَامُ مُتَأَخِّرِي الصُّوفِيَّة، وَمُقْتَدَاهُمْ فِي هَذه المَسْأَلة.

ثُمَّ نُحَرِّرُ مَا ظَهَرَ لنَا فِي هَذَا البَاب وَانْكَشَفَ؛ لِيَحْصُلَ الفَرْقُ بَيْنَ المَذْهَبَيْنِ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ، وَلا يَخْتَلطَ أَحَدُهُمَا بالآخَر منَ الدِّقَّة.

قَال الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ العَرَبيِّ وَأَتْبَاعُهُ: " إِنَّ أَسْمَاءَ الوَاجب وَصـــفَاته ـــ جَل وَعَلا ـــ عَيْنُ ذَات الوَاجب سُبْحَانَهُ وَكَذَلكَ بَعْضُهَا عَيْنُ بَعْضِ الآخَر.

مَثَلا: العلمُ وَالقُدْرَةُ: كَمَا أَنَّهُمَا عَيْنُ ذَاته تَعَالى، كَذَلكَ كُل منْهُمَا عَيْنُ الآخَر أَيْضًا، فَلا يَكُونُ فِي ذَلكَ المَوْطنِ اسْمُ التَّعَدُّد وَالتَّكَثُّر وَرَسْمُهُ أَصْلا، وَلا التَّمَايُزُ وَالتَّبَايُنُ قَطْعًا ".

غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّ تلكَ الأَسْمَاءَ وَالصِّفَات وَالشُّـــئُونَ وَالاعْتبَـــارَات ـــ: حَصَلَ لَهَا التَّمَايُزُ وَالتَّبَايُنُ في حَضْرَة العلمِ إِجْمَالا وَتَفْصيلا.

فَإِنْ كَانَ التَّمَايُزُ إِجْمَاليًّا يُعبَّرُ عَنْهُ بالتَّعَيُّنِ(١) الأَوَّل، وَإِنْ كَانَ تَفْصيليًّا يُسَمِّيَ بالتَّعَيُّنِ الثَّاني، وَيُسَمُّوْنَ الأَوَّل وَحْدَةً، وَيَرَوْنَهُ الحَقيقَةَ المُحَمَّديَّةَ، وَيَقُولونَ للتَّعَيُّنِ الثَّاني وَاحديَّةً(٢)، وَيَظُنُّونَ حَقَائقَ سَائرِ المُمْكنَات، وَيُسَمُّونَ حَقَائقَ المُمكّنَات أَعْيَانًا ثَابتَةً، وَيُثْبتُونَ هَذَيْن التَّعَيُّنَيْنِ العلميَّيْنِ فِي مَرْتَبَة الوُجُوب، وَيَقُولونَ: " إِنَّ تلكَ الأَعْيَانَ مَا شَمَّتْ رَائحَةً منَ الوُجُود الخَارجيِّ، وَلا مَوْجُودَ فِي الخَارجِ غَيْرُ الأَحَديَّة المُجَرَّدَة أَصْلا، وَهَذه الكَثْرَةُ التي تُرَى فِي الخَارجِ، إِنَّمَا هِيَ عَكْسُ تلكَ الأَعْيَانِ

الناقص عن الكامل، ويفضلون اشتراك مبدأين،لكل منهما معلولات من جنســه. انظــر: المعجــم الفلسفي: ٣، زكي نجيب محمود: الموسوعة الفلسفية المختصرة:١٢٣.

(١) ـــ **التعين:** هو ما بــه امتيــاز الشــيئ عــن غــيره، بحيــث لا يشــاركه فيــه غــيره.انظــر: الجرجاني:التعريفات:٨٧.

(٢) ـــ **الواحدية:** إعتبار الذات من حيث انتشــاء الاسمــاء منــها، وواحديتــها بهــا مــع تكثرهــا بالصفات.الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ٧٣.

الثَّابِتَة، انْعَكَسَتْ فِي مِرْآة ظَاهِرِ الوُجُود(١) الذي لاَ مَوْجُودَ فِي الخَارِجِ غَيْرُهُ، وَعَرَضَ لَهَا الوُجُودُ التَّخَيُّلِيُّ(٢)؛ كَمَا أَنَّ صُورَةَ شَخْصٍ إِذَا انْعَكَسَتْ فِي المِرْآةِ يَعْرِضُ لَهَا وُجُودٌ تَخَيُّلِيٌّ فِي المِرْآة ":

وَهَذِهِ الصُّورَةُ المُنْعَكِسَةُ لَيْسَ لَهَا وُجُودٌ إِلا فِي التَّخَيُّلِ، وَلَمْ يَتَحَلل فِي المرآة، وَلَمْ يَنْتَقِشْ فِي وَجْهِهَا شَيْءٌ أَصْلا.

فَإِنْ كَانَ الانْتِقَاشُ، فَهُوَ فِي التَّخَيُّلِ؛ حَيْثُ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ فِي وَجْهِ المِرْآة، وَحَيْثُ كَانَ هَذَا المُتَخَيَّلُ المُتَوَهَّمُ صُنْعَ الحَقِّ ــ جَل سُلْطَانُهُ ــ الذي لَهُ إِتْقَانٌ تَامٌّ، لاَ يَرْتَفِعُ بِرَفْعِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الثَّوَابُ وَالعَذَابُ الأَبَدِيَّان.

وَهَذِهِ الكَثْرَةُ المَوْهُومَةُ المُتَخَيَّلَةُ فِي الخَارِجِ مُنْقَسِمَةٌ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

القِسْمُ الأَوَّل: التَّعَيُّنُ الرُّوحِيُّ.

- وَالثَّانِي: التَّعَيُّنُ المِثَالِيُّ.
- وَالثَّالِثُ: التَّعَيُّنُ الجَسَدِيُّ، وَلَهُ تَعَلقٌ بِالشَّهَادَة.

وَيَقُولُونَ لِهَذِهِ التَعَيُّنَاتِ الثَّلاثَةِ: تَعَيُّنَاتٌ خَارِجِيَّةٌ، وَيُثْبِتُونَهَا فِي مَرْتَبَةِ الإِمْكَانِ.

وَالتَّنَزُّلاتُ الخَمْسَةُ: عِبَارَةٌ عَنْ هَذِهِ التَعَيُّنَاتِ الخَمْسَةِ، وَيَقُولُونَ لِهَذِهِ التَّنَزُّلاتِ الخَمْسَةِ: "الحَضَرَاتُ الخَمْسُ(٣)".

---

(١) ــ **مرآة الوجود:** هي التعينات المنسوبة إلى الشئون الباطنة التي صورها الأكوان؛ فإن الشئون باطنة، والوجود المتعين بتعيناتها ظاهر، فمن هذا الوجه كانت الشئون مرايا للوجود الواحد المتعين بصورها. الكاشاني: ١٠٢.

(٢) ــ الوجود التخيلي: هو وجود الخيال في عالم الطبيعة، ويمثلون له بقصة الجوهري وما كان من أمره أنه: " خرج بالعجين من بيته إلى الفرن وكانت عليه جنابة فجاء إلى شط النيل ليغتسل، فرأى ــ وهو في الماء ــ مثل ما يرى النائم كأنه في بغداد وقد تزوج وأقام مع المراة ست سنين، وأولدها أولادا غاب عني عددهم، ثم رد إلى نفسه وهو في الماء، ففرغ من غسله وخرج ولبس ثيابه وجاء إلى الفرن وأخذ الخبز، وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره في واقعته، فلما كان بعد أشهر، جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في الواقعة، تسأل عن داره، فلما اجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما أنكرهم، وقيل له متى تزوج؟ فقال: منذ ست سنين، وهؤلاء أولادها مني. فخرج بالحس ووقع في الخيال. ابن عربي: الفتوحات المكية: /٨٢

(٣) ــ انظر: الكاشاني: رشح الذلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال: ٥٢

وَلَمَّا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فِي العِلمِ، وَلا فِي الخَارِجِ؛ غَيْرُ ذَات الوَاجِب تَعَالى، وَغَيْرُ صِفَاته أَسْمَائه ــ جَل سُلطَانُهُ ــ التِي هِيَ عَيْنُ ذَاته ــ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ــ وَتَوَهَّمُوا أَنَّ الصُّورَةَ العَلَميَّةَ عَيْنُ تلكَ الصُّورَة، لاَ شَبَحُهَا وَمثَالُهَا، وَكَذَلكَ تَصَوَّرُوا صُورَةَ الأَعْيَان الثَّابتَة التي صَارَتْ مُنْعَكسَةً في مرْآة ظَاهرِ الوُجُودِ عَيْنَ تلكَ الأَعْيَان لاَ شَبَحُهَا، حَكَمُوا بالاتِّحَاد(١) ضَرُورَةً، وَقَالوا: " الكُل هُوَ ".

هَذَا هُوَ بَيَانُ مَذْهَب الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّين بْنِ العَرَبِيِّ فِي مَسْأَلة وَحْدَة الوُجُودِ عَلى وَجْه الإِجْمَال، وَهَذه العُلومُ، وَأَمْثَالهَا هِيَ التِي يَزْعُمُهَا الشَّيْخُ مَخْصُوصَةً بِخَاتَمِ الوِلايَةِ(٢) وَيَقُول: " إِنَّ خَاتَمَ النُّبُوَّة يَأْخُذُ هَذهِ العُلومِ مِنْ خَاتَمِ الوِلايَةِ "

وَلشُرَّاحِ الفُصُوصِ تَكَلفَاتٌ فِي تَوْجِيهِ هَذَا الكَلامِ.

وَبالجُمْلة: لمْ يَتَكَلمْ أَحَدٌ منْ هَذه الطَّائفَة بهَذه العُلومِ وَالأَسْرَارِ قَبْل الشَّيْخِ أَصْلاً، وَلمْ يُبيِّنْ هَذَا الحَديثُ عَلى هَذَا النَّهْجِ قَطْعًا، وَإِنْ ظَهَرَ منْهَا كَلمَاتٌ مُشْعِرَةٌ بِالتَّوْحِيدِ(٣) وَالاتِّحَادِ فِي غَلبَاتِ السُّكْرِ(١)، وَقَالوا: " أَنَا الحَقُّ سُبْحَانِي "،

---

(١) ــ **الإتحاد**: هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق، فيتحد به من حيث كون كل شيئ موجودا به معدوما بنفسه، لا من حيث أن له وجودا خاصا اتحد به فإنه محال. انظر: الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ٤٩، رشح الزلال: ٢٣٧.، المعجم الفلسفي: ١.

(٢) ــ المراد بالخاتم عند الصوفية: الذي قطع المقامات بأسرها، وبلغ نهاية الكمال، وخاتم الولاية عندهم هو الذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة نهاية الكمال، ويختل بموته نظام العالم، وهو المهدي الموعود في آخر الزمان. الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ١٧٨.، و يرى الحكيم الترمذي أن للنبوة ختم وللأنبياء خاتم، وللولاية ختم وللأولياء خاتم، وختم النبوة هو بمثابة المركز الذي تدور حوله النبوة والمبدأ الذي تصدر عنه، والغاية التي تتحقق فيه كمالاتها، فخاتم الانبياء ليس فقط هو آخر الأنبياء، مبعثا أ و ظهورا، بل هو أسماهم مقاما وأرفعهم ذكرا أوأبعدهم صوتاً، وكذلك الشأن بالنسبة للولاية والأولياء.، ويرى كذلك أن من يختصه الله عز وجل بختم الولاية يكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأولياء، كما أن النبي ﷺ يكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأنبياء؛ لأنه اختصه الله بختم النبوة. الحكيم الترمذي: كتاب ختم الأولياء: ٣٤٤،١١٢.، بتحقيق: عثمان إسماعيل يحي.

(٣) ــ **التوحيد في اللغة**: هو الإيمان بالله وحده لا شريك له. (لسان العرب / وحد.).

أما عند الصوفية: فهو شهادة المؤمن يقينا أن الله تعالى هو الأول في كل شيئ، وأقرب من كل شيئ، وهو المعطي المانع، لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع إلا هو.، وذكر الكاشاني: أن صورته في **البدايات**: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم بلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد.

وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُبَيِّنُوا وَجْهَ الاتِّحَادِ، وَلَمْ يَجِدُوا مَنْشَأَ التَّوْحِيدِ؛ فَصَارَ الشَّيْخُ بُرْهَانَ مُتَقَدِّمِ هَؤُلاءِ الطَّائِفَةِ، وَحُجَّةَ مُتَأَخِّرِيهِمْ.

وَمَعَ ذَلِكَ: بَقِيَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ دَقَائِقُ كَثِيرَةٌ مُخْتَفِيَةٌ، وَمَا جَاءَتِ الأَسْرَارُ الغَامِضَةُ مِنْ هَذَا البَابِ فِي مَنَصَّةِ الظُّهُورِ، فَوُفِّقَ هَذَا الفَقِيرُ بِإِظْهَارِهَا، وَبُشِّرَ بِتَحْرِيرِهَا ﴿وَاللَّهُ يُحِقُّ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾(٢).

أَيُّهَا المَخْدُومُ: إِنَّ صِفَاتِ الوَاجِبِ ـ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ـ الثَّمَانِيَةَ الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِجِ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ ـ شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ ـ تَكُونُ مُتَمَيِّزَةً عَنْ ذَاتِهِ ـ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ـ فِي الخَارِجِ بِالضَّرُورَةِ تَمَيُّزًا لاَ كَيْفِيًّا، وَلا مِثْلِيًّا.

وَكَذَلِكَ بَعْضُ تِلْكَ الصِّفَاتِ مُتَمَيِّزٌ عَنْ بَعْضٍ آخَرَ مِنْهَا بِتَمَيُّزٍ لاَ كَيْفِيٍّ؛ بَلِ التَّمَيُّزُ اللا كَيْفِيُّ ثَابِتٌ أَيْضًا فِي مَرْتَبَةِ الذَّاتِ ـ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ ـ؛ لأَنَّهُ الوَاسِعُ بِالوُسْعِ المَجْهُولِ الكَيْفِيَّةِ، وَالتَّمَيُّزُ الَّذِي يَحْصُلُ فِي حَوْصَلَةِ فَهْمِنَا وَإِدْرَاكِنَا مَسْلُوبٌ عَنْ جَنَابِ قُدُسِهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ التَّجَزِّيَ وَالتَّبَعُّضَ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فِيهِ، وَالتَّحَلُّلَ وَالتَّرَكُّبَ لاَ سَبِيلَ لَهُمَا إِلَى تِلْكَ الحَضْرَةِ جَلَّ سُلْطَانُهَا، وَلا مَجَالَ هُنَاكَ لِلحَالِّيَّةِ وَالمَحَلِّيَّةِ.

وفي **الأبواب**: تصديق الجنان بهذا المعنى، بحيث لايخالجه شك ولا شبهة ولا حيرة.

وفي **المعاملات**: العمل بالأركان المبني على اليقين الوجداني، وإسقاط الأسباب، بحيث لا نزاع فيه للحق، ولاتعلق فيه بالشواهد، ولا يرى صاحبه لغير الحق تأثيرا ولا فعلا.

وفي الأخلاق: رؤية الملكات والهيئات ومصادر الأفعال كلها لله.

وفي **الأصول**:رؤية القصد والعزم والسير لله، وفي الله، وبالله.

وفي **الأحوال**: شهود الحب من الحق بالحق للحق ذوقاً.

وفي **الولايات**: الفناء عن رسوم الصفات في الحضرة الواحدية، وشهود الحق بأسمائه وصفاته لا غير.

الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية:٣٧٨، ٣٧٩.

(١) ـ **السكر**: لغة نقيض الصحو، والسكران خلاف الصاحي (لسان العرب / سكر).

أما عند الصوفية فهو: حيرة بين الفناء والوجود في مقام المحبة الواقعة بين أحكام الشهود والعلم، إذ الشهود يحكم بالفناء، والعلم يحكم بالوجود.، وله صور متعددة، فصورته في **الأبواب**: التردد بين الخوف والرجاء. وصورته في **المعاملات**: الحيرة بين رعاية الأعمال والأحوال.

وفي **الأخلاق**: سكر الإنبساط.، وفي **الأصول**: الحيرة بين أنوار القرب، والأنس، مع الجد في السلوك الدال على البعد والإستيحاش.، وفي **الأودية**: الحيرة بين الحكمة والقدرة.، وفي **الأحوال**: الحيرة بين التجلي والإستيثار.، وفي **الولايات**: السكر بين حسن الصفات وجمال الذات. الكاشاني:معجم إصطلاحات الصوفية:٣٥٦،٣٥٥.

(٢) ـ الآية: ٤ من سورة الأحزاب.

وَبِالجُمْلَةِ: كُل مَا هُوَ مِنْ صِفَات الْمُمْكِنِ وَلوَازِمه مَسْلوبٌ عَنْ ذَلكَ الجَنَاب الْمُقَدَّسِ {لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ}(١) لاَ في الذَّات، وَلا في الصِّفَات، وَلا في الأَفْعَال، وَمَعَ وُجُود هَذَا التَّمَيُّز اللامِثْلِيِّ وَالوُسْعَة اللا كَيْفِيَّة عَرَضَ للأَسْمَاء وَالصِّفَات تَفْصِيل وَتَمَيُّزٌ في مَوْطِنِ العلم أَيْضًا، وَصَارَتْ مُنْعَكِسَةً.

وَلكُل اسْمٍ وَصِفَة مُتَمَيِّزَة مُقَابِل وَنَقِيضٌ في مُرَتَّبَة العَدَمِ؛

مَثَلا: لصِفَة العلمِ مُقَابِلٌ وَنَقِيضٌ في مَرْتَبَة العَدَمِ، وَهُوَ عَدَمُ العلم الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالجَهْل، وَلصِفَة القُدْرَة مُقَابِل، هُوَ العَجْزُ الذي عَدَمُ القُدْرَة، عَلى هَذَا القِيَاسُ في بَقِيَّة الصِّفَات.

وَعَرَضَ لهَذه العَدَمَات الْمُقَابلة أَيْضًا تَفْصِيل وَتَمَيُّزٌ في عِلم الوَاجِبِ ــ جَل شَأْنُهُ ــ، وَصَارَتْ مَرَايَا الأَسْمَاء وَالصِّفَات الْمُتَقَابلة لهَا، وَكَانَتْ مَجَالي ظُهُور عُكُوسهَا، وَتلكَ العَدَمَاتُ مَعَ عُكُوسِ تلكَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات حَقَائِقُ الْمُمْكِنَات عِنْدَ الفَقِير.

غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّ تلكَ العَدَمَات كَأُصُول تلكَ الْمَاهِيَّات وَمَوَادِّهَا، وَتلكَ العُكُوسُ بِمَثَابَة الصُّوَر الحَالَة في تلكَ الْمَوَادِّ.

فَحَقَائِقُ الْمُمَكِّنَات عِنْدَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ: هِيَ تلكَ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ الْمُتَمَيِّزَةُ في مَرْتَبَة العلمِ.

وَعِنْدَ الفَقِير: حَقَائِقُ الْمُمَكِّنَات العَدَمَاتُ التي هِيَ نَقَائِضُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات، مَعَ عُكُوسِ تلكَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات التي ظَهَرَتْ في مَرَايَا تلكَ العَدَمَات في مَوْطِنِ العلم، وَامْتَزَجَتْ بهَا، وَمَتَى أَرَادَ الْمُخْتَارُ جَل سُلْطَانُهُ أَنْ يَجْعَل مَاهِيَّةً مِنْ تلكَ الْمَاهِيَّات الْمُمْتَزِجَة مُتَّصِفَةً بالوُجُود الظِّلِّيِّ الذي هُوَ ظِل مِنْ ظِلال حَضْرَة الوُجُود، وَأَنْ يَجْعَلهَا مَوْجُودَةً خَارِجِيَّةً ــ: يُلقِي إِلَيْهَا ظِلا مِنْ ظِلال حَضْرَة الوُجُود وَيُصَيِّرُهَا مَبْدًا للآثَار الخَارِجِيَّة، فَوُجُودُ الْمُمْكِنِ في العلمِ وَالخَارِجِ كَسَائِر صِفَاته ظِل مِنْ ظِلال حَضْرَة الوُجُود، وَمِنْ كَمَالاته التَّابِعَة لَهُ، مَثَلا: علمُ الْمُمْكِنِ ظِل مِنْ علمِ الوَاجِبِ ــ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ــ الذي انْعَكَسَ في مُقَابله، وَقُدْرَةُ الْمُمْكِنِ ظِل مِنَ القُدْرَة الْمُنْعَكِسَة في العَجْزِ الذي هُوَ مُقَابلهَا؛ فَكَذَلكَ وُجُودُ الْمُمْكِنِ ظِل مِنْ ظِلال حَضْرَة الوُجُودِ الذي انْعَكَسَ في مِرْآة العَدَمِ الذي هُوَ مُقَابلهُ، (شعر):

---

(١) ــ الشورى: ١١.

وَمَا جِئْتُ مِنْ ملكِي بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا وَهَبْتُ الذِي عِنْدِي وَذَاتِي وَأَوْصَافِي

وَلكنْ: ظِل شَيْءٍ لَيْسَ عَيْنَ شَيْءٍ عِنْدَ الفَقِيرِ؛ بَل شَبَحُ ذَلكَ الشَّيْءِ وَمِثَالُه، وَحَمْل أَحَدِهِمَا عَلى الآخَرِ مُمْتَنِعٌ.

فَعِنْدَ الفَقِيرِ: لَمْ يَكُنِ المُمْكِنُ عَيْنَ الوَاجِبِ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ المُمْكِنِ عَدَمٌ، وَالعَكْسُ الذِي انْعَكَسَ فِيهِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ شَبَحُ تِلكَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمِثَالُها، لاَ عَيْنُهَا؛ فَلاَ يَصِحُّ: «كُلهُ هُوَ»؛ بَل: «كُلهُ مِنْهُ»؛ لأَنَّ مَا هُوَ ذَاتِيٌّ(١) لِلمُمْكِنِ العَدَمُ الذِي هُوَ مَنْشَأٌ لِلشَّرِّ وَالنَّقْصِ وَالخَبَاثَة، وَكُل مَا هُوَ فِي المُمْكِنِ مِنْ جِنْسِ الكَمَالاتِ ـ مِنَ الوُجُودِ وَتَوَابِعِهِ ـ كُلهُ مُسْتَفَادٌ مِنْ تِلكَ الحَضْرَةِ جَل ـ سُلْطَانُهَا ـ، وَظِل مِنْ كَمَالاَتِهِ الذَّاتِيَّة ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ؛ فَيَكُونُ هُوَ سُبْحَانَهُ نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِالضَّرُورَةِ وَمَا وَرَاءَهُ تَعَالى يَكُونُ كُلهُ ظُلمَةً(٢)، كَيْفَ لا: وَالعَدَم فَوْقَ جَمِيعِ الظُّلمَاتِ؟!

وَتَحْقِيقُ هَذَا المَبْحَثِ مَسْطُورٌ فِي المَكْتُوبِ الذِي حُرِّرَ إِلى وَلدِي الأَعْظَم المَرْحُومِ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الوُجُودِ، وَتَحْقِيقِ مَاهِيَّاتِ المُمْكِنَات؛ فَليُطْلَبْ مِنْ هُنَاكَ.

فَالعَالَمُ بِأَسْرِهِ عِبَارَةٌ عِنْدَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ عَنِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ التِي عَرَضَ لَها تَمَيُّزٌ فِي مَرْتَبَةِ العَلمِ، وَظُهُورٌ فِي مِرْآةِ ظَاهِرِ الوُجُودِ.

عِنْدَ الفَقِيرِ: العَالَمُ عِبَارَةٌ عَنِ العَدَمَاتِ التِي انْعَكَسَتْ عَلَيْهَا أَسْمَاءُ الوَاجِبِ وَصِفَاتُهُ فِي مَوْطِنِ العِلمِ وَوُجِدَتْ تلكَ العَدَمَاتُ مَعَ تلكَ العُكُوسِ فِي الخَارِجِ بِإِيجَادِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بِوُجُودٍ ظِليٍّ؛ فَظَهَرَ فِي العَالَمِ الخَبَاثَةُ الذَّاتِيَّةُ، وَالشَّرُّ الجبلي، وَكَانَ الخَيْرُ وَالجَمَال كُلُه عَائِدًا إِلى جَانِبِ قُدْسِهِ ـ جَلَّ وَعَلا ـ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَة فَمِن اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾(٣) مُؤَيِّدٌ لِهَذِه المَعْرِفَةِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ المُلهِمُ.

فَعُلمَ مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ: أَنَّ العَالَمَ مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ ظِليٍّ؛ كَمَا أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ بِوُجُودٍ أَصْلِيٍّ؛ بَل بِذَاتِهِ.

---

(١) ـ الذاتي: هو ما يفتقر إليه الموضوع في ماهيته، ويكون داخلاً في ماهيته جزء منها. المعجم الفلسفي: ٧٨.

(٢) ـ قال الكاشاني: كل ظلمة هي عبارة عن عدم النور عما من شأنه أن يتنور، وقال: الظلمة بإزاء النور هو العدم. الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٨٤.

(٣) النساء: ٧٩.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ: أَنَّ هَذَا الخَارِجَ أَيْضًا ظِل ذَلِكَ الخَارِجِ، مِثْل الوُجُود وَالصِّفَات، فَلا يُمْكِنُ أَنْ يُقَال للعَالَم: " إِنَّهُ عَيْنُ الحَق جَل وَعَلا "، وَلا يَجُوزُ حَمْل أَحَدهمَا عَلى الآخَرِ؛ فَإِنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَال لظِل شَخصٍ: " إِنَّهُ عَيْنُ الشَّخْصِ "؛ لوُجُود التَّغَايُر بَيْنَهُمَا فِي الخَارِجِ؛ لأَنَّ الاثْنَيْنِ مُتَغَايِرَان.

فَإِنْ قَال شَخَصٌ لظِل شَخَص: إِنَّهُ عَيْنُ ذَلِكَ الشَّخْصِ.

إِنَّمَا يَقُول ذَلكَ عَلى سَبيل التَّسَامُحِ وَالتَّجوُّز، وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ المَبْحَث.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ الشَّيْخَ مُحْيِيَ الدِّينِ، وَتَوَابِعَهُ أَيْضًا يَقُولُونَ: " إِنَّ العَالَمَ ظِل الحَقِّ تَعَالى فَمَا يَكُونُ الفَرْقُ

قُلنَا: إِنَّهُمْ لاَ يَرَوْنَ وُجُودَ ذَلكَ الظِّل (١) فِي غَيْرِ الوَهْمِ، وَلا يُجَوِّزُونَ وُصُول رَائحَةً منَ الوُجُود الخَارِجيِّ إِليْه.

وَبالجُمْلة: إِنَّهُمْ يُعَبِّرُونَ عَنِ الكَثْرَة المَوْهُومَة بِظِل الوَحْدَة المَوْجُودَة، وَيَرَوْنَ المَوْجُودَ وَاحدًا فِي الخَارِجِ، شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا!!

فَصَارَ مَنْشَأُ حَمْل الظِّل عَلى الأَصْل وَعَدَمُ ذَلكَ الحَمْل هُوَ إِثْبَاتُ الوُجُود الخَارِجيِّ للظِّل وَعَدَمُ إِثْبَاته، وَهُمْ ــ لَمَّا لَمْ يُثْبِتُوا للظّل وُجُودًا خَارِجيًّا ــ حَمَلوهُ عَلى الأَصْل بالضَّرُورَة.

وَحَيْثُ يَرَى هَذَا الفَقيرُ الظِّل مَوْجُودًا فِي الخَارِجِ، لاَ يُبَادرُ إِلى الحَمْل، وَالفَقيرُ مُتَّفِقٌ مَعَهُمْ فِي نَفْيِ الوُجُود الأَصْليِّ عَنِ الظِّل، وَمُتَّفِقٌ أَيْضًا فِي إِثْبَات الوُجُود الظِّليِّ؛ وَلكنَّ هَذَا الفَقيرَ يُثْبتُ الوُجُودَ الظِّليَّ فِي الخَارِجِ، وَهُمْ يَظُنُّونَ الوُجُودَ الظِّليَّ فِي الوَهْمِ وَالتَّخَيُّل، وَلا يَقُولونَ بوُجُود مَوْجُود فِي الخَارِجِ غَيْرِ الأَحَديَّة المُجَرَّدَة، وَلا يُثْبِتُونَ الصِّفَات الثَّمَانيَةَ التِي ثَبَتَ وُجُودُهَا فِي الخَارِجِ عَلى آراء أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ــ فِي غَيْرِ مَوْطِنِ العِلم؛ فَوَقَعَ العُلَمَاءُ

---

(١) ــ الظل: هو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة، وأحكامها التي هي معدومات، ظهرت باسمه النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها فيستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلا لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه.، قال تعالى: " ألم تر إلى ربك كيف مد الظل " أي بسط الوجود الإضافي على الممكنات، فالظلمة بإزاء هذا النور هو العدم، وكل ظلمة فهو عبارة عن عدم النور عما من شاته أن يتنور؛ ولهذا سمي الكفر ظلمة؛ لعدم نور الإيمان عن قلب الإنسان الذي من شأنه أن يتنور به. الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفيئة: ١٨٤.

الظَّاهِرِيَّةُ وَهَؤُلاءِ الأَكَابِرُ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ — فِي طَرَفَيْ الاقْتِصَاد، وَكَانَ الحَقُّ المُتَوَسِّطُ نَصِيبَ هَذَا الفَقِير، وَوُفِّقَ بِه.

فَإِنْ عَرَفَ هَؤُلاءِ الأَكَابِرُ أَنَّ هَذَا الخَارِجَ ظِل ذَلِكَ الخَارِجِ لَمَا أَنْكَرُوا وُجُودَ العَالَمِ فِي الخَارِجِ، وَلَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى الوَهْمِ وَالخَيَال، وَلا أَنْكَرُوا أَيْضًا وُجُودَ صِفَات وَاجب الوُجُود فِي الخَارِج.

وَلَئِنْ تَنَبَّهَ العُلَمَاءُ أَيْضًا لَمَا أَثْبَتُوا لِلمُمْكِنِ وُجُودا أَصْلِيًّا؛ بَل اكْتَفَوْا بِالوُجُود الظِّلِّي، وَمَا كَتَبَهُ الفَقِيرُ فِي بَعْضِ مَكْتُوبَاته: أَنَّ إِطْلاقَ الوُجُود عَلَى المُمْكِنِ بِطَرِيق الحَقِيقَة لاَ بِطَرِيقِ المَجَاز، لَيْسَ بِمُنَاف لِهَذَا التَّحْقِيق؛ فَإِنَّ المُمْكِنَ مَوْجُودٌ فِي الخَارِجِ بِوُجُود ظِلِّيٍّ بِطَرِيقِ الحَقِيقَة لاَ عَلَى سَبِيل التَّخَيُّلِ وَالتَّوَهُّمِ كَمَا زَعَمُوا.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ صَاحِبَ الفُتُوحَات المَكِّيَّة قَال بِأَنَّ: الأَعْيَانَ الثَّابِتَة بَرْزَخٌ بَيْنَ الوُجُود وَالعَدَمِ؛ فَصَارَ العَدَمُ دَاخِلا فِي حَقَائِق المُمْكِنَات عَلَى طَرِيقِه وَطَوْرِه أَيْضًا، فَمَا يَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَ التَّحْقِيق وَبَيْنَ هَذَا القَوْل؟

قُلْنَا: إِنَّهُ إِنَّمَا قَال: "لَهُ بَرْزَخٌ" بِاعْتِبَار أَنَّ لِلصُّوَرِ العِلمِيَّة وَجْهَيْنِ: وَجْهٌ إِلَى الوُجُود بِوَاسِطَة ثُبُوت العِلمِ، وَوَجْهٌ إِلَى العَدَمِ بِوَاسِطَة الخَارِج.

وَإِنَّ الأَعْيَانَ مَا شَمَّتْ رَائِحَةَ الوُجُود الخَارِجِيِّ عِنْدَهُ، وَالعَدَمُ الذي انْدَرَجَ فِي هَذَا التَّحْقِيق لَهُ حَقِيقَةٌ أُخْرَى، وَكَذَا المُرَادُ بِمَا وَقَعَ فِي عِبَارَة بَعْضِ الأَعِزَّة — مِنْ إِطْلاقِ العَدَمِ عَلَى المُمْكِنِ — هُوَ العَدَمُ الخَارِجِيُّ، لاَ العَدَمُ الذي حُقِّقَ فِي مَا سَبَقَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَاءَ تِلكَ الأَسْمَاء وَالصِّفَات المُفَصَّلَة المُتَمَيِّزَة فِي مَوْطِنِ العِلمِ، التِي انْعَكَسَتْ فِي مَرَايَا العَدَمَات، وَصَارَتْ حَقَائِقَ المُمْكِنَات؛ فَلا يَكُونُ بَيْنَهُ سُبْحَانَهُ وَبَيْنَ العَالَمِ مُنَاسَبَةٌ بِوَجْه مِنَ الوُجُوه أَصْلا: {إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ}(١)

وَجَعْلُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ عَيْنَ العَالَمِ، وَمُتَّحِدًا بِهِ؛ بَل نِسْبَتُهُ إِلَى العَالَمِ ثَقِيل عَلَى هَذَا الفَقِيرِ جِدًّا، (ع):

وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

---

(١) العنكبوت: ٧٠

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلى الْمُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ}⁽¹⁾، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

---

(١) الصافات: ١٨٠

المَكْتُوبُ الخَامِسَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة

إلى المير شَمْسِ الدِّينِ الخلخالي

فِي بَيَانِ أَنَّ مَرْتَبَةَ ذَاتِ الحَقِّ ــ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ــ وَمَرْتَبَةَ صِفَاتِه سُبْحَانَهُ فَوْقَ اعْتِبَارِ الوُجُودِ وَالوُجُوبِ

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ حَصَلَ الفَرَحُ وَالابْتِهَاجُ بِوُصُولِ الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ الصَّادِرَةِ عَلى وَجْهِ المَحَبَّةِ وَالإِخْلاصِ.

كَثْرَةُ إِخْوَانِ الدِّينِ سَبَبُ الرَّجَاءِ فِي الآخِرَة، اللهُمَّ كَثِّرْ إِخْوَانَنَا فِي الدِّينِ، وَثَبِّتْنَا وَإِيَّاهُمْ عَلى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ ــ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلوَاتُ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلهَا، (ع):

وَأَحْسَنُ مَا يُمْلى حَدِيثُ الأَحِبَّة

أَيُّهَا المُحِبُّ: إِنَّ صِفَاتِ وَاجِبِ الوُجُودِ السَّبْعَةَ ــ أَوِ الثَّمَانِيَةَ عَلى اخْتِلافِ الآرَاءِ ــ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ مَوْجُودَةٌ فِي الخَارِجِ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الفِرَقِ المُخَالِفَةِ بِوُجُودِ صِفَاتِ وَاجِبِ الوُجُودِ ــ تَعَالى وَتَقَدَّسَ ــ غَيْرُ أَهْلِ الحَقِّ ــ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ ــ حَتَّى أَنَّ المُتَأَخِّرِينَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ مِنْهُمْ أَنْكَرُوا وُجُودَ الصِّفَاتِ؛ بَلْ جَعَلوا زِيَادَةَ الصِّفَاتِ رَاجِعَةً إِلى العِلمِ فَقَطْ، وَقَالُوا: (شعر)

وَصِفَاتُ حَقٍّ فِي التَّعَقُّلِ غَيْرُ ذَا ... تِ الحَقِّ لكِنْ فِي التَّحقُّقِ عَيْنُهَا

وَالحَقُّ: أَنَّ كَلامَ أَهْلِ الحَقِّ حَقٌّ، وَمُقْتَبَسٌ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وَمُؤَيَّدٌ بِنُورِ الكَشْفِ وَالفِرَاسَةِ.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ: إِنَّ الإِشْكَالَ الذي أَوْرَدَهُ المُخَالِفُونَ فِي وُجُودِ الصِّفَاتِ قَوِيٌّ(١)؛ لأَنَّ الصِّفَاتِ لوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً؛ فَلا تَخْلُو: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُمْكِنَةً، أَوْ وَاجِبَةً.

وَالإِمْكَانُ: مُسْتَلزِمٌ للحُدُوثِ؛ لأَنَّ كُل مُمْكِنٍ حَادِثٌ عِنْدَهُمْ، وَالقَوْل بِتَعَدُّدِ الوَاجِبِ مُنَافٍ للتَّوْحِيد.

وَأَيْضًا: عَلى تَقْدِيرِ الإِمْكَانِ يُلزَمُ جَوَازُ انْفِكَاكِ الصِّفَاتِ عَنِ الذَّاتِ ــ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ــ وَهَذَا مُوجِبٌ لجَوَازِ الجَهْلِ وَالعَجْزِ للوَاجِبِ سُبْحَانَهُ.

وَحَل هَذَا الأَشْكَال عَلى مَا ظَهَرَ لهَذَا الفَقير: أَنَّ حَضْرَةَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ بذَاته؛ لاَ بوُجُود يَكُونُ عَيْنًا لهَا، أَوْ زَائدًا عَلَيْهَا، وَصفَاتُهُ ــ تَعَالى ــ مَوْجُودَةٌ بذَاته ــ تَعَالى ــ لاَ بوُجُودٍ؛ فَإِنَّهُ لاَ مَجَال للوُجُود في ذَلكَ المَوْطنِ

وَقَدْ أَشَارَ الشَّيْخُ رُكْنُ الدِّين أَبو المَكَارم عَلاءُ الدَّوْلة السِّمْنَانيُّ[1] ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ إلى هَذَا المَقَام؛ حَيْثُ قَال: " فَوْقَ عَالم الوُجُود عَالمُ المَلك الوَدُود".

فَلا تَكُونُ نسْبَةُ الإمْكَان والوُجُوب أَيْضًا مُتَصَوَّرَةً في ذَلكَ المَوْطنِ؛ فَإنَّ كُلا منَ الإمْكَانِ والوُجُوبِ نسْبَةٌ بَيْنَ المَاهيَّة والوُجُود؛ فَحَيْثُ لاَ وُجُودَ، لاَ إمْكَانَ، وَلا وُجُوبَ.

وَهَذه المَعْرفَةُ وَرَاءَ طَوْر النَّظَر وَالفكْر، وأيَّ شَيْء يَجدُ المُقَيَّدُونَ بعقَال العَقْل منْ هَذه المَعْرفَة، ومَا يَكُونُ نَصيبُهُمْ منْهَا غَيْرَ الإنْكَار؛ إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ ــ سُبْحَانَهُ وتَعَالى؟!

وَبَاقي المَرَام: أَنَّ السَّيِّدَ مُحبَّ الله أَقَامَ هُنَا مُدَّةً، وَالآنَ صَارَ مُتَوَجِّهًا إلى تلكَ الجهَات والحُدُود؛ فَليُغْتَنَمْ صُحْبَتُهُ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ، وعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

---

(١) ــ **الشيخ علاء الدولة السمناني**: هو الشيخ ركن الدين، علاء الدولة محمد بن أحمد السمناني، المالكي، المتوفى سنة: ٧٣٦ هـ ــ ١٣٣٦ م، عالم مشارك في عدة علوم، سكن تبريز وبغداد، محدِّث؛ سمع صحيح مسلم، وأجاز له جماعة، اختصر شرح السنة للبغوي، له مصنفات كثيرة في التفسير والتصوف وغيرها حتى قيل: إنها تزيد على الثلاثمائة، من مؤلفاته: آداب الخلوة، فوائد العقائد، المدارك والمعارج، المكاشفات، نجم القراءة في تأويلات القرآن.
انظر في ترجمته: الحافظ ابن حجر: الدرر الكامنة: ١/٢٥٠ ــ ٢٥١، ابن العماد: شذرت الذهب: ٦/١٢٥، حاجي خليفة: كشف الظنون: ٤٢، ١٢٩٩، ١٦٤٠، ١٨١١، ١٩٣٠، البغدادي: إيضاح المكنون: ١/٢٠٥.

المَكْتُوبُ السَّادِسَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة

إِلى المَحْدُود زَادَهْ، مَعْدن الحَقَائق، وَمَنْبَعِ المَعَارِف اللاَ مُتَنَاهيَة، وَمَظْهَرِ الفُيُوضَات الإلهيَّة الخواجه مُحَمَّد سَعيد سَلَمَهُ اللهُ تَعَالَى

فِي بَيَان أَنَّ مُعَامَلَةَ الآفَات والأَنْفُسِ دَاخلَةٌ في دَائرَة الظِّلال وَبَيَانِ الولاَيَة الصُّغْرَى والكُبْرَى⁽¹⁾ وَكَمَالات النُّبُوَّة وَتَحْقيقِ حَقيقَةَ تَجَلي الأَفْعَال الذي ظَهَرَ لبَعْضِ الصُّوفيَّة وَأَنَّهُ ظل فِعْل الحَقِّ لاَ عَيْنُ فعْله تعَالى

الحَمْدُ لله، وَسَلامٌ عَلى عباده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ أَنَّ: كُل مَا يَظْهَرُ في مَرَايَا الأَفَاق وَالأَنْفُسِ فَهُوَ مُتَّسمٌ بِسِمَةِ الظِّلِّيَّة؛ فَيَكُونُ مُسْتَحقًّا للنَّفْيِ؛ ليَحْصُل الإثْبَاتُ.

وَلَمَّا جَاوَزَت المُعَامَلةُ حَدَّ الآفَاق وَالأَنْفُسِ تَخَلصَتْ عَنْ قَيْد الظِّلِّيَّة وَتَيَسَّرَ الشُّرُوعُ في تَجَلي الفعْل وَالصِّفَة، وَعُلمَ أَنَّ كَل تَجَل ظَهَرَ قَبْل ذَلكَ فِي السَّيْرِ الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسِيِّ ــ وَإن اعْتَقَدُوهُ تَجَليًا ذَاتيًّا ــ كَانَ مُتَعَلقًا بظلال الفعْل وَالصِّفَة؛ لاَ بنَفْسِ الفعْل وَالصِّفَة؛ فَضْلا عَنْ كَوْنه مُتَعلقًا بالذَّات؛ فَإنَّ دَائرَةَ الظِّلِّيَّة تَنْتَهِي بنِهَايَة الأَنْفُسِ، فَكُل مَا يَظْهَرُ فِي الأَفَاق وَالأَنْفُسِ يَكُونُ دَاخلاً فِي تلكَ الدَّائرَة.

وَالفعْل وَالصِّفَةُ: وَإنْ كَانَا في الحَقيقَة منْ ظلال حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ؛ وَلكنَّهُمَا دَاخلان في دَائرَة الأَصْل، وَوَلايَةُ تلكَ المَرْتَبَة ولاَيَةٌ أَصْليَّةٌ؛ بِخلاف ولاَيَة المَرْتَبَة السَّابقَة التي تَتَعَلقُ بالآفَاق وَالأَنْفُس؛ فَإنَّهَا ولاَيَةٌ ظليَّةٌ.

وَالتَّجَلي البَرْقيُّ الذي نَاشئٌ منْ مَرْتَبَة الأَصْل مُيَسَّرٌ لمُنْتَهِي دَائرَة الظِّل؛ فَإنَّهُمْ يَتَخَلصُونَ سَاعَةً وَاحدَةً منْ قَيْد الأَفَاق وَالأَنْفُس.

وَالذينَ جَاوَزُوا دَائرَةَ الآفَاق وَالأَنْفُس، وَتَرَقَّوْا عَنْهَا، وَخَلفُوا الظِّل وَرَاءَهُمْ، وَلحقُوا بالأَصْل؛ فَالتَّجَلي البَرْقيُّ دَائميٌّ في حَقِّهِمْ؛ فَإنَّ مَسْكَنَ هَؤُلاء الأَكَابِرِ وَمَأْوَاهُمْ دَائرَةُ الأَصْل التي منْهَا يَنْشَأُ التَّجَلي البَرْقيُّ؛ بَل مُعَامَلةُ هَؤُلاء الأَكَابِرِ فَوْقَ التَّجَليَات والظُّهُورَات؛ فَإنَّ كُل تَجَل وظُهُورٍ بأَيِّ مَرْتَبَةٍ يَتَعلقُ لاَ

---

(١) ــ يأتي بيان حقيقتها في كلام المصنف بعد، فهو يعني بالولاية الكبرى ولاية الأنبياء ن وبالولاية الصغرى ولاية الأولياء.

يَخْلوَا عَنْ شَائبَة الظِّلِّيَّة، وَقَدْ جَعَلهُمُ التَّعَلقُ بِأَصْل الأَصْل فَارِغِينَ عَنِ الظِّل، وَخَلصَهُمْ عَنْ زَيْغِ البَصَرِ.

وَنهَايَةُ الكَمَال فِي الوِلايَة الظِّلِّيَّة؛ التي هِيَ الوِلايَةُ الصُّغْرَى: إِنَّمَا تَحْصُلِ بالتَّجَلي البَرْقِيِّ، وَهَذَا التَّجَلي البَرْقِيُّ قَدَمٌ أَوَّل فِي الوِلايَةِ الكُبْرَى التِي هِيَ وِلايَةُ الأَنْبِيَاءِ ـــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ.

وَالوِلايَةُ الصُّغْرَى: هيَ وِلايَةُ الأَوْلِيَاءِ ـــ قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ ـــ.

وَمِنْ هَاهُنَا يُعْرَفُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ وِلايَة الأَوْلِيَاء وَولايَة الأَنْبيَاء ـــ صَلوَاتُ اللهِ وتَسْليمَاتُهُ عَليْهِمْ ـــ فَإِنَّ بِدَايَةَ تلكَ الوِلايَة نِهَايَةُ هَذه الوِلاَيَة، وَمَاذَا نُقول مِنْ كَمَالاَت نُبُوَّة الأَنْبيَاء عَليْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؟! فإن بداية النبوة نهاية هذه الولاية، وَلعَل حَضْرَةَ الخواجه بَهَاءَ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِيَّ(١) ـــ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ـــ نَال نَصيبًا وَافرًا منْ ولايَة الأَنْبيَاء ـــ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ ـــ بِالتَّبَعِيَّة وَالوِرَاثَة؛ فَإِنَّهُ قَالَ: " نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ فِي البِدَايَة ".

وَمَبْلغُ عِلمِ هَذَا الفَقير: أَنَّ النِّسْبَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّةَ وَحُضُورَهَا إِذَا بَلغَ حَدَّ الكَمَال يَتَّصلان بالوِلايَة الكُبْرَى وَيَحْصُل لَهُمْ حَظٌّ وَافرٌ مِنْ كَمَالات تِلكَ الوِلايَة بخلاف طُرُق غَيْرهمْ؛ فَإِنَّ نهَايَة كَمَالهمْ حُصُول التَّجَلي البَرْقِيُّ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ السَّيْرَ الذي يَتَيَسَّرُ بَعْدَ سَيْر الآفَاق وَالأَنْفُس هُوَ سَيْرٌ فِي أَقْرَبِيَّة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى؛ فَإِنَّ فعْلهُ تَعالى أَيْضًا أَقْرَبُ إِليْنَا منَّا، وَكَذَلكَ صِفَتُهُ تَعَالى أَقْرَبُ إِليْنَا منَّا وَمَنْ فعْلهُ تَعَالى أَيْضًا وَذَاتُهُ تَعالى أَقْرَبُ إِليْنَا منَّا، وَمَنْ فِعْلهُ وَصفَتُهُ تَعَالى، وَالسَّيْرُ فِي هَذه المَرَاتب هُوَ السَّيْرُ فِي الأَقْرَبِيَّة.

وَحَقيقَةُ تَجَلي الفعْل وَتَجَلي الصِّفَة وَتجَلي الذَّات(٢) تَتَحَقَّقُ فِي هَذَا المَوْطِنِ، وَيَحْصُلُ النَّجَاةُ هُنَا مِنْ سَلطَنَة الوَهْم وَدَائِرَة الخَيَال؛ فَإِنَّهُ لاَ سَلطَنَة

---

(١) ـــ **بهاء الدين النقشبندي:** محمد بن خواجه أحمد الظهوري الفاروقي العارف بالله الشيخ بهاء الدين النقشبندي الصوفي ولد سنة ٧٢٨ هـــ وتوفي سنة ٧٩١ هـــ، من تصانيفه: الأوراد البهائية، سلك الأنوار في التصوف، هدية السالكين وتحفة الطالبين في التصوف. انظر ترجمته في: إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: ١٧٣/٦، كحالة: معجم المؤلفين: ٧١/٣.

(٢) ـــ **التجلي الذاتي:** هو تجلي الذات وحدها لذاتها، وهي الحضرة الأحدية التي لا نعت فيها ولا رسم، إذ الذات التي هي وجود الحق المحض وحدته عينه؛ لأن ما سوى الوجود من حيث هو وجود

لِسُلْطَانِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ فِي خَارِجِ دَائِرَةِ الآفَاقِ وَالأَنْفُسِ، وَنِهَايَةُ تَصَرُّفِ الوَهْمِ نِهَايَةُ دَائِرَةِ الظِّلِّ؛ فَحَيْثُ لاَ ظِلَ لاَ وَهْمَ، فَالتَّخَلصُ عَنْ قَيْدِ الوَهْمِ فِي الوِلاَيَةِ الظِّلِّيَّةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بَعْدَ المَوْتِ؛ فَإِنَّ الوَهْمَ يَنْعَدِمُ بِالمَوْتِ.

وَفِي الوِلاَيَةِ الأَصْلِيَّةِ التِي هِيَ الوِلاَيَةُ الكُبْرَى: الخَلاَصُ عَنْ قَيْدِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ مُيَسَّرٌ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ وَمَعَ وُجُودِ الوَهْمِ فِيهَا خَلاَصٌ عَنْ قَيْدِ الوَهْمِ، وَمَا أُجِّلَ لِلطَّائِفَةِ الأُولَى فِي الآخِرَةِ يَتَيَسَّرُ لِلطَّائِفَةِ الأُخْرَى فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ، وَفِي الوِلاَيَةِ الظِّلِّيَّةِ لاَ يَحْصُلُ شَيْءٌ مِنَ المَطْلُوبِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ غَيْرُ مَنْحُوتِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ.

وَفِي الوِلاَيَةِ الأَصْلِيَّةِ: المَطْلُوبُ مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ علة نَحْتِ الوَهْمِ، وَكَأَنَّ مَوْلاَنَا الرُّومِيَّ تَضَايَقَ مِنْ حَيْطَةِ الوَهْمِ وَقَيْدِ الخَيَالِ فَتَمَنَّى المَوْتَ لِيَنَالَ المَطْلُوبَ عَارِيًا عَنْ لِبَاسِ الوَهْمِ وَالخَيَالِ وَمَنَعَ مِنْ أَنْ يَقُولَ عَافَاكَ اللهُ فِي مَبَادِئِ المَوْتِ وَقَالَ:

من شوم عريان زتن اوزخيال   تأخرامم در نهاية الوصال

تَرْجَمَةٌ:

أَعْرُوا مِنَ الأَشْبَاحِ وَهْوَ مِنَ الخَيَالِ   كَيْمَا تَبَخْتَرُ فِي نِهَايَاتِ الوِصَالِ

وَمَا قُلْتُ: مِنْ أَنَّ فِي الآفَاقِ وَالأَنْفُسِ تَجَلِّيَاتُ ظِلاَلِ الأَسْمَاءِ وَالسِّمَاتِ، لاَ تَجَلِّيَاتُ نَفْسِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

بَيَانُهُ هُوَ: أَنَّ التَّكْوِينَ مِنَ الصِّفَاتِ الحَقِيقِيَّةِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ العُلَمَاءِ المَاتُرِيدِيَّةِ ــ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ ــ لاَ مِنَ الصِّفَاتِ الإِضَافِيَّةِ ــ كَمَا زَعَمَتِ الأَشْعَرِيَّةُ ــ وَحَيْثُ كَانَتِ الإِضَافَةُ غَالِبَةً فِي هَذِهِ الصِّفَةِ ظَنُّوهَا مِنَ الصِّفَاتِ الإِضَافِيَّةِ نَظَرًا إِلَى صفات أُخْرَى وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الحَقِيقِيَّةِ امْتَزَجَ بِهَا وَصْفُ الإِضَافَةِ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ تَحْتَ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَفِيهَا لَوْنُ جَمِيعِ الصِّفَاتِ التِي فَوْقَهَا:

مَثَلاً: لَهَا نَصِيبٌ مِنَ العلمِ وَالحَيَاةِ، وَحَظٌّ مِنَ القُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ أَيْضًا، وَلَهَا جُزْئِيَّاتٌ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ ظِلاَلُهَا مِثْلُ: التَّرْزِيقِ وَالتَّخْلِيقِ وَالإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ

ليس إلا العدم المطلق، وهو اللا شيئ المحض، فلا يحتاج في أحديته إلى وحدة و تعين يمتاز به عن شيئ،إذلا عين غيره، فوحدته عين ذاته.الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ١٧٣.

وَالإِنْعَام وَالإِيلام، وَهَذه الجُزْئِيَّاتُ دَاخلةٌ في الأَفْعَال التي هِيَ فِي الحَقِيقَة ظِلاَل تلكَ الصِّفَة خَارجَةٌ عَنْ دَائرَة الصِّفَات الحَقِيقيَّة

وَلهَذَا الفعْل وَجْهَان: وَجْهٌ نَحْوَ الفَاعل، وَوَجْهٌ إلى المَفْعُول، وَهَذَان الوَجْهَان مُتَمَايزَان في النَّظَرِ الكَشْفيِّ؛ يُرَى الوَجْهُ الأَوَّل عَاليًا، وَالثَّاني سَافلا، وَأَيْضًا: يُرَى الوَجْهُ الأوَّل فِي النَّظَرِ الأَصْل، وَالوَجْهُ الثَّاني مِثْل ظِل ذَلكَ الأَصْل.

وَأَيْضًا: الوَجْهُ الأَوَّل فيه لوْنٌ منَ الوُجُوب، وَالوَجْهُ الثَّاني لهُ لوْنٌ منَ الإِمْكَان، وَهَذَا الوَجْهُ الثَّاني مَبَادئُ تَعَيُّنَات غَيرِ الأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَسْليمَات ــ منَ الأَوْليَاء الكرَام وَسَائرِ الأَنَام.

وَحَيْثُ كَانَ لهَذَا الفعْل باعْتبَار الجهَتَيْن لوْنٌ منَ الوُجُوب وَلوْنٌ منَ الإمْكَان: يَكُونُ مُمْكنًا بالضَّرُورَة؛ فإنَّ المُرَكَّبَ من الواجب والممكن: مُمْكنٌ.

وَأَيْضًا: إنَّ هَذَا الفعْل حَيثُ كَانَ لهُ وَجْهٌ إلى القدَم باعْتبَار الجهَة الفَوْقَانيَّة، وقدَمٌ فِي الحُدُوث باعْتبَار الجهَة التَّحْتَانيَّة يَكُونُ حَادثًا بالضَّرُورَة؛ فَإنَّ المُرَكَّبَ منَ القَديم وَالحَادث حَادثٌ.

فَالذينَ قَالوا بقدَم فعْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ: إنَّمَا نَظَرُوا إلى الجهَة الأُوْلى، وَالذينَ ذَهَبُوا إلى حُدُوثه فَمَنْظُورُهُمْ هُوَ الجهَةُ الأُخْرَى، وَنَظَرُ الطَّائفَة الأُولى عَال، وَنَظَرُ الثَّانيَة سَافل وَإنْ وَقَعَ كلاَ الفريقَيْن في طَرَفَي الحَقِّ المُتَوَسِّط وَهُوَ الذي امْتَازَ به هَذَا الفَقيرُ؛ {ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}⁽¹⁾.

وَوَقَعَ مثْل هَذَا التَّحْقيق فِي بَعْضِ المَكَاتيب فِي شَأْن الصِّفَات الحَقيقيَّة أَيْضًا فَليُطْلبْ.

يَنْبَغِي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الوَجْهَ الثَّانيَ فِي الفعْل عبَارَةٌ عَن الخَلق الخَاصِّ الذي مُتَعَلقٌ بزَيْد مَثَلا؛ فَخَلقُ زَيْد كَأَنَّهُ جُزْئِيٌّ منْ جُزْئِيَّات مُطْلق الخَلق مَثَلا، وَهَذَا الخَلقُ الخَاصُّ الذي تَعَلقَ بزَيْد له جُزْئِيَّاتٌ أَيْضًا كَخَلق ذَات زَيْد وَخَلق صفَاته وَأَفْعَاله، وَهَذه الجُزْئِيَّاتُ كَالظِّلاَل لخَلق زَيْدٍ وَهُوَ كَالكُلِّيِّ لهَا، وَالخَلق

---

(1) الحديد: ٢١

فعْل زَيْد أَيْضًا ظِل ومَظْهَرٌ وهُوَ كَسْبُ زَيْد الذي تَعلقَ بالفعْل؛ فَإِنَّ هَذَا الكَسْبَ مَا جاء به زَيْدٌ منْ بَيْت أَبيه، بَل هُوَ ظِل منْ خَلق الحَقِّ جَل وَعَلا.

فَعُلمَ منْ هَذه المَعَارف: أَنَّ الفعْل ظِل التَّكْوين، وَأَنَّ الوَجْهَ الثَّاني منَ الفعْل ظِل الوَجْه الأَوَّل منْهُ كَمَا حُقّقَ، وَأَنَّ للوَجْه الثَّاني أَيْضًا ظلا هُوَ خَلقُ زَيْد مَثلاً، وَالخَلقَ زَيْد أَيْضًا ظلاً هُوَ خلقُ فعْل زَيْد، وَلِهَذَا الظِّل أَيْضًا ظِل هُوَ كَسْبُ زَيْد.

فَإذَا عَرَفْتَ هَذه العُلومَ فَاعْلَمْ: أَنَّ نسْبَةَ كَسْب زيد إلى زَيد مَثَلا إذَا انْتَفَتْ في نَظَر السّالك⁽¹⁾ وَقْتَ السُّلوك عَنْ زَيْد وَارْتَفعَتْ إضَافَتُهُ إلى زَيْـد يَـرَى فَاعل ذَلكَ الفعْل هُو الحَقَّ سُبْحَانَهُ، بَل يَجدُ الأَفْعَال المُتكَثّرَة المُتَبَاينَةَ للخَلائق فعْل فَاعل وَاحد فَيَظُنُّونَ ظُهُورَ هَذَا المَعْنَى تجَليًا فعْليًّا.

يَنْبَغي: أَنْ يُنصفَ: هَل هَذَا التجلي هُوَ تَجلي فعْل الحَقِّ أَوْ تَجلي ظِل منْ ظِلال ذَلكَ الفعْل الذي تَنْزل بمَراتب كَثيرَة وَعَرَض لهُ اسْم الظِّلّيَّة؟

وَيَنْبَغي: أَنْ يَقيسَ التَّجليَات الأُخْرَى عَلى التَّجلي الفعْليِّ؛ فَإنَّهُمْ اكْتفَوْا فيهَا أَيْضًا بظِل منَ الظّلال وَظَنوهُ أَصْل الأَصْل وَاطْمَئَنُّوا بالجَوْز وَالمَوْز.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ وُجُوبَ الوُجُود حَيْثُ كَانَ منَ النِّسَب الإضَافَات يُوجَدُ في مَرتَبَة الفعْل بالضَّرُورَة، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِهَذه النِّسْبَة مُنَاسبَةٌ بالعلم، بَل هيَ مَخْصُوصَةٌ بصَانعِ العَالَمِ تَعَالى وَتَقَدَّس ــ: كَانَتْ مُنَاسَبَةً بالوَجْه الأَوَّل منَ الفعْل الذي مَرَّ ذكْرُهُ:

فَإنْ قيل: يَلزَمُ منْ هَذَا البَيَان أَنْ لاَ يَكُونَ الوُجُوبُ ثَابتًا في مَرْتَبَة الذَّات وَالصِّفَات، وَلا يُقَال لذَاته وَصفَاته ــ تَعَالى وَتَقدَّسَ ــ وَاجبَةٌ، فَيَكُونُ الوُجُوبُ مَسْلوبًا عَنْ حَضْرَة الذَّات وَالصِّفَات، كَمَا أَنَّ الإمْكَانَ وَالامْتنَاعَ مَسْلوبَان عَنْهُ تَعَالى، فَظَهَرَ قسْمٌ رَابعٌ منَ المَفْهُوم سوَى الوُجُوب⁽²⁾ وَالإمْكَان⁽¹⁾ وَالامْتنَاع⁽²⁾، وَالحَال: أَنَّ انْحصَارَ المَفْهُوم في هَذه الثَّلاثَة كَانَ ثَابتًا بالحَصْر العَقْليِّ:

---

(١) ــ **السالك**: هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره، فكان العلم الحاصل له من طريق الخبر والإستدلال، في مسافة ترقيه عينا يأبى عن ورود الشبه المضلة عليه. الكاشاني: رشح الزلال: ٤٣.

(٢) ــ الواجب: يدل على الضرورة، أى على ما يجب أن يحدث، ويدل كذلك على الأفضل وعندئذ يكون في مقابل ما هو كائن، أو ما يجب ألا يكون، مثل الخير أفضل من الشر. المعجم الفلسفي: ١٨٢

قُلْنَا: إِنَّ هَذَا الانْحِصَارَ إِنَّما هُوَ للمَاهِيَّة بِالنِّسْبَة إِلى الوُجُود؛ فَحَيْثُ لاَ نِسْبَةَ للمَاهِيَّة إِلى الوُجُود لاَ انْحِصَارَ كَمَا فِي ذَات الوَاجِب تَعَالى وَصِفَاته سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذَاتَهُ تَعَالى مَوْجُودٌ بذَاته لاَ بالوُجود عَيْنًا كَانَ أَوْ زَائِدًا، وَصِفَاتُهُ تَعَالى مَوْجُودَةٌ بذَاته تَعَالى منْ غَيْر أَنْ يَتَخَلل فيهَا وُجودٌ، فَذَاتُهُ تَعَالى وَصِفَاتُهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ هَذه الثَّلاثَة المُنْحَصِرَة، غَايَة مَا فِي البَاب إِذَا تُصُوِّرَ ذَاتُهُ تَعَالى وَتَعلقَتْ صِفَاتُهُ سُبْحَانَهُ بالوُجُود وَالاعْتبَارَات إِذْ لاَ سَبِيل إِلى الكُنْه ـــ: يَعْرِضُ لذَاته سُبْحَانَهُ فِي الوُجُود التَّصَوُّرِيِّ الظِّليِّ ـــ الوُجُوبُ، كَمَا هُوَ المُنَاسبُ وَاللائقُ بذَاته تَعَالى، وَيَعْرِضُ لصِفَاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ـــ الوُجُودُ الذِّهْنيُّ الإِمْكَان، لمَا هُوَ المُنَاسبُ لهَا لاحْتيَاجهَا إِلى الذَّات؛ فَذَاتُهُ تَعَالى وَصِفَاتُهُ سُبْحَانَهُ فِي حَدِّ أَنْفُسهَا فَوْقَ مَرْتَبَة الوُجُود وَالإِمْكَان، بَل فَوْقَ مَرْتَبَة الوُجُود أَيْضًا، وَباعْتبَار الوُجُود: التَّصَوُّرُ الظِّلِّيُّ الوُجُوب يُنَاسبُ الذَّات، وَالإِمْكَانُ يُنَاسبُ الصِّفَات؛ فَالصِّفَاتُ منْ حَيْثُ الوُجُودُ الخَارجيُّ لاَ وَاجبَةٌ وَلا مُمْكنَةٌ، بَل هيَ فَوْقَ الوُجُوب وَالإِمْكَان، وَباعْتبَار الوُجُود الذِّهْنيِّ مُمْكنًا وَلا يَلزَمُ منْ هَذَا الإِمْكَان الحُدُوثُ لمَا أَنَّهُ لَيْسَ لذَوَاتهَا كَمَا للمُمْكنَات، بَل لوُجُودَاتهَا الظِّلِّيَّة.

وَيُنَاسبُ هَذه المَعْرِفَةَ: مَا قَالهُ أَرْبَابُ المَعْقُول منْ أَنَّ الكُلِّيَّةَ وَالجُزْئيَّةَ تَعْرِضَان للمَاهيَّة باعْتبَار خُصُوصيَّة الوُجُود الذِّهْنيِّ، فَلا تُوصَفُ بهمَا المَاهيَّةُ حَالَ الوُجُود الخَارجيِّ؛ فَزَيْدٌ المَوْجُودُ في الخَارج مَثَلا قَبْلَ التَّعَقُّل لَيْسَ بجُزْئيٍّ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ بكُليٍّ، بَل يَعْرِضُ لهُ الجُزْئيَّةُ بَعْدَ الوُجُود الذِّهْنيِّ الظِّليِّ.

بَل نَقُول: جَميعُ النِّسَب وَالإِضَافَات وَالأَحْكَام وَالاعْتبَارَات التي تُحْمَل عَلَيْه تَعَالى كَالأُلوهيَّة وَالأَزَليَّة ـــ ممَّا هيَ غَيْرُ الصِّفَات الثَّمَانيَة المَوْجُودَة ـــ إِنَّمَا تَصْدُقُ عَلَيْه سُبْحَانَهُ باعْتبَار التَّصَوُّر وَالتَّعَقُّل، وَإلا فَالذَّاتُ ـــ منْ حَيْثُ هيَ ـــ: غَيْرُ مُتَّصفَة بصفَة وَلا مُسَمَّاة باسْم وَلا مَحْكُوم عَلَيْهَا بحُكْم، فَصَاحبُ الشَّرْع تَعَالى إِنَّمَا أَطْلَقَ عَلَى ذَاته أَسْمَاءً وَأَحْكَامًا باعْتبَار التَّنَاسُب وَالتَّشَابُه لتَكُونَ قَريبَةً منْ أَفْهَام

---

(١) ـــ الممكن من جهة المنطق: مالا ينطوي على تناقض، ومن جهة الأخلاق: مالا يتعارض مع المعايير الأخلاقية، وعند فلاسفة اليونان: يعني الوجود بالقوة في مقابل الوجود بالفعل. المعجم الفلسفي: ١٦٧.

(٢) ـــ الممتنع: بينه وبين الواجب غاية الخلاف، لكنهما يتفقان في معنى الضرورة، فالواجب ضروري الوجود، والممتنع: ضروري العدم. المعجم الفلسفي: ١٦٧.

الْمَخْلوقَات، وَيَكُونَ التَّكَلمُ مَعَهُمْ عَلى قَدْرِ عُقُولهمْ؛ كَمَا يُقَال لزَيْد الْمَوْجُود في الخَارِج ــ بدُون مُلاحَظَة وَجُوده الذِّهْنيِّ ــ: " إنَّهُ جُزْئيٌّ " عَلى سَبيل التَّشْبيه وَالتَّنْظير، وَيَكُونُ حُكْمُهُمْ بجُزْئيَّته أَنْسَبَ وَأَشْبَهَ منْ حُكْمهمْ بأَنَّهُ كُليٌّ؛ فَكَذَلكَ الحُكْمُ بالوُجُوب وَالوُجُود عَلى الذَّات الغَنيِّ العَليِّ أَوْلى وَأَنْسَبَ منَ الحُكْم بالإمْكَان وَالامْتنَاع، وَإلا فَلا يَصل إلى جَنَاب قُدُسه تَعَالى وُجُوبٌ وَلا وُجُودٌ، كَمَا لَا يَليقُ بجَنَاب تَنْزيهه تَعَالى إمْكَانٌ وَامْتنَاعٌ، فَافْهَمْ هَذه المَعْرفَةَ الشَّريفَةَ القُدُسيَّةَ؛ فَإنَّهَا أَسَاسُ الدِّين.

وَخُلاصَةُ علم الصِّفَات وَالذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ وَمَا تَكَلمَ بهَا أَحَدٌ منَ العُظَمَاء وَلا وَاحدٌ منَ الكُبَرَاء اسْتَأْثَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذَا العَبْدَ بهَذه المَعْرفَة {وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(١)

---

(١) طــه: ٤٧

الْمَكْتُوبُ السَّابِعَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة

إِلى المير مُحَمَّد نُعْمَان

فِي بَيَانِ أَنَّ عِلمَ اليَقِين(١) وَعَيْنَ اليَقِين(٢) وَحَقَّ اليَقِين(٣) التي قَرَّرَهَا بَعْضُ الصُّوفِيَّة شَطْرَان في الحَقيقَة منْ أَقْسَامِ علمِ اليَقين الثَّلاثَة وَالقِسْمُ الثَّالثُ مِنْهُ لَمْ يَحْصُل بَعْدُ فَضْلاً عَنِ الوُصُول إلى عَيْنِ اليَقِينِ وَبَيَانِ أَنَّ صَاحِبَ هَذهِ العُيُونِ مُجَدِّدُ الألفِ الثَّانِي

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ مَضَتْ مُدَّةٌ وَليْسَ لنَا اطِّلاعٌ عَلى أَحْوَالكُمُ المَحْمُودَةِ المَآل، المَسْئُول مِـــنَ الله سُبْحَانَهُ سَلامَتُكُمْ وَاسْتقَامَتُكُمْ:

اعْلَــــــمْ أَنَّ: علمَ اليَقين عبَارَةٌ عَنْ شُئُون آيَات تُفيدُ اليَقينَ العلمِــيَّ، وَهَذَا الشُّهُودُ في الحَقيقَة اسْتدْلال بالأَثَرِ عَلى المُؤَثِّر؛ فَكُل مَا يُرَى وَيُشَـاهَدُ مِـــنَ الظُّهُورَات وَالتَّجليَات في مَرَايَا الآفَاق وَالأَنْفُسِ منْ قَبيل الاسْتدْلال بـــالأَثَرِ عَلــى المُؤَثِّر، وَإنْ سَمَّوْا تلكَ التَّجليَات تَجليَات ذَاتيَّةً وَقَالوا لتلكَ الظُّهُورَات: " ظهورات لاَ كَيْفيَّةٌ "؛ فَإنَّ ظُهُورَ شَيْءٍ في المرْآة حُدُوثُ أَثَرٍ منْ آثَاره، لاَ حُصُول عَيْنِ ذَلكَ الشَّيْء، فَلا يَكُونُ قدَمُ السَّيْرِ الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسِيِّ خَارِجًا عَنْ دَائرَةِ علمِ اليَقينِ بِالتَّمَامِ

---

(١) ــ **علم اليقين**: هو مما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الشبهة فيكون له استقرار في النفس من غير مزاحمة نقيضه /ولذلك أضيف إلى اليقين، الذي هو الإستقرار، إذ ليس لكل علم وعين وحق إستقرار. الكاشاني: رشح الزلال: ٩٠.

(٢) ــ **عين اليقين**: هو ما أعطته المشاهدة، وهي رؤية ذوات الأشياء وحقائقها بالحق والكشف، وهو تحقيق خواصها، وأحكامها ولوا زمها الباطنة، والظاهرة ن والتابعة، والمتبوعة بالحق أيضاً.الكاشاني: رشح الزلال: ٩٠.

(٣) ــ **حق اليقين**: هو ما حصل من العلم بما اريد له ذلك المشهود من الخصوصيات، والأحكام والحكم، فمن سمع خبرا أو بلغ ذلك له حد التواتر، علمه علم اليقين، ومن رأى ذلك عيانا،فوجد الخبر قد طابق العيان، وأفاده علما ذوقيا لم يكن عنده، علمه عين اليقين، ومن انتهى في عيانه إلى أحاط بما أريد به ذلك المشهود، علمه حق اليقين. الكاشاني: رشح الزلا ل: ٩١.

وَلا يَكُونُ لهُ نَصِيبٌ غَيْرُ الاسْتِدْلال بالأَثَرِ عَلى المُؤَثِّرِ؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ}(١).

وَاعْتَقَدَ بَعْضُهُمْ أَنَّ السَّيْرَ الآفَاقِيَّ مِنْ عِلْمِ اليَقِينِ وَأَثْبَتُوا عَيْنَ اليَقِينِ وَحَقَّ اليَقِينِ فِي السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ، وَلَمْ يَقُولوا بسَيْرٍ فِي خَارِجِ الأَنْفُسِ، (ع):

وَللنَّاس فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

وَاعْلَمْ: أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ أَقْرَبُ إِلى العَبْدِ مِنَ العَبْدِ نَفْسِه؛ فَمِنَ العَبْدِ إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ سَيْرٌ آخَرُ فِي جَانِبِ الأَقْرَبِيَّة، وَالوُصُول مَنُوطٌ بقَطْعِه، وَهَذَا السَّيْرُ الثَّالثُ أَيْضًا مُثْبتٌ لعِلمِ اليَقِينِ فِي الحَقِيقَة؛ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ خَارِجًا عَنْ دَائِرَة الظِّلِّيَّة وَلكِنَّهُ لَيْسَ بِمُبَرَّإٍ مِنْ شَائِبَة الظِّلِّيَّة؛ فَإِنَّ أَسْمَاءَ الوَاجِب وَصِفَاتَهُ سُبْحَانَهُ ظِلال حَضْرَة الذَّات فِي الحَقِيقَة ــ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ــ وَكُل مَوْضِعٍ فيه شَوْبُ الظِّلِّيَّة دَاخِلٌ فِي الآثَارِ وَالآيَات، فَهُمْ خَصَّصُوا بعلم اليَقِينِ سَيْرًا وَاحِدًا مِنْ سَيْره الثَّلاثَة وَجَعَلوا سَيْرَهُ الثَّانيَ مُحَصِّلا لعين اليَقِينِ وَحَقِّ اليَقِينِ وَلَمْ يُحَرِّكُوا شِفَاهَهُمْ بالسَّيْرِ الثَّالثِ أَصْلا حَتَّى يَتِمَّ به دَائرَةُ علمِ اليَقِينِ وَأَيْنَ بَعْدَ عَيْنِ اليَقِينِ وَحَقِّ اليَقِينِ [ع]

وَقِسْ مِنْ حَال بُسْتَاني رَبِيعي

وَمَاذَا أَقُول مِنْ عَيْنِ اليَقِينِ وَحَقِّ اليَقِينِ وَمَنْ يَفْهَمُهُ إِنْ قُلتُ وَمَنْ يُدْرِكُ؟! فَإِنَّ هَذه المَعَارِفَ خَارِجَةٌ مِنْ حَيْطَة الوِلايَة، وَأَرْبَابَ الوِلايَة عَاجِزُونَ عَنْ إِدْرَاكِهَا مِثْل عُلمَاء الظَّاهِرِ، وَقَاصِرُونَ فِي دَرْكِهَا.

وَهَذِه العُلومُ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاة أَنْوَارِ النُّبُوَّة ــ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ــ حَصَلتْ لَهَا النَّضَارَةُ بَعْدَ تَجَدُّد الأَلف الثَّاني وَظَهَرَتْ بالطَّرَاوَة، وَصَاحِبُ هَذه العُلومِ وَالمَعَارِف مُجَدِّدُ هَذَا الأَلف كَمَا يَخْفَى عَلى النَّاظِرِيْن فِي عُلومِه وَمَعَارِفه التي تَتَعَلقُ بالذَّات وَالصِّفَات وَالأَفْعَال، وَتَتَلبَّسُ بالأَحْوَال(٢) وَالمَوَاجِيد(٣) وَالتَّجَلِّيَات وَالظُّهُورَات، فَيَعْلمُونَ أَنَّ هَذه المَعَارِفَ وَالعُلومَ وَرَاءَ عُلومِ

---

(١) فصلت: ٥٣

(٢) ــ الحال:هو ما يرد على القلب الآخذ في السير إلى الله تعالى من غير تعمد ولا إجتلاب. الكاشاني: رشح الزلال: ٤٩

(٣) ــ **الوجد**: هو ما يصادف القلب من الأحوال المغنية، أى من الأحوال التي تأخذه عن شهود نفسه، وعن شهود الحاضرين، وما يلاقيه من الكون، ويفجأ القلب بالوصف المذكور، وهو وجد صحيح، وعلامة صحته أن تعقبه فائدة، ومزيد علم ذوقي. الكاشاني: رشح الزلال: ٧٤

العُلَمَاءِ وَوَرَاءَ مَعَارِفِ الأَوْلِيَاءِ، بَل عِلوم هَؤُلاءِ بِالنِّسْبَةِ إلى تلكَ العُلومِ قِشْرٌ وَتِلكَ المَعَارِفُ لبٌّ ذَلكَ القِشْرِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ الهَادي.

وَاعْلَمْ: أَنَّهُ قَدْ مَرَّ عَلى رَأْسِ كُل مائَة مُجَدِّدٌ وَمَضَى، وَلكنَّ مُجَدِّدَ المِائَة لَيْسَ كَمُجَدِّد الأَلف، بَل الفَرْقُ بَيْنَ مُجَدِّد المِائَة وَمُجَدِّد الأَلف كَالفَرْق بَيْنَ المِائَة وَالأَلف، بَل أَزْيَد منْهُ، وَالمُجَدِّدُ هُوَ الذي بتَوَسُّطه يَردُ عَلى الأُمَّة في تلكَ المُدَّة مَا يَرِدُ منَ الفُيُوضِ، وَإِنْ كَانُوا أَقْطَابَ(١) ذَلكَ الوَقْتِ وَأَوْتَادَهُ(٢) وَأَبْدَالَهُ(٣) وَنُجَبَاءَهُ(٤)، (شعر):

لَيْسَ عَلى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ   أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

---

(١) ــ **الأقطاب**: جمع قطب، والمرا د به عند الصوفية: الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام. الكاشاني: معجم إصطلاحات الصوفية: ١٦٢.

(٢) ــ **الأوتاد**: المراد بهم عند الصوفية أربعة رجال من إلزام القطب، وأركان دولته في ولاية التدبير،منازلهم على منازل الأربعة أركان من العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا،مقام كل واحد منهم مقام تلك الجهة، بمعنى أن يكون كل رجل منهم مورد الفيض الوارد من عندية الحق إلى عندية الغوث اللائق بتلك الجهة،والوافي لما فيها من أصناف الخلائق، لا بمعنى أن يكون كل منهم بنفسه في جهة تعينت له بالمناسبة الإلهية والروحانية والطبيعية، وتوزيع هذه الأقسام من أركان الكعبة، فإنها مطمح قرار القطب.وإن تشرف أو تقرب، فإنها اسم جامع مستند إلى اسم الله، والكعبة قلب الأرض، والقطب قلب الكون، فجمع القلب بين القلبين بالنسبة الذاتية. الكاشاني: رشح الزلال:٦٣.

(٣) ــ **النجباء**: المراد بهم عند الصوفية أربعون مشتغلون بحمل أثقال الخلق.، أثقالهم ما تنشأ من فوقية الحق من التجليات الذاتية القهرية، أو من شبح الطبيعة الغاسقة من المشقات الملمة الميسرة، وهي من حيث الجملة: كل حادث لا تفي القوة البشرية بحمله،وحمله عنهم، تلقيهم إياه بسريانهم ونفوذهم في قابلياتهم بقوة تجردهم، وتروحنهم، فإن الأرواح في باطن محل التدبير يتعاضد بعضها في حمل الأثقال في البعض تعاضد الأجساد في ظاهره، وذلك لتوفيتهم حق الفتوة واختصاصهم بموفور الشفقة والرحمة النظرية فلا يتفرقون إلا في حق العز، إذ لا مزيد لهم في ترقياتهم إلا من هذا الباب.،ولما اقتضى حمل الأثقال كمال القوة،اختصت جملتها بشعر وعدد وكمال قوتهم الموهوبة، وذلك أربعون، فإنه مستوى قوة العز. الكاشاني: رشح الزلال:٦٦.

(٤) ــ **الأبدال**: المراد بهم عند الصوفية: سبعة رجال من القطب، من سافر منهم من موضع، أي موضع كان، وترك جسدا على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعمال أصله، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد. الكاشاني: رشح الزلال: ٦٤.

وَالسَّلاَمُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الْهُدَى وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْلِيمَات الْعُلاَ وَجَمِيعِ إِخْوَانه منَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلاَئِكَة الْمُقَرَّبِينَ وَعِبَادِ اللهِ الصَّالحِينَ أَجْمَعِينَ.

المَكْتُوب الثَّامنَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى المير شَمْسِ الدِّين عَليٍّ الخلخاني
في بَيَان أنَّ لصفَات الحَقِّ سُبْحَانَهُ اعْتبَارَيْنِ
الأوَّل: حُصُولهَا في أنْفُسهَا
وَالثَّاني: قيَامُهَا بذَات الحَقِّ سُبْحَانَهُ
وَكلا الاعْتبَارَيْنِ مُتميِّزَان في الخَارِجِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

أيُّهَا المَخْدُومُ: إنَّ لصفَاتِ الوَاجبِ التي هيَ موْجُودَةٌ وَقَائمَةٌ بذَاته تَعَالى اعْتبَارَيْن:

الاعْتبَارُ الأوَّل: ثُبوتُها في حَدِّ ذَاتها.

وَالاعْتبَارُ الثَّاني: قيَامُهَا بذَات الوَاجب تَعَالى وَتَقدَّسَ.

وَلَهَا بالاعْتبَار الأوَّل مُنَاسَبَةٌ بالعَالمِ وَبه صَارَتْ مَبَادئُ التَعيُّنَات، وَبالاعْتبَار الثَّاني مُسْتَغْنيَةٌ عَنِ العَالمِ ليْسَ لَهَا تَوَجُّهٌ إلى العَالمِ وَمَا فيه أصْلاً.

وَأيْضًا: أنَّهَا بالاعْتبَار الأوَّل ترى في النظر الكشفي منفكة عن الذات تعالت وتقدست ونثبت الذات ورائها.

وَبالاعْتبَار الثَّاني: لَيْسَ كَذَلكَ: بَل لاَ يُتَصوَّرُ الانْفكَاكُ وَأيْضًا أنَّهَا بالاعْتبَار الأوَّل حَجْبٌ للذَّات وَبالاعْتبَار الثَّاني الاحْتجَابُ(١) مُرْتَفعٌ كَالبَيَاض القَائم بالثَّوْب؛ فَإنَّهُ لَيْسَ بحجَاب للثوْب، غَايَةٌ مَا في البَاب: أنَّ البَيَاضَ بكلا الاعْتبَارَيْنِ ـ أعْني حُصُولهُ في نَفْسه وَقيَامَهُ بالثَّوْب ـ لَيْسَ بحجَاب لذَات الثَّوْب؛ فَإنَّهُ وَإنْ كَانَ المَحْسُوسُ هُوَ ذَلكَ البَيَاضَ وَلكنَّ الحجَابيَّةَ مُرْتَفعَةٌ بخلاف صفَات الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ؛ فَإنَّهَا بالاعْتبَار الأوَّل حَاجبَةٌ وَبالاعْتبَار الثَّاني غَيْرُ حَاجبَة وَإيَّاكَ وَتَخيُّل فَرْق مَا بَيْنَ الاعْتبَارَيْنِ شَيْئًا يَسيرًا؛ فَإنَّ هَذَا الفَقيرَ مَعَ وُجُود جَذْبٍ(٢) قَوِيٍّ وَسُرْعَة سَيْرٍ قَطَعَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الاعْتبَارَيْنِ قَريبًا منْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَمْ يَهْتَد

---

(١) ـ **الحجاب**: يعني إنطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحقائق. الكاشاني: المعجم ٨١.، الرشح: ١٣٦.

(٢) ـ **الجذب**: يعني تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعى منه. الكاشاني: المعجم: ٦٥.

الْعُلَمَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ إلى فَرْق مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الاعْتِبَارَيْنِ، وَقالوا: إِنَّ حُصُول الْعَرَضِ فِي نَفْسه هُوَ عَيْنُ حُصُوله الْقِيَامِيِّ فِي الْجَوْهَرِ(١).

وَبَعْضُ الْعُلَمَاء الْمُتَأَخِّرِينَ تَنَبَّهَ عَلى هَذَا الفَرْق وَحَقَّقَ أَنَّ حُصُولَهُ فِي نَفْسه غَيْرُ حُصُوله الْقِيَامِيِّ لأَنَّ الْعَرَضَ يُقَال فِي حَقِّه: " إِنَّهُ وُجِدَ فَقَامَ " فَالوُجُودُ غَيْرُ الْقِيَامِ، وَتَحْقِيقُ ذَلِكَ الْبَعْضِ فِي الْعَرَضِ كَانَ مُرْتَقَى الْعُرُوجِ لِي وَوَسِيلَةً لِمَعْرِفَةٍ مُحْتَاجٍ إِلَيْهَا.

وَقَد أَمَدَّ فِي هَذَا السَّيْرِ وَالسُّلوك(٢) كَثِيرٌ مِنَ التَّحْقِيقَات الكَلامِيَّة وَالتَّدْقِيقَات الفَلسَفِيَّة وَصَارَتْ وَاسِطَةً لِلمَعَارِف الإِلهِيَّة جَل سُلْطَانُهُ، {وَالسَّلاَمُ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى}(٣) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَأَصْحَابِه مِنَ الصَّلَوَاتُ أَتَمُّهَا وَمِنَ التَسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

---

(١) ـــ **الجوهر**: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر في خمسة: هيولي، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل، لأنه إما أن يكون مجردا أو غير مجرد، فالأول أي المجرد: إما أن يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، أو لا يتعلق، والأول أي ما يتعلق: العقل، والثاني أي ما لا يتعلق: النفس. والثاني: وهو أن يكون غير مجرد، إما أن يكون غير مجرد، وإما أن يكون مركبا أولا، فالمركب: هو الجسم، وغير المركب: إما حال وإما محل، فالحال ك هي الصورة، والحل: هو الهيولي. وهذه تسمى الحقيقة الجوهرية في اصطلاح أ هل الله. الجرجاني: التعريفات: ١٠٩، ١٠٨.

(٢) ـــ السير والسلوك في الحقيقة شيئ واحد، يقع التغاير بينهما بحسب الإعتبارات فقط، **فالسير** مخصوص بالباطن، **والسلوك**: مخصوص بالظاهر، والسالك هو السائر إلى الله تعالى، ومرتبته وسط بين المريد والمنتهي، ما دام في السير. الحكيم الترمذي: خاتم الأولياء: ٥٠٣.

(٣) طـــه: ٤٧

المَكْتُوبُ التَّاسِعَ عَشَرَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ
إِلى المَخْدُوم زاده جَامِعِ العُلوم العقْليَّةِ وَالنَّقْليَّةِ
الخَوَاجَهْ مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّد مَعْصُومٍ
في بَيَانِ بَعْضِ الأَسْرَارِ الغَامِضَةِ
وَيُفْهَمُ مِنْهَا وَجْهُ كَوْنِهِ ﷺ
مَأْمُورًا بَاتِّبَاعِ مِلةِ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

الحَمْدُ للَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذين اصْطَفَى:

أَظُنُّ أَنَّ المَقْصُودَ مِنْ خَلْقِي هُوَ أَنْ تَكُونَ الوِلاَيَةُ المُحَمَّدِيَّةُ مُنْصَبِغَةً بِالوِلاَيَةِ الإِبْرَاهِيمِيَّة عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالتَّحِيَّةُ.

وَأَنْ يَمْتَزِجَ حُسْنُ مَلاحَة هِذه الوِلايَةِ بَجَمَال صَبَاحَةِ تِلْكَ الوِلاَيَةِ، قَدْ وَرَدَ في الحَدِيث: «أَخِي يُوسُفُ أَصْبَحُ وَأَنَا أَمْلَحُ».

وَأَنْ يَبْلغَ مَقَامُ المَحْبُوبِيَّة المُحَمَّدِيَّةِ بِهَذَا الانْصِبَاغِ دَرَجَةً عُلْيَا.

وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ المَقْصُودُ مِنَ الأَمْرِ باتِّبَاعِ مِلةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - حُصُول هَذِهِ الدَّوْلة العُظْمَى، وَأَنَّ طَلبَ الصَّلَوات وَالبَرَكَاتِ المُمَاثِلتَيْنِ لصَلَواتِ إِبْرَاهِيمَ وبَرَكَاتِهِ - عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ - إِنَّمَا هُوَ لأَجْلِ هَذَا الغَرَضِ، وَالمَلاَحَة وَالصَّبَاحَة كِلتَاهُمَا مُنْبِئَانِ عَنْ حُسْنِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ مِنْ غَيْرِ مَزْجِ الصِّفَاتِ، وَلكِنَّ حُسْنَ الصِّفَاتِ وَالأَفْعَال وَالآثَارِ كُلهَا -: مُسْتَفَادٌ مِنْ حُسْنِ الصَّبَاحَةِ الكَثِيرَةِ البَرَكَةِ، وَحُسْنُ المَلاحَة أَنْسَبُ بِحَضْرَةِ الإِجْمَال، وَكَأَنَّ المَلاحَةَ مَرْكَزٌ للحُسْنِ وَالصَّبَاحَة دَائِرَةُ ذَلكَ المَرْكَز.

وَكَمَا أَنَّ فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ بَسَاطَةَ كَذَلِكَ فِيهَا وَسَعَة أَيْضاً وَليْسَتْ تِلكَ البَسَاطَة وَالوَسَعَةُ ممَّا يَجِيءُ فِي فَهْمِنَا وَمَا ذَلِكَ الإِجْمَال وَالتَّفْصِيل مِمَّا يُدْرَكُ بِإِدْرَاكِنَا ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللطِيفُ الخَبِيرُ﴾(١).

وَالبَسَاطَةُ وَالوسعَةُ اللتَان نُثْبِتُهُمَا فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ كُل وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مُتَمَايِزَةٌ عَنِ الأُخْرَى لاَ أَنَّهَا عَيْنُ الأُخْرَى كَمَا ظَنَّ الذِي هُوَ ثَابِت فِي تِلْكَ المَرْتَبَةِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ حَيْطَةِ إِدْرَاكِنَا وَبَعِيدٌ عَنْ دَائِرَةِ

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

أَفْهامنا فَتَكُونُ الصَّبَاحَةُ وَالمَلاحَةُ أَيْضًا مُتَمَايِزَتَانِ فِي تلكَ المَرْتَبَةِ وَتَكُونُ أَحْكَامُ كُلِ وَاحِدَةٍ منْهُمَا مُغَايِرَةً لأَحْكَامِ الأُخْرَى.

فَعْلَمْ أَنَّ: المَقْصُودَ الذِي كُنْتُ فَهِمْتُهُ مِنْ خَلقِي قَدْ حَصَلَ وَمَسْئُول أَلفِ سَنَة صَارَ مَقْرُونًا بالإِجَابَةِ.

الحَمْدُ للهِ الذي جَعَلنِي صِلةً بَيْنَ البَحْرَيْنِ وَمُصْلحًا بَيْنَ الفِئَتَيْنِ أَكْمَلَ الحَمْدِ عَلى كُلِ حَالٍ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى خَيْرِ الأَنَامِ وَعَلى إِخْوَانِهِ الكِرَامِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمَلائِكَةِ العِظَامِ.

وَلَمَّا صَارَت الصَّبَاحَةُ أَيْضًا مُتَلوِّنَةً بلوْنِ المَلاحَةِ ـ لاَ جَرَمَ حَصَلتِ الوُسْعَةُ لمَقَامِ الخُلةِ الإِبْرَاهِيميَّةِ أَيْضًا، وَنَالَ المُحِيطُ حُكْمَ المَرْكَزِ أَيْضًا.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ لمَقَامِ المَحَبَّةِ مُنَاسَبَةً بمَرْتَبَةِ المَلاحَةِ، وَلمَقَامِ الخُلةِ بمَرْتَبَةِ الصَّبَاحَةِ، وَفِي المَحَبَّةِ كَانَت المَحْبُوبيَّةُ الصِّرْفَةُ نَصِيبَ خَاتَمِ الرُّسُلِ ـ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ وَالمَحَبَّةُ الخَالِصَةُ مَخْصُوصَةً بكَلِيمِ اللهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ وَفِي الخَليلِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ نِسْبَةُ الجَلِيسيَّةِ وَالنَّدِيميَّةِ، وَكُل مِنَ المُحِبِّ وَالمَحْبُوبِ غَيْرُ الجَلِيسِ وَالنَّدمِ وَلكُل وَاحِد منْهَا نسْبَةٌ عَلى حِدَة.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الفَقِيرُ مُرَبًّى بالوِلايَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَالوِلايَةِ المُوسَوِيَّةِ ـ عَلى صَاحِبَيْهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ـ كَانَ لهُ مَوْطِنٌ وَمَسْكَنٌ فِي مَقَامِ المَلاحَةِ وَنِسْبَةُ المَحْبُوبيَّةِ غَالِبَةٌ فيه بوَاسِطَةِ مَحَبَّتِه للوِلايَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ـ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ـ وَنِسْبَةُ المُحِبِّيَّةِ مَسْتُورَةٌ وَمَغْلُوبَةٌ.

أَيُّهَا الوَلَدُ: اعْلَمْ أَنَّهُ مَعَ وُجُودِ هَذِهِ المُعَامَلَةِ التِي هِيَ مَرْبُوطَةٌ بخلقَتِي، أُحِيلتْ عَليَّ مُعَامَلَةٌ أُخْرَى أَيْضًا عَظِيمَةٌ، وَلَيْسَ المَقْصُودُ مِنْ وُجُودِي المَشْيَخَةَ وَالمُرِيدِيَّةَ(١) وَتَكْمِيلَ الخَلقِ وَإِرْشَادَهُمْ، وَهَذِهِ المُعَامَلةُ غَيْرُ تِلكَ المُعَامَلَةِ، وَفِي ضِمْنِ هَذِهِ المُعَامَلَةِ يَأْخُذُ الفَيْضَ كُل مَنْ لهُ مُنَاسَبَةٌ وَإِلا لا.

وَمُعَامَلةُ التَّكْمِيلِ وَالإِرْشَادِ بالنِّسْبَةِ إِلى هَذِهِ المُعَامَلةِ ـ: كَأَنَّهَا أَمْرٌ مَطْرُوحٌ

---

(١) ـ **المريد**: هو من انقطع إلى الله تعالى عن نظر واستبصار، وتجرد عن إرادته، إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما أراده الله تعالى، لاما يريده غيره، فيمحو إرادته في إرادته، فلا يريد إلا ما يريده الحق، كان ما كان على الإجمال.، أو هو: من تعلقت إرادته بالحق المشهود له فيصح له الإنتقال في سيره إلى الله تعالى من تجل إلى تجل ن ومن اسم إلى اسم. الكاشاني: رشح الزلال: ٤٠، ٤١.

فِي الطَّرِيقِ وَلِدَعْوَةِ الأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ بِالنِّسْبَةِ إلى مُعَامَلاتِهِمُ البَاطِنِيَّةِ هَذَا الحُكْمُ بِعَيْنِهِ، وَمَنْصِبُ النُّبُوَّةِ وَإِنْ كَانَ مَخْتُومًا وَلَكِنْ لِكُمَّلِ تَابِعِي الأَنْبِيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ نَصِيبٌ مِنْ كَمَالاتِ النُّبُوَّةِ وَخَصَائِصِهَا بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ وَالوِرَاثَةِ.

المَكْتُوبُ العِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى الفَقِيرِ الحَقِيرِ عَبْد الحَيِّ

جَامِعِ هَذه المَكْتُوبَات الشَّرِيفَة

فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ الخُمْسِ: المَحَبِّيَّة وَالمَحَبَّة وَالحُبِّ وَالرِّضَا(١) وَمَرْتَبَة أُخْرَى فَوْقَهَا وَخُصُوصِيَّةِ كُل وَاحِدٍ مِنْهَا بِنَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى.

اعْلَمْ: أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالى، أَنَّ فِي المَحَبَّة الذَّاتِيَّةِ التِي هِيَ مَحَبَّتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لذَاته بذَاته ـ: ثَلاثَ اعْتِبَارَاتٍ:

- المَحْبُوبِيَّةَ
- وَالمَحَبِّيَّةَ
- وَالمَحَبَّةَ:

وَظُهُورُ كَمَالاتِ المَحْبُوبِيَّةِ الذَّاتِيَّة مُسَلمٌ لخَاتَمِ الرُّسُل ـ عَلَيْه وَعَلى آله وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتسْلِيمَاتُ ـ غَايَةُ مَا فِي البَاب: أَنَّ فِي جَانِبِ المَحْبُوبِيَّة كَمَالَيْنِ: فِعْلِيٍّ وَانْفِعَالِيٍّ، وَالفِعْلِيُّ أَصْل والانْفِعَالِيُّ تَابِعٌ لَهُ وَلَكِنَّ الانْفِعَالِيَّ عِلةٌ غَائِيَّةٌ لِلفِعْلِيِّ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فِي الوُجُود لكِنَّهُ مُتَقَدِّمٌ فِي التَّصَوُّرِ.

وَظُهُورُ كَمَالاتِ المَحَبَّة نَصِيبُ كَلِيمِ اللهِ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

وَالاعْتِبَارُ الثَّالثُ الذي هُوَ نَفْسُ المَحَبَّة: كَانَ أَبُو البَشَرِ آدَمُ ـ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ مَشْهُودًا فيه أَوَّلاً، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ ثَانِيًا، ثُمَّ نُوحٌ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ ثَالثًا، وَالأَمْرُ إلى الله سُبْحَانَهُ.

وَحَضْرَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنَّهُ يُحِبُّ ذَاتَهُ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ـ: كَذَلِكَ يُحِبُّ كِمَالاتِهِ الأَسْمَائِيَّةَ وَالصِّفَاتِيَّةَ وَالأَفْعَالِيَّةَ، وَظُهُورُ هَذِهِ المَحَبَّةِ الذَّاتِيَّةِ يَعْنِي مَحَبَّتَهُ

---

(١) ـ **الرضا**: أصله الرضا عن الله تعالى في كل ما قضى وقدر، وهو نتيجة رضا الله تعالى عن العبد.

وصورته في **البدايات**: الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

وفي **الأبواب**: وقوف العبد حيث ما وفقه الله تعالى من الحدود الشرعية، لا يطلب الاعتداء منها، ولا يميل إلى الرخص فيها. وفي **المعاملات**: طوع النفس فيها وبذل الوسع بلا كره منها.، وفي **الأصول**: أن يرى قصد السلوك وعزم السير وإرادة الحق من الله تعالى لا من نفسه، وفي **الأحوال**: أنلا يرضى إلا بحب الله وحده.، وفي **الولايات**: فناء إرادته في إرادة الحق بالكلية، والإنخلاع عن جميع صفاته عن البقية. الكاشاني: المعجم: ٢٤٩، ٢٤٨.

تَعَالى بذَاته لأَسْمَائه وَصفَاته ــ: أَتَمُّ في الخَليل ــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَظُهُورُ المَحْبُوبيَّة الأَسْمَائيَّة والصِّفَاتيَّة والأَفْعَاليَّة مُتحَقِّقٌ في سَائِرِ الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ كَظُهُورِ مَحَبَّتِهَا.

وَلَمَّا كَانَ للأَسْمَاء وَالصِّفَات وَالأَفْعَال ظلال كَانَ ظُهُورُ مَحْبُوبيَّة تلكَ الظِّلال بتَوَسُّط أُصُولهَا ــ: نَصيبَ الأَوْليَاء المُرَادينَ المَحْبُوبينَ، كَمَا أَنَّ مَحَبَّةَ تلكَ الظِّلال كَانَتْ نَصيبَ الأَوْليَاء المُريدينَ المُحبِّينَ.

وَفَوْقَ مَقَامِ المَحَبَّةِ الذَّاتيَّة مَقَامُ الحُبِّ: الذي هُوَ جَامعٌ للاعْتبَارَاتِ الثَّلاثَةِ وَإِجْمَالهَا.

وَمَقَامُ الرِّضَا فَوْقَ مَقَامِ المَحَبَّة وَالحُبِّ؛ فَإِنَّ مَرْتَبَةَ الرِّضَا فَوْقَ مَرْتَبَة المَحَبَّة؛ فَإِنَّ فِي المَحَبَّة وُجُودَ النِّسْبَة إجْمَالا وَتَفْصيلا وَفي مَقَامِ الرِّضَا حَذْفَ النِّسْبَة وَهُوَ مُنَاسبٌ لحَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ.

وَلَيْسَ فَوْقَ مَقَام الرِّضَاء قَدَمٌ إلا مَا أَخْبَرَ النَّبيُّ ﷺ عَنْ ذَلكَ المَقَامِ حَيْثُ قَالَ: " لي مَعَ الله وَقْتٌ لاَ يَسَعُني فيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبيٌّ مُرْسَل "(١).

وَكَأَنَّ في الحَديث القُدُسيِّ إشَارَةً إلى هَذه الخُصُوصيَّة حَيْثُ وَرَدَ: " يَا مُحَمَّدُ، أَنَا وَأَنْتَ، وَمَا سوَاكَ خَلَقْتُ لأَجْلكَ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ــ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: "اللَهُمَّ أَنْتَ وَمَا أَنَا وَمَا سوَاكَ تَرَكْتُ لأَجْلكَ" ومنْ أَيْنَ يُدْرَكُ عَظَمَةُ مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ في هَذَا اليَوْم وَكَيْفَ يُعْرَفُ جَلالَةُ قَدْره ــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ في هَذه النَّشْأَة؛ فَإِنَّ الحَقَّ مُمْتَزجٌ في هَذه الدَّار بالمُبْطَل، وَالحَقُّ مُخْتَلطٌ بالبَاطل لكَوْنهَا دَارَ ابْتلاء، وَسَيُعْلَمُ عَظَمَةُ شَأْنه يَوْمَ القيَامَة؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ فيه إمَامَ

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير، ولم يعزه إلى أحد، قال: وروي عنه عليه السلام:" لي مع الله وقت.... الحديث " الجامع الصغير ح ٤٣٤٧، وأورده المناوي في فيض القدير ح ٤٣٧٧ في شرح حديث " رأيت ربي عز وجل في أحسن صورة ". وقال العجلوني: تذكره الصوفية كثيرا، وهو في رسالة القشيري بلفظ لي وقت لا يسعني فيه غير ربي، ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي في حديث كان ﷺ إذا أتى مترله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس كذا في اللآلئ، وزاد فيها ورواه الخطيب بسند قال فيه الحافظ الدمياطي أنه على رسم الصحيح،وقال القاري: بعد إيراده الحديث قلت ويؤخذ منه أنه أراد بالملك المقرب جبريل وبالنبي المرسل أخاه الخليل انتهى فليتأمل، ثم قال القاري: وفيه إيماء إلى مقام الاستغراق باللقاء المعبر عنه بالسكر والمحو والفناء انتهى. كشف الخفاء للعجلوني: ح ٢١٥٩.

الأَنْبِيَاءِ وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ، وَيَكُونُ آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِه عَلَيْهِ وَعَلى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنَ الصَّلَوَاتُ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطَى خَادِمٌ مِنْ خُدَّامِه الآكِلِينَ فَضْلَةَ طَعَامِه النَّائِلِينَ عِنَايَةَ إِكْرَامِه مَحَلا فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ الخَاصِّ الذِي هُوَ فَوْقَ مَقَامِ الرِّضَاء بِطَرِيقِ الوِرَاثَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ وَأَنْ يُجْعَلَ مُحَرِّمًا لِذَلِكَ الجَنَاب بِتَطَفُّلِه عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ [ع]

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

وَهَذَا المَعْنَى لَيْسَ بِمُسْتَلزِمٍ لِمَزِيَّة غَيْرِ الأَنْبِيَاء عَلى الأَنْبِيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ــ؛ فَإِنَّهُ كَيْفَ تُتَصَوَّرُ المُسَاوَاةُ بَيْنَ الخَادِمِ وَبَيْنَ أَمْثَالِ هَؤُلاءِ المَخَادِيمِ؟! وَأَيُّ نِسْبَة بَيْنَ التَّابِعِ وَبَيْنَ أَمْثَال هَؤُلاءِ المَتَابِيعِ، الأَصْلُ مَقْصُودٌ وَالتَّابِعُ طُفَيْلِيٌّ، وَنِهَايَةُ مُعَامَلَةَ التَّابِعِ تَكُونُ مُنْجَرَةً إِلى فَضْلٍ جُزْئِيٍّ وَلا مَحْذُورَ فِيه؛ أَلا تَرَى أَنَّ لِكُلِ حَائِك وَحَجَّامٍ فَضْلا عَلى عَالِمٍ ذِي فُنُونٍ بِاعْتِبَارِ صَنْعَتِه الْمُخْتَصَّة بِهِ وَهُوَ سَاقِطٌ عَنْ حَيِّزٍ الاعْتِبَارِ.

كَلامُنَا إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ وَبِشَارَاتٌ وَكُنُوزٌ لاَ نَصِيبَ مِنْهَا لِلأَكْثَرِ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِهَا فَيُنْتِجُ إِيمَانُهُمْ ثَمَرَات تَنْفَعُهُمْ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ، {والسلام على من اتبع الهدى}⁽¹⁾ وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى جَمِيعِ إِخْوَانِه مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الصَّلَوَاتُ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

---

(١) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الحَادِي والعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى الخَان خانَان

فِي بَيَانِ الفرق بَيْنَ إيمَان أَخصّ الخوَاصِّ بالغَيْب وَإِيمَانِ العَوَامِّ وَإِيمَان المُتوَسِّطِينَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

(ع):

وَأَحْسَنَ مَا يُمْلَى حَديثُ الأَحِبَّة

قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}(١)، وَقَال تَعَالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَة إلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَة إلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلكَ وَلا أَكْثَرُ إلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا}(٢).

وَقُرْبُهُ وَمَعيَّتُهُ تَعَالى مُنزَّهَان كَذَاته سُبْحَانَهُ عَنِ الكَيْف وَالمثَال؛ فَإنَّهُ لاَ سَبيل للكَيْف إلى اللاكَيْفيِّ؛ فَكُل مَا يُدْرَكُ مِنْ مَعْنَى القُرْب وَالمَعيَّة بفَهْمنَا وَعَقْلنَا أَوْ يَدْخُل فِي حَيْطَة كَشْفنَا وَشُهُودنا فَهُوَ تَعَالى مُنَزَّهٌ وَمُبَرَّأٌ عَنْ ذَلكَ المَعْنَى الذي لَهُ قَدَمٌ فِي مَذْهَب المُجَسِّمَة، وَنُؤْمنُ أَنَّهُ تَعَالى قَرِيبٌ منَّا، وَأَنَّهُ تَعَالى مَعَنَا، لاَ نَدْري مَعْنَى القُرْب وَالمَعيَّة أَنَّهُ مَا هُوَ، وَنهَايَةُ نَصيبِ الكُمَّل فِي هَذه النَّشْأَة هِيَ الإيمَانُ بالغَيْب بذَاته وَصفَاته تَعَالى.

وَمَا فَاهَ أَرْبَابُ النُّهَى وَالحجَى بمَا   سوَى أَنَّهُ المَوْجُودُ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ

وَالإيمَانُ بالغَيْب ــ الذي هُوَ نَصيبُ أَخصِّ الخَوَاصِّ ــ لَيْسَ كَإيمَان العَوَامِّ بالغَيْب؛ فَإنَّ إيمَانَ العَوَامِّ بالغَيْب إنَّمَا يَحْصُل بالسَّمَاع أَوْ بالاسْتدْلال، وَأَخصُّ الخوَاصِّ حَصَّل إيمَانَ الغَيْب بمُطَالَعَة غَيْب الغَيْب فِي حُجُب ظلال الجَمَال(٣) وَالجَلال(١)، وَوَرَاءَ سُرَادقَات الظُّهُورَات وَالتَّجليَات.

---

(١) البقرة: ١٨٦

(٢) المجادلة:٧

(٣) ــ **الجمال**: هو تجليه بوجهه لذاته، فلجماله المطلق جلال هو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه فلم يبق أحد حتى يراه، وهو علو الجمال،وله دنو يدنو به منا، وهو ظهوره في الكل.، ولما كان في الجمال

وَأَمَّا المُتَوَسِّطُونَ: فَهُمْ مَسْرُورُونَ بالإِيمَان الشُّهُودِيِّ ظَانِّينَ الظِّلال أَصْلا وَالتَّجَلِيَات عين المُتَجَلي، وَالإِيمَانُ بالغَيْب نَصِيبُ الأَعْدَاءِ فِي حَقِّهِمْ يَعْنِي: عِنْدَهُمْ: {كُل حِزْب بِمَا لدَيْهِمْ فرِحُونَ}⁽٢⁾.

وَالبَاعثُ عَلَى التَّصْديعِ أَنَّ مَوْلانَا عَبْدَ الغَفُورِ وَمَوْلانَا الحَاجَّ مُحَمَّدًا مِنَ الأَصْحَاب المَخْصُوصِينَ؛ فَكُل إِحْسَانٍ مِنْ كُل يَقَعُ فِي حَقِّ المُشَار إِلَيْهِمَا مُوجِبٌ لامْتنَان الفَقير (ع):

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

وَالسَّلامُ.

ونعوته معني الدنو لزمه اللطف والرحمة والعطف من الحضرة الإلهية والأنس منا. الكاشاني: المعجم: ٦٦.

(١) ــ **الجلال**: هو احتجاب اللحق سبحانه عنا بعزته أمن نعرفه بحقيقته وهويته كما يعرف هو ذاته،فإن ذاته سبحانه لا يراها أحد على ما هي عليه إلا هو.، ولم كان في الجلال ونعوته معن الإحتجاب والعزة لزمه العلو والقهر من الحضرة الإلهية، والخضوع والهيبة منا. الكاشاني: المعجم: ٦٦.

(٢) المؤمنون: ٥٣

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى المُلا عَارِف الخَتني
فِي بَيَانِ فَضَائِل الكَلِمَة الطَّيِّبَة " لاَ إِلهَ إلا اللهُ "
وَتَحْقِيق مُقَام التَّنْزِيه
وَبَيَان أَنَّ الإيمَانَ بالغَيْب إنَّمَا يَتَحَقَّقُ إذَا انْتَهت المُعَامَلةُ إلى الأَقْرَبيَّة فَإنَّ تلكَ المُعَامَلَةَ خَارِجَةٌ عَنْ حَيْطَة الوَهْمِ وَالخَيَال

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

لِيَنْفِ مَوْلاَنَا عَارِفٌ الخَتَنِيّ أَوّلا الآلهَةَ البَاطلة، وَلْيُثْبتْ ثَانيًا المَعْبُودَ بالحَقِّ جَل سُلطَانُهُ وَكُل مَا هُوَ مُتَّسِمٌ بسِمَة الكَيْف وَالكَمِّ يَنْبَغِي إدْخَالَهَا تَحْتَ كَلمَة: "لاَ".

وَتَحْصيل الإيمَان بأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَن الكَيْف وَالمثَال وَأَتَمُّ العبَارَات فِي النَّفْي وَالإثْبَات الكَلمَةُ الطَّيِّبَةُ: " لاَ إلهَ إلا اللهُ "؛ قَالَ النَبيُّ ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: " أَفْضَل الذِّكْر لاَ إلهَ إلا اللهُ "⁽¹⁾.

وَقَال ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ حَاكيًا عَن الله سبحانه: " لوْ أَنَّ السَّمَوَات السَّبْعَ وَعَامرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضينَ السَّبْعَ وُضعْنَ في كفَّة وَ: "لاَ إلهَ إلا اللهُ " في كفَّة، لَمالتْ بهنَّ: لاَ إلهَ إلا اللهُ"⁽²⁾.

وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ أَفْضَلَ وَكَيْفَ لاَ تَكُونُ أَرْجحَ؟! فَإنَّ كلمَةً منْهَا تَنْفي جَميعَ مَا سوَاهُ تَعَالى، سَوَاءٌ أَكَانَ سَمَوَات أَوْ أَرَضينَ أَوْ عَرْشًا أَوْ كُرْسيًّا أَوْ لوْحًا أَوْ قَلمًا أَوْ عَالمًا أَوْ آدمًا، وَكَلمَةٌ أُخْرَى منْهَا تُثْبتُ المَعْبُودَ بالحَقِّ جَل بُرْهَانُهُ الذي هُوَ خَالقُ السَّمَوَات وَالأَرْضينَ، وَمَا سوَى الحَقِّ جَل وَعَلا منَ الآفَاق وَالأَنْفُس كُلهُ مُتَّسمٌ بسمَة الكَيْف وَالكَمِّ؛ فَكل مَا يَتَجَلي في مَرَايَا الآفَاق وَالأَنْفُس يَكُونُ كَيْفيًّا

---

(١) سنن الترمذي: ك: أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة.، ح ٣٤٤٣. عن جابر ﷺ مرفوعا، وقال: حسن غريب.، سنن ابن ماجه، ك: الأدب، ب: فضل الحامدين. ح ٣٨٠٠.عن جابر ﷺ مرفوعاً.

وأخرجه النسائي في عمل الليوم والليلة ،. في ثواب التسبيح، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي.انظر: المناوي: فيض القدير: ح ١٢٥٣. وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح ١٢٥٣.

(٢) أخرجه النسائي بسند صحيح عن أبي سعيد. انظر: فتح الباري ١١/ كِتَاب الدَّعَوَات باب فَضْلِ التَّسْبِيحِ)

وكَمِّيًّا بالضَّرُورَة فَيكُونُ مُستحقًّا للنَّفْي؛ فمَعْلومُنَا وَموْهُومُنَا وَمَشهُودُنَا وَمحْسُوسُنَا كُلهَا مُتَّصِفَةٌ بالكَيْف وَالمثَال ومُكْتَنِفَةٌ بعُيُوب الحُدُوث وَالإمْكَان؛ فَإنَّ مَعْلومَنَا ومَحْسُوسَنَا مَنْحُوتٌ ومَجْعُول، وَالتَّنْزيهُ الذي يَتَعَلقُ علمُنَا به عَيْنُ تَشْبيه، وَالكَمَال الذي هُوَ عَلى مقْدَار فَهمنَا عَيْنُ نَقْص، كُل مَا يَكُونُ مُتَجَلّيًا لنَا أَوْ مَكْشُوفًا أَوْ مَشْهُودًا فَهُوَ غَيْرُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَهُوَ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاء؛ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى حكَايَةً عَن الخَليل ـــ عَلَيْه السَّلامُ ـــ: {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحتُونَ وَاللَّهُ خَلقَكُمْ وَمَا تَعْمَلونَ}⁽¹⁾، وَمَنْحُوتُنَا كُلهُ مَخلوقُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، سَوَاءٌ نَحتْنَاهُ بأَيْدينَا أَوْ بعُقُولنَا وَأَوْهَامنَا ليْسَ بمُسْتَحقٍّ للعبَادَة، وَالمُسْتَحقُّ للعبَادَة إنَّمَا هُوَ الإلهُ المُنَزَّهُ عَنِ الكَيْف وَالمثَال الذي يَدُ وَهْمنَا قَاصرَةٌ عَن الوُصُول إلى ذَيْل إدْرَاكه، وَعُيُونُ كَشْفنَا وَشُهُودنَا مُتَحَيِّرَةٌ وَعَاجزَةٌ عَنْ شُهُود عَظَمَته وَجَلاله تَعَالى.

فَالإيمَانُ بمثْل هَذَا الإله المُنَزَّه عَن الكَيْف وَالمثَال لاَ يَتَيَسَّرُ إلا بطَريق الغَيْب؛ فَإنَّ الإيمَانَ الشُّهُوديَّ ليْسَ إيمَانًا به تَعَالى، بَل هُوَ إيمَانٌ بمَنْحُوت نَفْسه الذي هُوَ منْ مَخْلوقَاته تَعَالى، وَإشْرَاكُ الإيمَان بغَيْره بالإيمَان به تَعَالى، بَل إيمَانٌ بغَيْره تَعَالى فَقطْ، أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ منْ ذَلكَ، وَإنَّمَا يَتَيَسَّرُ الإيمَان بالغَيْب إذَا لمْ يَبْقَ للوَهْم السَّريع السَّيْر مَجَال فيه وَلمْ يَنْتَقشْ منْهُ شَيْءٌ في المُتَخيَّلة، وَهَذَا المَعْنَى مُتَحَقِّقٌ في الأَقْرَبيَّة التي هيَ خَارجَةٌ عَنْ حَيْطَة الوَهْم وَالخَيَال؛ فَإنَّ الشَّيْءَ كُلمَا يَكُونُ أَبْعَدَ يَكُونُ مَجَال الوَهْم فيه أَزْيَدَ وَأَوْسَعَ، وَيَكُونُ في الدُّخُول تَحْتَ سَلطَنَة الخَيَال أَقْرَبَ وَأَسْرَعَ.

وَهَذه الدَّوْلةُ مَخْصُوصَةٌ بالأَنْبيَاء ـــ عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ ـــ وَالإيمَانُ بالغَيْب نَصيبُ هَؤُلاء الأَكَابر ـــ عَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ ـــ بالأَصَالة، وَقَدْ يَشْرُفُ به كُل مَنْ أُريدَ في حَقّه ذَلكَ بطَريق التَّبَعيَّة لهُمْ وَالورَاثَة منْهُمْ، وَالإيمَانُ الغَيْبيُّ الذي هُوَ حَاصل لعَوَامِّ المُؤْمنينَ ليْسَ بخَارجٍ عَنْ حَيْطَة الوَهْم؛ فَإنَّ وَرَاءَ الوَرَاء في حَقِّ العَوَامِّ في جَانب البُعْد الذي فيه مَجَال للوَهْم، وَوَرَاءَ الوَرَاء عنْدَ هَؤُلاء الأَكَابر في جَانب القُرْب الذي لاَ مَجَالَ فيه للوَهْم، وَمَا دَامَت الدُّنْيَا قَائمَةً وَالحَيَاةُ الدُّنْيَويَّةُ مَوْجُودَةً لاَ بُدَّ منَ الإيمَان بالغَيْب؛ فَإنَّ الإيمَانَ بالمَشْهُود مَعْلول هُنَا، وَإذَا كَانَت النَّشْأَةُ الأُخْرَويَّةُ وَانْكَسَرَتْ سُورَةُ الوَهْم وَالخَيَال يَكُونُ الإيمَانُ الشُّهُوديُّ مَقْبُولا وَمُبَرًّا عَنْ علة الجَعْل وَالنَّحْت، وَأَظُنُّ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله ﷺ لَمَّا

---

(١) الصافات: ٩٥

كَانَ فِي دَارِ الدُّنْيَا مُشَرَّفًا بِدَوْلَةِ الرُّؤْيَةِ لَوْ أَثْبَتْنَا الإِيمَانَ الشُّهُودِيَّ فِي حَقِّهِ هُنَا لَكَانَ مَحْمُودًا وَمُنَزَّهًا عَنْ علة الجَعْلِ وَالنَّحْتِ؛ فَإِنَّ الذي هُوَ مَوْعُودٌ لِغَيْرِهِ فِي الآخِرَةِ مُيَسَّرٌ لَهُ ﷺ هُنَا {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}(١).

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ كَلِمَةَ النَّفْيِ قَدْ أَتَمَّهَا الخَلِيلُ ــ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ــ وَلَمْ يَتْرُكْ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الشِّرْكِ غَيْرَ مَسْدُودٍ أَصْلًا وَلِهَذَا صَارَ إِمَامَ الأَنْبِيَاءِ وَأَسْبَقَهُمْ قَدَمًا؛ فَإِنَّ ظُهُورَ نِهَايَةِ الكَمَالِ فِي النَّشْأَةِ الدُّنْيَاوِيَّةِ مَنُوطٌ بِإِتْمَامِ هَذَا النَّفْيِ، وَظُهُورُ كَمَالَاتِ كَلِمَةِ الإِثْبَاتِ مَوْقُوفٌ عَلَى نَشْأَةِ الآخِرَةِ، غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ خَاتَمَ الرُّسُلِ ــ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ــ لَمَّا تَشَرَّفَ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ بِدَوْلَةِ الرُّؤْيَةِ وَجَدَ نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ كَمَالَاتِ كَلِمَةِ الإِثْبَاتِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ أَيْضًا حَتَّى يُمْكِنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ كَلِمَةَ الإِثْبَاتِ قَدْ تَمَّتْ بِبَعْثَتِهِ ــ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ــ بِمِقْيَاسِ هَذِهِ النَّشْأَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِثْبَاتُ التَّجَلِّي الذَّاتِيِّ فِي حَقِّهِ ﷺ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ لِهَذَا المَعْنَى وَوَعْدٌ فِي حَقِّ الآخَرِينَ، {والسلام على من اتبع الهدى}(٢) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَفْضَلُهَا وَمِنَ التَّسْلِيمَاتِ أَكْمَلُهَا.

---

(١) الحديد: ٢٩

(٢) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الثَّالثُ وَالعشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة

إلى أخيه الحَقيقيِّ ميان مُحَمَّد مَوْدُود

فِي بَيَانِ أَنَّ كُل ظُهُورٍ لاَ يَكُونُ بدُون شَائبَة الظِّلِّيَّة بخلاَف ظُهُورِ مَا فَوْقَ العَرْش(١)

وَأَنَّ القَلبَ إذَا انْتَهَى إلى نهَايَته يَقْتَبسُ لُمْعَةً منْ أَنْوَارِ العَرْشِ

قَال الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ البسْطَامِيُّ: " لَوْ أَنَّ العَرْشَ وَمَا حَوَاهُ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلب العَارف(٢) مَا أَحَسَّ به " يَعْني: مَنْ وُسْعَة قَلبه.

وَأَيَّدَ الشَّيْخُ الجُنَيْد هَذَا القَوْل وَأَثْبَتَهُ بدَليل وَقَال: " إنَّ الحَادثَ إذَا اقْتَرَنَ بالقَديم لاَ يَبْقَى منْهُ أَثَرٌ " يَعْني: أَنَّ العَرْشَ وَمَا فيه حَادثٌ فَإذَا اقْتَرَنَ ذَلكَ الحَادثُ بقَلب العَارف ــ الذي هُوَ مَحَل ظُهُورِ أَنْوَارِ القدَمِ ــ يَصيرُ مُضْمَحلا وَمُتَلاشيًا، فَكَيْفَ يَكُونَ مَحْسُوسًا؟! وَالعَجَبُ أَلفَ عَجَب منْ صُدُورِ مثْل هَذَا الكَلامِ عَنْ رُؤَسَاءِ الصُّوفيَّة: سُلطَان العَارفينَ وَسَيِّد الطَّائفَة؛ حَيْثُ لاَ يَجْعَلونَ للعَرْشِ المَجيد اعْتبَارًا في جَنْب قَلب العَارف أَصْلا، وَيَرَوْنَ العَرْشَ حَادثًا خَاليًا منْ ظُهُورِ أَنْوَارِ القدَمِ وَيُسَمُّونَ القَلبَ قَديمًا بوَاسطَة ظُهُورِ أَنْوَارِ القدَمِ فيه، فَمَاذَا أَقُول منْ غَيْرِهمْ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟!

وَعنْدَ الفَقيرِ: الذي هُوَ مُرَبَّى الجَذَبَات الإلهيَّة هُوَ: أَنَّ قَلبَ العَارف إذَا انْتَهَى إلى نهَايَة النِّهَايَة بمُقْتَضَى اسْتعْدَاده الخَاصِّ وَحَصَّل الكَمَال الذي لاَ يُتَصَوَّرُ شَيْءٌ فَوْقَهُ يَحْصُل لهُ حينَئذ قَابليَّةُ فَيَضَان لُمْعَة منْ لَمَعَات ظُهُور أَنْوَار العَرْشِ التي لاَ نهَايَةَ لهَا وَتَكُونُ تلكَ اللمْعَةُ(٣) بالنِّسْبَة إلى لَمَعَات العَرْشِ قَطْرَةً بالنِّسْبَة إلى البَحْرِ المُحيط، بَل أَقَل وَالعَرْشُ هُوَ الذي سَمَّاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَظيمًا وَأَثْبَتَ فيه سرَّ الاسْتوَاء وَيُقَال لقَلبِ العَارفِ بوَاسطَة جَامعيَّته عَلى سَبيل التَّمْثيل وَالتَّشْبيه عَرْشٌ لله يَعْني:

---

(١) **العرش**: هو الجسم المحيط بجميع الأجسام، سمي به لارتفاعه، أو للتشبيه بسرير الملك في تمكنه عليه عند الحكم، لتزول أحكام قضائه وقدره منه، ولا صورة ولا جسم ثمة. انظر: الجرجاني: التعريفات: ١٩٢.

(٢) ــ **العارف**: هو من أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث من شهوده.الكاشاني: المعجم: ١٢٤.

(٣) ــ **اللوامع**: هي ما يثبت من أنوار التجلي وغيره، واللوامع إنما تثبت وقتين، وقريبا من ذلك، لأن الوقت الأ ول لظهورها، والوقتالثاني لإفادة ما أتت به من العلوم الإلهية، ولا تعلق لها بالعلوم الكونية أصلا. الكاشاني: رشح الزلال: ١٠٨. الفتوحات المكية:جــ ١٣ / ٤٨،٧٤.

كَمَا أَنَّ العَرْشَ المَجيدَ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالِمِ الخَلْقِ وَعَالِمِ الأَمْرِ فِي العَالِمِ الكَبِيرِ وَجَامِعٌ لكلا طَرَفَيِ الخَلقِ وَالأَمْرِ كَذَلِكَ القَلْبُ بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالِمِ الخَلقِ وَعَالِمِ الأَمْرِ فِي العَالِمِ الصَّغِيرِ وَجَامِعٌ لكلا طَرَفَيِ الخَلقِ وَالأَمْرِ فِي ذَلِكَ العَالِمِ الصَّغِيرِ فَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ للقَلبِ أَيْضًا عَرْشًا عَلى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ

اسْمَعْ: إنَّ قَابِليَّةَ ظُهُورِ أَنْوَارِ القِدَمِ التي هِيَ مُنَزَّهَةٌ وَمُبَرَّأَةٌ عَنْ شَائِبَةِ الظِّلِّيَّةِ مَخْصُوصَةٌ بِالعَرْشِ المَجِيدِ لَيْسَتْ تلكَ القَابِليَّةُ لِشَيْءٍ مِنْ عَالِمِ الخَلقِ وَلا مِنْ عَالِمِ الأَمْرِ وَلا مِنَ العَالِمِ الكَبِيرِ وَلا مِنَ العَالِمِ الصَّغِيرِ غَيْرُ العَرْشِ المَجِيدِ وَيَقْتَبِسُ قَلبُ العَارِفِ الكَامِلِ مِنْ تلكَ الأَنْوَارِ بِوَاسِطَةِ عَلاقَةِ الجَامِعيَّةِ وَالبَرْزَخِيَّةِ وَيَغْتَرِفُ غَرْفَةً مِنْ ذَلِكَ البَحْرِ وَكُلِ ظُهُورٍ بَعْدَ العَرْشِ، وَقَلبُ العَارِفِ التَّامِّ المَعْرِفَةِ مُتَّسِمٌ بِسِمَةِ الظِّلِّيَّةِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةً مِنَ الأَصْلِ، فَإِنْ قَالَ أَبُو يَزِيدَ كَذَلِكَ مِنَ السُّكْرِ فَلَهُ ذَلِكَ وَلكِنَّ صُدُورَهُ مِنَ الجُنَيْدِ الذي هُوَ مُدَّعٍ للصَّحْوِ(١) لَيْسَ بِحَسَنٍ وَمَاذَا يَصْنَعُونَ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَنْتَبِهُوا لِحَقِيقَةِ المُعَامَلَةِ وَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْ لُجَّةِ بَحْرِ الظِّلِّيَّةِ إِلى السَّاحِلِ وَهَذَا الكَلامُ وَإِنْ كَانَ اليَوْمَ مُسْتَبْعَدًا فِي نَظَرِ أَكْثَرِ الخَلقِ وَلكِنَّ الغَدَ قَرِيبٌ مِنَ اليَوْمِ فَلا يَسْتَعْجِلوا: {أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}(٢) {والسلام على من اتبع الهدى}(٣) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَعَلى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ وَعَلى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَعَلى سَائِرِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ وَعَلى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ أَجْمَعِينَ.

---

(١) ــ **الصحو**: لغة: نقيض السكر. انظر: ابن منظور: لسان العرب / صحا.، فإذا كان السكر عند الصوفية: هو إستيلاء سلطان الحال، فإن الصحو هو العودة إلى ترتيب الأفعال، وتهذيب الأقوال.

وصورته في **الأبواب**: السلو عن الخوف والرجاء.، وفي **المعاملات**: السلو عن اغلتدبير وحظوظ النفس للإشتغال بالرعاية والمراقبة.، وفي **الاخلاق**: ذكاء اللنفس وصفاء القلب.، وفي **الأصول**: السلو عن الخلق للتوجه إلى الحق، والإنجذاب إلى جنابه لشدة الأنس.، وفي **الأودية**: صفاء العقل لتنوره بنور القدس.، وفي **الأحوال**: صفاء الحال بقوة الحب، والسلو عما سوى المحبوب، وفي **الولايات**: صفاء الوقت بالسرور بوصل المعشوق.، وفي **النهايات**: صفاء العشق والذوق بأحدية الجمع والفرق. انظر: الكاشاني: المعجم: ٣٥٨،٣٥٧.

(٢) النحل: ١

(٣) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة
إلى المَخْدُومِ زَادَهْ مَعْدن الحَقَائق وَالمَعَارف اللا مُتَنَاهيَة
وَمَظْهَرِ الفُيُوضَات الإلهيَّة
مَجْد الدِّين الخَوَاجَهْ مُحَمَّد مَعْصُوم
في بَيَان بَعْض خَصَائص ظُهُور مَا فَوْقَ العَرْش
وَمَعْنَى قَوْله تَعَالى: {اللهُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْض}⁽¹⁾ التَّأْويليِّ
وَبَعْضِ خَوَاصِّ كَمَالاتِ الإنْسَانِ وَفَضَائل الجُزْءِ الأَرْضيِّ منْهُ وَمَا يُنَاسبُ ذلكَ

نَحْمَدُهُ وَنُصَلي عَلى عَبْده وَعَلى آله الكرَام:

اعْلَمْ: أَنَّ العَالَمَ الكَبيرَ مَعَ وُجُود الوَسْعَة وَالتَّفْصيل فيه لَمَّا لَمْ يَكُنْ فيه الهَيْئَةُ الوَحْدَانيَّةُ ليْسَتْ فيه قَابليَّةُ ظُهُور البَسيط الحَقيقيِّ المُجَرَّد عَنِ النِّسَب وَالاعْتبَارَات المُعَرَّى عَنْ تَفَاصيل الشُّئُون وَالصِّفَات، وَأَشْرَفُ أَجْزَاء العَالَم الكَبير عَرْشُ الرَّحْمَنِ الذي هُوَ مَحَل ظُهُور أَنْوَار حَضْرَة الذَّات المُسْتَجْمعَة لجَميع الصِّفَات وَمَا وَرَاءَ العَرْش المَجيد منَ العَالَمِ الكَبير لاَ تَخْلو الظُّهُورَاتُ فيه عَنْ شَائبَة الظِّلِّيَّة كَائنًا مَا كَانَ وَلهَذَا خَصَّصَ رَبُّ العَالَمينَ سرَّ الاسْتوَاء ممَّا بَيْنَ أَجْزَاء العَالَم الكَبير بالعَرْش المَجيد لكَوْنه أَفْضَل أَجْزَاء ذَلكَ العَالَم؛ فَإنَّ ظُهُورَ ظل منَ الظِّلال لَيْسَ هُوَ ظُهُورَهُ تَعَالى في الحَقيقَة حَتَّى يُعَبَّرَ عَنْهُ بعبَارَة الاسْتوَاء وَأَيْضًا إنَّ الظُّهُورَ الذي فيه دَائميٌّ منْ غَيْر تَخَلل الاسْتتَار وَإنْ كَانَ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْض هُوَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَلكنَّ ذَلكَ النُّورَ مَقْرُونٌ بحُجُب الظِّلال لاَ ظُهُورَ لَهُ تَعَالى فيهَا منْ غَيْر تَوَسُّط الظِّلِّيَّة وَجَميعُ تلكَ الظُّهُورَات مُقْتَبَسَةٌ منْ أَنْوَار الظُّهُور العَرْشيِّ ظَهَرَتْ مُحْتَجبَةً بحجَاب ظل منَ الظِّلال كَماء البحْر المُحيط يُحْمَل بتَوَسُّط الظُّرُوف إلى الجَوَانب وَالأَطْرَاف وَكَمشْعَل عَظيم تُشْعل منْهُ المَشَاعل الصِّغَارُ وَيُسْتَضَاءُ بهَا الآفَاقُ وَالأَكْنَافُ وَكَأَنَّ في قَوْله تَعَالى: {اللهُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْض مَثَل نُوره كَمشْكَاة فيهَا مصْبَاحٌ}⁽²⁾ الآيَةَ إيمَاءً إلى هَذه المَعَارف؛ فَإنَّ التَّمْثيل في هَذه الآيَة الكَريمَة إنَّمَا أُخْتيرَ لئَلا يَنْفَهمَ ظُهُورُ ذَلكَ النُّور منْ غَيْر تَوَسُّط وَلئَلا يَشْتَبهَ الأَصْل بالظِّلِّ وَليُعْلَمَ أَنَّ نُورَ الظِّل مُوقَدٌ مُقْتَبَسٌ وَمَأْخُوذٌ منَ الأَصْل: {يَهْدي اللهُ لنُوره مَنْ

---

(١) النور: ٣٥

(٢) النور: ٣٥

يَشَاءُ}⁽¹⁾ الآيَةُ الكَرِيمَةُ مَحْمُولَةٌ عَلى مُرَاد الله تَعَالى وَنَحْنُ أَوَّلنا بِتَأْوِيل كُشفَ لنَا فَنَقُول بعَوْن الله تَعَالى وَحُسْنِ تَوْفيقه سُبْحَانَهُ:

{اللهُ نُورُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ}⁽²⁾ النور هُوَ الذي تُشْرقُ به الأَشْيَاءُ وَتَسْتَضيءُ وَالسَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِنَّمَا أَشْرَقَتْ به تَعَال؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْرَجَهَا مِنْ ظُلمَات العَدَم وَجَعَلهَا مُتَّصفَةً بالوُجُود وَتَوَابعه وَنَوَّرَهَا، يَنْبَغي أَنْ يُتَصوَّرَ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ التي أَشْرَقَتْ بذَلكَ النُّور مثْل المشْكَاة وَأَنْ يُعْلَمَ ذَلكَ النُّورُ بمَثَابَة المصباح الذي هُوَ مُودَعٌ فِي تلكَ المشْكَاة، وَدُخُول كَاف التَّمْثيل عَلى المشْكَاة لاشْتمَالها عَلى المصباح وَيَنْبَغي أَنْ يُلاحَظَ الزُّجَاجَة حجب الأَسْمَاء وَالصِّفَات؛ فَإِنَّ ذَلكَ النُّورَ مُتَلبِّسٌ بالأَسْمَاء وَالصِّفَات وَلَيْسَ بمُعَرًّى عَنِ الشُّئُون وَالاعْتبَارَات وَزُجَاجَةُ الصِّفَات كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌ منْ حُسْنِ الوُجُوب وَجَمَال القدَمِ وَذَلكَ المصْبَاحُ المُودَعُ فِي تلكَ المشْكَاة مُوقَدٌ منْ شَجَرَة مُبَارَكَة زَيْتُونَة وَهيَ كنَايَةٌ عَنِ الظُهُورِ الجَامعِ العَرْشيِّ الذي الاسْتوَاءُ رَمْزٌ منْ ذَلكَ الظُّهُور؛ فَإِنَّ الظُّهُورَات التي تَتَعَلقُ بالسَّمَوَات وَالأَرْضِ بمَثَابَة الأَجْزَاء لذَلكَ الظُّهُورِ الجَامعِ وَحَيْثُ كَانَ ذَلكَ الظُّهُورُ الجَامعُ لاَ مَكَانيًّا وَلا جهَتيًّا جَازَ أَنْ يُقَال: إنَّهُ: {لاَ شَرْقيٍّ وَلا غَرْبيٍّ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}⁽³⁾ صفَةٌ مَادحَةٌ لتلكَ الشَّجَرَة المُبَارَكَة التي هيَ مُمَثَّل بهَا وَبَيَانٌ لصَفَاء زَيْتهَا وَتَلأْلئه.

{نُورٌ عَلى نُور}⁽⁴⁾ يَعْني: أَنَّ حجَابَ الزُّجَاجَة لصَفَائه وَإِشْرَاقه ازْدَادَ في ذَلكَ النُّور وَزَادَ فِي حُسْنه وَجَمَاله لأَنَّهُ اجْتَمَعَتْ كَمَالاتُ الصِّفَات مَعَ كَمَال الذَّات وَاقْتَرَنَ حُسْنُ الصِّفَات بجَمَال الذَّات مَعَ وُجُود تَضَاعُف النُّورِ وَكَمَال الظُّهُور.

{يَهْدي اللهُ لنُوره مَنْ يَشَاءُ}⁽⁵⁾:

بَلى: {مَنْ لَمْ يَجْعَل اللهُ لهُ نُورًا فَمَا لهُ منْ نُورٍ}⁽⁶⁾.

---

(١) النور: ٣٥

(٢) النور:٣٥

(٣) النور: ٣٥

(٤) النور: ٣٥

(٥) النور: ٣٥

(٦) النور: ٤٠

وَهَذَا الظُّهُورُ الجَامِعُ الذي انْتَسَبَ إلى العَرْشِ مُنْتَهَى المُشَاهَدَاتِ وَالمُعَايَنَاتِ(١) وَالمُكَاشَفَاتِ وَنِهَايَةُ التَّجَلِّيَاتِ وَالظُّهُورَاتِ سَوَاءٌ كَانَتْ تَجَلِّيَاتٍ ذَاتِيَّةً أَوْ صِفَاتِيَّةً وَبَعْدَ ذَلِكَ تَتَقَرَّرُ المُعَامَلَةُ عَلَى الجَهْلِ كَمَا سَيَأْتِي نُبْذَةٌ مِنْ بَيَانِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَهَذَا الظُّهُورُ الجَامِعُ وَإِنْ كَانَ مَقْرُونًا بالصِّفَاتِ وَلَكِنَّ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ في هَذَا المَوْطِنِ حِجَابًا لِلذَّاتِ وَحِجَابِيَّةُ الصِّفَاتِ لِلذَّاتِ مَخْصُوصَةٌ بالظُّهُورَاتِ الظِّلِّيَّةِ التي في مَرْتَبَةِ العلمِ وَظُهُورُ الأَصْلِ في مَقَامِ العَيْنِ فَالصِّفَاتُ حِجَابٌ لِلذَّاتِ في العلمِ لاَ في العَيْنِ أَلا تَرَى أَنَّ زَيْدًا إِذَا تَعَقَّلْتَهُ في مَرْتَبَةِ العلمِ يَكُونُ ظُهُورُهُ في العلمِ بالصِّفَاتِ كَالطَّوِيلِ أَوِ القَصِيرِ أَوْ العَالِمِ أَوِ الجَاهِلِ أَوِ الصَّغِيرِ أَوِ الكَبِيرِ أَوِ الشَّاعِرِ أَوِ الكَاتِبِ وَكُلِ تِلْكَ الصِّفَاتِ التي تَعْقِلُهَا حِجَابٌ لِذَاتِهِ وَجَمِيعُ تِلْكَ التقييداتِ الكُلِّيَّةِ لاَ تَكُونُ مُفِيدَةً لِتَشَخُّصِهِ فَإِذَا خَرَجَ زَيْدٌ مِنَ العلمِ إِلى العَيْنِ وَصَارَ مَشْهُودًا مَعَ وُجُودِ الصِّفَاتِ وَانْتَقَلَتِ المُعَامَلَةُ مِنَ الظِّلِّيَّةِ وَتَقَرَّرَتْ عَلَى الأَصَالَةِ؛ فَإِنَّ الصُّوَرَ العلميَّةَ لِزَيْدٍ ظِل زَيْدِ المَوْجُودِ في الخَارِجِ وَهُوَ أَصْلُهُ فَحِينَئِذٍ لاَ تَكُونُ الصِّفَاتُ حِجَابًا لِذَاتِهِ وَيَكُونُ المَحْسُوسُ شَخْصًا مُسْتَجْمِعًا لِجَمِيعِ الصِّفَاتِ وَكَذَلِكَ مُفَارَقَةُ الصِّفَاتِ لِحَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ إِنَّمَا هِيَ في مَرَاتِبِ الظِّلاَلِ وَالتَّصَوُّرَاتِ المِثَالِيَّةِ وَأَمَّا إِذَا تَيَسَّرَ الوُصُولُ إلى الأَصْلِ لاَ تُوجَدُ الصِّفَاتُ مُنْفَكَّةً عَنِ الذَّاتِ وَلا يَكُونُ شُهُودُ الذَّاتِ مُنْفَكًّا عَنْ شُهُودِ الصِّفَاتِ وَتَجَلِّي الصِّفَاتِ الذي مَيَّزُوهُ عَنْ تَجَلِّي الذَّاتِ وَأَثْبَتُوا تَجَلِّيَ الأَفْعَالِ عَلَى حِدَةٍ كُلِ ذَلِكَ في مَقَامَاتِ الظِّلاَلِ وَبَعْدَ الوُصُولِ إلى الأَصْلِ لَيْسَ إلا تَجَلٍ وَاحِدٌ مُتَضَمِّنٌ لِلتَّجَلِّيَاتِ الثَّلاَثَةِ مَثَلاً: زَيْدٌ الذي

---

(١) ــ **المعاينة**: في اللغة: تعني المواجهة، يقال: لقيتهة معاينة أى مواجهة (لسان العرب / عين) أما عند الصوفية فهي: عيان الحق ذاته بلا شبهة. وصورهما في **البدايات**: إعتقاد معاينة الحق فى الآخرة بالبصر، كما في الخبر من قوله عليه الصلا ة والسلام: " سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته "، وفي **الأبواب**: رؤيته في صورة نورية خيالية.، وفي **المعاملات**: إعتقاد كونه مرئيا بنور البصيرة.، وفي **الأخلاق**: العلم بكونه وجودا خاصا ممتازا عن جميع الموجودات، بكونه غير عارض لماهية، بل وجوده عن حقيقته غير معقول من حيث خصوصيته.، وفي **الأصول**: معاينة شواهد الوصول في السلوك.، وفي **الأودية**: معاينة وجه الحق بنور البصيرة. مطلقا ومقيدا في كل شيئ، وهي معاينة بشواهد العلم.، وفي **الأحوال**: معاينة عين الروح عيانا محضا غير مستمر، فيهيج الحب والشوق.، وفي **الولايات**: معاينة وجه الحق بعين الحق في حضرة الواحدية، عند الغتصاف بصفات الحق، وفي **النهايات**: معاينة الحق ذاته بذاته على الإستمرار اللازم للتمكين في عين الجمع عند محق الرسم في عين الأزلية بالكلية. انظر: الكاشاني ك المعجم ك ٣٤٨، ٣٤٩.

يَكُونُ مَشْهُودًا لاَ يَكُونُ شُهُودُ ذَاتِه مُنْفَكًّا عَنْ شُهُود صِفَاتِه، بَل المُشَاهِدُ لهُ يَجدُهُ حِينَ شُهُودِه عَالمًا فَاضلا فَكَمَا أَنَّ عِلمَهُ وَفَضْلهُ لَيْسَا بحجَابٍ لرُؤْيَته كَذَلكَ لَيْسَا بمُنْفَكَّيْنِ عَنْهُ أَيْضًا، نَعَمْ: إذَا كَانَ زَيْدٌ مُتَعقّلا وَمُدْرَكًا بالصُّورَة الظِّلّيَّة تَكُونُ صِفَاتُهُ مُنْفَكَّةً عَنْ ذَاته وَحِجَابًا لَهُ كَمَا مَرَّ؛ أَلا تَرَى أَنَّ المَرْئِيَّ فِي الآخِرَة هُوَ الذَّاتُ المُسْتَجْمعَةُ للصِّفَات لاَ الذَّاتُ المُعَرَّاةُ عَن الأَسْمَاء وَالصِّفَات؛ فَإنَّ ذَلكَ مُجَرَّدُ الاعْتبَار لأَنَّهُ لاَ تَجَرُّدَ للذَّات عَن الصِّفَات أَصْلا وَلَيْسَت الصِّفَاتُ مُنْفَكَّةً عَن الذَّات قَطْعًا وَالتَّجَرُّدُ إنَّمَا يُقَال باعْتبَار أَنَّ العَارفَ الكَامل إذَا اسْتَوْلى عَلَيْه التَّعَلقُ بالذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ تَسْقُطُ عَنْ نَظَرِه مُلاحَظَةُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَلا يَبْقَى مَشْهُودُهُ غَيْرُ أَحَديَّة الذَّات أَصْلا فَتُجَرِّدُ الذَّاتَ عَنِ الصِّفَات إنَّمَا كَانَ باعْتبَارِ نَظَرِ العَارِف لاَ باعْتبَار الخَارِجِ وَنَفْسِ الأَمْرِ كَمَا سَيَجِيءُ تَحْقيقُهُ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى.

وَأَيْضًا: إنَّ هَذَا الظُّهُورَ الجَامعَ مُنْتَهَى المِثَاليَّة وَالكَمَال الذي يَحْصُل بَعْدَ ذَلكَ لاَ يُمْكنُ كَوْنُهُ مُتَصَوَّرًا فِي مِرْآة المِثَال؛ فَإنَّ التَّصَوُّرَ في المِثَال إنَّمَا يَكُونُ لأَمْرٍ لهُ مُشَابَهَةٌ مُنَاسبَةٌ بمَا في الخَارِجِ وَإنْ كَانَتْ تلكَ المُشَابَهَةُ فِي الاسْمِ فَقَطْ وَأَمَّا الأَمْرُ الذي لاَ مُشَابَهَةَ لهُ بشَيْءٍ في الخَارِجِ بوَجْه منَ الوُجُوه فَتَصْويرُهُ في المِثَال مُحَال وَالكَمَالاتُ الفَوْقَانيَّةُ منْ هَذَا القَبيل لأَنَّهَا لاَ شَيْءَ يُشَابهُهَا بوَجْه منَ الوُجُوه حَتَّى يُمْكنَ تَصْويرُهَا في المِثَال وَمنْ هَهُنَا كَانَ الجَهْل منْ لوَازم ذَلكَ المَوْطن في جَميعِ الأَوْقَات وَصَارَ عَدَمُ الإدْرَاك فيه عَلامَةَ الإدْرَاك، وَفي هَذه النَّشْأَة وَإنْ لَم يَحْصُل منْ ذَلكَ المَقَام شَيْءٌ غَيْرُ الجَهْل وَعَدَم الوجْدَان وَلكنَّ المَرْجُوَّ أَنْ يَحْصُل في الآخرَة قُوَّةٌ وَقَلبٌ لاَ يَتَلاشَى في تَشَعْشُعِ النُّور وَيَكُونُ خَبيرًا عَنْ حَقيقَة المُعَامَلة.

أَلا أَعْطِنِي قَلبًا تَرَى منْ جَسَارَة الـ ... أُسُودِ وَإنْ أَلفَيْتَني قَبْل ثَعْلبًا

وَلا يُوقعَنَّكَ بَيَانُ ظُهُور مَا فَوْقَ العَرْش في تَوَهُّم أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى مُسْتَقِرٌّ فَوْقَ العَرْشِ وَثَابتٌ لهُ تَعَالى المَكَانُ وَالجهَةُ تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلكَ عُلوًّا كَبيرًا وَعَمَّا لاَ يَليقُ بجَنَاب قُدْسه تَعَالى؛ فَإنَّ ظُهُورَ صُورَةَ زَيْد في المرْآة لاَ يَسْتَلزمُ اسْتقْرَارَ زيد في المرْآة وَإنْ وَقعَ القَاصرُونَ في التَّوَهُّم وَللهِ المَثَل الأَعْلى أَلا تَرَى أَنَّ المُؤْمنينَ يَرَوْنَ الحَقَّ تَعَالى في الآخرَة في الجَنَّة مَعَ أَنَّ الجَنَّةَ وَغَيْرَهَا سيَّان بالنِّسْبَة إليْه تَعَالى وَالكُل مَخْلوقُهُ تَعَالى وَالتَّجَلي الوَاقعُ في جَبَل الطُّور لَيْسَ فيه شَائبَةُ الحَاليَّة وَالمَحَليَّة غَايَةُ مَا في البَاب أَنَّ بَعْضَ المَحَال فيه قَابليَّةُ الظُّهُور وَبَعْضٌ آخَرُ لَيْسَتْ فيه

تلكَ القَابليَّةُ ألا تَرَى أنَّ المرْآةَ فيهَا قَابليَّةٌ لظُهُور الصُّوَر وَلَيْسَتْ تلكَ القَابليَّةُ لنعَال الدَّوَابِّ مَعَ أنَّ كُلا منْهُمَا منَ الحَديد فَالتَّفَاوُتُ إنَّمَا هُوَ في المَظْهَر لاَ في الظَّاهر وَجَميعُ المَظَاهر قَابلةٌ أَوْ غَيْرَ قَابلة سَوَاسيَةٌ بالنِّسْبَة إلى الظَّاهر وَكَذلكَ الألفَاظُ التي تُوهمُ الكُليَّةَ وَالجُزْئيَّةَ وَيُفْهَمُ منْهَا الحَاليَّةُ وَالمَحَليَّةُ مَصْرُوفَةٌ عَن الظَّاهر لَيْسَتْ بلائقَة بجَنَاب قُدْسه تَعَالى وَإنَّمَا يُرْتَكَبُ إيرَادُ هَذه الألفَاظ منْ ضيق العبَارَة [شعْرٌ]:

أيْنَ قَاعدَة ياد دار كاتجاكه خداست ته جزؤونه كل ونه ظروف
ونه مظروف

تَرْجَمَةٌ

تَعَالى اللهُ عَنْ جُزْء وَكُل وَمَظْرُوف وَظَرْف أَوْ حُلول

وَلَمَّا كَانَ قَلبُ الإنْسَان عَرْشَ العَالم الصَّغير وَمُشَابهًا بعَرْش العَالم الكَبير وَكَانَ التَّجَلي هُنَاكَ بدُون شَائبَة الظِّليَّة كَانَتْ لمْعَةٌ منْ ذَلكَ التَّجَلي بدُون تلكَ الشَّائبَة نَصيبَ ذَلكَ القَلب وَإنْ كَانَ للسَّمَوَات وَالأَرْض نَصيبٌ منْ ذَلكَ التَّجَلي وَلكنَّهُ في حجَاب ظل منَ الظِّلال بخلاف القَلب؛ فَإنَّهُ مُبرَّأٌ عَنْ شَائبَة الظِّليَّة مثْل العَرْش وَإنْ كَانَ الظُّهُورُ مُتَفَاوتًا باعْتبَار الصِّغَر وَالكبَر.

[ع]:

وَيَبْدُو عَلى قَدْر المَرَايَا جَمَالُهُ

فَالتَّجَلي بدُون شَائبَة الظِّليَّة بَعْدَ العَرْش المَجيد نَصيبُ قَلب كُمَّل الإنْسَان وَحَاصل غَيْرهمُ الظِّليَّةُ.

يَنْبَغي: أنْ يُعْلَمَ أنَّ الظُّهُورَ العَرْشيَّ وَإنْ كَانَ مُبرَّأً عَنْ شَائبَة الظِّليَّة وَلكنَّ الصِّفَات مُمْتَزجَةٌ هُنَاكَ بالذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَالشُّئُونُ وَالاعْتبَارَاتُ ثَابتَةٌ في الذَّات وَالشُّئُونُ وَالصِّفَاتُ وَإنْ لَمْ تَكُنْ حجَابًا للذَّات في تلكَ المَرْتَبَة وَلكنَّهَا مُشَارِكَةٌ في المُشَاهَدَة وَالإدْرَاك وَمُسَاهمَةٌ في المَحبَّة وَالعَلاقَة وَأُسَارَى مَحَبَّة الأَحَديَّة المُجَرَّدَة تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ لاَ يَرْضَوْنَ بشَركَة أَمْر وَبحُكْم: {أَلا لله الدِّينُ الخَالصُ}⁽١⁾ يَطْلُبُونَ الدِّينَ الخَالصَ.

وَعَدَمُ شَركَة الصِّفَات عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات نَصيبُ الهَيْئَة الوَحْدَانيَّة الإنْسَانيَّة وَنَصيبُ هَيْئَة وَحْدَانيَّة قَلب الإنْسَان وَنَصيبُ الجُزْء الأَرْضيِّ للإنْسَان وَفَوْقَ كُل ذَلكَ هَيْئَةُ وَحْدَانيَّة الإنْسَان كَائنَةٌ بمَثَابَة جُزْئه الأَرْضيِّ وَآخذَةٌ حُكْمَهُ،

---

(١) الزمر: ٣

وَبالجُمْلة: إنَّ العُمْدَةَ في هَذه المُعَامَلة هيَ الجُزْءُ الأَرْضيُّ وَبَقيَّةُ الأُمُور يَعْني الأَجْزَاءَ كَالمُحَسِّنَات الزَّائدَة وَفي الإنْسَان شَيْئَان لَيْسَ شَيْءٌ منْهُمَا في العَرْش وَلا نَصيبَ منْهُمَا للعَالَمِ الكَبير فيه جُزْءٌ أَرْضيٌّ لَيْسَ هُوَ في العَرْش وَفيه هَيْئَةٌ وَحْدَانيَّةٌ لَيْسَتْ هيَ في العَالَمِ الكَبير وَالشُّعُورُ المُتَعَلقُ بالهَيْئَة الوَحْدَانيَّة فَهُوَ نُورٌ عَلى نُور وَمَخْصُوصٌ بالعَالَمِ الأَصْغَر فَالإنْسَانُ أُعْجُوبَةٌ حَصَّلَ لبَاقَةَ الخلافَة وَتَحَمَّلَ ثقَلَ الأَمَانَة.

وَاسْتَمعْ: مَا يُتْلى عَلَيْكَ منَ الخَصَائص الغَريبَة الإنْسَانيَّة أَنَّ مُعَامَلةَ الإنْسَان تَبْلغُ مَرْتَبَةً تُحَصِّلُ لهُ قَابليَّةَ مرْآتيَّة الأَحَديَّة المُجَرَّدَة وَيَصيرُ مَظْهَرُ الذَّات الأَحَد منْ غَيْر اقْترَان الصِّفَات وَالشُّئُونَات، وَالحَالَ أَنَّ حَضْرَةَ الذَّات تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ مُسْتَجْمعَةٌ لجَميع الصِّفَات وَالشُّئُونَات في جَميعِ الأَوْقَات لاَ انْفكَاكَ بَيْنَهُمَا أَصْلا في وَقْت منَ الأَوْقَات.

وَبَيَانُـــــهُ: أَنَّ الإنْسَانَ الكَامل إذَا تَخلصَ منْ أَسْر مَا سوَى الذَّات الأَحَديَّة تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ يَحْصُلُ لهُ التَّعَلقُ بالذَّات الأَحَد وَلا يَكُونُ شَيْءٌ منَ الصِّفَات والشُّئُون مَلحُوظًا وَمَنْظورًا وَمَقْصُودًا أَوْ مَطْلوبًا لهُ وَبحُكْم: "المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" يَحْصُلُ لهُ نَوْعٌ منَ الاتِّصَال المَجْهُول الكَيْفيَّة بحَضْرَة الأَحَديَّة المُجَرَّدَة وَذَلكَ التَّعَلقُ الذي كَانَ لهُ بالذَّات الأَحَد يُثْبتُ لهُ نسْبَةَ القُرْب المَجْهُولة الكَيْفيَّة بالذَّات المُنَزَّهَة عَنِ الكَيْف فَيَكُونُ الإنْسَانُ الكَامل في ذَلكَ الوَقْت مرْآةً للذَّات الأَحَد بحَيْثُ لاَ يَكُونُ شَيْءٌ منَ الصِّفَات وَالشُّئُونَات مَشْهُودًا وَمَرْئيًّا فيه، بَل تَكُونُ الأَحَديَّةُ المُجَرَّدَةُ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ظَاهرَةً وَمُتَجَليَةً فيه سُبْحَانَ الله العَظيم إنَّ الذَّاتَ التي لَمْ يَكُنْ منْ شَأْنهَا الانْفكَاكُ عَن الصِّفَات أَصْلا كَانَتْ ظَاهرَةً وَمُتَجَليَةً في مرْآة مثْل هَذَا الإنْسَان الكَامل بحَيْثيَّة التَّجَرُّد وَصَارَ الحُسْنُ الذَّاتيُّ مُتَميِّزًا عَن الحُسْن الصِّفَاتيِّ وَلَمْ تَتيَسَّرْ هَذه المرْآتيَّة لأَحَد غَيْر الإنْسَان الكَامل بلا اقْترَان الصِّفَات وَالشُّئُونَات وَالعَرْشُ المَجيدُ إنَّمَا كَانَ مَظْهَرَ الحَضْرَة الذَّات المُسْتَجْمعَة لجَميع الصِّفَات في العَالَمِ الكَبير وَالإنْسَانُ الكَامل صَارَ مَظْهَرًا للذَّات الأَحَد المُجَرَّدَة عَن الاعْتبَارَات في العَالَمِ الصَّغير وَهَذه المرْآتيَّة منْ أُعْجُوبَات الإنْسَان وَالله سُبْحَانَهُ المُعْطي لاَ مَانعَ لمَا أَعْطَاهُ

وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَهُ {والسلام على من اتبع الهدى}(١) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الصَّلَوَاتُ والتَسْلِيمَاتُ العُلى.

---

(١) طــه: ٤٧

الْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى أخيه الحَقيقيِّ الميان غُلام مُحَمَّد

فِي بَيَانِ أَنَّ المَلكَ وَإِنْ كَانَ مُشَاهَدًا للأَصْلِ وَشُهُودُ الإِنْسَانِ في مرْآة الأَنْفُسِ وَلكِنْ جُعلتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ فِيه كَالجُزْءِ مِنْهُ وَتَرَتَّبَ البَقَاءُ عَلَيْه وَمَا يُنَاسبُهُ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ: أَنَّ المَلائكَةَ الكِرَامَ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُشَاهِدُونَ للأَصْلِ وَمُتَوَجِّهُونَ إِلَيْه وَمُتَعَلِّقُونَ به وَشَائبَةُ الظِّلِّيَّة مَفْقُودَةٌ في حَقِّهِمْ وَالإِنْسَانُ المِسْكِينُ العَاجزُ قلمَا يَضَعُ قَدَمَهُ في خَارِجِ الظِّلِّيَّة في هَذه النَّشْأَة وَيُحَصِّلُ شُهُودًا دَائميًّا بِدُون وَسَاطَة مَرَايَا الآفَاق وَالأَنْفُس وَبَعْدَ الوُصُول إِلى الأَصْل يَتَجلي في مرْآة قَلبِه لُمَعَةٌ منْ تَشَعْشُعِ أَنْوَار الأَصْل وَيَرْجعُ إِلى العَالَمِ وَيُحَال فيه عَلَيْه تَرْبِيَةُ النَّاقصينَ وَفِي هَذَا الرُّجُوعِ تَرْبِيَةٌ نَفْسه وَتَرْبِيَةُ غَيْره؛ فَإِنَّ تلكَ اللمْعَةَ التي جُعلَتْ كَالجُزْء مِنْهُ تَجْعَل أَجْزَاءَهُ الأُخَرَ مُنْصَبغَةً بصَبْغهَا في مُدَّة رُجُوعه مُتَلوِّنَةً بلوْنهَا كَمَا أَنَّهُ يُخْرِجُ غَيْرَهُ منْ مَضيق النَّقْص إِلى فَضَاء الكَمَال وَيَدُلُّهُمْ منَ الغَيْب(١) إِلى الشُّهُود فَإِذَا تَمَّتْ مُدَّةُ الدَّعْوَة وَالرُّجُوعِ وَبَلغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ يَظْهَرُ فيه شَوْقُ الأَصْل وَيَقُومُ منْ بَاطنه نِدَاءُ الرَّفيق الأَعْلى وَيَتَخلصُ منْ تَعَلقَات شَتَّى وَيَنْقُل حُمُولَهُ منَ الغَيْب إِلى الشَّهَادَة وَتَخْرُجُ مُعَامَلتُهُ منَ المُرَاسَلة إِلى المُعَانَقَة وَيَصْدُقُ هُنَا المَوْتُ جسْرًا يُوصلُ الحَبيبَ إِلى الحَبيب.

---

(١) ــ الغيب: لغة من غاب الشي في الشيئ غيابة وغيوبا وغيابا وغيبة. راجع: ابن منظور: لسان العرب / غيب. أما عند الصوفية فهي: غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه. انظر: ابن العربي: اصطلاحات الصوفية: ٢٨٨.، وقيل هي: غيبة السالك عن رسوم العلم، لقوة نور الكشف.، وصورها ف لا **البدايات**: الغيبة عن تمتعات الدنيا ولذاها، والميل إلى زخارفها ومشتهياها.، وفي **المعاملات**: الغيبة عن الخلق وأفعالهم، والنظر إلى أمورهم وأقوالهم.، وفي **الأخلاق**: الغيبة عن النفس وأهوائها، وعن صفاها ودواعيها وآرائها.، وفي **الأصول**: الغيبة عن القصد عما سوى المقصود.، وفي **الأ ودية**: الغيبة عن ظلمات عالم النفس بالإستغراق في نور القدس.، **وفي الأحوال**: الغيبة عما يحول بينه وبين المحبوب في تباريق تجلي المطلوب، وفي **الحقائق**: الغيبة عن الأكوان والإمكان لشهود نور الازل بالعيان. انظر: الكاشاني: المعجم: ٣٤٢.

يَنْبَغِي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ المَلَكَ وَإِنْ كَانَ مُشَاهِدَ الأَصْلِ وَشُهُودُ الإِنْسَانِ فِي مِرْآةِ الأَنْفُسِ وَلَكِنْ جُعِلَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ فِي الإِنْسَانِ كَالجُزْءِ مِنْهُ وَأُعْطِيَ البَقَاءَ(١) بِهَا وَجُعِلَ مُتَحَقِّقًا بِهَا بِخِلَافِ المَلَكِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الدَّوْلَةَ مَا جُعِلَتْ فِيهِ كَالجُزْءِ مِنْهُ وَأُعْطِيَ البَقَاءَ بِهَا وَجُعِلَ مُتَحَقِّقًا بِهَا بِخِلَافِ المَلَكِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الدَّوْلَةَ مَا جُعِلَتْ فِيهِ كَالجُزْءِ مِنْهُ، بَلْ لَهُمُ النَّظَّارَةُ مِنَ الخَارِجِ وَلَيْسَ لَهُمْ بَقَاءٌ وَتَحَقُّقٌ بِهَا وَلَيْسَ فِيهِمْ ذَلِكَ الانْصِبَاغُ وَالتَّلَوُّنُ بِلَوْنِ الأَصْلِ الذِي يَتَيَسَّرُ لِلإِنْسَانِ وَالاخْتِصَاصُ الذِي حَصَلَ لِلفَرْشِيِّينَ لَيْسَ هُوَ لِلقُدْسِيِّينَ؛ فَإِنَّ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَ البَاطِنِ وَالخَارِجِ كَثِيرٌ وَإِنْ كَانَتِ الدَّوْلَةُ البَاطِنَةُ كَالجُزْءِ وَالدَّوْلَةُ الخَارِجِيَّةُ كَالكُلِّ وَلَكِنَّ البَاطِنَ بَاطِنٌ وَالخَارِجَ خَارِجٌ.

كَلَامُنَا إِشَارَةٌ وَبِشَارَةٌ وَلِهَذَا صَارَتْ خَوَاصُّ البَشَرِ أَفْضَلَ مِنْ خَوَاصِّ المَلَائِكَةِ وَمَعَ جَمِيعِ ذَلِكَ حَصَلَ اسْتِحْقَاقُ الخِلَافَةِ {وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}(٢) [شِعْرٌ]:

زمين زاده برآسمان تاخته   زمين وزمانرا؟ــس انداخته

تَرْجَمَةٌ:

عَلا فَوْقَ السَّمَاءِ وَلِيدُ أَرْضٍ   وَخَلفَ خَلفَهُ زَمَنًا وَأَرْضًا

وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ إِنَّمَا تَيَسَّرَتْ لِلإِنْسَانِ بِوَاسِطَةِ جُزْئِهِ الأَرْضِيِّ وَالقَلْبُ الذِي صَارَ عَرْشَ اللهِ إِنَّمَا هُوَ بِدَوْلَةِ العُنْصُرِ التُّرَابِيِّ الذِي جَامِعَ لِلكُلِّ وَمَرْكَزُ دَائِرَةِ الإِمْكَانِ، نَعَمْ: إِنَّمَا نَالَتِ الأَرْضُ كُلَ هَذَا العُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ مِنَ الضِّعَةِ وَعَدَمِ التَّرَفُّعِ وَجَعَلَهَا التَّوَاضُعُ عَالِيَةً مَنْ تَوَاضَعَ للهِ سُبْحَانَهُ رفعه الله، فَإِذَا رَجَعَ الإِنْسَانُ إِلَى

---

(١) **البقاء:** هو بقاء ما لم يزل حقا بشهود فناء ما لم يكن شيئا، حتى يقبل محقا.

وصورته في **البدايات:** بقاء الخلق المعدوم بذاته بوجود الحق حتى يقوم بالعبودية.

وفي **الأبواب:** توهم الوجود الخيالي الإضافي القائم بالأفعال. وفي المعاملات: بقاء الذوات والصفات عند المريد بعد فناء الأفعال والتأثيرات.

وفي **الأخلاق:** بقاء الذوات بعد فناء الهيئات والصفات.

وفي **الأصول:** بقاء وجود السالك في السير، والإنتقال بعد فناء الموانع النفسانية عند الإقبال.

وفي **الأودية:** بقاء أنوار القدسية والحقائق بعد فناء الظلمات الحسية والعوائق.

وفي **الأحوال:** بقاء لوامع القدم، وأنوار الوجه الباقي، بعد فناء آثار الحدث،وزوال الظل الفاني.

وفي **الولايات:** بقاء الأسماء والصفات الإلهية بعد فناء السمات الخلقية.

وفي **الحقائق:** بقاء المشهود بفناء الشاهد. انظر: الكاشاني:معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٦٧.

(٢) البقرة: ١٠٥

الأَصْل بَعْد تَمَام مُدَّة رُجُوعه وَدَعْوَته، وَبَعْدَ انْصبَاغه بِصَبْغِ الأَصْل وَصَارَ مُتَوَجِّهًا إِلى جَنَاب القُدْس فَالْيَقِينُ أَنَّ الاخْتصَاصَ وَالانْبسَاطَ الذي يَتَيَسَّرُ لهُ هُنَاكَ لاَ يَكُونُ هُوَ لِغَيْره وَقُرْبُ المَنْزلة الذي يَحْصُلُ لهُ فيه لَيْسَ لِغَيْره؛ فَإِنَّهُ صَارَ وَاصِلا فَانِيًا وَحَصَلَ لهُ البَقَاءُ بِالأَصْل وَصَارَ مُنْصبغًا بِصَبْغِ الأَصْل فَأَيْنَ المَجَال لِغَيْره حَتَّى يَدَّعُوا المُسَاوَاةَ لهُ؛ فَإِنَّ انْصبَاغَ الغَيْر وَإِنْ كَانَ لاعْتبَار التَّجَرُّد(١) وَالتَّنَزُّه أَكْمَلَ وَأَتَمَّ وَلَكنَّهُ نَاشئٌ مِنْ خَارِجٍ فَحُكْمُهُ حُكْمٌ عَارِضيٌّ وَحَيْثُ كَانَ انْصبَاغُ الإِنْسَان بَاطنيًّا كَانَ حُكْمُهُ حُكْمَ الذَّاتيِّ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا وَهَذَا الكَمَال مَخْصُوصٌ بِالأَنْبيَاء صَلَوَاتُ الله تَعَالى وَتَسْليمَاتُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ وَهُمُ المُرَادُونَ بِخَوَاصِّ البَشَر وَمَنْ يُبَشِّرُ بِهَذه الدَّوْلَة العُظْمَى بِالوِرَاثَة وَالتَّبَعيَّة وَكَانَ حُصُول هَذه الدَّوْلَة في أَصْحَاب الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِبَرَكَة الصُّحْبَة أَكْثَرَ وَأَزْيَدَ وَيَشْرُفُ بِهَا غَيْرُ الأَصْحَاب أَيْضًا وَإِنْ كَانَ قَليلا، بَل أَقَل، (شعْرٌ):

وَإِذَا أَتَى بَابَ العَجُوز خَليفَةٌ … إِيَّاكَ يَا صَاحِ وَنَتْفَ سِبَالِكَ

{رَبَّنَا أَتْمِمْ لنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لنَا ذُنُوبَنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ}(٢) بِحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ وَالتَّسْليمَاتُ.

---

(١) التجريد لغة: التقشير والتعرية (انظر: لسان العرب / جرد).

والمراد به عند الصوفية: أن يتجرد العبد عن الأغراض فيما يفعله، فلا يأتي بما يأتي به نظرا إلى الأغراض في الدنيا والآخرة، بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا.

وصورته في **البدايات**: التجريد عن المخالفات واللذات الطبيعية، والمألوفات والزخارف الدنيوية،والطيبات

وفي **الأبواب**: تجريد النفس عن الميل إلى شهولت الدنيا ودعوات الهوى.

وفي **المعاملات**: تجريد النفس عن رؤية تأثير الكائنات، ونسبة الأفعال إلى المخلوقات.

وفي **الأخلاق**: تجريد النفس عن الهيئات النفسانية، والملكات الردية الشيطانية.

وفي **الأصول**: التجريد عن الفتور في السير، والإلتفات إلى الغير.

وفي **الأحوال**: التجريد عن محبة السوى، والإصطبار مع النوى.

وفي **الولايات**: التجريد عن الأسماء والصفات، وعن رسوم جميع الكائنات. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٧٣. ٣٧٤.

(٢) التحريم: ٨

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاَثِمائَة

إلى المِرْزَا شَمْسِ الدِّين

فِي جَوَابِ كِتَابِه وَبَيَان أَنَّ نَصِيبَ عُلمَاء الظَّاهِرِ وَنَصِيبَ الصُّوفِيَّة العَلِيَّة وَنَصِيبَ العُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ الذينَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء مَا هُوَ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْدِ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَات:

يُعْلَم: أَنَّ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ الصَّادِرَةَ عَلى وَجْه الكَرَمِ قَدْ بَلغَهَا أَخِي الأَعَزُّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ طَاهِرٍ فَحَصَلَ بِوُرُودهَا الفَرَحُ وَالسُّرُورُ وَقَدِ انْدَرَجَ فِيهَا التِمَاسُ النَّصَائِحِ بوَاسِطَةِ المَكَاتِيبِ إلى زَمَنِ المُلاقَاة.

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّم: إنَّ النَّصِيحَةَ هِيَ الدِّينُ وَمُتَابَعَةُ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَليْه وَعَلى آله مِنَ الصَّلَوَاتُ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّحيَّات أَكْمَلهَا.

وَنَصِيبُ عُلمَاء الظَّاهِرِ مِنَ الدِّينِ وَمُتَابَعَة سَيِّدِ المُرْسَلِينَ بَعْدَ تَصْحِيحِ العَقَائِدِ هُوَ عِلمُ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَامِ وَالعَمَل بِمُقْتَضَى ذَلكَ العلم.

وَنَصِيبُ الصُّوفِيَّةِ ــ مَعَ مَا هُوَ للعُلمَاءِ ــ الأَحْوَال وَالمَوَاجِيدُ وَالعُلومُ وَالمَعَارِفُ.

وَنَصِيبُ العُلمَاءِ الرَّاسِخِيْنِ الذينَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ مَعَ مَا هُوَ لعُلمَاءِ الظَّاهِرِ وَمَعَ مَا امْتَازَ به الصُّوفِيَّةُ ــ: هُوَ الأَسْرَارُ وَالدَّقَائِقُ التِي جَرَى الرَّمْزُ وَالإشَارَةُ إِلَيْهَا فِي المُتَشَابِهَاتِ القُرْآنِيَّة، وَانْدَرَجَتْ فِيهَا عَلى سَبِيل التَّأْوِيل؛ فَهُمُ الكَامِلونَ فِي المُتَابعَة، وَالمُتَحَقِّقُونَ بالوِرَاثَة، وَهُمْ شُرَكَاءُ فِي دَوْلة الأَنْبِيَاء ــ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ــ الخَاصَّةُ بهمْ، وَمَحَارِمُ المَخْدَعِ الخَاصِّ، وَحَبِيبِ رَبِّ العَالَمِينَ ــ عَلَيْه وَعَلى جَمِيعِ الأَنْبِيَاء وَالمُرْسَلِينَ وَالمَلائِكَة المُقَرَّبِينَ وَأَهْل الطَّاعَة أَجْمَعِينَ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ عِلمًا وَعَمَلا وَوَجْدًا ــ لِتَكُونَ وَسِيلَةً إِلى حُصُول الوِرَاثَةِ التِي هِيَ نِهَايَةُ دَرَجَاتِ السَّعَادَة.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمِائَةِ

إلى مَوْلانَا أَحْمَدَ البركي

فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارِهِ أَنَّ صَاحِبَ المَنْصِبِ هَل يَكُونُ صَاحِبَ عِلمٍ أَلبَتَّةَ أَوْ لا وَعَنْ سَبَبِ عَدَمِ الاطِّلاعِ عَلى الأَحْوَالِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى:

وَصَلت الصَّحِيفَتَان مُتَتَابِعَتَيْنِ، وَقَدْ كَتَبْتَ خَبَرَ المُصِيبَةِ ــ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِليْهِ رَاجِعُونَ ــ لِيُكَرِّر الأَصْحَابُ وَالأَحْبَابُ كَلِمَةَ: " لاَ إِلهَ إِلا اللّٰهُ " سَبْعِينَ أَلفَ مَرَّةً لِرُوحِ المَرْحُومِ خَوَاجَهْ مُحَمَّد صَادِق، وَسَبْعِينَ أَلفَ مَرَّةً لِرُوحِ أُخْتِهِ المَرْحُومَةِ أُمِّ كُلثُوم، وَلِيُهْدُوا ثَوَابَ كُل مِنْهُمَا لِرُوحَانِيَّةِ كُل مِنْهُمَا؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ مَأْمُول مِنَ الأَحْبَابِ وَالفَاتِحَةُ مَسْئُولَةٌ مِنْهُمْ.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا: أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي المَكْتُوبَاتِ أَنَّ صَاحِبَ المَنْصِبِ صَاحِبُ عِلمٍ:

أَيُّهَا المَخْــدُومُ: إِنَّ قُطْبَ الأَقْطَابِ صَاحِبُ عِلمٍ يَعْنِي بِمَنْصِبِهِ، وَأَقْطَابُ البِقْعَاتِ كَأَجْزَائِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ يَكُونُ لِبَعْضِهِمُ العِلمُ بِمَدَارِيَّتِهِ وَلِبَعْضِهِمْ لا.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا: أَنَّ الفَنَاءَ فِي اللهِ وَالبَقَاءَ بِاللهِ لَمْ يَحْصُلا إِلى الآنِ، مَاذَا نَفْعَل؟!

كُنْتَ أَنْتَ فِي الصُّحْبَةِ قَلِيلا وَلَمْ تَمْكُثْ مِقْدَارَ مَا نَطَّلِعُ عَلى حُصُولِ بَعْضِ أَحْوَالِكَ، وَأَنَا الآنَ أُشَاهِدُ مِنْ بِلادِ الهِنْدِ فَنَاءَكَ وَبَقَاءَكَ، وَأُحِسُّ هَذَيْنِ الكَمَالَيْنِ المَذْكُورَيْنِ فِيكَ وَأَنْتَ تُنْكِرُ ذَلِكَ، وَبَيْنَنَا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ، وَمَا لَمْ تَتَيَسَّرْ المُلاقَاةُ الصُّورِيَّةُ فَالاطِّلاعُ عَلى الأَحْوَالِ المَكْنُونَةِ مُتَعَسِّرٌ.

وَمَا تَكَلمَ بِهِ المَشَايِخُ فِي الفَنَاءِ وَالبَقَاءِ: كُلهُ رَمْزٌ وَإِشَارَةٌ، فَمَاذَا يَجِدُ الإِنْسَانُ مِنْ قَبْل، وَلا يُعْطِي الحَقُّ سُبْحَانَهُ الكُل عِلمًا وَأَحْوَالا، بَل يُعْطِي الشَّخْصَ عِلمًا بِأَحْوَالِهِ وَيَجْعَلهُ مُقْتَدًى بِهِ، وَيَرْبُطُ الجَمْعَ بِهِ فَيُبَلغُهُمْ مَرْتَبَةَ الكَمَالِ وَالتَّكْمِيل، (شِعْرٌ)

لَيْسَ عَلى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ   أَنْ يَجْمَعَ العَالمَ فِي وَاحِدِ

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ أَمْسَكْتُ الشَّيْخَ حَسَنًا أَيَّامًا أُخرَ، وَأَطْلَعْتُهُ عَلى بَعْضِ أَحْوَالِكُمْ ثُمَّ أَرْسَلْتُهُ إِلى خِدْمَتِكُمْ، وَمَجِيئُكَ مُشْكُل؛ فَيَا حَبَّذَا لَوْ جَاءَ مِنْ أَصْحَابِكَ شَخصٌ رَشِيدٌ قَابِل فَهِيمَ وَأَقَامَ هُنَا أَيَّامًا حَتَّى نُخْبِرَهُ بِأَخْبَارٍ ضَرُورِيَّة، وَالمَقْصُودُ هُوَ حُصُول الأَحْوَال وَالاطِّلاعُ عَلى الأَحْوَال هُوَ أَمْرٌ آخرُ وَالبَاقِي عِنْدَ التَّلاقِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى البَاقِي.

وَالسَّلامُ وَالنَّصيحَةُ التي لاَ بُد مِنْهَا هِيَ أَنْ تَجْتَهِدَ فِي الدَّرْسِ مِنْ غَيْرِ فُتُور، وَأَنْ لاَ تَسْمَحَ نَفْسُكَ بِتَرْكه، فَإِنْ أَمْكَنَكَ اسْتِغْرَاقُ جَمِيعِ أَوْقَاتِكَ بالدَّرْسِ لاَ تُهَوِّسَنَّ فِي الذِّكْرِ وَالفِكْرِ؛ فَإِنَّ سَاعَات اللَيَالِي كَافِيَةٌ لِلذِّكْرِ وَلْيَشْتَغِل الشَّيْخُ حَسَنٌ أَيْضًا بِالدَّرْسِ وَالتَّعَلمِ وَلا تَتْرُكَنَّهُ مُعَطَّلاَ وَحَيْثُ كَانَتْ تلكَ الحُدُودُ قَليلَةَ النَّصيبِ مِنَ العِلمِ كَانَ إِحْيَاءُ العُلومِ الشَّرْعِيَّة فِيهَا ضَرُورِيًّا، وَمَاذَا أُبَالِغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ؟!

وَوَصَلت الأَوْرَاقُ المُنْدَرِجُ فيهَا بَيَانُ أَحْوَال الخَوَاجَهْ ويس وَنَظَرْتُ فِي أَكْثَرِ مَوَاضِعِهَا فَوَجَدْتُهَا مُبَشِّرَاتٍ فَلْيَكُنْ رَاجِيًا مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنَ القُوَّةِ إِلى الفِعْل، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالعشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى سَادَات بَلدَة سامانه وَقُضَاتهَا وَمَوَاليهَا وَسَائر أَهَاليهَا
فِي ذَمِّ خَطيب تَرَكَ ذكْرَ الخُلفَاء الرَّاشدينَ في خُطْبَة عيد الأَضْحَى وَتَقْرِيعهِمْ عَلى اسْتمَاعِهَا وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

البَاعثُ عَلى تَصْديعِ خُدَّامِ ذَوِي الاحْترَام السَّادَات العظَام وَالقُضَاة وَالأَهَالي وَالمَوَالي الكرَام في بَلدَة سامانه ـــ: هُوَ أَنَّا سَمعْنَا أَنَّ خَطيبَ ذَلكَ المَقَامِ تَرَكَ ذكْرَ الخُلفَاءِ الرَّاشدِينَ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ في خُطْبَة عيد الأَضْحَى وَلَمْ يَذْكُرْ أَسَاميَّهُمْ المُتبَرِّكَة.

وَسَمعْنَا أَيْضًا: أَنَّهُ لَمَّا تَعَرَّضَ لهُ جَمَاعَةٌ منَ الحَاضرينَ لم يَعْتَرفْ بسَهْوه وَلَمْ يَعْتَذرْ عَنْ نسْيَانه وَذَنْبه، بَل قَابَلهُمْ بالتَّمَرُّد وَالعنَاد وقال: أَيْشٍ يَلزَمُ أَنْ لَمْ يَذْكُرْ أَسَاميَّ الخُلفَاء الرَّاشدينَ؟!

وَسَمعْنَا أَيْضًا: أَنَّ أَكَابرَ ذَلكَ المَقَامِ وَأَهَاليَهُ تَسَاهَلوا في هَذَا البَابِ وَلَمْ يُقَابلوا ذَلكَ الخَطيبَ عَديمَ الإنْصَاف وَالآدَاب بالشِّدَّة وَالغلظَة، (ع):

فَآهًا أَلفَ آه دُونَ مَرَّه

وَذكْر الخُلفَاء الرَّاشدينَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَرَائط الخُطْبَة وَلكنَّهُ منْ شَعَائر أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة ـــ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ ـــ لا يَتْرُكُهُ عَمْدًا وَتَمَرُّدًا إلا مَنْ قَلبُهُ مَرِيضٌ وَبَاطنُهُ خَبيثٌ

وَلئـــنْ فَرَضْنَا أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ بالتَّعَصُّب وَالعنَاد فَمَاذَا يَقُول في جَوَاب وَعيد: "مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ منْهُمْ"⁽¹⁾ وَكَيْفَ يَتخَلصُ منْ مَظَانِّ التُّهَمِ وَقَدْ وَرَدَ: "اتَّقُوا

---

(١) سُنَنُ أَبي دَاوُد، كتاب اللباس: باب: في لبس الشهرة. ح٤٠٣١ عن ابن عمر.

* وقال الزيلعي في نصب الراية: قد روي من حديث ابن عمر، ومن حديث حذيفة، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث أنس.

- فحديث ابن عمر: أخرجه أبو داود في "سننه - في اللباس" عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: "من تشبه بقوم فهو منهم" انتهى. وابن ثوبان ضعيف.

مَوَاضِعَ التُّهَمِ"(١) فَإِنْ كَانَ مُتَوَقِّفًا فِي تَقْدِيمِ الشَّيْخَيْنِ وَتَفْضِيلِهِمَا فَهُوَ رَافِضٌ لِطَرِيقِ

- وحديث حذيفة: رواه البزار في "مسنده" عن علي بن غراب ثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة مرفوعاً، نحوه سواء، وقال: وقد رواه غير علي بن غراب، فوقفه، انتهى.

- وحديث أبي هريرة: أخرجه البزار أيضاً عن صدقة بن عبد الله عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه، وقال: لم يتابع صدقة على روايته هذه، وغيره يرويه عن الأوزاعي مرسلاً، انتهى.

- وأما حديث أنس: فرواه أبو نعيم في "تاريخ أصبهان - في ترجمة أحمد بن محمود" فقال: حدثنا الحجاج بن يوسف بن قتيبة ثنا بشر بن الحسين الأصبهاني ثنا الزبير بن عدي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ "بعثت بين يدي الساعة" وفي آخره: "ومن تشبه بقوم فهو منهم"، انتهى. وهو في أحاديث "الكشاف.

* وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: أخرجه أبو داود بسند حسن.انظر: فتح الباري: كتاب اللباس. باب القَبَاءِ وَفَرُّوجِ حَرِيرٍ. كتاب اللباس. باب القَبَاءِ وَفَرُّوجِ حَرِيرٍ.

وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٨٥٩٣.

وقال المناوي: فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وهو ضعيف، وقال السخاوي: سنده ضعيف لكن له شواهد، وقال ابن تيمية: سنده جيد، وقال ابن حجر في الفتح: سنده حسن، قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن غراب وثقه غير واحد وضعفه جمع وبقية رجاله ثقات اهـ. وبه عرف أن سند الطبراني أمثل من طريق أبي داود. (انظر: فيض القدير للمناوي ح٨٥٩٣.

*وقال العجلوني: رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير عن ابن عمر رفعه وفي سنده ضعيف كما في اللآلئ والمقاصد لكن قال العراقي سنده صحيح وله شاهد عند البزار عن حذيفة وأبي هريرة وعند أبي نعيم في تاريخ أصبهان عن أنس، وعند القضاعي عن طاووس مرسلا وصححه ابن حبان وتقدم في: إنما العلم بالتعلم في أثر عن الحسن قلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم، وقال النجم قلت روى العسكري عن حميد الطويل قال كان الحسن يقول إذا لم تكن حليما فتحلم وإذا لم تكن عالما فتعلم فقلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم. (كشف لبخفاء للعجلوني ح ٢٤٣٦.)

* وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: كتاب الحج: الباب الثاني: في ترتيب الأفعال الظاهرة.

أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح.

(١) **لا أصل له.**، قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلا. انظر: تخريج أحاديث الإحياء: كتاب شرح عجائب القلب. لم أجد له أصلا.

وقال العجلوني: ذكره في الإحياء وقال العراقي: في تخريج أحاديثه لم أجد له أصلا لكنه بمعنى قول عمر " من سلك مسالك الظن اتهم "، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق مرفوعا بلفظ " من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء الظن به "، وروى الخطيب في المتفق والمفترق عن سعيد

أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِي مَحَبَّةِ الخَتَنَيْنِ فَهُوَ أَيْضًا خَارِجٌ مِنْ زُمْرَةِ أَهْلِ الحَقِّ وَلا يَبْعُدُ أَنْ يَأْخُذَ ذَلِكَ الخَطِيبُ الذي لاَ حَقِيقَةَ لَهُ المَنْسُوبُ إلى كشمرية هَذَا الخُبْثَ مِنْ مُبْتَدِعِي كَشْمِيرَ فَيَنْبَغِي تَعْلِيمُهُ وَتَفْهِيمُهُ أَنَّ أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ ثَابِتَةٌ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَمَا نَقَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَاحِدٌ مِنْهُمُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ﵁.

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ: " إِنَّ تَفْضِيلَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ عَلَى بَقِيَّةِ الأُمَّةِ قَطْعِيٌّ، وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْ عَلِيٍّ ﵁ فِي خِلافَتِهِ وَكُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ وَبِهِ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنْ شِيعَتِهِ " أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَفْضَلُ الأُمَّةِ".

قَالَ الذَّهَبِيُّ: ثُمَّ قَالَ: " رَوَاهُ عَنْ عَلِيٍّ ﵁ نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ نَفْسًا "، وَعَدَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: " فَقَبَّحَ اللهُ الرَّافِضَةَ، مَا أَجْهَلَهُمْ! "

وَرَوَى البُخَارِيُّ الذي كِتَابُهُ أَصَحُّ الكُتُبِ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى عَنْ عَلِيٍّ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: " خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ـــ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الحَنَفِيَّةِ: ثُمَّ أَنْتَ؟! فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ "

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَثِيرَةٌ شَهِيرَةٌ لاَ يُنْكِرُهَا إِلا جَاهِلٌ أَوْ مُعَانِدٌ.

وَيَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ لِذَلِكَ المُنْخَلِعِ عَنْ لِبَاسِ الإِنْصَافِ: إِنَّنَا مَأْمُورُونَ بِمَحَبَّةِ جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَمْنُوعُونَ عَنْ بُغْضِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ وَحَضَرَاتُ الخَتَنَيْنِ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ أَقَارِبِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَيَكُونَانِ أَحَقَّ بِالمَحَبَّةِ وَالمَوَدَّةِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى}(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ـــ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ: " اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، وَلا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ "(٢)

بن المسيب قال وضع عمر بن الخطاب ﵁ ثماني عشرة كلمة، كلها حكم – وذكر منها -:ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن. انظر: كشف الخفاء للعجلوني: ح ٨٣

(١) الشورى: ٢٣

(٢) **حسن غريب**: سنن الترمذي: كتاب المَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، باب (ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه ح ٣٩٥٤ـــ عن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ زِيَادٍ، عن عبدِ اللّهِ بنِ مُغَفَّلٍ، وقال: هَذا حديثٌ

وَمِثْلُ هَذَا الزَّهْرِ الكَرِيهِ الرَّاحَةِ لَمْ يُعْلَمْ تَفَتُّقُهُ فِي بِلادِ الهِنْدِ مِنَ ابْتِدَاءِ الإِسْلامِ إِلَى هَذَا الوَقْتِ، وَيَكَادُ يُتَّهَمُ جَمِيعُ أَهْلِ البَلَدِ مِنْ هَذِهِ المُعَامَلَةِ، بَلْ يَكَادُ يَرْتَفِعُ الاعْتِمَادُ مِنْ جَمِيعِ بِلادِ الهِنْدِ، وَسُلْطَانُ الوَقْتِ ــ نَصَرَهُ اللهُ ــ عَلَى جَمِيعِ أَعْدَاءِ الإِسْلامِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَحَنَفِيُّ المَذْهَبِ، وَابْتِدَاعُ مِثْلِ هَذَا الأَمْرِ فِي زَمَانِهِ نِهَايَةُ الجَرَاءَةِ، بَلْ هُوَ مُنَازَعَتُهُ فِي الحَقِيقَةِ وَخُرُوجٌ مِنْ طَاعَةِ أُولِي الأَمْرِ.

وَالعَجَبُ مِنْ سُكُوتِ المَخَادِيمِ العِظَامِ الكَائِنِينَ فِي ذَلِكَ المَقَامِ فِي هَذِهِ الوَاقِعَةِ وَمُسَاهَلَتِهِمْ مَعَ صُدُورِ جَمِيعِ المَذْكُورَاتِ؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَمِّ أَهْلِ الكِتَابِ: {لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}(١)، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: {كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}(٢)

وَاخْتِيَارُ التَّغَافُلِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الوَاقِعَةِ مُوجِبٌ لِجَسَارَةِ المُبْتَدِعِينَ وَتَوْهِينٌ لِلدِّينِ، وَمِنْ مِثْلِ هَذِهِ المُسَاهَلاتِ تَدْعُو الجَمَاعَةُ المَهْدَوِيَّةُ مَلأَ أَهْلِ الحَقِّ هُنَاكَ إِلَى بَاطِلِهِمْ، وَيَخْتَطِفُونَ أَمْثَالَ الذُّبَابِ وَاحِدًا وَاثْنَيْنِ فِي مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ أَيْدِي الثَّعَالِبِ، وَمَاذَا أَكْتُبُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلِكَ؟!

وَحَيْثُ كَانَ اسْتِمَاعُ هَذَا الخَبَرِ المُوحِشِ بَاعِثًا عَلَى الاضْطِرَابِ وَمُحَرِّكًا لِعِرْقِيَ الفَارُوقِيِّ ــ: صِرْتُ مُضْطَرًّا إِلَى الإِقْدَامِ عَلَى تَحْرِيرِ كَلِمَاتٍ، وَالمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ وَعُذْرُكُمْ.

وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ وَالبَرَكَاتُ.

حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هذا الوَجْهِ.، مسند أحمد: مسند البصريين، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح ١٤٤٢.

(١) المائدة: ٦٢

(٢) المائدة: ٧٩

المَكْتُوبُ التاسع وَالعشْرُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الشَّيْخ بَديعِ الدِّين السَّهَارَنْفُورِيِّ
في جوَاب اسْتِفْسَارَاته
وَفي بَيَانِ عَجَائب أَحْوَال البَرْزَخ[1] الصَّغير وَغرَائبهَا وَفَضِيلة المَوْت بالطَّاعُون

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ وَصَلَت الصَّحيفَةُ الشَّرِيفَةُ، وَقَد انْدَرَجَ فِيهَا أَنَّهُ: " قَدْ ظَهرَتْ فِي هَذه الحُدُودِ حَوَادثُ قَوِيَّةٌ:

الأُولى: الطَّاعُونُ.

وَالثَّانيَةُ: القَحْطُ، أَعاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ البَلِيَّات.

وَحَرَّرْتَ أَيْضًا أَنَّهُ مَعَ وُجُود هَذه الفتَنِ يُصْرَفُ الليْل وَالنَّهارُ فِي العبَادَةِ وَالمُرَاقَبَة وَالبَاطنُ مَعْمُورٌ، لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلى ذَلكَ.

وَجَوَابُ الأَسْئلة المُنْدرجَة فيهَا: يُقْرَأُ في السُّنَنِ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَات: {قُل يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ}[2]، وَ {قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ}[3]، وَالمُعَوِّذَتَان.

وَالكَفَنُ المَسْنُونُ للرِّجَال: ثَلاثَةُ أَثْوَاب، وَالعمَامَةُ زَائدَةٌ فَنَقْتَصِرُ عَلى المَسْنُون، وَلا تَكْتُب الجَوَابَ نامه لاحْتمَال التَّلوُّث بالقَاذُورَات، وَلَمْ يَثْبُتْ بسَنَد صَحِيح، وَعَمَل عُلمَاءِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ عَلى ذَلكَ، فَإِنْ جُعِل القَميصُ المُتَبَرِّكَ بَدَلَ قَميصِ الكَفَنِ جَازَ.

وَأَكْفَانُ الشُّهدَاء هيَ أَثْوَابُهُمْ.

وَوَصَّى الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ﷺ بِتَكْفينه فِي ثَوْبِهِ حَيْثُ قَالَ: " كَفِّنُوني فِي ثَوْبَيَّ هَذَيْنِ "[4].

---

(١) البرزخ: هو الحائل بين الشيئين، ويعبر به عن عالم المثال، يعني: الحاجز بين الأجساد الكثيفة وعالم الأرواح المجردة. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣.

(٢) الكافرون: ١

(٣) الإخلاص: ١

(٤) مسند الإمام أحمد. حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

وَلَّما كَانَ البَرْزَخُ الصَّغيرُ مِنْ مُوَاطنِ الدُّنْيَا منْ وَجْه جَازَ أَنْ يَكُونَ فيه مَجَال للتَّرَقِّي، وَأَحْوَال هَذَا المَوْطنِ فيهَا تَفَاوُتٌ فَاحشٌ بالنَّظَر إلى أَشْخَاص مُتَفَاوتَة، وَلعَلك سَمعْتَ أَنَّ الأَنْبيَاءَ يُصَلونَ فِي القُبُورِ " وَلَّما مَرَّ نَبيُّنَا عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِقَبْرِ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ، لَيْلَةَ المعْرَاجِ ـــ: رَآهُ يُصَلي فِي قَبْرِهِ، وَلَّما رُقِّيَ إِلى السَّمَاءِ فِي تلكَ اللحْظَة وَجَدَ الكَليمَ هُنَاكَ "⁽١⁾.

وَفِي مُعَامَلة هَذَا المَوْطنِ عَجَائبُ وَغَرَائبُ، وَحَيْثُ إِنَّنَا نُكْثرُ النَّظَرَ في هَذه الأَيَّامِ إِلى ذَلكَ المَوْطنِ منْ أَجْل المَرْحُومِ وَلدي الأَعْظَمِ، تَظْهَرُ فيه أَسْرَارٌ غَريبَةٌ بحَيْثُ إِنْ ذَكَرْتُ نُبْذَةً منْهَا تَكُونُ بَاعثَةً عَلى الفتَنِ، وَسَقْفُ الجَنَّة وَإِنْ كَانَ عَرْشًا مَجيدًا وَلكنَّ القَبْرَ أَيْضًا رَوْضَةٌ منْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ العَقْل القَاصرُ عَاجزًا عَنْ تَصْويرِه.

وَالنَّاظرُ إِلى تلكَ الأُعْجُوبَات هُوَ عَيْنٌ أُخْرَى، وَمُجَرَّدُ الإِيمَان ـــ وَإِنْ كَانَ مُنْجيًا بَعْدَ اللتَيَّا وَالتي ـــ وَلكنَّ رَفْعَ الكَلمَة الطَّيِّبَة مَرْبُوطٌ بالعَمَل الصَّالحِ وَالفرَارُ منَ المَوْت كَبيرَةٌ كَالفرَارِ يَوْمَ الزَّحْف، وَمَنْ ثَبَتَ فِي أَرْضِ الوَبَاءِ صَبْرًا وَمَاتَ فَهُوَ منَ الشُّهَدَاءِ وَمَأْمُونٌ منْ فتْنَة القَبْرِ، وَالذي صَبَرَ وَلَمْ يَمُتْ فَهُوَ منَ الغُزَاة.

فَإِنْ قَال لي مُتْ مُتُّ سَمْعًا وَطَاعَةً وَقُلتُ لدَاعي المَوْتِ أَهْلا وَمَرْحَبًا

وَقَدْ أَعْجَزَنِي البَلغَمُ وَالسُّعَال مُنْذُ أَيَّامٍ، وَبَلغَ ضَعْفُ البَدَنِ نهَايَتَهُ، فَاقْتَصَرْنَا عَلى الأَجْوبَةِ بِالضَّرُورَة ،،، ،،، ،،، ،،، وَالسَّلاَمُ.

وعزاه الزيلعي للإمام أحمد في الزهد.، عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة.انظر: نصب الراية: كتاب الصلاة. باب الجنائز. فصل في التكفين. ح٣

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: أحاديث عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

عن بن جريج عن عمرو بن دينار عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ مر بقبر موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره .

المَكْتُوبُ الثَّلاثُون بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى المرْزَا حُسَام الدِّين أَحْمَدَ

في بَيَان أَنَّ مُصيبَات هَذَا العَالَمِ وَإِنْ كَانَتْ في الظَّاهِرِ جرَاحَات وَلكنَّهَا مَرَاهِمُ في الحَقيقَة وَبَاعثَةٌ لترَقّيَات كَثيرَة وَفي فَضيلَة مَوْتِ الطَّاعُون وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

وَبَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَاتُ وَتَبْليغ الدَّعَوَات:

ليُعْلَمَ: إنَّ الصَّحيفَةَ الشَّريفَةَ المُرْسَلَةَ مَعَ الشَّيْخ مُصْطَفَى في بَاب التَّعْزيَة والمُصيبَات قَدْ تَشَرَّفْتُ بمُلاحَظَة مَضْمُونهَا، " إنَّا لله وَإنَّا إليْه رَاجعُونَ "، وَهَذه المُصيبَاتُ جرَاحَاتٌ في الظَّاهر، وَلَكنَّهَا مَرَاهمُ في الحَقيقَة وَمُوجبَةٌ للتَّرَقيَات وَالثَّمَرَات، وَالنَّتَائج المُرَتَّبَة عَلَيْهَا بعنَايَة الله تَعَالى عُشْرُ عُشَيْر تلكَ الثَّمَرَات المُتَوَقَّعَة المَأْمُولة بعنَايَة الله تَعَالى في الآخرَة؛ فَوُجُودُ الأَوْلاد عَيْنُ الرَّحْمَة حَيْثُ إنَّ في حَيَاتهمْ مَنَافعُ وَفَوَائدُ، وَفي مَمَاتهمْ أَيْضًا تَرْتيبُ الثَّمَرَات وَالنَّتَائج.

ذَكَرَ الإمَامُ الأَجَل مُحْيِي السُّنَّة في حليَة الأَبْرَار: أَنَّهُ وَقَعَ الطَّاعُونُ في زَمَن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر ــ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ ثَلاثَةَ أَيَّام، وَمَاتَ في ذَلكَ الطَّاعُون ثَلاثَةٌ وَثَمَانُونَ ابْنًا لأَنَس ﷺ خَادم نَبيِّنَا ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ ــ وَقَدْ دَعَا لَهُ النَّبيُّ ﷺ بالبَرَكَة، وَمَاتَ أَرْبَعُونَ ابْنًا لعَبْد الرَّحْمَن ابْن أَبي بَكْرٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فَإذَا عُوملَ بأَصْحَاب خَيْر الأَنَام ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ هَذه المُعَامَلَةَ، فَأَيُّ حسَاب لأَمْثَالنَا العَاصينَ؟!

وَقَدْ وَرَدَ في الخَبَر: أَنَّ الطَّاعُونَ كَانَ عَذَابًا للأُمَم السَّابقَة، وَهُوَ شَهَادَةٌ لهَذه الأُمَّة ".

وَالحَقُّ أَنَّ الذينَ يَمُوتُونَ في هَذَا الوَبَاء يَذْهَبُونَ حَاضرينَ مُتَوَّجينَ عَلى وَجْه يُقْضَى منْهُ العَجَبُ حَتَّى يَتَمَنَّى الإنْسَانُ اللحَاقَ في هَذه الأَيَّام بهَؤُلاء الجَمَاعَة أَرْبَاب البَلاء وَنَقْل الحُمُول منَ الدُّنْيَا إلى الآخرَة، وَهَذَا البَلاءُ في هَذه الأَيَّام بهَؤُلاء الجَمَاعَة أَرْبَاب البَلاء ــ: غَضَبٌ في الظَّاهر رَحْمَةٌ في البَاطن.

وَقَالَ الشَّيْخُ طَاهِرٌ " رَأَيْتُ شَخْصًا فِي هُورَ فِي أَيَّامِ الطَّاعُونِ يَقُول: مَنْ لَمْ يَمُتْ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ فَهُوَ مُتَحَسِّرٌ "

نَعَــــمْ: إِذَا أُجِيلَ النَّظَرُ فِي أَحْوَالِ هَؤُلاءِ المَاضِينَ تُشَاهِدُ أَحْوَالاً غَرِيبَةً وَمُعَامَلاتٍ عَجِيبَةً لاَ يَمْتَازُ بِهَذِهِ الخَصَائِصِ غَيْرُ الشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَعْنِي: لاَ يَنَالهَا غَيْرُهُمْ.

أَيُّهَا المَخْـــدُومُ: إِنَّ مُفَارَقَةَ وَلَدِي الأَعَزِّ ـــ قُدِّسَ سِرُّهُ ـــ مِنْ أَعْظَمِ المَصَائِبِ، لاَ يُعْلَمُ كَوْنُ شَخْصٍ مُصَابًا بِمِثْلِ هَذِهِ المُصِيبَةِ.

وَأَمَّا الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ اللذَانِ رَزَقَهُمَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِهَذَا الضَّعِيفِ فِي هَذِهِ المُصِيبَةِ فَمِنْ أَجَلِ إِحْسَانِهِ وَأَعْظَمِ إِنْعَامِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُؤَخِّرَ جَزَاءَ هَذِهِ المُصِيبَةِ إِلَى الآخِرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ مُعَدًّا لَهَا، وَأَنْ لاَ يَظْهَرَ شَيْءٌ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ المَسْأَلَةَ مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ وَإِلا فَهُوَ تَعَالَى وَاسِعُ الرَّحْمَةِ {فَلله الآخِرَةُ وَالأُولَى}⁽¹⁾.

المَسْئُولُ مِنَ الإِخْوَانِ: الإِمْدَادُ وَالإِعَانَةُ، وَدُعَاءُ سَلامَةِ الخَاتِمَةِ، وَالعَفْوُ عَنِ الزَّلاتِ اللازِمَةِ لِلبَشَرِيَّةِ، وَالتَّجَاوُزُ عَنِ التقصيراتِ النَّاشِئَةِ مِنَ البَشَرِيَّةِ، {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ}⁽²⁾، {وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَسَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}⁽³⁾.

---

(١) ـــ الآية: ٢٥ من سورة النجم.

(٢) البقرة:٢٨٦

(٣) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ الحَادِي الثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الشَّيْخ جَمَال الدِّين الناكورى
في بَيَان نَصيب عُلمَاء الظَّاهِر وَنَصيب العُلمَاء الرَّاسخينَ وَنَصيب الصُّوفيَّة وَجوَاب التماسه

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

" العُلمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبيَاء " كَافٍ في مُدْحَة العُلمَاء، وَعلمُ الورَاثَة هُوَ علمُ الشَّريعَة؛ فَإنَّهُ هُوَ الذي بَقيَ منَ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتَّسليمَاتُ.

وَلعلمِ الشَّريعَة صُورَةٌ وَحقيقَةٌ:

وَصُورَتُـــــهُ: هيَ نَصيبُ عُلمَاء الظَّاهِرِ ــ شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ ــ وَهيَ التي تَتَعَلقُ بمُحْكَمَات الكتَاب وَالسُّنَّة.

وَحَقيقَتُـــــهُ: هيَ نَصيبُ العُلمَاء الرَّاسخينَ ــ رَضيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ ــ وَهيَ التي تَتَعَلقُ بمُتَشَابهَات الكتَاب وَالسُّنَّة، وَالمُحْكَمَاتُ وَإنْ كُنَّ أُمَّ الكتَاب وَلكنَّ ثَمَرَاته وَنَتَائجَهُ المُتَشَابهَات اللائي هُنَّ مَقَاصدُ الكتَاب، وَلَيْسَ الأُمَّهَاتُ سوَى أَنْ يَكُنَّ وَسَائل لحُصُول نَتَائجَ فَكَانَ في الكتَاب المُتَشَابهَاتُ وَالمُحْكَمَاتُ قشْر ذَلكَ اللبِّ، وَالمُتَشَابهَاتُ هيَ التي تُبَيِّنُ الأَصْلَ بالرَّمْزِ وَالإشَارَة، وَتَكْشفُ عَنْ وَجْه حَقيقَة تلكَ المُعَامَلة.

وَالعُلمَاءُ الرَّاسخُونَ جَمَعُوا بَيْنَ القشْرِ وَاللبِّ، وَحَازُوا مَجْمُوعَ صُورَة الشَّريعَة وَحَقيقَتهَا، وَالكُبَرَاءُ تَصَوَّرُوا الشَّريعَةَ كَشَخْصٍ يَكُونُ قشْرُهُ وَلُبُّهُ منْ صُورَة الشَّريعَة وَحَقيقَتهَا، وَوَجَدُوا علمَ أَحْكَامِ الشرائعِ صُورَةَ الشَّريعَة وَعلمَ الحقائق وَالأَسْرَار حَقيقَةَ الشَّريعَة، وَصَارَتْ طَائفَةٌ مَفْتُونَةً بصُورَة الشَّريعَة، وَأَنْكَرُوا حَقيقَتهَا وَلَمْ يَعْرفُوا لأَنْفُسهمْ شَيْخًا وَمُقْتَدًى به غَيْرَ الهدَايَة وَالبَزْدَويِّ وَطَائفَةٌ أُخْرَى، وَإنْ حَصَلَتْ لَهُمْ عَلاقَةٌ بتلكَ الحَقيقة وَلكنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَعْرفُوهَا حَقيقَةً لشَّريعَة، بَل زَعَمُوا الشَّريعَةَ مَقْصُورَةً عَلَى الصُّورَة وَظَنُّوهَا قشْرًا فَقَطْ وَتَصَوَّرُوا اللبَّ وَرَاءَهَا ــ: فَلا جَرَمَ لَمْ يُدْركُوا حَقيقَةَ تلكَ الحَقيقَة، وَلَمْ يَنَالوا نَصيبًا منَ المُتَشَابهَات، وَالعُلمَاءُ الرَّاسخُونَ هُمُ الوَارثُونَ في الحَقيقَة، جَعَلنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإيَّاكُمْ منْ مُحبِّيهِمْ وَمُقْتَفي أَثَارِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ أَخِي الشَّيْخَ ميان نُور مُحَمَّد أَظْهَرَ مِنْ جَانِبِكُمْ بِأَنَّكُمْ قُلتُمْ: إِنَّ لَنَا إِجَازَاتٍ مِنْ مشائِخِ السَّلاسِلِ الأُخَرِ، وَنُرِيدُ مِنْ جَانِبِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ أَيْضًا إِجَازَةً:

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ: إِنَّ المَشْيَخَةَ وَالمُرِيدِيَّةَ فِي الطَّرِيقَةِ⁽¹⁾ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ العَلِيَّةِ بِتَعْلِيمِ الطَّرِيقَةِ وَتَعَلُّمِهَا، لاَ بِالكُلاهِ وَالشَّجَرَةِ كَمَا هُوَ مُتَعَارَفٌ فِي سَلاسِلَ أُخَرَ، وَطَرِيقُ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ صُحْبَةٌ، وَتَرْبِيَتُهُمْ انْعِكَاسِيَّةٌ، فَلا جَرَمَ انْدَرَجَتْ فِي بِدَايَتِهِمْ نِهَايَةُ الآخَرِينَ، وَصَارَ طَرِيقُهُمْ أَقْرَبَ الطُّرُقِ، وَنَظَرُهُمْ شِفَاءَ الأَمْرَاضِ القَلْبِيَّةِ، وَتَوَجُّهُهُمْ دَافِعَ العِلَلِ المَعْنَوِيَّةِ، شِعْرٌ:

مَا أَحْسَنَ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ سِيرَتُهُمْ يَمْشُونَ بِالرَّكْبِ مُخْفِيِّينَ لِلحَرَمِ

وَالمَرْجُوُّ مُسَامَحَتُكُمْ، (ع):

وَالعُذْرُ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَقْبُول

وَالسَّلامُ.

---

(١) - الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٨٥

المَكْتُوبُ الثّاني وَالثّلاثُونَ بَعْدَ الثّلاثمائة

إلى المير مُحبِّ الله

في التَّحْرِيضِ عَلى اتِّبَاعِ السُّنَّة السَّنيَّة وَالتَّحْذيرِ مِنَ ارْتكَابِ البدْعَة الغَيْرِ المَرْضيَة وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْليغِ الدَّعَوَاتِ:

ليُعْلَمَ أَخِي الأَعَزُّ السَّيِّدُ مُحبّ الله: أَنَّ أَحْوَال فُقَرَاء هَذه الحُدُود وَأَوْضَاعَهُمْ مُسْتَوْجبَةٌ للحَمْد، وَالمَسْئُول منَ الله سُبْحَانَهُ سَلامَتُكُمْ وَثَبَاتُكُمْ وَاسْتقَامَتُكُمْ، وَلَمْ يُطَّلَعْ فِي هَذه المُدَّة عَلى أَحْوَال فُقَرَاءِ تلكَ الحُدُود؛ فَإِنَّ بُعْدَ المَسَافَة منَ المَوَانِع.

النَّصيحَةُ هيَ الدِّينُ وَمُتَابَعَةُ سَيِّد المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَإِتْيَانُ السُّنَّة السَّنيَّة وَالاجْتنَابُ عَنِ البدْعَة الغَيْرِ المَرْضيَّة، وَإِنْ كَانَت البدْعَةُ تُرَى مثْل فَلَق الصُّبْح، لَكنَّهَا لاَ نُورَ لَهَا فِي الحَقيقَة وَلا ضيَاءَ، وَلا للعَليل منْهَا شفَاءٌ، وَلا للدَّاء منْهَا دَوَاءٌ، كَيْفَ وَالبدْعَةُ إِمَّا رَافعَةٌ للسُّنَّة أَوْ سَاكتَةٌ عَنْهَا؟! وَالسَّاكتَةُ لاَ بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ زَائدَةً عَلى السُّنَّة فَتَكُونَ نَاسخَةً لَهَا فِي الحَقيقَة أَيْضًا، لاَ الزِّيَادَةُ عَلى النَّصِّ نَسْخٌ لَهُ؛ فَالبدْعَةُ كَيْفَ كَانَتْ تَكُونُ رَافعَةً للسُّنَّة نَقيضَةً لَهَا؛ فَلا خَيْرَ فيهَا وَلا حُسْنَ، فَيَا لَيْتَ شعْرِي منْ أَيْنَ حَكَمُوا بحُسْنِ البدْعَة المُحْدَثَة في الدِّينِ الكَامل وَالإسْلامِ المَرْضيِّ بَعْدَ إِتْمَامِ النِّعْمَة؟! أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الإِحْدَاثَ بَعْدَ الإِكْمَال وَالإِتْمَامِ وَحُصُول الرِّضَاء بمَعْزِل عَنِ الحُسْنِ؟! فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلا الضَّلال؟!

وَلوْ عَلمُوا أَنَّ الحُكْمَ بحُسْنِ المُحْدَث في الدِّينِ الكَامل مُسْتَلزِمٌ لعَدَمِ كَمَاله وَمُنْبِئٌ عَنْ عَدَمِ تَمَامِ النِّعْمَة، لَمَا اجْتَرَأُوا عَلَيْه {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخذْنَا إِنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}(١) وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

---

(١) البقرة: ٢٨٦

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة

إلى مَوْلانَا مُحَمَّد طَاهِر البَدَخْشِيِّ

في فَضَائِل الصَّلاة
وَالتَّحْرِيضِ فِي تَعْدِيل الأَرْكَان وَتَكْمِيل الشَّرَائِطِ وَالآدَابِ كَمَا يَنْبَغِي وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَالسَّلامُ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَصَل المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ المُرْسَل مِنْ نَوَاحِي جونفور، وَحَيْثُ كَانَ مُتَضَمِّنًا لخَبَرِ الضَّعْف، صَارَ بَاعثًا عَلى الاضْطرَاب وَالتَّشْوِيشِ؛ فَنَحْنُ الآنَ مُتَرَصِّدُونَ لخَبَرِ الصِّحَّة فَأَرْسِلوهُ مَعَ الوَارِدِينَ، وَاكْتُبُوا كَيْفيَّات الأَحْوَال

أَيُّهَـــا المُحِـــبُّ: إنَّ هَذه الدَّارَ لَمَّا كَانَتْ دَارَ العَمَل ـــ وَدَارُ الجَزَاءِ هِيَ دَارُ الآخرَةِ ـــ يَنْبَغِي السَّعْيُ فِي إِتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة، وَأَفْضَل الأَعْمَال وَأَحْسَنُ العِبَادَات هِيَ إِقَامَةُ الصَّلاة التِي هِيَ عمَادُ الدِّينِ وَمعْرَاجُ المُؤْمنينَ، فيَنْبَغي رعَايَةُ جَانب الاهْتمَامِ التَّامِّ فِي أَدَائهَا، وَالاحْتيَاطُ فيهَا حَتَّى يُؤَدَّى كُل وَاحد منْ أَرْكَانهَا وَشَرَائطهَا وَسُنَنهَا وَآدَابهَا كَمَا يَنْبَغي وَيَليقُ، ويَنْبَغِي المُبَالغَةُ مُكَرَّرَةً فِي رِعَايَة الطُّمَأْنينَة وَتَعْديل الأَرْكَان، وَوَرَدَ في حُقِّ هَؤُلاء الجَمَاعَة وَعيدٌ كَثيرٌ وَتَهْديدٌ شَديدٌ، فَإِذَا صَحَّت الصَّلاةُ وكَمُلتْ فَقَدْ تَيسَّرَ رَجَاءٌ عَظيمٌ لأَجْل النَّجَاةِ؛ لأَنَّ الدِّينَ كَانَ قَائمًا حِينَئذٍ وَبَلغَ معْرَاجَ العُرُوجِ عَلى التَّمَام.

وَعَلَيْكُمُ بالسُّكْرِ يَا أَهْل صُفْرَا على رَغْمِ ذَوِي السَّوْدَاء

وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَسْليمَاتُ العُلى.

الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة

إلى الشَّيْخِ مُحَمَّد صدِّيق الْمُلقَّب بالهدَايَة

فِي بَيَان أَنَّ الْمُرَادَ بالقَلب الوَاقِعِ فِي الحَدِيث القُدُسِيِّ " لاَ يَسعُني أَرْضِي " إلخ هُوَ الْمُضْغَةُ لاَ الحَقِيقَةُ الجَامِعَةُ التي أَخْبَرَ بَعْضُ المشائخ عَنْ وُسْعَتِهَا وَمَا يَتعَلقُ بذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ كَتَبْتَ مَا بكَ، ذَكَرْتَ فِي مَكْتُوبَاتكَ وَرَسَائلكَ بأَنَّ الظُّهُورَ القَلبيَّ لَمْعَةٌ منَ الظُّهُورِ العَرْشِيِّ وَالفَضْل الكُليَّ إنَّمَا هُوَ للظُّهُورِ العَرْشِيِّ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: " لاَ يَسعُنِي أَرْضِي وَلا سَمَائِي وَلكنْ وَسعَنِي قَلبُ عَبْدِي الْمُؤْمنِ "(١).

وَيَلزَمُ منْ هَذَا الحَديث أَنْ يَكُونَ الظُّهُورُ القَلبيُّ أَتَمَّ وَأَنْ يَكُونَ الفَضْل لهُ.

أَيُّهَا الْمُحبُّ: إنَّ حَل هَذَا السؤال مَبْنيٌّ عَلى مُقَدِّمَة:

اعْلمْ: أَنَّ أَرْبَابَ الولاَيَة يَقُولونَ: " قَلبًا "، وَيُرِيدُونَ به الحَقيقَةَ الجَامعَةَ الإنْسَانيَّةَ، التي هِيَ منْ عَالمِ الأَمْرِ، وَالقَلبُ فِي لسَانِ النُّبُوَّة ـــ عَلى صَاحِبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحيَّةُ ـــ عِبَارَةٌ عَنِ الْمُضْغَةِ التِي صَلاحُ البَدَنِ مَرْبُوطٌ بِصَلاحِهَا،

---

(١) **لا أصل له**: قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: لم أر له أصلا.، وقال السيوطي في زيادة الجامع الصغير: لا أصل له.، وكذا قال المناوي في فيض القدير.

وحكى العجلوني عن ابن تيمية: أنه مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ.

وقال صاحب المقاصد تبعا لشيخه في اللآلئ: ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ومعناه وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي. وإلا فمن قال إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده وكأنه أشار بما في الإسرائيليات إلى ما أخرجه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال إن الله فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل سبحانك ما أعظمك يا رب فقال الله إن السماوات والأرض ضعفن عن أن يسعنني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين،

ونقل عن خط الزركشي أن بعض العلماء قال إنه حديث باطل وأنه من وضع الملاحدة وأكثر ما يرويه المتكلم على رؤوس العوام علي بن وفا لمقاصد يقصدها ويقول عند الوجد والرقص طوفوا بيت ربكم. (كشف الخفاء ح٢٢٥٦.) وبنحو قول ابن تيمية – رحمه الله – قال الفتني في تذكرة الموضوعات: كتاب العلم. باب إن القلب بيت الرب ووسيعه وإن الأرواح جنود.

وَفَسَادُ البَدَنِ مَنُوطٌ بِفَسَادِهَا، كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ـــ عَلَيْهِ وَعَلَى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ ـــ: " إِنَّ فِي جَسَدِ ابْنِ آدَمَ لَمُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ القَلْبُ"(١) وَوَسَعَةُ القَلْبِ لازِمٌ لِإِطْلاقِ الأَوَّلِ، وَمِنْ هَهُنَا أَخْبَرَ أَبُو يَزِيدَ وَالجُنَيْدُ عَنْ وُسْعَةِ القَلْبِ، وَظَنُّوا العَرْشَ وَمَا فِيهِ مُحَقَّرًا فِي جَنْبِ عَظَمَةِ القَلْبِ.

وَضِيقُ القَلْبِ لازِمُ الإِطْلاقِ الثَّانِي، وَضِيقُ القَلْبِ فِي هَذَا المَقَامِ عَلَى نَهْجٍ لاَ مَجَالَ فِيهِ لِلجُزْءِ الذِي لاَ يَتَجَزَّئُ الذِي هُوَ أَحْقَرُ الأَشْيَاءِ وَأَصْغَرُهَا، وَإِذَا نُسِبَ ضِيقُ القَلْبِ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ إِلَى الجُزْءِ الذِي لاَ يَتَجَزَّئُ وَقِيسَ عَلَيْهِ يَظْهَرُ ذَلِكَ الجُزْءُ المُحَقَّرُ فِي النَّظَرِ مِثْلَ طَبَقَاتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهَذِهِ المُعَامَلَةُ وَرَاءَ طَوْرِ نَظَرِ العَقْلِ؛ فَلا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ

هَذَا فَإِذَا عَلِمْتَ هَذِهِ المُقَدِّمَةَ فَاعْلَمْ أَنَّ: الظُّهُورَ الذِي هُوَ مَرْبُوطٌ بِالحَقِيقَةِ الجَامِعَةِ لاَ شَكَّ أَنَّهُ لُمْعَةٌ(٢) بِالنِّسْبَةِ إِلَى الظُّهُورِ العَرْشِيِّ التَّامِّ، وَالفَضْلُ الكُلِّيُّ فِي هَذَا المَقَامِ لِلعَرْشِ.

وَمَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ وَالشَّيْخُ جُنَيْدٌ مِنْ أَنَّ القَلْبَ أَوْسَعُ مِنَ الكُلِّ وَتَخَيَّلا العَرْشَ وَمَا فِيهِ شَيْئًا مُحَقَّرًا فِي جَنْبِهِ ـــ: فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ اشْتِبَاهِ الشَّيْءِ بِأُنْمُوذَجِ الشَّيْءِ حَيْثُ إِنَّهُمَا لَمَّا رَأَيَا أُنْمُوذَجَاتِ العَرْشِ وَمَا فِيهِ مُحَقَّرًا فِي جَنْبِ جَامِعِيَّةِ(٣) القَلْبِ حَكَمُوا عَلَى حَقَائِقِ العَرْشِ وَمَا فِيهِ.

وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الفَقِيرُ مَنْشَأَ هَذَا الاشْتِبَاهِ فِي كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ مُكَرَّرًا، وَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ مُوَافِقٌ لِلِسَانِ الأَنْبِيَاءِ ـــ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـــ وَالمُرَادُ بِهِ هُوَ المُضْغَةُ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الظُّهُورَ الأَتَمَّ هُوَ هُنَا، وَمِرْآتِيَّةُ أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ المُجَرَّدَةِ مُسَلَّمَةٌ لَهُ،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان. باب: فضل من استبرأ لدينه. ح ٥٢.، ومسلم: ك: المساقاة، ب: أخذ الحلال وترك الشبهات. ح١٠٧.

(٢) اللمعة مفرد لوامع، وهي: الأنوار الساطعة التي تلمع لأهل البدايات من أرباب النفوس الضعيفة الطاهرة، فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك، فتصير مشاهدة بالحواس الظاهرة، فيتراءى لهم أنوا ر كأنوار الشهب والشمس والقمر فتضيئ ما حولهم. وهي إما من غلبة أنوار القهر والوعيد على النفس فتضرب إلى الحمرة، إما من غلبة أنوار اللطف والوعد فتضرب إلى الخضرة والفقوع. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٩٢.

(٣) الجمعية: هي إجتماع الهم في التوجه إلى الله والإشتغال به عما سواه، وبإزائها التفرقة، وهي: توزع الخاطر للإشتغال بالخلق. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٦٧.

وَالعَرْشُ ــ وَإِنْ كَانَ لهُ مِنَ الظُّهُورِ التَّامِّ الذي هُوَ ظُهُورُ الأَصْلِ نَصِيبٌ وَافِرٌ ــ وَلكِنْ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ امْتِزَاجُ الصِّفَات، وَحَيْثُ كَانَت الصِّفَاتُ ظِلال حَضْرَةِ الذَّات في الحَقيقَة لاَ يَكُونُ ذَلكَ الظُّهُورُ خَاليًا عَنْ شَائبَة الظِّلِّيَّة، وَمِنْ هَهُنَا للعَرْشِ تَوَقُّعَاتٌ مِنَ الظُّهُورِ الإِنْسَانيِّ الذي يَتَعَلَّقُ بِالأَصْلِ الصِّرْفِ، وَمَرْكَزُ هَذه المُعَامَلَة هُوَ الإِنْسَانُ.

فَإِنْ قِيلَ: المَفْهُومُ مِنَ الحَديثِ وُسْعَةُ القَلبِ وَأَنْتَ تَقُول: إِنَّهُ ضَيِّقٌ جدًّا:

أُجيبَ: أَنَّ كَوْنَهُ ضَيِّقًا إِنَّمَا هُوَ باعْتبَار عَدَمِ اتِّسَاعه لمَا سوَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَوُسْعَتُهُ باعْتبَار ظُهُور أَنْوَار القدَم فيه؛ فَلا مُنَافَاةَ.

وَهَذَا الفَقيرُ عَبَّرَ عَنْ ذَلكَ القَلب في بَعْضِ رَسَائله بهَذه العبَارَة: " الضَّيِّقُ الأَوْسَعُ البَسيطُ الأَبْسَطُ وَالأَقل الأَكْثَرُ ".

فَإِنْ قيلَ: إِنَّ المُسْتَحقَّ للفَضيلة هُوَ الحَقيقَةُ الجَامعَةُ لكَوْنهَا منْ عَالَمِ الأَمْرِ، وَالمُضْغَةَ منْ عَالَمِ الخَلق وَمُرَكَّبٌ منَ العَنَاصرِ، فَمنْ أَيْنَ نَال هَذه الفَضيلة؟!

أُجيبَ: أَنَّ لعَالَمِ الخَلق مَزيَّةً عَلى عَالَمِ الأَمْرِ يَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكهَا أَفْهَامُ العَوَامِّ؛ بَل لاَ يُدْرِكُهَا أَكْثَرُ الخَوَاصِّ، وَهَذَا الفَقيرُ قَدْ أَوْضَحَ هَذَا المَعْنَى في المَكْتُوب الذي حُرِّرَ لوَلدي الأَعْظَم المَرْحُوم في بَيَانِ الطَّريق فَإِنْ بَقِيَ تَرَدُّدٌ فَليُطْلَبِ التَّشَفِّي منْ هُنَاكَ.

وَاسْتَمعِ الآنَ بَيَانَ حَقيقَة هَذه المُضْغَة وَاعْلمْ أَنَّهَا للعَوَامِّ مُضْغَةٌ حَاصلةٌ مَنْ تَرَكُّبِ العَنَاصرِ الأَرْبَعَة، وَللخَوَاصِّ، بَل لأَخَصِّ الخَوَاصِّ ــ: مُضْغَةٌ مُصَوَّرَةٌ منْ تَرَكُّبِ الأَجْزَاءِ العَشْرَة بَعْدَ:

- السُّلوك.
- وَالجَذْبَة.
- وَبَعْدَ التَّصْفيَة(١).
- وَالتَّزْكيَة.
- وَبَعْدَ تَمْكينِ القَلبِ.
- وَاطْمئْنَان النَّفْس.

---

(١) **التصفية:** هي مجاهدة العبد نفسه في تصفية الأخلاق الدنيئة مثل الشح والرغبة والمذمة، والحقد والجفوة، وغيرذلك. انظر: الحكيم الترمذي: ختم الأولياء: ١٣٢.

بَل بِمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكَرَمِهِ جَل سُلطَانُهُ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ مِنَ العَنَاصِرِ، وَوَاحِدٌ مِنَ النَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ، وَخَمْسَةُ أَجْزَاءٍ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ، وَمَعَ وُجُودِ التَّضَادِّ(١) وَالتَّبَايُنِ(٢) بَيْنَ تِلْكَ الأَجْزَاءِ زَالَتْ صُورَةُ التَّضَادِّ وَالتَّبَايُنِ مِنْ بَيْنِها بِقُدْرَةِ وَاجِبِ الوُجُودِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَاجْتَمَعَتْ وَحَصَلَتْ مِنَ اجْتِمَاعِهَا هَيْئَةٌ وَحْدَانِيَّةٌ أُعْجُوبَةٌ، وَالجُزْءُ الأَعْظَمُ فِي هَذِهِ المُعَامَلَةِ هُوَ العُنْصُرُ التُّرَابِيُّ، وَهَذِهِ الهَيْئَةُ الوَحْدَانِيَّةُ أَيْضاً شَابَهَت الجُزْءَ الأَرْضِيَّ وَاسْتَقَرَّ فِي التُّرَابِ.

كُنْ أَرْضاً فَيَنْبُتْ فيكَ وَرْدٌ فَإِنَّ الوَرْدَ مَنْبَتُهُ

أَيُّهَا الأَخُ: إِنَّ يَدَ أَرْبَابِ الوِلاَيَةِ لاَ تَصِلُ إِلى هَذِهِ العُلومِ وَالمَعَارِفِ؛ فَإِنَّها مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاةِ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ - عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ - ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾(٣) وَالقَلْبُ الذِي سَأَلَ الخَلِيلُ - عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - اطْمِئْنَانَه هُوَ هَذِه المُضْغَةُ؛ فَإِنَّ حَقِيقَتَهُ الجَامِعَةَ كَانَتْ مُتَمَكِّنَةً، وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً؛ فَإِنَّ التَّمْكِينَ وَالاطْمِئْنَانَ يَحْصُلانِ فِي مَرْتَبَةِ الوِلاَيَةِ التِي هِيَ مَدْرَجَةُ النُّبُوَّةِ عَلى أَرْبَابِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ.

وَالمُنَاسِبُ لِشَأْنِ النُّبُوَّةِ هُوَ تَقَلُّبُ المُضْغَةِ وَاضْطِرَابُهَا لاَ تَقَلُّبُ الحَقِيقَةِ الجَامِعَةِ؛ فَإِنَّهُ نَصِيبُ العَوَامِّ، وَالمَرادُ بِثَبَاتِ القَلْبِ الذِي طَلَبَهُ خَاتَمُ الرِّسَالَةِ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - حَيْثُ قَالَ: «اللهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلبِي عَلى طَاعَتِكَ»(٤) هُوَ ثَبَاتُ هذِهِ المُضْغَةِ وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالقَلْبِ الوَارِدِ فِي بَعْضِ

---

(١) **التضاد:** يكون بين معنيين مجردين يندرجان تحت جنس واحد، وبينهما غاية الخلاف. انظر: المعجم الفلسفي: ٤٤.

(٢) **التباين:** هو أن ينسب أحد الشيئين إلى الآخر فلا يصدق أحدهما على شيء مما يصدق عليه الآخر. المعجم الفلسفي: ٣٤.

(٣) ـ الآية ٢١ من سورة الحديد.

(٤) سنن الترمذي: ك: أبوابُ القدرِ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ القُلوبَ بينَ إِصبُعي الرَّحمٰنِ ح ٢٢٢٦. وقال حديث حسن، وأحمد في المسند: مسند أنس بن مالك، وفي مسند الشاميين ح النواس بن سمعان، وفي حديث السيدة عائشة، وفي حديث أم سلمة، والطبراني في المعجم الكبير عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(*) وقال المناوي بعد أن عزاه للطبراني في الأوسط: حكم ابن الجوزي بوضعه وقال فيه معارك بن عباد متروك منكر الحديث قال المصنف وفيه نظر انتهى، ولم يوجهه بشيء وفي الميزان معارك قال البخاري وغيره منكر الحديث ضعفه وشيخه واهٍ ثم ساق من مناكيره هذا الخبر ثم قال: وهذا حديث باطل قد يحتج به الأزارقة الذين لو قيل لأحدهم أنت مسيلمة الكذاب لقال إن شاء الله انتهى وذكر الحافظ في

الأَحَادِيث فِي بَابِ تُقلبِ القَلبِ مَعْنًى شَامِل للحَقِيقَةِ الجَامِعَةِ وَالْمُضْغَة نَظَرًا إِلى أَحْوَال الأُمَّة.

فَإِنْ قِيل: إِنَّ هَذه الْمُضْغَةَ إِذَا تَشَرَّفَتْ بشَرَف: " يَسَعُنِي قَلبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ " وَاسْتَحَقَّتْ مِرْآتِيَّةَ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، كَيْفَ يُتَصَوَّرُ فِيهَا التَّقَلبُ وَالاضْطِرَابُ وَلأَيْشٍ تَحْتَاجُ إِلى الاطْمِئْنَانِ؟!:

أُجِيبَ: إِنَّ الظُّهُورَ كُلمَا كَانَ أَتَمَّ وَتَخَلصَ عَنْ شَائِبَةِ الشُّئُون وَالصِّفَات يَكُونُ الجَهْل وَالحَيْرَةُ أَكْثَرَ وَعَدَمُ الإِدْرَاك وَالوِجْدَان أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ، وَمَعَ وُجُودِ هَذَا الظُّهُورِ وَمَعَ هَذه الوَسَعَة كَثِيرًا مَا يُطْلبُ الدَّليل عَلى وُجُودِ الصَّانِعِ مِنْ كَمَال الجَهْل وَالحَيْرَة بِحَيْثُ لاَ يَحْصُل اليَقِينُ بِوُجُودِ الصَّانِعِ دُونَ الاسْتِدْلال بَعْدَ الرُّجُوعِ، وَقَدْ عُلمَ فِي هَذَا المَقَامِ أَنَّهُ يُحْتَاجُ إِلى الدَّليل فِي عَيْنِ الحُصُول وَالوُصُول، وَهَذَا المَقَامُ مُوَافِقٌ لحَال كَمَالات مَرْتَبَة النُّبُوَّة ــ عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ ــ وَذَلكَ المَقَامُ مُنَاسِبٌ لحَال الوِلايَة، فَإِذَا وَقَعَ لصَاحِبِ هَذَا القَلب رُجُوعٌ إِلى العَالمِ للدَّعْوَة يَكُونُ قَلقُ قَلبه وَاضْطِرَابُهُ وَتَقَلبُهُ وَتَلوُّنُهُ أَزْيَدَ وَأَكْثَرَ، فَإِذَا كَانَ فِي عَيْنِ الوُصُول مُحْتَاجًا إِلى الدَّليل بِوَاسِطَة الجَهْل وَالحَيْرَة يَكُونُ فِي زَمَان الفُرْقَة مُحْتَاجًا إِلى الاسْتِدْلال بِالأَوْلى ليُحَصِّل بِوَاسِطَة الاسْتِدْلال اطْمِئْنَانًا فِي الجُمْلة.

أَوْ نَقُول: إِنَّهُ لمَّا اخْتَفَتْ عَنْهُ الدَّوْلةُ أَيَّامًا، وَاتَّسَمَ بِسِمَة فُرْقَتِهَا حُقَّ لهُ أَنْ يَكُونَ قَلقًا وَمُضْطَرِبًا دَائِمًا وَأَنْ يَكُونَ مَغْمُومًا وَمَحْزُونًا عَلى الدَّوَامِ؛ " كَانَ رَسُول الله ﷺ مُتَوَاصِل الحُزْنِ دَائِمَ الفِكْرِ "(١).

وَلنُبَيِّنَ بَعْضَ الوُجُوه الفَارِقَة بَيْنَ هَذَيْنِ الإِطْلاقَيْنِ يَنْبَغِي اسْتِمَاعُهُ بِسَمْعِ العَقْل:

اللسان مثله وقال لهيثمي عقب عزوه للطبراني فيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد وهو ضعيف. (فيض القدير: ح ٢٤٨٦)

وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك.(مجمع الزوائد كتاب الصلاة. أبواب العيدين.. باب الدعاء يوم العيد. ح ٣٢٢٦، وفي ح١١٩١١قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه المعلى بن الفضل قال ابن عدي: في بعض ما يرويه نكرة،وبقية رجاله وثقوا وفيهم خلاف.، وفي ح١٧٣٨٢ قال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح ٦٨٢٢.

(١) **لم أقف عليه بهذا اللفظ**: ويؤيده حديث: " كان لا ينبعث في الضحك " عزاه السيوطي للطبراني عن جابر بن سمرة ورمز لحسنه. (فيض القدير: ح٦٩٢٢)

اعْلَمْ: أَنَّ الحَقيقَةَ الجَامعَةَ التي هِيَ مِنْ عَالِمِ الأَمْرِ يَتَيَسَّرُ لَهَا بَعْدَ التَّزْكِيَةِ وَالتَّصْفيَة تَمْكينٌ تَامٌّ بوَصْف الدَّوَام، بخلاف المُضْغَة؛ فَإنَّ اطْمئْنَانَهَا مَرْبُوطٌ بإدْرَاكِ الحَوَاسِّ، وَمَا لَمْ تُدْرِك الشَّيْءَ بالحَوَاسِّ لاَ تَخْرُجْ منَ القَلَق؛ وَلذَا قَال الخَليل ــ عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ: {رَبِّ أَرني كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى}(١)

وَالفَارِقُ الثَّاني: هُوَ أَنَّ الحَقيقَةَ الجَامعَة تَتَأَثَّرُ بالذِّكْر، وَإذَا بَلغَ الذِّكْرُ كَمَالَهُ تَتَّحدُ بالذِّكْر وَتَتجَوْهَرُ به؛ قَال صَاحب العَوَارف ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ لهَذَا المَقَام: "المَقْصدُ الأَسْنَى"، وَعَبَّرَ عَنْهُ بذكْر الذَّات تَعالَتْ، بخلاف المُضْغَة؛ فَإنَّهُ لاَ سَبيل إلَيْهَا للذِّكْر، فَأَيْنَ التَّأَثُّرُ وَأَيْنَ التَّجَوْهُرُ بَعْدُ؟! بَل فِيهَا ظُهُورُ المَذْكُورِ بالأَصَالة لاَ بالظِّلِّيَّة، وَنهَايَةُ عُرُوج الذِّكْر إلى دهْليز المَذْكُور.

وَالفَرْقُ الثَّالثُ: أَنَّ الحَقيقَةَ الجَامعَةَ إذَا بَلغَتْ نهَايَةَ النِّهَايَة وَنَالتْ منَ الولاَيَة الخَاصَّة(٢) نَصيبًا وَافرًا؛ حَصَلَتْ حينَئذ مرْآتيَّةٌ للمَطْلُوب يَكُونُ الظَّاهرُ في ظل المَكْتُوب لاَ عَيْنه كَالمرْآة الظَّاهرَة؛ فَإنَّ الظَّاهرَ فيهَا شَبَحُ الشَّخْص لاَ عَيْنُهُ بخلاف المُضْغَة؛ فَإنَّ الظَّاهرَ فيهَا عَيْنُ المَطْلُوب لاَ ظلهُ عَلى خلاف المرْآة الظَّاهرَة وَلهَذَا قَال: "يَسعُني قلبُ عَبْدي المُؤْمن"، وَهَذه المُعَامَلةُ وَرَاءَ طَوْر نَظَر الفكْر، وَإيَّاكَ وَتَخيُّل الحُلول(٣) وَالتَّمكُّنَ هُنَا؛ فَإنَّهُ كُفْرٌ وَزَنْدَقَةٌ، وَإنْ لَمْ يُصدِّقْ عقلُ المَعَاش بأَنَّ عَيْنَ شَيْءٍ يَظْهَرُ في شَيْءٍ وَلا يَكُونَ لهُ فيه حُلول وَلا تَمكُّنٌ، وَهَذَا منْ قُصُور العَقْل وَقيَاس الغَائب عَلى الشَّاهد فَلا تَكُنْ منَ القَاصرينَ.

وَالفَرْقُ الرَّابعُ: أَنَّ الحَقيقَةَ الجَامعَةَ منْ عَالم الأَمْر وَالمُضْغَة منْ عَالم الخَلق، بَل كُل منْ عَالم الخَلق وَالأَمْر جُزْءٌ بهَا: الخَلقُ جُزْؤُهَا الأَعْظَمُ، وَالأَمْرُ جُزْؤُهَا الأَصْغَرُ، وَمنَ اجْتمَاع هَذَيْن الجُزْئَيْن حَصَلَتْ لهَا هَيْئَةٌ وَحْدَانيَّةٌ، وَصَارَتْ أُعْجُوبَةَ الدَّهْر، وَهَذه الأُعْجُوبَةُ وَإنْ كَانَتْ مُغَايرَةً لعَالم الخَلق وَالأَمْر وَليْسَ لهَا تَنَاسُبٌ وَتَشَابُهٌ بوَاحد منْهُمَا بوَاسطَة الهَيْئَة التَّرْكيبيَّة وَلكنَّهَا مَعْدُودَةٌ منْ عَالم الخَلق؛ لأَنَّ الجُزْءَ الأَرْضيَّ هُوَ العُمْدَةُ في هَذه المُعَامَلة، وَتَوَاضُعُ التُّرَاب بَاعثٌ عَلى رفْعَته.

---

(١) ــ الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

(٢) راجع تعريف الولاية والولي في معجم مصطلحات الصوفية للكاشاني ص٧٩، وراجع التعريف بالولاية اللعامة والخاصة في كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص١٠٦.

(٣) **الحلول**: يعني ظهور الباري – سبحانه في صورة شخص. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. انظر: المعجم الفلسفي: ٦٨.

وَالفَرْقُ الخَامِسُ: أَنَّ وُسْعَةَ الحَقِيقَةِ الجَامعَةِ باعْتِبَارِ ظُهُورِ صُورَةِ الأَشْيَاءِ فيهَا وَوُسْعَةَ الْمُضْغَةِ التِي تَنْكَشِفُ بَعْدَ تَضَيُّقِهَا باعْتِبَارِ سَعَتِهَا للمَطْلُوبِ الذي هُوَ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَغَيْرُ مُتَنَاه، وَذَلكَ التَّضْيِيقُ دهْلِيزُ تَضَيُّقِهَا؛ حَيْثُ إِنَّهُ مَانِعٌ لدُخُول مَا سوَى المَطْلُوبِ، حَتَّى لاَ يَتْرُكَ الذِّكْرَ أَنْ يَدْخُلَ فِي سُرَادِقَاتِ المَذْكُورِ، وَلا يَبْقَى شَائِبَةُ الظِّلِّيَّةِ أَنْ تَحُومَ حَوْلَ ذَلكَ الحَرِيمِ المُقَدَّسِ.

وَأَيْضًـــا: إِنَّ وَسعَةَ الأُولى ــ لَمَّا كَانَتْ فيهَا شَائِبَةُ الكَيْفِ ــ لاَ تَليقُ أَنْ تَكُونَ مرْآةً للكَيْفِيِّ، وَحَيْثُ كَانَ للثَّانِيَة نَصيبٌ منَ الكَيْفِيِّ لاَ تَسَعُ الكَيْفِيَّ، وَالعَجَبُ أَنَّهُ يَطْرَأُ عَلى هَذَا القَلب بَعْدَ الرُّجُوعِ للدَّعْوَة ظُلمَةٌ وَغَيْنٌ؛ وَمنْ هُنَا قَال سَيِّدُ البَشَر ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ والتَسْليمَاتُ ــ: **"إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلى قَلبِي"**(١)، وَإلى مَتَى أُبيِّنُ الفَرْقَ مَا للتُّرَاب وَرَبِّ الأَرْبَاب.

أَيُّهَـــا الأَخُ: إِيَّاكَ وَتَخَيُّل هَذه المُضْغَة قطْعَةَ لَحْم لاَ يُعْبَأُ بهَا؛ فَإِنَّهَا جَوْهَرَةٌ نَفيسَةٌ، مَخْزُونَةٌ فيهَا خَزَائِنُ عَالِمِ الخَلقِ وَأَسْرَارُهُ، وَمَدْفُونَةٌ فيهَا دَفَائنُ عَالِمِ الأَمْرِ وَخَفَايَاهُ، مَعَ زِيَادَة مُعَامَلة خَاصَّة مَنُوطَة بهَيْئَتهَا الوَحْدَانيَّة، جُعلتْ أَجْزَاؤُهَا العَشْرَةُ أَوَّلا بِالتَّصْفيَة وَالتَّزْكيَة وَالجَذْبَةً وَالسُّلُوك وَالفَنَاء وَالبَقَاء مُزَكَّاةً وَمُطَهَّرَةً، وَحُرِّرَتْ عَنْ دَنَسِ التَعَلقَات بالسِّوَى مَثَلا، تَخَلص القَلبُ منَ التَّقَلب، وَبَلغَ مَرْتَبَةَ التَّمْكِينِ(٢)، وَخَرَجَتِ النَّفسُ مِنْ أَنْ تَكُونَ أَمَّارَةً إِلى فَضَاءِ الاطْمِئْنَانِ، وَامْتَنَعَ الجُزْء

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ح ٢٧٠٢.، سنن أبي داوود: جماع أبواب فضائل القرآن:ب: في الإستغفار ح١٥١٥.مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث الأغر المزني.

(٢) **التمكن**: هواستقرار السالك في مقام الولاية باجتماعصحة الإنقطاع عما سوى الحق مع نور الكشف، وصفاء الحال عن العلم، ولا يفارقه الحال، ولا يزاحمه الغير، ولا يسلب عنه الشوق.

وصورته في **البدايات**: التمكن من الوفاء بعهد التوبة، والمداومة على العبادة بدون الفترة.

وفي **الأبواب**: دوام التبتل إلى الله بدون الركون إلى الغير.

وفي **المعاملات**: دوام الإستقامة إلى الله بلا تلفت، والثقة به، وبحوله وقوته من غير توسل.

وفي **الأخلاق**: التخلق بأخلاق الحق من غير تكلف، والتدين بدينه بروية الفضل منه بلا تعمل، ولا تعسف.

وفي **الأصول**: التمكن في السير به فيه بلا رؤية سعيه، والتثبت في الجد والطلب مع نفسه.

وفي **الأودية**: التمكن من الحكمة والإلهام في الحب بلا سلو، والإستمساك بالعروة الوثقى من غير تصور دنو وقرب.

النَّارِيُّ مِنَ البَغْيِ وَالعِنَادِ وَالطُّغْيَانِ، وَارْتَفَعَ العُنْصُرُ التُّرَابِيُّ مِنَ الضِّعَةِ وَخِسَّةِ الفِطْرَةِ، وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ تَخَلَّصَ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا مِنْ صِفَةِ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَحَصَلَ لَهُ وَصْفُ الاعْتِدَالِ وَالتَّوَسُّطِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ رُكِّبَتْ تِلْكَ الأَجْزَاءُ بِمَاءِ مَحْضِ الفَضْلِ وَالكَرَمِ، وَجُعِلَتْ شَخْصًا مُعَيَّنًا، وَسُمِّيَ ذَلِكَ الشَّخْصُ إِنْسَانًا كَامِلًا، وَعُبِّرَ عَنْ قَلْبِ ذَلِكَ الشَّخْصِ الذِي هُوَ خُلَاصَةُ مَرْكَزِ وُجُودِهِ بِالمُضْغَةِ، هَذَا هُوَ حَقِيقَةُ المُضْغَةِ ظَهَرَتْ فِي كُسْوَةِ القِيلِ وَالقَالِ عَلَى مِقْيَاسِ العِبَارَةِ وَالأَمْرُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ.

فَإِنْ قِيلَ: نَاقِصٌ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُرَكَّبٌ مِنْ تِلْكَ الأَجْزَاءِ العَشْرَةِ، وَأَنَّ لَهُ هَيْئَةً وَحْدَانِيَّةً مَنْ تَرَكُّبِ تِلْكَ الأَجْزَاءِ:

نَقُولُ: نَعَمْ إِنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ تِلْكَ الأَجْزَاءِ، وَلَكِنَّ تِلْكَ الأَجْزَاءَ لَمْ تَكُنْ مُزَكَّاةً وَمُطَهَّرَةً، وَلَمْ تَتَخَلَّصْ عَنْ دَنَسِ تَعَلُّقَاتِ السِّوَى(١) بِالجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ، بِخِلَافِ أَجْزَاءِ الإِنْسَانِ الكَامِلِ؛ فَإِنَّهَا صَارَتْ طَاهِرَةً وَنَظِيفَةً بِالفَنَاءِ وَالبَقَاءِ كَمَا مَرَّ، وَحَيْثُ كَانَتْ تِلْكَ الأَجْزَاءُ مُتَبَايِنَةً وَمُتَمَايِزَةً فِي كُلِّ إِنْسَانٍ وَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا أَجْزَاءٌ مُتَمَايِزَةٌ وَأَحْوَالٌ مُتَغَايِرَةٌ ـــ: لَا يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الهَيْئَةِ الوَحْدَانِيَّةِ بِالضَّرُورَةِ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ فَهِيَ اعْتِبَارِيَّةٌ لَا حَقِيقِيَّةٌ، بِخِلَافِ أَجْزَاءِ الإِنْسَانِ الكَامِلِ؛ فَإِنَّهَا صَارَتْ مُمْتَزِجَةً وَمُخْتَلِطَةً بَعْدَ مَا خَرَجَتْ مِنْ وَصْفِ التَّمَايُزِ وَالتَّبَايُنِ، وَتَقَرَّرَتْ عَلَى حُكْمٍ وَاحِدٍ بَعْدَ مَا زَالَتْ عَنْهَا الأَحْكَامُ المُتَمَايِزَةُ وَالأَحْوَالُ المُتَغَايِرَةُ، فَتَكُونُ الهَيْئَةُ الوَحْدَانِيَّةُ فِيهِ حَقِيقَةً بِالضَّرُورَةِ لَا اعْتِبَارِيَّةً كَمَعْجُونٍ يُجْعَلُ مِنَ الأَدْوِيَةِ المُخْتَلِفَةِ؛ فَإِنَّهُ بَعْدَ سَحْقِ أَجْزَائِهِ وَخَلْطِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ تَثْبُتُ لَهُ هَيْئَةٌ وَحْدَانِيَّةٌ وَتَزُولُ عَنْهُ الأَحْكَامُ المُتَبَايِنَةُ وَيَعْرِضُ لَهُ حُكْمٌ وَاحِدٌ، فَافْهَمْ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

أَيُّهَا الأَخُ: إِنَّ كُلَّ هَذِهِ الكَمَالَاتِ التِي أُثْبِتَتْ لِلمُضْغَةِ إِنَّمَا هِيَ فِي مَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ، وَقَدْ يُتَوَهَّمُ هُنَا فِي الظَّاهِرِ وَصْفٌ مِنَ المَظْهَرِ وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ هُنَا هُوَ الأَصْلَ، لَا الظِّلَّ الذِي هُوَ الصُّورَةُ، وَلَكِنَّ الشَّخْصَ الظَّاهِرَ فِي المِرْآةِ لَيْسَ بِطَاهِرٍ وَمُبَرَّأٍ عَنْ وَصْفِ المِرْآةِ؛ فَيَثْبُتُ القَوْسَانِ.

وَوَرَاءَ هَذَا المَقَامِ مَقَامُ: "**أَوْ أَدْنَى**" وَهُوَ الذِي لَمْ يَأْخُذْ فِيهِ الظَّاهِرُ وَصْفًا مِنَ المَظْهَرِ وَلَا يُتَخَيَّلُ هُنَاكَ أَمْرٌ زَائِدٌ فَيَكُونُ القَوْسَانِ فِيهِ مَفْقُودَيْنِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ غَيْرُ

وفي **الحقائق**: الإنفصال عن السوى من غير رؤيته، والتبرؤ عن رسمه وأنيته. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٤٣، ٣٤٤.

(١) **السوى**: هو الغير، وهي الأعيان من حيث تعيناتها. انظر: الكاشاني: رشح الزلال ١٤١.

وَصْفٍ وَاحِدٍ؛ فَإِنَّهُ الْمُنَاسِبُ لِمَقَامِ: **"أَوْ أَدْنَى"** مُعَامَلَةُ هَذَا الْمَقَامِ مُغَايِرَةٌ لِمُعَامَلَةِ مَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ، يَنْبَغِي تَقْلِيبُ تَمَامِ الْأَوْرَاقِ حَتَّى يُحْمَلَ الْحُمُولُ مِنْ: **"قَابَ قَوْسَيْنِ"** إِلَى: **"أَوْ أَدْنَى"**.

كَلَامُنَا إِشَارَاتٌ وَرُمُوزٌ وَبِشَارَاتٌ وَكُنُوزٌ، وَاللّٰهُ الْمُلْهِمُ وَصَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ.

المَكْتُوبُ الخَامسُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة

إلى مَوْلانَا مُحَمَّد صَادق الكَشْميريِّ

في بَيَانِ تَشَرُّف بَلدَة سَرهَنْدَ ببَرَكَة حضْرَة الشَّيْخ سَلمَهُ الله وَفَضيلتهَا عَلى أكْثَر البلاد وَمُشَاهَدَة نُور لَمْ يَتطَرَّقْ إليْه غُبَارٌ من الصِّفَة في أرْض هُوَ سَاكنٌ فيهَا وَكَوْن ذَلكَ الأرْض مَدْفنًا للمَخدُوم وَالأعْظَم المَرْحُوم الخَوَاجَهْ مُحَمَّد صَادق قُدِّسَ سرُّهُ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ: أنَّ بَلدَةَ سَرهَنْدَ كَأنَّهَا أرضٌ أحْيَيْتُهَا بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ، وَألطَاف حَبيبه الأكْرَم ــ صَلى اللهُ عَليْه وَعَلى آله وَسَلمَ ــ وَكَأنَّ البئْرَ العَميقَةَ المُظْلمَةَ مُلئَتْ وَجُعلتْ صفَةً عَاليَةً لي، وَصَارَتْ مُرْتَفعَةً منْ أكْثَر البلاد وَالبقَاع وَأُودعَ في تلكَ الأرْض نُورٌ مُقْتَبَسٌ منْ نُور لاَ وَصْفيٌّ وَلا كَيْفيٌّ كَنُور سَاطعٍ لامعٍ منْ أرْض حَرَم الله المُقدَّسَة، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلكَ النُّورُ لهَذَا الدَّرْويش قَبْل ارْتحَال وَلدي الأعْظَم المَرْحُوم بأشْهُر، وَبَدَا بزَاويَة أرض فيهَا مَسْكَنُ الفَقير وَكَانَ نُورًا سَاطعًا لَمْ يَتطَرَّقْ إليْه غُبَارٌ منَ الصِّفَة وَالشَّأن، وَكَانَ مُبرَّأً وَمُنَزَّهًا عَن الكَيْفيَّات، وَكَانَ مُتَمَنَّايَ أنْ تَكُونَ تلكَ البُقْعَةُ مَدْفَنًا لي، وَأنْ يَكُونَ ذَلكَ النُّورُ لامعًا عَلى رَأْس قَبْري، وَأظْهَرْتُ هَذَا المَعْنَى لوَلدي الأعْظَم الذي كَانَ صَاحبَ سرِّي، وَأطْلعْتُهُ عَلى ذَلكَ النُّور المُتَمَنَّى، فَسَبَقَني وَلدي المَرْحُومُ إلى هَذه الدَّوْلة اتِّفَاقًا وَصَارَ مُسْتَغْرَقًا في بَحْر النُّور وَوَرَاءَ حجَاب التُّرَاب.

هَنيئًا لأرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا … وَللعَاشق المسْكين مَا يَتجَرَّعُ

وَمنْ شَرَافَة هَذه البَلدَة المُعَظَّمَة دُفنَ فيهَا مثْل وَلدي الأعْظَم الذي هُوَ منْ أكَابر أوْليَاء الله تَعَالى وَاسْترَاحَ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ مُدَّة أنَّ ذَلكَ النُّورَ المُودَعَ فيهَا لمْعَةٌ منْ أنْوَار قَلب هَذَا الفَقير أُودعَ فيهَا مُقْتَبَسًا منْ هُنَا كَسرَاج يَشْتَعل منْ مَشْعَلَة: {قُل كُل منْ عنْد الله}(١)، {اللهُ نُورُ السَّموَات وَالأرْض}(٢)، {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العزَّة عَمَّا يَصفُونَ وَسَلامٌ عَلى المُرْسَلينَ وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ}(٣).

---

(١) النساء: ٧٨

(٢) النور: ٣٥

(٣) الصافات: ١٨٠

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى المَخْدُومِ زَادَهْ الخَوَاجَهْ مُحَمَّدْ عَبْد الله
سَلمَهُ اللهُ تَعَالى وَأَبْقَاهُ وَأَوْصَلهُ إلى غَايَة مَا يَتَمَنَّاهُ
فِي بَيَان أَنَّ عُمْدَةَ الأَمْرِ هِيَ اتِّبَاعُ السُّنَّة السَّنيَّة وَالاجْتنَاب عَنِ البدْعَة الغَيْر المَرْضيَّة وَبَيَان أَنَّ مَزِيَّةَ الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْدِيَّة العَليَّة عَلى سَلاسل أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ بِسَبَب اتِّبَاعِ صَاحِب الشَّرِيعَة عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالتَّحيَّةُ وَالعَمَل بالعَزِيمَة وَفي مَدْحِ هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَـــمْ أَنَّ: النَّصيحَةَ التي أَنْصَحُ بِهَا وَلَدِي الأَعَزَّ ـــ سلمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَصَانَهُ عَمَّا لاَ يَليقُ بجَنَابه وَسَائرَ أَحْبَابه ـــ اتِّبَاعُ السُّنَّة السَّنيَّة ـــ عَلى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ ـــ وَالاجْتنَابُ عَنِ البدْعَة الغَيْرِ المَرْضيَّة، وَحَيْثُ طَرَأَت الغُرْبَةُ عَلى الإسْلام في هَذَا الأَوَان وَصَارَ المُسْلمُونَ غُرَبَاءَ، وَكَذَلكَ تَزيدُ غُرْبَتُهُمْ مَعَ مُرُورِ الزَّمَان إِلى أَنْ يَبْقَى عَلى وَجْه الأَرْضِ مَنْ يَقُول: " اللهُ "، وَتَقُومُ السَّاعَةُ عَلى شرَارِ النَّاسِ، فَالسَّعيدُ مَنْ يُحْيِي سُنَّةً منَ السُّنَنِ المَتْرُوكَة، وَيُميتُ بِدْعَةً مِنَ البِدَعِ المُسْتَعْمَلة.

وَهَذَا الزَّمَانُ قَدْ مَضَى منْ بَعْثَة خَيْرِ البَشَرِ ـــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ أَلفُ سَنَة، وَظَهَرَتْ منْ عَلامَات القيَامَة وَأَشْرَاط السَّاعَة أَمَارَاتٌ، وَاسْتَتَرَت السُّنَّةُ بوَاسطَةِ بُعْد عَهْد النُّبُوَّة، وَجَلت البدْعَةُ بعلة فُشُوِّ الكَذب، وَاحْتيجَ إلى بَازٍ يَنْصُرُ السُّنَّةَ وَيَهْزِمُ البدْعَةَ، وَتَرْوِيجُ البدْعَة مُوجبٌ لتَخْرِيب الدِّينِ، وَتَعْظيمُ المُبْتَدعِ بَاعِثٌ عَلى هَدْمِ الإسْلامِ، وَلعَلكَ سَمعْتَ: " مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدِ

أعَانَ عَلى هَدْمِ الإسْلامِ"(١) فَيَنْبَغِي التَّوَجُّهُ بِجَمِيعِ الهِمَّة وَتَمَامِ النُّهْمَة لِتَرْوِيجِ سُنَّة مِنَ السُّنَنِ، وَرَفْعِ بِدْعَة مِنَ البِدَعِ، وَإقَامَةُ مَرَاسِمِ الإسْلامِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ ــ خُصُوصًا فِي هَذِهِ الأَوَانِ الَّتِي فِيهَا ضَعُفَ الإسْلامُ ــ: مَنُوطَةٌ بِتَرْوِيجِ السُّنَّة وَتَخْرِيب البِدْعَة.

وَكَأَنَّ السَّابِقِينَ رَأَوُا الحُسْنَ فِي البِدْعَة حَيْثُ اسْتَحْسَنُوا بَعْضَ أَفْرَادِهَا، وَلَكِنَّ الفَقِيرَ لاَ يُوَافِقُهُمْ فِي هَذه المَسْأَلة وَلا أَدْرِي فِي فَرْد وَاحد منْ أَفْرَاد البِدْعَة حُسْنًا، وَلا أُحِسُّ فِيه شَيْئًا غَيْرَ الظُّلْمَة وَالكُدُورَة؛ قَال ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: " كُل بِدْعَة ضَلالَةٌ"(٢).

وَأَجدُ السَّلاَمَةَ ــ فِي هَذه الغُرْبَة وَضَعْف الإسْلام ــ مَنُوطَةً بإتْيَان السُّنَّة، وَالهَلاكُ مَرْبُوطٌ بتَحْصِيل البِدْعَة أَيَّة بِدْعَة كَانَتْ، وَأَرَى البِدْعَة كَمِعْوَل يُهَدُّ به مَبَانِي الإِسْلامِ، وَأَجدُ السُّنَّة مثْل كَوْكَب مُشْرِق يُهْتَدَى به فِي دَيْجُور الضَّلالة، وَفَّقَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ عُلَمَاءَ الوَقْت لعَدَمِ التَّفَوُّه بحُسْنِ بِدْعَة أَصْلا وَلعَدَمِ الإِفْتَاء بإتْيَانهَا وَإنْ كَانَتْ تلكَ البِدْعَة جَليَّةً فِي نَظَرهمْ مثْل فَلَقِ الصُّبْحِ؛ فَإنَّ لتَسْويلات الشَّيْطَان سُلطَانًا عَظِيمًا فِيمَا وَرَاءَ السُّنَّة.

وَحَيْثُ كَانَ للإسْلام قُوَّةٌ فِي الأَزْمنَة المَاضيَة تَحَمَّل ظُلمَات البِدَعِ بالضَّرُورَة، وَلعَل بَعْضَ تلكَ الظُّلمَات خُيِّل نُورَانيًّا فِي تَشَعْشُعِ نُور الإسْلامِ وَصَارَ ذَلكَ التَّخَيُّل بَاعثًا عَلى الحُكْم بحُسْنه وَإنْ لَمْ يَكُنْ لهُ فِي الحَقيقَة نُورَانيَّةٌ وَحُسْنٌ أَصْلا، بخِلاف هَذَا الوَقْت؛ فَإنَّهُ وَقْتُ ضَعْف الإسْلامِ؛ لاَ يُتَصَوَّرُ فِيه تَحَمُّل ظُلمَات

---

(١) **شديد الضعف**: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: باب: معاذ بن جبل الأنصاري " خالد بن معدان عن معاذ بن جبل الأنصاري "وأورده الفتني في تذكرة الموضوعات:ك: التوحيد.، وقال: ضعيف أو موضوع.

* وقال الحافظ العراقي: رواه ابن عدي من حديث عائشة، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن يسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي: كلها موضوعة (تخريج أحاديث الإحياء: الباب الخامس: في شفقة التاجر على دينه.) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبيروفيه بقية وهو ضعيف.(مجمع الزوائد ك: العلم: باب:في البدع والأهواء ح ٨٩٧.

* وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ح ٩٠٨٢.

(٢) سنن ابن ماجه: ك: فضائل الصحابة: ب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين.ح٤٢.، أحمد في المسند: مسند الشاميين: حديث العرباض بن سارية.، سنن الدارمي: باب: اتباع السنة.ح٩٥.، الطبراني في الكبير ح عبد الله بن مسعود الهذلي.، وحديث العرباض بن سارية، والفتني في تذكرة الموضوعات: كتاب:التوحيد، وقال:في سنده ضعف لكن له شواهد معنى.

البدَعِ، وَلا يَنْبَغِي هُنَا تَمْشيَةُ فَتْوَى الْمُتَقَدِّمينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ؛ فَإِنَّ لكُل وَقْت أَحْكَامًا عَلى حدَة، وَيَظْهَرُ العَالمُ في النَّظَرِ في هَذَا الوَقْت منْ كَثْرَة ظُهُورِ البدْعَة مثْل بَحْرِ الظُّلمَة، وَيُحَسُّ نُورَ السُّنَّة منْ غُرْبَتهَا وَنُدْرَتهَا مثْل المَشَاعل في ذَلكَ البَحْرِ، وَعَمَل البدْعَة يَزِيدُ تلكَ الظُّلمَةَ وَيُقَلل نُورَ السُّنَّة، وَعلمُ السُّنَّة يَكُونُ بَاعثًا عَلى تَقْليل تلكَ الظُّلمَة وَتَكْثير ذَلكَ النُّور؛ فَمَنْ شَاءَ فَليُكَثِّرْ ظُلمَةَ البدْعَة وَمَنْ شَاء فَليُكَثِّرْ نُورَ السُّنَّة، وَمَنْ شَاءَ فَليُكَثِّرْ حزْبَ الشَّيْطَان {أَلا إنَّ حزْبَ الشَّيْطَان هُمُ الخَاسِرُونَ}⁽¹⁾، وَمَنْ شَاءَ فَليُكَثِّرْ حزْبَ الله: {أَلا إنَّ حزْبَ الله هُمُ الغَالبُونَ}⁽²⁾.

وَلوْ أَنْصَفَ صُوفيَّةُ الوَقْت وَلاحَظُوا ضَعْفَ الإسْلام وَفُشُوَّ الكَذبِ، لزمَهُمْ أَنْ لاَ يُقَلدُوا شُيُوخَهُمْ فيمَا وَرَاءَ السُّنَّة، وَأَنْ لاَ يَجْعَلوا الأُمُورَ الْمُخْتَرَعَةَ ـــ بعُذْرِ عَمَل شُيُوخِهِمْ بهَا ـــ دَيْدَنَهُمْ؛ فَإنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّة مُنْجٍ أَلبَتَّةَ وَمُثْمرٌ للخَيْرَات وَالبَرَكَات، وَفي تَقْليدِ غَيْرِ السُّنَّة خَطَرٌ في خَطَرٍ، {وَمَا عَلى الرَّسُول إلا البَلاغُ}⁽³⁾.

جَزَى اللهُ سُبْحَانَهُ عَنَّا أَشْيَاخَنَا خَيْرَ الجَزَاء؛ حَيْثُ لمْ يَدُلوا أَمْثَالنَا العَاجزِينَ عَلى إتْيَان الأُمُورِ الْمُبْتَدَعَة، وَلمْ يُلقُونَا في ظُلمَات مُهْلكَة بتَقْليدهمْ، وَلمْ يَهْدُونَا إلى مَا دُونُ مُتَابَعَة السُّنَّة وَغَيْرِ اتِّبَاعِ صَاحب الشَّرِيعَة ـــ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ ـــ وَسوَى العَمَل بالعَزِيمَة؛ فَلا جَرَمَ كَانَتْ دَعَائمُ طَرِيقَتهمْ مُحْكَمَةَ الأَسَاسِ، وَإيوَانُ وُصُولهمْ مُرْتَفعَ البنَاء وَمُشْرِقَ النِّبْرَاسِ، وَهُمُ الذينَ جَعَلوا الرَّقْصَ وَالسَّمَاعَ تَحْتَ أَرْجُلهمْ، وَشَقُّوا الوَجْدَ وَالتَّوَاجُدَ نصْفَيْنِ بمسْبَحَتهمْ، وَمَكْشُوفُ الآخَرِينَ وَمَشْهُودُهُمْ دَاخل عنْد هَؤُلاء الأَكَابرِ في السِّوَى وَالأَغْيَارِ، وَمَعْلومُهُمْ وَمُتَخَيَّلهُمْ قَابل وَمُسْتَحقٌّ للنَّفْيِ لاَ للإشْهَارِ، وَمُعَامَلةُ هَؤُلاء الأَكَابرِ فيمَا وَرَاءَ الْمُشَاهَدَة وَالإدْرَاك وَفيمَا وَرَاءَ المَعْلومَات وَالْمُتَخَيَّلات وَفيمَا وَرَاءَ التَّجَليَات وَالظُّهُورَات وَفيمَا وَرَاءَ الْمُكَاشَفَات وَالْمُعَايَنَات ـــ: اهْتمَامُ الآخَرِينَ في الإثْبَات.

وَهَمُّ هَؤُلاء الأَكَابرِ في نَفْيِ السِّوَى، وَالآخَرُونَ يُكَرِّرُونَ كَلمَةَ النَّفْيِ وَالإثْبَاتِ لتَوْسيعِ دَائرَةِ الإثْبَات، وَليَنْكَشفَ لهُمُ العَالمُ الذي هُوَ ظَاهرٌ بعُنْوَانِ الغَيْرِيَّة

---

(١) المجادلة: ١٩

(٢) المجادلة ٢٢ والصواب " ألا إن حزب الله هم المفلحون " وفي المائدة: ٥٦ " فإن حزب الله هم الغالبون ".

(٣) ـــ الآية ٩٩ من سورة المائدة.

بِعُنْوَانِ الحَقيَّةِ وَالعَيْنيَّةِ فَيرَوْنَ الكُل وَيَجِدُونَهُ حَقًّا تَعَالَى وَتَقَدَّسَ بِخِلافِ هَؤُلاءِ الكُبَرَاءِ؛ فَإِنَّ مَقْصُودَهُمْ مِنْ تَكْرَارِ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ: " لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ " هُوَ اتِّسَاعُ دَائِرَةِ النَّفْيِ لِيَكُونَ جَمِيعُ المَكْشُوفَاتِ وَالمَشْهُودَاتِ وَالمَعْلُومَاتِ دَاخِلَةً تَحْتَ كَلِمَةِ: " لاَ " وَفِي جَانِبِ الإِثْبَاتِ لاَ يَكُونُ شَيْءٌ مَنْظُورًا وَمَلحُوظًا، فَإِنْ ظَهَرَ ــ فَرْضًا ــ أَمْرٌ فِي جَانِبِ الإِثْبَاتِ يَنْبَغِي إِرْجَاعُهُ إِلَى النَّفْيِ، وَلا يَكُونُ فِي جَانِبِ الإِثْبَاتِ نَصِيبٌ أَصْلا غَيْرُ التَّكَلمِ بِكَلِمَةِ المُسْتَثْنَى فَيَكُونُ ذِكْرُ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ فِي طُرُقِ الآخَرِينَ مُنَاسِبًا لِحَالِ المُبْتَدِئِينَ، وَذِكْرُ اللهِ الذي هُوَ كَلِمَةُ الإِثْبَاتِ المَحْضِ يَكُونُ مُنَاسِبًا بَعْدَ ذَلِكَ لِيَحْصُلَ بِتَكْرَارِ كَلِمَةِ الإِثْبَاتِ اسْتِقْرَارٌ وَاسْتِمْرَارٌ لِلمُثْبَتِ المَكْشُوفِ، بِخِلافِ طَرِيقِ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ؛ فَإِنَّهُ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ لأَنَّ فِيهِ إِثْبَاتًا أَوَّلا وَنَفْيَ ذَلِكَ الإِثْبَاتِ ثَانِيًا، فَيَكُونُ ذِكْرُ اسْمِ اللهِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ مُنَاسِبًا فِي الابْتِدَاءِ ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ بَعْدَهُ النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ.

فَإِنْ قَالَ نَاقِصٌ: عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لاَ يَكُونُ لأَكَابِرِ هَذَا الطَّرِيقِ نَصِيبٌ مِنْ مَقَامِ الإِثْبَاتِ وَلا تَكُونُ بِضَاعَتَهُمْ غَيْرَ النَّفْيِ:

أُجِيبَ: إِنَّ إِثْبَاتَ الآخَرِينَ حَاصِلٌ فِي أَوَائِلِ حَالِ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ عُلُوِّ الهِمَّةِ لاَ يَلتَفِتُونَ إِلَيْهِ، بَل يَرَوْنَهُ مُسْتَحَقًّا لِلنَّفْيِ فَيَنْفُونَهُ وَيَعْتَقِدُونَ المَطْلُوبَ المُثْبَتَ وَرَاءَهُ، فَإِثْبَاتُ الآخَرِينَ مُيَسَّرٌ لَهُمْ، وَنَفْيُ ذَلِكَ الإِثْبَاتِ الذي هُوَ مُنَاسِبٌ لِمَقَامِ الكِبْرِيَاءِ أَيْضًا حَاصِلٌ لَهُمْ، لاَ سَبِيلَ لِكُل نَاقِصٍ إِلَى أَشْغَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَلا شُعُورَ لِكُل مُهَوَّسٍ بِحَقِيقَةِ مُعَامَلَتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَجَمِيعُ مَا ذُكِرَ هُوَ نُبْذَةٌ مِنْ عَدَمِ حُصُولِ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ الذي هُوَ عَيْنُ الحُصُولِ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ؛ فَإِنَّ بَيْنَ حُصُولِ أَكَابِرِ الأَكَابِرِ للحقَ الخَوَاصُّ بِالعَوَامِّ، وَاخْتَارَ المُنْتَهِبُونَ تَعَلمَ أَلِفٍ بِأَمْثَلِ المُبْتَدِئِينَ الأَصَاغِرَ، (شِعْرٌ):

خَلِيلَيَّ مَا هَذَا بِهَزْلٍ وَإِنَّمَا — حَدِيثٌ عَجِيبٌ مِنْ بَدِيعِ الغَرَائِبِ

وَمُرَاقَبَةُ الذَّاتِ التي اخْتَارَهَا الآخَرُونَ سَاقِطَةٌ عِنْدَهُمْ عَنْ حَيِّزِ الاعْتِبَارِ، وَدَاخِلَةٌ فِيمَا لاَ حَاصِلَ فِيهِ، وَلَيْسَت المُرَاقَبَةُ هُنَاكَ لِغَيْرِ ظِل مِنَ الظِّلالِ ــ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ــ فَإِنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، بَل أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ سُبْحَانَهُ خَارِجَةٌ عَنْ حَيْطَةِ فِكْرِنَا وَمُرَاقَبَتِنَا، لاَ نَصِيبَ مِنْ هَذَا المَقَامِ غَيْرُ الجَهْلِ وَالحَيْرَةِ، وَلَيْسَ المُرَادُ بِهَذَا الجَهْلِ وَالحَيْرَةِ مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ جَهْلا وَحَيْرَةً؛ فَإِنَّهُمَا مَذْمُومَانِ، بَل جَهْلُ هَذَا المَوْطِنِ وَحَيْرَتُهُ عَيْنُ المَعْرِفَةِ وَالاطْمِئْنَانِ، وَلَيْسَ المُرَادُ بِهَذِهِ المَعْرِفَةِ

وَالاطْمِئْنَانِ مَا يَدْخُل فِي حَيْطَةِ فَهْمِ الإِنْسَانِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ مَقُولَةِ الكَيْفِ لاَ نَصِيبَ لَهُ مِنَ الكَيْفِيِّ، وَكُل شَيْءٍ تُثْبِتُهُ فِي ذَلِكَ المَوْطِنِ يَكُونُ لاَ كَيْفِيًّا، سَوَاءٌ عَبَّرْنَا عَنْهُ بِالجَهْلِ أَوِ المَعْرِفَةِ مَنْ لَمْ يَذُقْهُ لَمْ يَدْرِ.

وَأَيْضًا: إِنَّ تَوَجُّهَ هَؤُلاءِ الكُبَرَاءِ إِلَى الأَحَدِيَّةِ(١) ـ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ـ لاَ يُرِيدُونَ مِنَ الاسْمِ وَالصِّفَةِ غَيْرَ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَلا يَنْزِلُونَ مِنَ الذَّاتِ إِلَى الصِّفَاتِ كَغَيْرِهِمْ، وَلا يَقَعُونَ مِنَ الذِّرْوَةِ إِلَى الحَضِيضِ.

وَالعَجَبُ أَنَّ جَمْعًا مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ اخْتَارُوا ذِكْرَ اسْمِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفُوا بِهِ بَلْ تَنَزَّلُوا إِلَى الصِّفَاتِ وَصَارُوا يُلاحِظُونَ السَّمِيعَ وَالبَصِيرَ وَالعَلِيمَ ثُمَّ يَذْهَبُونَ مِنَ العَلِيمِ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ إِلَى اسْمِ اللهِ عَلَى سَبِيلِ العُرُوجِ(٢)!! لِمَ لاَ يَكْتَفُونَ بِاسْمِ اللهِ وَحْدَهُ وَيَجْعَلُونَ قِبْلَةَ التَّوَجُّهِ غَيْرَ أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَت: {أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}(٣) نَصٌّ قَاطِعٌ فِي هَذَا المُدَّعَى وَ: {قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ}(٤) مُؤَيِّدٌ لِهَذَا المَعْنَى.

وَبِالجُمْلَةِ: إِنَّ نَظَرَ هِمَمِ أَكَابِرِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ عَالٍ جِدًّا لاَ نِسْبَةَ لِكُل زَرَّاقٍ وَرَقَّاصٍ إِلَيْهِمْ؛ وَلِهَذَا صَارَتْ نِهَايَةُ الآخَرِينَ مُنْدَرِجَةً فِي بِدَايَتِهِمْ، وَنَالَ مُبْتَدِئُ طَرِيقَتِهِمْ حُكْمَ مُنْتَهَى طُرُقٍ أُخَرَ، وَتَقَرَّرَ سَفَرُهُمْ فِي الوَطَنِ مِنَ ابْتِدَاءِ الأَمْرِ، وَحَصَلَتْ لَهُمُ الخَلْوَةُ(٥) فِي الجَلْوَةِ(٦)، وَكَانَ دَوَامُ الحُضُورِ نَقْدَ وَقْتِهِمْ وَرَأْسَ بِضَاعَتِهِمْ، وَهُمُ الذِينَ صَارَتْ تَرْبِيَةُ الطَّالِبِينَ مَرْبُوطَةً بِصُحْبَتِهِمُ العَلِيَّةِ، وَكَانَ تَكْمِيل النَّاقِصِينَ مَنُوطًا بِتَوَجُّهَاتِهِمُ الشَّرِيفَةِ، نَظَرُهُمْ شِفَاءُ الأَمْرَاضِ القَلْبِيَّةِ، وَالتِفَاتُهُمْ دَافِعٌ لِلعِلَلِ المَعْنَوِيَّةِ، وَيَعْمَل تَوَجُّهُهُمُ الوَاحِدُ عَمَل مِائَةٍ مِنَ الأَرْبَعِينَ، وَالتِفَاتُهُمُ الوَاحِدُ يُسَاوَى رِيَاضَةَ السِّنِينَ.

مَا أَحْسَنَ النَّقْشَبَنْدِيِّينَ سِيرَتَهُمْ   مْشُونَ بِالرَّكْبِ مَخْفِيِّينَ لِلحُرُمِ

---

(١) **الأحد**: هو اسم الذات باعتبار انتفاء تعدد الصفات والأسماء والنسب والتعينات عنها، و **الأحدية:هي** اعتبارها مع إسقاط الجميع. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٥١.

(٢) -

(٣) الزمر: ٣٦

(٤) الأنعام: ٩١

(٥) - **حقيقة الخلوة**: محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره.، وأما **صورتها**: **فهي ما يتوصل به إلى هذا المعنى** من التبتل إلى الله. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٨٠.

(٦) **الجلوة**: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية.انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ١٣٥.

أَيُّهَا السَّعِيدُ: لاَ يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ مِنْ هَذَا البَيَان أَنَّ هَذه الأَوْصَافَ وَالشَّمَائِل حَاصلةٌ لجَميع أَسَاتذَة الطَّرِيقَة النَّقْشَبَنْديَّة العَليَّة وَتَلامذَتهِمْ، كَلَا، بَل هَذه الشَّمَائِل مَخْصُوصَةٌ بِأَكَابر أَكَابِر هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة الَذينَ بَلَغُوا الأَمْرَ إلى نهَايَة النِّهَايَة، وَالْمُبْتَدئُونَ الرَّاشدُونَ الذينَ صَحَّحُوا نسْبَةَ الإرَادَة وَالانْتسَاب إلى هَؤُلاء الأَكَابر وَرَاعَوْا آدَابهُمْ فَانْدرَاجُ النِّهَايَة في البدَايَة ثَابتٌ في حَقِّهِمْ، وَأَمَّا الْمُبْتَدئُ الذي وَصَل إلى الشَّيْخ نَاقصٌ منْ هَذَا الطَّرِيق؛ فَانْدرَاجُ النِّهَايَة غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ في حَقِّه؛ فَإِنَّ شَيْخَهُ لَمْ يَصل بَعْدُ إلى النِّهَايَة، فَكَيْفَ تُتَصَوَّرُ النِّهَايَةُ في حَقِّ الْمُبْتَدئِ، (ع):

وَكُل إنَاء بالذي فيه يَنْضَحُ

أَيُّهَا الطَّالبُ لطَرِيق النَّجَاة: إنَّ طَرِيقَ هَؤُلاء الأَكَابر طَرِيقُ الأَصْحَاب الكرَام عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ، وَهَذَا الانْدرَاجُ ـــ أَعْني انْدرَاجَ النِّهَايَة في البدَايَة ـــ أَثَرُ ذَلكَ الانْدرَاج الذي كَانَ يَتَيَسَّرُ لَهُمْ في صُحْبَته ـــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ ـــ مَا يَحْصُل لغَيْرِهمْ في الانْتهَاء إلا قَليل، وَهَذه الفُيُوضَاتُ وَالبَرَكَاتُ هُوَ عَيْنُ تلكَ الفُيُوض وَالبَرَكَات التي ظَهَرَتْ في القَرْن الأَوَّل وَإنْ كَانَ الآخرُ بَعيدًا منَ الأَوَّل في الظَّاهر بالنِّسْبَة إلى الوَسَط، وَلكنَّ الأَمْرَ بالعَكْس في الحَقيقَة؛ فَإنَّ الآخرَ أَقْرَبُ إلَيْه منَ الوَسَط وَمُنْصَبغٌ بصبْغَة يُصَدِّقُهُ الْمُتَوَسِّطُونَ أَوَّلا، بَل لاَ يُعْلَمُ إدْرَاكُ أَكْثَر الْمُتَأَخِّرِينَ حَقيقَةَ هَذه الْمُعَامَلة.

وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ الْمُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ العُلى.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الحَاجِّ مُحَمَّد الفركتي
في جوَاب كِتَابه

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ صَارَ وُرُودُ المَكْتُوب الشَّرِيف المُرْسَل مِنْ كَمَال الإخْلاص وَالمَوَدَّة مُوجبًا لفَرَحٍ كَثير، وَتَجْعَلكَ نسْبَةُ الرَّابطَة مَعَ صَاحب الرَّابطَة دَائمًا، وَتَكُونَ وَاسطَةً للفُيُوضَات الانْعكَاسيَّة، يَنْبَغي أَدَاء شُكْرِ هَذه النِّعْمَة العُظْمَى كَمَا يَنْبَغي، وَالبَسْطُ(١) وَالقَبْضُ(٢) كلاهُمَا جَنَاحَا الطَّيْر، إنَّ في هَذَا الطَّريق لاَ يَنْبَغي الحُزْنُ للقَبْضِ وَالفَرَحُ للبَسْطِ، وَلَقَدْ تَمَنَّيْتُ حُصُول مُشَاهَدَة الجَمَال اللايَزَالِيِّ في جَميعِ الذَّرَّات.

---

(١) – **البسط**: لغة: النشر والسعة.، انظر: ابن منظور: لسان العرب / بسط.

أما عند الصوفية: فهو بسط الحق عبده، لقوة معناه، وكمال عرفانه، بحيث يشهد الحق في الخلق، فلا يخالج الشواهد مشهوده، ولا يضرب رياح الرسوم موجوده، فهو منبسط في قبضة القبض.

وصورته في **البدايات**: الفرح بالتوفيق للموافقات، والثقة بالوعد في الآيات.

وفي **الأبواب**: غلبة الرجاء على الخوف لحسن الظن بالرب.

وفي **المعاملات**: بسط القلب برؤية الأفعال كلها لله، وجميع الأمور بيد الله، فينبسط صاحبها لاطلاعه على أسرار الحق.

وفي **الأخلاق**: البسط مع الخلق لحسن الخلق، لووقوفه على سرالقدر.

وفي **الأصول**: البسط لقوة اليقين والأنس بالله.

وفي **الأودية**: البسط بحصول السكينة، وتنور البصيرة.

وفي **الأحوال**: البسط بشهود أنوار التجليات، وذوق الموصول إلى المحبوب.

وفي **الولايات**: البسط بتولي الحق إياه، وبسطه له.

(٢) **القبض**:لغة نقيض البسط، وهو متعدد المعاني، وأصله الإمساك انظر: ابن منظور: لسان العرب / قبض.

أما عند الصوفية: فهو قبض الحق عبده عن الخلق، يستره في لباس التلبيس بظاهرالشريعة، وصورة العوام صيانة عن الناس.

وصورته في **البدايات**: قبضه عن المخالفات.، وفي **المعاملات**: قبضه عن رؤية الأفعال من المخلوقات والمسببات من الأسباب.، وفي **الأصول**: قبضه عن الفوز في السير، وحدوث العلائق والموانع.، وفي **الأودية**: قبضه عن الجهل والغباوة.، وفي **الأحوال**: قبضه عن السلو والبطالة.، وفي **الولايات**: قبضه عن كثرة الصفات إلى وحدة الذات. انظر:الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٥٢،٣٥٣.

أَيُّهَا المُحِبُّ: مَا للعَبْدِ وَللتَّمَنِّي؛ فَإِنَّ مُتَمَنَّاهُ لاَ بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ قَاصِرًا عَلى مِقْدَارِ فَهْمِه وَمُشَاهَدَةُ الجَمَال اللاَيَزَاليِّ فِي مِرْآة الذَّرَّات مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ؛ فَإِنَّ الذَّرَّاتِ مِنْ أَيْنَ لَهَا مَجَال أَنْ تَكُونَ مَرَايَا ذَلكَ الجَمَال، وَمَا يُشَاهَدُ فِي مَرَايَا الذَّرَّاتِ إِنَّمَا هُوَ ظِلٌ مِنْ ظلال ذَلكَ الجَمَّال التِي لاَ نِهَايَةَ لَهَا.

يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَهُ تَعَالى وَرَاءَ الوَرَاءِ، وَأَنْ يَلتَمِسَهُ سُبْحَانَهُ فِي خَارِجَ دَائِرَةِ الآفَاق وَالأَنْفُسِ وَالنِّسْبَةُ التِي هِيَ فِيكَ الآنَ فَوْقَ مَا تَتَمَنَّاهُ، وَإِيَّاكَ وَالمَيْل إِلى الأَسْفَل تَقْلِيدًا للنَّاسِ، وَاحْذَرْ مِنْ تَمَنِّي النُّزُول مِنَ الأَوْجِ إِلى الحَضِيضِ؛ فَإِنَّ مُعَامَلَةَ الأَكَابِرِ عَالِيَةٌ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مَعَالِيَ الهِمَمِ.

المَسْئُول مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ جَمْعِيَّتُكُمُ الصُّورِيَّةُ وَالمَعْنَوِيَّةُ وَالسَّلاَمُ.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ

إِلى الخَوَاجَهْ شَرَف الدِّين حُسَيْن

فِي بَيَان أَنَّ كُل عَمَل يَصْدُرُ عَلى وَفْق الشَّرِيعَة الغَرَّاء فَهُوَ دَاخِل فِي الذِّكْر

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِه الذينَ اصْطَفَى:

قَدْ وَصَلَت الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ التي أَرْسَلَهَا وَلدي الأَعَزُّ صُحْبَةَ مَوْلانَا عَبْد الرَّشِيد وَمَوْلانَا جَانَ مُحَمَّد، وَوَصَلَ مَبْلَغُ النَّذْرِ أَيْضًا ــ جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ خَيْرًا ــ قَدْ أَوْرَثَ سَمَاعُ خَبَرِ صِحَّتِكُمْ فَرَحًا وَافِرًا.

أَيُّهَا الوَلَــدُ: إِنَّ الفُرْصَةَ غَنِيمَةٌ، وَالصِّحَّةَ وَالفَرَاغَ مُغْتَنَمَان؛ فَيَنْبَغِي صَرَفُ الأَوْقَات إِلى الذِّكْرِ الإِلهِيِّ ــ جَل شَأْنُهُ ــ عَلى الدَّوَامِ، وَكُل عَمَل يَصْدُرُ عَلى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاء فَهُوَ دَاخِل فِي الذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ بَيْعًا وَشِرَاءً؛ فَيَنْبَغِي مُرَاعَاةُ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي جَمِيعِ الحَرَكَات وَالسَّكَنَات لِتَصِيرَ كُلهَا ذِكْرًا؛ فَإِنَّ الذِّكْرَ عِبارَةٌ عَنْ طَرْدِ الغَفْلة، وَمَتَى حَصَلَتْ مُرَاعَاةُ الأَوَامِرِ والنواهي فِي جَمِيعِ الأَفْعَال فَقَدْ تَيَسَّرَت النَّجَاةُ مِنْ أَسْرِ الغَفْلَة عَنِ الآمِرِ بِالأَوَامِرِ وَالنَّاهِي عَنِ المَنَاهِي وَحَصَلَ دَوَامُ ذِكْرِهِ تَعَالى.

وَهَذَا الذي ذَكَرْنَاهُ مِنْ دَوَامِ الذِّكْرِ وَرَاءَ يادداشت خواجكان ــ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ــ فَإِنَّهُ مَقْصُورٌ عَلى البَاطِنِ، وَهَذَا مُتَمَشٍّ فِي الظَّاهِرِ أَيْضًا وَإِنْ كَانَ مُتَعَسِّرًا، وَفَّقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ بِمُتَابَعَةِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ.

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالثَّلاَثُون بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إلى مَعْدن العرْفَان المرْزَا حُسَامِ الدِّين أَحْمَدَ
في جَوَاب كتَابه الذي تَفُوحُ عَنْهُ رَائحَةُ العَصَبِيَّة
وَبَيَان أَنَّ تَلقينَ الذِّكْر مثْل تَعْليم ألفْ بَا للصِّبْيَان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى

وَبَعْـــدُ: فَقَدْ تَشرَّفْتُ بمُطَالعَة الصَّحيفَة المُكَرَّمَة المُرْسَلة صُحْبَةَ قَاصد كَشْميرَ، وَحَيْثُ كَانَتْ مُتَضمِّنَةً بخَبَرِ خَيْرِيَّة حَضَرَاتِ تلكَ الحُدُود أَوْرَثَتْ فَرَحًا وَافرًا جَزَاكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ خَيْرًا.

وَقَد انْدرَجَ فيهَا: أَنَّ المَخْدُومَ زَادَهْ الأَعْظَمَ والخَوَاجَهْ جَمَال الدِّين حُسَيْن لاَ يَقْدرَان عَلَى الوُصُول هُنَاكَ بوَاسطَة الاسْتحْيَاء مَنْ تُلقينَ الشَّيْخَ مَيَّان الهَدَاد.

أَيُّهَـــا المَخْـــدُومُ: لاَ يَزَال يَفُوحُ مَنْ مَثَّل هَذَا الكَلاَمَ رَائحَة العَصَبيَّة، وَيَفْهَمُ منْ هَذَا الوَضْع وَالطَّرْحِ المُبَايَنَةُ وَالمُخَالفَةُ، إنَّا لله وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ، وَكَانَ يَنْبَغي للمَخْدُومِ زَادَهْ الأَعْظَم أَنْ يُسْتَحَى منْ مُخَالفَة وَصيَّة وَالده المَاجد، وَالحَيَاءُ منَ التَّوَجُّه وَالإفَادَة الوَاقعَان في حُضُوره بأَمْره إليْهمَا، وَكَانَ يَنْبَغي للشَّيْخِ الهَدَاد مَعَ وُجُود دَعْوَى الانْقيَاد للشَّيْخ أَنْ لاَ يتجرئ عَلَى هَذَا الأَمْرِ وَإنْ يُلاحظَ الوَصيَّة وَسبْقَة الإفَادَة، وَالذي كَتَبْتُمُوهُ لاَ بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَلَكنَّ المَكْتُوبَ الذي أَرْسَلهُ المَخْدُوم زَادَهْ الأَعْظَمُ مَعَ أَخيه الأَعَزِّ كَانَ مُتَضمِّنًا لكَمَال التَّوَاضُع وَمُشْتَملا عَلى فَرْط الطَّلب وَلَعَلهُ تَطرَّقَ إليْه انْحرَافٌ بَعْدَ إرْسَاله المَكْتُوبَ {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْد إذْ هَدَيْتنَا وَهَبْ لنَا منْ لدُنْك رَحْمَة إنَّك أَنْت الوَهَّابُ}⁽¹⁾.

وَلَكنَّ الفَقيرَ يَعْلَمُ أَنَّ وَصيَّتَهُ لاَ تَكُونُ بلا حكْمَة، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَها عَاقبَةٌ مَحْمُودَةٌ، وَلَكنِّى أَتَأَسَفُ عَلى ضَيَاعِ مثْل ذَلكَ الطَّلبِ الذي فَهمتُ نُبْذَةً منْهُ منْ مَكْتُوبه وَيَقْعُدُ ضدَّهُ في مَحَله، وَهَذَا المَعْنَى ثَقيل عَلى الأَحْبَابِ النَّاصحينَ جدًّا بحَيْثُ يَتمُّ عَلَيْهمُ المَآتم بذَلكَ.

أَيُّهَـــا المُكَـــرَّمُ: إنْ تَمَّ الأَمْرُ بمُجَرَّد التَّلقين فَمُبَارَك، وَعنْدَ الفَقير تَلقين الذِّكْر كَتَعْليم أَلف بَا للصِّبْيَان، فَإنْ كَانَ مُجَرَّد ذَلكَ التَّعلمِ مُحَصِّلا لمَلكَة

---

(١) آل عمران: ٨

المَوْلوِيَّة فَأَيُّ مُضَايَقَة فيه، وَالمُتَوَقَّع مَنْ كَرَم التفَاتكُمْ هُوَ أَنْ تَتْرُكُوا كفَّة العَصَبِيَّة، وَأَنْ تَجْعَلواً مَحَبَّتَكُمْ وَمَوَدَّتَكُمْ لجَمِيعِ الإِخْوَانِ عَلى السَّوِيَّةِ، وَمَاذَا أُبَالغُ أَزْيَد مِنْ ذَلكَ ،،، وَالسَّلام.

المَكْتُوبُ الأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إِلى مَوْلانَا مُحَمَّد طَاهِرٍ البَدَخْشي
فِي جَوَابِ تَشْكِيكَاتِ الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ الجونفوري
فِي المَكْتُوبِ الأَوَّل

المُرْسَل إِلَيْه ــ بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوات وَتَبْليغ الدَّعَوات ــ أَنْهى أَنَّ المَكْتُوبَ الذي أَرْسَلتُمُوهُ بَعْدَ مُدَّة مَديدَة أَوْجَبَ الفَرَحَ بِوُصُوله جَعَلَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحلى وَمُزَيَّنًا بجَمْعيَّة(١) الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ عَلى الدَّوَام.

وَالفَقيرُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فِي هَذه المُدَّة ثَلاثَةَ مَكَاتيبَ وَوَصَلَ مِنْهَا إِلَيْكُمْ مَكْتُوبٌ وَاحدٌ، بُعْدُ المَسَافَة عُذْرٌ مَانِعٌ، وَوَصَلَ أَيْضًا مَعَ مَكْتُوبكُمُ المَكْتُوبُ الذي كَتَبَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ العَزيزِ وَاتَّضَحَ مَا انْدَرَجَ فيه، وَممَّا انْدَرَجَ فيه أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ حَقَائِقُ المُمْكنَات ــ التي هِيَ صُوَرٌ علميَّةٌ ــ العَدَمَات التي هِيَ أَضْدَادُ الصِّفَات يَلزَمُ حُصُول تلكَ العَدَمَات فِي الذَّات ــ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ ــ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلكَ وَهَذه شُبْهَةٌ عَجيبَةٌ!! أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ الأَشْيَاءَ الشَّريفَةَ وَالكَثيفَةَ وَلَيْسَ لشَيْءٍ منْهَا حُصُول فِي حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَلا اتِّصَافَ للذَّات بشَيْءٍ منْهَا؟! فَمنْ أَيْنَ جَاءَ الحُصُول فِي هَذه الصُّورَة؟!

وَمنْــــهُ: أَنَّ حَقَائقَ المُمْكنَات يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ مَوْجُوديَّةً وَثُبُوتيَّةً لا عَدَميَّةً؛ فَإِنَّ الحَقَائقَ عبارَةٌ عَنْ أَرْوَاحِ المُمْكنَاتِ وَنُفُوسهَا، نَعَمْ: إِنَّ لهَا وُجُودًا وَثُبُوتًا علميَّيْنِ وَهَذَا هُوَ القَدْرُ اللازمُ فِي الحَقَائق، وَكَانَ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَعْتَرِضَ بهَذَا الاعْترَاضِ أَوَّلا عَلى الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ العَرَبيِّ لأَنَّهُ قَالَ: " الأَعْيَانُ مَا شَمَّتْ رَائحَةَ الوُجُود ".

وَالعَجَبُ أَنَّهُ جَعَلَ الحَقَائقَ هُنَا عبَارَةً عَنْ أَرْوَاحِ المُمْكنَاتِ وَنُفُوسهَا وَتَرْكَ الأَعْيَان الثَّابتَة وَمَعْلُومَات الله تَعَالى.

وَمنْــــهُ: أَنَّ الأَنْبيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالأَوْليَاءَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ وَسَائرَ أَفْرَادِ الإِنْسَان ــ: منَ المُمْكنَات، فَلوْ كَانَتْ حَقَائقُ هَؤُلاءِ عَدَمَات يَكُونُ الشَّرَفُ مَسْلُوبًا عَنْ هَؤُلاءِ الزُّمْرَةِ العَليَّة وَالكَمَال فيهِمْ مَعْدُومًا.

---

(١) - **الجمعية**: هي اجتماع الهمم في التوجه إلى الله. والإشتغال به عما سواه، وبإزائها التفرقة، وهي توزع الخاطر للإشتغال بالخلق. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٦٧.

كَيْفَ يَكُونُ مَسْلوبًا ومَعْدُومًا؛ فَإِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ جَعَل تلكَ العَدَمَات بحكْمَته البَالغَة وَقُدْرَته الكَاملة وَبحُسْنِ تَرْبِيَته مَرَايَا عُكُوسِ أَسْمَائه وَصفَاته، وَشَرَّفَ بشَرَف النُّبُوَّة وَالوِلاَيَة وَجُعل مُحَلى بحلْيَة ظلال كمَالاته وَصُيِّرَ مُعَزَّزًا وَمُكَرَّمًا، كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الإِنْسَانَ منْ مَاء مَهين وَبَلغَهُ الدَّرَجَات العُلى.

وَالعَجيبُ: أَنَّهُمْ يُلاحظُونَ شَرَفَ الإِنْسَان وَكَرَامَتَهُ وَيُضَيِّعُونَ تَنْزيهَ الوَاجب وَتَقْديسَهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَيَقُولونَ: " الكُل هُوَ "، وَيَزْعُمُونَ الأَشْيَاء الخَسيسَةَ الرَّذيلَةَ عَيْنَ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ أَعْطَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الإِنْصَافَ.

وَمنْهُ: أَنَّهُ لاَ يُمْكنُ رَفْعُ الكَلام المُجْمَع عَلَيْه بالمُبْتَدع.

نَحْنُ نَرَى الكَلامَ المُبْتَدَعَ القَوْل بأَنَّ الكُل هُوَ، لاَ القَوْل بأَنَّ الكُل منْهُ؛ فَإِنَّهُ ممَّا أَجْمَعَ عَلَيْه العُلَمَاءُ، وَإِنَّمَا تَتَوَجَّهُ المَلامَةُ وَالشَّنَاعَةُ إِلى صَاحب الفُصُوص إِلى هَذَا الزَّمَان بوَاسطَة قَوْله: " الكُل هُوَ " وَحَاصل مَعَارف الفَقير التي كَتَبْتُهَا: " الكُل منْهُ " وَهُوَ مَقْبُول شَرْعًا وَعَقْلا وَكَيْفَ إِذَا كَانَ مُؤَيَّدًا بالكَشْف وَالإِلهَام⁽¹⁾.

ثُمَّ كَتَبَ الشَّيْخُ بَعْدَ ذكْر الاعْترَاضَات تَنَزُّلا إِلى مَقَام الشَّفَقَة أَنَّهُ لوْ أُريدَ بحَقَائق المُمْكنَات الأَرْوَاحُ الإِنْسَانيَّةُ فَمُوَافقٌ للجُمْهُور.

وَلَمْ أَدْر أَيَّ صنْف أَرَادَ منَ الجُمْهُور؟! فَإِنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ إِلى الآن أَنَّ أَحَداً قَال بأَنَّ حَقَائقَ المُمْكنَات هيَ الأَرْوَاحُ الإِنْسَانيَّةُ، وَالعَجَبُ منَ الشَّيْخ كُل العَجَب حَيْثُ تَخَيَّل أَنَّ كُل أَحَد يَقُول مَا يَقُول بالقيَاس وَالتَّخْمين وَنَسْجه بالتَّفَكُّر وَالتَّخَيُّل، كَلا،

---

(١) – **الإلهام**: لغة: مصدر ألهم، والإلهام من الله تعالى: هو ما يقذفه الله في قلب عبده من الخير.، يقال ك ألهمه الله تعالى خيرا: أى لقنه إياه. انظر: الفيروزابادي: القاموس المحيط / لهمه.، ابن منظور: لسان العرب: لهم.

أما عند الصوفية: فالمراد به: الإطلاع على الأسرار الغيبية بعين البصيرة في عالم المثال بلا شك وشبهة اطلاعا غيبيا.

وصورته في **البدايات**: صدق الخواطر.، وفي **الأبواب**: نفث الروح الأمين في الروع هتافا، أو مشافهة أو محادثة.، وفي **المعاملات**: إلقاء في القلب على سبيل التقييم، أو الوحي القاطع. وفي **الأخلاق**: التهدي إلى الأخلاق الإلهية بهداية الحق.، وفي **الأصول**: تلقي التأديبات الإلهية وشرائط السلوك، وأحكام المنازل من الحق.، وفي **الأحوال**: تلقي خصائص المحبة وأحكامها، وقبول الجذبات الإلهية بلا تعمل ولا كسب، بل بمحض الموهبة والإمتنان.، وفي **الولايات**: الإبصار والسماع ببصيرة الحق وسمعيته.

وفي **الحقائق**: جلاء عين التحقيق بالحق حال الإتصال.، وفي **النهايات**: التكلم بكلام الحق الأزلي بلا واسطة. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٢٩٨.

إنَّ المَعَارِفَ التي تُمْلى وَتُكْتَبُ بلا كَشْفٍ وَإِلهَامٍ أَوْ تُحَرَّرُ وَتُقَرَّرَ بدُون شُهُود وَمُشَاهدَة ـــ: فهيَ بُهْتَانٌ وَافْترَاءٌ، خصوصًا إذَا كَانَتْ مُخَالفَةً لمَا ذَهَبَ إلَيْه القَوْمُ، وَلَمْ أَدْرِ مَاذَا اعْتَقَدَ الشَّيْخُ المُشَارُ إلَيْه وَمِنْ أَيِّ قُبَيْلٍ فَهِمَ هَذه المَعَارِفَ؟! {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ}(١)

،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ.

---

(١) البقرة:٢٨٦

المَكْتُوبُ الحَادِي وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَةِ
إِلى مَوْلانَا مُحَمَّد صَادِقٍ الكَشْمِيرِيِّ
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاتِه

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتُ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ:

أُنْهِيَ أَنَّ المَكْتُوبَ الشَّرِيفَ قَدْ وَصَلَ وَحَيْثُ كَانَ مُتَضَمِّنًا لأَحْوَالٍ شَرِيفَةٍ مَقْبُولَةٍ صَارَ مُوجِبًا لِلفَرَحِ:

وَكَتَبْتُ فِيهِ أَنَّ المُعَامَلَةَ فِي الدِّرَايَةِ بَلَغَتْ مَبْلَغًا لاَ أَقْدِرُ حَمْلَ الصِّفَاتِ عَلَى الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ إِلا بِالتَّكَلُّفِ، وَأَرَى أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ الكُلِّ، يَنْبَغِي السَّعْيُ إِلى أَنْ يَبْقَى هَذَا الحَمْلُ بِالتَّكَلُّفِ أَيْضًا وَيَنْجَرُّ الأَمْرُ إِلى الحَيْرَةِ الصِّرْفَةِ.

وَسُئِلتُ أَنَّهُ نُقِلَ فِي الرَّشَحَاتِ عَنْ بَابَا آبريز أَنَّهُ قَالَ: " لَمَّا عَجَنَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ طِينَةَ آدَمَ فِي الأَزَلِ صَبَبْتُ المَاءَ فِي ذَلِكَ الطِّينِ " فَمَا يَكُونُ تَأْوِيلُ هَذَا الكَلامِ؟

اعْلَمْ: أَنَّ المَلائِكَةَ الكِرَامَ ــ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ كَانَ لَهُمْ دَخْلٌ فِي خِدْمَةِ طِينَةِ آدَمَ ــ عَلَيْهِ السَّلامُ ــ كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِرُوحِ المَذْكُورِ دَخْلٌ فِي تِلْكَ الخِدْمَةِ وَأَنْ يُفَوَّضَ إِلَيْهِ خِدْمَةُ صَبِّ المَاءِ وَأَنْ يَكُونَ مُطَّلِعًا مِنْ عَالَمِ الغَيْبِ عَلَى هَذَا المَعْنَى بَعْدَ نَشْأَتِهِ العُنْصُرِيَّةِ، بَلْ بَعْدَ كَمَالِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطِيَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ لِلأَرْوَاحِ المُجَرَّدَةِ قُدْرَةً تَصْدُرُ بِهَا أَفْعَالُ الأَجْسَامِ، وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ مَا أَخْبَرَ بَعْضُ الكُبَرَاءِ عَنْ أَفْعَالِهِ الشَّاقَّةِ الصَّادِرَةِ عَنْهُ قَبْلَ وُجُودِهِ العُنْصُرِيِّ بِقُرُونٍ مُتَطَاوِلَةٍ وَكَانَ صُدُورُ تِلْكَ الأَفْعَالِ عَنْ أَرْوَاحِهِمُ المُجَرَّدَةِ، وَحَصَلَ لَهُمُ الاطِّلاعُ عَلَى هَذَا المَعْنَى بَعْدَ وُجُودِهِ العُنْصُرِيِّ، وَأَوْقَعَ صُدُورُ هَذِهِ الأَفْعَالِ جَمَاعَةً فِي تَوَهُّمِ التَّنَاسُخِ⁽¹⁾ مَعَاذَ اللهِ مِنْ تَوَهُّمِ تَعَلُّقِ تِلْكَ الأَرْوَاحِ بِأَبْدَانٍ أُخْرَى، وَالرُّوحُ المُجَرَّدَةُ هِيَ الَّتِي تَفْعَلُ أَفْعَالَ البَدَنِ بِأَقْدَارِ اللهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ، وَتُوقِعُ أَرْبَابَ الزَّيْغِ فِي الضَّلالَةِ، وَمَجَالُ الكَلامِ فِي هَذَا المَقَامِ كَثِيرٌ وَقَدْ فَاضَتْ تَحْقِيقَاتٌ عَجِيبَةٌ فَإِنْ وُفِّقْنَا نُثْبِتُهَا فِي مَحَلٍّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَالآنَ لَمْ يُسَاعِدِ الوَقْتُ.

---

(١) **التناسخ:** انتقال النفس بعد الموت إلى جسم آخر نباتي أو حيواني أو إنساني. انظر: المعجم الفلسفي: ٤٩.، الجرجاني: التعريفات: ٩٣.

وَسَأَلتَ أَيْضًا أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي الرَّشَحَات أَنَّ الخَوَاجَهْ عَلاءَ الدِّينِ العَطَّارَ ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ لَمَّا تَأَذَّى خَاطِرُهُ مِنْ مَوْلانَا نِظَامِ الدِّينِ الخاموش ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ أَرَادَ أَنْ يَسْلُبَ عَنْهُ نِسْبَتَهُ فَالتَجَأَ مَوْلانَا فِي ذَلِكَ الوَقْتِ إِلى رُوحَانِيَّةِ النَّبِيِّ ــ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ فَوَصَلَ الخِطَابُ مِنْهُ ﷺ إِلى حَضْرَةِ الخَوَاجَهْ: " إِنَّ نِظَامَ الدِّينِ مِنَّا لَيْسَ لأَحَدٍ مَجَالُ التَّصَرُّفِ فِيه "، وَذُكِرَ فِي مَحَلٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الكِتَابِ أَنَّ الخَوَاجَهْ أَحْرَارَ ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ أَرَادَ أَنْ يَسْلُبَ عَنْهُ نِسْبَةَ مَوْلانَا حِينَ صَيْرُورَتِه شَيْخًا كَبِيرًا فَقَالَ مَوْلانَا: " إِنَّ الخَوَاجَهْ وَجَدَنَا شَيْخًا فَأَخَذَ كُلَ مَا كُنْتُ نِلْتُهُ وَجَمَعْتُهُ وَصَيَّرَنِي مُفْلِسًا فِي آخِرِ الأَمْرِ " كَيْفَ يَتَصَرَّفُ الخَوَاجَهْ أَحْرَار ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ فِيمَنْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَقِّه:"إِنَّهُ مِنَّا لَيْسَ لأَحَدٍ مَجَالُ التَّصَرُّفِ فِيه"

اعْلَمْ: أَنَّ حَضْرَةَ شَيْخِنَا ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ كَانَ لا يَسْتَحْسِنُ هَذَا النَّقْلَ وَكَانَ يَتَوَقَّفُ فِي تَصْدِيقِ سَلْبِ نِسْبَةِ مَوْلانَا، وَكَانَ يَقُولُ: " إِنَّ هَذَا النَّقْلَ لَمْ يَثْبُتْ مِنْ مَوْلانَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجَامِي وَغَيْرِه مِنْ مُرِيدِي مَوْلانَا سَعْدِ الدِّينِ الكَاشغرى الذي هُوَ مُرِيدُ مَوْلانَا فَخْرِ الدِّينِ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِالرَّدِّ وَالقَبُولِ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ، فَمِنْ أَيْنَ سَمِعَهُ مَوْلانَا فَخْرُ الدِّينِ عَلِيٌّ وَكَتَبَهُ، فَإِنْ كَانَ هَذَا الخَبَرُ صَادِقًا لَنُقِلَ بِالتَّوَاتُرِ لِتَوَفُّرِ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِه، وَحَيْثُ لَمْ يُنْقَلْ بِالتَّوَاتُرِ وَتَقَرَّرَ عَلَى خَبَرِ الوَاحِدِ، عَلَى أَنَّ فِي صِدْقِه تَرَدُّدًا، وَبَعْضُ النُّقُولِ التِي يَنْقُلُهَا صَاحِبُ الرَّشَحَاتِ غَيْرُ هَذَا أَيْضًا بَعِيدٌ عَنِ الصِّدْقِ، وَلأَهْلِ هَذِه السِّلْسِلَةِ العَلِيَّةِ تَرَدُّدَاتٌ فِي صِدْقِ تِلْكَ النُّقُولِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

وَأَيْضًا: كَانَ حَضْرَةُ شَيْخِنَا ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ يَقُولُ: " إِنَّ التَّفْلِيسَ يَدُلُّ عَلَى سَلْبِ الإِيمَانِ " أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُ، وَتَجْوِيزُ هَذَا المَعْنَى مُشْكِلَةٌ جِدًّا، {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(١).

---

(١) آل عمران: ٨

المَكْتُوبُ الثَّاني وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة
إلى مَعْدن الفَضيلة الشَّيْخ عَبْد الحَقِّ الدَّهْلويِّ
في بَيَان أَنَّ أَفْضَل الأَمْتعَة في هَذه النَّشْأَة الحُزْنُ وَالغَمّ وَأَهْنَى نعَم هَذه المَائدَة المُصيبَةُ وَالأَلَم

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ: إنَّ الآلامَ وَالمَصَائبَ — وَإنْ كَانَتْ ثَقيلةً حَيْثُ إنَّهَا تَحْمل الأَذَى — وَلكنَّ فيهَا رَجَاءَ الكَرَامَات، **وَأَفْضَل أَمْتعَة هَذه النَّشْأَة الحُزْنُ وَالغَمُّ**، وَأَهْنَى نَعيم هَذه المَائدَة المُصيبَةُ وَالأَلَمُ، قَدْ جُعل هَذَا السُّكَّر في غلاف رَقيق منْ دَوَاء مُرٍّ وَفَتَحَ طَريقَ الابْتلَاء، بهَذه الحيلة نَظَرَ السُّعَدَاءُ إلى حَلاوَة ذَلكَ السُّكَّر وَصَارُوا يَبْلعُونَ ذَلكَ المُرَّ مثْل السُّكَّر وَوَجَدُوا المَرَارَةَ حُلوًا، عَلى عَكْس الصَّفْرَاويِّ حَيْثُ لاَ يَجدُهُ حُلوًا؛ فَإنَّ أَفْعَال المَحْبُوب كُلهَا حُلوَةٌ، وَإنَّمَا يَجدُهَا مُرًّا مَنْ كَانَ عَليلا بعلة التَّعَلق بالسِّوَى، وَأَهْل السَّعَادَة يَجدُونَ في إيلام المَحْبُوب منَ الحَلاوَة وَاللذَّة مَا لاَ يُتَصَوَّرُ وُجْدَانُ مثْله في الإنْعَام؛ فَإنَّهُ وَإنْ كَانَ كلاهُمَا منَ المَحْبُوب وَلكنْ لاَ مَدْخَل في الإيلامِ لنَفْس المُحبِّ وَفي الإنْعَام قيَامٌ بمُرَاد النَّفْس:

هَنيئًا لأَرْبَاب النَّعيم نَعيمُهَا

اَللهُمَّ لاَ تَحْرمْنَا أَجْرَهُمْ وَلا تَفْتنَّا بعْدَهُمْ.

وَوُجُودُكُمُ الشَّريفُ وَقْتَ غُرْبَة الإسْلامِ مُغْتَنَمٌ لأَهْل الإسْلامِ، سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَأَبْقَاكُمْ ،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمِائَةِ
إِلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد أَشْرَف وَالحَاجِّ مُحَمَّدٍ الفركتي
فِي جَوَابِ سُؤَالَيْهِمَا
أَحَدُهُمَا عَنْ دَوَامِ نِسْبَةِ الرَّابِطَةِ
وَالآخَرُ عَنِ الفُتُورِ فِي المَشْغُولِيَّةِ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى:

وَصَلَتِ الصَّحِيفَةُ التِي أَرْسَلَهَا الأَخُ الأَعَزُّ الأَشْرَفُ، وَاتَّضَحَتِ الكَيْفِيَّاتُ المُنْدَرِجُ فِيهَا.

بَيَانُهَا: كَتَبَ الخَوَاجَهْ مُحَمَّدُ أَشْرَف عَنْ دَوَامِ نِسْبَةِ الرَّابِطَةِ بِأَنَّهَا قَدِ اسْتَوْلَتْ عَلى حَدٍّ أَرَاهَا فِي الصَّلاَةِ مَسْجُودَةً لِي فَإِنْ نَفَيْتُهَا فَرْضًا لاَ تَنْتَفِي أَصْلا:

أَيُّهَا المُحِبُّ: إِنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ هِيَ مُتَمَنَّى الطُّلاب وَلا يُعْطَاهَا إلا وَاحِدٌ مِنْ أُلوفٍ، وَصَاحِبُ هَذِهِ المُعَامَلَةِ مُسْتَعِدٌّ تَامُّ المُنَاسَبَةِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَجْذِبَ جَمِيعَ الكَمَالاتِ بِقَلِيلٍ مِنْ صُحْبَةِ المُقْتَدَى بِهِ، وَكَيْفَ تُنْفَى الرَّابِطَةُ؛ فَإِنَّهَا مَسْجُودَةٌ إِلَيْهَا لاَ مَسْجُودٌ لَهَا وَلَمْ تُنْفَى المَحَارِبُ وَالمَسَاجِدُ، وَظُهُورُ مِثْلِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ لِلسُّعَدَاءِ حَتَّى يَعْلَمَ صَاحِبُ الرَّابِطَةِ وَاسِطَتَهُ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ، وَلِيَكُونَ مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ لاَ لِجَمَاعَةٍ حُرِمُوا الدَّوْلَةَ وَزَعَمُوا أَنْفُسَهُمْ مُسْتَغْنِينَ وَيُحَرِّفُونَ قِبْلَةَ تَوَجُّهِهِمْ عَنْ شَيْخِهِمْ وَيُضَيِّعُونَ مُعَامَلَتَهُمْ.

وَكَتَبْتَ أَيْضًا خَبَرَ فَوْتِ وَالِدَةِ الأَوْلادِ فَقُلْنَا: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَقَرَأْنَا الفَاتِحَةَ، وَفُهِمَ أَثَرُ الإِجَابَةِ فِي أَثْنَاءِ القِرَاءَةِ.

وَذَكَرَ مَوْلاَنَا الحَاجُّ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ قَدْ طَرَأَ الفُتُورُ فِي المَشْغُولِيَّةِ مُنْذُ شَهْرَيْنِ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الذَّوْقِ وَالحَلاوَةِ اللذَيْنِ كَانَا مِنْ قَبْلُ:

أَيُّهَا المُحِبُّ: لاَ غَمَّ إِذَا لَمْ يَطْرَأِ الفُتُورُ عَلى شَيْئَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مُتَابَعَةُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ ــ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالتَّحِيَّةُ.

الثَّانِي: الأخلاصُ وَالمَحَبَّةُ لِشَيْخِهِ.

فَلَوْ طَرَأَ أُلوفٌ مِنَ الظُّلْمَةِ مَعَ وُجُودِ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ لاَ يَضُرُّ وَلا يُخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الضَّيَاعِ، وَلَوْ ظَهَرَ النُّقْصَانُ ــ عِيَاذًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ ــ فِي وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ

الأَمْرَيْنِ فَخُسْرَانٌ فِي خُسْرَانٍ، وَإِنْ كَانَ فِي حُضُورٍ(١) وَجَمْعِيَّةٍ؛ فَإِنَّهُ اِسْتِدْرَاجٌ وَلَهُ سُوءُ العَاقِبَةِ.

يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ مِنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ ــ الثَّبَاتُ عَلى هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ، وَأَنْ يَسْأَلَهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ عَلَيْهِمَا؛ فَإِنَّهُمَا مِلاكُ الأَمْرِ وَمَدَارُ النَّجَاةِ.

،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ عَلى سَائِرِ الإِخْوَانِ خُصُوصًا عَلى الْمُحِبِّ القَدِيمِ مَوْلانَا عَبْدِ الغَفُورِ السَّمَرْقَنْدِيِّ

---

(١) **الحضور**: يعني حضور القلب بالحق في تجلياته الذاتية، والوصفية والفعلية، عند غيبته بالحق عن الخلق. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٧٨.

الْمَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثِمائَة
إِلى الخَوَاجَهْ شَرَف الدِّين حُسَيْنٍ
فِي الوَعْظِ وَالنَّصِيحَةِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

أَيُّهَا الوَلَدُ الأَعَزُّ: إنَّ الفُرْصَةَ مُغْتَنَمَةٌ؛ فيَنْبَغِي أَنْ لاَ تَصْرِفَ تَمَامَ العُمُرِ فِي أُمُورٍ لاَ طَائِل فِيهَا، بَل يَنْبَغِي أَنْ تَصْرِفَ تَمَامَهُ فِي مَرَاضِي الحَقِّ جَل وَعَلا:

يَنْبَغِي أَنْ تُؤَدِّيَ الصَّلَوَات الخَمْسَ بالجَمْعِيَّة وَالجَمَاعَة مَعَ تَعْدِيل الأَرْكَان.

ويَنْبَغِي أَنْ لاَ تَتْرُكَ صَلاَةَ التَّهَجُّدِ وَأَنْ لاَ تُضَيِّعَ الاسْتِغْفَارَ فِي الأَسْحَارِ مَجَّانًا.

وَأَنْ لاَ تَغْتَرَّ بِمَنَام الأَرْنَب.

وَأَنْ لاَ تَنْخَدِعَ بِالحُظُوظ العَاجلة.

وَأَنْ تَجْعَل تَذَكُّرَ المَوْت وَأَهْوَال الآخرَة نُصْبَ العَيْن.

وَبالجُمْلة: يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُعْرِضًا عَنِ الدُّنْيَا وَمُقْبلا عَلى الآخرَة وَأَنْ تَشْتَغِل بِالدُّنْيَا بقَدْرِ الضَّرُورَة وَأَنْ تَعْمُرَ سَائِرَ الأَوْقَات بالاشْتغَال بِأُمُور الآخرَة.

وَحَاصِل الكَلام هُوَ أَنَّهُ: يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَصَ القَلبُ مِنْ رُؤْيَةِ الأَغْيَارِ وَالسِّوَى، وَأَنْ يَكُونَ الظَّاهِرُ مُزَيَّنًا وَمُحَلى بالأَحْكَام الشَّرْعِيَّة، (ع):

هَذَا هُوَ الأَمْرُ والبَاقِي خَيَالاتٌ

وَبَقِيَّةُ الأَحْوَال بِالخَيْر،،،،،،،، وَالسَّلامِ.

الْمَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى المرزا قليج الله
فِي جَوَابِ عَرِيضَته التي كَتَبَهَا
فِي الشِّكَايَة مِنْ عَدَمِ جَمْعِيَّة البَاطِنِ
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

بَعْدَ الحَمْدِ لله وَالصَّلوَات وَتَبْليغِ الدَّعَوَات:

أُنْهِيَ أَنَّ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ الْمَكْتُوبَةَ فِي بَابِ التَّعْزِيَة قَدْ وَصَلَتْ، {إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ}⁽¹⁾، نَحْنُ رَضِينَا بِقَضَاءِ الله تَعَالى بِتَوْفِيقه سُبْحَانَهُ، وَيَنْبَغِي لَكُمْ أَيْضًا أَنْ تَكُونُوا رَاضِينَ بِه، وَأَنْ تَكُونُوا مُعَاوِنِينَ وَمُمِدِّينَ بِالدُّعَاءِ وَالفَاتِحَة، وَصَارَ خَبَرُ خَلاصِكُمْ بَاعِثًا عَلى الْمَسَرَّةِ وَالفَرَحِ وَسَكَنَ بِه أَحَدُ الأَلَمَيْنِ، لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلى ذَلِكَ.

وَكَتَبْتَ شِكَايَةً عَنْ فِقْدَانِ جَمْعِيَّة البَاطِن: نَعَمْ إِنَّ لِتَشَتُّتِ الظَّاهِرِ تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي تَصَرُّفِ البَاطِنِ فَإِذَا وُجِدَتِ الكُدُورَةُ فِي البَاطِنِ يَنْبَغِي تَدَارُكُهَا بِالتَّوْبَة وَالاسْتِغْفَارِ، وَإِذَا ظَهَرَتْ صُورَةٌ هَائِلَةٌ يَنْبَغِي دَفْعُهَا بِكَلِمَة التَّمْجِيد: " لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّه العَلِيِّ العَظِيمِ "، وَتَكْرَارُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مُغْتَنَمٌ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَبَقِيَّةُ الأَحْوَال مُسْتَوْجَبَةٌ لِلحَمْد، لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالْمِنَّةُ دَائِمًا عَلى كُلِ حَال، وَأَعُوذُ بِالله سُبْحَانَهُ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ، وَفِي الفَقِيرِ أَثَرُ الضَّعْفِ؛ وَلِهَذَا صَرَفْتُ النَّظَرَ عَنْ تَحْرِيرِ تَفْصِيلِ الأَحْوَالِ، رَزَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمُ الاسْتِقَامَةَ عَلى جَادَّة الشَّرِيعَة الْمُصْطَفَوِيَّة عَلى صَاحِبِهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ.

،،، ،،، ،،، وَالسَّلام.

---

(١) البقرة: ١٥٦

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة

إلى مَوْلانَا مُحَمَّد صَالِح الكولابي

في بَيَانِ أَنَّ المَحْبُوبَ مَحْبُوبٌ في نَظَرِ المُحبِّ عَلى كُل حَال سَوَاءٌ صَدَرَ عَنْهُ الإِنْعَامُ أَوِ الإِيلامُ بَل الإِيلامُ عِنْدَ الأَقَلينَ مُوجِبٌ لازْدِيَاد المَحَبَّة أَكْثَرَ مِنْ إِنْعَامِه وَبَيَانِ مَزِيَّة الحَمْد عَلَى الشُّكْرِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَبَعْدُ: فَلْيَعْلمِ الأَخُ الأَعَزُّ مَوْلانَا مُحَمَّدُ صَالِحٍ أَنَّ المَحْبُوبَ مَحْبُوبٌ في نَظَرِ المُحبِّ، بَل في نَفْسِ الأَمْرِ في جَميعِ الوَقْتِ وَفي جَميعِ الحَال، سَوَاءٌ آلمَ أَوْ أَنْعَمَ فَهُوَ مَحْبُوبٌ عَلى كلا الحَالَيْن.

وَعِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ الذينَ تَشَرَّفُوا بدَوْلَة المَحَبَّة أَنَّ ازْديَادَ مَحَبَّة المَحْبُوب في وَقْتِ الإِنْعَامِ أَكْثَرُ مِنْهُ في وَقْت إيلامه أَوْ هُوَ مُسَاوٍ في الوَقْتَيْن.

وَعِنْدَ الأَقَل عَكْسُ هَذه المُعَامَلة يَعْني: إِيلامُهُ مُوجِبٌ لازْدِيَادِ المَحَبَّة أَكْثَرُ مِنْ إِنْعَامه.

وَمُقَدِّمَةُ هَذه الدَّوْلَة العُظْمَى: حُسْنُ ظَنٍّ بالمَحْبُوب حَتَّى إنَّ المَحْبُوبَ لوْ أَمَرَّ السِّكِّينَ عَلى حُلقُوم المُحبِّ وَمَزَّقَ كُل عُضْوٍ مِنْهُ وَفَرَّقَهُ مِنَ الآخَرِ لعَلمَ المُحبُّ ذَلكَ عَيْنَ صَلاحه وَيَتَصَوَّرُهُ عَيْنَ فَلاحه، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ كَرَاهَةُ فعْل المَحْبُوب عَنْ نَظَر المُحبِّ بحُصُول هَذَا الظَّنِّ الحَسَنِ تَشَرَّفَ بدَوْلَة المَحَبَّة الذَّاتيَّة التي هيَ مُعَرَّاةٌ عَنْ جَميعِ النِّسَب وَالاعْتبَارَات، وَمَخْصُوصَةٌ بحَبيب رَبِّ العَالمينَ ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ ــ وَوَجَدَ الالتذَاذَ وَالفَرَحَ في الإِيلام أَكْثَرَ منْهُمَا في الإِنْعَام.

وَأَظُنُّ أَنَّ هَذَا المَقَامَ فَوْقَ مَقَام الرِّضَاء؛ فَإنَّ في الرِّضَاء دَفْعَ كَرَاهَة أَلم فعْل المَحْبُوب، وَهُنَا الالتذَاذُ بذَلكَ الفعْل؛ فَإنَّ الجَفَاءَ كُلمَا كَانَ منْ جَانب المَحْبُوب أَجَل وَأَكْثَرَ يَكُونُ الفَرَحُ وَالسُّرُورُ منْ جَانب المُحبِّ أَزْيَدَ وَأَوْفَرَ شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا، وَحَيْثُ كَانَ المَحْبُوبُ مَحْبُوبًا في نَظَر المُحبِّ، بَل في نَفْسِ الأَمْرِ في جَميعِ الأَوْقَات وَجَميعِ الأَحْوَال لاَ جَرَمَ يَكُونُ المَحْبُوبُ في جَميعِ الأَوْقَات وَجَميعِ الأَحْوَال ــ بَل في الوَاقعِ وَنَفْسِ الأَمْرِ ــ مَحْمُودًا وَمَمْدُوحًا أَيْضًا، وَيَكُونُ المُحبُّ في وَقْت إيلامه وَإِنْعَامه مَادحًا لهُ وَمُثْنيًا عَلَيْه، فَحينَئذٍ يَصْدُقُ لهَذَا المُحبِّ الصَّادق

أَنْ يُقَال: " صَادقاً وَمَصْدُوقاً "، وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ عَلى كُل حَال، وَيَصيرُ هَذَا المُحبُّ منَ الحَامدينَ لهُ سُبْحَانَهُ في السَّرَّاء وَالضَّرَّاء حَقيقَةً.

وَيُشْبهُ أَنْ يَكُونَ مَزيَّةُ الحَمْد عَلى الشُّكْر منْ جهَة أَنَّ الشُّكْرَ مُلاحَظَةُ إنْعَام المُنعم فَيَكُونُ رَاجعًا إلى الصِّفَة، بَل إلى الفعْل، وَالمَلحُوظُ في الحَمْد حُسْنُ المَحْمُود وَجَمَالهُ سَوَاءٌ كَانَ ذَاتيًا أَوْ وَصْفيًّا أَوْ فعْليًّا وَسَوَاءٌ كَانَ إنْعَامًا أَوْ إيلامًا؛ فَإنَّ إيلامَهُ سُبْحَانَهُ حَسَنٌ كَإنْعَامه تَعَالى، فَيَكُونُ الحَمْدُ أَبْلَغ في الثَّنَاء وَأَجْمَعَ لمَرَاتب الحُسْن وَالجَمَال وَأَبْقَى في حَالَتَي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء، بخلاف الشُّكْر؛ فَإنَّهُ مَعَ قُصُوره سَريعُ الزَّوَال عَلى شَرَف الهَلاك بزَوَال الإنْعَام وَهَلاك الإحْسَان.

فَإنْ قيلَ: أَنْتَ كَتَبْتَ في بَعْض مَكْتُوبَاتكَ أَنَّ مَقَامَ الرِّضَاء فَوْقَ مَقَام المَحبَّة[1] وَمَقَام الحُبِّ، وَهُنَا تَكْتُبُ أَنَّ مَقَامَ هَذه المَحَبَّة فَوْقَ مَقَام الرِّضَاء، فَكَيْفَ التَّوْفيقُ بَيْنَ هَذَيْن الكَلامَيْن؟

أُجيبَ: أَنَّ هَذَا المَقَامَ ــ أَعْني: مَقَامَ المَحَبَّة المَذْكُورَة هُنَا ــ وَرَاءَ ذَلكَ المَقَام ــ أَعْني: مَقَامَ المَحَبَّة وَالحُبِّ هُنَاكَ ــ فَإنَّ ذَلكَ المَقَامَ مُشْتَمل عَلى النِّسَب وَالاعْتبَارَات إجْمَالا وَتَفْصيلا؛ فَإنَّهُ وَإنْ قَالوا لتلكَ المَحَبَّة ذَاتيَّةٌ وَتَصَوَّرُوا ذَلكَ الحُبَّ حُبًّا ذَاتيًا وَلكنَّهُ لَيسَ فيه قَطْعُ النَّظَر عَن الشُّئُون وَالاعْتبَارَات، بخلاف هَذَا المَقَام؛ فَإنَّهُ مُعَرَّى عَن النِّسَب وَالإضَافَات كَمَا مَرَّ، وَمَا انْدَرَجَ في بَعْض المَكْتُوبَات منْ أَنَّهُ لاَ مَجَال للقَدَم فَوْقَ مَقَام الرِّضَاء إلا لخَاتَم الرُّسُل ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ كَأَنَّهُ عبَارَةٌ عَنْ هَذَا المَقَام؛ فَإنَّهُ مَخْصُوصٌ بخَاتَم الرُّسُل ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَاللهُ أَعْلَمُ بحَقَائق الأُمُور كُلهَا.

---

(١) **المحبة**: في اللغة: نقيض الكراهية والإسم منها الحب. انظر: ابن منظور: لسان العرب / حبب وصورة المحبة في **البدايات**: التلذذ بالعبادة، والتسلي عن فوات الأشتات المتفرقة.

وأصلها في **الأحوال**: الإبتهاج بشهود الحق، وتعلق القلب به معرضا عن الخلق،معتكفا على المحبوب بجوامع هواه غير ملتفت إلى ما سواه.

وفي **الأبواب**: جمعية الباطن بالسلو عما سوى المحبوب، والإخبات إلى جنابه مع الإعراض عما سواه من كل مرغوب.، وفي **المعاملات**: شغل القلب بالحبيب، والفراغ عن كل حميم وقريب.، وفي **الأخلاق**: محبة الخصال المقربة منه، وتجنب الملكات المبعدة عنه.، وفي **الأصول**: تجريد القصد المستوي إليه عن الموانع، وتصميم العزم وتهجر القواطع.، وفي **الولايات**: الإبتهاج بحسن الصفات، والتنور بنور الذات عند التحقق بالأسماء بمحو الرسوم والسمات.، وفي **الحقائق**: محبة تخطفه عن أودية تفرق الصفات إلى حضرة جمع الذات. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٠٧، ٣٠٨.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ كَرَاهَةَ الظَّاهِرِ لَيْسَتْ بِمُنَافِيَةٍ لِرِضَا البَاطِنِ، وَمَرَارَةَ الصُّورَةِ لَيْسَتْ بِمُنَافِيَةٍ لِحَلاوَةِ الحَقِيقَةِ؛ فَإِنَّ ظَاهِرَ العَارِفِ الكَامِلِ وَصُورَتَهُ مَتْرُوكَانِ عَلى مَا هُمَا عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ البَشَرِيَّةِ لِيَكُونَا قِبَابًا لِكَمَالاتِهِ، وَلِيَحْصُلَ لَهُ الابْتِلاءُ وَالامْتِحَانُ، وَلِيَكُونَ المُحِقُّ مَمْزُوجًا بِالمُبْطِلِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَصَوَّرَ نِسْبَةُ ظَاهِرِ العَارِفِ الكَامِلِ وَصُورَتُهُ إِلى بَاطِنِهِ وَحَقِيقَتِهِ كَنِسْبَةِ ثَوْبٍ إِلى شَخْصٍ لابِسٍ لِذَلِكَ الثَّوْبِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ مَا مِقْدَارُ الثَّوْبِ وَقَدْرُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلى الشَّخْصِ، وَكَذَلِكَ قَدْرُ صُورَةِ العَارِفِ بِالنَّظَرِ إِلى حَقِيقَتِهِ، وَرُبَّمَا يَظُنُّ مَكْفُوفُو البَصَرِ مَطْمُوسُو البَصِيرَةِ صُورَةَ العَارِفِ مِثْلَ الجَبَلِ وَيَتَخَيَّلُونَهَا مِثْلَ صُوَرِهِمُ التي لاَ حَقَائِقَ لَهَا، فَلا جَرَمَ يَكُونُونَ فِي مَقَامِ الإِنْكَارِ وَيَكْتَسِبُونَ الحِرْمَانَ،،،،،،،،، {وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى}(١) وَالتَزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى.

---

(١) طــه: ٤٧

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثِمائَةِ
إِلى نُور مُحَمَّد التناري
فِي جَوَاب عَرِيضَتِه التي كَتَبَهَا
لبَيَان تَوَارُد الأَحْوَال

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

وَبَعْدُ: فَقَدْ وَصَلَ المَكْتُوبُ الشَّرِيفُ، وَاتَّضَحَ مَا حُرِّرَ فِيهِ مَنْ تَوَارُدِ الأَحْوَال:

اعْلَمْ: أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنَّهُ لَيسَ دَاخِلِ العَالمِ، كَذَلكَ لَيسَ خَارِجَ العَالمِ، وَكَمَا أَنَّهُ لَيسَ بمُنْفَصِل عَنِ العَالمِ لَيسَ بمُتَّصِل بالعَالمِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ، وَلَكنَّ جَميعَ تلكَ الصِّفَات أَعْني: الدُّخُول وَالخُرُوج وَالاتِّصَال(١) وَالانْفِصَال(٢) مَسْلوبَةٌ عَنْهُ سُبْحَانَهُ يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَهُ تَعَالى خَاليًا عَنْ هَذِه الصِّفَات

---

(١) **الاتصال**: لغة نقيض الإنقطاع. انظر: ابن منظور: لسان العرب / وصل.

أما عند الصوفية: فهو أن لا يشهد العبد غير خالقه، ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه.

وصورته في **البدايات**: الحضور مع الله بسلامة الفطرة، والإعتصام بالله بتصحيح القصد.

وفي **الأبواب**: تصحيح التوجه بقوة التقوى، والتنبل عن السوى.

وفي **المعاملات**: قوة المراقبة، واعتقاد المقاربة.

وفي **الأخلاق**: الإتصاف بالأخلاق الإلهية.

وفي **الأصول**: السلوك إلى الله بحول الله وقوته.

وفي **الأودية**:رؤية الحقيقة بعين البصيرة.

وفي **الولايات**: التحقق بشهود الذات عند فناء الصفات. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحاتالصوفية: ٣٥٩

(٢) **الانفصال**:لغة: من الفصل وهو القطع. انظر: ابن منظور: لسان العرب: وصل.

والمراد به **عند الصوفية**: الانفصال عن الكونين الذي هو شرط الإتصال.

وصورته في **البدايات**: الانفصال عن المرادات النفسانية والعادات.

وفي **الأبواب**: الانفصال عن الفضول الزائدة على الضروريات.

وفي **المعاملات**: الانفصال عن أفعال كل ما سوى الحق، والتأثيرات

وفي **الأخلاق**: الإنفصال عن ملكات النفس والهيئات.

وفي **الأصول**: الانفصال عن التلف والجهالات.

وفي **الأحوال**: الإنفصال عن السلو، والفرار بدون المحبوب. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٦١.

الأَرْبَعَة وَأَنْ يجِدَهُ سُبْحَانَهُ فِي خَارِجِ هَذه الصِّفَات، فَإن امْتَزَجَ لوْنٌ منْ هَذه الصِّفَات فَلَيْسَ الحَاصل حينَئذ غَيْرَ التَّعَلق بالظِّلال وَالمثَال، بَل يَنْبَغي أَنْ يَطْلبَهُ تَعَالى بصفَة لاَ كَيْفيَّة وَلا مثْليَّة مُنَزَّهَة عَنْ غُبَارِ الظِّلِّيَّة، وَأَنْ يُحَصِّل اتِّصَالا لاَ كَيْفيًا بتلكَ المَرْتَبَة، وَهَذه الدَّوْلةُ نَتيجَةُ الصُّحْبَة لاَ تَحْصُل بالتَّكَلمِ وَالكتَابَة، وَلئنْ كَتَبْتُ فَمَنْ يَفْهَمُهَا وَمَنْ يُدْرِكُهَا؟!! فَيَنْبَغي المُدَاوَمَةُ عَلى المَشْغُوليَّة بِالشَّوْقِ(١) وَالذَّوْقِ، وَكتَابَة كَيْفيَّاتِ الأَحْوَال إلى حِينِ المُلاقَاة ،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ.

---

(١) **الشوق**: **لغة** نزاع النفس وحركة الهوى.انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة: شوق.

أما عند الصوفية: فهو موهبة اختص الله تعالى بها المحبين.، فاشوق عندهم ثمرة المحبة، فمن أحب الله تعالى اشتاق إلى لقائه.

وصورة الشوق في **البدايات**: الإشتياق إلى الجنة وما وعد من الثواب.

وفي **الأبواب**: الشوق إلى الكرامة عند الله والتقرب إليه.

وفي **المعاملات**: الاشتياق إلى ألطافه وآيات بره وأفضاله.

وفي **الأخلاق**: الإشتياق إلى التخلق بأخلاقه.

وفي **الأصول**: الإرتياح إلى لقائه، والتنور بنور جماله.

وفي **الأودية**: التشوق إلى ما في الغيب من الحقائق، واستشراف أنواع المعارف.

وفي **الولايات**: استلحاظ الوجه الباقي بانكشاف سبحات الجلال، واستشراف نور الذات على وجوه الجمال والكمال. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣١١، ٣١٢.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إلى شَيْخِ زَادَهْ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد عَبْدالله
سَلمَهُ اللهُ تَعَالى
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَارَاته عَن التَّوْحِيدِ وَعَيْنِ اليَقِينِ
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلوَات وَتَبْليغِ الدَّعَوَات:

أُنْهِيَ إلى جَنَاب مَخْدُومِ زاده: أَنَّ الصَّحِيفَةَ الشَّرِيفَةَ قَدْ وَصَلتْ، وَحَصَل الفَرَحُ الوَافِرُ بِمُطَالعَتِهَا، وَانْدَرَجَ فِيهَا بَيَانُ شُمُول نِسْبَةِ الحُضُورِ وَاسْتِيلائِهَا فَحَسَنٌ وَمُبَارَكٌ.

وَهَذه الدَّوْلَةُ التي تَيَسَّرَتْ لكُمْ فِي مُدَّة ثَلاثَة أَشْهُر إنْ تَيَسَّرَ هِيَ فِي سَلاسل أُخْرَى في مُدَّة عَشْر سنينَ ليَعُدُّونَهَا نعْمَةً عَظيمَةً وَيَتصَوَّرُونَهَا أَمْرًا عَظيمًا، يَنْبَغي أَدَاءُ شُكْرِ هَذه النِّعْمَة كَمَا يَنْبَغِي، وَحَيْثُ إنِّي أَعْرِفُ أَنَّ فِطْرَتَكُمْ عَاليَةٌ وَمُبَرَّأَةٌ عَنْ حُصُول شَائبَة العُجْب بتَحْسِينِ مثْل هَذِهِ الأَحْوَال أَظْهَرْنَا هَذِهِ النِّعْمَةَ {لئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}(١) نَصٌّ قَاطعٌ.

وَكَتَبْتُمْ أَنَّ مُقَدِّمَةَ التَّوْحِيدِ يَعْنِي الوُجُودِيَّ أَخَذَتْ فِي الظُّهُورِ فَيُبَارَكُ لكُمْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ أَيْضًا.

يَنْبَغي قَبُول هَذَا الوَارد(٢) بالأَدَب، وَلكنَّ يَنْبَغي رِعَايَةُ الآدَاب الشَّرْعيَّة فِي غَلبَة هَذَا الحَال حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَأَدَاءُ حُقُوق العَبْديَّة حَقَّ أَدَائهَا، وَأَنْ يُعْلمَ بأَنَّ هَذه الشَّعْبَذَةَ عَلى تَقْدِيرِ صحَّتِهَا وَصدْقهَا نَاشئَةٌ بوَاسطَة استيلاء مَحَبَّة المَحْبُوب حَيْثُ إنَّ المُحبَّ إذَا أَبْصَرَ شيئاً وَأَدْرَكَهُ لاَ يُبْصرُ وَلا يُدْرِكُ غَيْرَ مَحْبُوبه، وَإذَا حَصَلتْ لهُ لَذَّةٌ وَذَوْقٌ من أَحَد يَنْسبُهَا إلى مَحْبُوبه، وَفي هَذه الصُّورَة مَشْهُودُ المُحبِّ هُوَ الكَثْرَةُ لكِنْ بِعُنْوَانِ الوَحْدَةِ فَلا يَتَحَقَّقُ الفَنَاءُ فِي هَذَا المَوْطِنِ؛ فَإنَّ فِي الفَنَاءِ دَفْعَ شُهُودِ

---

(١) إبراهيم: ٧

(٢) **الوارد**: هو ما يرد على القلب الظاهر من أحداث الكون من الخواطر المحمودة من غير تعمل ولا احتلاب. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٩١.

الكَثْرَة بالكُلِّيَّة بوَاسطَة اسْتيلاء شُهُود الوَاحد، وَإنَّمَا قيل لذَلكَ أَيْضًا فَنَاءٌ بالنِّسْبَة إلَى عَدَم شُهُود كَثْرَة المُمْكنَات، وَحَقيقَةُ الفَنَاء إنَّمَا تَتحَقَّقُ إذَا اخْتَفَتْ كَثْرَةُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات والشُّئُون وَالاعْتبَارَات بتَمَامهَا أَيْضًا عَن النَّظَر وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُ أَحَديَّة الذَّات المُجَرَّدَة تَعَالَتْ ـــ: مَلحُوظًا وَمَنْظُورًا أَصْلا، وَحَقيقَةُ تَمَاميَّة السَّيْر إلَى الله تُجْتلَى في هَذَا المَقَام وَفيه يُتَصَوَّرُ التَّخَلصُ عَن التَّعَلق بالظِّلال بالكُلِّيَّة، وَفي هَذَا الوَقْت تَقَعُ المُعَامَلَةُ في أَصْل الأُصُول وَتَتحَوَّل منَ الدَّال إلَى المَدْلُول وَيَحْصُل التَّرَقِّي(١) وَالعُرُوجُ منَ العلم إلَى العَيْن وَمنَ المُرَاسَلَة إلَى المُعَايَنَة، وَيَتَحَقَّقُ الوَصْل العُرْيَانُ وَكَذَا وَكَذَا ثُمَّ كَذَا وَكَذَا، لاَ يُمْكنُ التَّكَلمُ وَالإنْبَاءُ عَنْ ذَلكَ المَوْطن بغَيْر الرَّمْز وَالإشَارَة وَهُوَ أَيْضًا مُبْهَمٌ وَمَسْتُورٌ.

وَقَدْ طَلَبَ مَخْدُومُ زَادَهْ منَّا بَيَانَ عَيْن اليَقين وَأَرَادَ حُصُولَهُ في العلم وَهَذَا أَمْرٌ مُشْكَل مَاذَا أَصْنَعُ وَمَاذَا أَقُول وَكَيْفَ أُبَيِّنُهُ وَأَكْشفُ عَنْهُ وَأُفْهمُهُ؛ فَيُرْجَى منْ كَرَم مَخْدُوم زاده أَنْ يَعْذُرَني وَأَنْ يَميل منْ طَلَب العلمَ إلَى طَلَب الحَال.

وَالسُّؤَالان الصَّادرَان عَن المَخْدُوم أَنْبَأَ كُل منْهُمَا عَنْ عُلوِّ الفطْرَة:

أَحَدُهمَا: عَنْ بَيَان عَيْن اليَقين بطَوْر خَاصٍّ كَمَا مَرَّ:

وَثَانيهمَا: عَنْ بَيَان تَأْويل المُتَشَابهَات القُرْآنيَّة التي علمُهَا نَصيبُ العُلمَاء الرَّاسخينَ:

وَجَوَابُ السُّؤَال الثَّاني أَدَقُّ منْ جَوَاب السُّؤَال الأَوَّل وَأَخْفَى منْهُ وَأَلْيَقُ بالاسْتتَار وَمُنَاف للظُّهُور وَالإظْهَار، وَعلمُ تَأْويل المُتَشَابهات كنَايَةٌ عَن المُعَامَلة التي هيَ مَخْصُوصَةٌ بالرُّسُل ـــ عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ والتَّسْليمَاتُ ـــ وَيُمْنَحُ أَقَل قَليل منَ الأُمَم نَبْذًا يَسيرًا منْ هَذَا العلم بالتَّبَعيَّة وَالورَاثَة، وَلا يُرْفَعُ البُرْقُعُ عَنْ جَمَالهَا لَهُمْ في هَذه النَّشْأَة، وَلكنَّ المَرْجُوَّ أَنْ يُشَرَّفَ بهَذه الدَّوْلَة في النَّشْأَة الآخرَة جَمٌّ غَفيرٌ منَ الأُمَم أَيْضًا بطَريق التَّبَعيَّة، وَالقَدْرُ المُمْكنُ كتَابَتُهُ أَنَّهُ يَصحُّ أَنْ يُشَرَّفَ البَعْضُ الآخَرُ وَرَاءَ ذَلكَ الأَقَل بهَذه الدَّوْلَة في هَذه النَّشْأَة أَيْضًا، وَلكنْ لاَ يُعْطَى لَهُ العلمُ بحَقيقَة المُعَامَلة وَلا يَنْكَشفُ لَهُ التَّأْويل.

وَبالجُمْلَة: يَجُوزُ أَنْ يَحْصُل تَأْويل المُتَشَابهَات لذَلكَ البَعْض

---

(١) الترقي: هو التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف بقدم الكشف والشهود، وإن تنقل من الأعلى إلى الأسفل كمن تنقل من مطالعة الأسرار العلوية إلى مطالعة الأسرار السفلية. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ١٣٢.

وَلكِنَّهُ لاَ يُدْرَى مَا حَاصِلهُ؛ فَإِنَّ الْمُتَشَابِهَات كِنَايَةٌ عَنِ الْمُعَامَلات، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ الْمُعَامَلَةُ حَاصِلةً وَلا يَحْصُل العِلمُ بِتِلكَ الْمُعَامَلة، وَشَاهَدْتُ هَذَا الْمَعْنَى فِي فَرْد مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِليَّ وَمَاذَا يَحْصُل للآخَرِينَ، وَسُؤَالكُمْ أَوْقَعُ فِي الرَّجَاءِ مِنْ هَذِهِ الْمُعَامَلة {رَبَّنَا أَتْمِمْ لنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١).

،،،،،،،،، وَالسَّلامُ.

---

(١) التحريم: ٨

المَكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة

إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد التَّقِيِّ

في بَيَان بَحْث الإمَامَة وَحَقِيقَة مَذْهَب أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَمُخَالفيهِمْ وَأَنَّ أَهْل السُّنَّة مُتَوَسِّطُونَ بَيْنَ الإِفْرَاط وَالتَّفْرِيط اللذَيْن اخْتَارَهُمَا الرَّوَافِضُ وَالخَوَارِجُ

وَمَدْحِ أَهْل بَيْتِ الرَّسُول ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آله وَسَلمَ ــ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغ الدَّعوَات:

أُنْهِيَ أَنَّ مَحَبَّةَ الفُقَرَاءِ وَالارْتبَاطَ بِهِمْ وَالأُلفَةَ مَعَهُمْ وَالرَّغْبَةَ فِي اسْتمَاعِ كَلمَات هَذه الطَّائفَة العَليَّة وَالميل إلى أَوْضَاع هَذه الطَّبَقَة السَّنيَّة وَأَطْوَارِهِمْ ــ: مِنْ أَجَل نعَم الله جَل سُلطَانُهُ وَأَعْظَم عنَايَاته تَعَالى؛ قَال المُخْبِرُ الصَّادقُ ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ: " المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ " فَمُحِبُّهُمْ مَعَهُمْ وَفِي حَرَمِ حَرِيمِ القُرْب طُفَيْليُّهُمْ.

أَيُّهَا المُوَفَّقُ: إنَّ وَلدي الخَوَاجَهْ شَرَفَ الدِّين حُسَيْنًا قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ هَذه الأَوْصَافَ الحَميدَةَ مُجْتَمعَةٌ فيه مَعَ وُجُود تَعَلقَات شَتَّى، وَهَذه المَعَاني المُسْتَحْسَنَةُ المَقْبُولةُ مُلتَئمَةٌ فيه مَعَ وُجُود اشْتغَالات لاَ طَائل فيهَا ــ لله سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلى ذَلكَ ــ فَإنَّ صَلاحَكُمْ مُوجَبٌ لصَلاحِ جَمٍّ غَفير، وَفَلاحَكُمْ مُسْتَلزِمٌ لفَلاحِ جَمْعٍ كثير، وَأَظْهَرَ المُشَارُ إليْه بأَنَّهُ مُحبٌّ لكَلامكَ وَرَاغبٌ فِي اسْتمَاعِ عُلومكَ؛ فإنْ كَتَبْتَ الى جَنَابه كَلمَات لكنْ أَفْضَل وَأَحْسنْ:

فَأَرَدْت أَنْ أَكْتُبَ كَلمَات إجَابَةً للمُلتَمس، وَحَيْثُ كَانَ في هَذه الأَيَّام ذكْرُ بَحْث الإمَامَة أَكْثَرَ، وَكُل شَخْصٍ يَنْسجُ الكَلامَ في هَذَا البَاب بالظَّنِّ وَالتَّخْمين، أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ في هَذَا المَبْحَث سُطُورًا بالضَّرُورَة، وَأَنْ أُبَيِّنَ حَقيقَةَ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَمَذْهَبَ المُخَالفينَ:

أَيُّهَا الطَّالبُ للنَّجَاة: إنَّ عَلامَات أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة تَفْضيل الشَّيْخَيْن وَمَحَبَّةُ الخَتَنَيْن، وَاجْتمَاعُ تَفْضيل الشَّيْخَيْن مَعَ مَحَبَّة الخَتَنَيْن منْ خَصَائص أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَتَفْضيل الشَّيْخَيْن ثَابتٌ بإجْمَاعِ الصَّحَابَة وَالتَّابعينَ؛ كَمَا نَقَلهُ أَكَابرُ الأَئمَّة أَحَدُهُمُ الإمَامُ الشَّافعيُّ رَحمَهُ اللهُ.

وَقَال الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ: " تَفْضِيل أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ عَلى سَائِرِ الأُمَّة قَطْعِيٌّ ".

وَقَدْ ثَبتَ عَنْ عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ بِالتَّوَاتُرِ فِي زَمَنِ خلافَته وَكُرْسِيِّ مَمْلكَته وَبَيْنَ الجَمِّ الغَفِيرِ مِنْ شيعَته أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَفْضَل هَذه الأُمَّة؛ كَمَا ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ، وَرَوَى عَنْهُ الإِمَامُ البُخَارِيُّ أَنَّهُ قَال: " أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُول ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ رَجُل آخَرُ فَقَال ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الحَنَفِيَّة ثُمَّ أَنْتَ فَقَال مَا أَنَا إِلا رَجُل مِنَ المُسْلمِينَ "

وَبالجُمْلَة: إِنَّ تَفْضِيل الشَّيْخَيْنِ قَدْ بَلغَ مِنْ كَثْرَة الرُّوَاة الثِّقَات حَدَّ الضَّرُورَة وَالتَّوَاتُر فَإِنْكَارُهُ إِمَّا مِنَ الجَهْل وَإِمَّا مِنَ التَّعَصُّب، وَلَمَّا لَمْ يَجدْ عَبْدُ الرَّزَّاق ــ الذي هُوَ مِنْ أَكَابر الشِّيعَة ــ مَجَالا للإِنْكَار قَال بِتَفْضِيل الشَّيْخَيْنِ مِنْ غَيْرِ اخْتيَار، وَقَال: " حَيْثُ فَضَّل عَليٌّ الشَّيْخَيْنِ عَلى نَفْسه أُفَضِّلهَا أَنَا أَيْضًا عَليْه لتَفْضِيله، وَلوْلا أَنَّهُ فَضَّلهُمَا عَلى نَفْسه لَمَا فَضَّلتُهُمَا عَليْه، وَبَال عَليَّ أَنْ أَدَّعِيَ مَحَبَّةَ عَليٍّ ثُمَّ أُخَالفَهُ ".

وَلَمَّا كَثُرَ فِي زَمَان خلافَة الخَتَنَيْنِ ظُهُورُ الفتَنِ وَالاخْتلال فِي أُمُورِ النَّاسِ وَحَصَلتْ مِنْ هَذه الجهَة كُدُورَةٌ غَيْرُ مَحْصُورَة فِي قُلُوب النَّاسِ وَاسْتَوْلت العَدَاوَة وَالبَغْضَاءُ فِيمَا بَيْنَ المُسْلمِينَ ــ: عُدَّتْ مَحَبَّةُ الخَتَنَيْنِ أَيْضًا بالضَّرُورَة مِنْ جُمْلة شَرَائِط كَوْن شَخْصٍ مِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة لِئَلا يُسيءَ الجَاهل الظَّنَّ مِنْ هَذه الحَيْثيَّة بأَصْحَاب خَيْرِ البَشَرِ ــ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ فَكَانَتْ مَحَبَّةُ عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ شَرْطًا للتَّسَنُّنِ، وَمَنْ لَيْسَتْ فِيه هَذه المَحَبَّةُ صَارَ خَارِجًا عَنْ أَهْل السُّنَّة وَيُسُمِّيَ خَارجيًا.

وَالذي اخْتَارَ طَرَفَ الإِفْرَاط فِي مَحَبَّة عَليٍّ، وَوَقَع مِنْهُ الزِّيَادَة عَلى القَدْرِ اللائق، وَأَظْهَرَ الغُلوَّ فِي تلكَ المَحَبَّة، وَأَطَال اللسَان بسَبَب أَصْحَاب خَيْرِ البَشَر عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَتَرَكَ طَرِيقَ الصَّحَابَة وَالتَّابعينَ وَالسَّلف الصَّالحينَ رضْوَان الله عَليْهم أَجْمَعينَ وَرَفَضه ــ: سُمِّيَ رافضيا؛ فَأَهْل السُّنَّة مُتَوَسِّطُونَ بَيْنَ الإِفْرَاط فِي مَحَبَّة عَليٍّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ وَبَيْن التَّفْرِيطُ فيهَا، اللذَيْن اخْتَارَهُمَا الرَّافضُون وَالخَوَارج.

وَلا شَكَّ أَنَّ الحَقَّ فِي الوَسَط، وَالإِفْرَاطَ وَالتَّفْرِيطَ كلاهُمَا مَذْمُومَان؛ كَمَا رَوَى الإِمَامُ أَحْمَد بْن حَنْبَل عَنْ عَليٍّ أَنَّهُ قَال: قَال رَسُول اللهِ ﷺ: " فيك مَثَل مِنْ عيسَى؛ عاداة اليَهُود حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ وَأَحَبَّهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلوهُ مَنْزِلةً لَيْسَ هُوَ فيهَا "، يَعْنِي: قَالوا إِنَّهُ ابْنُ الله، فَقَال عَليٌّ: " هَلكَ فِيَّ اثْنَان المُفْرط فِي مَحَبَّتِي حَتَّى يُثْبِتَ لِي مَا لَيْسَ فِيَّ، والثَّاني: مَنْ يُعَادِينِي وَيَفْتَرِي عَليَّ بالعَدَاوَة "؛ فَشبْه حَال الخَوَارِجِ بحَال اليَهُودِ، وَحَال الرَّوَافِض بِحَال النَّصَارَى، وَكُلاهُمَا وَقَعًا مِنَ الحَقِّ الوَسَطِ فِي الطَّرَفَيْن.

وَمَا أَجْهَل مَنْ لاَ يَعُدُّ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة مِنْ مُحِبِّي عَليٍّ، وَيَزْعُمُ مَحَبَّتَهُ مُخْتَصَّة بالرُّفْضَة، وَلَيْسَتْ مَحَبَّةُ عَليٍّ مِنَ الرَّفْض، وَإِنَّمَا الرَّفْضُ: التَّبَرِّي مِنَ الخُلفَاءِ الثَّلاثَة، والتَّبَرِّي مِنَ الأَصْحَابِ الكِرَامِ مَذْمُومٌ وَصَاحِبُهُ عَلَيْه مَلومٌ؛ قَال الإِمَامُ الشَّافعيُّ رضي الله عنه

لَوْ كَانَ رَفْضًا حُبّ آل مُحَمَّد   فَليَشْهَد الثَّقَلان أَنِّي رَافِض

يَعْنِي: أَنَّ حُبَّ آل مُحَمَّد لَيْسَ بِرَفْضٍ كَمَا يَزْعُمُونَهُ، فَإِنْ قَالوا لهَذَا الحُبِّ رَفْضًا فَلَيْسَ بِرَفْضٍ مَذْمُوم؛ فَإِنَّ ذَمَّ الرَّفْضِ إِنَّمَا جاءَ مِنْ جهَة التَّبَرِّي عَنِ الآخَرِينَ وَرَفْضِهِمْ لاَ مِنْ جهَة مَحَبَّتِهِمْ يَعْني آل مُحَمَّد، فَيَكُونُ مُحِبُّوا أَهْل بَيْت رَسُول الله ــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ ــ مِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَهُمْ شيعَة أَهْل البَيْت فِي الحَقيقَة وَالشِّيعَةُ الذينَ يَدَّعُونَ مَحَبَّةَ أَهْل البَيْت وَيَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ شيعَتهمْ فَإِنْ لَمْ يَقْتَصرُوا مَحَبَّتَهُمْ عَلى أَهْل البَيْت وَلَمْ يَتَبَرَّوْا مِنَ الآخَرِينَ وَعَظَّمُوا جَميعَ أَصْحَاب النَبيِّ ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَوَقَّرُوهُمْ حَقَّ تَعْظيمهمْ وَتَوْقيرهمْ، وَحَملوا مُشَاجَرَاتهمْ عَلى مُحَامِل حَسَنَة، فَهُمْ دَاخلونَ فِي أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَخَارجُونَ عَنِ الخَوَارِجِ وَالرَّوَافِض؛ فَإِنَّ عدَمَ مَحَبَّة أَهْل البَيْت خُرُوجٌ وَالتَّبَرِّي عَنِ الأَصْحَابِ رَفْضٌ وَمَحَبَّةُ أَهْل البَيْتِ مِنْ تَعْظِيمِ جَمِيعِ الأَصْحَاب وَتَوْقِيرِهِمْ تَسَنُّنٌ.

وَبالجُمْلة: إِنَّ مَبْنَى التَّسَنُّن عَلى حُبِّ مُصَاحِبيه عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَالعَاقِل المُنْصِفَ لاَ يَخْتَارُ بُغْضَ الأَصْحَابِ الكِرَامِ عَلَى حُبِّهِمْ أَصْلا، بَل

يُحبُّ جَميعَهُمْ بحُبِّ النَبىِّ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ؛ قَال ــ عَلَيْه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ــ: " مَنْ أَحبَّهُمْ فَبحُبى أَحبّهم وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فببغضى أَبْغَضُهُمْ "(١).

وَلنَرْجِعَ إلى أَصْلِ الكَلام وَنَقُول: كَيْفَ يُظَنُّ عَدَمُ مَحَبَّة أَهْل البَيْت في حَقِّ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَالحَال أَنَّ مَحَبَّتَهُمْ عنْدَهُمْ جُزْءُ الإِيمَان وَسَلامَةُ الخَاتمَة مَرْبُوطَةٌ عنْدَهُمْ برُسُوخِ تلكَ المَحَبَّة.

وَكَانَ وَالد هَذَا الفَقيرِ المَاجد يَرْغَبُ في أَكْثَرِ الأَوْقَات في مَحَبَّة أَهْل البَيْتِ وَكَانَ عَالمًا بالعلمِ الظَّاهر والباطنِ وَكَانَ يَقُول: " إنَّ لمَحَبَّتِهِمْ مَدْخَلا عَظيمًا في سَلامَة الخَاتمَة، يَنْبَغي أَنْ يُرَاعيهَا كَمَال رعَايَتهَا ".

وَكَانَ هَذَا الفَقيرُ حَاضرًا في مَرَض مَوْته، وَلَمَّا انْتَهَتْ مُعَامَلته إلى آخرهَا وَبَقيَ الشُّعُور بهَذَا العَالَمِ قَليلا ذَكَّرْتُهُ بكَلامه في ذَلكَ الوَقْت وَاسْتَفْسَرْتُهُ عَنْ تلكَ المَحَبَّة فَقَال في تلكَ الحَالَة: " إنِّي غَريق في مَحَبَّة أَهْل البَيْت فَأُوَدِّي شُكْرَ الحَقِّ ــ عَزَّ وَجَل ــ في ذَلكَ الوَقْت ".

وَمَحَبَّة أَهْل البَيْت رَأْس المَال أَهْل السُّنَّة، وَالمُخَالفُونَ غَافلونَ عَنْ هَذَا المَعْنَى وَجَاهلونَ بمَحَبَّتهمُ المُتَوَسِّطَة، اخْتَارُوا لأَنْفُسهمْ جَانب الإفْرَاط وَظَنُّوا وَرَاءَ الإِفْرَاط تَفْريطًا، وَحَكَمُوا بالخُرُوج وَزَعَمُوهُ مَذْهَب الخَوَارج وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ بَيْنَ الإِفْرَاط وَالتَّفْريط حَدًّا وَسَطًا هُوَ مَرْكَز الحَقّ وَمَوْطن الصِّدْق الذي صَار نَصيبًا لأَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ سَعْيهمْ.

وَالعَجَبُ أَنَّ أَهْل السُّنَّة هُمُ الذينَ قَتَلوا الخَوَارجَ وَاسْتَأْصَلوا أَعْدَاءَ أَهْل البَيْت، وَلَمْ يَكُنْ منَ الرِّفْضَة في ذَلكَ الوَقْت اسْمٌ وَلا رَسْمٌ، فَإنْ كَانَ لهُ حُكْم العَدَم وَكَأَنَّهُمْ تَصَوَّرُوا مُحبِّي أَهْل البَيْت بزَعْمهمُ الفَاسد رفْضَةً، وَتَخَيَّلوا أَهْل السُّنَّة بتلكَ العَلاقَة رَوَافضَ، يالها منْ مُعَامَلة عَجيبَة!! حَيْثُ يَعُدُّونَ أَهْل السُّنَّة أَحْيَانًا منَ الخَوَارجِ

---

(١) **حسن:** سنن الترمذي: ك: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ باب: ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ ح٣٩٥٤، وقال: حسن غريب.، أحمد في المسند: أول مسند المدنيين: مسند عبد الله بن مغفل.، المعجم الكبير للطبراني: مسند البصريين ك حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ٤٥٦/١٢ الحاكم في المستدرك.: ك: معرفة الصحابة ٧٣/٤ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير النعمان بن مرة وهو ثقة.(مجمع الزوائد ح ١٦٥١٨.) وفي ح ١٦٥٢٠ قال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصححيح غير أحمد بن حاتم وهو ثقة.

وقال السيوطي: إسناده حسن. الجامع الصغير ح١٤٤٢.

لِعَدَمِ إِفْرَاطِ الْمَحَبَّةِ، ويزعمونهم أَحْيَانًا رَوَافِضَ لِمَا يُحِسُّونَ فيهِمْ مِنْ نَفْسِ الْمَحَبَّةِ، وَلِهَذَا تَرَاهُمْ يَزْعُمُونَ مِنْ جَهَالَتِهِمُ الأَوْلِيَاءَ العِظَامَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ الذين يَذْكُرُونَ مَحَبَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَيُظْهِرُونَ حُبَّ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ: رَوَافِضَ، وَيَظُنُّونَ كَثِيرًا مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ مِنْ إِفْرَاطِ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ وَيُحَرِّضُونَ عَلَى تَعْظِيمِ الْخُلَفَاءِ الثَّلاثَةِ وَتَوْفِيرِهِمْ ــ: خَوَارِج ، فَآه أَلْفَ آهٍ مِنْ جَرَاءَتِهِمُ الغَيْرِ الْمُنَاسِبَةِ، أَعَاذَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ إِفْرَاطِ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ وَتَفْرِيطِهَا.

وَمِنْ إِفْرَاطِ الْمَحَبَّةِ اشْتَرَطُوا فِي تَحَقُّقِ مَحَبَّةِ عَلِيٍّ التَّبَرِّيَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الثَّلاثَةِ وَغَيْرِهِمْ.

يَنْبَغِي الإِنْصَافُ: مَا مَعْنَى الْمَحَبَّةِ التي يُشْتَرَطُ فِي حُصُولِهَا التَّبَرِّي مِنْ نُوَّابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَائِمِي مَقَامِهِ وَسَبِّ أَصْحَابِ خَيْرِ الْبَشَرِ وَطَعْنِهِمْ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَذَنْبُ أَهْلِ السُّنَّةِ إِنَّمَا هُوَ ضَمُّهُمْ الى مَحَبَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ تَوْقِيرَ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ ﷺ وَتَعْظِيمَهُمْ وَجَمْعَهُمْ إِيَّاهُمَا مَعًا بِحَيْثُ لاَ يَذْكُرُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِسُوءٍ مَعَ وُجُودِ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُخَالَفَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيُنَزِّهُونَهُمْ عَنِ الأَهْوَاءِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالتَّعَصُّبَاتِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ جِهَةِ تَعْظِيمِ صُحْبَةِ النَّبِيِّ وَتَكْرِيمِ مُصَاحِبِيهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُونَ لِلْمُحِقِّ مُحِقًّا وَلِلْمُبْطِلِ مُبْطِلا، وَلَكِنْ مَعَ تَنْزِيهِ بُطْلانِهِ مِنَ الْهَوَى⁽¹⁾ وَالْهَوَسِ وَإِحَالَتِهِ عَلَى الرَّأْيِ وَالاجْتِهَادِ.

وَإِنَّمَا يَرْضَى الرَّوَافِضُ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إِذَا هُمْ تَبَرَّوْا عَنْ سَائِرِ الأَصْحَابِ الْكِرَامِ مِثْلَهُمْ، وَأَسَاؤُا ظَنَّهُمْ بِهَؤُلاءِ الأَكَابِرِ، كَمَا أَنَّ رِضَاءَ الْخَوَارِجِ عَنْهُمْ مَرْبُوطٌ بِعَدَاوَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَمَنُوطٌ بِبُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ ــ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالْبَرَكَاتُ ــ {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}⁽²⁾.

وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ أَكَابِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ــ شَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ ــ فِي وَقْتِ مُنَازَعَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ثَلاثَ فِرَقٍ:

فِرْقَةٌ عَرَفُوا حَقِّيَّةَ جَانِبِ عَلِيٍّ بِالدَّلِيلِ وَالاجْتِهَادِ.

---

(١) **الهوى**: هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع، والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٧٢.

(٢) آل عمران: ٨

وَجَمَاعَةٌ أُخْرَى وَجَدُوا أَيْضًا بِالدَّلِيل وَالاجْتِهَاد حَقِّيَّةَ جَانِبٍ آخَرَ.

وَطَائفَة ثَالثَة كَانُوا مُتَوَقِّفِينَ لَمْ يُرَجِّحُوا جَانِبًا وَاحِد بِالدَّلِيل

فَلزمَت الطَّائفَةَ الأَوْلَى نُصْرَةُ جَانب عَليٍّ بِمُقْتَضَى اجْتهَادهِمْ.

وَلَزمَت الطَّائفَةَ الثَّانيَةَ نُصْرَةُ جَانب مُخَالفيه عَلَى مُؤَدَّى اجْتهَادهِمْ.

وَلَزمَ الطَّائفَةَ الثَّالثَةَ التَّوَقُّفُ وَكَانَ تَرْجِيحُ إِحْدَيْهِمَا عَلَى الأُخْرَى خَطَأً فِي حَقِّهِمْ.

فَعَمل كُل فِرْقَة مِنْ هَذه الفرَق الثَّلاث بِمُقْتَضَى اجْتهَادهمْ وَأَدَّوْا مَا هُوَ الوَاجبُ وَاللازمُ عَلى ذمَّتهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ للمَلامَة مَجَال فِيهِمْ؟! وَكَيْفَ يَكُونُ الطَّعْن مُنَاسبًا لَهُمْ؟!

وَقَال الإِمَام الشَّافعيُّ وَنُقل عَنْ عُمَرَ بْن عَبْد العَزيز أَيْضًا ـــ رَضيَ الله عَنْهمَا ـــ: " تلكَ دمَاءٌ طَهَّرَ الله عَنْهَا أَيْديَنَا فَلنُطَهِّرْ عَنْهَا أَلسنَتَنَا ".

وَيُفْهَمُ منْ هَذه العبَارَة أَنَّهُ لاَ يَنْبَغي تَحْريك الشَّفَتَيْنِ أَيْضًا بِحَقِّيَّةِ إِحْدَيْهِمَا وَتَخْطئَة الأُخْرَى، وَأَنْ لاَ يُذْكَرَ كُلهُمْ بغَيْر الخَيْر.

وَكَذَلكَ وَرَدَ في الحَديث النَّبَويِّ؛ حَيْثُ قَال النَبيُّ ـــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ " إِذَا ذُكرَ أَصْحَابي فَأَمْسكُوا "(١).

يَعْني: إِذَا ذُكرَ أَصْحَابي وَمُنَازعَاتُهُمْ فَامْتَنعُوا عَنْ ذَلكَ وَلا تَخْتَارُوا أَحَدَهُمْ عَلى الآخَر.

وَلكنْ جُمْهُورَ أَهْل السُّنَّة ذَاهبُونَ لَمَا ظَهَرَ لَهُمْ بدَليل إِلى أَنَّ الحَقَّ فِي جَانب عَليٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ وَمُخَالفُوهُ سَالكُونَ طَريقَ الخَطَأ، وَلكنْ لَمَّا كَانَ هَذَا الخَطَأُ خَطَأً اجْتهَاديًّا بَعُدَ عَنِ المُلائمَة وَالطَّعْنِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ التَّحْقير وَتَبَرَّأَ منَ التَّشْنيع،

---

(١) **حسن**: الطبراني: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن مسعود الهذلي.، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح٦١٥.، وقال الحافظ العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن.(تخريج أحاديث الإحياء.، ك: العلم.) وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف.(مجمع الزوائد: ك: القدر، ب: النهي عن الكلام في القدر ح١١٨٥٠)، وفي ح ١١٨٥١ قال: رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف،وبقية رجاله رجال الصحيح.

وَنُقل عَنْ عَليٍّ ﷺ أَنَّهُ قَال " إِخْوَانَنا بَغَوْا عَلَيْنَا لاَ هُمْ كُفَّارٌ وَلا فُسَّاقٌ؛ فَإِنَّ لَهُمْ تَأْوِيلا يَمْنَعُ عَنْهُمُ الكُفْرَ وَالفسْقَ "

فَأَهْل السُّنَّة وَالرَّافضَةُ كلاهُمَا يُخطِّئُونَ مُحَاربي عَليٍّ، وَكِلاهُمَا يَقُولونَ بحَقِّيَّة جَانبه، وَلكنْ لاَ يُجوِّزُ أَهْلَ السُّنَّة الزِّيَادَةَ عَلى إِطْلاق لفْظ الخَطإِ النَّاشئِ عَنِ التَّأْوِيل فِي حَقِّ مُحَاربيه، وَيَحْفَظُونَ اللسَانَ منْ طَعْنهمْ وَتَشْنيعهمْ، وَيُرَاعُونَ حَقَّ صُحْبَة خَيْرِ البَشَرِ ــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ قَال رَسُول الله ﷺ: " اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابي لاَ تَتَّخذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدي " وَكَرَّرَ لَفْظ الجَلالة للتَّأْكيد وَقَال أَيْضًا " أَصْحَابي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُم اهْتَدَيْتُمْ "(١)، وَوَرَدَ أَحَاديثُ أُخْرَى كَثيرَةٌ فِي بَاب تَعْظِيمِ الأَصْحَاب وَتَوْقيرهمْ أَجْمَعينَ؛ فَيَنْبَغي إِعْزَازُهُمْ وَتَكْرِيمُهُمْ جَميعًا وَحَمل زَلاتِهِمْ عَلى مُحَامل حَسَنَة، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْل السُّنَّة فِي هَذه المَسْأَلة.

وَالرَّوَافض يُغَالونَ فِي هَذَا البَاب حَتَّى يُكَفِّرُونَ مُحَاربى عَليٍّ وَيُلوِّثُونَ أَلسنَتَهُمْ بِأَنْوَاعِ الطَّعْنِ وَأَقْسَام الشَّتْم، فَإِنْ كَانَ المَقْصُودُ ظُهُورَ حَقِّيَّة جَانب عَليٍّ وَإِظْهَارَ خَطَإِ مُحَاربيه فَمَا اخْتَارَهُ أَهْل السُّنَّة كَاف فيه وَعَلى حَدِّ الاعْتدَال، وَالطَّعْنِ فِي أَكَابر الدِّين بَعيدٌ عَنِ الدِّيَانَة وَالتَّدَيُّن كَمَا اخْتَارَهُ الرَّافضَةُ وَزَعَمُوا شَتْمَ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ دينَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ، مَا أَقْبَحَهُ منْ دينٍ!! حَيْثُ إِنَّ جُزْءَهُ الأَعْظَمَ سَبُّ نُوَّابِ النَّبىِّ، وَشَتْمُ خُلفَائه عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

وَاخْتَارَ كُل وَاحدَة منْ طَوَائفَ المُبْتَدعَة بدْعَة وَامْتَازَ بهَا عَنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وَلكنَّ فُرْقَةَ الخَوَارِجِ وَالرَّوَافض منْ بَيْنَ جَميعِ هَؤُلاء الطَّوَائف بَعيدَةٌ عَنِ الحَقِّ وَالصَّوَاب جدًّا، فَإِذَا كَانَ سَبُّ أَكَابر الدِّين وَلعْنُهُمْ جُزْءًا أَعْظَمَ منْ إِيمَانِهِمْ، كَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ نَصيب منَ الحَقِّ؟!

وَافْتَرَقَت الرَّوَافض عَلى اثنتى عَشْرَةَ فُرْقَةَ كُلهمْ يُكَفِّرُونَ أَصْحَاب النَّبىِّ ﷺ وَيَعْتَقدُونَ سَبَّ الخُلفَاء الرَّاشدينَ عبَادَةً، وَهَذه الجَمَاعَةُ يَتَحَاشَوْنَ عَنْ إِطْلاق لفْظ الرَّفْضِ عَلى أَنْفُسهمْ وَيَزْعُمُونَ الرَّوَافضَ غَيْرَهُمْ؛ لَمَّا وَرَدَ فِي الأَحَاديث وَعيدٌ شَديدٌ فِي حَقِّ الرَّفْضَة، فَيَا لَيْتَهُمُ اجْتَنبُوا عَنْ مَعْنَى الرَّفْضَة أَيْضًا وَلَمْ يَبْرَءُوا عَنْ أَصْحَاب النَّبىِّ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) قال العجلوني: رواه البيهقي، و أسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم. وأورده القاري في شرح مسند أبي حنيفة بدون نسبة.

وَهُنُود بلاد الهِنْد يعني مَجُوسَهُمْ أَيْضًا يَقُولون لأَنْفُسهِمْ هُنُودًا وَيَتَحَاشَوْنَ عَنِ الكُفْرِ وَلاَ يَعْتَقِدُونَ أَنْفُسهمْ كُفَارًا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الكُفَّارَ هُمْ سُكَّانُ دَار الحَرْب، وَغَلطُوا فِي هَذَا الفَهْم، بَل كلا الصِّنْفَيْنِ كُفَّارٌ مُتَحَقِّقُونَ بِحَقِيقَة الكُفْرِ وَكَأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ أَهْلَ بَيْت النَبِيِّ ــ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ مِثْلهُمْ، وَتَخَيَّلوهُمْ أَيْضًا أَعْدَاء أَبي بَكْر وَعُمَر ــ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ــ وَهَذه الطَّائفَة يَظُنُّونَ أَكَابر أَهْل البَيْت بِحُكْمِ التُّقَاة التي يَزْعُمُونَهَا مُنَافقِينَ وَمُخَادعِينَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَليًّا ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ صَحِبَ الخُلَفَاءَ الرَّاشدينَ ثَلاَثِينَ سَنَةً بِحُكْمِ التُّقَاة صُحْبَةَ نفَاقٍ وَعَظَّمَهُمْ وَوَقَّرَهُمْ مِنْ غَيْر حَقٍّ وَاسْتحْقَاق، مَا أَحْسَنَ هَذه المُعَامَلَةَ وَمَا أَجْمَلَهَا!!

فَإِنْ كَانَتْ مَحَبَّةُ أَهْل بَيْت رَسُول الله بوَاسطَة مَحَبَّة رَسُول الله ــ صَلى اللهُ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ وَسَلمَ ــ: يَنْبَغي أَنْ يَكُونُوا أَيْضًا أَعْدَاءً لأَعْدَاء رَسُول الله ﷺ وَأَنْ يسُبُّوهُمْ وَيَلعَنُوهُمْ أَكْثَر مَنْ سَبِّ أَعْدَاء أَهْل البَيْت وَلعْنهمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ منْ أَحَد منْ هَذه الطَّائفَة أَنَّهُ سَبَّ أَبَا جَهْل وَلعَنَهُ مَعَ أَنَّهُ أَشَدُّ أَعْدَاء رَسُول الله ﷺ وَآذَاهُ ﷺ بأَنْوَاعِ الأَذيَّة وَالجَفَاء، وَلمْ يُحَرِّكْ أَحَدٌ منْهُمْ لسَانَهُ بذكْرِ مَسَاويه، وَأَبُو بَكْر الصِّدِّيقُ الذي هُوَ أَحَبُّ الرِّجَال إلى رَسُول الله ﷺ يَزْعُمُونَهُ بزَعْمهمُ الفَاسد عَدُوًّا لأَهْل البَيْت وَيُطيلونَ أَلسنَتَهُمْ بسَبِّه وَطَعْنه، وَيَنْسُبُونَ إليْه أُمُورًا غَيْرَ مُنَاسبَة به، فَأَيُّ تَدَيُّن هَذَا وَأَيُّ ديَانَة لاَ قَدَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ كَوْنَ أَبي بَكْر وَعُمَرَ وَسَائر الصَّحَابَة الكرَام أَعْدَاءً أَهْل بَيْت رَسُول الله ــ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ وَمُبْغضينَ وَمُعَادينَ لآل مُحَمَّد ﷺ.

وَليْتَ هَؤُلاء العَارِّينَ عَنْ لبَاس الإنْصَاف يَسبُّونَ أَعْدَاءَ أَهْل البَيْت منْ غَيْرِ تَعْيين أَسَاميِّ أَكَابرِ الصَّحَابَة ــ رضْوَان الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ ــ وَمنْ غَيْر إظْهَار سُوء ظَنٍّ بأَكَابرَ الدِّين؛ فَتَرْتَفعُ حينَئذ مُخَالفَتُهُمْ في هَذَا البَاب لأَهْل السُّنَّة؛ فَإنَّ أَهْل السُّنَّة أَيْضًا يُعَادُونَ أَعْدَاءَ أَهْل البَيْت وَيَقُولونَ بطَعْنهمْ وَتَشْنيعهمْ.

وَمنْ حُسْنِ أَهْل السُّنَّة أَنَّهُمْ لاَ يَقُولونَ لشَخْصٍ مُعَيَّنٍ مُبْتَلى مُتَلبِّسٍ بأَنْوَاعِ الكُفْر جَهَنَّميًا وَلا يُجَوِّزُونَ إطْلاَقَ اللعْنِ عَلَيْه لاحْتمَال إسْلامه وَتَوْبَته في آخر أَمْره وَإنَّمَا يُجَوِّزُونَ إطْلاق اللعْن عَلى الكَافرِينَ مُطْلقًا دُون تَعْيينُ شَخْصٍ مُتَّهَمٍ مَا لَمْ يَعْلَمْ سُوء خَاتمَته بدَليل قَطْعيٍّ وَالرَّوَافض يُعْلنُونَ أَبَا بَكْر وَعُمَر رَضيَ الله عَنْهُمَا بلا

تَحَاشٍ وَيَسُبُّونَ أَكَابِر الصَّحَابَة وَيَطْعَنُونَ فِيهِمْ مِنْ غَيْرِ اكْتِرَاث هَدَاهُمُ الله إِلَى سَوَاء الصِّرَاط.

وَفِي هَذَا المَبْحَث اخْتِلاف عَظِيم بَيْنَ أَهْل السُّنَّة وَبَيْنَ مُخَالِفِيهِمْ فِي مَقَامَيْنِ:

المَقَام الأَوَّل: هُوَ أَنْ أَهْل السُّنَّة قَائلينَ بحَقيَة خلافَة الخفَاء الأَرْبَع وَيَقُولونَ لكُل وَاحد منْ هَؤُلاء الأَرْبَع خَليفَة حَقًّا لأَنَّهُ قَدْ وَرَدَ في الحَديث الصَّحيح بطَريق الإخْبَار عَنِ المُغَيَّبَات: " الخلافَة بَعْدي ثَلاثُونَ سَنَةً " وَهَذه المُدَّة تَمَّتْ بخلافَة عَلى فبِمُقْتَضَى هَذَا الحَديث يَكُونُ كُل منَ الأَرْبَعَة خَليفَة وَيَكُونُ تَرْتيب الخلافَة عَلَى الحَقِّ وَالمُخَالفُونَ يُنْكرُونَ حَقيَة خلافَةَ الخُلفَاء الثَّلاثَة وَيَنْسُبُونَ خلافَتَهُمُ الى التَّعَصُّب وَالتَّغَلب لاَ يَعْتَقدُونَ أَحَدًا غَيْر عَلى إمَامًا عَلى الحَقِّ وَيَحْملونَ البَيْعَةَ الوَاقعَةَ منْ عَلى للخُلفَاء الثَّلاثَة عَلَى التُّقَاة وَيَظُنُّونَ الصُّحْبَة الوَاقعَة فيمَا بَيْنَ الأَصْحَاب الكرَام صُحْبَة نفَاق وَيَتَصَوَّرُونَ المُدَارَاة الكَائنَة فيهمْ مُخَادعَة؛ فَإنَّ موافقى عَلى قَدْ صَحبُوا في زَعْمَ هَؤُلاء الفرْقَةَ مَعَ مُخالفيه بحُكْمِ التُّقَاة صُحْبَة نفَاق وإظهروا بلسَانهمْ خلافَ مَا في قُلوبِهِمْ ومخالفوا عَلى لَمَّا كَانُوا في زَعْمَ هَؤُلاء الطَّائفَةَ أَعْدَاءَهُ وَأَعْدَاء مُوافقيه وَأَحْبَابه كَانُوا أَحْبَابًا لَهُمْ عَلى سَبيل النِّفَاق وَأَظْهرُوا المُعَادَاة في صُورَة المُوَالاة فَيَكُونُ جَميع أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ عَلى زَعْمهمُ الفَاسد مُنَافقينَ وَمُخَادعينَ وَمُظْهرينَ بظَوَاهرهمْ خلافَ مَا في بَوَاطنهمْ فَيَكُونُ شرَار هَذه الأُمَّة عنْدَ هَؤُلاء الفرْقَة هُمُ الأَصْحَابُ الكرَامُ وَيَكُونُ شَرّ الصُّحْبَات وَأَخْبَثها صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ حَيْثُ نَشَأَتْ منْهَا أَمْثَال هَذه الأَخْلاق الذَّميمَة وَيَكُونُ شَرّ القُرُون قَرَنَ الأَصْحَابُ لكَوْنه مملوأ منَ النِّفَاق وَالعَدَاوَة وَالبَغْضَاء وَالحَقِّ وَقَدْ قَال اللهُ في كَلامه المَجيد في حَقّهمْ {رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}(١) أَعَاذَنَا الله سُبْحَانَهُ منْ اعْتقَادَاتهمُ السُّوء فَإذَا جعَلوا سابقى هَذه الأُمَّة مُتَّصفينَ بهَذه الأَخْلاق الذَّميمَة فَكَيْفَ تُوجَدُ الخَيْريَّة في اللاحقينَ وَكَأَنَّ هَذه الطَّائفَةَ لَمْ يَرَوُا الآيَات القُرْآنيَّة وَالأَحَاديث النَّبَويَّة الوَاردَة في فَضْل صُحْبَةَ خَيْر البَشَر عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَفَضيلَة أَصْحَابه الكرَام وَخيَّرَة هَذه الأُمَّة أَوْ رَأَوْهَا وَلكنَّهُمْ لَمْ يُؤْمنُوا بهَا وَلَمْ يصَدِّقُوهَا وَإنَّمَا وَصَلَ القُرْآن وَالأَحَاديث إلَيْنَا بتَبْليغ الأَصْحَاب الكرَام فَإذَا كَانَ الأَصْحَاب مَطْعُونًا فيهمْ يَكُونُ الدِّين الوَاصل إلَيْنَا بوَاسطَتهمْ وَمنْ طُرُقهمْ أَيْضًا مَطْعُونًا فيه بالضَّرُورَة نَعُوذُ بالله منْ ذَلكَ.

---

(١) الفتح: ٢٩

وَلعَل مَقْصُود هَذهِ الطَّائفَةَ أَبْطَال الدِّينِ وَإِنْكَار شَرِيعَتهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

ففى ظَاهر الصُّورَة يُظْهِرُونَ مَحبَّةَ أَهْل بَيْت رَسُول اللهِ وَفِي الحَقيقَة يُبْطلونَ شَرِيعَته عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَليْتَهُمْ يَتْرُكُونَ عُليَا وَمُوَافَقيه مُسْلمًا فيهمْ وَلَمْ يَجْعَلوهُمْ مُتَّسمينَ بسمَة التُّقَاة التي هيَ منْ سمَة أَهْل المَكْرِ وَالنِّفَاق وَأَيّ خَيْر يَكُونُ في جَمَاعَة منْ موافقى عَلى أَوْ مُخَالفيه حَيْثُ صَحب بَعْضهمْ بَعْضًا ثَلاثِينَ سَنَةً بِالنِّفَاقِ وَعَاشَرُوا بالمَكْرِ وَالخدَاعِ وَكَيْفَ يَسْتَحقُّونَ الاعْتمَادَ عَلَيْهمْ

وَهَؤُلاءِ يَطْعَنُونَ في أَبي هُرَيْرَةَ(١) ﷺ وَلا يَعْلمُونَ أَنَّ فِي طَعْنه طَعْنًا في نصْف الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة وَذَلكَ أَنَّ العُلمَاءَ المُحقِّقينَ قَالوا وَرْد فِي الأَحْكَام ثَلاثَة آلاف حَديث يَعْني: ثَبَتَ ثَلاثَة آلاف حُكْم منَ الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة بالسُّنَّة وَثَبَتَ أَلف وَخَمْسمائَة منْهَا بروَايَة أَبي هُرَيْرَة فَيَكُونُ الطَّعْن فيه طَعَنَا فِي نصْف الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة وَقَالَ **الإِمَام البُخَارِيُّ** أَنْ رُوَاة أَبي هُرَيْرَة أَزيدُ منْ ثَمَانمائَة منَ الأَصْحَاب الكِرَامِ وَالتَّابِعِينَ العِظَامِ وَاحِد منْهُمْ ابْنُ عَبَّاس(٢) ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـــ وَرَوَى عَنْهُ

---

(١) ـــ **أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي**: على الراجح من اسمه، حافظ الصحابة على الإطلاق ووعاء السنة، اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو ثلاثين قولا، أرجحها عند الأكثر عبد الرحمن بن صَخر، مات سنة ٥٩ هـــ، وقيل: قبلها بسنة أو سنتين، قال الحاكم أبو أحمد بعد أن حكى الاختلاف في اسمه ببعض ما تقدم كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ وألزمهم له صحبة على شبع بطنه فكانت يده مع يده يدور معه حيث دار إلى أن مات، ولذلك كثر حديثه، وأخرج البخاري في صحيحه: ٣٤/٥فتح، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ قال: " يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءً مسكينا، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي ﷺ يوما: " لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا "، فبسطت نمرة ليس عليَّ ثوبٌ غيرها، حتى قضى النبي ﷺ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدثتكم شيئا أبدا: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات﴾ - إلى قوله -: ﴿ الرحيم ﴾، انظر: الإصابة: ٤٢٢/٧، التهذيب: ٤٧٩/٦، الكاشف للذهبي: ٣٨٥/٣.

(٢) ـــ **عبدالله بن عباس**: الصحابي الجليل عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي (أبو العباس) عم رسول الله ﷺ، ولد بمكة ونشأ بها في بدأ عصر النبوة، فلازم النبي ﷺ، وروى عنه الكثير من الأحاديث، له في الصحيحين ونغيرهما ١٦٦٠ حديثا.، قال فيه عبد اللهخ بن مسعود ﷺ نعم

ابْن عُمَر⁽¹⁾ أَيْضًا وَكَذَلِكَ جَابر بْن عَبَدَ اللهِ٢ وَأَنس بْن مَالك منْ رُوَاته وَالحَديث الذي يَنْقُلونَ عَنْ عَلى ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ في الطَّعْن في أَبي هُرَيْرَة ﷺ بال فَهم مَعْرُوف بَيْنَ العُلمَاء قَال أَبُو هُرَيْرَة ﷺ حَضَرَتْ مُجَالسًا لرَسُول الله ﷺ، فَقَال: " مَنْ يَبْسُطُ منْكُمْ رداءَهُ حَتَّى أُفيضَ فيه مقالتي فَيَضُمُّهَا إلَيْه ثُمَّ لاَ يَنْسَاهَا؟! " فَبسَطَتْ بُرْدَةً كَانَتْ عَلى فَأَفَاضَ رَسُول الله ﷺ مَقَالتَهُ فَضَمَمْتُهَا إلى صدرى فَمَا نُسبتْ بَعْدَ ذَلكَ شَيْئًا ".

فَاعْتقَاد شَخْص عَظيم منْ أَكَابرَ الدِّين عَدُوًّا لعُلى بمُجَرَّد الزَّعْم وَتَجْويز السَّبّ وَالطَّعْن وَاللعْن في حَقِّه بَعيد عَن الإنْصَاف وَهَذه كُلهَا منْ آفَات إفْرَاط المَحَبَّة حَتَّى كَادُوا يَخْرُجُونَ رؤسهم منْ ربْقَة الإيمَان فَلئنْ جَوَّزَت التُّقَاة فَرْضًا في حَقّ عَلى ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ فَمَاذَا يَقُولونَ في أَقْوَاله التي نُقلَتْ عَنْهُ بالتَّوَاتُر في أَفْضَليَّة للشَّيْخَيْنِ وَكَذَلكَ في كَلمَاته القُدُسيَّة التي صَدَرَتْ عَنْهُ في عَيْن خلافَته وكُرْسيّ مَمْلكته في حَقيَة خلافَة الخلفَاء الثَّلاثَة؛ فَإنَّ التُّقَاةَ إنَّمَا تَكُونُ بستْر حَقيَة خلافَته وَعَدَم إظْهَار بُطْلان خلافَة الخُلفَاء الثَّلاثَة وَأَمَّا إظْهَار حَقيَة خلافَة الخُلفَاء الثَّلاثَة وَبَيَان أَفْضَليَّة للشَّيْخَيْن فَأَمْر عَلى حدَة وَرَاءَ تلكَ التُّقَاة مَحْمَل لهُ غَيْر الصِّدْق وَالصَّوَاب لاَ يُتَصوَّرُ رَفْعَهَا بالتُّقَاة وَأَيْضًا قَدْ وَرَدَت الأَحَاديثُ الصَّحيحَةُ في فَضَائل الخُلفَاء الثَّلاثَة وَغَيْرهمْ وَبَلغَتْ حَدّ الشُّهْرَة، بَل حَدّ التَّوَاتُر في المَعْنَى وَبَشَّرَتْ جَمَاعَة منْهُمْ بالجَنَّة فَمَاذَا يَقُولونَ في هَذه الأَحَاديث؛ فَإنَّ التُّقَاةَ تَجُوزُ في حَقّ النَبيّ ـــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ فَإنَّ التَّبْليغَ لازمٌ للأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَأَيْضًا قَدْ نَزَلتْ في هَذَا البَاب آيات قُرْآنيَّة وَلا يُتَصَوَّرُ فيهَا التُّقَاةُ رزقهمُ اللهُ سُبْحَانَهُ الإنْصَاف.

ترجمان القرآن بن عباس.، وينسب إليه كتاب في تفسير القرآن جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية. توفي ﷺ سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م. الأعلام ٤/٩٥.

(١) ـــ **عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي**: أبو عبد الرحمن، الصحابي الجليل، نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه، ووشهد فتح مكة، ولما قتل عثمان ﷺ عرض عليه نفر من أهل مكة أن يبايعوه بالخلافة فأبى، روى عن النبي ﷺ ٢٦٣٠ حديث، توفس سنة ٧٣هـ وكان آخر من توفي بالمدينة من الصحابة ﷺ. انظر: الأعلام ٤/١٠٨.

(٢) ـــ **جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي**: الصحابي الجليل، كان من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة، وكان له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. توفي ﷺ سنة ٧٨هـ.الأ علام ٢/١٠٤.

وَمَعْلوم عِنْدَ أَرْبَاب العُقُول أَنَّ التُّقَاةَ مِنْ صِفَات الجَبَان فَنِسْبَتُهَا إِلى أَسَد الله غَيْر مُنَاسِبَة وَإِنْ جَوَّزَت التُّقَاة بِحُكْمِ البَشَرِيَّة سَاعَة أَوْ سَاعَتَيْنِ وَيَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ فَلَهُ مَسَاغٌ وَمَجَال وَأَمَّا إِثْبَاتُهَا لأَسَد الله مُدَّةَ ثَلَثِيْنِ سَنَة وَالقَوْل بِإِصْرَاره عَلى التُّقَاة فِي تِلكَ المُدَّة فَمُسْتَكْرِه جِدًّا وَقَدْ قَال العُلَمَاء الإِصْرَار عَلى الصَّغِيرَة كَبِيرَة فَمَا يَكُونُ حُكْم الإِصْرَار عَلى صِفَةٍ مِنْ صِفَات أَرْبَاب الشِّقَاق وَالنِّفَاق يَا لَيْتَهُمْ يَفْهَمُونَ قَبَاحَةَ هَذَا الأَمْر.

وَهُمْ إِنَّمَا هَرَبُوا مِنْ تَقْدِيم الشَّيْخَيْنِ لِكَوْنه مُسْتَلزِمًا لإِهَانَة عَلى وَتَنْقِيصه يَعْنِي: فِي زَعْمِهِمُ الفَاسِد وَاخْتَارُوا إِثْبَات التُّقَاة لَهُ وَلَمْ يَفْهَمُوا شَنَاعَة هَذِه الصِّفَة فَلَوْ فَهِمُوا شَنَاعَتَهَا لَمَا جَوَّزُوهَا لَهُ أَصْلًا وَلاخْتَارُوا أَهْوَنَ الأَمْرَيْنِ.

بَل أَقُول: لاَ إِهَانَةَ لِعُلى فِي تَقْدِيم الشَّيْخَيْنِ؛ فَإِنَّ حَقِيَة خِلافَتَهُ بَاقِيَة عَلى حَالِهَا وَدَرَجَة وِلايَته وَرُتْبَة هِدَايَته وَمَنْزِلة إِرْشَاده أَيْضًا بَاقِيَة عَلى مَا هِيَ عَلَيْهَا وَفِي إِثْبَات التُّقَاة يَلزَمُ التَّنْقِيص وَالتَّوْهِين لِكَوْنِهَا مِنْ خَصَائِص أَرْبَاب النِّفَاق وَلَوَازِم أَصْحَاب المَكْر وَالخِدَاع.

وَالمَقَام الثَّانِي: هُوَ أَنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ الله سَعْيَهُمْ يَحْمِلُونَ مُشَاجَرَات أَصْحَاب خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَمُنَازَعَاتِهِمْ عَلى مَحْمَل حَسَنَة وَيَعْتَقِدُونَهَا بَعِيدَة عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّب؛ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ صَارَتْ مُزَكَّاة فِي صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَسَاحَة صُدُورِهِمْ طَاهِرَة نَظِيفَة مِنَ العَدَاوَة وَالغِل وَالحِقْد غَايَة مَا فِي البَاب أَنَّهُ لَمَّا كَانَ لِكُل وَاحِد مِنْهُمْ رَأْيًا وَاجْتِهَادًا وَكَانَ العَمَل لِكُل مُجْتَهِد عَلى وَفْق اجْتِهَاده وَاجِبًا لَزِمَتِ المُشَاجَرَةُ وَالمُخَالفَةُ فِي بَعْض الأُمُور بِسَبَب مُخَالفَة الآرَاء بِالضَّرُورَة وَكَانَ أَتْبَاع كُل مِنْهُمْ رَأَى نَفْسه صَوَاب فَكَانَتْ مُخَالفَتهمْ مِثْل مُوَافَقَتِهِمْ لأَجْل الحَقِّ لاَ لِلهَوَى وَالهَوَس وَاتِّبَاع النَّفْس الأَمَّارَة.

وَالرَّوَافِض يَكْفُرُونَ مُخَالفِي عَلِيٍّ وَمُحَارِبِيه وَيُجَوِّزُونَ فِي حَقِّهِمْ أَنْوَاع الطَّعْن وَالتَّشْنِيع، فَإِذَا صَدَرَتْ مُخَالفَة الأَصْحَاب الكِرَام لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْض الأُمُور الاجْتِهَادِيَّة وَحَكَمَهُمْ بِخِلاف حُكْمه ــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَلَمْ تَكُنْ مُخَالفَتهمْ هَذِه مَذْمُومَة وَلَمْ يَكُونُوا مَلُومِينَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَجِئْ مَنْعهمْ عَنْهَا مَعَ وُجُود نُزُول الوَحَى فِي ذَلكَ الوَقْت فَكَيْفَ تَكُونُ مُخَالفَتهم لِعُلى فِي الأُمُور الاجْتِهَادِيَّة

كُفْر وَلَمْ يَكُونُ الْمُخَالفُونَ مَطْعُونًا فِيهِمْ وَمَلُومِينَ كَيْفَ؛ فَإِنَّ الْمُخَالفِينَ جَمّ غَفير مِنْ أَهْل الإِسْلام وَمِنْ أَجلة الأَصْحَاب الكِرَام وَبَعْض مِنْهُمْ مُبَشّر بالجَنَّة وَلَيْسَ تَكْفيرُهُمْ وَتَشْنيعُهُمْ أَمْرًا يَسيرًا كَبُرَتْ كَلمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاههِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَادُوا يَكُونُونَ هُمُ الذينَ بَلغُوا قَرِيبًا مِنْ نصْف الدِّين وَالشَّرِيعَة فَإِذَا كَانُوا مَطْعُونًا فيهِمْ يَزُول الاعْتِمَادُ عَنْ شَطْر الدِّين؛ كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلاء الأَكَابر مَطْعُونًا فيهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَرُدَّ أَحَدٌ رِوَايَة أَحَد مِنْهُمْ أَصْلا، لاَ عليّ وَلا غَيْرُهُ.

وَأَيْضًا إِنَّ صَحيح البُخَاريُّ أَصَحّ الكُتُب بَعْدَ كتَاب الله تَعَالى وَيَعْتَرِفُ به الشِّيعَة أَيْضًا وَسَمعَ هَذَا الفَقير أَحْمَد التبتي الذي كَانَ مِنْ أَكَابرَ الشِّيعَة بقَوْل إِنَّ كتَاب البُخَاريُّ أَصَحّ الكُتُب بَعْدَ كتَاب الله وَفيه رِوَايَاتٌ مِنْ موافقى عَلى وَرِوَايَات مِنْ مُخَالفيه وَلَمْ يُجْعَل الرُّجْحَان وَعَدَمه مَبْنيًّا عَلَى المُوَافَقَة وَالمُخَالفَة فكَمَا أَنَّهُ يُرْوَى عَنْ عَليٍّ يَرْوي عَنْ مُعَاوِيَة(١) فَلوْ كَانَ في مُعَاوِيَة وَفي رِوَايَتهُ شَائبَة الطَّعْن لَمَا أَدْرَجَ رِوَايَته في كتَابه أَصْلا وَكَذَلكَ لَمْ يُفَرِّقْ بهَذَا الوَجْه في رِوَايَة الحَديث أَحَد مِنْ نُقَّاد الأَحَاديث مِنَ السَّلف وَلَمْ يَجْعَل مُخَالفَةً عَلى مَنْشَأً للطَّعْن.

وَمِمَّا يَنْبَغي أَنْ يُعلَم أَنَّهُ لاَ يُلزِمُ أَنْ يَكُونَ عَليٌّ ﵁ مَحقًا في جَميع الأُمُور الخلافيَّة وَلا يَقْطَعُ به وَأَنْ يَكُونَ مُخَالفُوهُ عَلى الخَطَّاء إِنْ كَانَ الحَقّ في أَمْر المُحَارِبَة في جَانبه؛ فَإِنَّ عُلمَاءَ الصَّدْر الأَوَّل مِنَ التَّابعينَ وَالأَئمَّة المُجْتَهدينَ اخْتَارُوا مَذْهَبَ غَيْره في كَثير مِنَ الأَحْكَام الخلافيَّة وَلَمْ يَحْكُمُوا بمَذْهَبه فَإِنْ كَانَ الحَقّ مُتَعَيِّنًا في جَانبه لَمَا كَانُوا يَحْكُمُونَ بخلافه وَكَانَ القَاضي شُرَيْح(٢) مِنَ التَّابعينَ وَصَاحب

---

(١) ــ **معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي:** الصحابي الجليل، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحا حليما وقورا، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها سنة ٨هـ، وتعلم الكتابة والحساب فجعله النبي ﷺ في كتابه، ولما ولي أبي بكر ﵁ ولاه قيادة جيش فكان تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان، فكان على مقدمته في فتح صيدا وعرقة وجبيل وبيروت، ولما ولي عمر جعله واليا على الأردن، ورأى فيه حزما وعزما فولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد أخيه.، وتولى الخلافة سنة ٤١هـ وتوفي سنة ٦٠هـ ﵁. أسد الغابة، الأعلام ٢٦١/٧.

(٢) ــ **القاضي شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي أبو أمية:** من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، وولي قضاء الكوفة في زمن عمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية - رضي الله عنهم واستعفى في أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧هـ، وكان ثقة في الحديث مأمونا في القضاء، له باع في الأدب والشعر، وعاش طويلا، ومات بالكوفة سنة ٧٨هـ ٦٩٧ م. شذرات الذهب ٨٥/١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٩٠/٦، وفيات الأعيان ٢٢٤/١، الأعلام للزركلي ١٦١/٣.

اجْتِهَاد وَلَمْ يَحْكُمْ بِمَذْهَب عَلِيٍّ لَمْ يَقْبَل شَهَادَةَ ابْنِه الحَسَن(١) ـــ عَلَيْهِمَا الرِّضْوَانُ ـــ لَهُ بِوَاسِطَة نِسْبَةِ البُنُوَّة وَعَمِل الْمُجْتَهِدُونَ بِقَول شُرَيْح وَأَخَذُوا بِه وَلَمْ يُجَوِّزُوا شَهَادَةَ الابْنِ للأَبِ وَاخْتِيَار الأَقْوَال التي تَخَالفَ رَأْى عَلى ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ كَثِير فِي مَسَائِل أُخْرَى أَيْضًا لاَ يَخْفَى عَلى الْمُتَتَبِّعِ الْمُنْصِفِ وَتَفْصِيله يُسْتَدْعَى تَطْوِيلا فَلا يَكُونُ فِي مُخَالفَة عَلى ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ مَجَال للاعْتِرَاضِ وَلا يَكُونُ مُخَالفُوهُ مَطْعُونًا فِيهِمْ وَمَلومِينَ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ(٢) الصِّدِّيقَة ـــ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهَا ـــ حَبِيبَةُ حَبِيب رَبِّ العَالمِينَ وَمَقْبُولته وَمَنْظُورَة إليْه ﷺ إلى شَفير اللحْد وَكَانَ ﷺ مُقِيمًا فِي حُجْرَتهَا فِي مَرَض مَوْته وَوَجْهُهُ الشَّرِيفُ فِي حِجْرِهَا، وَبَيْنَ سَحْرِهَا وَنَحْرِهَا، وَدُفِنَ فِي حُجْرَتِها الْمُطَهَّرَة وَمَعَ ذَلكَ الشَّرَف كُله كَانَت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَالِمَة وَمُجْتَهِدَة وَأَحَال النَبيّ ﷺ.

بَيَان شَطْر الدِّيْن عَلَيْهَا وَرَجَعَ الأَصْحَاب الكِرَام فِي مُشْكِلات الأَحْكَامِ إِلَيْهَا وَوَجَدُوا حَل الْمُغْلَقَات مِنْهَا فَالطَّعْن فِي مِثْل هَذه للصِّدِّيقَة الْمُجْتَهِدَة بِوَاسِطَة مُخَالفَة عَلى وَنِسْبَة الأَشْيَاء الغَيْر اللائقَة إِلَيْهَا غَيْر مُنَاسبَة جدًّا وَبَعِيدَة عَن الإِيمَان بالنَبيّ ﷺ فَإِنْ كَانَ عَلِيٌّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ خَتَنَهُ وَابْنَ عَمِّه فَالصِّدِّيقَةُ زَوْجَتُهُ الْمُطَهَّرَةُ وَحَبِيبَتُهُ الْمَقْبُولةُ عَلَيْهِ وَعَلى جَمِيعِ أَهْل بَيْتِه عليه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

---

(١) ـــ **الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي**: أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهو أكبر أولادها وأولهم، كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة، حج عشرين حجة ماشيا، بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان فأطاعهم، وزحف بمن معه، وبلغ معاوية الخبر فقصده بجيشه وتقارب الجيشان فهال الحسن أن يقتتل المسلمون، فكتب إلى معاوية يشترط شروطا للصلح، ورضي معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان في بيت المقدس سنة ٤١هـ، وسمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين فيه. وانصرف الحسن ﷺ إلى المدينة، وأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٠هـ.

(٢) ـــ **أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق**: أحب أزواج رسول الله ﷺ إلى نفسه، الصديقة بنت الصديق، أمها أم رومان بنت عامر، خطبها رسول الله ﷺ بمكة، وبنى عليها في شوال سنة ثنتين من الهجرة، كناها النبي ﷺ بعبد الله بن الزبير، كانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين، ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة.

انظر: ابن حجر: الإصابة: ٨/٣٢٨-٣٢٩.

وَكَانَ دَأْب الفَقير قَبْل هَذَا بسنينَ إذَا طَبَخَ طَعَام كُنْت أَجْعَل حِصَّةً مِنْهُ مَخْصُوصَة برُوحَانيَّات أَهْل العَبَاء نَبيِّنَا ﷺ وَعَليٌّ وَفَاطمَة⁽¹⁾ وَالإمَامَيْنِ يَعْني: السِّبْطَيْنِ⁽²⁾ رِضْوَان الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ فَرَأَيْت النَبيّ صَلى ألهُ عَلَيْه وَسَلمَ في المَنَام فَسَلمَتْ عَلَيْه وَهُوَ ﷺ لا يَكُونُ مُتَوَجِّهًا إلى الفَقير، بَل يَتَوَجَّهُ إلى جَانب آخرَ وَقَال في تلكَ الأَثْنَاء للفَقير أَنَا آكل الطَّعَام في بَيْت عَائشَة فَكُل مَنْ يُرْسل الطَّعَامَ إلى فَلْيُرْسلهُ إلى بَيْت عَائشَة فَتَيَقَّنَ الفَقير في ذَلكَ الوَقْت أَنَّ سَبَبَ عَدَم تَوَجُّهه الشَّريفَ هُوَ عَدَمٌ تَشْريك الصِّدِّيقة في الطَّعَام فَبَعْدَ ذَلكَ كُنْت أَجْعَل للصَّديقَة، بَل سَائر الأَزْوَاج المُطَهَّرَات التي كُلهنَّ منْ أَهْل البَيْت شُرَكَاء في الطَّعَام وَكُنْت أَتَوَسَّل بجَميع أَهْل البَيْت فَالجَفَاء وَالإيذَاء اللذَان يُصيبَان النَبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ منْ جهَة للصَّديقَة أَزيدُ منَ الجَفَاء وَالإيذَاء اللذَيْن يُصيبَانه ﷺ منْ جهَة عَليٌّ، وَهَذَا المَعْنَى غَيْر مُخْفَى عَلى العَقْلاء أَصْحَاب الإنْصَاف.

نَعَـــــمْ: إنَّ هَذَا عَلى تَقْدير كَوْن مَحَبَّة عَليٌّ وَتَعْظيمه بوَاسطَة مَحَبَّة الرَّسُول وَتَعْظيمه عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بوَاسطَة قَرَابَته ﷺ.

وَأَمَّا مَنْ اخْتَارَ مَحَبَّةَ عَليٍّ اسْتقْلالا وَلَمْ يَجْعَل لحُبٍّ النَبيّ فيهَا مَدْخَلا فَهُوَ خَارجٌ عَنِ المَبْحَث وَغَيْر قَابل للمُخَاطَبَة غَرَضه إبْطَال الدِّين وَهَدْم الشَّريعَة يُريدُ أَنْ يَتَّخذَ سَبيلا بدُون تَوَسُّط النَبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَيَرْغَبُ عَنْ مُحَمَّد في عَلى وَهُوَ مَحْضُ الكُفْر وَعَيْن للزَّنْدَقَة وَعَلى ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ بَرئٌ منْهُ وَمُتَأَذٍّ منْ صَنيعه؛ فَإنَّ حُبَّ أَصْحَابه وَأَخْتَانُهُ ﷺ بوَاسطَة حُبِّه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَتَعْظيمهمْ وَتَكْريمهمْ بوَاسطَة تَعْظيمه وَتَكْريمه ﷺ قَالَ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبحُبى أَحَبُّهُمْ " وَكَذَلكَ مَنَّ كَانَ مُبْغَضًا إيَّاهُمْ؛ فَإنَّمَا يَكُونُ ذَلكَ ببُغْضه ﷺ كَمَا قَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " وَمَنْ أَبْغَضُهُمْ فببغضى أُبْغضُهُمْ " يَعْني: أَنَّ

---

(١) ـــ **السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله محمد ﷺ**: بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ز، أمها السيدة خديجة بنت خويلد، من نابمات قريش، وإحدى الفصيحات العاقلات، تزوجها علي بن أبي طالب ﷺ في الثامنة عشر من عمرها، وولدت الحسن والحسين وأم كاثوم وزينب رضي الله عنهم جميعا عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر. مناقبها كثيرة رضي الله عنها – وللسيوطي كتاب في ذلك سماه " الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة ". توفيت ﷺ سنة ١١هـــ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٢٠٠، تمذيب التهذيب ١٢/٤٤٣، الأعلام للزركلي ٥/١٢٢.

(٢) ـــ سيدنا الإمام الحسن، وسيدنا الإمام الحسين – سبطا رسول الله ﷺ رضي الله عنهما.

المَحَبَّةَ التي تَتَعَلَقُ بأَصْحَابي عَيْن المَحَبَّة التي تَتَعَلَقُ بى وَكَذَلكَ بَغَضَهُمْ هُوَ عَيْن البُغْض الذي يَتَعَلَقُ بى.

وَطَلحَةَ(١) وَزُبَيْر(٢) رَضيَ الله عَنْهُمَا منْ كبَار الأَصْحَاب وَمنَ العشْرَة المُبَشَّرَة بالجَنَّة فَالطَّعْن فيَعُمَّا وَتَشْنيعهمَا غَيْر مُنَاسب وَلعْنهمَا وَطَرْدهمَا عَائدَان إلى اللاعن وَالطَّارد وَهُمَا اللذَان جَعَلَهُمَا الفَارُوقُ منَ السِّتَّة التي تُرْك الخلافَة شُورَى بَيْنهمْ لَمَا لَمْ يُجَدِّدُ ليْلا وَاضحًا لتَرْجيح بَعْضهمْ عَلَى بَعْضٍ فَتَرَكَا نَصيبَ الخلافَة عَنْ أَنْفُسهمَا باخْتيَارهمَا وَقَال كُل منْهُمَا تَرَكَتْ حُظَى وَطَلحَة هُوَ الذي قَتَل اباه بوَاسطَة صُدُور سُوء أَدَب عَنْهُ في حَقّه ﷺ وَجَاءَهُ برَأْسه وَوَرْد ثَنَاؤُهُ عَلَى فعْله هَذَا في القُرْآن المَجيد وَالزَّبير هُوَ الذي أَخْبَرَ المُخبَر الصَّادق عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بكَوْن قَاتله في جَهَنَّم حَيْثُ قَال ﷺ " قَاتل الزُّبَيْر في جَهَنَّم "(٣).

وَلعَنَ الزُّبَيْر لَيْسَ بَادُونَ مَنْ قَتَلهُ فَلا عَنْهُ وَقَاتَلهُ مُتَسَاويَان فَالحَذَر ثُمَّ الحَذَر ثُمَّ الحَذَر منَ الطَّعْن في أَكَابر الدِّين وَذَمَّ كُبَرَاءَ الإسْلامَ الذينَ بَذَلوا جُهْدَهُمْ في إعْلاء كَلمَة الإسْلام وَنُصْرَة سَيِّد الأَنَام وَأَنْفَقُوا أَموَالهُمْ لتَأْييد الدِّين باللَيْل وَالنَّهَار وَفي السِّرّ وَالجهَار وَتَرَكُوا لحُبِّ الرَّسُول عَشَائرهمْ وَقَبَائلهمْ وَأَوْلادهمْ وَأَزْوَاجهمْ

---

(١) ــ هو الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، كان من دهاة قريش ومن علمائهم، ويقال له " طلحة الجود " و " طلحة الخير " و "طلحة الفياض " وكل ذلك لقبه به رسول الله ﷺ فيلا مناسبات مختلفة، ودعاه مرة " الصبيح الفصيح المليح " شهد أحدا وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت؛ وأصيب في ذلك اليوم بأربعة وعشرين جرحا، وسلم فشهد الخندق والمشاهد بعدها، و لم يكن يدع أحدا من بني تميم عائلا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة – رضي الله عنها ودفن بالبصرة ﷺ. الطبقات لابن سعد ١٥٢/٣. صفة الصفوة ١٣٠/١. الأعلام ٢٢٩/٣.

(٢) ــ **الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشي**: أبو عبد الله، الصحابي الجليل، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفه في الإسلام، وهو ابن عمة النبي ﷺ، أسلم وله ١٢ سنة، وشهد بدراً وأحداً وغيرهما، وقالوا: " كان صدر الزبير بن العوام أ مثال العيون من الطعن والرمي "، وجعله عمر ﷺ فيمن يصلح للخلافة من بعده.، كان طويلا جدا إذا ركب تخط رجلاه الارض، خفيف اللحية، أسمر اللون، كثير الشعر. استشهد يوم الجمل ﷺ. صفة الصفوة ١٣٢/١، حلية الأولياء ٨٩/١، الأعلام ٤٣/٣.

(٣) **إسناده صحيح**:أحمد في المسند:مسند علي بن أبي طالب.، موقوفا عليه، وقال الحافظ ابن حجر: رواه أحمد وغيره من طريق زر بن حبيش عن علي بإسناد صحيح

وَأَوْطَانَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ وَعُيُونَهُمْ وزروعهم وَأَشْجَارَهُمْ وَأَنْهَارَهُمْ وَآثَرُوا نَفْسَ الرَّسُول عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَاخْتَارُوا مَحَبَّتَهُ عَلى مَحَبَّتِهِمْ وَمَحَبَّةِ أَمْوَالِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَهُمُ الذينَ نَالوا شَرَفَ الصُّحْبَةِ وَفَازُوا فِي صُحْبَتِه بِبَرَكَاتِ النُّبُوَّةِ وَشَاهَدُوا الوَحْى يعى نُزُوله وَتَشَرَّفُوا بِحُضُورِ المَلك وَرَأَوُا الخَوَارِق وَالعُجُزَات حَتَّى صَارَ غَيْبُهُمْ شَهَادَة وَعلمهمْ عَيْنًا وَأَعْطَوْا مِنَ اليَقِينِ مَا لاَ يُعْطَى أَحَد مِنْ بَعْدهِمْ حَتَّى لاَ يَبْلغَ إِنْفَاق غَيْرِهِمْ مثْل أَحَد ذَهَبًا وأنفاقهم مَدّ شَعير وَلا نَصيفَةَ وَهُمُ الذينَ أَثْنَى الله تَعَالى عَلَيْهِمْ فِي القُرْآن المَجيد وَرضَى عَنْهُمْ وَهُمْ رَضُوا عَنْهُ ذَلكَ {مثْلهمْ فِي التَّوْرَاة وَمَثَلهمْ فِي الإِنْجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجُ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلى سُوقه يُعْجَبُ الزُّرَّاعِ ليَغيظَ بهمُ الكُفَّار}⁽¹⁾ سُمِّيَ الله الغَائظَ بِهِمْ كُفَّارًا فَلْيُحَذِّرْ عَنْ غَيْظهمْ كَمَا يُحَذِّرُ عَنِ الكُفْرِ وَاللهُ المُوَفِّقُ.

وَالجَمَاعَة الذينَ صَحَّحُوا مثْل هَذه النِّسْبَة بِرَسُول الله ﷺ وَصَارُوا مَقْبُولينَ لدَيْه وَمَنْظُورَيْن إِلَيْه ﷺ إِذَا خَالَفَ بَعْضهمْ بَعْضًا فِي بَعْض الأُمُورِ وَتَشَاجَرُوا وَعَملوا بمَا أَدَّى غَليه رَأْيهمْ وَاجْتهَادهمْ لاَ يَكُونُ مَجَال للطَّعْنِ فيمَ وَلا للإعتراض عَلى صَنيعهمْ، بَل الحَقّ وَالصَّوَاب فِي ذَلكَ المَوْطن هُوَ عَيْن الاخْتلاف وَعَدَم تَقْليد رَأى غَيْره أَلا تَرَى أَنَّ تَقْليدَ الإِمَام أَبي يُوسُف أَبَا حَنيفَة رَضيَ الله عَنْهُمَا بَعْدَ وُصُوله إِلى دَرَجَة الاجْتهَاد خَطَأ وَالصَّوَاب إِنَّمَا هُوَ تَقْليدُ رَأى نَفْسه حَتَّى إِنَّ الإِمَامَ الشَّافعيَّ رضي الله عنه لاَ يُقَدِّمُ قَوْل صحابى أى صحابى كَانَ سَوَاء كَانَ صَديقًا أَوْ عَليًا عَلى رَأْيه، بَل يَرَى الصَّوَابَ فِي العَمَل برَأْيه وَإِنْ كَانَ مُخَالفًا لقَوْل صحابى فَإِذَا كَانَ لُمجْتَهد منَ الأُمَّة غَيْر صحابى مَجَال فِي مُخَالفَة آرَاءِ الأَصْحَاب كَيْفَ يَكُونُ الأَصْحَاب مَطْعُونًا فيهمْ إِذَا خَالفَ بَعْضهمْ بَعْضًا.

مَعَ أَنَا نَقُول أَنَّ الأَصْحَاب الكرَام قَدْ خَالفُوا فِي الأُمُور الاجْتهَاديَّة رَأى رَسُول الله ﷺ وَلَمْ يَرُدْ الذَّمّ عَلى خلافهمْ ذَلكَ مَعَ وُجُود نُزُول الوَحى وَلَمْ يَرِدْ المَنْع عَنْ اخْتلافهمْ ذَلكَ كَمَا مَرَّ فَإِنْ كَانَ اخْتلافهمْ ذَلكَ غَيْر مَرْضَى وَغَيْر مَقْبُول عنْدَ الحَقِّ جَل شَأْنُهُ لكَانَ يَرِدُ المَنْع عَنْهُ وَيَنْزِل الوَعيد عَلى المُخَالفينَ أَلا تَرَى كَيْفَ جَاءَ المَنْع مَنْ رَفْعِ الصَّوْت حينَ رَفْعِ جَمَاعَة أَصْوَاتَهُمْ فَوْقَ صَوْت النَّبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَتَرَتَّبَ عَلَيْه الوَعيدُ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ

---

(١) الفتح:٢٩

تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ}(١) الآيَة وَقَعَ فِي أَسَارَى بِدُرٍ اخْتِلاف عَظِيم حَيْثُ حَكَمَ عُمَر الفَارُوق وَسَعْد بْن مُعَاذ بِقَتْلِ الأَسَارَى وَحَكَم الآخَرُونَ بِالتَّخْلِيصِ وَالفِدْيَة وَكَانَ الرَّأْي المَقْبُول عِنْدَهُ ﷺ الحَكَم بِالتَّخْلِيصِ وَالفِدْيَة وَسَائِر مَوَاضِعِ الاخْتِلافَات كَثِيرَة.

وَمِنْ هَذَا القَبِيل اخْتِلافهمْ فِي إِتْيَان القِرْطَاس وَمَنْعه الآخَرُونَ وَكَانَ الفَارُوق مِنَ الذينَ لَمْ يَرْضَوْا بِإِتْيَان القِرْطَاس وَقَال حَسْبنَا كِتَاب الله، فَأَكَبَّ الطَّاعِنُونَ مِنْ هَذه الجِهَة عَلى الفَارُوق وَأَطَالوا لِسَان الطَّعْن وَالشَّنِيع عَلَيْه وَلَيْسَ هَذَا فِي الحَقِيقَة مَحَلا لِلطَّعْنِ فَإِنَّ الفَارُوقَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ زَمَان الوَحَى صَارَ مُنْقَطِعًا وَالأَحْكَام السَّمَاوِيَّة قَدْ تَمَّتْ وَلَمْ يُبْقِ مَجَالا لإِثْبَات الأَحْكَامِ غَيْر الرَّأْي وَالاجْتِهَاد وَكُل مَا لَمْ يَكْتُبِ النَّبِيُّ ﷺ يَكُونُ مِنَ الأُمُور الاجْتِهَادِيَّة التِي فِيهَا شَرِكَة لِلآخَرِينَ بِقَوْله تَعَالى {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَار}(٢) فَرَأَى الصَّوَاب فِي أَنْ لاَ يُصَدِّعُ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَ غَلَبَة وَجَعه وَأَنْ يَكْتَفَى برأى غَيْره وَاجْتِهَاده حَسْبُنَا كِتَابَ الله يَعْنِي: القُرْآنُ المَجِيدُ مَأْخَذُ القِيَاسِ(٣) وَالاجْتِهَاد(٤) وَكَاف لِلمُسْتَنْبِطِينَ فَيَسْتَنْبِطُ مِنْهُ الأَحْكَام وَتَخْصِيص الكِتَاب بِالذِّكْر يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَنَّهُ عَلِمَ بِالقَرَائِنِ أَنَّ تِلكَ الأَحْكَامَ التِي هُوَ ﷺ فِي صَدَد كِتَابَتِهَا مَأْخَذهَا الكِتَاب لاَ السُّنَّة حَتَّى يَذْكُرَ السُّنَّة فَكَانَ مَنْع الفَارُوق مِنْ جِهَة الشَّفَقَة وَالمَرْحَمَة لِئَلا يُصَدِّعُ النَّبِيّ ﷺ بِشَيْء فِي شِدَّة الوَجَعِ وَكَانَ أَمْره ﷺ بِإِتْيَان القِرْطَاس لِلاسْتِحْسَان لاَ لِلوُجُوب لِيُكَوِّن غَيْرُهُ مُسْتَرِيحِينَ مِنْ مَشَقَّة اسْتِنْبَاطه فَلوْ كَانَ أَمْرٌ ائتونى لِلوُجُوب لِبَالِغِ النَّبِيّ ﷺ فِيه وَلَمَّا كَانَ يُعْرِضُ عَنْهُ لِمُجَرَّد الاخْتِلاف.

فَإِنْ قِيل قَدْ قَال الفَارُوق فِي ذَلِكَ الوَقْت أَهْجُرُ استفهموه فَمَا يَكُونُ المُرَاد مِنْهُ:

---

(١) الحجرات: ٢

(٢) الحشر: ٢

(٣) **القياس**: قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر، كقولنا العالم متغير، وكل متغير حادث؛ فإنه قول مركب من قضيتين إذا سلمتا لزم عنهما لذاتهما: العالم حادث. انظر: الجرجاني: التعريفات: ٢٣٢.

(٤) **الاجتهاد**: **في اللغة**: بذل الوسع، وفي الإصطلاح: استفراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي، وبذل المجهود في طلب المقصود من جهة الاستدلال. انظر: الجرجاني: **التعريفات**: ٢٣.

أُجيــــبَ: لعَل الفَارُوقَ فَهِمَ فِي ذَلكَ الوَقْت أَنَّ هَذَا الكَلامَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُ ﷺ بوَاسطَة الوَجَعِ منْ غَيْر قَصْد اخْتيَار كَمَا يَتَوَهَّمُ مَنْ لَفظ اُكْتُبْ فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ أُمِّيًّا لَمْ يَكْتُبْ شَيْئًا أَصْلا وَأَيْضًا أَنَّهُ قَالَ " لنْ تَضلوا بَعْدي "(١).

فَإِذَا كَانَ الدِّين كَاملا وَصَارَت النِّعْمَة تَمَامًا وَحَصَل رضَا المَوْلى به كَيْفَ تَتَصوَّرُ الضَّلالَة بَعْدَ ذَلكَ وَمَاذَا يَقْدرُ يَكْتُبُ في سَاعَة وَاحدَة حَتَّى تَنْدَفعَ به الضَّلالة أَلَمْ يَكفْ الذينَ كَتَبَ في مُدَّة ثَلاث وَعشْرينَ سَنَةً وَلَمْ تَنْدَفعْ به الضَّلالة وَيَكْتُبْ في سَاعَة وَاحدَة شَيْء مَعَ وُجُود شدَّة المَرَض تَنْدَفعُ به الضَّلالة فَعَلم الفَارُوق منْ هُنَا أَنَّ هَذَا الكَلامَ جَرَى عَلى لسَانه الشَّريف منْ غَيْر قَصْد منْهُ بنَاءً عَلى البَشَريَّة فَقَال حَقّقُوا هَذَا المَعْنَى بالاسْتفْسَار منْهُ ثَانيًا فَارْتَفعَ الكَلمَات في أَثْنَاء الاخْتلاف فَقَال النبيّ ﷺ " قُومُوا وَلا تَخْتَلفُوا فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَحْسنُ النِّزَاعَ عنْد نَبيّ وَلَمْ يُقل ثَانيًا منْ هَذه المَقُولة شَيْئًا وَلَمْ يُذكِّرْ دَوَاتًا وَلا قرْطَاسًا

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الاخْتلافَ الوَاقعَ منَ الأَصْحَاب الكرَام في بَعْض الأُمُور الاجْتهَاديَّة بالنِّسْبَة إلى النَّبيّ عَلَيْه وَعلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لوْ كَانَ عياذا بالله سُبْحَانَهُ فيه شَائبَة الهَوَى وَالتَّعَصُّب لاَ نَجر ذَلكَ إلى اللحُوق بزُمْرَة أَهْل الارْتدَاد وَأَخْرَاج الرَّأْس منْ ربْقَة الإِسْلام فَإنَّ سُوءَ الأَدَب وَسُوء المُعَاشَرَة مَعَهُ ﷺ كُفْرٌ أَعَاذَنَا الله سُبْحَانَهُ منْهُ، بَل كَانَ هَذَا الاخْتلاف بنَاءً عَلى أَمْر فَاعْتَبرُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ فيه رُتْبَة الاجْتهَاد فَتَقْليده اجْتهَاد غَيْره وَرَأْيه في الأُمُور الاجْتهَاديَّة خَطَأٌ وَمُنْهيَ عَنْهُ نَعَمْ لاَ مَجَال في الأَحْكَام المُنَزَّلَة التي لاَ مَدْخَل فيهَا للرأى وَالاجْتهَاد لغَيْر التَّقْليد وَالإِيمَان وَالانْقيَاد وَاجب فيهَا غَايَة مَا في البَاب أَنَّ أَصْحَابَ القَرْن الأَوَّل كَانُوا بُرَآء منَ التكلفات وَمُسْتَغْنينَ عَنْ تَحْسين العبَارَات وَإِنَّمَا كَانَ اهْتمَامهمْ ف إصْلاح البَاطنِ وَكَانَ ظَاهرهمْ مَطْرُوحًا عَنْ نَظَرهمْ وَغَيْر مَلحُوظ أَصْلا وَكَانَتْ مُرَاعَاة الآدَاب في ذَلكَ القَرْن باعْتبَار الحَقيقَة وَالمَعْنَى لاَ باعْتبَار الظَّاهر وَالصُّورَة فَقطْ وَكَانَ حَالهمْ امْتثَال أَمْر الرَّسُول ﷺ وَمُعَاملَتهمُ الاجْتنَاب عَمَّا لَيْسَ بمَرْضَى عنْدَهُ ﷺ جعَلوا آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتَهُمْ وَأَوْلادَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ فدَاءً لهُ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

---

(١) **غريب حسن**: الترمذي بنحوه عن جابر بن عبد الله: سنن الترمذي: ك: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، ب: مناقب أهل بيت النبي ﷺ.ح٣٨٧٤.،وقال: حديث غريب حسن.، وأحمد في المسند مسند أبي سعيد الخدري.، الطبراني في المعجم الكبير: حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا.

وَمِنْ كَمَال اعْتقَادهِمْ وَإِخْلاصِهِمْ لَمْ يَتْرُكُوا بُزَاق النَبِىّ ﷺ لِيَقَع فِي الأَرْض، بَل كَانُوا يَأْخُذُونَهُ وَيَمْسَحُونَهُ أَبْدَانَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ مِثْل مَاء الحَيَاة وَقَصْدُهُمْ شُرْب دَمه ﷺ بَعْدَ الفَصْد مِنْ كَمَال الإِخْلاصِ مَشْهُور وَمَعْرُوف فَإِنْ صَدَرَتْ عَنْ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ عِبَارَةٌ مُوهِمَةٌ لِسُوءِ الأَدَب بِالنِّسْبَة إِلَيْه ﷺ عِنْدَ أَهْلِ هَذه القُرُون التِي هِيَ مَلآنَة مِنَ الكَذِب وَالخدَاعِ يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلَهَا عَلى مَحْمَل حَسَنٍ وَأَنْ يَذْهَبَ إِلى حَاصِلِ العِبَارَة وَأَنْ لاَ يُلاحِظُ الأَلفَاظ مِنْ أى قِسْم كَانَتْ وَهَذهِ هُوَ طَرِيقُ السَّلامَة وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ.

فَإِنْ قِيل إِذَا كَانَ فِي الأُمُور الاجْتِهَادِيَّة مَجَال الخَطَأ كَيْفَ يَكُونُ الوُثُوق بِجَمِيعِ الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة المَنْقُولة عَنْهُ عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ:

أُجِيبَ: أَنَّ الأَحْكَامَ الاجْتِهَادِيَّةَ صَارَتْ فِي المَآل وَثَانى الحَال أَحْكَامًا مُنْزلة سَمَاوِيَّة فَإِنَّ تَقْرِيرَ الأَنْبِيَاء عَلى الخَطَأ غَيْر جَائِز فَيَنْزِل فِي الأَحْكَام الاجْتِهَادِيَّة بَعْدَ ثُبُوت اجْتِهَاد المُسْتَنْبَطِيْن وَاخْتِلاف آرائِهم حُكْم مِنْ عِنْد الحَقِّ جَل وَعَلا يُفَرِّقُ الصَّوَاب مِنَ الخَطَأ وَيُمَيِّزُ المُحقّ مِنَ المُبْطِل فَكَانَت الأَحْكَام الاجْتِهَادِيَّة فِي زَمَانه ﷺ بَعْدَ نُزُول الوَحَى وَتَمَيُّز الصَّوَاب مِنَ الخَطَأ أَيْضًا قَطْعِيٌّ الثُّبُوت لَمْ يَبْقَ فِيهَا احْتِمَال الخَطَأ فَجَمِيع الأَحْكَامِ التِي ثَبَتَتْ فِي زَمَنه ﷺ قَطْعِيٌّ مَحْفُوظ عَنْ احْتِمَال الخَطَأ لأَنَّهَا ثَبَتَتْ بِوَحَى قَطْعِيٌّ ابْتِدَاء وَانْتِهَاء وَكَانَ المَقْصُود مِنَ الاجْتِهَاد فِي اسْتِنْبَاط هَذه الأَحْكَام هُوَ أَنْ يَحْصُلَ لِلمُجْتَهِدِينَ وَالمُسْتَنْبِطِينَ أَنْوَاع العِنَايَة وَارْتِفَاع دَرَجَات الكَرَامَة وَيَنَال المُصِيب وَالمُخْطِئ ثَوَابًا عَلى تَفَاوُت الدَّرَجَات فَفِى الأَحْكَام الاجْتِهَادِيَّة ارْتِفَاع دَرَجَات المُجْتَهِدِينَ وَقَطْعِيَّة تِلكَ الأَحْكَام نَعَمْ إِنَّ الأَحْكَامَ الاجْتِهَادِيَّةَ بَعْدَ انْقِرَاض زَمَان النُّبُوَّة ظنيات مُفِيدَة لِلعَمَل لاَ مُثْبِتَة لِلاعْتِقَاد حَتَّى يَكُونَ مُنْكِرهَا كَافِرًا إِلا أَنْ يَنْعَقِدَ إِجْمَاع المُجْتَهِدِينَ عَلى حُكْمٍ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ مُثْبِتًا لِلاعْتِقَاد أَيْضًا.

وَلنَخْتِمُ المَكْتُوبَ بِالخَاتِمَة الحَسَنَة فِي فَضَائِل أَهْل بَيْت الرَّسُول عَلَيْه وَعَلى آله وَأَصْحَابه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ رَوَى ابْن عَبْد البَرّ أَنَّهُ قَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " مَنْ أَحَبَّ عَليًا فَقَدَ أحبنى وَمَنْ أَبْغَضَ عَليًا فَقَدَ أَبغَضَنى وَمَنْ آذِي عَليًا فَقَد آذَاني وَمَنْ آذَاني فَقَد اذي الله ".

وأَخْرَجَ الترمذي(١) وَالحَاكِم(٢) وَصَحَّحَهُ عَنْ بريْدَةَ(٣) قَالَ قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَة وَأَخبرني أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ قِيل يَا رَسُول اللَّهِ سَمِّهِمْ لَنَا، قَالَ: عَلِيٌّ مِنْهُمْ ـ يَقُوْل ذَلِكَ ثَلاثًا ـ وَأَبُو ذَرٍّ(٤) وَالمِقْدَاد(٥) وَسَلْمَان» أَخْرَجَ

---

(١) ـ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه، ورحل إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره، وكان يضرب به المثل في الحفظ، من أهم مصنفاته: الجامع الكبير المعروف بـ «سنن الترمذي»، «الشمائل النبوية»، التاريخ، العلل في الحديث. توفي سنة ٢٧٩هـ رضي الله عنه. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ١١٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٨٧، والأعلام للزركلي ٦/ ٣٢٢.

(٢) ـ محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي، النيسابوري، الحاكم، (أبو عبد الله) محدث، حافظ، مؤرخ، ولد بنيسابور، ورحل في طلب الحديث، وسمع على شيوخ يزيدون على ألفي شيخ، وحدث عن الأصم وعثمان بن السماك وطبقتهما، من أهم مصنفاته: المستدرك، تاريخ نيسابور، الإكليل في الحديث، تراجم الشيوخ، فضائل السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ـ وغير ذلك. توفي سنة ٤٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٦، وفيات الأعيان ١/ ٦١٣، لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٢٣٢، المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ٢/ ١٥١. معجم المؤلفين لكحالة ٣/ ٤٥٣.

(٣) **بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي**: من أكابر الصحابة أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، وسكن المدينة وانتقل إلى البصرة، ثم انتقل إلى مرو ومات بها سنة ٦٣هـ. تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٢، والأعلام ٢/ ٥٠.

(٤) ـ **جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار**: الصحابي الجليل، من كنانة بن خزيمة (أبو ذر الغفاري) هو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، وهاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، فأقام بها إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق. ثم رحل إلى الربذة قرية من قرى المدينة، فسكنها إلى أن مات، وكان كريماً لايخزن من المال قليلاً ولا كثيراً، ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به، وروى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثاً. توفي بالربذة سنة ٣٢هـ رضي الله عنه. انظر: الإصابة ٧/ ٦٠، صفة الصفوة ١/ ٢٣٨، والطبقات لابن سعد ٤/ ١٦١، الأعلام للزركلي ٢/ ١٤٠.

(٥) ـ **المقداد بن عمرو ويعرف بالمقداد بن الأسود**: الصحابي الجليل، الكندي البهراني الحضرمي، أبو عمرو، من الأبطال الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله، وفي الحديث: «إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان»، وكان في الجاهلية من سكان حضرموت، واسم أبيه عمرو بن ثعلبة البرهاني الكندي، ووقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث فكان يسمى المقداد بن الأسود، إلى أن نزلت آية: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾، «فعاد يتسمى» المقداد بن عمرو، وشهد بدراً وأحداً وغيرهما من المشاهد، وسكن المدينة، وتوفي على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها سنة ٣٣هـ رضي الله عنه. انظر: الإصابة: ترجمه ٨١٨٥، صفة الصفوة ١/ ١٦٧. الأعلام ٧/ ٢٣٢.

الطبراني(١) وَالحَاكِم عَن ابْنِ مَسْعُود(٢) ﷺ أَنَّهُ قَال: قَال النَّبِيّ ﷺ: «النَّظَر إِلى عَليٍّ عِبَادَة»(٣) إِسْنَاده حَسن وَأَخْرَجَ الشَيخان عَنِ البَرَاءِ(٤) رَأَيْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ وَالحسن عَلى عَاتِقِه وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ يَقُول: «اللهُمَّ إِنِّي أُحبُّهُ فَأَحِبَّهُ»(٥).

---

(١) ـ **سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي**: أبو القاسم: من كبار المحدثين، أصله من طبرية بالشام، وإليها نسبته، ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، من أهم مصنفاته: المعاجم الثلاثة في الحديث: الكبير، والصغير، والأوسط، وله كتب في التفسير، والأوائل، ودلائل النبوة، وغير ذلك. توفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٢١٥، النجوم الزاهرة ٤/ ٥٩، والأعلام ٣/ ١٢١.

(٢) ـ **عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي**: الصحابي الجليل، أبو عبد الرحمٰن، من أكابر الصحابة، فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ، وهو من السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله ﷺ، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، ونظر إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً فقال: «وعاء مليء علماً»، وولي بعد موت النبي ﷺ بيت مال الكوفة، وكان يحب الإكثار من التطيب، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر من طيب رائحته. روى عن النبي ﷺ ٨٤٨ حديثاً. انظر: الإصابة: ترجمة ٤٩٥٥، غاية النهاية لابن الجزري ١/ ٤٥٨، صفة الصفوة ١/ ١٥٤، الأعلام ٤/ ١٣٧.

(٣) ـ **صحيح**: الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود وعن عمران بن حصين، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٩٣١٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه أحمد بن بديل اليامي وثقه ابن حبان. وقال: مستقيم الحديث، وابن أبي حاتم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد كتاب المناقب. أبواب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. باب النظر إليه رضي الله عنه. ح: ١٤٦٩٤ عن عبد الله بن مسعود، وفي ح ١٤٦٩٥ قال: رواه الطبراني وفيه عمران بن خالد الخزاعي وهو ضعيف.

وقال الفتني: أورده ـ أي ابن الجوزي ـ في حديث أبي بكر وعثمان وابن مسعود وابن عباس ومعاذ وجابر وأنس وأبي هريرة وثوبان وعمران وعائشة ووهاها كلها قلت المتروك والمنكر إذا تعددت طرقه ارتقى إلى درجة الضعف بل ربما ارتقى إلى الحسن وهذا ورد من رواية أحد عشر صحابياً بعدة طرق وتلك طرق عدة التواتر في رأيي (تذكرة الموضوعات للفتني: ك: العلم بـ: فضائل صحابته وأهل بيته).

(٤) ـ **البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي**: أبو عمارة، أسلم صغيراً، وغزا مع النبي ﷺ خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق، ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري بفارس سنة ٢٤هـ، وعاش إلى أيام مصعب بن الزبير، فسكن الكوفة واعتزل الأعمال، روى له البخاري ومسلم ٣٠٥ أحاديث، توفي سنة ٧١هـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ٨٠، ومعجم البلدان لياقوت. مادة زنجان، الأعلام للزركلي ٢/ ٤٦.

(٥) ـ صحيح البخاري: ك فضائل الصحابة. ب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. ح ٣٥٣٩، مسلم. ك: فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ح ٢٤٢٢، وسنن الترمذي. أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ. ح ٣٨٧٣، وقال: حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجه: ك: فضائل أصحاب رسول الله ﷺ: باب: فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. ح ١٤٢.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْر قَال سَمعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنِ إِلى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَقُول: «إِنَّ ابني هَذَا السَّيِّد وَلَعَل اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»(١).

أَخْرَجَ الترمذي عَنْ أُسَامَة بْن زَيْد قَال رَأَيْت النَّبيّ ﷺ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْن عَلى وِرْكه فَقَال: «هَذَانِ ابناي وَابْنَا بِنْتِي، اللهُمَّ: إِنِّي أُحِبهما وَأُحِبّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»(٢).

أَخْرَجَ الترمذي عَنْ أَنَس قَال: «سُئِلَ رَسُول اللَّهِ ﷺ أي أَهْل بَيْتِك أَحَبّ إِلَيْك قَال الْحَسَن وَالْحُسَيْن»(٣) (٤).

وَرَوَى الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ(٥) أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَال: «فَاطِمَة بِضْعَة مِنِّي فَمَنْ أَبْغَضَهَا أَبْغَضَنِي»(٦).

---

(١) صحيح البخاري. ك: الصلح، ب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد. . .» سنن الترمذي: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ح ٣٨٦٢، وقال: حديث حسن صحيح، النسائي. ك: الجمعة: ب: مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر، سنن أبي داود: ك: السنة. بـ: ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ح ٤٦٦٢.

(٢) ـ سنن الترمذي: ك: المناقب عن رسول الله ﷺ باب: مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ ح ٣٩٢٨. وقال: حديث حسن غريب. (تحفة الأحوذي ح ٣٩٢٨)، وعزاه السيوطي في زيادة الجامع الصغير ٣٣٧٩ لابن حبان عن أسامة بن زيد، وعزاه المتقي الهندي لعبد بن حميد (كنز العمال: فضل الحسنين ـ رضي الله عنهما ـ ٣٧٧١٤).

(٣) ـ سيدنا الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد الله السبط الشهيد، سيد شباب أهل الجنة، ابن فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ، ولد بالمدينة، ونشأ في بيت النبوة، وقتل شعيداً بكربلاء في يوم الجمعة العاشر من المحرم سنة ٦١هـ رضي الله عنه. انظر: تهذيب ابن عساكر: ٤/ ٣١١، تاريخ الطبري ٦/ ٢١٥، صفة الصفوة ١/ ٣٢١، الأعلام ٢٤٢.

(٤) **غريب**: سنن الترمذي: ك: أبواب الْمَنَاقِب عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ب: مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ح ٣٨٦١. وقال: حديث غريب.

(٥) ـ المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، أبو عبد الرحمٰن: من فضلاء الصحابة وفقهائهم، أدرك النبي ﷺ وهو صغير وسمع منه، وكان مع خاله عبد الرحمٰن بن عوف ليالي الشورى، وحفظ عنه أشياء، وروى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة، وشهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد. وتوفي سنة ٦٤هـ رضي الله عنه. انظر: الإصابة ترجمة ٧٩٩٥، نسب قريش ٢٦٢، ٢٦٣، الأعلام ٧/ ٢٢٥.

(٦) ـ البخاري: ك: فضائل الصحابة. ب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ح ٣٥١٠، ومسلم: ك: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ب: من فضائل فاطمة، =

وَفِي رِوَايَةٍ «يريبني مَا أَرَابَهَا ويؤذيني مَا آذَاها»(١).

وأَخْرَجَ الحَاكِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَال لِعلِيٍّ: «فَاطِمَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْهَا»(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: «إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ يَبْتَغُونَ بذَلِكَ مَرْضَاةَ رَسُول الله ﷺ»(٣).

وَقَالَتْ: «إِنَّ نِسَاء رَسُول الله ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ(٤) وَصَفِيَّةُ(٥) وَسَوْدَةُ(٦) وَالحِزْب الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرِ نِسَاءِ رَسُول اللَّهِ ﷺ

= بنت النبي، عليها الصلاة والسلام، ح ٢٤٤٩، سنن الترمذي: أبواب المَنَاقِب عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ باب ما جَاءَ في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه. ح ٣٩٦١، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال حافظ العراقي: متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة. (تخريج أحاديث الإحياء. ك: شرح عجائب القلب ح ١.

وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح ٥٨٣٤.

(١) ـ صحيح البخاري: ك: النكاح، ب: ذب الرجل على ابنته في الغيرة والإنصاف. ح ٤٩٣٢، سنن أبي داود: ك: النكاح، ب: ما يكره أن يجمع بينهن من النساء، ح ٢٠٧١. أحمد في المسند: أول مسند الكوفيين: حديث المسور بن مخرمة.

(٢) ـ الطبراني في الأوسط، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٥٨٣٦، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلمى بن عقبة لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. (مجمع الزوائد: ك: المناقب. ب: مناقب أهل البيت رضي الله عنهم ح ١٤٥١٦.

(٣) ـ صحيح البخاري. ك: الهبة وفضلها. ب: قبول الهدية. ح ٢٤٣٥، مسلم: ك: فضائل الصحابة. ب: فضل عائشة رضي الله عنها. ح ٢٤٤١. سنن الترمذي: ك: أبواب المَنَاقب عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ باب: ما جَاءَ في فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه. ح ٣٩٦٦. وقال: حديث غريب، سنن النسائي. ك: عشرة النساء، ب: حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض.

(٤) ـ أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ولدت بمكة، وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فأسلما، وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها، فزوجه إياها سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة، واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن توفيت بها سنة ٤٥هـ رضي الله عنها ـ. انظر: الإصابة ٤/ ٢٧٣، الطبقات لابن سعد ٨/ ٥٦، صفة الصفوة ٢/ ١٩، الأعلام ٢/ ٢٦٤.

(٥) ـ أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب من الخزرج، كانت في الجاهلية من ذوات الشرف، تدين باليهودية، من أهل المدينة، تزوجها سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر، وأسلمت فتزوجها النبي ﷺ، لها في كتب الحديث ١٠ أحاديث، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٠هـ رضي الله عنها. انظر: الإصابة: ترجمة ٦٤٧، صفة الصفوة ٢/ ٢٧، الطبقات لابن سعد ٨/ ٨٥، الأعلام ٣/ ٢٠٦.

(٦) ـ أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، من لؤي من قريش، كانت في الجاهلية زوجة =

فَكَلمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَها كَلمِي رَسُول الله ﷺ يُكَلم النَّاسَ فَيَقُول: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِي إِلى رَسُول الله ﷺ فَليُهْدِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ»، فَكَلمَتْهُ، فَقَال لَها: «لاَ تُؤْذِيني فَإِنَّ الوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلاَّ عَائِشَةَ»، فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُول اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ فَأَرْسَلنَ إِلى رَسُول اللَّهِ ﷺ فَكَلمَتْهُ فَقَال: «يا بُنَيَّتِي، أَلا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ قَالَتْ: بَلى قَال: فَأَحِبِّي هَذِهِ»(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالتْ: «مَا غِرْتُ عَلى أَحَدٍ مِنْ نِساءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا غِرْتُ عَلى خَدِيجَةَ(٢) وَمَا رَأَيْتُهَا وَلكِنْ يُكْثِر ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ شَاةً ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَة، فَرُبَّمَا قُلتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلا خَدِيجَةُ فَيَقُول إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»(٣).

= السكران بن عمرو بن عبد شمس، ثم أسلما وهاجرا إلى الحبشة، ثم عادا فتوفي السكران، فتزوجها النبي ﷺ بعد خديجة، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٤هـ رضي الله عنها. انظر: الإصابة: ترجمة ٦٠٣، الطبقات لابن سعد ٨/ ٣٥، الأعلام ٣/ ١٤٥.

(١) ـ صحيح البخاري. ك: الهبة وفضلها. ب: من أهدى إلى صاحبه وتحرّى بعض نسائه دون بعض. ح ٤٢٤٢. مع اختلاف يسير.

(٢) ـ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش، ولدت بمكة. ونشأت في بيت عز وشرف ويسار، خرج النبي ﷺ في تجارة لها إلى سوق بصرى، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، ثم عرضت عليه الزواج منها، فأجاب، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسعد بن عبد العزى فحضر، وتزوجها رسول الله ﷺ قبل النبوة، فولدت له القاسم، وعبد الله وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، ـ وأولاد النبي ﷺ كلهم منها غير إبراهيم فإنه من مارية القبطية رضي الله عنها ـ ولما بعث رسول الله ﷺ دعاها إلى الإسلام فكانت أول من أسلم من النساء والرجال، ومكثا يصليان سراً إلى أن ظهرت الدعوة، وتوفيت سنة ٣ق. هـ ـ رضي الله عنها: انظر: الإصابة ترجمة ٣٣٣، صفة الصفوة ٢/ ٢، الطبقات لابن سعد ٨/ ٧، الأعلام ٢/ ٣٠٢.

(٣) ـ صحيح البخاري: ك: فضائل الصحابة. ب: تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها ح ٣٦٠٥، ٣٦٠٧، بنحوه.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـــ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "العَبَّاسُ(١) مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ"(٢).

وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ(٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ آذَانِي فِي عِتْرَتِي "(٤).

وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِي مِنْ بَعْدِي"(٥).

---

(١) ـــ **العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف:** أبو الفضل، عم النبي ﷺ، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، قال رسول الله ﷺ في وصفه: " أجود قريش كفا وأوصلها هذا بقية آبائي "، كانت له سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين، ثم هاجر إلى المدينة وشهد وقعة حنين، وكان ممن ثبت حين انهزم الناس، وشهد فتح مكة، وعمي في آخر عمره، وكان إذ مر بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالا له، وكذلك عثمان، وأحصي ولده سنة ٢٠٠ هـــ فبلغوا ٣٣٠٠٠، له في كتب الحديث ٣٥ حديث، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٣٢هـــ ﷺ انظر: أسد الغابة، الإصابة، صفة الصفوة ١/ ٢٠٣، الأعلام ٢٦٢/٣.

(٢) **حسن صحيح:** سنن الترمذي: ك: أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ. ب:(١٠٣) ح٣٨٤٨.وقال: حديث حسن صحيح غريب.، سنن النسائي. ك:القسامة. ب: القود من اللطمة.، أحمد في المسند: مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، الطبراني في المعجم الكبير: أحاديث عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ح٥٦٦٣.

(٣) ـــ **الديلمي:** شيرويه بن شهردار بن شيرويهة بن فنا خسرو الديلمي، الهمذاني (أبو شجاع) محدث حافظ مؤرخ، من اهم مصنفاته: تاريخ همذان، فردوس الأخبار بمأثور الخطاب، رياض الأنس لعقلاء الإنس في معرفة أحوال النبي ﷺ والخلفاء بعده، وغير ذلك. توفي سنة ٥٠٩ هـــ. انظر: الوافي بالوفياتن للصفدي ٢٤/ ٥٣، شذرات الذهب لابن العماد ٤/ ٢٣، تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ٥٣، مرآة الجنان لليافعي ٣/ ١٩٨، كشف الظنون لحاجي خليفة ١٢٥٤، معجم المؤلفين لكحالة ١/ ٨٢٣.

(٤) **ضعيف:** أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير.ح١٠٤٥.، وقال المناوي: فيه أبو إسرائيل الملائي.قال الذهبي ضعفوه، فيض القدير ح ١٠٤٥

(٥) صحيح: الحاكم في المستدرك: ٣١١/٣،وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي، و وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات (مجمع الزوائد.ك: المناقب.ب: في فضل أهل البيت رضي الله عنهم ح ١٥٠٢٧، و صححه السيوطي في الجامع الصغير ح ٤١٠٥.، وقال المناوي بعد ان عزاه للحاكم: ورواه أيضاً أبو يعلى وأبو نعيم والديلمي ورجاله ثقات ولكن شذ راويه بقوله لأهلي والكل إنما قالوه لأهله ذكره ابن أبي خيثمة.

أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ(١) عَنْ عَلِيٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ " مَنْ صَنَعَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِي يَدًا أُكَافِئُهُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(٢).

أَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ(٣) وَالدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ((أَثْبَتُكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ أَشَدُّكُمْ حُبًّا لأَهْلِ بَيْتِي وَلأَصْحَابِي))(٤)

إِلَهِي بِحَقِّ بَنِي فَاطِمَـــــه   كه بر قول إيمان كنى خاتمـــه
اكر دعوتم ردكنى درقبول   من وردست ودامان آل رسول

ﷺ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِه مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلائِكَةِ الكِرَامِ الْمُقَرَّبِينَ وَعَلَى سَائِرِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ.

---

(١) ــ **علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي المعروف بابن عساكر:** أبو القاسم ثقة الدين، محدث حافظ، فقيه، مؤرخ، من أهم مصنفاته: تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها، الإشراف على معرفة الأطراف، الموافقات، تهذيب الملتمس من عوالي مالك بن أنس، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، توفي سنة ٥٧١ هــ وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٤٢/١، المنتظم لابن الجوزي ١٠ / ٢٦١، النجوم الزاهرة ٧٧/٦، شذرات الذهب ٤ / ٢٣٩، معجم المؤلفين ٢ /٤٢٧.

(٢) ــ لم أقف عليه.

(٣) ــ عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن المبارك الجرجاني، ويعرف أيضا بابن القطان، أبو أحمد، محدث حافظ ناقد فقيه، من أهم مؤلفاته: الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الأحاديث، الانتصار على مختصر المزني في فروع الفقه، وغير ذلك. توفي سنة ٣٦٥ هــ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٣/٣، هدية العارفين للبغدادي ٤٤٧/١، شذرات الذهب ٣ / ٥١، مرآة الجنان ٢/ ٢٨١، معجم المؤلفين ٢٥٧/٢.

(٤) ابن عدي في الكامل، والديلمي في مسند الفردوس عن علي – كرم الله وجهه –، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ح ١٥٩.

المَكْتُوب الخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الفَقير الحَقير عَبْد الحَيِّ
الذي هُوَ جَامعُ هَذه المَكْتُوبات الشَّريفَة
فِي بَيَانِ فَضَائل الكَلمَة الطَّيِّبَة: " لاَ إلَهَ إلا الله " وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

"لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ" لاَ شَيْءَ أَنْفَعُ منْ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة في تَسْكين غَضَب الرَّبِّ جَل سُلطَانُهُ وَعَلا بُرْهَانُه، فَإذَا كَانَتْ هَذه الكَلمَةُ سَبَبًا لتَسْكين غضب دُخُول النَّار تَكُونُ سَبَبًا لتَسْكين غَضَبَات أُخَرَ بالطَّريق الأَوْلى؛ فَإنَّهَا دُونَ ذَلكَ، كَيْفَ لاَ تَكُونُ سَبَبًا للتَّسْكين فَإنَّ العَبْدَ قَدْ أَعْرَضَ عَنِ السِّوَى نَافيًا لهُ بتَكْرَارِ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة وَجَعَل قبْلَة تَوَجُّهه المَعْبُودَ عَلى الحَقِّ؟!

وَكَانَ مَنْشَأُ الغَضَبِ هُوَ التَّوَجُّهَاتِ الشَّتَّى التي كَانَ العَبْدُ مُبْتَلى بهَا وَلَيْسَ " فَلَيْسَ ".

وَشَاهدُ هَذَا المَعْنَى في عَالم المَجَاز هُوَ أَنَّ شَخْصًا إذَا تَأَذَّى عَنْ مَمْلوكه وَغَضبَ عَليْه، فَحينَئذ لوْ أَعْرَضَ المَمْلوكُ بحُسْنِ التَّدْبير الذي فيه عَمَّا سوَى مَالكه، وَتَوَجَّهَ إلى مَالكه بكُليَته تَظْهَرُ الشَّفَقَةُ وَالمَرْحَمَةُ في المَالكِ في حَقِّ المَمْلوكِ بالضَّرُورَة يَرْتَفعُ عَنْهُ الغَضَبُ وَالأَذَى.

وَأَجدُ هَذه الكَلمَةَ الطَّيِّبَةَ مفْتَاحَ خَزينَة تِسْعٍ وَتِسْعينَ رَحْمَةً أَعْني مَا جُعلتْ ذَخيرَةً لأَجْلَ الآخرَة.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ شَيْءَ أَشْفَعُ منْ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة في دَفْعِ ظُلمَات الكُفْر وَكُدُورَات الشِّرْك، وَمَنْ صَدَّقَ بمَضْمُون هَذه الكَلمَة وَحَصَّل ذَرَّةً منَ الإيمَان وَمَعَ ذَلكَ كَانَ مُبْتَلى برُسُوم الكُفْر وَرَذَائل الشِّرْك نَرْجُو أَنْ يَخْرُجَ منَ العَذَاب بشَفَاعَة هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة، وَأَنْ ينْجُوَ منَ الخُلود في النَّار؛ كَمَا أَنَّ شَفَاعَةَ مُحمَّد ﷺ أَنْفَعُ في دَفْعِ عُقُوبَات سَائر كَبَائر هَذه الأُمَّة وَأَدْخَل فيه.

وَإنَّمَا قُلتُ: " كَبَائر هَذه الأُمَّة "؛ فَإنَّ ارْتكَابَ الكَبَائر في سَائر الأُمَم السَّابقَة أَقَل منْهُ في هَذه الأُمَّة، بَل امْتزَاجُ رُسُوم الكُفْر وَرَذَائل الشِّرْك أَيْضًا أَقَل فيهمْ وَالأَحْوَجُ إلى الشَّفَاعَة هُوَ هَذه الأُمَّةُ وَفي الأُمَم السَّابقَة كَانَ جَمْعٌ مُصرًّا عَلى

الكُفْرِ وَكَانَ جَمْعٌ آخَرُ مُؤْمِنًا خَالِصًا مُمْتَثِلا للأَوَامِرِ قَدْ هَلَكَتْ هَذه الأُمَّةُ الكَثيرَةُ الذُّنُوبُ لوْلا أَنْ يَكُونَ شَفيعُهُمْ مثْلِ الكَلمَةِ الطَّيِّبَة وَشَافعُهمْ مثْلِ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالتَّحيَّاتُ أُمَّةٌ مُذْنبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ وَالذي تَنالُهُ هَذه الأُمَّةُ منْ عَفْوه وَغُفْرَانه سُبْحَانَهُ لاَ يَعْلَمُ نَيْل جَميعِ الأُمَمِ الماضيَة هَذَا القَدْرَ وَكَأَنَّ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعينَ منَ الرَّحْمَةِ ادُّخرَتْ لهَذه الأُمَّة المسْتَغْرِقَة في الذُّنُوب [ع]:

أَحَقُّ النَّاسِ بالكَرَمِ العُصَاةُ

وَلَمَّا كَانَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يُحبُّ العَفْوَ وَالمَغْفرَةَ، وَلا شَيْءَ منَ المَادَّة لأَجْلِ العَفْوِ وَالمَغْفرَة مُسَاويًا لهَذه الأُمَّة، لاَ جَرَمَ صَارَتْ هَذه الأُمَّةُ خَيْرَ الأُمَمِ، وَالكَلمَةُ الطَّيِّبَةُ التي هيَ شَفيعَتُهُمْ أَفْضَلَ الذِّكْرِ، وَنَال نَبيُّهُمُ الذي هُوَ شَفيعُهُمْ سَيِّدَ الأَنْبيَاء، خطَابُ {أُولَئكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتهمْ حَسَنَات وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحيمًا}(١) نَعَمْ هَكَذَا يَكُونُ أَرْحَمُ الرَّاحمينَ وَهَكَذَا يَفْعَلُ أَكْرَمُ الأَكْرَمينَ (ع)

لا عُسْرَ في أَمْرٍ مَعَ الكِرَامِ

{وَكَانَ ذَلكَ عَلى الله يَسيرًا}(٢)

{رَبَّنَا اغْفرْ لنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا في أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلى القَوْمِ الكَافرينَ}(٣).

وَاسْمَعْ أَيْضًا منْ فَضَائلِ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة:

قَالَ رَسُول الله ﷺ وَبَارَكَ وَكَرَّمَ " مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ"(٤).

وَيَتَعَجَّبُ القَاصرُونَ كَيْفَ يَتَيَسَّرُ دُخُول الجَنَّة بأَنْ يَقُولَ: " لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ " مَرَّةً وَاحدَةً:

---

(١) الفرقان: ٧٠

(٢) الأحزاب:١٩

(٣) البقرة:٢٨٦

(٤) سنن الترمذي: ك: الإيمان. ب: فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ح٢٧٧٥، وقال حديث حسن صحيح غريب، وقال ابن رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي: إنما كان هذا في أول الاسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي. ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة، وان عذبوا في النار بذنوبهم فان لا يخلدون في النار.، سنن النسائي: ك: الأذان. ب: ثواب ذلك، سنن أبي داوود: ك: الأدب ز ب: ما يقول عند النوم ح٥٠٧٠.، وأخرجهالبزار عن أبي سعيد، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ح٨٨٩٦.، وقال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني من حديث زيد بن ارقم بإسناد ضعيف.(تخريج أحاديث الإحياء. ك: الأذكار والدعوات.، الباب الأول في فضيلة الذكر.

وَهَذَا لِكَوْنِهِمْ غَيْرَ وَاقفينَ عَلى بَرَكَات هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة، وَقَدْ صَارَ مَكْشُوفًا للفقير أَنَّهُ لَوْ غُفِرَ ذُنُوبُ جَمِيعِ العَالِمِ بِتَكَلُّمِ هَذِهِ الكَلمَة الطَّيِّبَة مَرَّةً وَاحِدَةً وأُدْخلوا الجَنَّةَ لسَاغَ.

وَكَانَ مَشْهُودًا أَيْضًا أَنَّهُ لو قُسِمَتْ بَرَكَاتُ هَذه الكَلمَة المُقَدَّسة بَيْنَ تَمَامِ العَالِمِ لكَفَت الجَميعَ إلى أَبَد الآبَاد وَلأَرْوَت الكُل، فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ بِهَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة المُقَدَّسَة: " مُحَمَّدٌ رَسُول الله " وَانْتَظَمَ التَّبْليغُ بِالتَّوْحِيدِ وَاقْتَرَنَت الرِّسَالَةُ بالوِلايَة؟!

وَمَجْمُوعَةُ هَاتَيْنِ الكَلمَتَيْنِ جَامعَةٌ لجَميعِ كَمَالات الوِلايَة وَالنُّبُوَّة وَهَادي سَبيل كلا هَاتَيْنِ السَّعَادَتَيْنِ مَنْ طَهَّرَ الوِلايَةَ مِنْ ظُلمَات الضَّلال وَأَوْصَل النُّبُوَّةَ إلى الدَّرَجَة العُليَا، اللهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا منْ بَرَكَات هَذه الكَلمَة العَليَّة وَثَبِّتْنَا عَلَيْهَا وَأَمِتْنَا عَلى تَصْديقهَا وَاحْشُرْنَا مَعَ المُصَدِّقِينَ لَهَا وَأَدْخِلْنَا الجَنَّةَ بِحُرْمَتِهَا وَحُرْمَةِ مُبَلغيهَا عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالتَّحيَّاةُ والتَّسْليمَاتُ وَالبَرَكَاتُ.

وَأَيْضًا: إِذَا عَجزَ النَّظَرُ وَالقَدَمُ وَانْخفَضَ جَنَاحُ الهمَّة وَتَرَخَّى وَوَقَعَت المُعَامَلة عَلى الغَيْب الصِّرْف لاَ يُمْكنُ السَّيْرُ في ذَلكَ المَوْطنِ بغَيْرِ قَدَم " لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُول الله " وَلا يُمْكنُ قَطْعُ تلكَ المسَافَة إلا في كَنَف تلكَ الكَلمَة المُقَدَّسة وَكُلمَا قَال السَّائرُ في ذَلكَ المَوْطنِ هَذه الكَلمَةَ الطَّيِّبَةَ مَرَّةً وَاحدَةً يَقْطَعُ بهَا وَبإمْدَاد حَقيقَة هَذه الكَلمَة المُقَدَّسة وَإعَانَتهَا خُطْوَةً وَاحدَةً منْ تلكَ المسَافَة وَيَقَعُ بَعيدًا عَنْ نَفْسه وَقَريبًا منَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكُل جُزْءٍ منْ تلكَ المسَافَة أَزْيَدُ منْ تَمَامِ دَائرَة عَالمِ الإمْكَان بزيَادَة مُضَاعَفَة.

فَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ فَضيلَةُ هَذَا الذِّكْر منْ هَاهُنَا حَيْثُ لاَ مقْدَارَ لتَمَامِ الدُّنْيَا في جَنْبه وَلا إحْسَاسَ، ليْتَ لَهَا حُكْمَ القَطْرَة بالنِّسْبَة إلى البَحْرِ المحيط.

وَعَظَمَةُ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة باعْتبَار دَرَجَات قَائلهَا كُلمَا كَانَتْ دَرَجَةُ القَائل أَزْيَدَ وَأَعْلى تَكُونُ تلكَ العَظَمَةُ أَكْثَرَ وَأَوْلى

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا

وَلا يُعْلَمُ فِي الدُّنْيَا تَمَنٍّ يُسَاوِي لِتَمَنِّي أَنْ يَقْعُدَ الإِنْسَانُ فِي زَاوِيَةٍ مُلتَذًّا وَمُحْتَظًّا بِتَكْرَارِ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة، وَلكِنْ مَا نَفْعَل! لاَ يَتَيَسَّرُ جَمِيعُ التَّمَنِّيَات، وَلا بُدَّ مِنَ الغَفْلَة⁽١⁾ وَالاخْتِلاط بِالخَلق!

{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ}⁽٢⁾.

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ}⁽٣⁾.

---

(١) **الغفلة**: متابعة النفس على ما تشتهيه، وقيل هي: إبطال الوقت بالبطالة.،وقيل: الغفلة عن الشيئ، هي ألا يخطر ذلك بباله.انظر: الجرجاني: التعريفات: ٢٠٩.

(٢) التحريم:٨

(٣) االصافات:١٨٠

المَكْتُوب الحَادِي وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة
إِلى الحَاجِّ يُوسُفَ الكَشْمِيرِيِّ
فِي بَيَانِ أَنَّهُ لاَ تَعْلقَ لِبَاطِنِ أَهْلِ الله بِالدُّنْيَا مِقْدَارَ خَرْدَلةٍ وَإِنْ تَشَبَّثُوا فِي الظَّاهِرِ بِالدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

تَكُونُ مُعَرَّفَةُ الله جَل سُلطَانُهُ حَرَامًا عَلى شَخْصٍ يَكُونُ فِي بَاطنه مقْدَارُ خَرْدَلة منْ مَحَبَّة الدُّنْيَا أَوْ منَ التَّعَلق بالدُّنْيَا أَوْ خَطَرَ فِي بَاطنه هَذَا المقْدَارُ منْ خَوَاطرِ الدُّنْيَا، بَقيَ ظَاهرُهُ الذي وَقَعَ بَعيدًا منْ بَاطنه بمَرَاحل، وَجَاءَ منَ الآخرَة إلى الدُّنْيَا وَاختَلطَ بالنَّاس لحُصُول المُنَاسبة المشْرُوطَة فِي الإفَادَة وَالاسْتفَادَة فَإنْ تَكلمَ منَ الدُّنْيَا وَتَشَبَّثَ بالأَسْبَاب الدُّنْيَويَّة جَازَ لهُ ذَلكَ وَسَاغَ وَلا يَكُونُ مَذْمُومًا أَصْلا، بَل يَكُونُ مَحْمُودًا؛ لئَلا تَتَعطَّل حُقُوقُ العبَاد وَكَيْلا يَنْسَدَّ طَريقُ الإفَادَة وَالاسْتفَادَة، فَباطنُ هَذَا الشَّخْص أَفْضَل منْ ظَاهره، وَحُكْمُهُ حُكْمُ بَائع حنْطَة تُشْبهُ الشَّعيرَ، وَالذينَ نَظَرُهُمْ مَقْصُورٌ عَلى رُؤْيَة الظَّاهر يَحْسَبُونَهُ كَأَنْفُسهمْ مثْل بَايعي شَعير يُشْبهُ الحنْطَةَ وَيَعْتَقدُونَ ظَاهرَهُ أَفْضَل منْ بَاطنه وَيَتَخَيَّلونَ أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ فِي الظَّاهر عَديمَ التَّعَلق وَأَنَّهُ مُتَعَلقٌ فِي البَاطن.

{رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمنَا بالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتحينَ}⁽¹⁾ {والسلام على من اتبع الهدى}⁽²⁾ وَالتَّزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) الأعراف: ٨٩

(٢) طـه: ٤٧

الْمَكْتُوب الثَّانِي وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى السَّيِّد عَبْد البَاقِي السَّارنكبُورِيِّ
فِي بَيَان أَصْحَاب اليَمين وَأَصْحَاب الشِّمَال وَالسَّابقِينَ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ أَصْحَابَ الشِّمَال هُمْ أَصْحَابُ الحُجُب الظُّلمَانيَّة، وَأَصْحَابُ اليَمين أَرْبَابُ الحُجُبِ النُّورَانيَّة، وَالسَّابقُونَ هُمُ الذينَ تَخلصُوا مِنْ هَذه الحُجُب وَتلكَ الحُجُب وَحَازُوا قَصَب السَّبْقِ عَلى أَقْرَانهمْ وَوَصَلوا إلى مَيْدَانِ الأَصْل وَاضعينَ إحْدَى قَدَمَيْهمْ عَلى الشَّمَال وَالأخْرَى عَلى اليَمينِ وَتَرْقَوْا منَ الظِّلال الإمْكَانِي وَالظِّلال الوُجُوبِي وَلَمْ يَرَوْا مِنَ الاسْمِ وَالصِّفَةِ وَالشَّأْنِ وَالاعْتبَار غَيْرَ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ.

أَصْحَابُ الشِّمَال أَرْبَابُ الكُفْرِ وَالشَّقَاوَة.

وَأَصْحَابُ اليَمين أَهْل الإسْلام وَأَرْبَابُ الولايَة.

وَالسَّابقُونَ بالأَصَالة هُمُ الأَنْبيَاءُ عَلَيْهمُ الصَّلاةُ والتَّسليمَاتُ.

وَبالتَّبَعيَّة: كُل مَنْ يَشْرُفُ بهَذه الدَّوْلة، وَهَذه الدَّوْلةُ بالتَّبَعيَّة أَكْثَرُ فِي أَكَابرِ أَصْحَابِ الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَفي غَيْرِ الأَصْحَاب أَيْضًا مُتَحَقِّقَةٌ عَلى سَبيل القلة وَالنُّدْرَةِ وَهَذَا الشَّخْصُ أَيْضًا منْ زُمْرَة الأَصْحَاب فِي الحَقيقَة وَمُلحقٌ بكَلمَات الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهمُ الصَّلاةُ والتَّسْليمَاتُ ــ، وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ قَال فِي حَقِّه حَيْثُ قَال   لَا يُدْرَى أَوَّلهمْ خَيْر أَمْ آخرهم"(١).

وَإنْ قَال عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " خَيْرُ القُرُون قَرْني "(٢) قَال هَذَا باعْتبَارِ القُرُون وَذَاكَ باعْتبَارِ الأَشْخَاصِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) الحديث بهذا اللفظ لا أصل له، وإنما الثابت في الصحيحين وغيرهما من دواوين السنة " **خير الناس قرني**.... " الحديث

راجع: صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب: **لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد** ح ٢٥٠٩.، مسلم: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: **فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** ح٢٥٣٣.

وَلكِنَّ إجْمَاعَ أَهْلِ السُّنَّة عَلى أَفْضَلِيَّة الشَّيْخَيْنِ وَلا أَحَدَ يَسْبقُ أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ الأَنْبيَاءِ ــ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ وَهُوَ أَسْبَقُ سَابِقِي هَذِهِ الأُمَّة، وَأَقْدَمُ قُدَمَاءِ أَرْبَابِ هَذه الملة.

وَتَشَرَّفَ الفَارُوقُ بتَوَسُّله بدَوْلَة الأَفْضَلِيَّة وَتَرَقَّى بتَوَسُّطه فَوْقَ الآخَرِينَ وَمِنْ هَاهُنَا قَالوا للفَارُوق خَليفَةَ الصِّدِّيق وَقَرَءُوا في الخُطْبَة خَليفَةَ خَليفَةِ رَسُول الله ﷺ.

وَفَارِسُ مَيْدَان هَذه المُعَامَلَة هُوَ الصِّدِّيقُ وَالفَارُوقُ رَدِيفُهُ وَحَبَّذَا الرَّدِيفُ حَيْثُ رَافَقَ الفَارِسَ وَشَارَكَهُ في أَخَصِّ أَوْصَافه.

وَلنَرْجعْ إلى أَصْل الكَلام وَنَقُول: إنَّ السَّابقينَ خَارجُونَ منْ أَحْكَام اليَمين وَالشِّمَال وَمُتَفَوِّقُونَ منْ مُعَامَلات الظُّلْمَانيَّة وَالنُّورَانيَّة، كتَابُهُمْ وَرَاءَ كتَاب اليَمين وَالشِّمَال، وَمُحَاسَبَتُهُمْ وَرَاءَ مُحَاسَبَة أَصْحَاب اليَمين وَالشِّمَال، أَشْغَالُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ عَلى حدَة وغنجهم وَدَلالُهُمْ مُمْتَازٌ، مَاذَا يُدْرِكُ أَصْحَابُ اليَمين مثْل أَصْحَاب الشِّمَال منْ كَمَالاتهِمْ؟! وَمَاذَا يَنَال أَرْبَابُ الولايَة كَعَامَّة المُؤْمنينَ منْ أَسْرَارِهِمْ؟! حُرُوفُ المُقَطَّعَات القُرْآنيَّة رُمُوزُ أَسْرَارهِمْ، وَالمُتَشَابهَاتُ الفَوْقَانيَّة كُنُوزُ مَدَارجِ وُصُولهمْ، وَجَعلهمُ الوُصُول إلى الأَصْل فَارغينَ منَ الظِّل، وَأَبْعَدُ أَرْبَاب الظِّلال عَنْ حَرِيمهمُ الخَاصِّ بهمْ، وَهُمُ المُقَرَّبُونَ، وَالرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ نَصيبهُمْ، وَهُمُ الذينَ لاَ يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَلا يَتحَرَّكُونَ منْ مَحَلهمْ منْ أَهْوَال يَوْمَ القيَامَة في المَحْشَر كَغَيْرِهمْ، اللهُمَّ اجْعَلنَا منْ مُحبِّيهمْ؛ فَإنَّ المرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ وَعَلى آله الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ وَالتَّحيَّاتُ وَالبَرَكَاتُ

سنن الترمذي: ك: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ. ب: ما جاء في القرن الثالث.ح ٢٣٢٠.

المَكْتُوب الثَّالثُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة

إلى مَوْلانَا بَدْرِ الدِّين

فِي بَيَانِ أَنَّ خَرْقَ الحُجُبِ(١) باعْتِبَارِ الشُّهُود لاَ بِاعْتِبَارِ الوُجُودِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى:

إنَّ خَرْقَ حُجُبِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ والشُّئُون وَالاعْتِبَارَات مِنْ حَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ عَلى قِسْمَيْن:

- خَرْق باعْتِبَار الشُّهُود.
- وَخَرْق باعْتِبَار الوُجُود.

فَالخَرْقُ الوُجُوديُّ مُمْتَنِعٌ وَالخَرْقُ الشُّهُوديُّ مُمْكنٌ، بَل وَاقعٌ وَإنْ كَانَ نَصيبَ أَقَل قَليل وَأَخصَّ خَوَاصٍّ، وَمَا وَرَدَ فِي الخَبَرِ مِنْ قَوْله عَلَيْه السَّلامُ: " إنَّ لله سَبْعينَ أَلفَ حجَاب منْ نُور وَظُلمَة لوْ كُشفَتْ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهه مَا انْتَهَى إلَيْه بَصَرُهُ منْ خَلقه"(٢) فَالمُرَاد منْ هَذَا الكَشْف وَالخَرْق الوُجُوديِّ المُمْتَنِع.

وَمَا كَتَبَ هَذَا الفَقيرُ فِي بَعْضِ رَسَائله منْ خَرْق جَميعِ الحُجُب من حَضْرَة الذَّات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ فَالمُرَاد منْهُ الخَرْقُ الشُّهُوديُّ كَمَا أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ يُكْرِمُ شَخْصًا ببصَارَة يَرَى بهَا الأَشْيَاءَ منْ وَرَاء الحُجُب وَالأَسْتَار وَخَرْقُ الحُجُب وَالأَسْتَار هُنَا باعْتبَار الشُّهُود فَكَذَا هَذَا فَعُلمَ أَنَّ مَا كَتَبَهُ الفَقيرُ منْ جَوَاز خَرْق الحُجُب لَيْسَ بمُنَاف لخَبَر عَدَم جَوَاز خَرْق الحُجُب فَإنَّ ذَلكَ الخَرْقَ غَيْرُ هَذَا الخَرْق فَلا تَكُنْ منَ المُمْتَرينَ {والسلام على من اتبع الهدى}(٣) وَالتَزم مُتَابعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) **الحجب**: جمع حجاب، والحجاب عرفه الكاشاني فقال: كل ما ستر مطلوبك عن عينيك، وذلك منك، ومن انحصارك في كل ما تراءى لك من عالم النور، أو الظلمة، لا من غيرك. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ١٣٦.

(٢) **صحيح**: مسلم: ك: الإيمان. ب: في قوله عليه السلام: " إن الله لا ينام " ح١٧٩.، سنن ابن ماجه: ك: الإيمان. ب: فيما أنكرت الجهمية. ح١٩٦.

(٣) طـــه: ٤٧

المَكْتُوب الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الشَّيْخ فَرِيد التهانيسرى
في بَيَان أنَّ في مَرَاتب نهاية النِّهَايَة
تَظْهَرُ مَرْتَبَةُ كُل ذَرَّة منْ ذَلكَ المَوْطَنِ أَزْيَدَ منْ تَمامِ دَائِرَةِ الإِمْكَانِ
بأضْعَاف مُضَاعَفَة
وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

قَدْ يَظْهَرُ وَقْتَ العُرُوجِ إلى مَرَاتب نهَايَة النِّهَايَة بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَحُرْمَة حَبيبه ـــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـــ مَرْتَبَةُ كُل ذَرَّة منْ ذَلكَ الموْطنِ أزيدَ منْ تَمَام دَائرَة الإمْكَان بأضْعَاف مُضَاعَفَة، فَإذَا قَطَعَ مَسَافَةً مقْدَار ذَرَّة منْ ذَلكَ المَوْطنِ بالسُّلوك كَأنَّهُ تَيَسَّرَ قَطْعُ زيَادَة أَضْعَاف دَائرَة الإمْكَانِ، فَكَيْفَ إذَا طَوَى شَخْصٌ مَسَافَةً طَويلةً منْ تلكَ المَرْتَبَة؟!

فَعُلمَ أَنَّهُ لاَ مقْدَارَ لدَائرَة الإمْكَان بالنِّسْبَة إلى مَرْتَبَة الوُجُوب فَمَا فَوْقَهَا، يَا ليْتَ لهَا حُكْمَ القَطْرَة بالنِّسْبَة إلى البَحْر المحيط!!

فَبالضَّرُورَة لاَ يُمْكنُ وُصُول أَحَد إلى مَنْزل الحَبيبِ بقُوَّة قَدَمه وَلا يَقْدرُ رُؤْيَتَهُ ببَصَرِ نَفْسه لاَ يَحْمل عَطَايَا الملك إلاَّ مَطَايَاهُ.

المَكْتُوب الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى الخَوَاجَهْ جَمَال الدِّينِ الحُسَيْنِ وَلد المرْزَا حُسَامَ الدِّينِ أَحْمَدَ

فِي بَيَانِ حَصْرِ الصُّوفيَّة السَّيْرَ فِي الآفَاق وَالأنْفُسِ وَإِثْبَاتِهِمُ التَّخْلِيَةَ وَالتَّحْلِيَةَ فِي ذَلِكَ السَّيْرِ وَمَنْعِه هُوَ قُدِّسَ سِرُّهُ هَذَا المَعْنَى وَإِثْبَاتِه نِهَايَةَ النِّهَايَةِ فِيمَا وَرَاءَ الأنْفُسِ وَالآفَاق بعنَايَةِ الله سُبْحَانَهُ

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّدِ المُرْسَلينَ وَعَلى آله الكِرَامِ وَأَصْحَابِه العِظَامِ إِلى يَوْمِ القِيَامَة.

أَيُّهَا الوَلَدُ العَزِيزُ أَسْعَدَكَ اللهُ تَعَالى اسْمَعْ بِسَمْعِ العَقْلِ، إِنَّ السَّالكَ إِذَا اشْتَغَلَ بالذِّكْرِ الإلهيِّ جَلَ سُلطَانُهُ بَعْدَ تَصْحيحِ النِّيَّة وَتَخْليصِهَا، وَقَدَّمَ الرِّيَاضَات⁽¹⁾ الشَّاقَّةَ وَالمُجَاهَدَات الشَّديدَةَ وَحَصَّلَ التَّزْكِيَةَ وَبَدَّلَ الأَوْصَافَ الرَّذيلة بالأَوْصَاف الحَسَنَة وَتَيَسَّرَتْ لهُ التَّوْبَةُ وَالإنَابَةُ وَزَال حُبُّ الدُّنْيَا عَنْ قَلبه وَحَصَلَ لهُ الصَّبْرُ وَالتَّوَكُّل وَالرِّضَا وَشَاهَدَ هَذه المعاني الحَاصلةَ لهُ في عَالمِ المثَال بالتَّدْريجِ وَالتَّرْتيب وَرَأَى نَفْسَهُ طَاهرًا وَمُصَفًّى عَنِ الكُدُورَات البَشَريَّة وَالصِّفَات الرَّذيلة لكَانَ قَدْ أَتَمَّ السَّيْرَ الآفَاقيَّ أَلبَتَّةَ، وَاخْتَارَ طَائفَةٌ في هَذَا المَقَام الاحْتيَاطَ وَقَرَّرُوا الأَمْرَ عَلى تَمَثُّل كُل لطيفَة منَ اللطَائف السَّبْعَة الإنْسَانيَّة في عَالمِ المثَال بصُورَة نُور منَ الأَنْوَار المُنَاسبة لهَا وَجَعَلوا عَلامَةَ صَفَاء كُل لطيفَة ظُهُورَ نُور منْ تلكَ الأَنْوَار المثَاليَّة وَابْتَدَءُوا هَذَا السَّيْرَ منْ لطيفَة القَلب وَأَوْصَلوهُ بالتَّدْريجِ وَالتَّرْتيب إلى اللطيفَة الأَخْفَى التي هيَ مُنْتَهَى اللطَائف، وَجَعَلوا عَلامَةَ صَفَاء قَلب السَّالك مثَال ظُهُور ذَلكَ القَلب في عَالمِ المثَال بصُورَة النُّورِ الأَحْمَرِ وَجَعَلوا عَلامَةَ صَفَاءِ الرُّوحِ ظُهُورَهُ

---

(١) **الرياضة**: لغة: التذليل، يقال:" راض المهر رياضا ورياضة ذلـله" انظر: الفيروزابادي: القاموس المحيط: الروضة.

أما عند الصوفية فهي: ضرب من ترويض النفس على الطاعات والزهد في مـلاذ الحيـاة، ويدل على ذلك قول يحي بن معاذ الرازي: " جاهد نفسك بالطاعة والرياضة، فالرياضة: هجر المنام، وقلة الكلام، وتحمل الأذى من الأنام، والقلة من الطعام، فيتولد من قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات، ومن قلة الطعام موت الشهوات " انظر: الغزالي: مكاشفة القلوب: ١١، ١٢.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٢٠٢،٢٠١.

بِصُورَةِ النُّورِ الأَصْفَرِ، وَعَلى هَذَا القِيَاسِ فَكَانَ حَاصِل السَّيْرِ الآَفَاقِيّ أَنْ يُشَاهِدَ السَّالِكُ تَبدُّل أَوْصَافِه وَتَغيُّرَ أَخْلاقِه فِي مرَايَا عَالِمِ المَثَال وَأَنْ يَحسَّ زَوَال ظُلمَاته وَكُدُوْرَاته فِي ذَلكَ العَالِمِ حَتَّى يَحْصُل لهُ اليَقِينُ بِصَفَائه، وَيُثْبتَ العلمَ بِتزْكيَتِه وَلَّما كَانَ السَّالِكُ فِي هَذَا السَّيْرِ يُشَاهِدُ أَحْوَالهُ وَأَطْوَارَهُ سَاعَةً فَسَاعَةً فِي عَالِمِ المَثَال الذي هُوَ مِنْ جُمْلة الآَفَاق وَرَأَى فيه انْتقَالهُ مِنْ هَيْئَة إلى هَيْئَة كَأَنَّ سَيْرَهُ كَانَ فِي الآَفَاق وَإِنْ كَانَ هَذَا السَّيْرُ فِي الحَقِيقَة سَيْرًا فِي نَفْسِ السَّالِك وَكَانَت الحَرَكَةُ حَرَكَةَ كَيْفِيَّة فِي أَخْلاقِه وَأَوْصَافه وَلكنْ لَّمَا كَانَ سَطْحُ نَظَرِه بَعِيدًا فِي رُؤْيَته كَانَ ذَلكَ آفَاقًا لاَ أَنْفُسًا وَصَارَ السَّيْرُ أَيْضًا مُنْتَسبًا إلى الآَفَاق، وَقَالوا بتَمَام السَّيْرِ إلى الله عنْد تَمَامِ هَذَا السَّيْرِ المنْسُوب إلى الآَفَاق، وَجَعَلوا الفَنَاء مَرْبُوطًا بِهَذَا السَّيْرِ وَعَبَّرُوا عَنْ هَذَا السَّيْرِ بِالسُّلوك فَإِذَا وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلكَ يُسَمُّونَهُ سَيْرًا أَنْفُسيًّا، وَيُقَال لهُ أَيْضًا السَّيْرَ فِي الله وَيُثْبتُونَ البَقَاءَ بالله فِي هَذَا الموْطن، وَيَروْنَ فِي هَذَا المَقَام حُصُول الجَذْبَة بَعْدَ السُّلوك، وَلَّما حَصَلت التَّزْكيَةُ للطَّائف السَّالك فِي السَّيْرِ الأَوَّل وَتَخلصَتْ عَنِ الكُدُورَات البَشَرِيَّة، حَصَلتْ لَهَا قَابليَّةُ ظُهُورِ ظلال الاسْمِ الجَامِعِ الذي هُوَ رَبُّ السَّالك، وعُكُوسُ ذَلكَ الاسْمِ فِي مَرَايَا تلكَ اللطَائف، وَتَكُونُ تلكَ اللطَائفُ مَوَاردَ تَجليَات جُزْئيَّات ذَلكَ الاسْمِ الجَامِعِ وَظُهُورَاتهَا، وَإِنَّمَا يُسَمُّونَ هَذَا السَّيْرَ بالسَّيْرِ الأَنْفُسيِّ؛ لأَنَّ الأَنْفُسَ صَارَتْ مَرَايَا ظلال الأَسْمَاء وعُكُوسَهَا لاَ إنَّ سَيْرَ السَّالك فِي الأَنْفُس، كَمَا مَرَّ فِي السَّيْرِ الآَفَاقِيّ مِنْ أَنَّهُ قيل سَيْرًا آفَاقيًّا باعْتبَارِ المرْآتيَّة، لاَ لكَوْن السَّيْرِ فِي الآَفَاق وَهَذَا السَّيْرُ فِي الحَقيقَة سَيْرٌ فِي ظلال الأَسْمَاء فِي مَرَايَا الأَنْفُسِ؛ وَلهَذَا قيل لهَذَا السَّيْرِ سَيْرُ المَعْشُوق فِي العَاشِق

مَا صُورَةُ المِرْآة مِنْ حَرَكَاتِهَا   لكنَّهَا انْطَبَعَتْ بهَا لصَفَائهَا

يُمْكنُ أَنْ يُقَال لهَذَا السَّيْرِ: السَّيْرُ فِي الله؛ باعْتبَارِ أَنَّهُمْ قَالوا إنَّ السَّالكَ يَتخَلقُ فِي هَذَا السَّيْرِ بِأَخْلاق الله وَيَنْتَقل مِنْ خُلق إلى خُلق، فَإنَّ للمُظْهرِ نَصيبًا مِنْ بَعْضِ أَوْصَاف الظَّاهر وَلوْ فِي الجُمْلة، فَكَأَنَّهُ تَحقَّقَ السَّيْرُ فِي أَسْمَاء الله تَعَالى، هَذَا نهَايَةُ تَحْقيق هَذَا المَقَام وَتَصْحيحِ هَذَا الكَلامِ وَلا يُدْرَى مَاذَا كَانَ حَال صَاحب المَقَام؟ وَأَيَّ شَيْء كَانَ مُرَادُ المتَكَلمِ مِنَ الكَلامِ، كُل شَخْصٍ يَقُول شيئًا عَلى مقْدَارِ فَهْمه وَوُجْدَانه يُرِيدُ المتَكَلمُ مِنْ كَلامه مَعْنًى وَيَفْهَمُ السَّامعُ مِنْ ذَلكَ الكَلامِ مَعْنًى آخرَ، وَهُمْ يَقُولونَ للسَّيْرِ الأَنْفُسيِّ سَيْرًا فِي الله مِنْ غَيْرِ تَكَلفٍ وَيُسَمُّونَهُ بَقَاءً بِالله

بلا تَحَاشٍ، وَيَزْعُمُونَهُ مَقَامَ الوِصَال وَالاتِّصَال، وَهَذِه الإطْلاقَات تَثْقُل عَلى الفَقِير جدًّا؛ فَلا جَرَمَ يُرْتَكَبُ فِي تَوْجِيهِهَا وَتَصْحِيحِهَا التَّمَحُّل وَالتَّكَلُّفُ، بَعْضُ ذَلِكَ التَّمَحُّل مَأْخُوذٌ مِنْ كَلامِهِمْ، وَبَعْضُهُ وَارِدٌ مِنْ طَرِيقِ الإفَاضَة وَالإلهَام، وَفِي السَّيْر الآفَاقِيِّ كَأَنَّهُ حَصَلت التَّخْلِيَةُ مِنَ الرَّذَائِل، وَفِي السَّيْر الأَنْفُسِيِّ التَّحَلِي بالأَخْلاق الحَمِيدَة، فَإنَّ التَّخْلِيَةَ مُنَاسَبَة لمَقَام الفَنَاء، وَالتَّحْلِيَةَ مُنَاسَبَة لمَقَام البَقَاء، وَلَمْ يُثْبِتُوا لهَذَا السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ نِهَايَةً وَحَكَمُوا بعَدَم انْقِطَاعه، وَإنْ تَيَسَّرَ العُمْرُ الأَبَدِيُّ، وَقَالوا: لاَ نِهَايَةَ لشَمَائِل المَحْبُوب وَأَوْصَافه فَلا يَزَال تَتَجَلى صِفَةٌ مِنْ صِفَاته فِي مِرْآة السَّالِك المُتَخَلِق، وَيَظْهَرُ كَمَال مِنْ كَمَالاتِه، فَأَيْنَ يَكُونُ الانْقِطَاعُ؟ وَكَيْفَ تَجُوزُ النِّهَايَةُ؟ قَالوا:

وَلوْ سعَتْ ذَرَّةٌ فِي عُمُرِهَا طَلَبًا خَيْرًا وَشَرًّا تَجِدُ فِي نَفْسِهَا اكْتُمْنَا

وَبِهَذَا الفَنَاء وَالبَقَاءِ اللذَيْنَ حَصَلا بالسَّيْر الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسِيِّ يُطْلِقُونَ اسْمَ الوِلايَة وَيَرَوْنَ نِهَايَةَ الكَمَال إلى هُنَا، فَإنْ وَقَعَ السَّيْرُ بَعْدَ ذَلكَ فَهُوَ سَيْرٌ رُجُوعِيٌّ عِنْدَهُمْ، الذي هُوَ مُعَبَّرٌ بالسَّيْر عَنِ الله بالله، وَكَذَلكَ السَّيْرُ الرَّابعُ الذي قَالوهُ سَيْرًا فِي الأَشْيَاء بالله، يَتَعَلقُ بالنُّزُول أَيْضًا وَقَرَّرُوا هَذَيْن السَّيْرَيْن لأَجْل التَّكْمِيل وَالإرْشَاد، كَمَا أَنَّ ذَيْنَكَ السَّيْرَيْنِ لحُصُول نَفْسِ الوِلايَة وَالكَمَال وَالاسْتِرْشَاد

وَقَال جَمْعٌ: إنَّ سَبْعِينَ أَلفَ حِجَاب الذي وَرَدَ فِي الخَبَر: إنَّ لله سَبْعِينَ أَلفَ حِجَاب مِنْ نُورٍ وَظُلْمَة، يَخْرُقُ فِي السَّيْر الآفَاقِيِّ فَإنَّهُ يَخْرُقُ فِي كُل لطِيفَة مِنَ اللطَائِف السَّبْعَ عَشَرَةَ آلافَ حِجَاب، فَإذَا بَلغَ ذَلكَ السَّيْرُ تَمَامَهُ ارْتَفَعَت الحُجُبُ بتَمَامِهَا، وَتَحَقَّقَ السَّالكُ بالسَّيْر فِي الله وَبَلغ مَقَامَ الوَصْل، هَذَا حَاصِل سَيْر أَرْبَاب الوِلايَة وَسُلوكِهِمْ، وَنُسْخَةُ كَمَالهِمْ وَتَكْمِيلهِمُ الجَامِعَة، وَمَا ظَهَرَ لهَذَا الفَقِير بمَحْضِ فَضْل الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَكَرَمه فِي هَذَا البَاب وَمَا سَلكَ هُوَ فِيه يُحَرِّرُهُ إظْهَارًا للنِّعْمَة وَشُكْرًا عَلى العَطِيَّة فَاعْتَبرُوا يَا أُولِي الأَبْصَار

اعْلمْ أَرْشَدَكَ اللهُ وَهَدَاكَ سَوَاءَ الصِّرَاط أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ الذي هُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الكَيْف وَالمِثَال وَالشَّبَه وَمَا يَقَعُ فِي الخَيَال، كَمَا أَنَّهُ وَرَاءَ الآفَاق، كَذَلكَ هُوَ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ الأَنْفُس أَيْضًا، فَلا يَكُونُ لتَسْمِيَة السَّيْر الآفَاقِيِّ بالسَّيْر بالله، وَالسَّيْر الأَنْفُسِيِّ بالسَّيْر فِي الله مَعْنًى، بَل كِلا السَّيْرَيْنِ الآفَاقِيِّ وَالأَنْفُسِيِّ دَاخلان فِي السَّيْر إلى الله، وَالسَّيْرُ فِي الله هُوَ سَيْرٌ بَعِيدٌ عَنِ الآفَاق وَالأَنْفُس بمَرَاحِل وَوَرَاءَ وَرَائِهِمَا، وَالعَجَبُ أَنَّهُمْ قَرَّرُوا السَّيْرَ فِي الله فِي السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَقَالوا: بعَدَم نِهَايَة ذَلكَ السَّيْر، وَلَمْ يُجَوِّزُوا

انْقطَاعَهُ فِي العُمرِ الأَبَديِّ كَمَا مَرَّ، وَحَيْثُ كَانَت الأَنْفسُ كَالآفَاق مِنْ جُمْلَة دَائرَة الإِمْكَان، فَعَلى هَذَا التَّقْدير لاَ يُمْكنُ قَطْعُ دَائرَة الإِمْكَان، فَلا جَرَمَ يَكُونُ الحِرْمَانُ دَائمًا وَالخُسْرَانُ سَرْمَدًا، وَلا يَتحقَّقُ الفَنَاءُ أَبَدًا، وَلا يُتَصوَّرُ البَقَاءُ حينَئذ فَكَيْفَ الوَصْل وَالاتِّصَال؟ وَكَيْفَ القُرْبُ وَالكَمَال؟ سُبْحَانَ الله إِذَا اكْتَفَى الكُبَرَاءُ مِنَ الشَّرَاب بالسَّرَاب وَزَعَمُوا إِلَى الله فِي الله، وَتَصوَّرُوا الإِمْكَانَ وُجُوبًا وَعَبَّرُوا عَن المثْليِّ وَالكَيْفيِّ باللامثْليّ واللاكَيْفيِّ؟! كَيْفَ نَشْتَكي مِنَ الصِّغَار وَوَضيعي الفطْرَة أَيُّ بَلاء وَقَعَ بَأَيِّ اعْتبَار؟ قَالوا للأَنْفُس حَقًّا جَل وَعَلا، وَظَنُّوا سَيْرَهَا غَيْرَ مُتَنَاه مَعَ وُجُود حَدِّهَا وَنهَايَتهَا، وَظُهُورُ أَسْمَاء الوَاجب جَل سُلطَانُهُ وَصفَاتُهُ في مرْآة السَّالك الَذي قَرَّرُوهُ فِي هَذَا السَّيْر الأَنْفُسيِّ — هُوَ ظُهُورُ ظَل مِنْ ظلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات، لاَ ظُهُورُ عَيْنِ الأَسْمَاء وَالصِّفَات كَمَا يُحرَّرُ تَحْقيقُ هَذَا المَعْنَى فِي آخرِ هَذَا المَكْتُوب إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، مَاذَا أَفْعَل؟ وَكَيْفَ أُجوِّزُ سُوءَ الأَدَب، هَذَا مَعَ جَنَاب قُدُسه تَعَالَى مَعَ وُجُود العلم وَالتَّمْييز؟! وَكَيْفَ أُشْرِكُ غَيْرَهُ فِي مُلكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! وَإِن اعْتَقَدْتُ أَنَّ حُقُوقَ هَؤُلاء الأَكَابر قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ثَابتَةٌ فِي ذمَّتي، فَإِنِّي مُرَّ بِي بِأَنْوَاع تَرْبيَتهمْ، وَلكنَّ حُقُوقَ وَاجب الوُجُود جَل سُلطَانُهُ فَوْقَ جَميع حُقُوقهمْ وَتَرْبيَتَهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ تَرْبيَة الآخرينَ، وَلقَدْ نَجَوْتُ بِحُسْن تَرْبيَته تَعَالَى منْ هَذه الوَرْطَة وَلَمْ أُشْركْ فِي مُلكه تَعَالَى غَيْرَهُ سُبْحَانَهُ.

{الحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ}(١) وَهُوَ تَعَالَى مُنزَّهٌ عَنِ الكَيْفِ وَالشِّبْه وَالمثَال، وَكُل مَا هُوَ مُتَّسمٌ بسمَة الكَيْف وَالكَمِّ فَهُوَ مَسْلوبٌ عَنْ جَنَابه تَعَالى، فَلا يَكُونُ لهُ سُبْحَانَهُ مَجَال فِي مَرَايَا الآفَاق وَمَجَالي الأَنْفُس، وَكُل مَا يَظْهَرُ فِي هَؤُلاء يَكُنْ كَالمَظَاهر كَيْفيًّا وَكَميًّا، فَيَنْبَغي أَنْ يَتَجَاوَزَ الآفَاق وَالأَنْفُسَ، وَأَنْ يَطْلُبَهُ سُبْحَانَهُ فِيمَا وَرَاءَهُمَا، وَكَذَلكَ دَائرَةُ الإِمْكَان آفَاقيًّا كَانَتْ وَأَنْفُسيًّا، كَمَا أَنَّهُ لاَ مَجَال لذَاته سُبْحَانَهُ فِيهَا، لاَ مَجَال أَيْضًا لأَسْمَائه وَصفَاته سُبْحَانَهُ فِيهَا، بَل كُل مَا هُوَ ظَاهرٌ فِيهَا فَهُوَ ظلال الأَسْمَاء وَالصِّفَات — تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ — وَشَبَحُهَا وَمثَالهَا، بَل ظليَّةُ الأَسْمَاء وَالصِّفَات وَمثَاليَّتُهَا أَيْضًا في خَارج الآفَاق وَالأَنْفُس، لَيْسَ هُنَا غَيْرُ التَّعْبيَة وَانْتقَاش القُدْرَة لمَن الظُّهُور، وَأَيْنَ التَّجَلي فَإِنَّ أَسْمَاءَهُ وَصفَاته سُبْحَانَهُ كَذَاته تَعَالَى مُنَزَّهَةٌ عَن الكَيْف وَالشِّبْه وَالمثَال، فَمَا لَمْ تَخْرُجْ إِلَى مَا وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُس لاَ تَعْلمُ مَعْنَى ظليَّة أَسْمَائه وَصفَاته تَعَالَى،

---

(١) الأعراف: ٤٣

فَكَيْفَ الوُصُول إلى الأَسْمَاءِ وَالصِّفَات تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ؟! وَأَعْجَبُ منْ هَذه الْمُعَامَلة فَإنِّي إنْ تَكَلمْتُ منْ مَكْشُوفَاتي وَمَعْلومَاتي اليَقينيَّة لاَ تَكُونُ مُوافقَةً لَمذَاق الَمشَائخ وَمُطَابَقَةً لَمكْشُوفَاتهمْ، فَمَنْ يُصَدِّقُهَا منِّي وَمَنْ يَقْبَل؟! وَإنْ لمْ أَتَكَلمْ، بَل أَسْكُتْ أَكُنْ مُجوِّزًا لالتبَاسِ الحَقِّ بالبَاطل، وَلإطْلاق مَا لاَ يَجُوزُ إطْلاقُهُ عَلى الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، فَأُظْهرُ بالضَّرُورَة مَا هُوَ الحَقُّ وَاللائقُ بجَنَاب قُدُسه تَعَالى، وَأَسْلبُ مَا لَيْسَ بمُنَاسب لجَنَاب قُدُسه تَعَالى، وَلا أُبَالي منْ خلاف الآخَرينَ، وَلا أَغْتَمُّ به، وَإنَّمَا يَتَحقّقُ الخَوْفُ منْ مُخَالفَة الآخَرينَ إذَا كَانَ في مُعَاملَتي تَذَبْذُبٌ، وَفي مَكْشُوفي اشْتبَاهٌ، فَإذَا انْكَشَفَتْ حَقيقَةُ الأَمْرِ مثْل فَلَق الصُّبْح، وَاتَّضَحَتْ مُعَامَلَةُ الأَصْل كَالقَمَر ليْلَةَ البَدْرِ، وَتَجَاوَزَتْ مَرَاتبَ الظِّلال وَالمثَال، أَيْنَ يَكُونُ الاشْتبَاهُ، وَلمَنْ يَعْرِضُ التَّذَبْذُبُ؟!

قَال حَضْرَةُ شَيْخنَا ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ: " عَلامَةُ صحَّة الأَحْوَال حُصُول اليَقينِ عَلى الكَمَال ".

وَأَيْضًا كَيْفَ يُتَصَوَّرُ الاشْتبَاهُ وَالتَّذَبْذُبُ؟ فَإنَّهُ قَدْ تَيَسَّرَ الاطِّلاعُ بعنَايَته تَعَالى التي لاَ غَايَةَ لَهَا عَلى تَفْصيل أَحْوَال هَؤُلاء الأَكَابرِ المقَرَّرَة، وَانْكَشَفَتْ مَعَارفُ التَّوْحيد وَالاتِّحَاد وَأَسْرَارُ الإحَاطَة وَالسَّرَيَان، وَحَصَلتْ حَقيقَةُ مَكْشُوفهمْ ومَشْهُودهمْ، وَاتَّضَحَتْ دَقَائقُ عُلومهمْ وَمَعَارفهمْ، وَاخْتَرْتُ الإقَامَةَ مُدَّةً مَديدَةً في هَذَا الَمقَام، وَأَدْرَكْتُ قَليلهُمْ وَكَثيرَهُمْ إلا مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى، فَظَهَرَ آخرَ الأَمْرِ ــ بفَضْل الله جَل سُلطَانُهُ ــ أَنَّ هَذه كُلهَا شَعْبَذَاتُ الظِّلال وَشَغَفٌ بالشَّبَه وَالمثَال، وَالمَطْلوب فيمَا وَرَاءَ وَرَاءَ ذَلكَ، وَالَمقْصُود مَا سوَى هَذه، فَلا جَرَمَ صرْتُ مُتَوَجِّهًا إلى جَنَاب قُدُسِ اللامثْليِّ، مُعْرضًا عَنِ الكُل وَتَبَرَّأْتُ عَنْ كُل مَا هُوَ مُتَّسمٌ بسمَة الكَمِّ وَالكَيْف.

{إنِّي وَجَّهْتُ وَجْهي للذي فَطَرَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ حَنيفًا وَمَا أَنَا منَ الُمشْركينَ}⁽¹⁾ فَلوْ لمْ تَكُنِ الُمعَامَلة هَكَذَا لَمَا حَرَّكْتُ شَفَتَيَّ عَلى خلاف الَمشَائخ، وَلَمَا أَظْهَرْتُ مُخَالفَتَهُمْ بالظَّنِّ وَالتَّخْمين، وَأَيْضًا إنَّ هَذَا الخلافَ لوْ لمْ يَتَعَلقْ بذَات الوَاجب وَصفَاته جَل سُلطَانُهُ، وَلمْ يَكُنْ الكَلامُ منْ تَقْديسه وَتَنْزيهه تَعَالى، لَمَا وَقَعَ إظْهَارُ خلاف مَكْشُوف هَؤُلاء الأَكَابرِ أَلبَتَّةَ، وَلمْ يَحْصُل الكَلاَمُ منْ مُخَالفَة عُلومهمْ، فَإنِّي أَقَل مُقْتَطفي عَنَاقيد رِيَاض دوَلهمْ، وَأَرْذَل مُلتَقطي كَسَرَات خُوَان نعَمهمْ، وَأُظْهرُ مُكَرَّرًا أَنَّهُمْ هُمُ الذينَ رَبُّوني بأَنْوَاعِ التَّرْبيَة، وَنَفَعُوني بأَضْعَاف

---

(١) النحل:١٢٣

الكَرَمِ وَالإِحْسَان وَالتَّرْقِيَة، وَلَكِنْ مَاذَا نَفْعَل فَإِنَّ حُقُوقَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ فَوْقَ حُقُوقِهِمْ، فَإِذَا وَقَعَ البَحْثُ فِي ذَاته وَصِفَاته تَعَالى وَعَلمَ أَنَّ إِطْلَاقَ بَعْضِ الأُمُورِ عَلى جَنَاب قُدُسه لَيْسَ بلائق، فَالسُّكُوتُ فِي هَذَا المَوْطِنِ خَوْفًا مِنْ خلاف الآخَرِينَ بَعِيدٌ عَنِ الدِّينِ وَالدِّيَانَة، لاَ يُطِيقُهُ مَقَامُ العُبُوديَّة وَالإِطَاعَة، خلافُ العُلَمَاء مَن المَشَائخ رَحمَهُمُ اللهُ تَعَالى فِي الأُمُور الخلافيَّة كَمَسْأَلة التَّوْحيد وَغَيْرِهَا مِنْ طَرِيقِ النَّظَر وَالاسْتدْلال، وَخلافُ هَذَا الفَقير مَعَهُمْ فِي هَذه الأُمُورِ مِنْ طَرِيقِ الكَشْف وَالشُّهُود، وَالعُلَمَاءُ قَائلونَ بقُبْحِ هَذه الأُمُور، وَهَذَا الفَقيرُ قَائل بحُسْنِ هَذه الأُمُور بشَرْط العُبُور، وَخلافُ الشَّيْخِ عَلاء الدَّوْلَة فِي مَسْأَلة وَحْدَة الوُجُود يُفْهَمُ عَلى طَوْرِ العُلَمَاء، وَيُنْظَرُ إِلى قُبْحهَا، وَإِنْ دَخَل فيهَا بطَرِيق الكَشْف فَإِنَّ صَاحبَ الكَشْف لاَ يَقُول بقُبْحهَا، فَإِنَّ هَذه المَسْأَلة مُتَضَمِّنَةٌ لأَحْوَال غَرِيبَة وَمُشْتَملةٌ عَلى مَعَارفَ عَجيبَة، غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ دَوَامَ الإِقَامَة فِي هَذَا المَوْطِنِ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ وَالاكْتفَاءُ بهَذه الأَحْوَال لَيْسَ بحَسَن.

فَإِنْ قيل فَعَلى هَذَا التَّقْديرِ يَكُونُ المَشَائخ عَلى البَاطل وَيَكُونُ الحَقُّ وَرَاءَ مَكْشُوفِهِمْ وَمَشْهُودهمْ.

أُجيبَ: إِنَّ البَاطل هُوَ الذي لاَ يَكُونُ لهُ مَحْمَل منَ الصِّدْق، وَفيمَا نَحْنُ فيه: مَنْشَأُ هَذه الأَحْوَال وَالمَعَارف غَلَبَةُ مَحَبَّة الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَاسْتيلاءُ حُبِّه تَعَالى عَلى نَهْجٍ لاَ يَتْرُكُ فِي نَظَر بَصِيرَتهمْ اسمًا وَلا رَسْمًا ممَّا سوَاهُ تَعَالى، وَيَجْعَل اسْمَ الغَيْرِ وَالغَيْرِيَّة وَرَسْمَهَا مَمْحُوًّا وَمُتَلاشيًا، فَفي هَذَا الوَقْت يَعْلمُونَ الأَغْيَارَ وَالسِّوَى بوَاسطَة السُّكْر، وَغَلبَةُ الحَال مَعْدُومَةٌ بالضَّرُورَة، وَلا يُرُونَ موْجُودًا غَيْرَ الحَقِّ تَعَالى، فَمَا البَاطل هُنَا وَأَيْنَ البُطْلانُ؟! بَل فِي هَذَا المَوْطِنِ اسْتيلاءُ الحَقِّ وَبُطْلانُ البَاطل.

وَهَؤُلاء الأَكَابرُ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ فِي مَحَبَّة الحَقِّ جَلا وَعَلا وَلَمْ يَتْرُكُوا منْ أَنْفُسهمْ وَغَيْرِهمْ اسمًا وَلا رسْمًا، يَكَادُ البَاطل يَفرُّ منْ ظلهمْ، وَهُنَا كُلهُ حَقٌّ وَلأَجْل الحَقِّ، مَاذَا يَنَال العُلَمَاءُ الذينَ نَظَرُهُمْ مَقْصُورٌ عَلى الظَّاهرِ منْ حَقيقَتهمْ؟! وَمَاذَا يَفْهَمُونَ غَيْرَ المخَالفَة الصُّوريَّة؟! وَمَاذَا يَأْخُذُونَ منْ كَمَالاتهمْ؟!

وَالكَلامُ فِي أَنَّ فيمَا وَرَاءَ هَذه الأَحْوَال وَالمَعَارف كَمَالات أُخَر، حُكْمُ هَذه الأَحْوَال وَالمَعَارف بالنِّسْبَة إِلى تلكَ الكَمَالات كَحُكْمِ القَطْرَة بالنِّسْبَة إِلى البَحْرِ المحيط.

مَتَى قِسْنَا السَّمَاء بِالعَرْشِ يَنْحَطُّ   وَمَا أَعْلاهُ إِنْ قِسْنَا بِأَرْضٍ

وَلْنَرْجِعْ إِلى أَصْلِ الكَلامِ، وَنَقُولَ وَمَا قَالُوا في خَرْقِ الحُجُبِ مِنْ أَنَّهُ تَرْتَفِعُ في السَّيْرِ الآفَاقِيِّ الحَجْبُ الظُّلْمَانِيَّةُ وَالنُّورَانِيَّةُ بِتَمَامِهَا كَمَا مَرَّ فَهَذَا الكَلامُ عِنْدَ هَذَا الفَقِيرِ مَحَلَ خَدْشَةٍ، بَل ثَبَتَ خِلافُهُ، وَشُوهِدَ أَنَّ خَرْقَ الحُجُبِ الظُّلْمَانِيَّةِ مَنُوطٌ بِطَيِّ جَمِيعِ مَرَاتِبِ الإِمْكَانِ، وَهُوَ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ بِالسَّيْرِ الآفَاقِيِّ وَالسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ، وَخَرْقُ الحُجُبِ النُّورَانِيَّةِ مَرْبُوطٌ بِسَيْرِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الوَاجِبيَّةِ تَعَالتْ وَتَقَدَّسَتْ، حَتَّى لاَ يَبْقَى في نَظَرِهِ اسْمٌ وَلا صِفَةٌ وَلا شَأْنٌ وَلا اعْتِبَارٌ حَتَّى يَتَيَسَّرُ لَهُ خَرْقُ الحُجُبِ النُّورَانِيَّةِ بِتَمَامِهَا وَيَتَشَرَّفُ بِالوَصْلِ(١) العُرْيَان وَإِنْ كَانَ هَذَا الوَصْلُ أَقَل حُصُولا وَهَذَا الوَصْلُ أَعَزَّ وُجُودًا، فَفِي السَّيْرِ الآفَاقِيِّ لاَ يُعْلَمُ أَنَّهُ انْخَرَقَ نِصْفُ الحَجْبِ الظُّلْمَانِيَّةِ أَمْ لاَ؟ فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ هُنَاكَ خَرْقُ الحُجُبِ النُّورَانِيَّةِ؟ غَايَةُ مَا في البَابِ أَنَّ المَرَاتِبَ في الحُجُبِ الظُّلْمَانِيَّةِ مُتَفَاوِتَةٌ، فَيَكُونُ ذَلِكَ التَّفَاوُتُ سَبَبًا لِلاشْتِبَاهِ، فَإِنَّ الحُجُبَ النَّفْسَانِيَّةَ فَوْقَ الحُجُبِ القَلْبِيَّةِ في الظُّلْمَةِ مثلا، وَإِنْ ظَهَرَ قَلِيلُ الظُّلْمَةِ نَفْسُهُ بِعُنْوَانِ النُّورَانِيَّةِ النِّسْبِيَّةِ، وَخِيلَ الظُّلْمَانِيُّ نُورَانِيًّا، وَلكِنَّ الظُّلْمَانِيَّ ظُلْمَانِيٌّ في الحَقِيقَةِ، وَالنُّورَانِيَّ نُورَانِيٌّ، لاَ يَخْلِطُ حَدِيدُ البَصَرِ أَحَدَهُمَا بِالآخَرِ، وَلا يَحْكُمُ عَلى الظُّلْمَةِ بِالنُّورِ لِوُجْدَانِهِ مَنْشَأَ الاشْتِبَاه.

{ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}(٢) وَالطَّرِيقُ الذي شَرَفَ هَذَا الفَقِيرُ بِتَسْلِيكِهِ جَامِعٌ لِلجَذْبَةِ وَالسُّلُوكِ، وَكُل وَاحِدٍ مِنَ التَّخْلِيَةِ وَالتَّحْلِيَةِ مُجْتَمِعٌ مَعَ الآخَرِ، وَكُل وَاحِدٍ مِنَ التَّصْفِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ مُقْتَرِنٌ في ذَلِكَ المَوْطِنِ بِالآخَرِ، وَالسَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ مُتَضَمِّنٌ في ذَلِكَ المَقَامِ لِلسَّيْرِ الآفَاقِيِّ، فَفِي عَيْنِ التَّصْفِيَةِ تَزْكِيَةٌ، وَفي عَيْنِ التَّخْلِيَةِ تَحْلِيَةٌ، وَنَفْسُ الجَذْبَةِ مُحَصِّلَةٌ لِلسُّلُوكِ، وَالأَنْفُسِ شَامِلَةٌ لِلآفَاقِ، وَلكِنَّ التَّقَدُّمَ الذَّاتيَّ لِلتَّخْلِيَةِ وَالجَذْبَةِ، وَلِلتَّصْفِيَةِ سَبْقَةٌ ذَاتِيَّةٌ عَلى التَّزْكِيَةِ، وَمَلْحُوظُ النَّظَرِ الأَنْفُسُ لاَ الآفَاقُ، فَلا جَرَمَ كَانَ هَذَا الطَّرِيقُ أَقْرَبَ في الوُصُول.

بَل أَقُول: إِنَّ هَذَا الطَّرِيقَ مُوصِّلٌ أَلْبَتَّةَ، وَاحْتِمَالُ عَدَمِ الوُصُولِ مَفْقُودٌ فِيهِ، يَنْبَغِي أَنْ يُسْأَلَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ الاسْتِقَامَةَ، وَأَنْ يُطْلَبَ مِنْهُ تَعَالى الفُرْصَةَ،

---

(١) **الوصل**: هو الوحدة الحقيقيية الواصلة بين البطون والظهور، وقد يعبر به عن سبق الرحمة بالمحبة، وقد يعبر به عن قيومية الحق للأشياء فإنها تصل الكثرة بعضها ببعض حتى تتحد. انظر: الكاشاني: معجم مصطلحات الصوفية: ٧٦.

(٢) ـــ الحديد: ٢١

وَإِنَّمَا قُلتُ: إِنَّ هَذَا الطَّرِيقَ مُوَصِّلٌ أَلبَتَّةَ فَإِنَّ أَوَّل قَدَمِ هَذَا الطَّرِيقِ الجَذْبَةُ التِي هِيَ دِهْلِيزُ الوُصُول وَمَوَاقِعُ التَّوَقُّفَات، أَمَّا مَنَازِل السُّلوك أَوْ مُوَاطِنُ الجَذْبَات التِي لاَ تَكُونُ مُتَضَمِّنَةً للسُّلوك وَكلا المانعينَ مُرْتفعَان في هَذَا الطَّرِيقِ؛ فَإِنَّ السُّلوكَ طُفَيْلِيٌّ يَحْصُل في ضِمْنِ الجَذْبَة فَهَاهُنَا لَيْسَ سُلوكٌ خَالصٌ وَلا جَذْبَةٌ أَبْتَرَ حَتَّى يَكُونَ الطَّرِيقُ مَسْدُودًا، وَهَذَا الطَّرِيقُ طَرِيقُ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَهَؤُلاءِ الأَكَابِر وَصَلوا إلى مَنَازل الوُصُول عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتِهِمْ مِنْ هَذَا الطَّرِيق، وَقَطَعُوا الآفَاق وَالأَنْفُسَ بخُطْوَة وَاحِدَة، وَوَضَعُوا أَقْدَامَهُمُ الأُخَرَ فيمَا وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُس، وَرَقُّوا المُعَامَلة فَوْقَ السُّلوك وَالجَذْبَة، فَإِنَّ نهَايَة السُّلوك إِلى نهَايَة السَّيْر الآفَاقيِّ وَنِهَايَةَ الجَذْبَة إِلى نهَايَة السَّيْر الأَنْفُسيِّ فَإِذَا بَلغَ السَّيْرُ الآفَاقيِّ وَالأَنْفُسيُّ نهَايَتَهُ فَقَدْ تَمَّتْ مُعَامَلَةُ السُّلوك وَالجَذْبَة، وَبَعْدَ ذَلكَ لاَ سُلوكَ وَلا جَذْبَةَ وَهَذَا المَعْنَى لَيْسَ ممَّا يَجيءُ في حَوْصَلة كُل مَجْذُوب سَالك، وَسَالك مَجْذُوب فَإِنَّ عنْدَهُمْ لاَ مَجَال للقَدَم فيمَا وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُس، فَلوْ نَالوا عُمْرًا أَبَديًّا بالفُرْض وَالتَّقْدير لصَرَفُوهُ في السَّيْر الأَنْفُسيِّ ثُمَّ لاَ يَظُنُّونَهُ تَمَامًا. قَال وَاحدٌ منَ العُظَمَاءِ

وَلوْ سَعَتْ ذَرَّةٌ في عُمرِهَا طَلبًا   خيرًا وَشَرًّا تَنل في نَفْسهَا اكْتُمْنَا

كَمَا مَرَّ وَقَال الآخرُ: وَالتَّجَلي منَ الذَّات لاَ يَكُونُ إلا بصُورَة المُتَجَلي لهُ، فَالمُتَجَلي لهُ مَا رَأَى غَيْرَ صُورَته في مرْآة الحَقِّ، وَلا يُمْكنُ أَنْ يَرَاهُ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ شُيُوخي وَهُدَاتي وَأَدلائي إِلى الله تَعَالى، الذينَ فَتَحْتُ عَيْني في هَذَا الطَّريق بتَوَسُّلهمْ وَحَرَّكْتُ شَفَتَيَّ بمثْل هَذه المَقَالة بتَوَسُّطهمْ، وَأَخَذْتُ دَرْسَ " أَلفٌ بَا " في الطَّريقَة منْهُمْ وَحَصَّلتُ مَلكَةَ المَوْلويَّة منْ تَوَجُّهَاتهمُ الشَّريفَة، فَإِنْ كَانَ لي علمٌ فَهُوَ بتَطَفُّلهمْ، وَإِنْ كَانَتْ مَعْرفَةٌ فَهيَ أَيْضًا أَثَرُ التفَاتهمْ، وَتَعَلمْتُ طَريقَ انْدرَاج النِّهَايَة في البدَايَة منْ هَؤُلاء الأَكَابر وَأَخَذْتُ نسْبَةَ الانْجذَاب إلى جهَة القَيُّوميَّة أَيْضًا منْهُمْ، وَرَأَيْتُ بنَظَرهمُ الوَاحد مَا لاَ يَرَاهُ النَّاسُ في الأَرْبَعينَ، وَوَجَدْتُ بكَلامهمُ الوَاحد مَا لاَ يَجدُهُ الآخَرُونَ في السِّنينَ.

وَمَنْ نَال نَظْرَةَ شَمْسِ تبريزٍ ليهزأ   بِاخْتلاء الأَرْبَعينَ وَعَشَرَةٍ

وَلقَدْ أَجَادَ مَنْ قَال

أَعْجَبُ منَ النَّقْشَبَنْديِّينَ إِنَّهُمْ   يَمْشُونَ بالرَّكْب مخفيين للحرم

وَمِنْ عُلوِّ الفِطْرَة وَسُمُوِّ الهِمَّة قَرَّرُوا ابْتِدَاءَ الطَّرِيقَة مِنَ السَّيْر الأَنْفُسِيِّ وَقَطَعُوا السَّيْرَ الآفَاقِيّ فِي ضِمْنه، وَالسَّفَرُ⁽¹⁾ فِي الوَطَنِ فِي عِبَارَاتهِمْ كِنَايَةٌ عَنْ هَذَا السَّيْرِ، وَالمَسَافَةُ فِي طَرِيق هَؤُلَاءِ الأَكَابِر قَرِيبَةٌ وَأَقْرَبُ إِلَى الوُصُول، نِهَايَةُ سَيْرِ الآخَرِينَ بِدَايَةُ سَيْرِهِمْ، وَلهَذَا قَالوا: نَحْنُ نُدْرِجُ النِّهَايَةَ فِي البِدَايَة.

وَبالجُمْلة: إِنَّ طَرِيقَ هَؤُلاء الأَكَابِرِ فِيمَا بَيْنَ سَائِرِ طُرُق المَشَائِخ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَ جَمِيعِهِمْ عَالٍ جِدًّا، وَحُضُورُهُمْ وَشُعُورُهُمْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَال: إِنَّهُمَا فَوْقَ شُعُورِ أَكْثَرِهِمْ وَمِنْ هُنَا قَالوا: إِنْ نِسْبَتَنَا فَوْقَ جَمِيعِ النِّسَب، وَأَرَادُوا بالنِّسْبَة الحُضُورَ وَالشُّعُورَ، وَلكِنْ لمَّا لمْ يَكُنْ فِيمَا وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُس وَوَرَاءَ السُّلوك وَالجَذْبَة مَجَال لِقَدَمِ وِلايَة الأَوْلِيَاء وَمَمَرٌّ ـــ لمْ يُخْبِرْ هَؤُلاءِ الأَكَابِرُ أَيْضًا بِالضَّرُورَة عَنْ خَارِجِ الآفَاق وَالأَنْفُس، وَلمْ يَتَكَلمُوا فِيمَا وَرَاءَ السُّلوك وَالجَذْبَة، وَيَقُولونَ بِمِقْيَاسِ كَمَالات الوِلايَة: إِنَّ أَهْلَ اللهِ كَمَا يَرَوْنَهُ بَعْدَ الفَنَاء وَالبَقَاء يَرَوْنَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَكُل مَا يَعْرِفُونَ يَعْرِفُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَالحَيْرَةُ فِيهِمْ فِي وُجُود أَنْفُسِهِمْ.

{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ}⁽²⁾ للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ أَنَّ هَؤُلاء الأَكَابِرَ وَإِنْ لمْ يُخْبِرُوا عَنْ خَارِجِ الأَنْفُس، وَلكِنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُبْتَلِينَ وَمَفْتُونِينَ بِالأَنْفُسِ أَيْضًا، بَل يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلوا الأَنْفُسَ تَحْتَ كَلِمَة " لاَ " كَالآفَاق وَأَنْ يَنْفُوهَا بِعِلة الغَيْرِيَّة.

قَالَ الخَوَاجَهْ الأَعْظَمُ ـــ قُدِّسَ سِرُّهُ ـــ: كُل مَا يُرَى وَيُسْمَعُ وَيُعْلمُ فَهُوَ غَيْرُهُ تَعَالَى يَنْبَغِي نَفْيُهُ بِحَقِيقَة كَلِمَة " لاَ "

مَا غَرَّهُمْ نَقْشُ ذَا مِنْ نَقْشِ ذَا، بَل أَتَوْا   فِي كُل آن بِنَقْشٍ عَزَّ عَنْ شَبَه

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلمَ: أَنَّ نَفْيَ الغَيْرِيَّة غَيْرُ انْتِفَاء الغَيْرِيَّة، شَتَّانٌ مَا بَيْنَهُمَا وَإِنَّمَا قُلتُ أَنْ لَيْسَ للوِلايَة مَجَال القَدَمِ فِي خَارِجَ الجَذْبَة وَالسُّلوك وَالآفَاق وَالأَنْفُس، فَإِنَّ مَا وَرَاءَ هَذه الأَرْكَان الأَرْبَعَة للوِلايَة مَبَادِئُ كَمَالات النُّبُوَّة وَمُقَدَّمَاتُها، وَيَدُ الوِلايَة قَاصِرَةٌ عَنْ تِلكَ الشَّجَرَة العَالِيَة الرَّفِيعَة، وَقَد اهْتَدَى إِلى هَذه الدَّوْلة الأَكْثَرُونَ مِنْ أَصْحَاب الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالأَقَلونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ بِتَبَعِيَّة الأَنْبِيَاءِ وَوَرَاثَتِهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ، وَقَطَعُوا بِهَذَا الطَّرِيقِ الجَامِعِ

---

(١) **السفر:** عبارة عن القلب عند أخذه في التوجه، بتصحيح معاملات، وتعديل أحوال تسفر عن النفس المرتقية في مناهج كمالاتها سفساف الأخلاق ويحيلها بمعرفة مكامن القواطع، وموارد القطعيات من المراتب الكونية، والحضرات الحقية إلى الحق تعالى بالذكر. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٤٤،٤٣.

(٢) الذاريات: ٢١

لِلجَذْبَة وَالسُّلوكِ مَنازِل البُعْد، وَوَضَعُوا أَقْدامَهُمْ فِيمَا وَرَاءَ السُّلوكِ وَالجَذْبَة، وَخرَجُوا مِنْ دَائِرَة الظِّلال بالتَّمَام، وَخلفُوا الأَنْفُسَ كَالآفَاق وَرَاءَهُمْ، وَفِي هَذَا المَقَام التَّجَلي الذَّاتِيُّ البَرْقِيُّ ـــ الذي هُوَ كَالبَرْق الخَاطف لغَيْرهِمْ ـــ دَائمِيٌّ لَهُمْ، بَل مُعَامَلَةُ هَؤُلاء الأَكَابر فَوْقَ التَّجلي بَرْقِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، فَإِنَّ التَّجَلي يَسْتَدْعِي نَحْوًا مِنَ الظِّلِّيَّة، وَالنُّقْطَةُ مِنَ الظِّلِّيَّة جَبَل عَظِيمٌ لهَؤُلاء الكُبَرَاء، وَبدَايَةُ أَمْر هَؤُلاء العُظَمَاء الجَذْبُ وَالمَحَبَّة الإلهِيَّةُ جَل سُلطَانُه، فَإِذَا زَادَتْ تلكَ المَحَبَّة بعنَايَة الله جَل سُلطَانُهُ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ التي لاَ غَايَةَ لهَا وَاسْتَوْلَتْ سَاعَةً فَسَاعَةً، وَقَوِيَتْ وَغَلَبَتْ، تَشْرَعُ مَحَبَّةُ مَا سِوَاهُ تَعَالى بالضَّرُورَة دَرَجَةً فَدَرَجَةً فِي الزَّوَال، وَيَرْتَفعُ التَّعَلقُ بالأَغْيَار بالتَّدْرِيج، فَإِذَا زَالتْ مَحَبَّةُ مَا سِوَاهُ تَعَالى عَنْ صَاحب دَوْلَة باسْتيلاء مَحَبَّته جَل سُلطَانُهُ بالكُلِّيَّة، وَصَارَ مَحَلهَا التَّعَلقَ وَالمَحَبَّة بجَنَاب قُدُسه تَعَالى ـــ ارْتَفَعَتْ عَنْهُ أَوْصَافُهُ الرَّذيلَةُ وَأَخْلاقُهُ الرَّدِيئَةُ بالتَّمَام وَصَارَ مُحَلى بالأَخْلاق الحَميدَة، وَتَحقَّقَ بالمَقَامات العَشَرَة، وَمَا كَانَ لهُ تَعَلقٌ بالسَّيْر الآفَاقِيِّ تَيَسَّرَ بلا مُؤْنَة السُّلوكُ التَّفْصِيليُّ وَبلا رِيَاضَات شَاقَّة وَمُجَاهَدَات[١] شَديدَة؛ فَإِنَّ المَحَبَّة تَقْتَضِي إطَاعَةَ المَحْبُوب، فَإِذَا بَلغَت المَحَبَّة كَمَالهَا حَصَلت الإطَاعَةُ بتَمَامهَا، وَحَيْثُ حَصَلت الإطَاعَةُ عَلى الوَجْه الأَتَمِّ بمقْيَاس القُوَّة البَشَرِيَّة تَيَسَّرَت المَقَاماتُ العَشَرَةُ، وَبهَذَا السَّيْر المَحْبُوبِيِّ ـــ كَمَا حَصَلَ السَّيْرُ الآفَاقِيُّ ـــ تَمَّ به السَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ أَيْضًا؛ فَإِنَّهُ قَال المُخبرُ الصَّادقُ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَحَيْثُ كَانَ المَحْبُوب وَرَاءَ الآفَاق وَالأَنْفُسِ يَنْبَغِي للمُحبِّ أَيْضًا أَنْ يَتَجَاوَزَ الآفَاقَ وَالأَنْفُسَ بحُكْمِ المَعيَّة، فَيُخَلفَ السَّيْرَ الأَنْفُسِيَّ أَيْضًا وَرَاءَهُ بالضَّرُورَة، وَيُحَصِّل دَوْلَةَ المعيَّة، فَهَؤُلاء الأَكَابرُ لاَ شُغُل لَهُمْ بالآفَاق وَلا بالأَنْفُسِ ببَرَكَة دَوْلَة المَحَبَّة، بَل الآفَاقُ وَالأَنْفُسُ تَابعَةٌ لأَمْرهِمْ وَالسُّلوكُ وَالجَذْبَةُ مُتَطَفِّلان بمُعَامَلاتهمْ، وَرَأْسُ بضَاعَة هَؤُلاء الأَكَابرِ المَحَبَّة التي إطَاعَةُ المَحْبُوب لازمَةٌ لَهَا وَإطَاعَةُ المَحْبُوب مَرْبُوطَةٌ بإتْيَان الشَّريعَة عَلى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ، التي هيَ الدِّينُ المَرْضِيُّ للهِ تَعَالى، فَعَلامَةُ كَمَال المَحَبَّة كَمَال إتْيَان الشَّريعَة وَإتْيَانُ الشَّريعَة بكَمَالهَا مَنُوطٌ بالعِلمِ وَالعَمَل وَالإخْلاصِ، وَالإخْلاصُ الذي يُتَصَوَّرُ فِي جَمِيعِ الأَقْوَال

---

(١) **المجاهدة:** هي حمل النفس على المشاق البدنية، ومخالفة الهوى على كل حال، فإن الهوى يطلب الإسترسال فيما ترغب النفس فيه بطبعها، ومخالفته تقييده بالتزام الأمر والنهي. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٩٩.

وَالأَعْمَال وَجَمِيعِ الحَرَكَات وَالسَّكَنَات هُوَ نَصِيبُ المُخْلَصِينَ بِفَتْحِ اللامِ وَالمُخْلِصِينَ المَكْسُورِي اللامِ، مَاذَا يُدْرِكُونَ مِنْ هَذَا المَعْنَى لَعَلَّكَ سَمِعْتَ، وَالمُخْلَصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.

وَلْنَرْجِعْ إلى أَصْلِ الكَلَامِ فَنَقُول: إِنَّ المَقْصُود مِنَ السُّلُوك وَالجَذْبَة وَالتَّصْفِيَة تَطْهِيرُ النَّفْسِ مِنَ الأَخْلَاق الرَّدِيَّة وَالأَوْصَاف الرَّذِيلة وَرَأْسُ جَمِيعِ تِلْكَ الذَّمَائِم التَّعَلقُ بِالنَّفْسِ وَتَحْصِيل مُرَادَاتِهَا وَهَوَاهَا حَتَّى لَا يَكُونُ بُدٌّ مِنَ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَلَا مَنْدُوحَةَ مِنَ الانْتِقَال مِنَ الصِّفَات الذَّمِيمَة إلى الأَخْلَاق الحَمِيدَة، وَالسَّيْرُ الآفَاقِيُّ خَارِجٌ عَنِ المَقْصُود وَلَا تُعَلقَ بِهِ لِغَرَضٍ مُعْتَدٍّ بِهِ؛ فَإِنَّ العَلَائِقَ الآفَاقِيَّةَ بِوَاسِطَة العَلَائِقِ الأَنْفُسِيَّة، فَإِنَّ كُل مَا يُحِبُّهُ الإِنْسَانُ إِنَّمَا يُحِبُّهُ لِحُبِّ نَفْسِه، فَإِذَا أَحَبَّ الأَوْلَادَ وَالأَمْوَال إِنَّمَا يُحِبُّ لِأَجْل اسْتِمَاعِه وَانْتِفَاعِه، فَإِذَا زَالَتْ فِي السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ مَحَبَّتُهُ لِنَفْسِه بِوَاسِطَة اسْتِيلاء مَحَبَّة الحَقِّ جَل وَعَلا زَالَتْ فِي ضِمْنِه مَحَبَّتُهُ لِأَوْلَادِه وَأَمْوَالِه أَيْضًا؛ فَكَانَ السَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ ضرورِيًّا وَيَتَيَسَّرُ السَّيْرُ الآفَاقِيُّ بِالتَّطَفُّل فِي ضِمْنِه وَلِهَذَا كَانَ سَيْرُ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحِيَّاتُ مَقْصُورًا عَلَى السَّيْر الأَنْفُسِيِّ وَقَطْعُ السَّيْرِ الآفَاقِيِّ فِي ضِمْنِه طُفَيْلِيًّا، نَعَمْ السَّيْرُ الآفَاقِيُّ أَيْضًا حَسَنٌ لَوْ وُجِدَت الفُرْصَةُ لِقَطْعِه وَتُيَسِّرَ إِتْمَامُهُ مِنْ غَيْر تَخَلل التَّوَقُّفَات، فَلَوْ لَمْ تُوجَدْ الفُرْصَةُ لِقَطْعِه وَوَقَعَ الابْتِلاءُ بِالتَّوَقُّفَات يَكَادُ يُعَدُّ السَّيْرُ الآفَاقِيُّ دَاخِلا فِيمَا لَا يَعْنِي، وَيُحْسَبُ مِنْ مَوَانِعِ حُصُول المَطْلُوب، وَالسَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ كُلمَا يَقْطَعْ فَهُوَ مُغْتَنِمٌ، فَإِنَّهُ انْتِقَال مِنَ السَّيِّئَة إلى الحَسَنَة، يَا لَهَا مِنْ نِعْمَة عَظِيمَة لَوْ أَتَمَّ السَّالِكُ بِهَذَا السَّيْر وَتَبَخْتَرَ فِي خَارِجَ دَائِرَةِ الأَنْفُس، وَلِأَيِّ شَيْءٍ يَلْزَمُ أَنْ يُشَاهِدَ شَخْصٌ تَلوينَات⁽¹⁾ الأَنْفُسِ فِي مِرْآة الآفَاق وَأَنْ يُعَايِنَ تَغَيُّرَاته فِيهَا كَمَا يَعْلَمُ صَفَاءَ قَلْبه مثلا فِي مِرْآة المِثَال، وَيَرَى ذَلِكَ الصَّفَاءَ بِصُورَة النُّور الأَحْمَر فَلِمَ لَا يَسْتَعْمِل وُجْدَانَهُ؟ وَلِمَ لَا يُحِيل صَفَاءَهُ عَلَى فِرَاسَته؟ مَا حَاجَةُ مَنْ بَلغَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً إلى الطَّبِيب، مَثَل مَشْهُورٌ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُدْرِكَ تَلوِّينَات أَحْوَاله بِوُجْدَانه الصَّحِيح، وَأَنْ يعْلَمَ بِتَفَرُّسه الصَّرِيحِ صِحَّتَهُ وَسَقَمَهُ، نَعَمْ إِنَّ السَّيْرَ الآفَاقِيَّ فِيه عُلُومٌ وَمَعَارِفُ وَتَجَلِّيَاتٌ وَظُهُورَاتٌ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ كُلهَا رَاجِعَةٌ إلى الظِّلال، وَتُسَل بِالشَّبَه وَالمِثَال، فَإِذَا كَانَ

---

(١) **التلوين:** هو تنقل العبد في أحواله.، وقيل: هو الإحتجاب عن أحكام حال، أو مقام سنى بآثار حال أو مقام دنى وعدمه على التعاقب. انظر: ابن عربي: اصطلاحاتالصوفية: ٢٩١.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٧٤.

السَّيْرُ الأَنْفُسِيُّ مُتَعَلِّقًا بالظِّلال كَمَا حَقَّقْتُهُ فِي رَسَائِلي وَمَكَاتِيبِي يَلزَمُ أَنْ يَكُونَ السَّيْرُ الآفَاقِيُّ مُتَعَلِّقًا بظِل الظِّل فَإِنَّ الآفَاقَ كَالظِّل للأَنْفُس وَمِرْآةٌ لظُهُورِهَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مثل مَنْ يُشَاهِدُ أَحْوَال الأَنْفُسِ فِي مِرْآة الآفَاق وَيَعْلمُ الصَّفَاءَ وَالتَّجْلِيَةَ مِنْهَا كَمَثَل مَنْ يَرَى نَفْسَهُ فِي المَنَامِ أَوْ فِي الوَاقِعَةِ فِي عَالَمِ المِثَال سُلطَانًا أَوْ يُشَاهِدُ فِيه نَفْسَهُ قُطبَ الوَقْت فَهُوَ فِي الحَقِيقَة لَيْسَ بِسُلطَان وَلا قُطْبَ الوَقْت فَإِنَّ السُّلطَانَ وَالقُطْبَ مَنْ يَكُونُ مُشَرَّفًا فِي الخَارِجِ بِمَنْصِب السَّلطَنَة، أَو القُطْبِيَّة غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ هَذَا المَنَامِ أَوِ الوَاقِعَة، اسْتِعْدَادَ السَّلطَنَة وَقَابِلِيَّةَ القُطْبِيَّة يَنْبَغِي بَذْل الرُّوحِ حَتَّى تَخْرُجَ المُعَامَلَة مِنَ القُوَّة إِلى الفِعْل وَتَنْتَقل مِنَ المُرَاسَلَة إِلى المُعَانَقَة، وَفِيمَا نَحْنُ فِيه أَيْضًا التَّزْكِيَةُ وَالتَّجْلِيَةُ مَنُوطَةٌ بالسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ، وَمَا رَآهُ فِي السَّيْرِ الآفَاقِيِّ فَهُوَ اسْتِعْدَادُ التَّزْكِيَة وَقَابِلِيَّةُ التَّجْلِيَة، فَمَا لَمْ يَرَ نَفْسَهُ مُزَكًّى وَمُطَهَّرًا فَهُوَ الخَارِجُ بالسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَلَمْ يُدْرِكْ نَفْسَهُ مُصَفًّى بِوُجْدَانه فَلَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الفَنَاء فِي الحَقِيقَة وَلا حَظٌّ دَاخِلا فِي السَّيْرِ إِلى الله بالضَّرُورَة، وَكَانَتْ تَمَامِيَّةُ السَّيْرِ إِلى الله التِي هِيَ مَقَامُ الفَنَاء مَرْبُوطَةً بالسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ، وَالسَّيْرُ فِي الله يُتَصَوَّرُ بَعْدَ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ بِمَرَاحِل.

كَيْفَ الوُصُول إِلى سُعَادَ وَدُونَهَا قُلل الجِبَال وَدُونَهُنَّ خُيُوفُ

أَيُّهَا السَّعِيدُ إِنَّ التَّعَلقَ العلميَّ وَالحُبِّيَّ الذي كَانَ مَنْسُوبًا إِلى ذَات السَّالك إِذَا زَال فِي السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ يَرْتَفِعُ التَّعَلقُ الذي كَانَ بِنَفْسه وَيَزُول تَعَلقُهُ بالأَغْيَار.

أَيْضًا فِي ضِمْنِ زَوَال تَعَلقه بنَفْسه، فَإِنَّ عَلائِقَهُ بالأَغْيَار إِنَّمَا هِيَ بوَاسِطَة عَلاقَته بنَفْسه، كَمَا تُقُدِّمَ تَحْقِيقُهُ فَصَحَّ إِنَّ السَّيْرَ الآفَاقِيَّ يُقْطَعُ فِي ضِمْنِ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَنُجِّيَ السَّالكُ بِهَذَا السَّيْرِ الوَاحد مِنْ عَلائِق الأَغْيَار وَمِنْ عَلائِق نَفْسه أَيْضًا فَبِمِقْيَاسِ ذَلكَ التَّحْقِيق صَحَّ مَعْنَى السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَالسَّيْرِ الآفَاقِيِّ مِنْ غَيْرِ تَكَلف، فَإِنَّ السَّيْرَ فِي الحَقِيقَة فِي الأَنْفُسِ وَفِي الآفَاق أَيْضًا فَإِنَّ قَطْعَ تَعَلقَات الأَنْفُسِ بالتَّدْرِيجِ سَيْرٌ فِي الأَنْفُسِ وَقَطْعُ التَّعَلقَات الآفَاقِيَّة الذي هُوَ يَحْصُل فِي ضِمْنِ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ سَيْرٌ فِي الآفَاق بِخِلاف السَّيْرِ الآفَاقِيِّ وَالسَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ بِطَوْرِ الآخَرِينَ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ فِيهِمَا إِلى التَّكَلف كَمَا مَرَّ، نَعَمْ إِنَّ كُل مَحَل فِيه حَقِيقَةٌ فَهُوَ مُحَرَّرٌ عَنِ التَّكَلف وَالله سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ

اسْمَعْ اسْمَعْ: إنَّ ظُهُورَ أَسْمَاءِ الوَاجِبِ وَصِفَاتِه جَلَّ سُلْطَانُهُ فِي مِرْآةِ السَّالِكِ الذي أَثْبَتُوهُ في السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ وَظَنُّوهُ تَحْلِيَةً بَعْدَ تَخْلِيَة لَيْسَ ذَلِكَ الظُّهُورُ فِي الحَقِيقَةِ ظُهُورَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَلا هُوَ تَحْلِيَةً بَعْدَ تَخْلِيَة، بَل هُوَ ظُهُورُ ظِلٍّ مِنْ ظِلالِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمُحَصِّلٌ لِلتَّحْلِيَةِ وَمُسَهِّلٌ لِلتَّزْكِيَةِ وَالتَّصْفِيَةِ

بَيَانُهُ أَنَّ السَّبْقَةَ مِنْ ذَلِكَ الطَّرْفِ؛ لأَنَّهَا مُنَاسَبَةٌ لِلمَبْدَائِيَّةِ فَيَحْصُلُ أَوَّلا ظُهُورُ ظِلٍّ مِنْ ظِلالِ المَطْلُوبِ فِي مِرْآةِ الطَّالِبِ حَتَّى يُزِيلَ ظُلُمَاتِه وَكُدُورَاتِه وَتَحْصُلَ لَهُ التَّزْكِيَةُ وَالتَّصْفِيَةُ وَبَعْدَ زَوَالِ الظُّلُمَاتِ وَحُصُولِ التَّزْكِيَةِ وَالتَّصْفِيَةِ الذي هُوَ مَرْبُوطٌ بِتَمَامِيَّةِ السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ تُتَصَوَّرُ التَّخْلِيَةُ وَيَحْصُلُ الاسْتِعْدَادُ لِلتَّحْلِيَةِ وَيَصِيرُ حَقِيقًا وَمُسْتَحَقًّا لِظُهُورِ أَسْمَاءِ الوَاجِبِ وَصِفَاتِه جَلَّ سُلْطَانُهُ فَفِي السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ تَحْصُلُ التَّخْلِيَةُ الذي هُوَ مَنُوطٌ بِالتَّزْكِيَةِ وَالتَّصْفِيَةِ وَالتَّحْلِيَةِ التي كَانَتْ مُتَوَهَّمَةً فِي السَّيْرِ الآفَاقِيِّ فَهِيَ صُورَةُ التَّحْلِيَةِ لاَ حَقِيقَتُهَا حَتَّى يُتَصَوَّرَ فِي السَّيْرِ الأَنْفُسِيِّ حُصُولُ التَّحْلِيَةِ وَظُهُورُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الوَاجِبِيَّةِ كَمَا قَالوا؛ فَلزِمَ مِنْ هَذَا البَيَانِ أَنَّ الاتِّصَالَ بِالظِّلِّ مُقَدَّمٌ عَلى الانْقِطَاعِ وَالانْفِصَالِ، فَإِنَّهُ ــ مَا لَمْ يَنْعَكِسْ ظِلٌّ مِنْ ظِلالِ المَطْلُوبِ ــ فِي مِرْآةِ السَّالِكِ لاَ يُتَصَوَّرُ الانْقِطَاعُ عَنْ غَيْرِ المَطْلُوبِ وَأَمَّا الاتِّصَالُ بِالأَصْلِ فَهُوَ بَعْدَ حُصُولِ الانْقِطَاعِ وَالانْفِصَالِ، فَمَنْ قَدَّمَ مِنَ المَشَائِخِ الاتِّصَالَ يَنْبَغِي أَنْ يُرَادَ بِهِ الاتِّصَالُ بِالظِّلِّ وَمَنْ قَدَّمَ الانْفِصَالَ عَلى الاتِّصَالِ يَنْبَغِي أَنْ يُرَادَ بِهِ الاتِّصَالُ بِالأَصْلِ حَتَّى يَكُونَ نِزَاعُ الفَرِيقَيْنِ رَاجِعًا إِلى اللفْظِ، وَالشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ الخَرَّازُ(١) ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ مُتَوَقِّفٌ فِي هَذَا المَقَامِ يَقُولُ: مَا لَمْ تَتَخَلصْ لَمْ تَنَلْ وَمَا لَمْ تَنَلْ لَمْ تَتَخَلصْ وَلا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَقْدَمُ وَأَسْبَقُ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ نَيْلَ الظِّلِّ مُقَدَّمٌ عَلى التَّخَلصِ وَنَيْلَ الأَصْلِ بَعْدَ التَّخَلصِ فَلا اشْتِبَاهَ كَمَا أَنَّ وَقْتَ الصُّبْحِ قَبْلَ طُلُوعِ

---

(١) ــ **أبو سعيد الخراز**: أحمد بن عيسى المتوفى سنة: ٢٧٧، وقيل سنة: ٢٨٦ هـ ــ ٨٩٩ م، الخراز: نسبة إلى خرز الجلود، الزاهد الكبير، شيخ الصوفية، أحد المشاهير بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة، له في ذلك التصانيف منها كتاب الصدق أو الطريق إلى الله، وكتاب الصيام، له كرامات وأحوال وصبر على الشدائد، قال الجنيد: " لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه الخراز لهلكنا "، روى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم، ومن جيد كلامه: " إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم "، وقال: " العافية تستر البر والفاجر، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال ". انظر في ترجمته: ابن كثير: البداية والنهاية: ٦٢/١١، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١٩٢/٢، ابن الأثير: اللباب: ٣٥١/١، هدية العارفين: ٥٥/٥، الزركلي: الأعلام: ١٩١/١، كحالة: معجم المؤلفين: ٢٢١/١.

الشَّمْسِ ظُهُورُ ظِلال أَشِعَّةِ الشَّمْسِ حَتَّى يُخلى العَالَمُ عَنِ الظُّلمَاتِ وَيُورِثَهُ الصَّفَاءَ

وَبَعْدَ زَوَال الظُّلمَاتِ وَحُصُول الصَّفَاءِ طُلوعُ نَفسِ الشَّمْسِ، فَظُهُورُ ظِل الشَّمْسَ مِنْ زَوَال الظُّلمَاتِ السَّابقَةِ وَطُلوعُ نَفسِ الشَّمْسِ مِنْ زَوَال الظُّلمَاتِ اللاحقَةِ، وَالمُنَاسب لطُلوعِ السَّلاطِينِ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ التَّخْلِيَةِ وَالتَّصْفيَة، وَإِنْ لَمْ يُتَصَوَّرْ التَّخْليَةُ وَالتَّصْفِيَةُ بِدُون مُقَدِّمَةِ طُلوعِهِمْ فَظَهَرَ الحَقُّ وَارْتَفَعَ النِّزَاعُ وَزَال الاشْتِبَاهُ وَاللهُ سُبْحَانَهُ الملهِمُ للصَّوَابِ.

المَكْتُوب السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة

إلى مَوْلانَا مُحَمَّد أَفْضل

فِي بَيَانِ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: " إنَّ مَا هُوَ المَيسِّرُ للسَّالك في حَقِّ حَضْرَةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ إنَّمَا هُوَ ذَوْقُ الوُجْدَان لاَ الوُجْدَانُ "

وَتَحْقِيقُ مَعْنَى انْدرَاجِ النِّهَايَة في البدَايَة الذي هُوَ منْ خَاصَّة هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة وبَيَان أَفْضَليَّة هَذه الطَّرِيقَة عَلى سَائرِ الطُّرُق وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ وَقعَ في عبَارَات مَشَائخِ هَذه الطَّرِيقَة العَلَيَّة قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ السَّنيَّةَ أَنَّ المُيسَّرَ للسَّالك في حَقِّ حَضْرَة الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ ذَوْقُ الوُجْدَان لاَ الوُجْدَانُ وَهَذَا الكَلامُ مُنَاسبٌ لمَقَام انْدرَاجِ النِّهَايَة في البدَايَة الذي هُوَ مَوْطنُ الجَذْبَة الخَاصَّة بهَؤُلاء الأَكَابر وَلَيْسَ في هَذَا المَقَام حَقيقَةُ الوُجْدَان، فَإنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بالانْتهَاء وَلَكنْ حَيْثُ مَزَجُوا وَدَرَجُوا ذَوْقًا وَطَعْمًا منَ النِّهَايَة في البدَايَة فَذَوْقُ الوُجْدَان مُيسَّرٌ فيه فَإذَا تَرَقَّت المُعَاملةُ منَ الجَذْبَة وَبَلغَتْ منَ الابْتدَاء إلى الانْتهَاء يَشْرَعُ ذَوْقُ الوُجْدَان أَيْضًا كَالوُجْدَان في الانْعدَام؛ فَلا يَكُونُ فيه وُجْدَانٌ وَلاَ ذَوْقُ الوُجْدَان، فَإذَا بَلغَ الأَمْرُ نهَايَتَهُ يَتَيَسَّرُ الوُجْدَانُ وَيُفْقَدُ ذَوْقُ الوُجْدَان، وَحَيْثُ كَانَ ذَوْقُ الوُجْدَان مَفْقُودًا في المُنْتَهى، يَكُونُ الالتذَاذُ وَالحَلاوَةُ أَقَل في حَقِّه، فَإنَّ المنْتَهى قَدْ تَرَكَ الذَّوْقَ وَالحَلاوَةَ في القَدَمِ الأَوَّل وَصَارَ آخرًا مَخْمُول زَاوِيَة عَدَمِ الحَلاوَة وَالذَّوْق كَانَ رَسُول الله ﷺ مُتَوَاصل الحُزْن دَائمَ الفكْر

فَإنْ قيل إذَا تَيَسَّرَ وُجْدَانُ المَطْلوب للمُنْتَهي فَلمَ لاَ يَتَيَسَّرُ ذَوْقُ الوُجْدَان فيه وَحَيْثُ لاَ نَصيبَ للمُبْتَدئ منَ الوُجْدَان منْ أَيْنَ وَجَدَ ذَوْقَ الوُجْدَان؟

أُجيبَ إنَّ دَوْلَةَ الوُجْدَان نَصيب بَاطنِ المنْتَهي فَإنَّهُ تَشَرَّفَ بهَذه الدَّوْلة بَعْدَ انْقطَاعِ تَعَلقه الذيَ كَانَ منْهُ بظَاهرَة وَحَيْثُ بَقيَ تَعَلقُ بَاطنه بظَاهره قليلا لاَ تَسْري نسْبَةُ بَاطنه في ظَاهره بالضَّرُورَة وَلا يَأْخذُ الظَّاهر ذوقًا منْ وُجْدَان البَاطن، وَلا يَكُونُ مُلتَذًّا به، فَيَكُونَ وُجْدَان المَطْلوب حاصلا في بَاطن المنْتَهي، وَلا يَكُونُ في ظَاهره ذَوْق ذَلكَ الوُجْدَان إنْ بَقيَ ذَوْقُ البَاطن الذي الوُجْدَان نَصيبهُ، وَحَيْثُ إنَّ البَاطنَ نَال نَصيبًا منَ اللامثْليّ، يَكُونُ ذَوْقُ ذَلكَ الوُجْدَان أَيْضًا منْ عَالم اللامثْليّ يَحْصُل في دَرْك الظَّاهر الذي هُوَ مثْليّ منَ القَدَم إلى الرَّأْس، فكَثيرًا مَا يَنْفي الظَّاهرِ الذَّوْق منَ البَاطنِ، ويَزْعُمُ البَاطنَ أَيْضًا مثْل نَفْسه فَاقدَ

الحَلاوَة فَإِنَّ ذَوْقَ المِثْليّ غَيْرُ ذَوْق اللامِثْليّ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الظَّاهِرُ المنْتَهِي خَبَرٌ عَنْ ذَوْقِ بَاطنه كَيْفَ يَكُونُ للعَوَامِّ الذينَ نَظَرَهُمْ مَقْصُورٌ عَلى الظَّاهِرِ خَبَرٌ عَنْ بَاطن المنْتَهي وَمَاذَا يَكُونُ نَصيبهمْ غَيْر الإنْكَارِ، وَالذَّوْق الذي يَجيءُ فِي فَهْمهُمْ هُوَ ذَوْقُ الظَّاهِرِ الذي هُوَ منْ عَالِمِ المِثْل وَمنْ هَاهُنَا كَانَ السَّمَاعُ وَالرَّقْصُ وَالصَّيْحَةُ وَالاضْطِرَابُ وَأَمْثَالهَا ممَّا هُوَ منْ أَحْوَال الظَّاهِرِ وَأَذْوَاق الصُّورَة عَزِيزَةَ الوُجُود وَعَظِيمَةَ القُدْرَة عنْدَهُمْ، بَل رُبَّمَا يَعْتَقدُونَ انْحصَار الأَذْوَاق وَالمَوَاجيد في هَذه الأُمُور وَلا يَظُنُّونَ كَمَالات الولاَيَة فِي غَيْرِهَا هَدَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ الصِّرَاط ، وَحُكْم أَحْوَال الظَّاهِرِ بالنِّسْبَة إلى أَحْوَال البَاطِنِ كَحُكْم المِثْليِّ بالنِّسْبَة إلى اللامِثْليّ ، فَثَبَتَ أَنَّ لبَاطِنِ المنْتَهِي وُجْدَانًا وَذَوْقَ الوُجْدَان، غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ ذَلكَ الذَّوْقَ لَمَّا كَانَ لهُ نَصيبٌ منْ عَالِم اللامِثْليّ ـــ وَلا يَجيءُ فِي دَرْك ظَاهره، بَل الظَّاهِرُ حَاكمٌ بنَفْيه وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ مطلعًا عَلى وُجْدَان البَاطن، وَلكنَّهُ لاَ يُمكنُ أَنْ يُدْركَ ذَوْقَ ذَلكَ الوُجْدَان ـــ أَمْكَنَ أَنْ يُقَال بالنَّظَرِ إلى الظَّاهر: إنَّ الوُجْدَان مَوْجُودٌ فِي المُنْتَهي، وَذَوْقَ الوُجْدَان مَفْقُودٌ فيه، وَإِنَّمَا يُثْبتُونَ ذَوْقَ الوُجْدَان في المُبْتَدئ الرَّشيد منْ هَذَا الطَّرِيق العالي مَعَ فقْدَان الوُجْدَان؛ وَذَلكَ لأَنَّ هَؤُلاء الأَكَابرَ يُدْرِجُونَ في الابْتدَاء طعمًا وذوقًا منَ الانْتهَاءِ وَيُلقُونَ ظلا منَ النِّهَايَة فِي بَاطِنِ

المُبْتَدئ الرَّشيد بطَرِيق الانْعكَاسِ وَحَيْثُ كَانَ ظَاهرُ المُبْتَدئ مُرْتَبطًا بباطنه وَقُوَّةُ التَّعلق بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالبَاطنِ ثَابتَةٌ فَلا جَرَمَ يَسْرِي ظل تلكَ النِّهَايَة وَذَوْقُ الولاَيَة منْ بَاطِنِ المُبْتَدئ إلى ظَاهِره، وَيَجْعَل ظَاهرَهُ مُنْصَبغًا بلوْن بَاطنه وَيَظْهَرُ ذَوْقُ الوُجْدَان فِي ظَاهِرِه منْ غَيْرِ اخْتيَارٍ، فَصَحَّ أَنَّ حَقيقَةَ الوُجْدَانِ مَفْقُودَةٌ فِي المُبْتَدئ، وَذَوْقَ الوُجْدَان حَاصل فيه

وَمنْ هَذَا البَيَان يُعْلَمُ عُلوُّ طَرِيقِ أَكَابرِ النَّقْشَبَنْديَّة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ، وَرَفْعَةُ نسْبَتهمُ العَليَّة، وَيُفْهَمُ منْهُ حَسَنُ تَرْبيَة هَؤُلاء الأَكَابرِ وَكَمَال اهْتمَامهمْ فِي حَقِّ المُرِيدينَ وَالطَّالبينَ، وَإِنَّهُمْ يُعْطُونَ المُرِيد الرَّشيدَ وَالطَّالبَ الصَّادقَ عَلى مقْدَارِ حَوْصَلته فِي أَوَّل القَدَمِ مَا هُوَ فيه، وَيَرَوْنَهُ بعَلاقَة حَبيَّة وَارْتبَاط مَعْنَويٍّ بطَرِيق الالتفَات وَالانْعكَاس، وَبَعْضُ مَشَايخِ السَّلاسل الأُخَرَ ـــ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ـــ في اشْتبَاهٍ مَنْ كَلمَةَ: " انْدرَاج النِّهَايَة فِي البدَايَة " التي صَدَرَتْ عَنْ هَؤُلاءِ الأَكَابرِ وَلَهُ

تَرَدُّدٌ فِي حَقِّيَّةِ هَذَا الكَلامِ، وَلا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدأُ هَذَا الطَّرِيقِ مساويًا لِمُنْتَهى طَرِيقٍ آخَرَ، وَالعَجَبُ أنه مِنْ أَيْنَ فُهِمَ مُسَاوَاةُ مُبْتَدأ هَذَا الطَّرِيقِ لِمُنْتَهَى طُرُقٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَصْدُرْ عَنْ هَؤُلاءِ الأَكَابِرِ غَيْرُ انْدراجِ النِّهَايَةِ فِي البِدَايَةِ وَلَيْسَتْ فِي هَذه العِبَارَة دَلالة عَلى المسَاوَاة، وَمَقْصُودهمْ مِنْهَا أَنَّ الشَّيْخَ المنْتَهي فِي هَذَا الطَّرِيقِ يُعْطِي بِالتَّوَجُّه وَالتَّصَرُّف ذوقًا مِنْ دَوْلَة نهَايَته لِمُبْتَد رَشِيد بطَرِيقِ الانْعِكَاسِ وَيَمْزُجُ فِي بَادِيَته مُلحَ نهَايَته، فَأَيْنَ المسَاوَاةُ وَمَا مَحَل الاشْتِبَاه؟! وَأَيْنَ المجَال للتَّرَدُّد فِي حَقِّيَّته وَهَذَا الانْدرَاج دَوْلَة عَظِيمَة جدّ□ا؟! وَمُبْتَدأ هَذَا الطَّرِيق وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حُكْمُ المنتهَى وَلَكنَّهُ لَيسَ محرومًا عَنْ دَوْلَة النِّهَايَة وَلوْ فَرَضْنَا أَنَّ هَذَا المبْتدى لاَ يُعْطِي فُرْصَة قَطْعِ طَرِيقِ الوُصُول وَطَيِّ مَنَازله، وَلَكنَّهُ لاَ يَذْهَبُ محرومًا عَنْ دَوْلَة النِّهَايَة، وَتَجْعَل تلكَ الذَّرَّةُ مَنْ ملح النِّهَايَة كُلِّيَّتَهُ مَلِيحَةً وَمَمْلوحَةً، بخلاف مُبْتَدأ طُرُق أُخرَ، فَإِنَّهُمْ بَعيدُونَ عَنْ مُعَامَلة النِّهَايَة وَعَاجزُونَ عَنْ قَطْعِ المَنَازل وَطَيِّ المسَافَات، فَيَا وَيْلهمُ أَلفَ وَيْل لوْ لَمْ يَقْطَعُوا فُرْصَةَ قَطْعِ المنَازل وَطَيِّ المسَافَات فَإِذَا اتَّضَحَ الفَرْقُ بَيْنَ مُبْتَدَأَيِّ هَذَا الطَّرِيق وَمُبْتَدَأَيِّ طَرْق أُخَرَ وَلاحَتْ مُزِيَّة ذَلكَ المُبْتدئ عَلى سَائر أَرْبَاب البدَايَة، يَنْبَغِي أَنْ يُعلمَ أَنَّ هَذَا الفَرْقَ ثَابتٌ بَيْنَ مُنْتَهى هَذَا الطَّرِيق وَمُنْتَهَى طُرُق أُخَرَ وَهَذه المزيَّة مُتَحَقِّقَة بَيْنَهُمَا، بَل نهَايَة هَذَا الطَّرِيق العَلِيَّة وَرَاءَ نهَايَات سَائر طُرُق المَشَائخ يُصَدِّقُونَ هَذَا الكَلامَ مِنِّي أَمْ لا، فَإِنْ سَلكُوا طَرِيقَ الإِنْصَاف لعَلهُمْ يُصَدِّقُونَ، فَإِنَّ النِّهَايَةَ التي بدَايَتُهَا مُمْتَزجَةٌ بالنِّهَايَة يَكُونُ لَهَا امْتِيَازٌ عَنْ نهَايَاتِ الآخَرِينَ أَلبَتَّةَ وَتَكُونُ نهَايَةُ تلكَ النِّهَايَات أَلبَتَّةَ، (ع):

عَام الرُّخْص يُعلمُ منْ رَبيعه

وَجَمَاعَة منْ مُتَعَصِّبِي سَلاسل أُخْرَى يَقُولونَ لنَا: إِنَّ نهَايَتَنَا وَصُول إِلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَأَنْتُمْ تَقُولونَ: إِنَّهَا بدَايَتُكُمْ فَإِلى أَيْنَ تَذْهَبُونَ منَ الحَقِّ؟ وَمَا يَكُونُ نهَايَتُكُمْ وَرَاءَ الحَقِّ؟

قُلنَا: نَذْهَبُ منَ الحَقِّ إِلى الحَقِّ جَل سُلطَانُهُ وَنَهْرُبُ منْ شَائبَة الظِّلِّيَّة، وَنَقصدُ أَصْل الأَصْل وَنُعْرِضُ عَنِ التَّجَليَات، وَنَصْلبُ التَّجلي وَنخْلفُ الظُّهُورَات خَلف ظُهُورنَا، وَنَلتَمسُ الظَّاهر فِي أَبْطَنِ البُطُون، وَحَيْثُ كَانَتْ مَرَاتبُ الأبطنية مُتَفَاوتَةً، تَذْهَبُ منْ أَبْطَنيَّة إِلى أَبْطَنيَّة أُخْرَى، وَنَضعُ القَدَمَ مَنْ أَبطَنيَّة أُخْرَى إِلى أَبْطَنيَّة ثَالثَة، وَمنْهَا إِلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى وَحَضْرَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَإِنْ كَانَ بسيطًا حَقيقيًّا، وَلكنَّهُ تَعَالى وَاسعٌ أَيْضًا لاَ بالوَسَعَة التي لَهَا طُول وَعَرْض، فَإِنَّهَا منْ أَمَارَات الإِمْكَان وَعَلامَات

الحُدُوث، بَل وَسَعتُهُ تَعالى كَذاته سُبْحَانَهُ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الكَيْفِ وَالشَّبَهِ وَالمِثَالِ، وَالسَّيْرُ الوَاقِع في تلكَ الوَسعَة أَيْضًا لاَ مثْليّ وَلا كَيْفيّ، وَصَاحب السَّيرِ مَعَ وُجُود كَوْنه كَمِّيًّا وكَيْفيًا يَقطَعُ تلكَ المَنَازل اللامثْليَّة بقُوَّة لاَ كَيْفيَّة وَلا مثْليَّة، وَيَرْغَبُ عَنْ مثْليّ في اللامثْليّ، مَاذَا يُدْركُ العَاجزُونَ المفْلسُونَ عَنْ حَقيقَة المُعَامَلَة؟! وَأَيَّ خَبَر يَعْرفُ المتَعلقُونَ بعَالم المِثْليّ عَنْ عَالمِ اللامثْليّ؟! يَزْعُمُونَ قُصُورهمْ اعْترَاضًا وَيَتَبَاهَوْنَ بجَهَالاتهمْ.

كَمْ منْ بَليد غفُول عَنْ مَعَايبه ... اسْتَحْسَنَ العَيْبَ زَعْمًا أَنَّهُ حَسَنٌ

أَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّ نهَايَةَ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ، بَل نهَايَةَ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ أَيْضًا وُصُول إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَنهَايَةُ هَذه الطَّائفَة لَيْسَتْ مُتَّحدَةً بنهَايَة هَؤُلاء الأَكَابر، بَل لاَ مُنَاسبَةَ بَيْنَهُمَا أَصْلا، فَيُمْكنُ أَنْ تَتَيَسَّرَ لجَمَاعَة نهَايَةٌ تَكُونُ وَرَاءَ نهَايَة الطَّائفَة وَدُونَ نهَايَة هَؤُلاء الكُبَرَاء عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّحيَّاتُ، فَصَحَّ أَنَّ نهَايَةَ الكُل هُوَ الوُصُول إلَى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَالتَّفاوُت فيمَا بَيْنَ الطَّوَائف ثَابتٌ عَلى تَفَاوُت دَرَجَاتهمْ، أَوْ نَقُول: إنَّ الكُل يَزْعُمُ أَنَّ نهَايَتَهُ الوُصُول إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ لكنَّ كَثيرًا منَ النَّاس يَظُنُّ الظّلال وَظُهُورَات الحَقِّ الحَقَّ تَعالى وَتَقدَّسَ مَعَ وُجُود تَفاوُت دَرَجَات تلكَ الظّلال والظُّهُورَات، فَلمْ تَكُنْ نهَايَاتُ جَميعِ أَرْبَاب النِّهَايَات في نَفْسِ الأَمْرِ الوُصُول إلى الحَقِّ تَعالى وَتَقدَّسَ، بَل مُنْتَهى كُل وَاحد الحَقُّ سُبْحَانَهُ بحَسْب زَعْمه، فَحينَئذ إذَا كَانَ ابْتدَاءُ شَخْصٍ ظلال الحَقِّ وَظُهُورَاته سُبْحَانَهُ التي هيَ نهَايَةُ الآخَر بزَعْم الحَقَّانيَّة، تَكُونُ نهَايَةُ ذَلكَ الشَّخْصِ الوُصُول إلى الحَقِّ تَعالى الذي هُوَ سُبْحَانَهُ وَرَاءَ تلكَ الظّلال والظُّهُورَات، فَلمَ يَكُونُ مُسْتَبْعَدًا؟! وَكَيْفَ يَكُونُ مَحل اشْتبَاه؟!.

لوْ عَابَهُمْ قاصرٌ طَعْنًا بهمْ سَفهًا ... نَزَّهْتَ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَشِ الكَلمِ

هَل يَقْطَعُ الثَّعْلبُ المحْتَال سلسلةً ... قُيِّدَتْ بهَا أُسْدُ الدُّنْيَا بأَسْرِهِمُ

{رَبَّنَا اغْفرْ لنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا في أَمْرنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلى القَوْمِ الكَافرينَ}(١)

---

(١) البقرة: ٢٨٦

المَكْتُوب السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاَثِمائَة
إلى مُحَمَّد صَادق وَلد الحَاجِّ مُحَمَّد مُؤْمن
فِي جَوَابِ اسْتِفْسَاره عَنْ وَحْدَةَ الوُجُود⁽¹⁾ وَتَطْبيقهَا عَلى العُلومِ الشَّرْعيَّة وَعَنْ سُؤَاله عَنْ حَديث إذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدا... الخ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ سَأَلتَ أَنَّ الصُّوفيَّةَ قَائلونَ بوَحْدَة الوُجُود وَيَعْتَقدُ العُلمَاءُ هَذَا القَوْل كُفْرًا وَزَنْدَقَةً وَكلتَا الطَّائفتَيْنِ منَ الفرْقِ النَّاجيَة فمَا حَقيقَةُ هَذه المُعَامَلة عنْدَك

أَيُّهَا المحبُّ: إنَّ هَذَا الفَقيرَ قَدْ كَتَبَ تَحْقيقَ هَذَا المَبْحَث في مَكْتُوبَاته وَرَسَائله بالتَّفْصيل، وَجَعَل نزَاعَ الفَريقَيْن رَاجعًا إلى اللفْظ، وَمَعَ ذَلكَ لَمَّا سَأَلتَ لاَبُدَّ للسُّؤَال منَ الجَوَاب فَلنَكْتُبْ كَلمَات بالضَّرُورَة، اعْلمْ أَنَّ كُل مَنْ يَقُول منَ الصُّوفيَّة العَليَّة بوَحْدَة الوُجُود وَيَرَى الأَشْيَاءَ عَيْنَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَيَحْكُمُ بأَنَّ الكُل هُوَ لَيْسَ مُرَادَهُ، إنَّ الأَشْيَاءَ مُتَّحدَةٌ بالحَقِّ جَل وَعَلا وَإنَّ التَّنْزيه صَارَ تشبيهًا متنزلا وَكَانَ الوَاجبُ ممكنًا وَانْقَلبَ اللامثْليّ مثليًّا فَإنَّ هَذه كُلهَا كُفْرٌ وَإلحَادٌ وَضَلالَةٌ وَزَنْدَقَةٌ، لَيْسَ هُنَاكَ اتّحَادٌ وَلا عَيْنيَّةٌ وَلا تَنزُّل وَلا تَشَبُّهٌ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الآنَ كَمَا كَانَ فَسُبْحَان مَنْ لاَ يَتَغَيَّرُ بذَاته وَلا بصفَاته وَلا بأَسْمَائه بحُدُوث الأَكْوَان، وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلى صرَافَة إطْلاقه مَا مَال منْ أَوْج الوُجُوب إلَى حَضيضِ الإمْكَان، بَل مَعْنَى الكُل هُوَ أَنَّ الأَشْيَاءَ مَعْدُومَةٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ تَعَالَى وَتَقدَّسَ وَلَيْسَ مُرَادُ الحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ الحَلاجِ⁽²⁾ منْ قَوْله " أَنَا الحَقُّ " بأَني حَقٌّ وَمُتَّحدٌ بالحَقِّ، فَإنَّهُ

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي: ص٤.

(٢) ــ **الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث**: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين، أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق، وانتقل إلى البصرة، وحج ودخل بغداد وعاد إلى تستر، ظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان، وكان ينتقل بين البلدان وينشر طريقته سرا، وقيل كان يدعي حلول الألوهية فيه، أورد ابن النديم أسماء ٤٦ كتابا له غريبة الأسماء والأوضاع، منها: طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية، الظل المدود والماء المسكوب والحياة الباقية، قرآن القرآن والفرقان، السياسة والخلفاء والامراء، علم البقاء والفناء، مدح النبي والمثل الأعلى وغير ذلك، وكثرت الوشايات به إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله، فأمر بالقبض عليه، فسجن وعذب وضرب ثم قتل سنة ٣٠٩ هـ. انظر: روضات الجنات: ٢٢٦، لسان الميزان ٢ /٣١٤، وفيات الأعيان ١ / ١٤٦، الأعلام للزركلي ٢ / ٢٦٠.

كُفْرٌ وَمُوجِبٌ لِقَتْلِه، بَل مَعْنَى قَوْلِه بِأَنِي مَعْدُومٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ، غَايَةُ مَا فِي البَابِ أَنَّ الصُّوفِيَّةَ يَرَوْنَ الأَشْيَاءَ مَرَايَا ظُهُورَاتِ الحَقِّ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَيَظُنُّونَهَا مُجَالِيَ أَسْمَائِه وَصِفَاتِه سُبْحَانَهُ مِنْ غَيْرِ شَائِبَةِ التَّنَزُّل، وَبلا مَظَنَّة التَّغَيُّرِ وَالتَّبَدُّل، كَمَا إِذَا امْتَدَّ ظِل شَخْصٍ لا يُمْكِنُ أَنْ يُقَال: إِنَّ ذَلِكَ الظِّل مُتَّحِدٌ بِذَلِكَ الشَّخْصِ وَلَهُ نِسْبَةُ العَيْنِيَّة مَعَهُ، أَوْ إِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ شَائِبَة التَّنَزُّل وَالتَّغَيُّر وَإِنْ اخْتَفَى وُجُودُ الظِّل فِي بَعْضِ الأَوْقَات عَنْ نَظَرِ جَمَاعَة بِوَاسطَة كَمَال مَحَبَّته بِوُجُود الشَّخْصِ، بِحَيْثُ لاَ يَكُونُ مَشْهُودُهُمْ شَيْئًا غَيْر الشَّخْصِ، أَصْلا، فَح لعَلهُمْ يَقُولونَ: إِنَّ الظِّل عَيْنُ الشَّخْص، يَعْني: الظِّل مَعْدُومٌ وَالمَوْجُودُ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ فَقَطْ، فَلزِمَ مِنْ هَذَا التَّحقيق أَنَّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ الصُّوفِيَّة مَرَايَا ظُهُورَات الحَقِّ لاَ عَيْنُهُ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، فَتكُونُ الأَشْيَاءُ مِنَ الحَقِّ لاَ الحَقَّ جَل شَأْنُهُ، فَيكُونُ مَعْنَى كَلامِهِمْ الكُل هُوَ الكُل مِنْهُ وَهُوَ مُخْتَارُ العُلمَاء الكِرَام، فَلا يَكُونُ النِّزَاعُ بَيْنَ العُلمَاء الكِرَامِ وَالصُّوفيَّة العظَامِ كَثَّرَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ إِلى يَوْمِ القيَامَة ثَابتًا فِي الحَقيقَة، وَيَكُونُ مَآل القَوْلَيْنِ واحدًا، وَإِنَّمَا الفَرْقُ أَنَّ الصُّوفِيَّةَ يَقُولونَ: إِنَّ الأَشْيَاءَ مَرَايَا ظُهُورَات الحَقِّ تَعَالى، وَالعُلمَاءُ يَتَحَاشَوْنَ مِنْ هَذَا اللفْظ أَيْضًا مِنْ جِهَةِ التَّحرُّزِ مِنْ تَوَهُّمِ الحُلول وَالاتِّحَاد.

فَـإِنْ قِيـل: إِنَّ الصُّوفِيَّةَ مَعَ وُجُود قَوْلهِمْ بِظُهُورَات الأَشْيَاء يَرَوْنَهَا مَعْدُومَةً خَارجيَّةً، وَلا يَقُولونَ بِمَوْجُود فِي الخَارِجِ غَيْرِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَالعُلمَاءُ يَقُولونَ بِوُجُود الأَشْيَاء فِي الخَارِج فَثَبَتَ نِزَاعُ الفريقَيْنِ فِي المَعْنَى

أُجيبَ: إِنَّ الصُّوفِيَّةَ وَإِنْ كَانُوا يَرَوْنَ العَالَمَ مَعْدُومًا خَارجيًا، لكنَّهُمْ يُثْبتُونَ لهُ وُجُودًا وَهْمِيًّا فِي الخَارِج، وَيَقُولونَ بإِرَاءة خَارجيَّة وَلا يُنْكِرُونَ الكَثْرَةَ الوَهْمِيَّةَ الخَارجيَّةَ وَمَعَ ذَلكَ يَقُولونَ: إِنَّ هَذَا الوُجُودَ الوَهْمِيَّ الذي حَصَل إِرَاءَةً فِي الخَارِجِ لَيْسَ مِنَ المَوْجُودَات التي تَرْتَفعُ بارْتفَاع الوَهْم وَلَيْسَ لهُ قَرَارٌ وَثَبَاتٌ، بَل لَمَّا كَانَ هَذَا الوُجُود الوَهْميّ وتلك الإِرَاءَة الخَيَاليَّةُ بصُنْع الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَانْتقَاشِ قُدْرَته الكَاملة ـــ كَانَ محفوظًا مِنَ الزَّوَال ومصونًا مِنَ الخَلل، وَمُعَامَلةُ هَذه النَّشْأَة وَتلكَ النَّشْأَة مَرْبُوطَةٌ به، وَالسُّوفسْطَائيَّةُ الذينَ يَظُنُّونَ العَالَمَ أَوْهَامًا وَخيَالات، وَيَزْعُمُونَ ارْتفَاعَهُ بارْتفَاع الوَهْم وَالخَيَال، يَقُولونَ: إِنَّ وُجُودَ الأَشْيَاء تَابعٌ لاعْتقَادنَا لَيْسَ لهُ تَحَقُّقٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، فَإِنَّ اعْتقَادَنَا السَّمَاءَ أَرضًا فَأَرْضٌ، وَالأَرْضُ باعْتقَادنَا سَمَاءً

وَإِذَا تَخَيَّلنَا الحُلوَ مُرًّا فَمرٌّ وَالمَرُّ باعتقادنا حُلوٌ، وَبالجُمْلة إِنَّ هَؤُلاء المجانين يُنْكِرُونَ إِيجَادَ الصَّانعَ المختَارَ جَل سُلطَانُهُ وَلا يُسنِدُونَ الأَشيَاءَ إِليْه تَعَالى، ضَلوا فَأَضَلوا، فَالصُّوفِيَّةُ يُثْبِتُونَ للأَشْيَاء فِي الخَارِجِ وُجُودًا وَهْمِيًّا لهُ ثَبَاتٌ وَاسْتِقْرَارٌ، يَرْتَفعُ بارْتِفَاعِ الوَهْمِ، وَيَجْعَلونَ مُعَامَلةَ هَذه النَّشْأة وَتلكَ النَّشْأَة التي هِيَ مُخلدَةٌ وَمُؤَيَّدَةٌ مَرْبُوطَةً بذَلكَ الوُجُود، وَالعُلمَاءُ يَعْتَقِدُونَ الأَشْيَاءَ مَوْجُودَةً فِي الخَارِجِ وَيَعْتَقِدُونَ تَرْتِيبَ الأَحْكَامِ الخَارِجِيَّة الأَبَدِيَّة عَلى الأَشْيَاء، وَمَعَ ذَلكَ يَتَصَوَّرُونَ وُجُودَ الأَشْيَاء فِي جَنْبِ وُجُود الحَقِّ جَل وَعَلا ضعيفًا وَنَحيفًا، وَيَعْتَقدُونَ وُجُودَ المُمْكن بالنِّسْبَة إِلى وُجُودِ الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ هَالكًا، فَثَبَتَ للأَشْيَاء وُجُودٌ فِي الخَارِجِ عِنْدَ الفَرِيقَيْنِ، وَكَانَتْ أَحْكَامُ هَذه النَّشْأَة وَتلكَ النَّشْأَة مَرْبُوطَةً به، وَإِنَّهُ غَيْرُ مُرْتَفعِ بارْتِفَاعِ الوَهْمِ وَالخَيَال، فَارْتَفَعَ النِّزَاعُ وَزَال الخلافُ، غَايَةُ مَا فِي البَاب أَنَّ الصُّوفيَّةَ يَقُولونَ لذَلكَ الوُجُود وَهْمِيًّا بوَاسطَة أَنَّ وُجُودَ الأَشْيَاء يَصيرُ مُخْتَفيًا عَنْ نَظرهِمْ وَقْتَ العُرُوجِ، وَلا يَبْقَى فِي نَظَرِهِمْ غَيْرُ وُجُود الحَقِّ جَل شَأْنُهُ، وَالعُلمَاءُ يَتَحَاشَوْنَ عَنْ إِطْلاق لفْظ الوَهْم عَلى ذَلكَ الوُجُود وَلا يَقُولونَ وُجُودَ الحَقِّ جَل شَأْنُهُ وَالعُلمَاءُ يَتَحَاشَوْنَ عَنْ إِطْلاق لفْظ الوَهْم عَلى ذَلكَ الوُجُود وَلا يَقُولونَ وُجُودًا وَهْميًّا؛ لئَلا يَحْكُمُ قَاصرٌ النَّظَر بارْتفَاعه فَيُنْكرُ الثَّوَابَ وَالعَذَابَ الأَبَدِيَّيْنِ

فَإِنَّ قِيل: إِنَّ مَقْصُودَ الصُّوفيَّة مِنْ إِثْبَات الوُجُود الوَهْميِّ للأَشْيَاء هُوَ أَنَّ هَذَا الوُجُودَ مَعَ وُجُود الثَّبَات وَالاسْتِقْرَار ليْسَ هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ وَفِي غَيْرِ الوَهْمِ وَلا نَصيبَ لهُ عَنِ الإِرَاءَة، وَالعُلمَاءُ يَقُولونَ بوُجُود الأَشْيَاء فِي الخَارِجِ وَنَفْسِ الأَمْرِ، فَالنِّزَاعُ بَاق.

أُجيبَ إِنَّ الوُجُودَ الوَهْميَّ وَالإِرَاءَة الخَيَاليَّة لمَّا لمْ يَرْتَفعْ بارْتفَاعِ الوَهْمِ وَالخَيَال كَانَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، فَإِنَّا لوْ فَرَضْنَا زَوَال وَهْمِ جَميعِ الوَاهمينَ يَكُونُ هَذَا الوُجُودُ ثَابتًا لا يَزُول بزَوَال الأَوْهَامِ، وَلا مَعْنَى للوَاقعِ وَنَفْسِ الأَمْرِ إِلا هَذَا، وَلكنْ فَرْقٌ بَيْنَ نَفْسِ الأَمْرِ الذي يَثْبُتُ فِي وُجُود المُمْكن وَبَيْنَ نَفْسِ الأَمْرِ الذي هُوَ ثَابتٌ فِي وُجُود الوَاجب تَعَالى، فَإِنَّ الأَوَّل لهُ حُكْمُ الشَّيْءِ فِي جَنْب الثَّاني حَتَّى يَكَادَ يُعَدُّ منَ المَوْهُومَات وَالمُتخيَّلات، مثْل أَجزَاء الكُليِّ المُشَكِّك حَيْثُ إِنَّ بَيْنَهَا تفَاوُتًا فَاحشًا كَمَا أَنَّ وُجُودَ المُمْكن لهُ حُكْمُ اللاشَّيْءَ بالنِّسْبَة إِلى وُجُود الوَاجب بحَيْثُ يَكَادُ يُعَدُّ منَ العدَمَات فَلا نزَاعَ فِي الحَقيقَة.

فَإِنْ قيل إِذَا كَانَ وُجُودُ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ لزِمَ أَنْ تَكُونَ المَوْجُودَاتُ مُتَعَدِّدَةً فِي نَفْسِ الأَمْرِ لاَ مَوْجُودًا وَاحِدًا وَهَذَا مُنَافٍ لوَحْدَة الوُجُودِ التِي هِيَ مُقَرَّرَةٌ وَمُسَلمَةٌ عِنْدَ الصُّوفِيَّة

أُجيبَ: كلاهُمَا مُطَابِقَان لنَفْسِ الأَمْرِ تَعَدُّد المَوْجُودَات وَوَحْدَةُ الوُجُود فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَلكِنْ لَمَّا كَانَ الجِهَةُ وَالاعْتِبَارُ مُخْتَلفَان ارْتَفَعَ تَوَهُّم اجْتمَاع النَّقيضَيْن، وَلِيَتَّضِحَ هَذَا المَبْحَث بمثَال وَهُوَ أَنَّ صُورَةَ زَيْد مَثَلا مَرْئيَّةٌ فِي المرْآة وَلا صُورَةَ فِي المرْآة فِي نَفْسِ الأَمْرِ أَصْلا فَإِنَّ تلكَ الصُّورَةَ المرْئيَّةَ لَيْسَتْ تَحْتَ المرْآة وَلا فِي وَجْهِهَا، بَل وُجُودُ تلكَ الصُّورَة فِي المرْآة باعْتبَارِ التَّوَهُّم لَيسَ لَهَا حُصُول فِي المرْآة غَيْرُ الإِرَاءَة الخَيَاليَّة وَهَذَا الوُجُودُ الوَهْمِيُّ وَالإِرَاءَة الخَيَاليَّة اللذَان عَرَضَا للصُّورَة فِي المرْآة أَيْضًا كَائنَان فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَلِهَذَا لوْ قَال شَخْصٌ: رَأَيْتُ صُورَةَ زَيْد فِي المرْآة يُصَدَّقُ فِي كَلامَه هَذَا عَقْلا وعرفًا، وَيُعَدُّ مُحقًّا، وَحَيْثُ كَانَ مَبْنَى الإِيْمَان عَلَى العُرْف لوْ حَلفَ شَخصٌ بِأَنْ يَقُول وَالله رَأَيْت صُورَةَ زَيْد فِي المرْآة يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَحْنَثَ به فَفِي هَذَا الصُّورَة عَدَمُ حُصُول صُورَة زَيْد فِي المرْآة، وَحُصُولهَا فيهَا باعْتبَارِ التَّوَهُّمِ والتَخيُّل كلاهُمَا فِي نَفْس الأَمْرِ وَالوَاقِعِ، وَلكِنَّ الأَوَّل بحَسْب نَفْسِ الأَمْرِ مُطْلقًا وَالثَّاني بتَوَسُّط الوَهْمِ وَالتَّخيُّل، وَالعَجَبُ أَنَّ اعْتبَارَ التَّوَهُّمِ وَالتَّخَيُّل الذي هُوَ مُنَافٍ لنَفْسِ الأَمْرِ صَارَ هُنَا مَحَلا لنَفْسِ الأَمْرِ إِذْ لوْلاَهُ لَمَا حَصَل ثَمَّةَ نَفْسِ الأَمْرِ.

وَالمثَال الثَّاني النُّقْطَة الجَوَّالة التي تَعْرِضُ لَهَا صُورَةَ الدَّائرَة فِي الخَارج بحَسْبَ التَّوَهُّم وَالتَّخيُّل، فَهاهُنَا عَدَم حُصُول الدَّائرَة فِي الخَارج وَحُصُولهَا أَيْضًا فيه باعْتبَارِ التَّوَهُّمِ وَالتَّخيُّل كلاهُمَا فِي نَفْس الأَمْرِ، وَلكِنْ عَدَمَ حُصُول الدَّائرَة فِي نَفْس الأَمْرِ مُطْلقًا وَحُصُولهَا فيه بحَسْبَ التَّوَهُّم وَالتَّخيُّل؛ فَالأَوَّل مُطْلق وَالثَّاني مُقَيَّد، فَفِيمَا نَحْنُ فيه تَكُونُ وَحْدَة الوُجُود بحَسَب نَفْس الأَمْرِ مُطْلقًا وَتَعَدُّد الوُجُود فِي نَفْس الأَمْرِ باعْتبَارِ التَّوَهُّم وَالتَّخيُّل، فَبمُلاحظَة الإِطْلاَقُ وَالتَّقْييدُ لاَ يَكُونُ بَيْنَ كَوْن المُتَنَاقضَيْنِ بحَسَبَ نَفْس الأَمْرِ تَنَاقُضٌ وَلا يَثْبُتُ اجْتمَاعُ النَّقيضَيْن.

فَإِنْ قيل: إِذَا فُرِضَ زَوَال وَهْمِ جَمِيعِ الوَاهمينَ كَيْفَ يَكُونُ الوُجُودُ الوَهْمِيُّ وَالإِرَاءَةُ الخَيَاليَّةُ ثَابتًا؟ أُجيبَ: إِنَّ هَذَا الوُجُودَ الوَهْمِيّ لَمْ يَحْصُل بمُجَرَّد اخْتِرَاعِ الوَهْمِ حَتَّى يَزُول بزَوَال الوَهْمِ، بَل هُوَ حَاصِل بِصُنْعِ الحَقِّ جَل وَعَلا فِي

مَرْتَبَة الوَهْم وَحَصَل لهُ الإتْقَانُ؛ فَلا يَتَطَرَّقُ عَلَيْه الخَلل بزوَال الوَهْم بالضَّرُورَة، وَإنَّمَا يُقَال لهُ وُجُودا وَهْميًّا باعْتبَار أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خلقَهُ في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم، وَحَيْثُ كَانَ خَلقُهُ تَعَالى فَهُوَ مَحْفُوظٌ عَن الزَّوَال وَالخَلل في أَيِّ مَرْتَبَة كَانَ، وَحَيْثُ إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلقَهُ كَانَ في نَفْس الأَمْر بالضَّرُورَة في أَيِّ مَرْتَبَة خَلقَهُ وَإنْ لَمْ تَكُنْ تلكَ المَرْتَبَة نَفْسَ الأَمْر، بَل مُجَرَّد اعْتبَار وَلكنَّ المخْلوقَ في تلكَ المَرْتَبَة مَنْسُوب إلى نَفْس الأَمْر. وَمَا قُلتُ:إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلقَهُ في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم يَعْني: أَنَّهُ تَعَالى خَلقَ الأَشْيَاءَ غَيْرَ وَاقعيَّة وَيَرَوْنَ شَيْئًا وَاحدًا عَشَرَةَ أَشْيَاء، وَلَيْسَ لهَذه الأَشْيَاء العَشْرَة حُصُول إلا في الحَسِّ وَالوَهْم، وَلَيْسَ المَوْجُود في نَفْس الأَمْر غَيْرَ ذَلكَ الشَّيْء الوَاحد، فَإذَا عَرَضَ لهَذه الأَشْيَاء العَشَرَة بقُدْرَة الحَقِّ ـــ جَل سُلطَانُهُ ـــ ثَبَات وَاسْتقْرَار وَصَارَتْ مَحْفُوظَة عَن الخَلل وَسُرْعَة الزَّوَال تَصيرُ في نَفْس الأَمْر فَهَذه الأَشْيَاء العَشَرَة مَوْجُودَة في نَفْس الأَمْر وَمَعْدُومَةٌ فيه أَيْضًا لكنْ باعْتبَارَيْن؛ فَإنَّهُ إذَا قُطعَ النَّظَر عَنْ مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم فَمَعْدُومَةٌ وَبلا مُلاحَظَة الحسِّ وَالوَهْم مَوْجُودَةٌ، وَمنَ القَصَص المَشْهُورَة أَنَّ أَرْبَاب الشَّعْبَذَة في بَلَد منْ بلاد الهنْد أَسَّسُوا بُنْيَان الشَّعْبَذَة عنْدَ وَاحد منَ السَّلاطين، فَفي ذَلكَ الأَثْنَاء أَظْهَرُوا في نَظَر النَّاس بالطَّلسَم وَالشَّعْبَذَة بُسْتَانَ أَشْجَار أنبة وَأروا في ذَلكَ المجْلس أَنَّ تلكَ الأَشْجَارَ كَبُرَتْ وَأَثْمَرَتْ وَأَكَل أَهْل المجْلس منْ ثمَارهَا فَأَمَرَ السُّلطَانُ في ذَلكَ الوَقْت بقَتْل أَرْبَاب الشَّعْبَذَة؛ لأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَمعَ أَنَّهُ إذَا قَتل صَاحبَ الشَّعْبَذَة بَعْدَ ظُهُور الشَّعْبَذَة تَبْقَى تلكَ الشَّعْبَذَةُ عَلى حَالهَا بقُدْرَة الحَقِّ ـــ جَل سُلطَانُهُ ـــ فَلمَّا قَتَلوهُمْ بَقيَتْ تلكَ الأَشْجَارُ بقُدْرَة الله جَل سُلطَانُهُ وَسَمعْتُ أَنَّهَا بَاقيَة إلى الآن وَالنَّاس يَأْكُلونَ منْ ثمَارهَا وَمَا ذَلكَ عَلى الله بعَزيز. فَفي الصُّورَة المُتَنَازَع فيهَا أَظْهَرَ الحَقُّ ـــ سُبْحَانَهُ الذي لاَ مَوْجُودَ غَيْره في الخَارج وَنَفْس الأَمْر ـــ كَمَالات أَسْمَائه وَصفَاته بقُدْرَته الكَاملة في حَجْب صُوَر المُمْكنات في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم، وَأَجْلَى تلكَ الكَمَالات في مَجَالي الأَشْيَاء بوُجُود وَهْميٍّ وَثُبوت خَيالي، يَعْني: أَوْجَدَ الأَشْيَاءَ عَلى طبْق تلكَ الكَمَالات في مَرْتَبَة الحسِّ وَالوَهْم، فَوُجُود الأَشْيَاء باعْتبَار الإرَاءَة الخَيَاليَّة وَلكنْ لَمَّا مَنحَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى تلكَ الإرَاءَةَ الاسْتقْرَارَ وَالثَّبَاتَ وَرَاعَى الإتْقَانَ في صُنْع الأَشْيَاء وَجَعَل المُعَامَلة الأَبَديَّةَ مَرْبُوطَةً بهَا، صَارَ وُجُودُهَا الوَهْميُّ وَثُبُوتُهَا الخَيَاليُّ أَيْضًا في نَفْس الأَمْر وَكَانَتْ مَحْفُوظَة عَن الخَلل.

فَيُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّ الأَشْيَاءَ لهَا في الخَارج وَنَفْس الأَمْر وُجُودٌ وَلَيْسَ لهَا

وُجُود كَمَا مَرَّ مُكَرَّرًا.

قَال حَضْرَةُ وَالد هَذَا الفَقير ـــ قُدِّسَ سرُّهُ ـــ وَكَانَ منَ العُلَمَاء المحَقِّقينَ: " سَأَلني القَاضي جَلال الدِّين الأكريّ الذي كَانَ منَ العُلَمَاء المتَبَحِّرينَ: هَل الوَاقعُ الوَحْدَةُ أَو الكَثْرَة؟ فَإنْ كَانَ وَحْدَةً تَصيرُ الشَّريعَةُ التي مَبْنَاهَا عَلى الأَحْكَام المتَبَاينَة وَالمُتَمَايزَة بَاطلَةً، وَإنْ كَانَ كَثْرَة يَبْطُل قَوْل الصُّوفيَّة الذينَ يَقُولونَ بوَحْدَة الوُجُود:

قَال حَضْرَة شَيْخنَا في جَوَابه: " كلتَاهُمَا مُطَابقَتَان لنَفْس الأَمْر وَوَاقعَتَان فيه "، وَبَيْنَ ذَلكَ لَمْ يُبْق في خَاطر الفَقير مَا قَال في بَيَانه وَمَا أُفيضَ عَلى خَاطر الفَقير في هَذَا الوَقْت أَوْرَدَهُ في قَيْدَ الكتَابَة، وَالأمْر إلى الله سُبْحَانَهُ؛ فَالصُّوفيَّة الذينَ يَقُولونَ بوَحْدَة الوُجُود مُحققُونَ، وَالعُلَمَاء الذينَ يَحْكُمُونَ بالكَثْرَة أَيْضًا مُحققُونَ، وَالمُنَاسب لأَحْوَال الصُّوفيَّة الوَحْدَة، وَالمُنَاسب لأَحْوَال العُلَمَاء الكَثْرَة؛ فَإنَّ مَبْنَى الشَّرَائع عَلى كَثْرَة، وَتَغَايُرُ الأَحْكَام مَرْبُوطٌ بالكَثْرَة، وَدَعْوَةَ الأَنْبيَاء ـــ عَلَيْهمُ الصَّلاةُ السَّلام ـــ وَالتَّنْعيمُ وَالتَّعْذيبُ الأُخْرَويَّيْن كُلهُ مُتَعَلقٌ بالكَثْرَة، وَحَيْثُ إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ يُريدُ الكَثْرَةَ وَيُحبُّ الظُّهُور؛ كَمَا قَال تَعَالى: " فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ " فَبَقَاءُ هَذه المَرْتَبَة أَيْضًا ضَرُوريٌّ؛ فَإنَّ تَرْتيبَ هَذه المَرْتَبَة مَرْضَى رَبِّ العَالمينَ وَمَحْبُوبُهُ تَعَالى؛ فَإنَّهُ لاَ بُدَّ لسُلْطَان ذي شَأْن منَ الخَدَم وَالحَشَم، وَالذُّل وَالافْتقَارُ وَالانْكسَارُ لازمٌ لعَظَمَته وَكبْريَائه، وَمُعَامَلة وَحْدَة الوُجُود وَإنْ كَانَتْ كَالحَقيقَة وَمُعَامَلَة الكَثْرَة بالنِّسْبَة إليْه كَالمَجَاز؛ وَلهَذَا يُقَال لذَلكَ العَالم: " عَالم الحَقيقَة " وَلهَذَا العَالم: " عَالم المَجَاز "، وَلكنْ لمَّا كَانَت الظُّهُورَاتُ مَحْبُوبَ رَبِّ العَالمينَ وَأَعْطَى الأَشْيَاء البَقَاءَ الأَبَديّ وَأَوْرَدَ القُدْرَة في لبَاس الحكْمَة وَجَعَل الأَسْبَابَ نقَابَ أَفْعَاله، كَانَتْ تلكَ الحَقيقَةُ كَالمُجَاورَة، وَصَارَ هَذَا المَجَازُ مُتَعَارَفًا وَالنُّقْطَةُ الجَوَّالَةُ وَإنْ كَانَتْ كَالحَقيقَة وَالدَّائرَةُ النَّاشئَةُ منْ تلكَ النُّقْطَة كَالمَجَاز، وَلكنَّ الحَقيقَة مَهْجُورَةٌ هُنَاكَ، وَمَا هُوَ المُتَعَارَفُ مَجَازًا، وَسَأَلتَ عَنْ مَعْنَى هَذَا القَوْل: " إذَا أَحَبَّ اللهُ عبدا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ ":

اعْلَـــــــمْ: أَنَّهُ إذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا لاَ يَصْدُرُ عَنْهُ ذَنْبٌ؛ فَإنَّ أَوْليَاءَ الحَقِّ جَل وَعَلا مَحْفُوظُونَ عَن ارْتكَاب الذَّنْب، وَإنْ جَازَ صُدُورُ الذَّنْب عَنْهُمْ بخلاف الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالتَّسْليمَاتُ؛ فَإنَّهُمْ مَعْصُومُونَ عَن الذُّنُوب، وَجَوَازُ صُدُور الذَّنْب عَنْهُمْ أَيْضًا مَسْلوبٌ، فَإذَا لَمْ يَصْدُر الذَّنْبُ عَن الأَوْليَاء لاَ يَكُونُ فيهمْ ضَرَر

الذَّنْب، فَفِي صُورَةِ عَدَمِ صَدُورِ الذَّنْب يَصْدُقُ " لاَ يَضُرُّهُ ذَنبٌ " كَمَا لاَ يَخْفَى عَلى أَرْبَاب العلمِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمرَاد منَ الذَّنْب الذَّنْبَ السَّابقَ الذي صَدَرَ عَنْهُ قَبْل الوُصُول إلى دَرَجَة الوِلايَة؛ فَإنَّ الإسْلامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلهُ، وَحَقيقَةُ الأَمْرِ عِنْدَ الله سُبْحَانَهُ.

{رَبّنَا لاَ تُؤَاخذْنَا إنْ نَسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}⁽¹⁾، وَالسَّلام عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائِرِ مَنِ اتَّبعَ الهُدَى وَالتَّزَمَ مُتَابَعَةَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّاتُ العُلا.

---

(١) البقرة: ٢٨٦

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى مَنْبَعِ الحَقَائِقِ وَمَعْدنِ المَعَارِفِ الخَوَاجَهْ حُسَامِ الدِّين أَحْمَد

في بَيَان أَنَّ العَالَمَ بتَمَامه مَجَالي الأَسْمَاء وَالصِّفَات الوَاجبيَّة بِخلافِ الذَّات؛ فَإِنَّهُ لاَ نَصيبَ للمُمْكنِ منْهَا وَليْسَ لَهُ قِيَامٌ بِنَفْسه بَلَ هُوَ عَرَضٌ كُلَهُ لَمْ يَشُمَّ رَائحَةً منَ الجَوْهَرِيَّة وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى : أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ: (ع):

وَأَحْسَنَ مَا يُمْلى حَديثُ الأَحبَّة

يُحَرَّرُ منَ المَعَارف الغَريبَةِ يَنْبَغي اسْتمَاعُهَا، وَيُبَيَّنُ طَرِيقُ مُرَاقَبَة أَخصِّ الخَوَاصِّ فَلْيُتَوَجَّهْ إِلَيْه بتَوَجُّه بَليغ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَم: أَنَّ العَالَمَ بتَمَامه مَجَالي الأَسْمَاء وَمَظَاهِر الصِّفَات الوَاجبيَّة تَعَالتْ وَتَقدَّسَتْ: فَإِنْ كَانَ في المُمْكن حَيَاةٌ، فهيَ مرْآةٌ لحَيَاة الوَاجب تَعَالى وَتَقدَّسَ. وَإِنْ كَانَ فيه علْمٌ فمرْآةُ علمه تَعَالى، وَإِنْ كَانَ قُدْرَةٌ فَمرْآةُ قُدْرَته تَعَالى، وَعَلى هَذَا القيَاس، وَلَيْسَ لذَاته تَعَالى مَظْهرٌ في العَالَمِ وَلا مرْآةٌ، بَل لاَ مُنَاسَبَةَ لذَاته تَعَالى بالعَالَم أَصْلاً، وَلا اشْترَاكَ لَهَا به في شَيْءٍ قَطْعًا، وَإِنْ كَانَتْ تلكَ المُنَاسَبَةُ في الاسْمِ وَتلكَ المُشَارَكَةُ في الصُّورَة: {إِنَّ اللَّهَ لَغَنيٌّ عَنِ العَالَمينَ}(١) بخلاف الأَسْمَاء وَالصِّفَات؛ فَإِنَّ لَهَا مَعَ العَالَم مُنَاسَبَةٌ اسْميَّةٌ وَمُشَارَكَةٌ صُوريَّةٌ كَمَا أَنَّ في الوَاجب تَعَالى علمًا في المُمْكن أَيْضًا صُورَةُ ذَلكَ العلمِ، وَكَمَا أَنَّ هُنَاكَ قُدْرَةً هُنَا أَيْضًا صُورَةُ تلكَ القُدْرَة، بخلاف الذَّات؛ فَإِنَّ المُمْكنَ لاَ نَصيبَ لَهُ منْ تلكَ الدَّوْلَة وَلَمْ يُمْنَح القيَامَ بنَفْسه، بَل المُمْكنُ حَيْثُ كَانَ مَخْلوقٌ عَلى صُوَرِ أَسْمَائه وَصفَاته تَعَالى ، فَهُوَ عَرَضٌ بتَمَامه لَمْ يَشَمَّ رَائحَةً منَ الجَوْهَريَّة وَقيَامُهُ بذَات الوَاجب تَعَالى وَتَقدَّسَ.

وَتَقْسيمُ أَرْبَاب المَعْقُول العَالَمَ إلى الجَوْهَر وَالعَرَض(٢): فَهُوَ مَنْ كَوْن نَظَرِهِمْ مَقْصُورًا عَلى الظَّاهر، وَمَا ثَبَتَ منْ قيَام بَعْضِ المُمْكن ببَعْضٍ آخرَ فَهُوَ منْ قَبيلِ قيَامِ العَرَضِ بالعَرَض، لاَ منْ قَبيل قيَامِ العَرَضِ بالجَوْهَرِ، بَل قيَامُ ذَيْنكَ العَرَضَيْنِ

---

(١) العنكبوت: ٧٠

(٢) **العرض**:هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل، يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به. انظر: الجرجاني: التعريفات: ١٩٢.

فِي الحَقِيقَةِ بِذَاتِ الوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، لَمْ يَثْبُتْ بَيْنَهُمَا جَوْهَرِيَّةٌ، وَقَيُّومُ جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ هُوَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، فليس الممكن فِي الحَقِيقَةِ ذَاتًا تَكُونُ صِفَاتُهُ قَائِمَةً بِتِلْكَ الذَّاتِ الوَاجِبَةِ، بِهَا قَامَتْ صِفَاتُهُ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْمُمْكِنَاتِ، وَالإِشَارَةُ الوَاقِعَةُ مِنْ كُلِّ أَحَدَ إِلَى ذَاتِهِ بِلَفْظَ: " أَنَا " فَتِلْكَ الإِشَارَةُ رَاجِعَةٌ فِي الحَقِيقَةِ إِلَى تِلْكَ الذَّاتِ الأَحَدِ الَّتِي قِيَامُ الكُلِّ بِهَا يَعْرِفُهُ الْمُشِيرُ أَوَّلا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ ذَاتُهُ تَعَالَى مُشَارًا إِلَيْهَا بِإِشَارَةٍ وَمُتَّحِدَةً بِشَيْءٍ أَصْلا.

وَلاَ يَخْلِطُ القَاصِرُونَ هَذِهِ الْمَعَارِفَ الغَامِضَةَ بِمَعَارِفِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ، لاَ يَظُنُّونَ اليَدَ وَالجَيْبَ مُتَّحِدًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فَإِنَّ أَرْبَابَ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ لاَ يَقُولُونَ بِمَوْجُودٍ غَيْرَ الذَّاتِ الأَحَدِ ، تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَيَزْعُمُونَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ تَعَالَى أَيْضًا اعْتِبَارَاتٍ عِلْمِيَّةً، وَيَقُولُونَ فِي حَقَائِقِ الْمُمْكِنَاتِ: " مَا وَصَلَت إِلَيْهَا رَائِحَةٌ مِنَ الوُجُودِ، وَالأَعْيَانُ مَا شَمَّتْ رَائِحَةَ الوُجُودِ مِنْ كَلاَمِهِمْ ".

وَهَذَا الفَقِيرُ يَعْتَقِدُ أَنَّ صِفَاتِهِ تَعَالَى أَيْضًا مَوْجُودَةٌ بِوُجُودٍ زَائِدٍ عَلَى الذَّاتِ، كَمَا قَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ الحَقِّ، وَيُثْبِتُ لِلْمُمْكِنَاتِ الَّتِي هِيَ مَجَالِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَيْضًا وُجُودًا.

غَايَةُ مَا فِي البَابِ: أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ الْمُمْكِنَاتِ غَيْرُ الأَعْرَاضِ الَّتِي لاَ قِيَامَ لَهَا بِنَفْسِهَا، وَلا يُثْبِتُ الجَوْهَرِيَّةَ الَّتِي لَهَا قِيَامٌ بِذَاتِهِ فِي الْمُمْكِنَاتِ، بَل يَتَيَقَّنُ قِيَامَ الكُلِّ بِذَاتِهِ تَعَالَى

فَإِنْ قِيلَ: يُعْلَمُ مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ أَنَّ ذَاتَ الْمُمْكِنِ عَيْنُ ذَاتِ الوَاجِبِ تَعَالَى وَأَنَّ الْمُمْكِنَ مُتَّحِدٌ بِالوَاجِبِ جَلَّ شَأْنُهُ، وَهَذَا مُحَالٌ؛ لاسْتِلْزَامِهِ قَلْبَ الحَقَائِقِ:

أُجِيبَ: إِنَّ ذَاتَ الْمُمْكِنِ ـ يَعْنِي مَاهِيَّتَهُ وَحَقِيقَتَهُ ـ هِيَ عَيْنُ تِلْكَ الأَعْرَاضِ الْمُتَعَدِّدَةِ المخْصُوصِ الَّتِي هِيَ مَجَالِي أَسْمَاءِ الوَاجِبِ وَصِفَاتِهِ تَعَالَى، وَلا عَيْنِيَّةَ لِتِلْكَ الأَعْرَاضِ مَعَ ذَاتِ الوَاجِبِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَصْلا، وَلا اتِّحَادَ بَيْنَهُمَا بِوَجْهٍ مَا قَطْعًا؛ حَتَّى يَلْزَمَ قَلْبَ الحَقَائِقِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ غَيْرُ قِيَامِ تِلْكَ الأَعْرَاضِ بِالذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ وَقَيُّومِيَّتِهِ تَعَالَى بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ.

فَإِنْ قِيلَ: لَمَا رَجَعَتْ إِشَارَةُ كُلِّ أَحَدٍ إِلَى ذَاتِهِ بِلَفْظِ " أَنَا " إِلَى ذَاتِ الوَاجِبِ تَعَالَى لَزِمَ أَنْ تَكُونَ ذَاتُ الْمُمْكِنِ ـ يَعْنِي مَاهِيَّتَهُ وَحَقِيقَتَهُ ـ عَيْنَ ذَاتِ الوَاجِبِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ إِشَارَةَ كُلِّ أَحَدٍ بِلَفْظَ " أَنَا " إِلَى مَاهِيَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ وَهَذَا مُسْتَلْزِمٌ لِقَلْبِ الحَقِيقَةِ وَعَيْنَ كَلاَمِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ:

أُجِيبَ: نَعَمْ، وَإِنْ كَانَ إِشَارَةُ كُلِّ أَحَدٍ بِلَفْظِ " أَنَا " إِلَى حَقِيقَتِهِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ حَقِيقَتُهُ أَعْرَاضًا مُجْتَمِعَةً، لَيْسَتْ فِيهَا قَابِلِيَّةُ هَذِهِ الإِشَارَةِ فَإِنَّ

الأَعْرَاضَ ليْسَتْ بِقَابلَةٍ للإِشَارَةِ الحسِّيَّةِ بالاسْتقْلال وَبالأصَالة، وَلَمَّا لَمْ تَقْبَل حَقِيقَتُهُ هَذه الإشَارَةَ صَارَت الإِشَارَةُ رَاجعَةً إلى مُقَوِّم تلكَ الحَقيقَة، فَمَاهيَّةُ الْمُمْكن هيَ عَيْنُ تلكَ الأَعْرَاضِ الْمُجْتَمعَة، وَإنْ كَانَت الإشَارَةُ بوَاسطَة عَدَم قَابليَّة حَقيقَته رَاجعَةً إلى مُقَوِّمهَا الذي هُوَ ذَاتُ الوَاجب تَعَالى وَتَقَدَّسَ، فَلمْ يَكُنْ قَلبُ الحَقيقَة وَمَا صَارَ الْمُمْكنُ واجبًا تَعالى وَتَقدَّسَ وَكَانَ الكَلامُ مُغَايِرًا لكَلامِ أَرْبَابِ التَّوْحِيدِ الوُجُودِيِّ.

وَالعَجـــيبُ: أَنَّ " أَنَا " الصَّادرُ منَ الْمُمْكن يَرْجعُ إلى الوَاجب وَيَبْقَى الْمُمْكنُ ممكنًا عَلى حَاله وَلا يَتَكلمُ بقَوْل سُبْحَانيٌّ وَأَنَا الحَقُّ، بَل لاَ يَقْدرُ أَنْ يَقُول لكَوْنه صَاحبَ تَمَيُّز.

فَــإنْ قيـــل: إنَّ قيَامَ الْمُمْكنِ بذَاتِ الوَاجبِ تَعَالى مُسْتَلزِمٌ لقيَامِ الحَوَادث بذَاته تَعَالى وَهُوَ مُمْتَنعٌ:

أُجيـــبَ: إنَّ امْتنَاعَ قيَامِ الحَوَادث بمَعْنَى حُلول الحَوَادث في ذَاته تَعَالى وَهُوَ مُحَال، وَلكنَّ القيَامَ ليْسَ هُنَا بمَعْنَى الحُلوَل، بَل بمَعْنَى الثُّبُوتِ وَالتَّقَرُّرِ، يَعْني أَنَّ ثُبُوتَ الْمُمْكنِ وَتَقرُّرَهُ بذَات الوَاجب تَعَالى.

فَــإنْ قيـــل: إذَا كَانَ ثُبُوتُ الْمُمْكن بذَات الوَاجب وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُ عَرَضٌ بتَمَامه فَلاَ بُدَّ لهُ منْ مَحل يَقُومُ به، وَمَا ذَاكَ المَحَل ليْسَ هُوَ ذَاتَ الوَاجبِ تَعَالى، وَكَذَلكَ لاَ يَكُونُ الْمُمْتَنعُ مَحلا لهُ:

أُجيـــبَ: أَنَّ العَرَضَ مَا لاَ يَكُونُ لهُ قيَامٌ بذَاته، بَل يَقُومُ بغَيْره، وَلَمَّا لمْ يَفْهَمْ أَرْبَابُ المَعْقُول في قيَام العَرَضِ غَيْرَ الحُلول، أَثْبَتُوا للعَرْضِ مَحَلا بالضَّرُورَة، وَاسْتَحلوا ثُبُوتَهُ منْ غَيْر مَحَل، فَإذَا ظَهَرَ للقيَام مَعْنًى آخرُ كَمَا مَرَّ لاَ يَلزَمُ المَحَل أَصْلا، ومَحْسُوسُنَا وَمُشَاهَدَتُنَا أَنَّ قيَامَ جَميعِ الأَشْيَاء بذَات الوَاجب تَعَالى منْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ في البَيْنِ حُلول وَمَحَل أَصْلا يُصَدِّقُهُ أَرْبَابُ المَعْقُول أَوَّلا، وَتَشْكيكَهمْ لاَ يَكُونُ مصادمًا لبَدَاهتنَا، وَلا يَزُول يَقينُنَا بشَكِّهمْ.

وَلنُوَضِّحْ هَذَا المَبْحَث بمثَـــال: إنَّ أَرْبَاب الطِّلسَمِ وَأَصْحَابَ السِّيمْيَآءِ يَرَوْنَ وَيُظْهرُونَ الأَشْيَاءَ منْ جنْسِ الأَجْسَامِ الغَرِيبَة وَالأَعْرَاضِ العَجيبَة، وَفي هَذه الصُّورَة يَعْرفُ كُل شَخْصٍ أَنَّ هَذه الأَجْسَامَ ليْسَ لَهَا قيَامٌ بنَفْسهَا كَالأَعْرَاضِ، بَل قيَامُ كليْهمَا بذَات صَاحبِ الطِّلسَمِ، وَلا مَحَل لَهُمَا أَصْلا، وَيَعْرفُونَ أَيْضًا أَنْ ليْسَ في هَذَا القيَامِ شَائبَةُ الحَاليَّة وَالمَحَليَّة، بَل ثُبُوتُ تلكَ الأَجْسَامِ والأَعْرَاض بذَات صَاحب الطِّلسَمِ منْ غَيْر تَوَهُّمِ حُلول، وَفيمَا نَحْنُ فيه أَيْضًا عَيْنُ هَذَا التَّصْوير؛ فَإنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ خَلقَ الأَشْيَاءَ في مَرْتَبَة الحَسِّ وَالوَهْمِ وَرَاعَى الإتْقَانَ وَالإحْكَامَ في صُنْعهَا، وَجَعَل الْمُعَامَلةَ الأَبَديَّةَ وَالتَّنْعيمَ وَالتَّعْذيبَ السَّرْمَديَّيْنِ مَرْبُوطَةً بهَا؛ فَلا قيَامَ

هَذه الأَشْيَاء بِذَاتِهَا، بَل هِيَ قَائِمَةٌ بِذَاتِه تَعَالَى مِنْ غَيْرِ شَائِبَةِ الحُلول وَبلا مَظَنَّة الحَال وَالْمَحَل.

وَالتَّمْثِيل الآخَرُ: صُورَةُ جَبَل أَوْ صُورَةُ سَمَاء تَظْهَرُ فِي المِرْآة، أَيُّ أَبْله يَزْعُمُ تلكَ الصُّورَةَ أجسامًا وَجَواهر وَيظُنُّ أَنَّهَا قَائمَةٌ بنفْسهَا؟!

فَإِنْ زُعِمَ فَرْضًا شَخْصٌ تلكَ الصُّوَرَ أَعْرَاضًا وَقَائِمَةً بالغَيْرِ وَطَلَبَ لَهَا مَحَال بعلة العَرَضِيَّة، وَيَعُدُّ ثُبُوتَهَا مِنْ غَيْرِ مَحَال مُحَالا:

فَهَذَا الشَّخْصُ أَيْضًا سَفيهٌ؛ فَإِنَّهُ يُنْكِرُ بَدَاهَةَ نَفْسه بتَقْليد النَّاس؛ لأَنَّ كُل مَنْ عنْدَهُ تَمْييزٌ يَعْرِفُ بالبَدَاهَة أَنْ لَيْسَ لتلكَ الصُّوَر مَحَالَ أَصْلاً، بَل لاَ احْتيَاجَ لَهَا إلى المَحَال، وَهَكَذَا جَميعُ المُمْكنَات عنْدَ أَرْبَاب الحَقِّ، وَلَيْسَتْ غَيْرَ التَّمَاثيل مثْل هَذه الصُّوَر، غَايَةُ مَا في البَاب: أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَتْقَنَ تلكَ الصُّوَرَ وَالتَّمَاثيل بقُدْرَته الكَاملة وَأَحْكَمَ عَلى نَهْجٍ صَارَتْ مَصُونَةً عَنِ الخَلل وَمَحْفُوظَةً منَ الزَّوَال، وَالمُعَامَلَةُ الأُخْرَوِيَّة الأَبَدِيَّةُ مَرْبُوطَةٌ بهَا كَمَا مَرَّ غَيْرَ مَرَّة، وَقَال النَّظَّامُ منَ المُتكلمينَ وَمنْ عُلمَاء المُعْتَزلَة ــ بحُكْم رَمْيَة منْ غَيْر رَام ــ: " العَالَمُ أَعْرَاضٌ مُجْتَمعَةٌ "، وَظَنَّهُ خَاليًا منَ الجَوَاهر، نَعَمْ: إنَّ الكَذُوبَ قَدْ يَصْدُقُ، وَلَمَّا لَمْ يَقُل بقيَام هَذه الأَعْرَاض بذَات وَاجب الوُجُود ــ جَل سُلطَانُهُ ــ منْ قُصُور نَظَره صَارَ مَوْردًا لطَعْن العُقَلاء وَتَشْنيعهمْ؛ فَإنَّ العَرَضَ لاَ بُدَّ لَهُ منْ قيَام بالغَيْر، وَلا هُوَ قَائل بوُجُود الجَوْهَر حَتَّى يَجْعَلَ قيَامَهُ مُسْتَندًا إليْه، وَمنَ الصُّوفيَّة: اعْتَقَدَ صَاحبُ الفُتُوحَات المَكِّيَّة العَالَمَ أَعْرَاضًا مُجْتَمعَةً في عَيْنٍ وَاحد وَجَعَلَ العَيْنَ الوَاحدَ عبَارَةً عَنْ ذَات أَحَديَّة ــ جَل سُلطَانُهُ ــ وَلكنَّهُ حَكَمَ بعَدَم بَقَاء هَذه الأَعْرَاض في زَمَانَيْن، وَقَال: " إنَّ العَالَمَ يَنْعَدمُ في كُل آن وَيَتَجَدَّدُ مثْلُهُ ".

وَعنْدَ الفَقير: هَذه المُعَامَلةُ شُهُوديَّةٌ لاَ وُجُوديَّةٌ، كَمَا حُقِّقَ هَذَا المَبْحَثُ في حَوَاشي شَرْح الرُّبَاعيَّات أَنَّهُ قَدْ يَرَى للسَّالك في تَوَسُّط الأَحْوَال قَبْل أَنْ تَرْتَفعَ الأَغْيَارُ عَنْ نَظَره مُطْلَقًا في آن أَنَّ العَالَمَ صَارَ مَعْدُومًا، وَفي آن ثَان يَرَى أَنَّ العَالَمَ مَوْجُودٌ، وَفي آن ثَالث يَجدُهُ أَيْضًا مَعْدُومًا، وَفي آن رَابع مَوْجُودًا، إلى أَنْ يَشْرُفَ بالفَنَاء المُطْلق، وَيَجدَ العَالَمَ مَعْدُومًا دَائمًا، فَفي هَذَا الوَقْت: العَالَمُ مُسْتَمرُّ العَدَم في شُهُوده، وَهَكَذَا حينَ تَوَسُّط حُصُول البَقَاء وَالرُّجُوع إلى العَالم يَظْهَرُ العَالَمُ في النَّظَر تَارَةً وَيَخْتَفي أُخرَى، وَمنْ هُنَاكَ أَيْضًا يُتَوَهَّمُ حَالَةَ تَجَدُّد الأَمْثَال، فَإذَا تَمَّتْ لهَذَا العَارف مُعَامَلَةُ البَقَاء وَالرُّجُوع إلى العَالَم، وَاسْتَنَدَ في مَقَام التَّكْميل وَالإرْشَاد يَظْهَرُ العَالَمُ في نَظَره أَيْضًا وَيَجدُ العَالَمَ مُسْتَمرَّ الوُجُود، فَصَارَتْ هَذه المُعَامَلةُ رَاجعَةً إلى شُهُود السَّالك لاَ إلى وُجُود العَالَم؛ فَإنَّ وُجُودَهُ مَازَال عَلى وَتيرَة وَاحدَة، فَإنْ كَانَ تَذَبْذُبٌ فَهُوَ في الشُّهُود، وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُلهمُ للصَّوَاب، وَالحُكْمُ

بِعَدَمِ بَقَاءِ الأَعْرَاضِ فِي زَمَانَيْنِ ــ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِمِينَ ــ مَدْخُول فِيهِ لَمْ يَبْلُغْ مَرْتَبَةَ الثُّبُوت، وَالأدلةُ التي أَوْرَدُوهَا في عَدَمِ بَقَاء الأَعْرَاضِ غَيْرُ تَامَّة وَهَذه المَعَارِفُ الغَامضَةُ كَأَنَّهَا دَرْسٌ لأَكْثَر الأَصْحَاب هُنَاكَ يَنْبَغي إِعْطَاءُ نَقْلهَا لكُل مَنْ لهُ شَوْقٌ إِليْهَا، وَلَمَّا كَانَ فِي الفَقيرِ نَوْعُ مَرَضٍ؛ لَمْ يَكْتُبْ لكُل وَاحِدٍ مِنَ الأَصْحَابِ عَلى حِدَةٍ، وَاكْتَفَى بِهَذه المَعَارف فقطْ.

،،، ،،، ،،، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

اَلمكْتُوبُ التَّاسِعُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ الثَّلاَثِمائَة
إلى الشَّيْخ حُمَيْد البَنْكَالِيِّ
فِي فَضَائل الكَلمَة الطَّيِّبَة التي هِيَ مُتَضَمِّنَةٌ للطَّرِيقَة وَالحَقيقَة وَالشَّرِيعَة(١) وَبَيَانِ أَنْ لاَ مقْدَارَ لكَمَالات الوِلاَيَة في جَنْب كَمَالات النُّبُوَّة أَصْلاً وَبَيَانِ أَنَّ الوِلاَيَةَ لاَ بُدَّ لَهَا منَ الشَّرِيعَةِ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

" لاَ إلهَ إلا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُول الله ":

هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَةُ مُتَضَمِّنَةٌ للطَّرِيقَة وَالحَقيقَة وَالشَّرِيعَة، وَمَا دَامَ السَّالكُ فِي مَقَام النَّفْي فَهُوَ فِي مَقَام الطَّرِيقَة، فَإذَا فَرَغَ منَ النُّفى بالتَّمَام وَانْتَفى جَميعُ الأَغْيَار عَنْ نَظَره وَأَتَمَّ الطَّرِيقَةَ وَوَصَل إلى مَقَام الفَنَاء وَجَاءَ إلى مَقَام الإثْبَات بَعْد النَّفْي وَمَال منَ السُّلوك إلى الجَذْبَة، فَقَدْ تَحقَّقَ بمَرْتَبَة الحَقيقَة، وَاتَّصَفَ بالبَقَاء.

وَبهَذَا النَّفْي وَالأَثْبَات، وَبهَذه الطَّرِيقَة، وَالحَقيقَة، وَبهَذَا الفَنَاء وَالبَقَاء، وَبهَذَا السُّلوك وَالجَذْبَة، يَصْدُقُ اسْمُ الوِلاَيَة، وَتَميل النَّفْسُ منْ أَنْ تَكُونَ أَمَّارَةً إلى الاطْمئْنَان، وَتَصيرُ مُزَكَّاة وَمُطَهَّرَة؛ فَكَمَالاتُ الوِلاَيَة صَارَتْ مَرْبُوطَةً بالجُزْء الأَوَّل منْ هَذه الكَلمَة الطَّيِّبَة الذي هُوَ النَّفْي وَالأَثْبَات.

وَبَقيَ الجُزْء الثَّاني منْ هَذه الكَلمَة المقَدَّسَة الذي هُوَ مُثْبتُ رِسَالة خَاتَم الرُّسُل ــ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَة وَالتَسْليمَاتُ ــ وَهَذَا الجُزْء الأَخير مُحَصِّل للشَّرِيعَة وَمُكَمِّل لَهَا، وَمَا كَانَ حَاصلا في الابْتدَاء وَالوَسَط منَ الشَّرِيعَة فَهُوَ صُورَةُ الشَّرِيعَة وَاسْمهَا وَرَسْمهَا، وَحُصُول حَقيقَة الشَّرِيعَة إنَّمَا هُوَ في هَذَا الموْطن الذي يَحْصُل بَعْدَ حُصُول مَرْتَبَة الوِلاَيَة، وَكَمَالات النُّبُوَّة التي تَحْصُل لكُمَّل تَابعي الأَنْبيَاء ــ عَلَيْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ بتَبَعيَّتهم وَورَاثَتهمْ؛ فَهيَ أَيْضًا في هَذَا الموْطن وَالطَّرِيقَة وَالحَقيقَة اللتَان هُمَّا مُحَصِّلَتَان للوِلاَيَة كَأَنَّهُمَا منَ الشَّرَائط لتَحْصيل حَقيقَة الشَّرِيعَة وَتَحْصيل كَمَالات النُّبُوَّة.

يَنْبَغــي أَنْ يَعْتَقــدَ: الوِلاَيَةُ مثْل الطَّهَارَة وَالشَّرِيعَةُ كَالصَّلاَة؛ وَكَأَنَّ في الطَّرِيقَة إزَالَةَ النَّجَاسَات الحَقيقيَّة، وَفي الحَقيقَة إزَالَةَ النَّجَاسَات الحُكْميَّة وَبَعْدَ

---

(١) الشريعة: عبارة عن الأمر بالتزام العبودية، وهو الإنقياد للأمر في كل ما جاء به أمرا أو نهيا، والتقدير برتبة تحجيره ظاهرا وباطنا. انظر: الكاشاني: رشح الزلال: ٥٢.

الطَّهَارَةَ الكَامِلة يُسْتَحَقُّ إتْيَانُ الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَيَحْصُل قَابليَّةُ أَدَاء الصَّلاة التي هِيَ نِهَايَة مَرَاتبَ القُرْب وَعمَاد الدِّين وَمعْرَاج المؤْمن.

وَلَقَدْ وَجَدْتُ الجُزْء الأَخيرَ منْ هَذه الكَلمَة المقَدَّسَة بَحْرًا لاَ نِهَايَةَ لهُ، وَشُوهدَ الجُزْءُ الأَوَّل في جَنْبه كَالقَطْرَة؛ نَعَمْ: لاَ مقْدَارَ لكَمَالات الولاَيَة في جَنْب كَمَالات النُّبوَّة أَصْلا، وَمَا يَكُونُ مقْدَار ذَرَّة في جَنْب الشَّمْس سُبْحَانَ الله؟!

زَعَمَ جمَاعَةٌ منَ أَعْوجَاج النَّظَر أَنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة، وَظَنُّوا الشَّريعَةَ التي هيَ لبُّ اللبَاب قشْرًا، وَمَاذَا يَفْعَلونَ؟! فَإنَّ نظَرَهُمْ مَقْصُورٌ عَلى صُورَة الشَّريعَة وَلَمْ يُحَصِّلوا منَ اللبِّ شَيْئًا غَيْرَ القشْر، وَظَنُّوا النُّبُوَّةَ بعلة التَّوَجُّه إلى الخَلق قَاصرَةً، وَزَعَمُوا هَذَا التَّوَجُّه مثْل تَوَجُّه العَوَامِّ نَاقصًا، وَرَجَّحُوا تَوَجُّهَ الولاَيَة الذي هُوَ إلى الحَقِّ عَلى ذَلكَ التَّوَجُّه، وَقَالوا: إنَّ الولاَيَةَ أَفْضَل منَ النُّبُوَّة:

وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ التَّوَجُّهَ في كَمَالات النُّبُوَّة أَيْضًا إلى الحَقِّ في وَقْت العُرُوج كَمَا في مَرْتَبَة الولاَيَة، بَل في مَرْتَبَة الولاَيَة: صُورَةُ تلكَ الكَمَالات العُرُوجيَّة التي حَصَلتْ في مَقَام النُّبُوَّة كَمَا سَنَذْكُرُ منْهُ نُبْذَة، وَالتَّوَجُّه في وَقْتَ نُزُول النُّبُوَّة إلى الخَلق كَالولاَيَة، وَإنَّمَا الفَرْقُ أَنَّ الظَّاهرَ في الولاَيَة مُتَوَجِّهٌ إلى الخَلق، وَالبَاطنُ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَفي نُزُول النُّبُوَّة: الظَّاهر وَالبَاطن كلاهُمَا مُتَوَجِّهَان إلى الخَلق وَصَاحبه يَدْعُوَا الخَلقَ إلى الحَقِّ بكُليَّته، وَهَذَا النُّزُول أَتَمُّ وَأَكْمَل منْ نُزُول الولاَيَة كَمَا حَقَّقْتُهُ في كُتُبي وَرَسَائلي.

وَتَوَجُّهُهُ هَذَا إلى الخَلق لَيسَ كَتَوَجُّه العَوَامِّ كَمَا زَعَمُوا؛ فَإنَّ تَوَجُّهَ العَوَامِّ إلى الخَلق منْ جهَة تَعَلقهمْ بالأَغْيَار، وَتَوَجُّهَ أَخصِّ الخَوَاصِّ إلى الخَلق لَيْسَ هُوَ بوَاسطَة تَعَلقهمْ بالأغْيَار؛ فَإنَّ هَؤُلاء الأَكَابرَ وَدَّعُوا التَّعَلق بالأَغْيَار في أَوَّل القَدَم وَحَصَّلوا التَّعَلق بخَالق الخَلق جَل سُلطَانُهُ مَكَانَهُ، بَل تُوَجُّهُ هَؤُلاء الأَكَابر إلى الخَلق لهدَايَتهمْ وَإرْشَادهمْ ليَدُلوهُمْ عَلى خَالق الخَلق جَل وَعَلا وَليُرْشدُوهُمْ الى مَرَاضي مَوْلاهُمْ تَعَالى وَتَقَدَّسَ، وَلا شَكَّ إنَّ مثْل هَذَا التَّوَجُّه إلى الخَلق الذي مَقْصُودُهُمْ منْهُ تَخْليصُهُمْ عَنْ رقِّيَّة مَا سوَاهُ تَعَالى أَفْضَل منْ ذَلكَ التَّوَجُّه إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ لأَجْل نَفْسه.

مَثَلاً: إذَا كَانَ شَخْص مَشْغُولا بذكْر الله تَعَالى فَظَهَرَ في ذَلكَ الأَثْنَاء ضَرِيرٌ وَفي طَرِيقه بئر بحَيْثُ لوْ رَفَعَ قَدَمَهُ لوَقَعَ فيهَا، فَفي هَذه الصُّورَة: هَل الأَفْضَل لهَذَا الشَّخْص الذِّكْرُ أَوْ تَخليصُ الضَّرير منَ البئْر، وَلا شَكَّ أَنَّ تَخْليص الضَّرير أَفْضَل منَ الذِّكْر؛ فَإنَّ الله تَعَالى غَنيٌّ عَنْهُ وَعَنْ ذكْره، وَالضَّريرَ عَبْدٌ مُحْتَاج، وَدَفْعُ الضَّرَر عَنْهُ ضَرُوريٌّ خُصُوصًا إذَا كَانَ مَأْمُورًا بهَذَا التَّخْليص، فَفي هَذَا الوَقْت تَخْليصُهُ عَيْنُ الذِّكر لكَوْن امْتثَال أَمْره في الذِّكْر أَدَاء حَقٍّ وَاحد وَهُوَ حَقُّ المَوْلى جَل شَأْنُهُ، وَفي تَخْليص المَأْمُور به أَدَاءُ حَقَّيْن حَقِّ العَبْد وَحَقِّ المَوْلى تَعَالى، بَل يَكَادُ يَدْخُل الذِّكْر في ذَلكَ الوَقْت في المَعْصيَة؛ فَإنَّ الذِّكْرَ لَيْسَ بمُسْتَحْسَن في جَميع الأَوْقَات، بَل في بَعْض الأَوْقَات يُسْتَحْسَنُ عَدَمُ الذِّكْر؛ كَمَا أَنَّ الإفْطَارَ في الأَيَّام المنْهيَّة وَتَرْكَ الصَّلاة في الأَوْقَات المكْرُوهَة أَفْضَل منَ الصَّوْم وَالصَّلاة.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الذِّكْر عبَارَة عَنْ طَرْد الغَفْلة بأَيّ وَجْه يَتَيَسَّرُ لا أَنَّ الذِّكْرَ مَقْصُورٌ عَلى تَكْرَار كَلمَة النَّفْي وَالأثْبَات، أَوْ عَلى تَكْرَار اسْم الذَّات كَمَا زُعمَ؛ فَكُل مَا هُوَ منَ امْتثَال الأَوَامر وَالانْتهَاء عَن النواهيَ كُلهُ دَاخل في الذِّكْر، وَالبَيْعُ وَالشِّرَاءُ مَعَ مُرَاعَاة الشُّرُوط ذكْر، وَكَذلكَ النِّكَاح وَالطَّلاق مَعَ مُرَاعَاة شُرُوطهمَا ذكْر؛ فَإنَّ الآمرَ وَالناهيَ جَل سُلطَانُهُ حين مُبَاشَرَة هَذه الأُمُور مَعَ مُرَاعَاة شُرُوطهَا نُصبَ عَيْن مُبَاشرهَا فَلا يَكُونُ فيهَا مَجَال للغَفْلة، وَلكنَّ الذِّكْر الوَاقعَ باسْم المذْكُور وَصفَته سَريعُ التَّأْثير وَمُورثٌ لمَحَبَّة المذْكُور وَقَريبُ الإيصَال إليْه.

بخلاف الذِّكْر الوَاقع منْ طَريق امْتثَال الأَوَامرُ وَالانْتهَاء عَن النواهي؛ فَإنَّهُ قَليل النَّصيب منْ هَذه الصِّفَات، وَإنْ وُجدَتْ هَذه الصِّفَاتُ في بَعْض الأَفْرَاد الذينَ ذَكَرَهُمْ بامْتثَال الأَوَامر وَالانْتهَاء عَن المَنَاهي الشَّرْعيَّة عَلى سَبيل النُّدْرَة.

قَال حَضْرَةُ الخَوَاجَهْ النَّقْشَبَنْديُّ ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ إنَّ حَضْرَةَ مَوْلانَا زَيْنَ الدِّين التَّايبَاديَّ ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ وَصَل إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ منْ طَريق العلم، وَأَيْضًا إنَّ الذِّكْر الذي يَقَعُ باسْم المذْكُور وَصفَته وَسيلةٌ للذِّكْر الذي يَحْصُل بمُرَاعَاة الحُدُود الشَّرْعيَّة؛ فَإنَّ مُرَاعَاةَ الأَحْكَام الشَّرْعيَّة في جَميع الأُمُور غَيْر مُيَسَّرَة بدُون مَحَبَّة تَامَّة لنَاصب الشَّرْع وَهَذه المَحَبَّةُ التَّاميَّةُ مَرْبُوطَةٌ بذكْر اسْمه وَصفَته تَعَالى، فَلابُدَّ

أوَّلا منْ ذَلكَ الذِّكر حَتَّى يَحصُل بسَبَبه هَذَا الذِّكر، ومُعَامَلة العنَايَة أمْر آخر ليْسَ هُنَاكَ شَرْط ولا وَسيلة: {اللهُ يَجْتَبِي إليْه مَنْ يَشاءُ}(١).

ولنَرْجع إلى أصَل الكَلام فَنقُول: إنَّ ورَاءَ هَذه المعَامَلات الثَّلاث الطَّريقَة والحَقيقَة والشَّريعَة مُعَامَلةً أخْرَى مُخْتصَّةً بالآخرينَ، يُمْكنُ أنْ يُقَال: " أنْ لاَ اعْتدَادَ بتلكَ المعَامَلات في جَنْب هَذه المُعَامَلة ولا اعْتبَارَ، ومَا حَصَل في مَرْتَبَة الحَقيقَة ممَّا لَهُ تَعَلق بالإِثْبَات فهُوَ صُورَةُ هَذه المُعَامَلة، وهَذه المُعَامَلة حَقيقَةُ تلكَ الصُّورَة مثْل صُورَة شَريعَة حَاصلة في الابْتدَاء لمَرْتَبَة العَوَامِّ وبَعْدَ حُصُول الطَّريقَة والحَقيقَة تَتيَسَّرُ حَقيقَةَ تلكَ الصُّورَة.

ينْبغي التَّخَيُّل والتَّأمُّل: إذَا كَانَتْ مُعَامَلة صُورَهَا حَقيقَةَ مُعَامَلة ومُقَدِّمَتهَا ولايَة، كَيْفَ يَسعُهَا القيل والقَال؟! وكَيْفَ يَفي بهَا البَيَان؟! ولَوْ بُيِّنَتْ ــ فَرْضًا ــ مَنْ يُدْركُهَا ومَاذَا يُدْركُ؟! وهَذه المُعَامَلة ورَاثَة الأنْبيَاء أُولي العَزْم عَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ والتَسْليمَاتُ والتَّحيَّات والبَركَات ــ: التي هيَ نَصيب أقَل قَليل؛ فَإنَّهُ إذَا كَانَ أُصُول هَذه المُعَامَلة قَليلة، تَكُونُ فرُوعهَا أقَل بالضَّرُورَة.

فَإنْ قيل: لزمَ منْ هَذه المعَارف أنَّ العَارفَ يَضَعُ قَدَمَهُ في بَعْض المرَاتب خَارجَ الشَّريعَة ويَعْرُجُ إلى مَا ورَاءَ الشَّريعَة:

أُجيب: إنَّ الشَّريعَةَ أعْمَال الظَّاهر، وهَذه المُعَامَلة مُتَعلقَة في هَذه المنْشَأَة بالبَاطن، والظَّاهر مُكلفٌ بالشَّريعَة دَائمًا، والبَاطنُ مَشْغُوف بتلكَ المُعَامَلة، وحَيْثُ إنَّ هَذه النَّشْأَةَ دَارُ عَمَل فَللبَاطنِ منْ أعْمَال الظَّاهر مَدَدٌ عَظيمٌ، وتَرْقيَاتُ البَاطن مَرْبُوطَةٌ بإتْيَان أحْكَام الشَّريعَة التي مُتَعلقَة بالظَّاهر، فَلابُد للظَّاهر والبَاطنِ في هَذه النَّشْأَة منَ الشَّريعَة في جَميع الأوْقَات فَشُغْل الظَّاهر العَمَل بمُوجب الشَّريعَة، ونَصيب البَاطنِ نَتَائج ذَلكَ العَمَل وثَمرَاته، فَالشَّريعَة أمُّ كُل الكَمَالات وأصْل جَميع المقَامَات، ونَتَائج الشَّريعَة وثَمرَاتُهَا ليْسَتْ مَقْصُورَةً عَلى النَّشْأَة الدُّنْيويَّة؛ فَإنَّ الكَمَالات الأُخْرَويَّةَ والتَّنَعُّمَات السَّرْمَديَّة أيْضًا منْ ثَمرَات الشَّريعَة ونَتَائجهَا، فَكَانَت الشَّريعَة شَجَرَةً طَيِّبَةً يَنْتَفعُ العَالم منْ ثَمرَاتهَا وفَوَاكههَا في هَذه النَّشْأَة وفي تلكَ النَّشْأَة ومنْهَا تُؤخَذ فَوَائدُ الدَّارَيْن.

---

(١) ــ الشورى: ١٣

فَإِنْ قِيلَ: يَلزَمُ مِنْ هَذَا البَيَان كَوْم البَاطن مُتَوَجِّهًا إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَالظَّاهر إلى الخلق في كَمالات النُّبُوَّة أَيْضًا، وَقَدْ كَتَبْتَ في مَكْتُوبَاتكَ وَرَسَائلكَ وَمَرَّ فِي هَذَا المكْتُوب أَيْضًا أَنَّ التَّوَجُّهَ فِي مَقَام النُّبُوَّة الذي هُوَ مَحَل الدَّعْوَة إلى الخَلق بالتَّمَام فَمَا وَجْهُ التَّوْفيق:

أُجِيبَ: أَنَّ تلكَ المُعَامَلة المَذْكُورَةَ تَتَعَلَقُ بالعُرُوج، وَمُقَامُ الدَّعْوَى مَرْبُوط بالهُبُوط، فَفي وَقْتَ العوَجِ يَكُونُ البَاطن مَعَ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَالظَّاهر مَعَ الخَلق حَتَّى تَتَأَتَّى تَأْديَة حُقُوقهمْ عَلى وَفْق الشَّريعَة الغَرَّاء، وَفي وَقْتَ الهُبُوط يَكُونُ مُتَوَجِّهًا إلى الخَلق بالتَّمام وَيَدُلهُمْ عَلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ بكُليَّته فَلا مُنَافَاة.

وَتَحْقيقُ هَذَا المَقام هُوَ أَنَّ التَّوَجُّهَ إلى الخَلق عَيْنُ التَّوَجُّهُ إلى الحَقِّ سُبْحَانَهُ {فَأَيْنَمَا تُوَلوا فَثَمَّ وَجْهُ الله}⁽¹⁾ لاَ بمَعْنَى أَنَّ المُمْكن عَيْنُ الوَاجب أَوْ مرْآة الوَاجب سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَمَا مقْدَار المُمْكن الحَقير حَتَّى يَكُونَ عَيْنَ الوَاجب تَعَالى أَوْ يَكُونُ قَابلا لمرْآتيَّته سُبْحَانَهُ؟!

بَل يُمْكنُ أَنْ يُقَال: إنَّ الوَاجبَ تَعَالى مرْآةُ المُمْكن وَيُتَوَهَّمُ الأَشْيَاءُ في مرْآة الوَاجب تَعَالى كَصُوَر الأَشْيَاء في مرْآة الصُّورَة، فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لتلكَ الصُّوَر حُلول وَسَرَيَانٌ في مرْآة الصُّورَة كَذَلكَ لاَ حَوْل وَلا سَرَيَانَ للأَشْيَاء في مرْآة الوَاجب تَعَالى.

وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ الحُلول؛ فَإنَّهُ لاَ وُجُودَ للصُّوَر في مَرْتَبَة المرْآة، وَوُجُود الصُّوَر إنَّمَا هُوَ في مَرْتَبَة التَّوَهُّم وَالتَّخَيُّل فَقَطْ؛ فَالمَحَل الذي فيه المرْآة لَيْسَ فيه الصُّورَة، وَالمَحَل الذي فيه الصُّوَر عَلى المرْآة منْهُ أَلفُ عَار؛ فَإنَّهُ لاَ ثُبُوتَ للصُّوَر غَيْرُ الإرَاءَة الخَياليَّة، وَلا وُجُودَ لَهَا غَيْر التَّحَقُّق الوَهمى فَإنْ كَانَ لَهَا مَحَل فَهُوَ في مَرْتَبَة التَّوَهُّم وَإنْ كَانَ لَهَا زَمَان فَهُوَ في مَرْتَبَة التَّخَيُّل وَلكنْ حَيْثُ كَانَتْ تلكَ الإرَاءَة الخيلالية للأَشْيَاء بصُنْع الحَقّ جَل سُلطَانُهُ فهيَ مَصُونَة منَ الخَلل وَمَحْفُوظَة منْ سُرْعَة الزَّوَال وَالمُعَامَلَة الأَبَديَّة مَرْبُوطَة بهَا وَالعَذَاب وَالمَثوبَات السَّرْمَديَّة مَنوطَة بهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الملحُوظَ أَوَّلا في مرْآة الصُّورَة هُوَ الصُّوَرُ وَالالتفَات الثَّاني إنَّمَا هُوَ لشُهُود المرْآة وَالمَلحُوظ أَوَّلا في مرْآة الوَاجب هُوَ المرْآة نَفْسهَا وَالالتفَات الثَّاني إنَّمَا هُوَ لشُهُود الأَشْيَاء وَأَيْضًا في مرْآة الصُّورَة الصُّوَر أَيْضًا مَرَايَا أَحْكَام المرْآة وَآثَارهَا فَإنْ كَانَت المرْآة طولانية تُظْهرُ الصُّوَر أَيْضًا طولانية فَتَصيرُ الأَشْيَاء مَرَايَا

---

(١) البقرة: ١١٥.

لِطُول المِرْآة وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَت المِرْآةُ صَغِيرَةً يَظْهَرُ صِغَرُهَا فِي مَرَايَا الصُّوَر بِخِلافِ مِرْآة ذَات الوَاجِب تَعَالَى فَإِنَّ الأَشْيَاءَ لاَ تَكُونُ مَرَايَا لأَحْكَامِهَا وَآثَارِهَا فَإِنَّهُ لاَ حُكْمَ عَلَى تِلْكَ المَرْتَبَة العَلْيَا وَلا أَثَرَ بَل جَمِيع النِّسَب مَسْلُوب عَنْهَا فِيهَا فَإِنْ كَانَت الأَشْيَاء مَرَايَا مَاذَا يَظْهَرُ فِيهَا نَعَم يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الأَشْيَاء مَرَايَا الصُّوَر أَحْكَام الوَاجِب فِي مَرَاتِب التَّنَزُّل الذي مَوْطِن الأَسْمَاء وَالصِّفَات فَإِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَر وَالعلم وَالقُدْرَة مَثَلا التي هِيَ ظَاهِرَة فِي مَرَايَا الأَشْيَاء صُوَر السَّمْع وَالبَصَر وَالعلم وَالقُدْرَة الثَّابِتَة فِي مَرْتَبَة الوُجُوب التي هِيَ مِرْآة تِلْكَ الأَشْيَاء الظَّاهِرَة وَمَا قُلت أَنَّ المَلحُوظَ أَوَّلا فِي مِرْآة الوَاجِب تَعَالَى هُوَ نَفْس المِرْآة وَالالتِفَات الثَّانِي إِنَّمَا هُوَ لِشُهُود الأَشْيَاء التي هِيَ كَالصُّوَر فِي تِلْكَ المِرْآة فَهُوَ حَال ابْتِدَاء الرُّجُوع الذي تَظْهَرُ الصُّوَرُ فِيه لِلنَّظَر بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُرْتَفِعَة مُخْتَفِيَةً عَن النَّظَر بِالتَّمَام فَإِذَا انْتَهَتْ مُعَامَلَة الرُّجُوع أَيّ آخِرهَا وَوَقَعَ السَّيْر فِي الأَشْيَاء طُولهَا وَعَرْضهَا وَتُيَسِّرُ الاسْتِقْرَار فِي مَرْكَز دَائِرَة الإِمْكَان يَتَبَدَّل الشُّهُودُ ح بِالغَيْب بِالضَّرُورَة وَيَصِيرُ الإِيمَانُ الشُّهُودِيُّ إِيمَانًا غَيْبِيًّا وَإِذَا تَمَّتْ مُعَامَلَة الدَّعْوَة وَقَرَعَتْ مَقْرَعَة الرَّحِيل فَفِي ذَلِكَ الوَقْت لاَ يَبْقَى الغَيْبُ وَلا يَكُونُ فِيه غَيْرَ الشُّهُود وَلَكِنَّ هَذَا الشُّهُود يَكُونُ أَتَمّ وَأَكْمَل مِنْ ذَاكَ الشُّهُود الذي كَانَ حَاصِلا قُبَيْل الرُّجُوع فَإِنَّ الشُّهُودَ الذي يَتَعَلَّقُ بِالأُخرَة أَكْمَل مِنَ الشُّهُود الذي يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا

هَنِيئًا لأَرْبَاب النَّعِيم نَعِيمهَا   وَلِلعَاشِق المِسْكِين مَا يَتَجَرَّعُ

يَنْبَغِي: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ لاحَ مِنَ التَّحْقِيق السَّابِق أَنَّ صُورَة الشَّيْء التي تَظْهَرُ فِي المِرْآة لاَ ثُبُوتَ لَهَا فِي غَيْرِ التَّخَيُّل وَالمِرْآة عَلَى صَرَافَة تَجَرُّدهَا مِنْ حُصُول تِلْكَ الصُّورَة فِيهَا وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَال لِتِلْكَ الصُّورَة أَنَّ المِرْآةَ قَرِيبَةٌ مِنْهَا وَأَيْضًا يُمْكِنُ أَنْ يُقَال: إِنَّ المِرْآةَ مُحِيطَة بِهَا وَأَنَّهَا مَعَهَا وَهَذَا القُرْب وَالأحَاطَة وَالمَعِيَّة لَيْسَتْ مِنْ قَبِيل قُرْب الجِسْم وَالجَوْهَر وَإِحَاطَتهمَا بِالعَرْض بَل هُنَاكَ قُرْبَ وَإِحَاطَة العَقْل عَاجِز عَنْ تَصَوُّرهِمَا وَقَاصِر عَنْ إِدْرَاك كَيْفِيَّتهمَا فَفِي هَذه الصُّورَة ثَبَتَت الإِحَاطَةُ وَالقُرْبُ وَالمَعِيَّة وَلَمْ تَعْلَمْ كَيْفِيَّتهَا أَصْلا وَلله المَثَل الأَعْلَى وَهَكَذَا القُرْبُ الذي لِلحَقِّ مَعَ العَالَم وَكَذَلِكَ إِحَاطَته وَمَعِيَّته تَعَالَى مَعْلُومَة الإِنِّيَّة(١) مَجْهُولة الكَيْفِيَّة نُؤْمِنُ أَنَّهُ تَعَالَى قَرِيبٌ

---

(١) **الأنية:** هي تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية. انظر: الكاشاني: **معجم اصطلاحات الصوفية**: ٥٨.

مِنَ العَالَمِ وَمُحِيطٌ بِهِ وَمَعَهُ وَلكِنْ لاَ نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ قُرْبِهِ وَإِحَاطَتِهِ وَمَعِيَّتِهِ تَعَالَى إِنَّهَا مَا هِيَ فَإِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مُغَايِرَةٌ لِصِفَاتِ الأَشْيَاءِ وَمُبَرَّأَةٌ عَنْ سِيَّمَا الإِمْكَانِ وَالحُدُوثِ وَإِنْ أَوْرَدَ تَنْظِيرَهَا وَتَشْبِيهَهَا فِي عَالَمِ المَجَازِ الَّذِي هُوَ قَنْطَرَةُ الحَقِيقَةِ وأومئ إِلَيْهَا بِالمِرْآةِ وَالصُّورَةِ لِيَجْتَهِد حديدوا البَصَرِ فِي الخُرُوجِ مِنَ المَجَازِ إِلَى الحَقِيقَةِ وَلِيَمِيلوا مِنَ الصُّورَةِ إِلَى المَعْنَى {والسلام على من اتبع الهدى}⁽¹⁾

---

(١) طـه: ٤٧

اَلمكْتُوبُ السِّتُّونَ بَعْدَ الثّلاَثمائَة
إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد قَاسم البَدَخْشيّ
في النَّصيحَة وَالتَّنْبيه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلاة وَتَبْليغ الدَّعوَات:

أُنْهِيَ أَنَّهُ يَفْهَمُ منْ كَلمَة ذَاكَ الأَخ وَكَلامه حَرَارَة الطَّلب وَتَفوحُ رَائحَة الجَمْعيَّة لله سُبْحَانَهُ الحَمْد وَالمنَّة عَلى ذَلكَ وَيُشْبهُ أَنَّ تَكُونَ هَذه الدَّوْلة أَثَر قُرْبَ الصُّحْبَة وَلَمْ تَتْرُكْكُمُ التَعَلقَات التي لاَ طَائل فيهَا أَنْ تَكُونُوا في الصُّحْبَة جُمْعَة وَاحدَة وَلا أَدْري أَنَّهُ هَل بَلغَ مَجْمُوع أَيَّام صُحْبَتكُمْ عَشْرَة أَوَّلا يَنْبَغي أَنْ يُسْتَحى منَ الله تَعَالى حَيْثُ لاَ يَنْتَخبُ لهُ تَعَالى يَوْمًا واحَدًا منْ الف أَيَّام وَلا يَجْمَعُ نَفْسه منْ تَعَلقَات شَتَّى وَقَدْ تَمَّتْ عَليْكُمُ الحُجَّةُ وَوَجَدَتْ بوَجْد أَنَّك إنْ سَاعَة وَاحدَة منْ هَذه الصُّحْبَة أَفْضَل منْ أربعينات المجَاهدَة وَمَعَ ذَلكَ تَفرُّونَ منْ هَذه الصُّحْبَة وَتَرْمُونَ أَنْفسكُمْ بَعيدًا عَنْهَا بالحَبْل جَوْهَر اسْتعْدَادكُمْ نَفيس وَلكنْ مَا الفَائدَةُ لأَنَّهُ لَمْ يَخرُجْ منَ القُوَّة إلى الفعْل اسْتعْدَادكُمْ عَال وَلكنَّ همَّتَكُمْ وَضيعَة حَيْثُ قَنعَتْ عَنِ الجَوْهَرِ النَّفيسِ بقُطَعَات حزف خَسيس مثْل الأَطْفَال

وَحين الصُّبْح يَعْلمُ كَالنَّهَار   حَقيقَة مَنْ هَويته في الظَّلام

وَمَا فَاتَت الفُرْصَةُ الآنَ يَنْبَغي الفكْر في الأَصْل وَعُمْدَة هَذَا الأَمْر صُحْبَة أَرْبَاب الجَمْعيَّة فَإنْ لَمْ تَتَيَسَّرْ هذه الدَّوْلة يَنْبَغي صَرْف الأَوْقَات في الاشْتغَال بالذِّكْر الإلهيَ جَل شَأْنُهُ المأْخُوذُ مَنْ صَاحب دَوْلة وَالاجْتنَاب مَنْ كَل شَيْء يُنَافى الذِّكْر وَيَنْبَغي حَسَن الاحْتيَاط في الحَل وَالحُرْمَة الشَّرْعيَّين منْ غَيْر مُسَاهلة وَعَليْكُمْ بالتزَام الجَمَاعَة في الصَّلوَاتُ الخَمْس وَرعَايَة السَّعْي البَليغ في تَعْديل الأَرْكَان وَالمُحَافظَة عَلى دَاء الصَّلوَاتُ في أَوْقَاهَا المسْتَحبَّة {رَبَّنا أَتْمِمْ لنَا نُورَنَا وَاغفرْ لنَا إنَّك عَلى كُل شَيْء قَدير}(١).

---

(١) التحريم: ٨

اَلمكْتُوبُ الحَادي وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثمائة

إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد طَالب البَدَخْشيّ

في التَّرْغيب في مَقَام الرِّضَا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

ليَكُنْ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد طَالَب دَائمًا طَالب مَطْلوب قَدْ كَتَبتْ خبَر فَوَّتَ قُرَّة العَيْن مُحَمَّد صدِّيق أَنَا لله وَإنَّا إليْه رَاجعُونَ.

أَيُّهَا الأَخُ الأَعزّ: إنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أَعزُّ عنْدَ المؤْمنينَ منْ كل شَيْء وَأَحَبَّ سَوَاء كَانَ أَمْوَالا أَوْ أَنْفُسًا وَالأحْيَاء وَالأَمَاتَة فعْله تَعَالى لاَ مَدْخَل فيهمَا لغَيْرِه فَيَكُونُ فعْله تَعَالى أَيْضًا أَحَبّ وَأَعزّ بالضَّرُورَة يَحَقُّ للمُحبِّينَ أَنْ يلتذوا منْ فعْل المحْبُوب وَأَنْ يفْرَحُوا وكَيْفَ أَدُل عَلى الصَّبْرِ فَإنَّ فيه إيمَاءً إلى الكَرَاهَة وَمَقَام الرِّضَاء وَإنْ كَانَ يُخْبرُ عَنِ الرَّغْبَة وَالسُّرُورِ وَلكنْ مَرْتَبَة الالتذَاذ أَمْر آخَر

مَا العشْقُ إلا شُعْلة قَدْ أَحْـرَقَتْ كُل الوَرَى غيْرِ الحَبيب الباقى
قَدْ سَل في قَتْل السِّوَى صَمْصَام لاَ فَانْظُرْ إلى مَا بَعْدٌ لاَ مَا الباقي
بشرَاك يَا عشْق قَدْ احْترَقَ الوَرَى لَمْ يَبْقَ غَيْر إلهنَا الخَلاق

{وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبعَ الهُدَى}(١).

---

(١) طــه: ٤٧

المكْتُوبُ الثَّاني وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
إلى الخَوَاجَهْ كدا
فى بَيَان أَنَّ نسْيَان السِّوَى قَدَّمَ أَوَّل في هَذه الطَّرِيقَة فيَنْبَغي السَّعْي حَتَّى لاَ يَقَعَ القُصُورُ في ذَلكَ

نَحْمَدُهُ وَنُصَلي عَلى نَبيِّه وَنُسَلمُ عَلَيْه وَعَلى آله الكرَام وَالنَّصيحَة للأَخِ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد كَدًّا بَعْدَ تَصْحيح العَقَائد الكَلاَميَّة وَبَعْدَ إتْيَان الأَحْكَام الفقْهيَّة هيَ المدَاوَمَة عَلى الذِّكْر الإلهيَ جَل سُلطَانُهُ عَلى نَهْج حفْظه ويَنْبَغي أَنْ يُسْتَوْلى الذِّكْر عَلى حَدٌّ لاَ يَتْرُكُ في البَاطن غَيْر المذْكُور وَيُزيل التَّعَلقَ العلميّ وَالحُبّى بمَا سوَى المذْكُور فَحينئذ يَحْصُل للقَلب نسْيَان السِّوَى وَيَكُونُ السَّالك فَارغًا عَنْ رُؤْيَة الغَيْر وَإدْرَاكه بحَيْثُ لوْ ذَكَّرَ بالأشْيَاء بالتَّكَلف وَالتَّعَمُّل لاَ يَتذَكَّرُ وَلا يُعرِّفُ بَل يَكُونُ مُسْتَهْلكًا ومُسْتَغْرَقًا في المَطْلوب دَائمًا فَإذَا انْتَهَت المُعَامَلة إلى هُنَا يَكُونُ قَدْ خُطَى خُطْوَة في هَذَا الطَّريق يَنْبَغي السَّعْي في أَنْ لاَ يُقَصِّرُ في الخُطْوَة الوَاحدَة وَأَنْ لاَ يَبْقَى في أَسْر رُؤْيَة الغَيْر وَعلمه

هَلمُو أَيُّهَا الأَبْطَال نَحْوَ السَّعَادَة   إذْ خَلتْ عَنْ كُل مَانع

وتعلقاتكم تَرَى في الظَّاهر قَليلة وَلكنَّكُمْ تَجْعَلونَ أَنْفُسَكُمْ منْ جُمْلة أَرْبَاب التَّعَلق بشَوْق التَّعَلق الراضى بالضَّرَر لاَ يَسْتَحقُّ النَّظَرَ مُسْئلة مُقَرَّرَة وَالسَّلامَ.

اَلمكْتُوبُ الثَّالثُ وَالستُّونَ بَعْدَ الثّلاثمائة

إلى المرْزَا شَمْس الدِّين

في بَيَان أَنَّ للشَّريعَة صُورَةً وَحقيقَةً وَأَنَّهُ لاَ بُدَّ منَ الشَّريعَة في الابْتدَاء وَالانْتهَاء وَبَيَان تَمْكين القَلب وَاطْمئنَان النَّفْس وَاعْتدَال القَالب التي في مَرْتَبَة النُّبُوَّة وَمَا يُنَاسبُ ذَلك

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ: أَنَّ للشَّريعَة صُورَةً وَحَقيقَةً، فَصُورَةَ الشَّريعَة عبَارَة عَنْ إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة بَعْدَ الإيمَان بالله وَرَسُوله وَبمَا جَاءَ منْ عنْد الله سُبْحَانَهُ، وَالإيمَان مَعَ وُجُود مُنَازَعَة النَّفْس الأَمَّارَة وَإبَائهَا وَطُغْيَانهَا وَإنْكَارهَا المودَعَة في جَنَبَاتهَا ـــ: هُوَ وَصُرَّةَ الإيمَان وَكَذلكَ الصَّلاة وَالصَّوْم مَعَ وُجُود صفَاتهَا هَذه الصُّورَة الصَّلاة وَالصَّوْم وَعَلى هَذَا القيَاس سَائر الأَحْكَام الشَّرْعيَّة فَإنَّ النَّفْسَ التي هيَ عُمْدَة الإنْسَان وَهيَ المشَار إلَيْهَا لكُل فَرْد بقَوْله إنَّا عَلى كُفْرهَا وَإنْكَارهَا فَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ منْهَا حَقيقَةَ الإيمَان وَحَقّيَّة الأَعْمَال الصَّالحَة وَمنْ رَحْمَته سُبْحَانَهُ وَتَعَالى قَبُوله جل شَأْنُهُ مُجَرَّد الصُّورَة وَبشَارَته بدُخُول الجَنَّة التي هيَ مَحَل رضَائه وَرَحْمَته وَمنْ إحْسَانه تَعَالى وَتَقَدَّسَ اكْتفَاؤُهُ في نَفْس الإيمَان بتَصْديق القَلب وَلَمْ يُكَلفْ بإذْعَان النَّفْس نَعَمْ للجَنَّة أَيْضًا صُورَة وَحَقيقَة يَحْتَظ أَصْحَاب الصُّورَة بصُورَة الجَنَّة وَأَرْبَاب الحَقيقَة بحَقيقَة الجَنَّة وَكُل منْ أَصْحَاب الصُّورَة وَأَرْبَاب الحَقيقَة يَتَنَاوَل منْ فَاكهَة وَاحدَة منْ فَوَاكه الجَنَّة فَيَجدُ صَاحبُ الصُّورَة منْهَا لذَّة وَصَاحبُ الحَقيقَة لذَّةَ أُخْرَى وَتَكُونُ الأَزْوَاج المُطَهَّرَات أُمَّهَات المؤْمنينَ مَعَ النَّبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في جَنَّة وَاحدَة وَيَأْكُلونَ مَعَهُ منْ فَاكهَة وَاحدَة وَلكنَّ التذَاذَ كُل وَاحد وَتَنَعُّمَهُ عَلى حدَة وَأَلا يُلزمَ فَضْل أُمَّهَاتَ المؤْمنينَ عَلى جَميع بَنَى آدَم بَعْدَ نَبيّنَا عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَيَلزَمُ أَيْضًا أَنَّ كُل مَنْ يَكُونُ أَفْضَل مَنْ شَخَّصَ تَكُونُ زَوْجَته أَيْضًا أَفْضَل منْهُ فَإنَّ الزَّوْجَةَ مُمْتَزجَةٌ وَمُخْتَلطَة بالزَّوْج وَصُورَة الشَّريعَة بشَرْط الاسْتقَامَة مُوجبَة للفَلاح وَمُسْتَلزمَة للنَّجَاة الأخرويين وَمُصَحّحَة لدُخُول الجَنَّة كَمَا مَرَّ فَإذَا صَحَّتْ صُورَةُ الشَّريعَة فَقَدْ حَصَلَت الولايَةُ العَامَّةُ وَالله وَلى الذينَ آمَنُوا وَفي هَذَا الوَقْت صَارَ السَّالك مُسْتَعدًّا لأَنَّ يَضعُ قَدَمَهُ في الطَّريقَة وَأَنْ يخْطَى

إلى الوِلايَة الخَاصَّة وَأَنْ يجُرَّ نَفْسه بالتَّدْرِيج مِنْ وَصْف الأمارية إلى صفَة الاطْمِئْنَان وَلكنَّ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَنَازِل الوُصُول إلى تلكَ الوِلايَة أَيْضًا مَرْبُوط بأَعْمَال الشَّرِيعَة وَالذِّكْرِ الآلهِيَ جَل شَأْنُهُ الذي هُوَ العُمْدَةُ في هَذَا الطَّرِيق مِنَ المَأْمُورِيَّات الشَّرْعِيَّة وَالاجْتِنَاب عَنِ المَنَاهِي الشَّرْعِيَّة أَيْضًا مِنْ ضَرُورِيَّات هَذَا الطَّرِيق وَأَدَاء الفَرَائِض مِنَ القُرُبَات وَطَلب شَيْخ عَارِف بالطَّرِيق وَهَاد إلَيْه الذي يَسْتَحقُّ أَنْ يَكُونَ وَسِيلَةً أَيْضًا مِنَ المَأْمُورَاتِ الشَّرْعِيَّة قَال اللهُ تَعَالى: {وَابْتَغُوْا إلَيْه الوَسِيلَةَ}(١).

وَبالجُمْلَة لاَ بُدَّ مِنَ الشَّرِيعَة صُورَة وَحَقِيقَة فَإنَّ أُمَّهَات جَمِيع كَمَالات النُّبوَّة ثَمرَات حَقِيقَة الشَّرِيعَة كَمَا سَيَجِيءُ إنْشَاء اللهُ تَعَالى.

وَمُقْدمَة الوِلايَة: هِيَ الطَّرِيقَةُ التي نَفْي مَا سِوَاهُ تَعَالى مَطْلُوب فِيهَا وَرَفْعَ الغَيْر وَالغَيْرِيَّة مَقْصُود مِنْهَا فَإذَا صَارَ مَا سِوَاهُ تَعَالى بفَضْله جَل شَأْنُهُ مُرْتَفعًا عَنِ النَّظَر بالكُلِّيَّة وَلَمْ يَبْقَ اسْمَ وَلا رَسْمَ مِنْ رُؤْيَة الأَغْيَار فَقَدْ حَصَل الفَنَاء وَبَلغَ مَقَام الطَّرِيقَة نهَايَته وَتَمَّ السَّيْرُ إلى الله وَالمَشْرُوع بَعْدَ ذَلكَ مَقَام الإثْبَات المعبِّر عَنْهُ بالسَّيْر في الله وَهَذَا هُوَ مَقَام البَقَاء الذي هُوَ مَوْطن الحَقِيقَة التي هِيَ المَقْصد الأَقْصَى مِنَ الوِلايَة وَبتلكَ الطَّرِيقَة وَالحَقِيقَة اللتَيْن هُمَّا الفَنَاء وَالبَقَاء يَصْدُقُ اسْمُ الوِلايَة وَتَصيرُ الأَمَارَة مُطْمَئنَة وَتَرْجعُ عَنْ كُفْرهَا وَإنْكَارهَا وَتَصيرُ رَاضيَة عَنْ مَوْلاهَا وَيَكُونَ المَوْلى جَل سُلْطَانُهُ أَيْضًا رَاضيًا عَنْهَا وَتَزُول الكَرَاهَةُ التي كَانَتْ في جبلتهَا قَالوا إنَّ النَّفْسَ وَإنْ وَصَلت الى مَقَام الاطْمئْنَان(٢) لاَ تَرْجعُ عَنْ بَغْيهَا وَطُغْيَانهَا

وَإنْ انْتَهتْ نَفْس إلى اطْمَئْنَانهَا لكنَّهَا لاَ تَنْتَهي عَنْ غَيِّهَا

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) **الطمأنينة:** لغة: مرادف السكينة. انظر: الفيروزابادي: القاموس: الطمن.

أما عند الصوفية: فالمراد بها سكينة تستقربقوة اليقين المفيد للأمن ودوام الأنس بالحق.

وصورتها في **البدايات:** إطمئنان النفس بذكر الحق إلى الإنقياد بحكم الشرع والإستسلام للطاعة.

وفي **الأبواب:** طمأنينة الخائف إلى الرجاء. وفي **المعاملات:** طمأنينة القلب بالحضور والمراقبة، والثقة بالله في التوكل والتسليم. وفي **الأخلاق:** طمأنينة القلب إلى التخلق بأخلاق الحق. وفي **الأصول:** طمأنينة القلب في القصد إلى الكشف، وفي الفقر إلى الغنى بالله. وفي **الأحوال:** طمأنينة السر في الشوق إلى عدة اللقاء، وفي الرق إلى الذوق. وفي **الولايات:** طمأنينة الروح إلى التمكين في الإتصاف بالصفات الإلهية. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٠٢.

وَجَعَلوا المرَاد مِنَ الجهَاد الأَكْبَر الوَاقِع فِي قَوْله عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ " رَجَعْنَا مِنَ الجهَاد الأَصْغَر إلى الجهَاد الأَكْبَر الجهَاد مَعَ النَّفْس "(١).

وَمَا ظَهَرَ فِي كَشْف الفَقير وَوَجَدَهُ بوجْدَانه خلافَ هَذَا الحُكْم المتَعَارَف فَإنِّي لاَ أَجدُ فِي النَّفْس بَعْدَ حُصُولَ الاطْمئْنَان عنادًا وَطُغْيَانًا أَصْلا بَل أَرَاهَا مُتَمَكِّنَة فِي مَقَام الانْقيَاد بَل أَجدُهَا كَالقلب المتَمَكِّنَ الَذي نَسَّى السِّوَى فَارِغَة عَنْ رُؤْيَة الغَيْر وَالغَيْريَّة وَعلمهمَا وَمُتَخلصَة عَنْ حُبِّ الجَاه وَالرِّيَاسَة وَاللذَّة وَالأَلم فَأَيْنَ المخَالفَةُ وَبمَنِ العنَاد فَإنْ أَثْبَتُوا لهَا قَبْل حُصُول الاطْمئْنَان كُل شَيْء منَ المُعَانَدَة وَالطُّغْيَان وَإنْ كَانَ تَفَاوُت أَحْوَالهَا وَتَلوُّنهَا مقْدَار شعْرَة فَلَهُ المسَاغُ وَلَيْسَ لنَا فيه نزَاع وَلكنَّ بَعْدَ حُصُول الاطْمئْنَان لاَ مَجَال للمُخَالفَة وَالطُّغْيَان وَلقَدْ طَالعَ الفَقير فِي هَذَا البَاب بإمْعَان النَّظر وَتَأَمُّل فِي حَل هَذَا المعَمَّى لكَوْنه مُخَالفًا لمَا تَقَرَّرَ عنْدَ القَوْمِ وَتَعَمَّقَ فِي الفكْر وَلكنْ بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَجدْ فِي النَّفْس المطْمَئنَّة مقْدَار شَعْرَة منَ المُخَالفَة وَالمُعَانَدَة وَلَمْ يُر فيهَا شَيْئًا غَيْر الاسْتهْلاك وَالاضْمحْلال فَإذَا جَعَلت النَّفْس نَفْسهَا فدَاء لمَوْلاهَا كَيْفَ يَكُونُ فيهَا مَجَال المخَالفَة وَحَيْثُ كَانَت النَّفْس رَاضيَة عَنْ حَضْرَة الحَقّ تَعالى وَكَانَ الحَقّ تَعَالى رَاضيًا عَنْهَا كَيْفَ يَتَصَوَّرُ عَنْهَا الطُّغْيَانَ الذي هُوَ مُنَاف للرِّضَى وَمَرْضَى الحَقّ جَل سُلطَانُهُ لاَ يَصيرُ غَيْرَ مَرْضَى أَصْلا وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ المرَاد منَ الجهَاد الأَكْبَر وَالله سُبْحَانَهُ أَعْلم بحَقيقَة الحَال الجهَاد مَعَ القَالب الذي هُوَ مُرَكَّبٌ منَ الطَّبَائعِ المخْتَلفَة التي كُل طَبيعَة منْهَا مُقْتَضيَة لأَمْر ومتنفرة عَنْ أَمْر فَإنَّ كُلا منَ القُوَّة الشهوية وَالغَضَبيَّة نَاشئَةً عَن القَالب أَلا تَرَى أَنَّ سَائرَ الحَيَوَانَات التي لَيْسَتْ لهَا النَّفْس النَّاطقَة هَذه الصِّفَات الرَّذيلة كَائنَة فيهَا وَكُلهَا مُتَّصفَةٌ بالشَّهْوَة وَالغضَب وَالشَّرَه وَالحرْص وَهَذَا الجهَاد كَائن دَائمًا لاَ يَسْكُنُهُ اطْمئْنَان النَّفْس وَلا يَرْفَعُهُ تَمْكين القَلب وَفي بَقَاء هَذَا الجهَاد فَوَائد كَثيرَة مُتَضَمِّنَة لتَنْقيَة القَالب وَتَطْهيره حَتَّى تَكُونَ كَمَالات هَذه النَّشْأَة وَمُعَامَلة الآخرَة مَرْبُوطَة بهَا بالأصَالة فَإنَّ فِي كَمَالات هَذه النَّشْأَة القَالب تَابع وَالقَلب مَتْبُوع وَفي كَمَالات تلكَ النَّشْأَة الأَمْر بالعَكْس القَلبَ تَابع وَالقَالب مَتْبُوع فَإذَا وَقَعَ الخَلل فِي هَذه النَّشْأَة وَظَهَرَتْ مُقَدِّمَةٌ تلكَ النَّشْأَة ينقضى هَذَا الجهَاد

---

(١) **ضعيف:** ضعفه السيوطي في الجامع الصغير ٦٠١٧.،وقال الحافظ العراقي: أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف.، واورده الفتني في تذكرة الموضوعات: كتاب: العلم: باب: خرقة الصوفية، وقال: ضعيف.

وَيَرْتَفِعُ هَذَا القِتَال فَإِذَا بَلَغَت النَّفْسُ بِفَضْل الله سُبْحَانَهُ مَقَام الاطْمِئْنَان وَصَارَتْ مُنْقَادَة لِلحُكْمِ الإلهِيَ جَل شَأْنُهُ فَقَدْ تَيَسَّرَ الإسْلام الحَقِيقِيّ وَحَصَلَتْ حَقِيقَةُ الإيمَان وَكُل مَا يَعْمَل بَعْدَ ذَلكَ يَكُونُ حَقِيقَةً فَإذَا أَدَّيْتَ الصَّلاةَ تَكُونُ حَقِيقَةً وَإِنْ كَانَ صَوْمًا فَحَقِيقَة الصَّوْم وَإِنْ حَجًّا فَحَقِيقَة الحَجِّ عَلى هَذَا القِيَاسِ إِتْيَان سَائِر الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة فَصَارَ كُل مِنَ الطَّرِيقَة وَالحَقِيقَة مُتَوَسِّطَة بَيْنَ صُورَةِ الشَّرِيعَة وَحَقِيقَتهَا فَمَنْ لَمْ يُشْرَفْ بالولايَة الخَاصَّة لاَ يَصِل مِنَ الإسْلامِ المجازى إلى الإسْلامِ الحَقِيقِيّ فَإِذَا كَانَ بِفَضْل الله سُبْحَانَهُ مُحَلى بِحَقِيقَة الشَّرِيعَة وَتُيَسِّرُ الإسْلام الحَقِيقِيّ صَارَ مُسْتَعِدًّا لأَنَّ يَنَال حَظًّا وَافِرًا وَنَصِيبًا تَامًّا مِنْ كَمَالات النُّبُوَّة بِتَبَعِيَّة الأَنْبِيَاء وَوراثتِهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَكَمَا أَنَّ صُورَةَ الشَّرِيعَة كَشَجَرَة طَيِّبَة لِكَمَالات الوِلايَة وَهِيَ كَثَمَرَاتهَا كَذَلكَ حَقِيقَة الشَّرِيعَة أَيْضًا كَشَجَرَة مُبَارَكَة لِكَمَالات النُّبُوَّة التي هِيَ كَثَمَرَاتهَا وَحَيْثُ كَانَتْ كَمَالات الوِلايَة ثَمَرَاتَ الصُّورَةِ وَكَمَالات النُّبُوَّة ثَمراة حَقِيقَة تِلكَ الصُّورَة تَكُونُ كَمَالات الوِلايَة بالضَّرُورَة صُوَرًا لِكَمَالات النُّبُوَّة التي هِيَ حَقَائق تِلكَ الصُّوَر.

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَم: أَنَّ الفَرْقَ بَيْنَ صُورَةِ الشَّرِيعَة وَحَقِيقَتهَا كَانَ نَاشِئًا مِنْ جِهَةِ النَّفْسِ حَيْثُ كَانَ لِلنَّفْسِ الأَمَّارَة طُغْيَان فِي الصُّورَة وَكَانَتْ عَلى إِنْكَارِهَا وَصَارَتْ مُطْمَئِنَة فِي الحَقِيقَة وَمُسْلِمَة وَكَذَلكَ الفَرْق بَيْنَ كَمَالات الوِلايَة التي هِيَ كَالصُّوَر وَبَيْنَ كَمَالات النُّبُوَّة التي كَالحَقَائق نَاشَ مِنْ جِهَة القَلب فَإِنَّ أَجْزَاء القَالب مَا كَانَتْ مُنْتَهِيَة وَرَاجِعَة عَنْ طُغْيَانهَا وَعِنَادهَا فِي مَقَام الوِلايَة مَثَلا لَمْ يَرْجِعْ جزءه النَّارِيّ مَعَ وُجُود اطْمِئْنَان النَّفْسِ عَنْ دَعْوَى الخَيْر وَتَكَبُّرِهَا وَكَذَلكَ لَمْ يَتَنَدَّمْ جُزْؤُهُ الأَرْضِيّ عَنِ الخِسَّة والدنائة وَعَلى هَذَا القِيَاسِ سَائِر الأَجْزَاء وَفِي مَقَام كَمَالات النُّبُوَّة جَاءَتْ أَجْزَاء القَالب أَيْضًا إلى حَدِّ الاعْتِدَال وَامْتَنَعَتْ عَنِ الإفْرَاط وَالتَّفْرِيط وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَهُنَا قَالَ النَّبِيّ ﷺ "أَسْلم شَيْطَاني"(١).

فَكَمَا أَنَّ فِي الآفَاق شَيْطَانًا فِي الأَنْفُسِ أَيْضًا شَيْطَان وَهُوَ الجُزْءُ النَّارِيّ الذِي هُوَ مُدَّعٍ لِخَيْرِيَّتِه وَمُقْتَضٍ لِتَكَبُّرِهُ وَتَرَفُّعِهُ وَكُل هَذِهِ أَرْدَأَ الصِّفَات الرَّذِيلة

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي بلفظ: " إلا أن الله أعانني عليه فأسلم " صحيح مسلم: ك: صفة القيامة والجنة والنار. ب: تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس. ح ٢٨١٤.

والترمذي: أبواب مختلفة في النكاح: ب: ١٧. ح١١٨٢.، سنن النسائي: ك: عشرة النساء. ب: الغيرة.

وإسلامه كنَايَة عَنْ زَوَال تِلكَ الصِّفَاتِ التِي هِيَ أَرْذَل الرَّذَائِل فَفِي كَمَالات النُّبُوَّة تَمْكِينُ القَلب وَاطْمِئْنَان النَّفْسِ وَاعْتِدَال أَجْزَاء القَالب وَفِي الوِلايَة تَمْكِين القَلب وَبَعْد اللتيا واللتي اطْمِئْنَانَ النَّفْسِ وَإِنَّما قُلنَا بَعْدَ اللتيا واللتِي فَإِنَّ اطمِئْنان النَّفْسِ عَلى وَجْهِ الكَمَال مِنْ غَيْرِ تَكَلُّف إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ اعْتِدَال أَجْزَاء القَالب وَلِهَذا جَوّز أَرْبَاب الولايَةِ رُجُوع المطْمَئِنَّةِ إِلى صِفَاتِ البَشَرِيَّةِ بِوَاسِطَة عَدَم اعْتِدَال أَجْزَاء القَالِب كَما مَرَّ فِي أَوَّل المَبْحث والاطْمِئْنَا الذِي يحصُل لِلنَّفْس بَعْدَ اعْتِدَال أَجْزاء القَالب فَهُوَ مَأْمُونٌ وَمُبَرَّأٌ مِنَ الرُّجُوع إِلى صِفَاتِ البَشَرِيَّةِ فَالاخْتِلاف فِي رُجُوعِ النَّفْسِ إِلى الرَّذَائِل وَعَدَم رُجُوعِها مَبْنِيٌّ عَلى اخْتِلافِ مَقَامَاتِ النَّفْسِ وَالأَنْظَارِ كُل شَخْصٍ أَخْبَرَ عَنْ مَقَامِهِ وَتَكَلمَ عَنْ وِجْدَانِهِ.

فَإِنْ قِيل: إِذَا جَاءَتْ أَجْزَاء القَالبِ إِلى حَدِّ الاعْتِدَال وَامْتَنَعَتْ عَنِ المُعَانَدَةِ وَالطُّغْيَان كَيْفَ يَتَصَوَّرُ الجِهَادَ مَعَهَا بَل يَرْتَفِعُ الجِهَاد عَنْهَا ح:

أُجِيبَ: فَرْقٌ بَيْنَ المُطْمَئِنَّةِ وَبَيْنَ هَذِه الأَجْزَاءِ؛ فَإِنَّ المُطْمَئِنَّةَ صَاحِبَة اسْتِهْلاكِ وَاضْمِحْلاَل وَمُلْحَقَة بِعَالم الأَمْر وَمُتَّصِفَة بِكَمَال الاسْتِهْلاكِ وَالسُّكْر وَهَذِهِ الأَجْزَاء لاَ مُنَاسَبَةَ لَهَا بِالسُّكْرِ وَالاسْتِهْلاكِ بِوَاسِطَةِ إِتْيَانِ الأَحْكَام الشَّرعِيَّةِ الذي مَبْنَاهُ عَلى الصَّحْوِ وَلاَ مَجَال في المسْتَهْلك للمُخَالَفَةِ وَمَا فِي صَحْو فَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهُ صُورَةُ المُخَالفَةِ فِي بَعض الأُمُورِ بِوَاسِطَةِ بَعْض مَنَافِعِهِ وَمَصَالِحِهِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ وَلكِنَّ المَرْجُوَّ أَنْ لاَ تَكُونَ تِلكَ المخَالفَة بِفَضْلِ اللَّهِ جَل سُلْطَانُهُ فَوْقَ تَرْكِ الاسْتِحْبَابِ وَأَنَّهُ لاَ تَزِيدُ عَلى ارْتِكَاب الكَرَاهَةِ التَّنْزِيهِيَّة فَيَكُونُ الجِهَاد فِي مَرْتَبَة القَالب مَعَ اعْتِدَالِ أَجْزَائِهِ مُتَصَوَّرًا وَفِي المطمَئِنة لاَ يَكُونُ الجِهادُ مُجَوَّزًا أَوْ تَحْقِيق هَذَا المَبْحث مُنْدَرِج فِي مَكْتُوب منَ الجلد الأَوَّل المحَرِّر فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ المحَرِّر بِاسم وَلَدِي الأَعْظَم المرْحُوم بِالتَّفْصِيل فَإِنْ بَقِيَ خَفَاء فيه فَلْيُرَاجعْ هُنَاكَ فَإِن انْتَهَتْ كَمَالات النُّبُوَّةِ التي هِيَ نَتَائِج حَقِيقَةِ الشَّرِيعَةِ وَثَمَرَاتها بِفَضْلِ اللَّهِ جَل سُلطَانُهُ إِلى آخِرِهَا يَعْنِي: حَصلتْ بِتَمَامِهَا لاَ تَكُونُ التَّرْقِيَات هُنَاكَ مَنُوطَة بِالأَعْمَال بَل المُعَامَلة فِي ذَلكَ الموْطِن مَرْبُوطَة بِمَحْض فَضْل اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ سُبْحَانَهُ لاَ أَثَرَ للاعْتِقَادِ هُنَاكَ وَلا حُكْمَ فِيهِ للعلم وَالعَمَلِ بَل فِيهِ فَضل فِي فَضْل وَكَرَم في كَرَم وَهَذَا المقَام بِالنِّسبَةِ إِلى المَقَامَاتِ السَّابِقَة عَال جدًّا وَلَهُ وَسِعَة تَامَّة وَنُورَانِيَّة لَمْ يَكُنْ أَثَر مِنْهَا فِي المَقَامَاتِ السَّابِقَةِ وَهَذَا المَقام مَخْصُوص بِالأَصَالَةِ بِالأَنْبِيَاءِ أُولِي العَزْم عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والتَّسْليمَاتُ وَبِالتَّبَعِيَّةِ وَالوِرَاثَةِ يُشْرِفُ بِهِ وَيَمْنَحُ كُل مَنْ أَدْرَكَتْهُ العِنَايَةُ [ع]

لا عُسْرَ فِي أَمْر مَعَ الكِرَامِ

وَلا يَغْلطَنَ هُنَا شَخْص فَيَقُول إنَّهُ قَدْ حَصَل فِي هَذَا الموْطن الاسْتغْنَاء عَنْ صُورَة الشَّرِيعَة وَحَقيقَتهَا وَ لَمْ يَبْقَ الاحْتيَاجُ إلى إتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة لأَنَّا نَقُول إنَّ الشَّرِيعَةَ أَصْل هَذَا الأَمْر وَأَسَاس هَذه المُعَامَلَة وَكُل مَا يَتَعَالى الشَّجَر أَوْ يَتَطَاوَل البُنْيَان وَيُبْنَى فَوْقَهُ القُصُورُ وَالأيوَانُ لاَ يَسْتَغْنيَان عَنِ الأَصْل وَالأسَاس وَلا يَزُول عَنْهُمَا الاحْتيَاجُ الذَّاتيّ فَإنَّ البَيْتَ العُلوّ مَثَلا كُل مَا كَانَ أَرْفَع وَأَعْلى لاَ يَكُونُ لهُ بُدّ منَ البَيْت السُّفْل وَلا يَزُول احْتيَاجُهُ عَنْهُ أَصْلا فَإنْ طَرَأَ الخَلل فِي السُّفْل فَرْضًا يُؤْثرُ ذَلكَ الخَلل فِي العُلوّ أَيْضًا وَيَسْتَلزمُ زَوَال السُّفْل زَوَال العُلوِّ فَالشَّرِيعَة لازمَة فِي جَميع الحَال وَجَميع الوَقْت وَكُل شَخْصٍ مُحْتَاج إلى إتْيَانُ أَحْكَامهَا فَإذَا تَرَقَّت المُعَامَلَة عَنْ هَذَا الموْطن أَيْضًا بفَضْل الله جَل سُلطَانُهُ وَتَحَوُّل الأَمْر منَ التَّفضُّل إلى المحَبَّة يَسْتَقْبل ح مَقَام عَال خَارِجَ الكتَاب مَخْصُوص بالأَصَالة بخَاتَم الرُّسُل عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلاةُ والتَسْليمَاتُ وَيُشْرفُ به بالتَّبَعيَّة وَالوراثَة كُل مَنْ أُرِيدَ لهُ ذَلكَ وَذَلكَ القصرَ الذي يَظْهَرُ فِي النَّظَر منْ غَايَة الرِّفْعَة ضَيِّقًا أَجدُ حَضْرَة الصِّديق دَاخلا فيه بطَرِيق الورَاثَة إلى سُرَّته وَحَضْرَة الفَارُوق أَيْضًا مُهْتَد إلى هَذه الدَّوْلَة وَمنْ أُمَّهَات المؤْمنينَ أَرَى فيه مَعَهُ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بعَلاقَة الازْدوَاج حَضْرَة الخَديجَة وَحَضْرَة الصِّديقَة رَضيَ الله عَنْهُمَا وَالأمْر إلى الله سُبْحَانَهُ وَلمَّا كَانَ الأَخ الأَعزّ ذُو المعَارف الشَّيْخ عَبْدَ الحَيِّ الذي كَانَ فِي الصُّحْبَة سنينَ مُتَوَجِّهًا إلى وَطَنه وَكَانَ لذَلكَ المقَام تُعَلقُ به كَتَبْنَا سُطُورًا بالضَّرُورَة وَاطَّلعْنَا عَلى أَحْوَال المشَار إليْه وَوُجُود أَهْل الله مُغْتَنم فِي أَيّ مَكَان كَانَ وَبشَارَة لسُكَّان ذَلكَ المكَان وَفي عَيْن ذَلكَ المقَام يُقيمُ الأَخ الأَعَزّ الشَّيْخ نُور مُحَمَّد وَيَصْرفُ أَوْقَاته بالفَقْر وَفقْدَان المرَاد وَيَغْبطُ ذَلكَ المقَام حَيْثُ اجْتَمَعَ فيه اثْنَان منْ أَهْل الله أَمْثَالهمَا وَتَحقَّقَ فيه قرْآن السعدين وَالسَّلام.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة
إِلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد صِدِّيق

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى اعْلَمْ أَيُّهَا الأَخُ الصِّدِّيقُ أَنَّ كَلامَهُ سُبْحَانَهُ مَعَ البَشَرِ قَدْ يَكُونُ شِفَاهًا وَذَلكَ لأَفْرَاد منَ الأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والتَسْليمَاتُ وَقَدْ يَكُونُ لبَعْض الكُمَّل منْ مُتَابعيهمْ بالتَّبعيَّة وَالوراثَة أَيْضًا وَإذَا كَثُرَ هَذَا القسْمُ منَ الكَلامِ مَعَ وَاحد منْهُمْ سُمِّيَ مُحَدِّثًا كَمَا كَانَ أَمير المؤْمنينَ عُمَر ﷺ وَهَذَا غَيْر الالهَامِ وَغَيْرِ الالقَاء فِي الرَّوْع وَغَيْر الكَلامِ الذي مَعَ المَلَك إِنَّمَا يُخَاطبُ بهَذَا الكَلامِ الإِنْسَان الكَامل الجَامع بُنيَ عالمى الأَمْر وَالخَلق وَالرَّوْح وَالنَّفْس وَالعَقْل الخَيَال {وَالله يَخْتَصُّ برَحْمَته مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْل العَظيم}⁽¹⁾.

وَلا يَلزَمُ مَنْ كَوَّنَ الكَلامَ شفَاهًا أَنْ يَكُونَ المتَكلم مَرْئيًّا للسَّامع لجَوَاز أَنْ يَكُونَ السَّامعُ ضَعيفَ البَصَرِ لاَ يَتَحَمَّل شَعْشَعَات أَنْوَاره كَمَا قَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ والتَسْليمَاتُ فِي جَوَاب سُؤَال الرُّؤْيَة عَنْهُ " نور أنى أَرَاه "⁽²⁾ وَلأَنَّ فِي الشِّفَاه خَرَقَ الحُجُبَ الشهودية فَافْهَمْ فَإِنَّ هَذه مَعْرِفَة قَلمَا تُكَلمُ بهَا أَحَد {والسلام على من اتبع الهدى}⁽³⁾.

---

(١) البقرة: ١٠٥.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم في صحيحه: ك: الإيمان. ب: في قوله عليه السلام: " نور أنى أراه " ح١٧٨. أحمد في المسند: مسند الانصار: حديث أبي ذر الغفاري ﷺ.

(٣) طــه: ٤٧.

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة
إلى الخوجه مُحَمَّد مَهْدَى عَلى الكَشْميرِيِّ
فِي التَّرْغِيب فِي طَرِيقَة هَذِهِ الطَّائِفَة العَلِيَّة

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَادِهِ الذينَ اصْطَفَى وَصَلت الصَّحِيفَة الشَّرِيفَة التِي صَدَرَتْ مِنْ كَمَال المحَبَّة وَالأخْلاص مَعَ الهَدَايَا رَزَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالى الاسْتقَامَة عَلى مَحَبَّة هَذه الطَّائِفَة وَحَشَرَ مَعَهُمْ وَهُمْ قَوْمٌ لاَ يَشْقَى جَليسُهُمْ وَلا يَرْحَمُ أَنيسَهُمْ وَلا يَخيبُ جَليسُهُمْ وَهُمْ جُلسَاء الله وَهُمْ إذَا رَأَوْا ذكْرَ الله وَهُمْ مَنْ عَرَفَهُمْ وَجدَ الله، نَظَرهمْ دوَاء، وَكَلامهمْ شفَاء، وَصُحْبَتهمْ ضيَاء وَبَهاء، مَنْ رَأى ظَاهِرَهُمْ خَابَ وَخَسرَ وَمَنْ رَأى بَاطنَهُمْ نَجَّى وَأَفْلحَ وَنعْمَ مَا قيل إلهيَ مَا هَذَا الذي جَعَلتْ أَوْليَاءَك بِحَيْثُ مَنَّ عُرْفهمْ وَجَدّك وَمَا لَمْ يَجدْك لَمْ يُعَرِّفْهُمْ يَعْنِي: أَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ وَوِجْدَانك لَيْسَ أَحَدهَمَا مُنْفَكًّا عَنِ الآخَرِ وَالتَّقَدُّم الذَّاتيّ باعْتبَار للمُعَرِّفَة وَباعْتبَارِ للوِجْدَان وَمُخْتَار القَائل تَقَدُّم ذَلكَ الطَّرَفِ لأَنَّهُ المبْدَأُ فَمِنْهُ البِدَايَةُ أُولي وَأَحْرَى وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلى مَنْ لدَيْكُمْ.

اَلمكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَةِ

إلى وَاحد مِنْ مشائخ النَوَاحي

فِي جَوَاب اسْتِفْسَاره بأنِي لَوْ عَبَدْتُ اللهَ يَحْصُلُ للنَّفْسِ الاسْتِغْنَاءُ وَإِنْ صَدَرَتْ مِنِّي زلةٌ وَخلافُ الشَّرْعِ تَظْهَرُ النَّدَامَةُ وَالانْكِسَارُ

اَلحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ سَأَلتَ أَنَّهُ إِذَا جَعَلتُ نفسي فِي مَقَام الرِّيَاضَة يَعْني: اشْتَغَلَتْ بهَا يَظْهَرُ فِي النَّفْس الاسْتِغْنَاء وَتَزْعُمُ أَنْ لاَ صَالحَ مُثْلى وَإِنْ صَدَر شَيْء مِنْ خِلاف الشَّرْعِ تَتخيَّل نَفْسها مُحْتَاجَة وَمسْكينَة فَمَا علاج ذَلكَ.

أيُّهَا المَوَفَّق: أَنَّ الاحْتِيَاجَ وَالَمسْكَنَةَ الصَّادِرُ فِي الشِّقِّ الثَّانِي الذي يُنْبِئُ عَنِ النَّدَمِ نعْمَة عَظِيمَة وَالعِيَاذ بَاللهِ سُبْحَانَهُ لوْ لَمْ تَظْهَرْ النَّدَامَةُ التي هِيَ مِنْ شعب التَّوْبَة بَعْدَ ارْتِكَاب المحْظُور الشرعى وَكَانَت النَّفس مُلتَذَّة وَمَحْظُوظَة بإتْيَان الذَّنْب فَإنَّ الالتذاذَ بالذَّنْب إِصْرَار عَلى الذَّنْب فإنْ كَانَ الإِصْرَارُ عَلى السَّيِّئَة الصَّغيرَة فَهُوَ يُوصل إِلى الكَبيرَة وَالأصْرَار عَلى الكَبيرَة دهْليز الكُفْر يَنْبَغي أَدَاء شُكْرِ هَذه النِّعْمَة العُظْمَى ليَحْصُل ازْديَاد النَّدم فَيَمْنَعُ عَنْ ارْتِكَاب خلاف الشَّريعَة قَال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ﴿لئنْ شَكَرْتُمْ لأَزيدَنَّكُمْ﴾(١) وَحَاصل الشِّقِّ الأَوَّل حُصُول العَجب بَعْدَ إِتْيَان الأَعْمَال الصَّالحَة وَهَذَا العَجب سُمّ قَاتل وَمَرَض مُهْلك يُبْطل الأَعْمَال الصَّالحَة كَمَا يَأْكل النَّار الحطَب وَمَنْشَأ العَجب هُوَ أَنْ يَرَى الأَعْمَال الصَّالحَة مُزَيَّنة وَمُسْتَحْسَنَة فِي نَظَر العَامل وَالمُعَالجَة بالأَضْدَاد فيَنْبَغي اتِّهَام الحَسَنَات وَأَنْ يظْهَرْ قَبَائحهَا فِي النَّظَر وَأَنْ ينْسُبَ الإِنْسَانَ نَفْسه وَأَعْمَاله إِلى القُصُور بَل يَجدُ مُسْتَحقًا للطَّرْد وَاللعْن قَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَة وَالتَّسْليمَاتُ " رُبَّ قَارِئ للقُرْآن وَالقُرْآن يَلعَنُهُ "، " وَكَمْ مِنْ صَائم لَيْسَ لهُ مِنْ صيَامه إِلا الظَّمَأ وَالجوع" وَلا يَتَخَيَّل أَنْ لاَ قُبحَ لحسَنَة بَل لوْ تَوَجَّهَ إِلَيْه قَليلا لوَجَدَ بعنَايَة اللهُ سُبْحَانَهُ كُله قَبيحًا وَلا يُحسُّ رَائحَة مِنَ الحُسْن فَأَيْنَ العَجَبُ وَلمَنْ الاسْتغْنَاء بَل يَكُونُ مِنْ علة اسْتيلاء رُؤْيَة القُصُور فِي الأَعْمَال مُنْفَعلا وَمُسْتَحيًا مِنْ إِتْيَان الأَعْمَال الحَسَنَة لاَ مُعْجَبًا وَمُسْتَغْنيًا فَإِذَا حَصَل رُؤْيَة القُصُور فِي الأَعْمَال تَزيدُ قيمَةَ الأَعْمَال وَتَكُونُ حَقيقَةً بالقَبُول وَيَنْبَغي السَّعْي حَتَّى يَحْصُل هَذه الرُّؤْيَة فَيَتَخَلصُ مِنَ العَجب العَجب وَدُونَهُ خَرطَ القَتَاد، إِلا أَنَّ

---

(١) إبراهيم:٧

يَشَاءَ اللهُ، وَطَائفَة مِنَ الذينَ تَيَسَّرَتْ لَهُمْ رُؤْيَةُ القُصُور في الأَعْمَال عَلى وَجْه الكَمَال يَظُنُّونَ أَنَّ كَاتبَ اليَمين مُعَطَّل وَأَنَّهُ لاَ حُسْنَ لهُ يَكْتُبُ وَكَاتبُ الشِّمَال في الشُّغْل دَائمًا وَإنْ فعْلهُ كُله قَبيحٌ وسيء فَإِذَا انْتَهَتْ مُعَامَلة العَارِف إلى هَذَا الحَدِّ عُوملَ مَعَهُ مَا عُوملَ، (ع):

بَلغَ اليَرَاعُ إلى هُنَا فَتَكَسَّرَ

{والسلام على من اتبع الهدى}⁽¹⁾.

---

(١) طـه: ٤٧

اَلمكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاَثِمائَة

إِلَى السَّيِّدِ شَاه مُحَمَّد فِي بَيَان أَنَّ لمُتَابَعَة النَّبيِّ ﷺ مَرَاتبَ وَدَرَجَاتٍ وَهِيَ سَبْع دَرَجَات وَبَيَان تَفْصِيل كُلِّ دَرَجَةٍ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

اَلحَمْدُ للّه وَسَلامٌ عَلَى عِبَاده الَّذينَ اصْطَفَى.

اعْلَمْ: أَنَّ لمُتَابَعَة النَّبيِّ ــ عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ الَّتِي هِيَ رَأْس كُلِّ سَعَادَة دينيَّة وَدُنْيَويَّة دَرَجَات وَمَرَاتب:

اَلدَّرَجَةُ الأُولَى: لعَوَامِّ أَهْلِ الإِسْلامِ منْ إِتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعيَّة وَمُتَابَعَة السُّنَّة السَّنيَّة بَعْدَ تَصْديق القَلْب وَقَبْلَ اطْمئْنَان النَّفْس الَّذي هُوَ مَرْبُوطٌ بدَرَجَة الوِلاَيَة وَعُلَمَاء الظَّاهر وَالعبَاد وَالزُّهَّاد وَالَّذينَ لَمْ تَبْلُغْ مُعَامَلَتهمْ مَرْتَبَة اطْمئْنَان النَّفْس كُلّهمْ شُرَكَاء في هَذه الدَّرَجَة منَ الْمُتَابَعَة وَكُلّهمْ مُتَسَاويَةُ الأَقْدَام في صُورَة الأَتْبَاع وَحَيْثُ إِنَّ النَّفْسَ لَمْ تُخلّصْ في هَذه المَقَام منْ كُفْره وَإِنْكَاره لاَ جَرَمَ تَكُونُ هَذه الدَّرَجَة مَخْصُوصَة بصُورَة المتَابَعَة وَصُورَة المتَابَعَة هَذه كَحَقيقَة المتَابَعَة مُوجبَة للْفَلاَح وَنَجَاة الآخرَة وَمُنْجيَة منْ عَذَاب النَّار وَمُبَشِّرَة بدُخُول الجَنَّة وَمنْ كَمَال كَرَمه سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْتَبرْ إِنْكَارَ النَّفْس بَلْ اكْتَفَى بتَصْديق القَلْب وَجَعَلَ النَّجَاة مَرْبُوطَة بذَلكَ التَّصْديق.

وَلَعَلَّ يَقْبَلُ أَدمُعَى مَنْ كَانَ يَخلُقُ   لُؤلُؤًا منْ قَطرَة الأَمْطَار

وَالدَّرَجَة الثَّانيَة منَ المتَابَعَة: اتِّبَاع أَقْوَاله وَأَفْعَالُهُ ــ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ــ الَّتي تَتَعَلَّقُ بالبَاطن منْ تَهْذيب الأَخْلاَق وَرَفْع رَذَائل الصِّفَات وأزالة الأَمْرَاض البَاطنيَّة وَالعلَل المعْنَويَّة ممَّا يَتَعَلَّقُ بمَقَام الطَّريقَة وَهَذه الدَّرَجَة منَ الاتِّبَاع مَخْصُوصَة بأَرْبَاب السُّلُوك الَّذينَ يَقْطَعُونَ بوادى السَّيْر إِلَى اللّه ومفازه آخذينَ طَريقَة الصُّوفيَّة منْ شَيْخ مُقْتَدَى.

وَالدَّرَجَة الثَّالثَة منَ المُتَابَعَة: اتِّبَاع أَحْوَاله وأذواقه وَمَوَاجيده عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الَّتي تَتَعَلَّقُ بمَقَام الوِلاَيَة الخَاصَّة وَهَذه الدَّرَجَة مَخْصُوصَة بأَرْبَاب الوِلاَيَة سَوَاء كَانَ مَجْذُوبًا سَالكًا أَوْ سَالكًا مَجْذُوبًا فَإذَا انْتَهتْ مَرْتَبَةُ الوِلاَيَة إِلَى آخرهَا فَقَدْ صَارَت النَّفْس مُطْمَئنَّة وَامْتَنَعَتْ منَ المُعَانَدَة وَالطُّغْيَان وَانْتَقلَتْ منَ الإِنْكَار إِلَى الإِقْرَار وَ منَ الكُفْر إِلَى الإِسْلام فَكُلُّ مَا تَجْتَهدُ بَعْدَ ذَلكَ في المتَابَعَة تَكُونُ حَقيقَة المتَابَعَة فَإِنْ أَدَّى الصَّلاَة فَقَد ادَّى حَقيقَة المتَابَعَة يَعْني: في أَدَاء الصَّلاة وَفي الصَّوْم

وَالزَّكَاة أَيْضًا هَذَا الحُكْم وَعَلَى هَذَا القِيَاسِ حَقِيقَة المتَابَعَة كَائِنَة فِي إِتْيَان جَمِيع الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة.

فَإِنْ قِيلَ مَا مَعْنَى حَقِيقَة الصَّلَاة وَالصَّوْم وَالصَّلَاة وَالصَّوْم كُلّ مِنْهُمَا عِبَارَة عَنْ أَفْعَال مَخْصُوصَة فَإِنْ أَدَّيْتَ تِلْكَ الأَفْعَال عَلَى وَجْه أَمَرَّ بِهِ فَقَد ادَّيْت الحَقِيقَة فَمَا تَكُونُ الصُّورَةُ وَمَا تَكُونُ الحَقِيقَة وَرَاءَهَا:

أُجِيبَ: لمَا كَانَ لِلْمُبْتَدَى النَّفْسَ الأَمَّارَةَ الَّتِي هِيَ مُنْكِرَة لِلْأَحْكَامِ السَّمَاوِيَّة بِالذَّات كَانَ إِتْيَان الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة مِنْهُ بِاعْتِبَار الصُّورَة وَلَمَّا صَارَتْ نَفْسَ المنْتَهِيَ مُطْمَئِنَة وَقَبِلَت الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة بِالرِّضَا وَالرَّغْبَة كَانَ إِتْيَان الأَحْكَامِ مِنْهُ بِاعْتِبَار الحَقِيقَة مَثَلًا المنَافِق وَالمُسْلِم كِلاهُمَا يُؤَدِّيَان الصَّلَاة وَحَيْثُ كَانَ فِي المنَافِق إِنْكَار البَاطِن لاَ يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا أَدَاءَ صُورَة الصَّلَاة وَالمُسْلِم بِوَاسِطَة انْقِيَاده البَاطِنِ مُتَحَلَّى بِحَقِيقَة الصَّلَاة؛ فَالصُّورَة وَالحَقِيقَة بِاعْتِبَار إِنْكَار البَاطِن وَإِقْرَاره.

وَالدَّرَجَة الرَّابِعَة دَرَجَة مِنَ المتَابَعَة: وَكَانَتْ فِي الدَّرَجَة الأُولَى صُورَة هَذِه المتَابَعَة وَهُنَا حَقِيقَةُ الاتِّبَاع وَهَذِه الدَّرَجَة الرَّابِعَة مِنَ الاتِّبَاع مَخْصُوصَة بِالعُلَمَاء الرَّاسِخِينَ شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى سَعْيَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَتَحَقَّقُونَ بِدَوْلَة المتَابَعَة بَعْدَ اطْمِئْنَان النَّفْس وَإِنْ حَصَلَ نَحْوُ مِنْ اطْمِئْنَان النَّفْسِ لِلْأَوْلِيَاء قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى أَسْرَارَهُمْ بَعْدَ تَمْكِين القَلْب وَلَكِنَّ كَمَالَ الاطْمِئْنَان يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ فِي تَحْصِيل كَمَالات النُّبُوَّة الَّتِي لِلْعُلَمَاء مِنْهَا نَصِيب بِطَرِيق الوِرَاثَة فَيَكُونُ العُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ مُتَحَقِّقِينَ بِحَقِيقَة الشَّرِيعَة الَّتِي هِيَ حَقِيقَة الاتِّبَاع بِوَاسِطَة كَمَال.اطْمِئْنَانُ النَّفْسِ وَحَيْثُ فَقَدَ هَذَا الكَمَال فِي غَيْرِهِمْ يتلبسون أَحْيَانًا بِصُورَةِ الشَّرِيعَةِ وَآوِنَة يَتَحَقَّقُونَ بِحَقِيقَةِ الشَّرِيعَة.

وَلْنُبَيِّن عَلامَة لِلْعُلَمَاء الرَّاسِخِينَ؛ لِئَلا يَدَّعِيَ كُلُّ عَالِم بِالظَّاهِرِ دَعْوَى الرُّسُوخِ وَلا يَزْعُمُ أَمَارَاته مُطْمَئِنَة العَالِمِ الرَّاسِخ هُوَ شَخْصٌ لَهُ نَصِيب مِنْ تَأْوِيلِ مُتَشَابِهَات الكِتَاب وَالسُّنَّة وَحَظٌّ مِنْ أَسْرَار مُقَطَّعَات الحَرْف الَّتِي فِي أَوَائِل السُّوَرِ القُرْآنِيَّة وَتَأْوِيل المتَشَابِهَات مِنْ جُمْلَة الأَسْرَار الغَامِضَة وَلا تَتَخَيَّلُ أَنَّهُ مِثْل تَأْوِيلِ اليَد بِالقُدْرَة وَالوَجْه بِالذَّات فَإِنَّهُ نَاشَ مِنْ عِلْم الظَّاهِرِ لاَ مَسَاسَ لَهُ بِالأَسْرَار وَأَصْحَاب هَذِه الأَسْرَار هُمُ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهَذِه الرموزات إِشَارَات إِلَى مُعَامَلاتِهِمْ وَيُشَرِّفُ بِهَذِهِ الدَّوْلَة العُظْمَى بِتَبَعِيَّة هَؤُلاءِ الأَكَابِر وَوِرَاثَتِهِمْ كُلّ مَنْ

أُريدُ لَهُ ذَلكَ، وَحُصُولُ هَذه الدَّرَجَة منَ المُتَابَعَة الَّتي هِيَ مَنُوطَةٌ باطْمئْنَان النَّفس وَوُصُول إلى الحَقيقَة مُتَابَعَة صَاحب الشَّريعَة عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَتيَسَّرُ أَحْيَانًا بدُون تَوَسُّط الفَنَاء وَالبَقَاء وَبلا تَوَسُّل السُّلُوك وَالجَذْبَة وَيُمْكنُ أَنْ لاَ يَكُونَ في البَيْن شَيْءٍ منَ الأَحْوَال وَالمَوَاجيد وَالتَّجَلِّيَات والظُّهُورَات وَتَكُونُ تلْكَ الدَّوْلَة نَقْد الوَقْت وَلَكنَّ الوُصُولَ إلَى هَذه الدَّوْلَة منْ طَريق الولاَيَة أَقْرَبُ منَ الوُصُول إلَيْهَا منْ طَريق آخرَ وَهَذَا الطَّريق الآخَر بزَعْم الفَقير هُوَ التزَامُ مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنيَّة عَلَى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ وَالاجْتنَاب عَنْ اسْم البدْعَة وَرَسْمهَا وَمَنْ لَمْ يَحْتَرزْ عَن البدْعَة الحَسَنَة احْترَازه عَن البدْعَة السَّيِّئَة لاَ تَصلُ إلَى مشام رُوحه رَائحَة منْ هَذه الدَّوْلَة وَهَذَا المعْنَى مُتَعَسِّر في هَذَا اليَوْمَ فَإنَّ العَالَمَ مُسْتَغْرق اليَوْمَ في لُجَّة بحْرٍ البدْعَة وَمُطْمَئنٌ بظُلُمَاتهَا لمَن المَجَالُ في التَّكَلُّم في رَفْع البدْعَة وَإحْيَاء السُّنَّة أَكْثَر عُلَمَاءَ هَذَا الوَقْت يُرَوِّجُونَ البدْعَةَ وَيَمْحُونَ السُّنَّةَ وَيُفْتُونَ بجَوَاز بدْعَات وَاسعَة بَلْ باسْتحْسَانهَا بعلَّة تَعَامُل الخَلْق وَيَدُلُّونَ النَّاس عَلَيْهَا لَيْتَ شعْري مَاذَا يَقُولُونَ لَوْ شاعَت الضَّلالَة وَصَارَ البَاطل مُتَعَارَفًا تَكُونُ تَعَامُلًا أَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّا التَّعَامُل لَيْسَ هُوَ دَليل الاسْتحْسَان وَالتَّعَامُل المعْتَبَر إنَّمَا هُوَ مَا جَاءَ منَ الصَّدْر الأَوَّل وَحَصَلَ بإجْمَاع جَميع النَّاس كَمَا ذَكَرَ في الفَتَاوَى الغيَاثية قَالَ شَيْخ الإسْلام الشَّهيد رَحمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لاَ نَأْخُذُ باسْتحْسَان مَشَايخ بلخٍ وَإنَّمَا نَأْخُذُ بقَوْل أَصْحَابنَا المتَقَدِّمين رَحمَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لأَنَّ التَّعَامُلَ في بَلْدَة لاَ يَدُلُّ عَلَى الجَوَاز وَإنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الجَوَاز مَا يَكُونُ عَلَى الاسْتمْرَار منَ الصَّدْر الأَوَّل ليَكُونَ دَليلًا عَلَى تَقْرير النَّبيِّ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إيَّاهُمْ عَلَى ذَلكَ فَيَكُونُ شَرْعًا لَهُ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَأَمَّا إذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلكَ لاَ يَكُونُ فعْلُهمْ حُجَّة إلَّا إذَا كَانَ ذَلكَ منَ النَّاس كَافَّة في البُلْدَان كُلّهَا ليَكُونَ.إجْمَاعًا، والإجماع حُجَّة؛ أَلاَ تَرَى أَنَّهُمْ لَوْ تَعَامَلُوا عَلَى بَيْع الخَمْر وَعَلَى الرِّبَا لاَ يُفْتَى بالحَلِّ وَلا شَكَّ أَنَّ العلْمَ يَتَعَامَلُ كَافَّة الأَنَام وَالوُقُوفَ عَلَى عَمَلِ جَميع القُرَى وَالبُلْدَان خَارج عَنْ حَيْطَة قُوَّة البَشَر بَقيَ تَعَامُل الصَّدْر الأَوَّل الَّذي هُوَ في الحَقيقَة تَقْريره ﷺ وَرَاجعَ إلَى سنَته فَأَيْنَ البدْعَةُ وَأَيْن حُسْنُهَا وَكَانَتْ صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَافيَة في حُصُول جَميع الكَمَالات للأَصْحَاب الكرَام عَلَيْهمُ الرِّضْوَان وَكُلّ منْ تَشَرَّفَ منْ عُلَمَاء السَّلَف بدَوْلَة الرُّسُوخ بدُون اخْتيَار طَريق الصُّوفيَّة وَبلا قَطْع مَسَافَة بالسُّلُوك وَالجَذْبَة كَانَ ذَلكَ بوَاسطَة التزَام مُتَابَعَة السُّنَّة السَّنيَّة عَلَى صَاحبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ

وَالاجْتِنَاب عَنْ بِدْعَة غَيْر مَرْضِيَّة اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى مُتَابَعَة السُّنَّة وَجَنْبنا عَنْ ارْتِكَاب البِدْعَة بِحُرْمَة صَاحِب السُّنَّة عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

اَلدَّرَجَة الخَامسَة مِنَ الْمُتَابَعَة اتِّبَاع كَمَالاته عليه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَلا مَدْخَلَ لِلْعلْمِ وَالعَمَلِ فِي حُصُول تِلْكَ الكَمَالات بَلْ حُصُولُهَا مَرْبُوطَة بِمَحْضِ فَضْلِ الحَقِّ وَإِحْسَانه جَلَّ سُلْطَانُهُ وَهَذه الدَّرَجة عَالِيَة جدًّا لاَ مَسَاسَ للدَّرَجَات السَّابِقَة بِهَا وَهَذه الكَمَالات مَخْصُوصَة بِالأَنْبِيَاءِ أَوْلَى العَزْم بِالأَصَالَةِ وَيُشْرِفُ بِهَا بِالتَّبَعِيَّةِ وَالوِرَاثَة كُلٌّ مَنْ أُرِيدُ لَهُ ذَلكَ.

وَالدَّرَجَة السَّادسَة مِنْ الْمَتَابَعَة: اتِّبَاعه عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي كَمَال مَخْصُوصٍ بِمَقَامِ مَحْبُوبَته عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَكَمَا أَنَّ إِفَاضَةَ الكَمَالاتً فِي الدَّرَجَة الخَامسَة كَانَتْ بِمُجَرَّد الفَضْلِ وَالأحْسَان كَذَلكَ فِي الدَّرَجَة السَّادسَة إِفَاضَة كمَالاتهَا بِمُجَرَّد المحَبَّة الَّتي فَوْقَ التَّفَضُّلِ وَالأحْسَان وَمِنْ هَذه الدَّرَجَة أَيْضًا نَصيب لأَقَلِّ قَلِيل وَهَذه الدَّرَجَات الخَمْسَ مِنْ دَرَجَات المتَابَعَة غَيْر الدَّرَجَة الأَوْلَى، وَكُلّهَا تَتَعَلَّقُ بِمَقَامَات العُرُوج وَحُصُولهَا مَرْبُوط بِالصُّعُود.

وَالدَّرَجَة السَّابعَة: مُتَابَعَة تَتَعَلَّقُ بِالنُّزُول وَالهُبُوط وَهَذه الدَّرَجَة جَامعَة لِجَمِيعِ الدَّرَجَات السَّابِقَة فَإِنَّ فِي هَذَا المَوْطن يَعْني: مَوْطن النُّزُول تَصْديق القَلْب وَتَمْكِينه وَاطْمئْنَان النَّفْسِ وَاعْتدَال أَجْزَاء القَلْب لامْتنَاعهَا وَانْتهَائهَا عَنِ الطُّغْيَان وَالعنَاد وَكَأَنَّ الدَّرَجَات السَّابِقَة كَانَتْ أَجْزَاء هَذه المتَابَعَة وَهَذه الدَّرَجَة كَالكُلِّ لتلْكَ الأَجْزَاء وَيَحْصُلُ لِلتَّابِعِ فِي هَذَا المقَام شباهة بِالمَتْبُوعِ عَلَى نَهْجٍ كَأَنَّهُ قَدْ ارْتَفَعَ اسْم التَّبَعِيَّة مِنَ البَيْنِ وَزَالَ امْتِيَاز التَّابِع وَالمَتْبُوع وَيَتَوَهَّمُ أَنَّ التَّابِعَ كُلَّ مَا يَأْخُذُ يَأْخُذُهُ مِنَ الأَصْلِ كَالمَتْبُوعِ وَكَأَنَّ كلَيْهِمَا يَشْرَبَان منْ عَيْنٍ وَاحدَة وَكلَيْهِمَا فِي عنَاق وَاحد وَمخَدَّة وَاحدَة وَكَأَنَّهُمَا لَبَنٌ وَسُكَّرٌ أَيْنَ التَّابِعُ مِنَ المَتْبُوعِ وَلِمَنِ التَّبَعِيَّة فَإِنَّهُ لاَ مَجَالَ لِلتَّغَايُرِ فِي اتِّحَاد. النِّسْبَةُ وَالعَجَبُ أَنَّهُ كُلَّمَا يُطَالِعُ فِي هَذَا المقَام بِإِمْعَان النَّظَر لاَ تَكُونُ نسْبَة التَّبَعِيَّة مَلْحُوظَة وَمَنْظُورَة أَصْلًا وَلا يَكُونُ امْتيَاز التَّابِعيَّة وَالمَتْبُوعيَّة مَشْهُودًا قَطْعًا وَالَّذي يُدْرَكُ وَيُدَّرَى أَنَّ التَّابِعَ يُعَرِّفُ نَفْسه طُفَيْلِيًّا وَوَارِث نَبِيه عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَكَانَ التَّابِع غَيْر الطُّفَيْلِيّ وَالوَارث وَإِنْ كَانَ الكُلّ فِي سَلَكَ التَّبَعِيَّة وَالظَّاهر أَنَّ حَيْلُولَةَ المتْبُوعَ لازِمَةً فِي التَّابِع وَأَمَّا فِي الطُّفَيْلِيّ وَالوَارِث فَلَيْسَ بِلازِمَةٍ أَصْلًا التَّابِعُ آكِل حِصَّته والطُّفَيْلِيّ جَلِيس ضِمْنَى وَبِالجُمْلَة إِنْ

كُلّ دَوْلَة جَاءَتْ فِي عَرْصَة الوُجُود فَإِنَّمَا هِيَ لِلْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَمِنْ سَعَادَة الأُمَمِ احتظاظهم مِنْ تِلْكَ الدَّوْلَة بِتطَفُّل الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ وَتَنَاوُلهمْ مِنْ حِصَّتِهِمْ.

عَلمتْ بأنى لَسْت الحقَ رَكْبه   فَيُكْفى سماعى مَنْ ورَّاهُ نَدَاهُ

وَالتَّابِع الكَامِل مَنْ يَكُونُ مُتَحَلَّى بِهَذه الدَّرَجَات السَّبْع مِنَ المُتَابَعَة وَالَّذي لَهُ مُتَابَعَة فِي البَعْض دُونَ البَعْض فَهُوَ تَابِع فِي الجُمْلَة عَلَى تَفَاوُت الدَّرَجَات وَعُلَمَاء الظَّاهِر مَسْرُورُونَ بِالدَّرَجَة الأُولَى وَلَيْتَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ تِلْكَ الدَّرَجَةَ أَيْضًا وَهُمْ جَعلُوا المُتَابَعَةَ مَقْصُورَةً عَلَى صُورَة الشَّرِيعَة وَظَنُّوا مَا وَرَاءَهَا أَمْرًا آخر وَتَصَوَّرُوا طَرِيقَة الصُّوفِيَّة الَّتِي هِيَ وَسِيلَة لِحُصُول دَرَجَات المُتَابَعَة شَيْئًا فَرِيًا وَلَمْ يَعْرِفْ أَكْثَرهمْ شَيْخًا وَمُقْتَدَى لِنَفْسه غَيْر الهِدَايَة والبزدوي

وَلَيْسَ لِشَيْءٍ كَامن جَوْفَ صَخْرَة   سِوَاهَا سَموَات لَدَيْه وَلا أَرْضَ

حَقَّقَنَا اللّه سُبْحَانَهُ وَإِيَّاكُمْ بِحَقِيقَة المُتَابَعَة المُصْطَفَوِيَّة عَلَى صَاحِبهَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحِيَّةُ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانه مِنَ الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ وَالمَلائِكَة العِظَامِ وَعَلَى جَمِيعِ اتِّبَاعِهِمُ الى يَوْمِ القِيَامِ.

المَكْتُوبُ الثَّامنُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة

إِلى المَخْدُومِ زَادَه الخَوَاجَهْ مُحَمَّد سَعِيد وَالمَخْدُوم زَادَه الخَوَاجَهْ مُحَمَّد مَعْصُوم سَلَّمَهُمَا اللهُ تَعَالى في بَيَانِ أَنَّ القُرْآنَ جَامِع لجَمِيعِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَفي مَنَاقِبِ الإِمَامِ الأَعْظَمِ أَبي حَنِيفَة ﷺ وَبَيَان أَنَّ أَصْلَ هَذَا الأَمْرِ هُوَ الشَّرِيعَة وَمَدْح الصُّوفِيَّة العَلِيَّة وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى:

اعْلَمْ أَنَّ القُرْآنَ المجِيدَ جَامِعٌ لجَمِيعِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بَل جَامِعٌ لجَمِيعِ الشرايعِ المتَقَدِّمَة غَايَة مَا في البَابِ أَنَّ بَعْضَ أَحْكَامِ هَذه الشَّرِيعَة يَفْهَمُ بعِبَارَة النَّصِّ(١) وَإِشَارَة النَّصِّ(٢) وَدَلالة النَّصِّ(٣) وَاقْتضَاء النَّصِّ(٤) وَالعَوَامّ وَالخَواصّ مِنْ أَهْلِ اللغَة مُتَسَاوِيَة الأَقْدَامِ في هَذَا الفَهْم وَالقِسْم الآخر مِنَ الأَحْكَام مِنْ قَبِيل مَا يَفْهَمُ بتَوَسُّط الاجْتهَاد وَالاسْتنْبَاط وَهَذَا الفَهْم مَخْصُوص بالأئمَّة المجْتَهدينَ سَوَاء كَانَ النَّبيّ ﷺ على قَوْل الجُمْهُور أَوْ أَصْحَابه الكرَام عَلَيْهِمُ الرِّضْوَان أَوْ سَائر مجتهدى أُمَّته عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلكنَّ الأَحْكَامَ الاجْتهَادِيَّة في زَمَنه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لَمْ تَكُنْ مُتَرَدِّدَة بَيْنَ الخَطَأ وَالصَّوَاب لكَوْنه أَوْ أَنَّ الوَحْي بَل كَانَ يَتَمَيَّزُ

---

(١) **عبارة النص:** هي النظم المعنوي المسوق له الكلام، سميت: عبارة لأن المستدل يعبر من النظم إلى المعنى.، والمتكلم من المعنى إلى النظم، فكانت هي موضع العبور، فإذا عمل بموجب الكلام من الامر و النهي يسمى: استدلالاً بعبارة النص. انظر: الجرجاني: التعريفات: ١٨٩، ١٩٠.

(٢) **إشارة النص:** هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود، ولا سيق له النص. المرجع السابق: ٤٣.

(٣) **دلالة النص:** عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا إجتهادا، كالنهي عن التأفيف في قوله تعالى: " فلا تقل لهما أف " يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الأذى بدون الإجتهاد. المرجع السابق: ١٣٩.

(٤) **اقتضاء النص:** عبارة عما لم يعمل النص إلا بشرط تقدم عليه، فإن ذلك أمر اقتضاه النص بصحة ما تناوله النص، وإذا لم يصح لا يكون مضافا إلى النص، فكان المقتضى كالثابت بالنص، كما إذا قال الرجل لآخر: اعتق عبدك هذا عني بألف درهم؛فأعتقه، يكون العتق من الآمر، كأنه قال: بع عبدك لي بألف درهم، ثم كن وكيلا لي بالإعتلق. المرجع السابق: ٥٠.

صَوَاب الحَقِّ مَنْ خَطَأ المخطِّى بالوَحى القَطْعِيِّ وَلَمْ يَبْقَ الحَقّ مُمْتَزجًا بالبَاطل فَإِنَّ تَقْرِير النَّبيّ وَتَثْبيتَهُ عَلى البَاطل غَيْر مُجوَّز بخلاف الأَحْكَام الحَاصلة بطَريق اسْتنْبَاط المجْتَهدينَ بَعْدَ انْقراض زمَان الوَحْي فَإنَّهَا مُتَرَدِّدَة بَيْنَ الخَطَأ وَالصَّوَاب وَلهَذَا كَانَ الأَحْكَامُ الاجْتهَاديَّةُ التي صَارَتْ مُقَرَّرَة في زَمَن الوَحْي مُوجبَة لليَقين المفيد للعَمَل وَالاعْتقَاد وَبَعْدَ زَمَان الوَحْي تَكُونُ مُوجبَة للظَّنِّ المفيد للعَمَل لاَ الاعْتقَادُ وَالقَسَمُ الثَّالثُ مِنَ الأَحْكَام القُرْآن ممَّا يَعجزُ عَنْ فَهمه الطَّاقَة البَشَريَّة وَمَا لَمْ يَحْصُل الإعْلامُ منْ جَانب مُنَزِّل الأَحْكَام جَل سُلطَانُهُ لاَ يُتصَوَّرُ فَهُمْ تلكَ الأَحْكَامَ وَحُصُول ذَلكَ الإعْلامِ مَخصُوص بالنَّبيّ عَليْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لاَ يَحْصُل لغَيْره وَهَذه الأَحْكَامُ وَإنْ كَانَتْ مَأْخُوذَة منَ الكتَاب وَلكنْ لَمَّا كَانَ مَظْهَرهَا نَبيّنَا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ نَسبَتْ هَذه الأَحْكَام إلى السُّنَّة بالضَّرُورَة كَمَا نُسبَت الأَحْكَامُ الاجْتهَاديَّةُ إلى القيَاس باعْتبَار أَنَّ القيَاسَ مَظْهَر تلكَ الأَحْكَام فَيَكُونُ كُل منَ السُّنَّة وَالقيَاس مَظْهَرًا للأَحْكَام وَإنْ كَانَ منْ بَيْنَ هَذَيْن المظْهَرَيْن فَرْقًا كَثيرًا حَيْثُ إنَّ أَحدَهُمَا مُستَندٌ إلى الرَّأْي الذي فيه مَجَال الخَطَأ والثَّاني مُؤَيَّد بإعْلام الحَقّ جَل وَعَلا الذي لاَ مَجَال فيه للخَطَأ وَفي القسْم الأَخير كَمَال الشباهة بالأَصْل وَكَأَنَّهُ مُثْبتٌ للأَحْكَام وَإنْ كَانَ مُثْبِّت جَميع الأَحْكَامِ في الحَقيقَة هُوَ الكتَابُ العَزيزُ فَحَسْبُ.

فَيَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ لغَيْر النَّبيّ مَجَال الخلاف للنَبيّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في الأَحْكَام الاجتهاية إنْ بَلغَ هَذَا الغَيْر مَرْتَبَة الاجْتهَاد وَالأَحْكَام التي ثَبَتَتْ بعبَارَة النَّصِّ وإشارة النَّصّ وَدَلالة النَّصِّ وَكَذَلكَ الأَحْكَام التي مَظْهَرهَا السُّنَّة لاَ مَجَال لمُخَالفَة أَحَد فيهَا بَل اتّبَاع تلكَ الأَحْكَام لازم لجَميع الأمة، فَمُتَابَعَةُ رَأى النَّبيّ ﷺ في الأَحْكَام الاجْتهَاديَّة لَيْسَتْ بلازمَة لمجتهدى الأُمَّة، بَل الصَّوَاب في ذَلكَ الموْطن هُوَ مُتَابَعَة رَأى نَفْسه.

وَهَهُنَا دَقيقَة يَنْبَغي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الأَنْبيَاءَ الذينَ يَتَّبعُونَ شَرَائعَ الأَنْبيَاء أُولى العَزْم عَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الوَاجبُ عَلَيْهمْ هُوَ اتّبَاع الأَحْكَام التي ثَبَتَتْ بالعبَارَة وَالأشَارَة وَالدَّلالة منْ كُتُبهمْ وَصُحُفهمْ لاَ أَتْبَاعَ الأَحْكَامِ التي ظَهَرَتْ باجْتهَادهمْ وَسُنَنهم فَإنَّهُ إذَا لَمْ يَلْزَمُ المتَابَعَة عَلى مجتهدى الأُمَّة في الأَحْكَام الاجْتهَاديَّة كَمَا مَرَّ كَيْفَ يَلزَمُ المتَابَعَة على النَّبيّ المتَابع وَالأَحْكَامَ التي مَظْهَرهَا سَنَة كَمَا أَنَّهَا حَاصلة لأُوْلى العَزْم بالأَعْلامِ كَذَلكَ هيَ ثَابتَة لنَبيّ غَيْر أُولي العَزْم أَيْضًا

بِإعْلامِهِ تَعَالى فَمَا يَكُونُ المَتَابعَةَ بَل لاَ مَجَال لِلمُتَابَعَةِ فَإنَّ عَلى مِقْدَارٍ كَل وَقْت وَمُنَاسبَة كُل طَائِفَة أَحْكَامًا عَلى حِدَة تَارَةً يُنَاسِبُ الحَل وَتَارَةً يُنَاسِبُ الحُرْمَة كَانَ الإعْلام لِنَبِيٍّ مَنْ أَوْلى العَزْم بِحَليَة أَمْر وَلِنَبِيٍّ آخَر مِنْ غَيْرِ أُولي العَزْم بِحُرْمَتِه وَكُل مِنْ هَذَا الحَل وَالحُرْمَة مَأْخُوذ مَنْ صَحَّفَ مَنْزِلَة كَمَا أَنَّ المجْتَهِدَيْنِ يَأْخُذَانِ مَأْخَذ وَاحِد حُكْمَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ يَفْهَمُ مِنْهُ أَحَدهمَا الحل وَالأخر الحُرْمَة.

فَإنْ قِيل: هَذَا الاخْتلاف لهُ مَجَال فِي الاجْتِهَاد لِكَوْن مَدَارِهِ عَلى الرَّأْي الذي فيه احْتِمَال الصَّوَاب وَالخَطَأ وَلكِنْ لاَ مَجَال لِهَذَا المعْنَى فِي إعْلامِه تَعَالى لأَنَّ كَوْنَهُ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الخَطَأ وَالصَّوَاب غَيْر جَائِز بَل الحُكْم عِنْدَ الحَقِّ جَل وَعَلا وَاحِد فَإنْ كَانَ حَلا لاَ مَجَال لِلحُرْمَة وَإنْ كَانَ حُرْمَةً لاَ مَجَال لِلحَل:

أُجِيبَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِالنِّسْبَة إلى قَوْم حَلا وَبالنِّسْبَة إلى قَوْمٍ آخَرَ حُرْمَة فَيَكُونُ حُكْم اللهِ تَعَالى مُتَعَدِّدًا فِي وَاقِعَة وَاحِدَة بِالنِّسْبَة إلى تَعَدُّد القَوْمِ وَلا مَحْذُورَ نَعَمْ هَذَا المعْنَى لاَ يَصِحْ فِي أُمَّة خَاتَم الرُّسُل عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَإنَّ كَافَّةَ الأَنَامِ مَحْكُوم عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَة بِحُكْمٍ وَاحِدٍ لَيْسَ للهِ سُبْحَانَهُ فِيهَا حُكْمَانِ فِي وَاقِعَة وَاحِدَة.

فَإنْ قِيل: إذَا حَكَمَ نَبيّ منَ الأَنْبِيَاء أَوْلى العَزْم بِحَل أَمْر وَحَكَم نَبيّ آخَر مُتَابِع بِالحُرْمَة فِي ذَلِكَ الأَمْر يَلزَمُ أَنْ يَكُونَ الحُكْم الثَّاني نَاسِخًا لِلحُكْمِ الأَوَّل وَهَذَا غَيْر جَائِزٍ فَإنَّ النَّسْخَ[1] مَخْصُوصٌ بِأُولى العَزْم لاَ يَكُونُ غَيْره نَاسِخًا.

أُجِيبَ: إنَّ النَّسْخَ إنَّمَا يُلزِمُ إذَا كَانَ الحُكْم الثَّاني عَامًا بِالنِّسْبَة إلى كَافَّة النَّامّ فَيَرْفَعُ الحُكْم الأَوَّل الذي كَانَ بِالنِّسْبَة إلى قَوْمٍ مَخْصُوصٍ وَالحُكْم الثَّانِي لَيْسَ بِعَامٍّ هُنَا بَل هُوَ حُكْمٌ بِالحُرْمَة مَثَلا بِالنِّسْبَة إلى قَوْمٍ مَخْصُوصٍ فَلا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحُكْمِ الأَوَّل أَلا تَرَى أَنْ مُجْتَهِدًا يَحْكُمُ فِي وَاقِعَة بِالحليَة وَيَحْكُمُ مُجْتَهِد آخَرَ فِي عَيَّنَ تِلكَ الوَاقِعَة.بِالحُرْمَة وَلا نَسْخَ فِيه أَصْلا وَإنْ كَانَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ ذَاكَ تَفَاوُتًا فَاحِشًا فَإنَّ هُنَا رَأى وَهُنَاكَ أَعْلامٌ وَفِي الرَّأْي مَجَال لِتَعَدُّد الحُكْمِ وَفِي الإعْلام لاَ مَجَال لِلتَّعَدُّد وَلكِنَّ تَعَدُّدَ القَوْمِ يُجِيزُ ذَلكَ كَمَا مَرَّ؛ فَأَحْكَام الشَّرَائِع المَتَقَدِّمَة المفْهُومَة مِنْ كِتَابِ الأَنْبِيَاءِ أَوْلى العَزْم وَصُحُفِهِمْ بِحَسْبَ اللغَة لاَ مَجَال

---

[1] **النسخ:** لغة: عبارة عن التبديلا والرفع والإزالة.، **وشرعا:** هو أن يرد دليل شرعي متراخيا عن دليل شرعي، مقتضيا خلاف حكمه، فهو تبديل بالنظر إلى علمنا، وبيان لمدة الحكم بالنظر إلى علم الله تعالى. انظر: الجرجاني: التعريفات: ٣٠٩.

للمُخَالفَة فيهَا أَيْضًا للأَنْبيَاء المتَابعينَ بَل وَرَدَّتْ تلكَ الأَحْكَام بالنِّسْبَة إلى كَافَّة الأَنَام فَكل نَبيّ مُتَابع الرَّأْي قَوَّمَ أَرْسَلَ وَأَيّ قَوْمٌ يَدْعُو لاَ يَبْلغُهُمْ خلافَ تلكَ الأَحْكَام فَإنَّ حَلا فَللكُل وَإنْ حُرْمَة، فَعَليّ الجَميع إلى أَنَّ يَبْعَث نَبيّ آخَر مِنْ أُولي العَزْم فَيَرْفَعُ هَذَا الحُكْم فَفي هَذَا الوَقْت يَتَصَوَّرُ النُّسخ فَالنَّسخ إنَّمَا هُوَ باعْتبَار الأَحْكَام المأْخُوذَة منَ الصُّحُف المنْزلة بحَسَب اللغَة وَالأَحْكَام التي ثُبِّتَتْ بالاجْتهَاد وَالأَعْلام وَنُسبَتَ الى القيَاس وَالسُّنَّة فَالنُّسخ غَيْر مُتَصَوِّر فيهَا فَإنَّ هَذه الأَحْكَامَ إنَّمَا هيَ بالنِّسْبَة إلى بَعْض دُون بَعْض فَاجْتهَاد نَبيّ وَكَذَلكَ سُنَّتُهُ لاَ يَكُونَان رَافعينَ لاجْتهَاد نَبيّ آخَر وَسنَته فَإنَّ ذَاكَ بالنِّسْبَة إلى قَوْمٍ وَهَذَا بالنِّسْبَة إلى قَوْم آخَرينَ فَإنْ كَانَ اخْتلاف الحُكْمَيْن بالنِّسْبَة إلى كَافَّة الأَنَام أَوْ بالنِّسْبَة إلى قَوْم وَاحد فَهُوَ نَسْخٌ البَتَّة كَمَا أَنَّ الحُكْمَ في شَريعَتنَا بالنِّسْبَة إلى كَافَّة الأَنَام وَالحَكمِ الثَّاني نَاسخ للحُكْم الأَوَّل فَسنَة نَبيّنَا عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَسْليمَاتُ اللاحقَة تَكُونُ نَاسخَة لسنَته السَّابقَة وَلا يَجُوزُ نَسْخ هَذه الشَّريعَة بَعْدَ نُزُول عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَمُتَابعَته لهَذه الشَّريعَة وَاتِّبَاعه لسُنَّة نَبيِّنَا عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ.

يَكَادُ يُنْكرُ عُلَمَاءُ الظَّاهرَ لُمجْتَهدَاته عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ منْ كَمَال الدِّقَّة وَغُمُوض المأْخَذ وَيَزْعُمُونَهَا مُخَالفَة للكتَاب وَالسُّنَّة وَمثْل رَوْح الله مثْل الأَمَامِ الأَعْظَم الكَوْفَى فَإنَّهُ ببَرَكَة الوَرَع وَالتَّقْوَى وَبدَوْلة مُتَابعَة السُّنَّة نَال في الاجْتهَاد وَالاسْتنْبَاط دَرَجَة عَليًّا بحَيْثُ يَعْجزُ الآخَرُونَ عَنْ فَهْمه وَيَزْعُمُونَ مجتهداته بوَاسطَة دقَّة المَعَاني مُخَالفَة للكتَاب وَالسُّنَّة وَيَظُنُّونَهُ وَأَصْحَابَه أَصْحَاب الرَّأْي كُل ذَلكَ لعَدَمِ الوُصُول إلى حَقيقَة علمه وَدرَايَته وَعَدَم الاطِّلاعِ عَلى فَهْمه وَفرَاسَته إلا أَنَّ الإمَامَ الشَّافعيُّ وَجَدَ نُبْذَةً منْ دقَّة فقَاهَته عَلَيْهمَا الرِّضْوَان حَيْثُ قَالَ النَّاس كُلهمْ عيَال في الفقْه لأَبَى حَنيفَة فَوَيْل لقاصرى النَّظَر عَلى جَرَاءَتهمْ حَيْثُ يَنْسُبُونَ قُصُورهمُ الى الغَيْر.

لوْ عَابَهُمْ قَاصر طَعْنًا بهمْ سَفَهًا   بَرَّأَتْ سَاحَتَهُمْ عَنْ أَفْحَش الكَلمِ
هَل يَقْطَعُ الثَّعْلبُ المحْتَال سلسلة   قَيِّدَتْ بهَا أَسَد الدُّنْيَا بأُسَرهمْ

وَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ مَا قَالهُ الخَوَاجَهْ مُحَمَّد بارسا قُدِّسَ سرُّهُ في الفُصُول السِّتَّة منْ أَنَّ عيسَى عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَعْمَل بَعْدَ النُّزُول بمَذْهَب الإمَام أَبي حَنيفَة بوَاسطَة هَذه المنَاسبَة التي لهُ رضي الله عنه بحَضْرَة رَوْح الله عَلَيْه السَّلامُ يَعْني: أَنَّ اجْتهَاد رَوْح الله يَكُونُ مُوَافقًا لاجْتهَاد الإمَام الأَعْظَم لاَ إنَّهُ يُقلدُ مَذْهَبَهُ

فَإِنَّ شَأْنَهُ عَلَيْه السَّلَامُ أَعْلى وَأَجل مِنْ أَنْ يُقلدَ عُلمَاء الأُمَّة وَنَقُول مِنْ غَيْرِ شَائبَة تَكَلف وَتَعَصُّب إِنْ نُورَانيَّة المذْهَب الحَنَفيّ تَرَى وَتَظْهَرُ في النَّظَر الكَشْفيّ كَالبَحْرِ العَظيم، وَسَائر المَذاهب تَظْهَرُ مثْل الحيَاضِ وَالجدَاول وَإِذَا لوحظَ في الظَّاهر أَيْضًا يُوجَدُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ منْ أَهْل الإِسْلَامِ مُتَابعينَ لأَبى حَنيفَة عَلَيْه الرَّحْمَة وَالرِّضْوَان وَهَذَا المذْهَب مَعَ كَثْرَة مُتَابعيه مُمْتَاز عَنْ سَائِرِ المَذَاهب في الأُصُول وَالفُرُوع وَلهُ في الاسْتنْبَاط طَرِيق عَلى حدَة وَهَذَا المعْنَى مُنْبئ عَنِ الحَقيقَة.

وَالعَجَب أَنَّ الإِمَامَ أَبَا حَنيفَة أَسْبَقُ قَدَمًا منَ الكُل في تَقْليد السُّنَّة وَيَعْتَقدُونَ الأَحَاديثَ المرْسَلة كَالأَحَاديث المسْنَدَة مُسْتَحقَّة للمُتَابَعَة وَيُقدِّمُهَا عَلى رَأْيه وَكَذَلكَ يُقَدِّمُ قَوْل الصَّحَابَة عَلى رَأْيه بوَاسطَة نَيْلهمْ شَرَف صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ والتَسْليمَاتُ وَالأَخَرُونَ لَيْسُوا كَذَلكَ وَمَعَ ذَلكَ يَزْعُمُهُ المخَالفُونَ صَاحب رَأْى وَيَنْسُبُونَ إِلَيْه أَلفَاظًا تُنْبئُ عَنْ سُوءِ الأَدَب مَعَ أَنَّ الكُل مُعْتَرِفُونَ بكَمَالَ علمه وَوُفُور وَرَعه وَتَقْوَاهُ رزَقَهمُ اللهُ سُبْحَانَهُ التَّوْفيق لئَلا يُؤْذُوا رَأَى الدِّين وَرَئيس أَهْل الإِسْلَامِ وَالسَّوَاد الأَعْظَم منَ المُسْلمينَ يُريدُونَ أَنْ يُطْفئُوا نُورَ الله بأفَاوَاههم وَالذينَ يَقُولونَ لهَؤلَاء الأَكَابر أَصْحَاب الرَّأْي فَإِن اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ برَأْيهمْ لاَ يَتَّبعُونَ الكتَابَ وَالسُّنَّة يَكُونُ السَّوَاد الأَعْظَم منْ أَهْل الإِسْلَامِ بزَعْمهمُ الفَاسد ضَالينَ مُبْتَدعينَ، بَل يَكُونُونَ خَارجينَ عَنْ زُمْرَة أَهْل الإِسْلَامِ، وَلا يُسْعدُ ذَلكَ إِلا جَاهل لَيْسَ لَهُ خَبَرٌ عَنْ جَهلَة وَزِنْديق مَقْصُوده إِبْطَال شَطْر الدِّين وَمَا أَعْظَمَ جَهَالةً نَاقص جَمْع أَحَاديثَ مَعْدُودَة وَجَعَل أَحْكَامِ الشَّرِيعَة مُنْحَصرَة فيهَا وَطَفقَ يُنْفى مَا وَرَاءَ مَعْلُومه وَيُجْعَل مَا لَمْ يَثْبُتْ عنْدَهُ مَنْفيًّا.

وَلَيْسَ لشَيْء كَامن جَوْفَ صَخْرَة   سوَاهَا سَموَات لدَيْه وَلا أَرْضَ

وَيْل لَهُمُ الف مَرَّة عَلى تعصباهم البَاردَة وَأَنْظَارهمُ الفَاسدَة فَإِنَّ بانى الفقه هُوَ أَبُو حَنيفَة وَقَدْ سَلمُوا لهُ في ثَلاثَة أَرْبَاع الفقْه وَاشْتَرَكَ البَاقُونَ في الرُّبْع البَاقي وَهُوَ صَاحبُ البَيْت في الفقْه وَيَغُرُّهُ كُلهمْ عيَال لَهُ وَمَعَ وُجُود التزَام هَذَا المذْهَب كَانَ لي مَعَ الإِمَامِ الشَّافعيِّ مَحبَّة ذَاتيَّة وَاعْتَقَدَهُ عَظيمًا وَلهَذَا أُقَلدُ مَذْهَبَهُ في بَعْض الأَعْمَال النَّافلة وَلكنْ مَاذَا أَصْنَعُ أَحدُ الآخرينَ في جَنْب الإِمَامِ أَبي حَنيفَة مَعَ وُجُود وَفَوْرَ العلم وَكَمَال التَّقْوَى كَالأَطْفَال وَالأَمْر إِلى الله سُبْحَانَهُ المتَعَال.

وَلنَرْجع إلى أَصْل الكَلام فنَقُول: قَدْ سَبَقَ أَنَّ اخْتلاف الأَحْكَامِ الاجْتهَاديَّة لَيْسَ بمُسْتَلزِمَةٍ لنُسَخٍ وَإِنْ صَدْر ذَلكَ الاخْتلاف منْ نَبيّ بخلاف

الاخْتِلاف الوَاقِع فِي أَحْكَام الكِتَاب وَالسُّنَّة فَإِنَّهُ مُوجِبٌ للنُّسَخ كَمَا مَرَّ تَحْقِيقُهُ أَيْضًا فَتُقَرِّرُ أَنَّ المُعْتَبَرَ فِي إِثْبَات الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة هُوَ الكِتَابُ وَالسُّنَّة وَقِيَاس المُجْتَهِدِينَ وَإِجْمَاع الأُمَّة أَيْضًا مُثْبِتَان للأَحْكَام وَبَعْدَ هَذه الأَدلة الأَرْبَعَة الشَّرْعِيَّة لاَ يَكُونُ شَيْء مِنَ الدَّلِيل مُثْبِتًا للأَحْكَام أَصْلا لاَ يَكُونُ الالهَام مُثْبِتًا للحَل وَالحُرْمَة وَلا كَشْفَ أَرْبَاب البَاطِن للفَرْضِ وَالسُّنَّة وَأَرْبَاب الولاَيَة الخَاصَّة مُسَاوِيَة لعَامَّة المؤْمنِينَ فِي تَقْلِيد المُجْتَهِدِينَ لاَ يوجبهم الكُشُوف والإلهامات مَزِيَّة عَلى غَيْرِهِمْ فِي ذَلكَ وَلا يُخرِجُهُمْ عَنْ رِبْقَة التَّقْلِيد فِيمَا هُنَالكَ وَذُو النُّون(١) والبِسْطَامِيّ وَالجُنَيْدُ والشبلى مُسَاوُونَ لزَيْد وَعَمْرو وَبَكْر وَخَالد الذينَ هُمْ مِنْ عَوَامِّ المؤْمنِينَ فِي تَقْلِيد المُجْتَهِدِينَ فِي الأَحْكَام الاجْتِهَادِيَّة نَعَمْ إِنْ مَزِيَّةً هَؤُلاء الأَكَابِر فِي أُمُور أُخْرَى وَهُمْ أَصْحَابُ الكُشُوف وَالمُشَاهَدَات وَهُمْ أَيْضًا أَرْبَاب التَّجَلِّيَات وَالظُّهُورَات قَدْ انْقَطَعُوا بِوَاسِطَة اسْتِيلاء مَحَبَّة المَحْبُوب الحَقِيقِيّ عَمَّا سِوَاهُ جَل سُلْطَانُهُ وَعَتَقُوا عَنْ رُؤْيَة الغَيْر وَإِدْرَاك الغَيْرِيَّة فَإِنْ كَانَ لَهُمْ حَاصِل فَهُوَ هُوَ سُبْحَانَهُ وَإِنْ كَانُوا وَاصِلينَ فَإِلَيْه تَعَالى وَهُمْ فِي العَالم بِلا عَالم وَمَعَ أَنْفُسِهِمْ بلا أَنْفُسِهِمْ فَإِنْ عَاشُوا يَعِيشُونَ لأَجْله وَإِنْ مَاتُوا يَمُوتُونَ لأَجْله وَمُبْتَدِيهِمْ يُشَاهِدُ المَطْلُوب بِوَاسِطَة غَلَبَة المَحَبَّة فِي مِرْآة كُل ذَرَّة مِنْ ذَرَّات العَالم وَيَجِدُ كُل ذَرَّة جَامِعًا لجَمِيع الكَمَالات الإسمائية وَالصِّفَاتِيَّة فَمَا أَبْدَى مِنْ عَلامَات منتهيهم فَإِنَّهُمْ لاَ عَلامَةَ لَهُمْ وَأَوَّل قَدَمِهِمْ نِسْيَان السِّوَى فَمَا أَظْهَرَ مِنْ قَدَمِهِمُ الثَّانِي فَإِنَّهُ فِي خَارِجَ الآفَاق وَالأَنْفُس وَالالهَام لَهُمْ وَالكَلام مَعَهُمْ أَكَابِرِهِمْ يَأْخُذُونَ العُلُومَ وَالأَسْرَارَ مِنَ الأَصْل بلا تَوَسُّط وَكَمَا أَنَّ المُجْتَهِدَ تَابِع لرَأْيِه وَاجْتِهَاده هُمْ أَيْضًا تَابِعُونَ فِي المَعَارِف وَالمَوَاجِيد لالهَامِهِمْ وَفِرَاسَتِهِمْ كُتِبَ. حَضْرَة الخَوَاجَهْ مُحَمَّد بارسا قُدِّسَ سِرُّهُ أَنَّ رُوحَانِيَّةَ الخُضَر عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُتَوَسِّطَة فِي إِفَاضَة العُلُوم اللدُنِّيَّة وَالظَّاهر أَنَّ هَذَا الكَلامَ بِالنِّسْبَة إِلى الابْتِدَاء وَالتَّوَسُّط وَمُعَامَلَة المُنْتَهِيَ شَيْء آخر كَمَا يَشْهَدُ به الكَشْفُ الصَّرِيحُ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّحْقِيق مَا نَقَل عَنِ الشَّيْخ عَبَدَ القَادر الجيلانى قَدَّسَ اللهُ تَعَالى سِرَّهُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا بَيْنَ العُلُومِ وَالمَعَارِف عَلى رَأْس المِنْبَر فَمَرَّ عَلَيْه الخُضْر فِي ذَلكَ الأَثْنَاء فَقَال لهُ الشَّيْخ أَيُّهَا الإسرائيلى تَعَالى اسْمَعْ كَلام المحمدى يَفْهَمُ مِنْ

---

(١) ـــ **ذو النون المصري**: ذو النون ابن إبراهيم المصري أبو الفيض) صوفي، من أهم كتبه: الركن الأكبر، والثقة في الصنعة. توفي سنة ٢٤٥هـ، انظر:ة الفهرست لابن النديم ١ /٣٥٨، معجم المؤلفين لكحالة ١ /٧٠٧.

عِبَارَة الشَّيْخِ هَذه أَنَّ الخُضْرَ لَيسَ مِنَ المحمديين بَل مِنَ المِلل السَّابِقَةِ فَإِذَا كَانَ كَذَلكَ كَيْفَ يَكُونُ وَاسطَة للمحمديين.

فَتحَقَّقَ أَنَّ العُلومَ وَالمَعَارِف شَيْء آخر مَا وَرَاءَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَهْل اللهِ مَخْصُوصُونَ بهَا وَإِنْ كَانَتْ تلكَ المَعَارِف ثَمرَات هَذه الأَحْكَامِ وَنَتَائجهَا.

وَالمَقْصُود مَنْ غَرْسِ الأَشْجَارِ حُصُول الثِّمَارِ وَمَادَامَت الأَشْجَار قَائمَة الثِّمَار مُتَوقِّعَة فَإِذَا تَطرَّقَ الخَلل إلى أَصْل الأَشْجَارِ فَقَد انْعدَمَ الإِثْمَار وَمَا أَعْظَمَ حَمَاقَةَ مَنْ يَقْلعُ الشَّجَرَ وَتَتَوقَّعُ الثَّمَرَ وَكُل مَا يُحْسنُ تَرْبيَة الأَشْجَار يَحْصُل منْهَا جَيِّد الإِثْمَار أَكْثَر وَأَوْفَر وَالثَّمرَة وَإِنْ كَانَتْ مَقْصُودَة وَلَكنَّهَا فَرْعُ شَجَرَة.

فَينْبَغي أَنْ يَقيسَ مُلتَزمُ الشَّرِيعَة وَالمُدَاهِن في الشَّرِيعَة عَلى هَذَا المعْنَى فالذي فيه التزَام الشَّرِيعَة فَهُوَ صَاحبُ مَعْرفَة وَكُل مَا كَانَ الالتزَامُ أُكْثرُ تَكُونُ المعْرفَةُ أَوْفَرَ وَالذي هُوَ مُدَاهِنٌ لاَ نَصيبَ لهُ من المعْرفَة وَمَا فيه منْهَا بزَعْمه الفَاسد بالفَرْضِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا فِي الحَقيقَة فَهُوَ منْ قَبيل الاسْتدْرَاجِ الذي فيه شَرِكَة للجوكية وَالبَرَاهمَة كُل حَقيقَة ردَّته الشَّرِيعَة فهيَ زَنْدَقَة وَالحَاد فَيَجُوزُ أَنْ يَفْهَمَ خَوَاصّ أَهْل اللهِ فِي مَعَارِف تَتَعَلقُ بذَاته وَصفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى بَعْض الأَسْرَارِ والدقايق التِي ظَاهِر الشَّرِيعَة سَاكت عَنْهَا وَأَنْ يجدُوا الأُذنَ وَعَدَم الأُذن منْهُ تَعَالى فِي الحَرَكَات وَالسَّكَنَات وَأَنْ يعرِفُوا مَرَضيَّه وَغَيْرَ مَرضيَه سُبْحَانَهُ و كَثيرًا مَا يَجدُون أَدَاء بَعْضِ العبَادَة النَّافلة غَيْر مَرْضَى وَيَكُونُونَ مَأْذُونَيْن بتَرْكه وَيَفْهَمُونَ أَحْيَانًا أَوْلويَّة النَّوْمِ مِنَ اليَقَظَة الأَحْكَام الشَّرْعيَّة مُؤَقَّتَةٌ بالأَوْقَات وَالأَحْكَام الالهَاميَّة ثَابتَة في جَميع الأَوْقَات فَإذَا كَانَ حرَكَات هَؤُلاء الأَكَابر وَسَكَنَاتَهمْ مَرْبُوطَة بالأُذن تَكُونُ النَّوَافل عنْدَ غَيْرهمْ فَرَائض عنْدَهُمْ مَثَلا الفعْل الوَاحد نَفْل بالنِّسْبَة إلى شَخْص يَحْكُمُ الشَّرِيعَةَ وَفَرْض بالنِّسْبَة إلى شَخْص آخرَ يَحْكُمُ الالهَام فَالأَخرُون يُؤَدُّون النَّوَافل أَحْيَانًا وَيرْتَكبُونَ الأُمُورَ المبَاحَةَ أَحْيَانًا وَهؤُلاء الأَكَابر لصُدُور أَفْعَالهمْ بأَمْر المَوْلى وَأُذْنه تَكُونُ أَفْعَالهمْ كُلهَا من الفَرَائضِ وَالمُسْتَحبّ. وَالمُبَاحُ عنْدَ غَيْرهمْ فَرْضَ غَيْرِهمْ فَرْض ليُدْرك عُلوّ شَأْن هَؤُلاء الأَكَابرِ منْ هَهُنَا وَعُلمَاءَ الظَّاهر يَخُصُّونَ الإخبارات الغَيْبيَّة فِي أُمُور الدُّنْيا بالأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلوَاتُ والتَسْليمَاتُ لاَ يُشْرِكُون غَيْرَهُمْ فِي تلكَ الأخبارات وَهَذَا المعْنَى مُنَاف للورَاثَة وَنَفْي لكَثير منَ العُلومِ وَالمَعَارِف الصَّحيحَة التِي تَتعَلقُ بالدِّينِ المتينِ نعَم الأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة مَرْبُوطَة بالأدلة الأَرْبَعَة لاَ

مَجَال فيهَا للالهَام وَلكنَّ الأُمُورَ الدِّينيَّةَ وَرَاءَ الأَحْكَام الشَّرْعيَّة كَثيرَة وَالأَصْل الخَامسَ فيهَا الهَام بَل يُمْكنُ أَنْ يُقَال الأَصْل الثَّالثُ الهَام وَبَعْدَ الكتَاب وَالسُّنَّة هَذَا الأَصْل قَائم وَثَابت إِلى انْقرَاض العَالم فَمَا تَكُونُ نسْبَة الآخَرينَ لهَؤُلاء الأَكَابر وَرُبَّمَا تَصْدُرُ العبَادَة عَن الآخَرينَ وَتَكُونُ غَيْرَ مَرْضيَّة وَهَؤُلاء الأَكَابر يَتْرُكُونَ العبَادَةَ في بَعْض الأَحْيَان وَيَكُونُ ذَلكَ التَّرْك مُرْضيًا فَكَانَتْ تَرْكهُمْ أَفْضَل عنْدَ الحَقِّ جَل وَعَلا منْ فعْل غَيْرِهمْ وَالعَوَامِّ حَاكِمُونَ بِخلاَفِ ذَلكَ يَعْتَقدُونَ ذَلكَ عَابدًا وَهَذَا مَكَّارًا وَمُعَطِّلا.

فَإِنْ قيل: لَمَا كَانَ الدِّين كَاملا بالكتَاب وَالسُّنَّة فَمَا الحَاجَةُ بَعْدَ الكَمَال إِلى الالهَامِ وَأَيّ نُقْصَان بَقيَ حَتَّى يَتَكَامَل بالالهَام:

أُجيبَ : الالهَام مُظْهر الكَمَالات الخَفيَّة للدِّين لاَ مُثْبِتَ الكَمَالات الزَّائدَة في الدِّين كَمَا أَنَّ الاجْتهَادَ مَظْهَر للأَحْكَامِ الالهَام مَظْهَر للدَّقَائق وَالأَسْرَار التي فَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ قَاصر عَنْهَا وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الاجْتهَادِ وَالالهَامِ فَرْق وَاضِح لكَوْنِ ذَلكَ مُسْتَندًا إِلى الرَّأْي وَهَذَا إِلى

خَالق الرَّأْي

جُل سُلطَانه فَظَهَرَ في الالهَام قَسَم منَ الأَصَالة لَيْسَ هُوَ في الاجْتهَاد وَالالهَام شَبيه بإعْلام النَّبيِّ الذي هُوَ مَأْخَذُ السُّنَّة كَمَا مَرَّ وَإِنْ كَانَ الالهَام ظَنِّيًا وَالأَعْلام قَطْعيًّا {رَبَّنَا آتنَا منْ لدُنْكَ رَحْمَة وَهَيِّئْ لنَا منْ أَمْرِنَا رُشْدًا}⁽¹⁾ {والسلام على من اتبع الهدى}⁽²⁾.

---

(١) الكهف: ١٠

(٢) طــه: ٤٧

المكْتُوبُ التَّاسعُ وَالسِّتُّونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى مَوْلانَا عَبْد القَادر الأنبالي

فِي بَيَانَ أَنَّ مُعَامَلةَ العَارِف تَبْلغُ مَرْتَبَةَ يَكُونُ حُكْم سَيِّئَات الآخَرِينَ بالنِّسْبَة إلَيْه حَسَنَات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {أُولئكَ يُبَدِّل اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَات}(١) تُبلغُ مُعَامَلة العَارف بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ وَحُرْمَة حَبيبه عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مَرْتَبَة تَصيرُ سَيِّئَات الآخَرينَ فِي حَقِّه حَسَنَات وَتَكُونَ الصِّفَة الرَّذيلة بالنِّسْبَة إلى غَيْره حَميدَة بالنِّسْبَة إلَيْه مَثَلا الرِّيَاء والسمعة منَ السَّيِّئَات وَمنْ رَذَائل الأَوْصَاف يَعْرضُ لَهُمَا فِي حَقِّه الحَسَن وَتَأْخُذُ أَنَّ حُكْم الحَمْد وَالشُّكْر فَإنَّ ذَلكَ الدَّرْويش قَدْ سَلبَ عَنْ نَفْسه جَميع أَقْسَام العَظَمَة وَالكبْرِيَاء وَنَسَبَهَا إلى جَنَاب قُدْس الحَقّ جَل سُلطَانُهُ وَأَبْعد عَنْ نَفْسه جَميع أَنْوَاعِ الحُسْنِ وَالجَمَال وَالخَيْر وَالكَمَال وَخَصَّصَهَا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لاَ يَجدُ نَفْسه غَيْر شَرّ وَنَقْص وَلا يُرَى فِي نَفْسه غَيْر ذُل وَافْتقَار وَانْكسَار فَإنْ كَانَ فَرْد منْ أَفْرَاد الكَمَال فَرضًا مُتَوَجِّهًا فِي الظَّاهر يَجدُهُ مرْقَاتًا يَتَرَقَّى منْهَا إلى فَوْق وَيَصل إلى جُنَاب يَليقُ بالعَظَمَة وَالكبْرِيَاء وَهَكَذَا حَال الحَسَنِ وَالجَمَال وَالخَيْرِ وَالكَمَال لَيْسَ لَهُ نَصيب منْهَا غَيْر أَنَّ تَكُونَ هَذه الأَشْيَاء مراقى لتَرَقّيْه وَالأَمَانَات رَاجعَة إلى أَهْل الأَمَانَات فَفِي صُورَة الرِّيَاء وَالسُّمْعَة لَيْسَ مَقْصُودَة الاشْتهَار وَالافْتخَار وَالرِّفْعَة وَالعَظَمَة بَل إظْهَار نعْمَة الحَقِّ وَإعْلام إحْسَانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى إلَيْه فَكَانَ الرِّيَاء وَالسُّمْعَة عَيْن حَمَد الحَقّ وَشُكْره تَعَالى وَتَقَدَّسَ وَخَرَجَا منَ الرَّذَالة إلى المحْمَدَة وَعَلى هَذَا القيَاسِ سَائر الصِّفَات {أُولئكَ يُبَدِّل اللهُ سَيِّئَاتهِم حَسَنَات وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحيمًا}(٢) ،،، ،،، ،،،، وَالسَّلام.

---

(١) الفرقان ٧٠

(٢) الفرقان ٧٠

اَلمكْتُوبُ السَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائة

إلى الملا غازَى النَّائب

فِي بَيَان أَنَّ ذَكْرَ الحَقّ جَل وَعَلا أَوْلَى منَ الصَّلوَاتُ عَلى خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ لكنْ بشَرْط أَنْ يَكُونَ الذِّكْرَ حَقيقًا بالقَبُول وَمُتَلقًّى منْ شَيْخٍ مُقْتَدًى وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

قَدْ كُنْت أَوْقَاتًا مَشْغُولا بصَلاة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ بأَنْوَاعهَا وَأَقْسَامهَا وَوَجَدْتُهَا تَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا نَتَائج وَثَمَرَات عَاجلة وَاهْتَديْتُ بهَا الدَّقَائق الولاَيَة الخَاصَّة المحَمَّديَّة عَلى صَاحبهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ وَالتَّحيَّةُ وَأَسْرَارهَا وَلَمَّا مَضَتْ مُدَّةٌ عَلى هَذَا العَمَل وَقَعَ الفُتُورُ فِي هَذَا الاشْتغَال اتِّفَاقًا وَزَال تَوْفيق المواظَبَة عَلَيْه وَوَقَعَ الاقْتصَار عَلى صَلوَات مُؤَقَّتَة وَاسْتَحْسَنَ لي فِي هَذَا الوَقْت الاشْتغَال بالتَّسْبيح وَالتَّقْديس وَالتَّهْليل بَدَلً الصَّلوَاتُ فَقلت وَلعَل فِي هَذَا الأَمْر حكْمَة أُنْظُرْ مَاذَا يَظْهَرُ فَعَلمَ أَخيرًا بعنَايَة الله تَعَالى أَنَّ الذِّكْر فِي هَذَا الوَقْت أَفْضَل منَ الصَّلوَاتُ فِي حَقّ مَنْ يُصَلي وَفِي حَقّ مَنْ يُصَلى عَلَيْه وَذَلكَ منْ وَجْهَيْن: السَّائليْن أَحَدُهُمَا مَا وَرَدَ فِي الحَديث القُدُسيِّ: "مَنْ شَغَلَهُ ذكْري عَنْ مَسْئلتي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَل مَا أُعْطي السَّائلينَ".

وَالوَجْه الثَّاني: هُوَ أَنَّ الذِّكْرَ مَأْخُوذٌ منَ النَّبيّ ﷺ فَكَمَا أَنَّ ثَوَاب ذَلكَ الذِّكْر يَصل إلى الذَّاكر يَصل إليْه ﷺ أَيْضًا مثْل ذَلكَ الثَّوَاب قَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ " مَنْ سَنَّ سَنَة حَسَنَة فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمل بهَا"(١).

وَكَذَلكَ كَل عَمَل صَالح حَاصل منَ الأُمَّة كَمَا أَنَّ أَجْرَهُ يَصل إلى العَامل يَصل أَيْضًا مقْدَار ذَلكَ الأَجْر إلى النَّبيّ الذي هُوَ وَاضعُ ذَلكَ العَمَل وَشَارعه منْ غَيْر أَنْ يَنْقُصَ مَنْ أَجْرَ العَامل شَيْء وَلا يَلزَمُ أَنْ يَعْمَل العَامل عَمَله بنيَّة النَّبيّ فَإنَّهُ عَطَاء الحَقّ جَل سُلطَانُهُ لاَ صُنْعَ للعَامل فيه نعَم إنْ وُجدَت النِّيَّة للنَبيّ أَيْضًا منَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم: ك: الزكاة. ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة. ح ١٠١٧.، سنن النسائي: ب: التحريض على الصدقة.، وأحمد في المسند: أول مسند الكوفيين:حديث جرير بن عبد الله.، والطبراني في الكبير: جرير بن عبد الله البجلي.

العَامل يَكُونُ بَاعثًا عَلى ازْديَاد أَجْر العَامل وَهَذه الزِّيَادَة أَيْضًا تَعُودُ إلى النَّبيّ {ذَلكَ فَضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظيم}(١)

وَلا شَكَّ أَنَّ المَقْصُودَ الأَصْليّ منَ الذِّكر هُوَ تُذْكَرُ الحَق سُبْحَانَهُ وَطَلب الأَجْر طُفَيْليّ لهُ وَفي الصَّلاة المقْصُود الأَصْليّ هُوَ طَلبُ الحَاجَة شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا فَالفيُوض التي تَصل إلى النَّبيّ ﷺ منْ طَريق الذِّكْر تَكُونُ زَائدَة بأَضْعَاف عَلى البَركَات التي تَصل إليْه ﷺ منْ طَريق الصَّلوَاتُ.

يَنْبَغي أَنْ يُعْلَم أَنَّ هَذه الرُّتْبَةَ ليْسَتْ هيَ لكُل ذكْر بَل هيَ مَخْصُوصَة بالذِّكْر الذي حَقيق بالقَبُول وَالذِّكْر الذي ليس كذلك فلا صلاة مزية عليه ووصول البركات منها حينئذ أكثر توقعا ولكن الذكر الذي أَخْذه الطَّالب عَنْ شَيْخ كَامل مُكَمِّل وَدَاوَمَ عَليْه بشَرَائط الطَّريقَة أَفْضَل منَ الصَّلاة فَإنَّ هَذَا الذِّكْر وَوَسيلة ذَاكَ الذِّكْر وَمَا لمْ يَشْتَغل بهَذَا الذِّكْر لاَ يَصل إلى ذَاكَ الذِّكْر وَمنْ هَهُنَا لمَ يَجُوزُ مشائخ الطَّريقَة قَدَّسَ اللهُ تَعالى أَسْرَارَهُمْ اشْتغَال المُبْتَدى بغَيْر الذِّكْر وَأَمَرُوهُ بالاقْتصَار عَلى الفَرَائض وَالسُّنَن يَعْني: الرَّوَاتب وَمَنَعُوهُ منَ الأُمُور النَّافلة.

وَلاحَ منْ هَذَا البَيَان أَنَّهُ لاَ تَحْصُل لفَرْد منْ أَفْرَاد الأُمَّة وَإنْ بَلغَ في الكَمَالات دَرَجَة عَليًّا مُسَاوَاة لنَبيِّه فَإنَّ جَميعَ تلكَ الكَمَالات التي حَصَلتْ لهُ إنَّمَا هيَ بوَاسطَة مُتَابَعته لشَريعَة ذَلكَ.النَّبيّ فَتَكُونُ هَذه الكَمَالات كُلهَا أَيْضًا ثَابتَة لذَلكَ النَّبيّ مَعَ كَمَالات مُتَابعيه الأُخَر وَمَعَ كَمَالاته المخْصُوصَة به عَليْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ وَكَذَلكَ لاَ يَصل هَذَا الفَرْدُ الكَامل إلى مَرْتَبَة نَبيّ أَصْلا وَإنْ لمْ يَتْبَعْ لهَذَا النَّبيّ أَحَد وَلمْ يَقْبَل دَعْوَته فَإنَّ كُل نَبيّ صَاحب دَعْوَة بالأَصَالة وَمَأْمُور بتَبْليغ الشَّريعَة وَلا يَسْتَلزمُ إنْكَارَ الأُمَم قُصُورًا في الدَّعْوَة وَالتَّبْليغ وَ منَ البَيْن الظَّاهر أَنَّهُ لاَ يَبْلغُ كَمَال أَصْلا مَرْتَبَة الدَّعْوَة وَالتَّبْليغ فَإنَّ أَحَبَّ عبَاد الله إلى الله منْ أَحَبَّ اللهَ إلى عبَاده وَأَحَبَّ عبَاد الله إلى الله وَهُوَ الداعى وَالمُبْلغ وَلعَلك سَمعْت مَا وَرَدَ ف الخَبَر " أَنَّهُ يُوزَنُ مدَادُ العُلمَاء يَوْمَ القيَامَة بدَم الشُّهَدَاء في سَبيل الله فَيَتَرجَّحُ مدَاد العُلمَاء عَلى دَم الشُّهَدَاء"(٢).

---

(١) الحديد: ٢١

(٢) **ضعيف شديد الضعف:** ضعفه السيوطي في الجامع الصغير ح٩٦١٩، ووقال في موضع آخر: حديث "مدَادُ العُلَماء أَفْضَلُ منْ دَم الشُّهَدَاء" هو من كلام الحسن البصري، ورُوي مرفوعاً بلفظ: "وُزنَ حبْرُ العُلَمَاء بدَم الشُّهَدَاء فَرَجَحَ عَلَيْهمْ". قال الخطيب: وهو موضوع.(زيادة الجامع الصغير:

وَهَذه الدَّوْلَة لَمْ تَتَيَسَّرْ للأُمَّة وَمَا هُوَ حَاصِل فيهِمْ فَهُوَ طُفَيْلِيّ وَضِمْنَى الأَصْل أَصْل وَالفَرْع مُسْتَنْبَط يَنْبَغي أَنَّ يُدْرِكَ منْ هَهُنَا فَضْل أَعْيَان هَذه الأُمَّة وَمُبْلغيهِمْ وَإِنْ كَانَ فِي الدَّعْوَة وَالتَّبْليغ دَرَجَات وَالأَعْيَان وَالمُبَلغُونَ مُتَفَاوِتُون فِي الدَّرَجَات.

العُلَمَاء مَخْصُوصُونَ بِتَبْليغ الظَّاهر وَالصُّوفيَّة يَهْتَمُّونَ بالبَاطِنِ وَالذي هُوَ عَالِمٌ صوفى كِبْرِيت أَحْمَر وَمُسْتَحِقٌّ للدَّعْوَة والتبليغ ظاهر وباطن ونائب النبي ووراءه عليه وعلى آله الصلاة والسلام، واعتقد جماعة أَنَّ محدثى هَذه الأُمَّة الذينَ يُبَلغُونَ الأَحَاديثُ النَّبَويَّة عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَفْضَل هَذه الأُمَّة فَإِنْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ أَفْضَل مُطْلَقًا فَمَحَل خَدْشَة وَإِنْ اعْتَقَدُوا ذَلكَ بالنِّسْبَة إِلَى مبلغى الظَّاهر فَلَهُ مَسَاغ وَالفَضْل المطْلَق إِنَّمَا هُوَ للمُبَلغِ الجَامعِ بَيْنَ تَبْليغ الظَّاهر وَالبَاطن وَالدَّعْوَة الظَّاهرَة وَالبَاطنَة لأَنَّ فِي الاقْتصَار قُصُورًا يُنَافى إِطْلَاق الفَضْل فَافْهَمْ وَلا تَكُنْ مِنَ القَاصرِينَ.

نَعَمْ: إِنَّ الظَّاهرَ وَإِنْ كَانَ عُمْدَةً وَمَنَاطًا للنَّجَاة وَكَثير البَرَكَة وَعَميم المَنْفَعَة وَلكنْ كَمَّا لهُ مَرْبُوطٌ بالبَاطنِ وَالظَّاهر بلا بَاطنٍ غَيْر تَامٍّ وَالبَاطن بلا ظَاهر غَيْر مُعْتَدٍّ به وَالذي يَجْمَعُ بَيْنَ الظَّاهرِ وَالبَاطنِ كِبْريت أَحْمَر {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُل شَيْء قَدير}(١) {والسلام على من اتبع الهدى}(٢).

حرق الميم) وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة محمد بن الحسن بن أزهر من حديثه وقال: اتهمه الخطيب بوضع الحديث. انظر: المناوي: فيض القدير ح٩٦١٩.

وقال التفتي: "مداد العلماء أفضل من دم الشهداء" من قول الحسن البصري ولابن عبد البر من حديث سماك بن حرب عن أبي الدرداء رفعه "يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء" وللخطيب عن ابن عمر "وزن حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم" وفي سنده محمد بن جعفر المتهم بالوضع لكنه متابع.(تذكرة الموضوعات للتفتي: كتاب العلم. فصل في فضل مدادهم وكتابهم وكتبهم وأدبهما.)

(١) التحريم: ٨

(٢) طـه: ٤٧

اَلمكْتُوبُ الحَادِي وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى الخَوَاجَهْ مُحَمَّد التقى

فِي جَوَاب اسْتفْسَاره عَنْ عَالَمِ المثَال
وَفِي رَدِّ جَمَاعَة يَقُولونَ بالتَّنَاسُخِ
وَبَيَان الكُمُّون وَالبُرُوز
وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلحَمْد للهِ رَبِّ العَالمينَ وَالصَّلاة وَالسَّلامُ عَلى سَيِّدِ المرْسَلينَ وَآله الطَّاهرَيْن، قَدْ تُشَرِّفْنَا بمُطَالعَة الصَّحيفَة الصَّادرَة مِنْ حُسْنِ النَّشْأَة وَعُلوِّ الفطْرَة عَلى وَجْه الالتفَات سَلمَكُمُ اللهُ تَعَالى وكَتبم فيهَا أَنَّهُ نَقَل الشَّيْخَ مُحْيِي الدِّينِ ابْن العَرَبِيِّ قُدِّسَ سرُّه حَديثًا فِي فُتُوحَاته المَكِّيَّة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال: " إنَّ اللهَ خَلقَ مائَةَ الف آدم"(١) وَأَوْرَدَ حكَايَة فِي بَعْض مُشَاهَدَات عَالمِ المثَال أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ فِي وَقْت طَوَّاف الكَعْبَة المعَظَّمَة أَنْ جَمْعًا يَطُوفُونَ بالبَيْت وَأَنَا لاَ أَعْرِفُهُمْ وَأَنْشَدُوا فِي أَثْنَاءَ الطَّوَاف بَيْتَيْنِ عَرَبِيَّيْنِ أَحَد هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ هَذَا.

لَقَدْ طُفْنَا كَمَا طُفْتُمْ سنينَا بِهَذَا البَيْت طُرًّا أَجْمَعِيْنَا

وَلَمَا سَمِّعْتُ هَذَا البَيْتَ وَقَعَ الخَاطر(٢) أَنَّ هَؤُلاء مِنْ عَالمِ المثَال فَنَظر أَحَدهمُ الى جانبى مُقَارنًا لهَذَا الخُطُورِ وَقَال أَنَا مِنْ جُمْلة أَجْدَادك فَسَأَلتُهُ أَنَّهُ كَمْ مَضَى مَنْ فُوتكَ قَال أَزْيَد مِنْ أَرْبَعِينَ الفَ سَنَة فَقُلت عَلى وَجْه التَّعَجُّبَ إِنَّهُ لَمْ يَتم مِنْ ابْتدَاء خلقَة آدم أَبِي البَشَرُ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إلى الآن سَبْعَة آلاف سَنَة قَال مَنْ أَيِّ آدم تَقُول أَنَّ هَذَا هُوَ ذَاكَ آدم الذي خَلقَ فِي أَوَّل دَوْر سَبْعَة آلاف، قال الشَّيْخ: فَوقَعَ فِي الخَاطِر فِي ذَلكَ الوَقْت أَنَّ الحَديثَ النَّبويِّ الذي سَبَق ذِكْرِه مُؤَيِّد لهَذَا القَوْل.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) **الخاطر**: هو ما يرد على القلب من الخطاب،أو الوارد الذي لا عمل للعبد فيه. انظر: الجرجاني: التعريفات: ١٢٩.

أَيُّهَا المخْدُومُ المكْرِمُ: إنَّ مَا ظَهَرَ لهَذَا الفَقير في هَذه المسْأَلة بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ هُوَ أَنَّ جَميع الأوادم الذينَ مَضَوْا قَبْل وُجُود حَضْرَة آدَم عَلى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَانَ وُجُودهمْ في عَالم المثَال لاَ في عَالم الشَّهَادَة وَالذي وَجدّ في عَالم الشَّهَادَة وَنَال الخلافَةَ في الأَرْض وَصَارَ مَسْجُود الملائكَة هُوَ حَضْرَة آدَم أَبُو البَشَر فَحَسْبُ غَايَة مَا في البَاب أَنَّ آدَم لَما كَانَ مَخْلوقًا عَلى صفَة الجَامعيَّة وَلهُ في حَقيقَته لطَائف وَأَوْصَاف كَثيرَة كَانَ يُوجَدُ صفَة منْ صفَاته أَوْ لَطيفَة منْ لطَائفه في كُل وَقْت منَ الأَوْقَات قَبْل وُجُوده بشَخْصه بقُرُون مُتطَاولة بإيجَاد الحَقّ سُبْحَانَهُ وَتُظْهَرُ بصُورَة آدَم وَتُسَمِّيَ باسْمه وَكَانَ يَقَعُ منْهَا مَا سَيَقَعُ منْ آدم المنْتَظر حَتَّى ظَهَرَ منْهَا تَوَالد وَتَنَاسُل مُنَاسب لعَالم المثَال وَنَالتْ كَمالات صُوريَّة وَمَعْنَويَّة مُنَاسبَة لذَلكَ العَالم وَصَارَتْ مُسْتَحقَّة للثَّوَاب وَالعقَاب بَل قَامَت القيَامَة في حَقّهَا وَذَهَب الجنتى إلى الجَنَّة والجهنمى إلى جَهَنَّمَ ثُمَّ ظَهرَتْ بَعْدَ ذَلكَ في وَقْتٍ منَ الأَوْقَات بمَشيئَة الله سُبْحَانَهُ صفَة أُخْرَى منْ صفَاته أَوْ لطيفَة أُخْرَى مَنْ لطَائفَة عَلى نَبيّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في ذَلكَ العَالم وَظَهَرَ منْهَا مَا ظَهرَ منَ الأُولى وَلَمَّا تَمّ دَوْرُهَا أَيْضًا ظَهرَ ظُهُور ثَالث منْ صفَاته وَلطَائفه عَلى نَبيّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَلما أَتمَّ ذَلكَ الظُّهُور أَيْضًا دوره ظَهرَ ظُهُور رَابع وَهَكَذَا إلى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالى وَلَما تَمَّتْ دَوَائر ظهوراته المثَاليَّة التي تَتَعَلقُ بصفَاته وَلطَائفه وَجدَتْ آخر الأَمْر هَذه النُّسْخَة الجَامعَة في عَالم الشَّهَادَة بإيجَاد الله جَلَ سُلطَانُهُ وَصَارَتْ مُعَزَّزَة وَمُكَرَّمَة بعنَايَته تَعَالى فَإنْ وُجدَ مائَةُ الف آدَم فَليْسُوا إلا أَجْزَاء آدَم هَذَا وَمَوَادّه وَمُقَدمَات وُجُوده وَمَبَاديه وَجَدّ الشَّيْخ الأَكْبَر الذي مَضَى منْ فَوْقه أَزيدُ منْ أَرْبَعينَ الفَ سَنَة كَانَ لطيفَة في عَالم المثَال منْ لطَائفَ جَدّه فَإنَّ الشَّيْخَ الذي كَانَ لهُ وُجُود في عَالم الشَّهَادَة طَافَ بالبَيْت وَقَتئذ في عَالم المثَال فَإنَّ للكَعْبَة المعَظَّمَة أَيْضًا صورة وشبها في المثال هي قبلة لأهل ذلك العالم، والفقير أرسلت نظري في هذا الباب بَعيدًا وَتَعَمَّقَتْ فيه كَثيرًا فَلمْ يَقَعْ نظرى إلى آدَم آخَر في عَالم الشَّهَادَة وَلمْ أَجدْ غَيْر شعابذة عَالَم المثَال وَمَا قَالهُ البَدَن المثالى أَعْني قَوْلهُ أَنَا منْ جُمْلَة أَجْدَادك وَمَضَى منْ فَوْتَى أَزْيَد منْ أَرْبَعينَ الفَ سَنَة أَدَل دَليل عَلى أَنَّ الأَوادم الذينَ كَانَ وُجُودهمْ قَبْل وُجُود آدَم أَبُو البَشَر عَلَيْه السَّلامُ كَانُوا منْ ظهورات صفَات آدَم وَلطَائفه عَلَيْه السَّلامُ لاَ إنَّهُ كَانَتْ لهُمْ خلقَةٌ عَلى حدَة مُبَاينَة لخلقَة آدَم هَذَا فَإنَّهُ مَا نسْبَة المبَاين لآدَم هَذَا وَكَيْفَ يَكُونُ جَدّ الشَّيْخ فَإنَّهُ لمْ يَتم سَبْعَة آلاف سَنَة بَعْد منْ خلقَة آدَم

فإين المسَاغ لأرْبَعينَ الفَ سَنَة وَالذينَ فِي قُلوبهمْ مَرَض يَفْهَمُونَ مِنْ هَذه الحِكَايَة تَنَاسُخًا وَيَكَادُونَ يَقُولونَ بقِدَمِ العَالَمِ يُنْكِرُونَ القيمَةَ الكُبْرَى وَبَعْض الملاحدَة الذينَ جَلَسُوا فِي مُسْنَد الشَّيْخُوخَة بالبَاطِل يَحْكُمُونَ بجوَاز التَّنَاسُخ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ النَّفْسَ مَا لَمْ تُبَلغ حَدَّ كَمَالهَا لا بُدَّ لهَا مِنَ التَّقَلب فِي الأَبَد أَنْ وَيَقُولونَ أَنَّهَا إِذَا بَلغَتْ حَدَّ الكَمَال فَقَدْ فَرَغَتْ مِنَ التَّقَلب فِي الأَبْدَان بَل مِنَ التَّعَلق بالأَبْدَان وَالمَقْصُود مَنْ خلقَتْهَا كَمَالهَا فإذَا تَيَسَّرَ كَمَالهَا فَقَدْ حَصَل المَقْصُود وَهَذَا القَوْل كُفْر صَريح وَإِنْكَار عَلى مَا ثَبَتَ مِنَ الدِّين بالتَّوَاتُر(١) فَإِنَّهُ إِذَا بَلغَتْ كُل النُّفُوس حَدَّ الكَمَال فِي الآخر لمَنْ تَكُونُ جَهَنَّمَ وَمَنْ يَكُونُ مُعَذَّبًا وَقَولهمْ هَذَا إِنْكَارٌ لجَهَنَّمَ وَإِنْكَارٌ للعَذَاب الأخروى وَإِنْكَارٌ أَيْضًا لحَشْر الأَجْسَاد فَإِنَّهُ لمْ يَبْقَ للنَّفْس بزَعْمهمُ الفَاسد احْتيَاجٌ إلى الجَسَد الذي هُوَ آلة لكمَالاتهَا حَتَّى تُحْشَرَ الأَجْسَاد وَاعْتقَاد هَذه الجَمَاعَة مُوافق لاعْتقَاد الفَلاسفَة فَإِنَّهُمْ يُنْكرُونَ حَشْر الأَجْسَاد وَيَقُولن بالثَّوَاب وَالعَذَاب الرُّوحَانيَّيْنِ بَل اعْتقَادهمْ أَسْوء من اعْتقَاد الفَلاسفَة فَإِنَّهُمْ يُنْكرُونَ التَّنَاسُخ وَيَردُونَ قَوْل مَنْ يَقُول به وَيُثَبِّتُون العَذَاب الروحانى وَهَؤُلاء يُثْبتُونَ التَّنَاسُخ وَيُنْكرُونَ العَذَابَ الأخروى وَالعَذَابَ عنْدَ هَؤُلاء يُثْبتُونَ التَّنَاسُخ وَيُنْكرُونَ العَذَابَ الأخروى وَالعَذَابَ عنْدَ هَؤُلاء هُوَ عَذَابُ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا يُثْبتُونَهُ لأَجْل تَهْذيب النَّفْس.

فَإِنْ قيل: قَدْ نُقل عَنْ أَمير المؤْمنينَ عَليٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ وَبَعْضُ أَوْليَاء الله أَيْضًا غَيْره أَنَّهُ وَقَعَ عَنْهُمْ بَعْضُ أَعْمَال غَريبَة وَأَفْعَال عَجيبَة قَبْل وُجُودهمُ العُنْصُريِّ بقُرُونٍ مُتَطَاولَةٍ فِي عَالَم الشَّهَادَة فَكَيْفَ يَصحُّ ذَلكَ بدُون تَجْويز التَّنَاسُخ:

أُجيبَ: أَنَّ صُدُورَ هَذه الأَعْمَال وَالأفْعَال إنَّمَا هُوَ منْ أَرْوَاح هَؤُلاء الأَكَابر صَارَتْ مُتَجَسِّدَةً بالأَجْسَاد بمَشيئَة الله تَعَالى وَبَاشَرَت الأَفْعَال العَجيبَة لاَ منْ أَجْسَادٍ أُخَرَ تَعَلقَتْ أَرْوَاحهمْ بهَا.

وَالتَّنَاسُخ هُوَ تَعَلقُ رُوحٍ قَبْل تَعَلقه بهَذَا البَدَن ببَدَن آخرَ مُبَاينٍ وَمُغَاير لهَذَا البَدَن فَإذَا تَجَسَّدَت الرُّوحُ بنَفْسه كَيْفَ يَكُونُ تَنَاسُخًا أَلا تَرَى أَنَّ الجنَّ يَتَشَكَّل بأَشْكَال مُخْتَلفَة وَيَتَجَسَّدُ بأَجْسَادٍ مُتَبَاينَة وَيَقَعُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الحَال أَعْمَال عَجيبَة مُنَاسبَة لتلكَ الأَشْكَال وَالأَجْسَادٍ وَلا تَنَاسُخَ فيه أَصْلا وَلا حُلول فَإذَا كَانَ فِي الجنّ

---

(١) **التواتر:** هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب. انظر: الجرجاني: التعريفات: ٩٤.

بأَقْدَارِ اللهِ تَعَالى قُدْرَةَ التَّشَكُّلِ بالأشْكَالِ وَوُقُوعِ الأَعْمَالِ الغَريبَةِ مِنْهُمْ كَيْفَ يَكُونُ إِعْطَاء تلكَ القُدْرَةِ لأَرْوَاحِ الكُمَّلِ مَحَل تَعْجبُ وَمَا الحَاجَةُ إِلى بَدَنٍ آخرَ وَمِنْ هَذَا القَبيلِ مَا نَقل عَنْ بَعْضِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالى مِنْ أَنَّهُمْ يَحْضُرُونَ فِي أَمْكنَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَقَعُ عَنْهُمْ أُمُورٌ مُتَبَايِنَةٌ وَهَهُنَا أَيْضًا لطَائفهمْ مُتَشَكِّلَةٌ بأَشْكَالٍ مُتَبَاينَةٍ وَمُتَجَسِّدَةٌ بأَجْسَادٍ مُخْتَلفَةٍ وَكَذَلكَ حَال مَنْ هُوَ مُتَوَطِّنٌ في الهنْد منَ الأَعِزَّةِ وَلَمْ يُخْرجْ منْ وَطَنه فَجاءَ جَمَاعَةٌ منْ مَكَّةَ المعَظَّمَة وَقَالوا رَأَيْنَا الشَّيْخ الفلانى في حَرَم مَكَّةَ المكَرَّمَة مشيرين إلى ذَلكَ الشَّخْص منَ الأَعِزَّة وَجرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ كَيْت وَكَيْت وَقَالتْ جَمَاعَةٌ أُخْرَى نَحْنُ رَأَيْنَاهُ في الرُّوم وَرَآهُ طَائفة أُخْرَى في بَغْدَاد كُل ذَلكَ تَشَكُّل لطَائف ذَلكَ الشَّيْخ بأَشْكَال مُخْتلفَة وَرُبَّمَا لاَ يَكُونُ لذَلكَ الشَّيْخ اطِّلاع عَلى هَذه التشَكلات وَلهَذَا يَقُول في جَوَاب هَذه الجَمَاعَات أَحْيَانًا كُل ذَلكَ تُهْمَة عليّ أَنَا لَمْ أُخرجْ منَ البَيْت وَلَمْ أَرَ حَرَمَ مَكَّةَ وَلاَ أَعْرفُ الرُّومَ وَبَغْدَاد وَلا أَدْري منْ أَنْتُمْ وَكَذَا أَرْبَاب الحَاجَات يَسْتَمدُّونَ منَ الأَعزَّة الأَحْيَاء وَالأَمْوَات في المخَاوف وَالمَهالك وَيَروْنَ أَنَّ صُورَ هَؤُلاء الأَعزَّة قَدْ حَضَرَتْ وَدَفعَتْ عَنْهُمُ البَليَّة فأَحْيَانًا يَكُونُ لهَؤُلاءِ الأَعزَّة اطِّلاع عَلى ذَلكَ وَأَحْيَانًا لاَ، (ع):

فَهَل لنَا وَلكُمْ شَيْءٌ سوَى نَسَب

وَهَذَا أَيْضًا تَشكُّل لطَائف هَؤُلاء الأعزَّة وَهَذَا التَّشكُّل يَكُونُ أَحْيَانًا في عَالم الشَّهَادَة وَأَحْيَانًا في عَالم المثَال كَمَا أَنَّ الفَ إنْسَان يُرُونَ النَّبيّ ﷺ في المنَام في لَيْلة وَاحدَة بصُورَة مُخْتَلفَة وَيَسْتَفيدُونَ منْهُ ﷺ أَشْيَاء هَذَا كُله تُشَكّل صفَاته وَلطَائفه ﷺ وَكَذَلكَ المريدُونَ يَسْتَفيدُونَ منْ صُوَر الشُّيُوخ المثَاليَّة أَشْيَاء وَيَحلُونَ المشْكلات وَالكمُّونَ وَالبُرُوز اللذَان نَقلا عَنْ بَعْض المشائخ لاَ مَسَاسَ لَهُمَا بالتَّنَاسُخ فَإنَّ تَعلقَ الرُّوح بالبَدَن الثَّاني في التَّنَاسُخ إنَّمَا هُوَ لثُبُوت الحَيَاة وَلأَجل حُصُول الحسّ وَالحَرَكَة لذَلكَ البَدَن وَفي البُرُوز ليْسَ تَعلق النَّفْس ببَدَن آخرَ لأَجْل حُصُول الغَرَض بَل المَقْصُود منْ هَذَا التَّعَلق هُوَ حُصُول الكَمَالات لذَلكَ البَدَن وَوُصُولهُ إلى الدَّرَجَات كَمَا أَنَّ جنّيًا إذَا تَعلقَ بفَرْد منْ أَفْرَاد الإنْسَان وَبَرزَ في شَخْصه لَيْسَ ذَلكَ التَّعلق لأَجْل حُصُول الحَيَاة لذَلكَ الفَرْد فَإنَّهُ حى وَحَسَّاس وَمُتَحرّك قَبْل ذَلكَ التَّعَلق وَالذي يُحدّثُ فيه منْ هَذَا التَّعلق هُوَ ظُهُورُ صفَات ذَلكَ الجنى وَحَرَكَاتُهُ وَسَكَنَاتُهُ. وَالمشائخ المستقيمو الأَحْوَال لاَ يَتفَوَّهُونَ بعبَارَة الكمُّون وَالبُرُوز وَلا يَرْمُونَ به الناقصين في البَلاء وَالفتْنَة لاَ حَاجَةَ عنْدَ الفَقير إلى الكمُّون وَالبُرُوز أَصْلا

بَل لوْ أَرَادَ كَامِل أَنْ يُربِّى نَاقِصًا يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَل بِأَقْدَارِ الله تَعَالى صِفَاته الكَامِلَة مُنْعَكِسَة فِي المريد النَّاقِص وَأَنْ يجْعَل ذَلكَ الانْعكَاس ثَابتًا وَمُسْتَقِرًّا لِيَخْرُج المريد النَّاقِص منَ النَّقْص إلى الكَمَال، وَيَميل منَ الصِّفَات الرَّذيلَة إلى الصِّفَات الحَميدَة منْ غَيْر أَنْ يَكُونَ فِي البَيْن كمُون وَبرُوزَ أَصْلا {ذَلكَ فَضْل الله يُؤْتيه مَن يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْل العَظيم}(١) .

وَقَال بَعْض آخر بنَقْل الأَرْوَاحِ يَقُولونَ: إِنَّهُ يَحْصُل للرُّوحِ بَعْدَ الكَمَال قُدْرَة بحَيْثُ تَتْرُكُ بَدَنهَا لوْ شَاءَ وَتَدْخُل فِي بَدَن آخر نُقِل أَنَّ وَاحِدًا منَ الأَعِزَّة الذي كَانَ لهُ هَذَا الكَمَال وَهَذه القُدْرَة لَمَّا تُوفِي فِي جوَاره شَابّ تُرْك بَدَن نَفْسه الذي كَانَ قَدْ أَدْرَكَ سِنَّ الشَّيْخُوخَة وَدَخل فِي بَدَن ذَلكَ الشَّابِّ فَصَارَ بَدَنُهُ الأَوَّل مَيِّتًا وَبَدَن الشَّابِّ حَيًّا وَهَذَا القَوْل مُسْتَلزم للتَّنَاسُخِ لأَنَّ تَعلقَ الرُّوحِ بالبَدَن الثَّاني عَلى هَذَا التَّقْدير إِنَّمَا هُوَ لحُصُول الحَيَاة لذَلكَ البَدَن وَإِنَّمَا الفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْن التَّنَاسُخِ أَنَّ القَائل بالتَّنَاسُخ حَاكمْ بنَقْص النَّفْس وَثَبَتَ التَّنَاسُخ لأَجْل تَكْميلهَا وَالذي هُوَ قَائل بنَقْل الرُّوح يَعْتَقدُ الرُّوح كَامل وَيُثْبتُ الانتقال بَعْدَ كَمَال الرُّوحِ وَعنْدَ الفقير القَوْل بانْتقَال الرُّوحِ أَسْقَطَ منَ القَوْل بالتَّنَاسُخ فَإنَّ القَائل بالتَّنَاسُخِ اعْتَبَرَ التَّنَاسُخَ لأَجْل تَكْميل النُّفُوس وَإنْ كَانَ هَذَا الاعْتبَار بَاطلا وَزَعَم انْتقَال الرُّوحِ بَعْدَ حُصُول الكَمَال وَإنْ لَمْ يَكُنْ كَمَال أَصْلا فَإذَا تَقَرَّرَ كَوْنَ تُبَدِّل الأَبْدَان لأَجْل تَحْصيل الكَمَالات فَلا شَيْء يَكُونُ الانْتقَال إلى بَدَن آخَرَ بَعْدَ حُصُول الكَمَال وَأَهْل الكَمَال ليْسُوا بأَرْبَاب الهَوَسَ بَل هَمَّتُهمْ بَعْدَ حُصُول الكَمَال التَّجَرُّد عَنِ الأَبَد أَنْ لاَ التَّعَلقُ بالأَبَد أَنْ فَإِنَّهُ قَدْ حَصَل مَا هُوَ المقْصُودُ منَ التَّعلقِ وَأَيْضًا إنْ فِي انْتقَال الرُّوحِ إمَاته البَدَنَ الأَوَّل وَإِحْيَاء البَدَن الثَّاني فَلابُد للبَدَن الأَوَّل مِنْ حُصُول أَحْكَام البَرْزَخ كَعَذَاب القَبْر وَثَوَابه وَالبَدَن الثَّاني لَمَّا أَثْبَتُوا لهُ الحَيَاة الثَّانيَة ثَبْت فِي حَقّه الحَشْر في الدُّنْيَا وَأَظُنُّ أَنْ معتقدى انْتقَال الرُّوحِ لاَ يَقُولونَ بعَذَاب القَبْر وَثَوَابه وَلا يَعْتَقدُونَ الحَشْر وَالنَّشْر فَآهْ الف آهْ حَيْثُ إنَّ أَمْثَال هَؤُلاء البَطَّالينِ جَلسُوا فِي مُسْنَد الشَّيْخُوخَة وَصَارُوا مُقْتَدَى بهمْ لأَهْل الإسْلام ضَلوا فَأَضَلوا {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْد إِذَا هَدَيْتَنَا وَهَبْ لنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(٢) بِحُرْمَة سَيِّد المرْسَلينَ عليْه.وَعَليْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) الحديد: ٢١

(٢) آل عمران: ٨

تَذْيِيل فِي بَيَانِ بَعْضِ العُلومِ وَالمَعَارِف التِي تَتَعلَقُ بِعَالَمِ المثَال

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ عَالَمَ المثَال أَوْسَعُ مِنْ جَمِيعِ العَوَالِمِ وَكُل مَا هُوَ فِي جَمِيعِ العَوَالِمِ لهُ صُورَة فِي عَالمِ المثَال وَللمعْقُولاتِ وَالمُعَانَى كُلهَا صُورَة فيه قيل أَنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لَيسَ لهُ مثْل وَلكنَّ لهُ مَثَّال وَللهِ المثْل الأَعْلى وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الفَقير في مكاتيبه كَمَا أَنَّ لاَ مَثْل لهُ تَعَالى فِي مَرْتَبَة التَّنْزِيه الصَّرْف لَيْسَ لهُ سُبْحَانَهُ مثَال أَيْضًا {فَلا تَضرِبُوا للهِ الأَمْثَال}⁽¹⁾ وَانَمُوذَج عَالمِ المثَال فِي العَالمِ الصَّغير هُوَ الخَيَال فَإِنَّ صُورَةَ جَمِيعِ الأَشْيَاء مُتَصوِّرَة فِي الخَيَال وَالخَيَال هُوَ الذي يَرَى كَيْفيَّات أَحْوَال السَّالك وَمَقَامَاته بالتَّصْوِير وَيَجْعَلهُ مِنْ أَرْبَاب العلمِ فَلوْ لَمْ يَكُنْ الخَيَال أَوْ كَانَ قَاصِرًا لزِمَ الجَهْل وَمِنْ هَهُنَا لَيْسَ فَوْقَ مَرْتَبَة الظِّلاَل غَيْر الجَهْل وَالحَيْرَة فَإِنَّ جَوَلاَنَ الخَيَال إِنَّمَا هُوَ فِي مَرَاتِب الظِّلاَل وَحَيْثُ لاَ ظلال فيه لاَ مَجَال للخَيَال فيه فَإِذَا لَمْ تَكُنْ الصُّورَةُ التَّنْزِيهيَّةُ فِي المثَال كَمَا مَرَّ كَيْفَ تَتَصوَّرُ هِيَ فِي الخَيَال الذي هُوَ ظِل المثَّال فَلا جَرَمَ لاَ يَكُونُ ثَمَّةَ إلا الجَهْل وَالحَيْرَة وَكُل مَحَل لَيْسَ فِيه عَلَمَ لَيْسَ فِيه قِيل وَقَال مَنْ عَرَفَ اللهَ كُل لسَانه عَلاَمَة ذَلكَ وَكُل مَحَل فيه علمٌ فيه قيل وَقَال مَنْ عَرَفَ اللهَ طَال لسَانُهُ بَيَان مَا هُنَالكَ فَيَكُونُ طُول اللسَان فِي مَقَام الظِّلاَل وَكُل اللسَان فَوْقَ مَرَاتبَ الظِّلاَل فعْلا كَانَ أو صفة اسْمًا كَانَ أَوْ مُسمي وَكُل مَا هُوَ مَنْحُوتَ الخَيَال فَهُوَ مِنَ الظِّلاَل وَكُل مَا هُوَ مِنَ الظِّلاَل فَهُوَ مَعْلول وَبعلة الجَعْل مَجْعُول وَليْسَ هُوَ غَيْرَ أَنْ يَكُونَ مِنْ آثَار المطْلوب وَعَلاَمَاته المفيدَة لعَلم اليَقين وَعَيْن اليَقين وَحَقّ اليَقين كلاهُمَا وَرَاءَ الظِّلاَل وَالخَيَال وَالخَلاص مِنْ نَحْت الخَيَال إِنَّمَا يَتَيسَّرُ إِذَا تَرَكَ السَّيْرَ الأَنْفُسيّ أَيْضًا كَالسَّيْر الآفَاقيّ وَرَاءَ الظُّهْر وَجَال فِي مَا وَرَاءَ الأَنْفُس وَالأَفَاق وَهَذَا المعْنَى يَتَيَسَّرُ لأَكْثَر الأَوْلِيَاء بَعْدَ الموْت وَمَا دَامَت الحَيَاة بَاقيَة فَالخَيَال مُتَشَبِّث بإذيالهم وَيَتَيَسَّرُ للأقلين منَ الأَكَابر فِي هَذه النَّشْأَة فَيَخْرُجُونَ مِنْ تَصرُّف سُلطَان الخَيَال مَعَ وُجُود الحَيَاة الدُّنْيَويَّة وَيُعَانقُونَ المطْلوب بلا نَحْت الخَيَال وَجَعْله فَفِي هَذَا الوَقْت يَصيرُ التَّجَلي البَرْقِيّ دَائمًا فِي حَقّهِمْ وَتُظْهَرُ مَبَادئ الوَصْل العُرْيَانَ.

هَنِيئًا لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمهَا　　　وَللعَاشِقِ المسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

---

(١) النحل: ٧٤

فَإِنْ قِيل: قد يرى جَمَاعَة فِي الوَاقِعَات وَالمَنَامَات في المَثَال أَو الخَيَال أَنَّهُمْ صَارُوا سَلاطِينَ وَيُعَايِنُونَ خَدَمهمْ وَحَشَمهمْ أَوْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ صَارُوا أَقْطَابًا وَتُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ جَمِيع العَالِمِ وَفِي عَالم اليَقَظَة[1] وَالأفَاقَة الذي هُوَ عَالَمُ الشَّهَادَة لاَ يَظْهَرُ شَيْء مِنْ تلكَ الكَمَالات فَهَل لهَذه الرُّؤْيَة وَجْه منَ الصِّدْق أَوْ بَاطل مَحْض:

أُجيبَ: إِنْ لهَذه الرُّؤْيَة مَحَلا منَ الصِّدْق بَيَانه هُوَ أَنَّ مَعْنَى السَّلْطَنَة وَالقُطْبِيَّة كَائن فِي تلكَ الجَمَاعَة وَلكنَّهُ ضَعِيفٌ فيهِمْ غَيْر لائق لأَنَّ يَظْهَرُ فِي عَالم الشَّهَادَة ثُمَّ بَعْدَ ذَلكَ لاَ يَخلو عَنْ أَحَد الحَالَيْن أَمَّا أَنْ تُحَدِّثَ لهَذَا المعْنَى بعنَايَة الله سُبْحَانَهُ قُوَّة وَيَصيرُ لائقًا لأَنَّ يَظْهَرُ فِي عَالم الشَّهَادَة فَيَصيرُونَ بقُدْرَة الله سُبْحَانَهُ سَلاطِينَ أَوْ أَقْطَابًا، وَأَمَّا أَنْ لاَ تُحَدِّثُ لهُ قُوَّة الظُّهُور فِي عَالم الشَّهَادَة فَيُكْتَفَى بذَلكَ الظُّهُورِ المثالى الذي هُوَ أَضْعَفُ الظُّهُورَات وَيَظْهَرُ فيه عَلى قَدْرِ قُوَّته.

وَمَنْ هَذَا القَبيل مَا يَرَاهُ طَالبُو هَذَا الطَّريق منَ الوَاقعَات حَيْثُ يَجدُونَ أَنْفُسهمْ فِي مَقَامَات عَاليَة وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ تَشَرَّفُوا بمَنَاصبَ أَرْبَاب الوِلايَة فَإِنَّ ظَهْر هَذَا المعْنَى فِي الشَّهَادَة أَيْضًا فَهُوَ دَوْلَةٌ عَظيمَةٌ وَإِنْ اكْتَفَى بظُهُوره فِي المَثَال فَلا حَاصل فيه بَل هُوَ مُصيبَة فَإِنَّ كُل حَائك وَحَجَّام يَرَى نَفْسه فِي المَنَام سُلطَانًا وَلَيْسَ لهُ حَاصل غَيْر الخَسَارَة وَالنَّدَامَة فَلا يَنْبَغِي اعْتبَار الوَاقعَات وَكُل مَا يَتَيَسَّرُ فِي الشَّهَادَة فَهُوَ الغَنيمَةُ.

وَإِنِّي غُلامُ الشَّمْس أَرْوَى منَ الشَّمْسِ   ومالى وَلليْل فَأَرْوَى حَديثه

وَمنْ هَهُنَا لمْ يَعْتَبر أَكَابر النَّقْشَبَنْديَّة الوَاقعَات وَلا يَتَوَجَّهُونَ إِلى تَوْجيه وَقَائع الطَّالبينَ وَتَعْبيرهَا لكَوْنهَا قَليل الجَدْوَى وَإِنَّمَا المعْتَبَرُ عنْدَهُمْ مَا تَيَسَّرَ فِي الإِفَاقَة وَاليَقَظَة وَلهَذَا اعْتَبَرُوا دَوَامَ الشُّهُودِ وَاعْتَقَدُوا الدَّوْلَة اسْتمْرَار الحُضُور

---

(١) اليقظة لغة: نقيض النوم. انظر: ابن منظور: لسان العرب: يقظ.

أماعند الصوفية: فالمراد بها الفهم عن الله، وصورتها في **الأبواب**: التيقظ في التحرز عن دواهي الشيطان والتحفظ عن التخيلات الموجبة للخذلان.، وفي **الأخلاق**: التيقظ في التعفي عنرؤية فضيلته واستحقاره لركاكة حاله حتى تصير فضائله بذلك رذائل. وفي **الأصول**: أن يحيا بالحياة القلبية الذاتية المنافية للنوم والموت الموجبة لدوام المراقبة والحضور مع الله والسعي في القوت.، وفي **الأودية**: تنور البصيرة بنور القدس، والتيقظ بها عن التلف إلى جانب البدن وعالم الرجس. انظر: ابن عربي: اصطلاحات الصوفية: ٢٩٨.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٩٠، ١٩١.

وَالحُضُور الذي يَقْتَفيه الغَيْبَة(١) سَاقط عَنْ حَيِّز الاعْتبَار عنْدَ هَؤُلاء الأَكَابر وَمنْ هَهُنَا صَارَ نسْيَانٌ مَا سوَى الله تَعَالَى دَائميًّا في حَقِّهِمْ وَحُضُور الغَيْر في قَلْبهم مَنْفيًّا في جَميع الأَوْقَات نَعَمْ إذَا كَانَت النِّهَايَة مُنْدَرجَة في بدَايَة شَخْص كَيْفَ يَسْتَبْعدُ عَنْهُ هَذه الكَمَالات {رَبَّنَا اغْفرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإسْرَافَنَا في أَمْرنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافرينَ}(٢)

،،، ،،، ،،، ،،، وَالسَّلام.

---

(١) **الغيبة**: في اللغة: من غاب الشيء في الشيء.انظر: ابن منظور: لسان العرب: غيب.

أما في اصطلاح الصوفية: فالمراد بها غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه.

وصورتها في **البدايات**: الغيبة عن رسوم العادات.

وفي **الأبواب**: الغيبة عن تمتعات الدنيا ولذاتها.

وفي **المعاملات**: الغيبة عن الخلق وأفعالهم، والنظر إلى أمورهم وأقوالهم.

وفي **الأخلاق**: الغيبة عن النفس وأهوائها.

وعن صفاتها ودواعيها وآرائها.

وفي **الأصول**: الغيبة عن القصد عما سوى المقصود.

وفي **الأودية**: الغيبة عن ظلمات عالم النفس بالإستغراق في نور القدس. انظر: ابن العربي: اصطلاحات الصوفية: ٢٨٨.، الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٣٤٢،٣٤١.

(٢) البقرة:٢٨٦

المكْتُوبُ الثّاني وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثّلاثمائة
إلى الخَواجَة مُحَمَّد عَبْد الله وَلد شَيْخه سَلمَهُ اللهُ
في بَيَان أنَّ المعْقُول وَالموْهُوم وَالمَكْشُوف وَالمَشْهُود
كُلَ مَا دَاخلة في السِّوَى وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

اَلحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى وَصَلت الصَّحيفَة الشَّريفَة التي أَرْسَلهَا قُرَّة العَيْن وَقَد انْدَرجَ فيهَا أَنَّ تلكَ الشعابذة قَدْ زَالَتْ وَارْتَفَعَتْ بكَرَم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَلَمْ يَبْقَ منْهَا شَيْء وَالهمَّة مَصْرُوفَةٌ في أَنْ لاَ يَحْصُل شَيْءٌ منَ الإثْبَات، وَالمَعْقُول وَالمَوْهُوم كُلهُ دَاخل تَحْت كَلمَة لاَ كَذَا وَكَذَا وَكَتَبْتُمْ أَنَّ هَذَا المعْنَى حَاصل بالتَّكَلف وَالمَرْجُوّ أَنْ يَكُونَ نَصيبًا منْ غَيْر تَكَلف.

أَيُّهَا النَّجيبُ: إنَّ المَعْقُول وَالمَوْهُوم بَل المَكْشُوف وَالمَشْهُود آفَاقيًّا أَوْ أَنْفُسيًّا كُله دَاخل في السِّوَى وَمنْ جُمْلة اللهْو وَاللعب وَلَيْسَ التَّعَلق به غَيْر التَّعَلق بالشعابذة وَزَوَال هَذه التَعَلقَات لوْ كَانَ بالتَّكَلف فَهُوَ دَاخل في الطَّريقَة وَمنْ جُمْلة علم اليَقين فَإنَّ تَيَسَّرَتْ هَذه الدَّوْلة بَعْد اللتيا واللتى بلا تَكَلف وَتَبَدُّل حَال التَّكَلف في نَفْي السِّوَى بانْتفَائه بنَفْسه فقَدْ خَرَجَ منْ مَضيق الطَّريقَة وَسكَّة العَلمِ وَتُشْرفُ بالفَنَاء وَهَذَا المعْنَى يَسير في التَّكَلم وَعَسير بحَسْبَ الوُصُول إلَيْه أَيّ عَسير إلا مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَالأمُور التي تَتَعَلقُ بالحَقيقَة فهيَ في الإمَام وَبَعْدَ المرُور منَ النُّفَى بَل بَعْدَ مُجَاوَزَة مَقَام الانْتفَاء مَقَام الإثْبَات وَمَا وَرَاءَ العلم وَالعَيْن.

اعْلمْ أَنَّهُ لاَ اعْتدَادَ بالطَّريقَة في جَنْب الحَقيقَة وَلا اعْتبَارَ للنَّفْي بالنِّسْبَة إلى الإثْبَات أَصْلا فَإنَّ مُتَعَلقَ النَّفْي هُوَ المُمْكنات وَمُتَعَلقَ الإثْبَاتَ هُوَ الوَاجبُ سُبْحَانَهُ وَالنُّفَى يَرَى في النَّظَر في جَنْبَ الإثْبَات كَقَطْرَة في جَنْب البَحْر المحيط وَيَحْصُل هَذَا النَّفْي وَذَاكَ الإثْبَات يُوَصِّل إلى الولاَيَة الخَاصَّة وَبَعْدَ حُصُول الولاَيَة الخَاصَّة إمَّا العُرُوج وَإمَّا النُّزُول وَإنْ كَانَ النُّزُول لذَلكَ العُرُوجِ لازمًا أَيْضًا {ربنا أَتْممْ لنَا نُورَنَا وَاغفرْ لنَا ذُنُوبَنَا أَنَّك عَلى كُل شَيْء قَدير}⁽¹⁾.

السَّلام عَلَيْكُمْ وَعَلى سَائرِ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَالتزَمَ مُتَابَعَةَ المصْطَفَى عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

---

(١) التحريم: ٨

اَلمكْتُوبُ الثَّالثُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَةِ

إلى مُحَمَّد تُقى

فِي بَيَانِ أَنَّ اللازِمَ صَرْف العنَان عَنْ فُضُوليَّات الدِّين وَالاشْتغَال بِضَرُوريَّاتِ الدِّينِ وَمَا يُنَاسبُ ذَلكَ

اَلحَمْدُ لله وَسَلاَمٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى قَدْ تَشَرَّفَتْ بمُطَالعَة الصَّحيفَة الشَّريفَة وَقَد انْدَرَجَتْ فيهَا الدَّلاَئل التي وُفِّقْتُمْ لإقَامَتهَا وَتَرْتيبهَا في بَاب خلاَفَة الصِّدِّيقِ ؓ التي ثَبَتَتْ بإجْمَاع أَهْل الحَل وَالعَقْد منَ الصَّدْرِ الأَوَّل الذي هُوَ خَيْرُ القُرُون وَفي بَاب فَضيلة الخُلفَاءِ الرَّاشدينَ رِضْوَان تَعَالى عَلَيْهمْ أَجْمَعينَ التي هيَ عَلى تَرْتيب خلافَتهمْ وَنَعْتهَا وَفي بَابٌ ملازمة السُّكُوت عَنْ منازعات أَصْحَاب خَيْرِ البَشَرِ وَمُشَاجَرَاهمْ عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ فَأُورِثُ ذَلكَ فَرَحًا وَافرًا وَهَذَا الاعْتقَاد كَافٍ في بحَثّ الإمَامَة وَمُوَافق لاعْتقَادِ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيهمْ.

أَيُّهَا المخْدُوم المشْفق: أَنَّ بَحْث الإمَامَة منْ فُرُوعِ الدِّين لاَ منْ أُصُوله وَضَرُوريَّات الدِّينِ غَيْر ذَلكَ الذي يَتَعلقُ بالاعْتقَاد وَالعَمَل ممَّا تَكَفَّل علم الكَلامِ وَعلم الفقْه ببَيَانه وَالاشْتغَال بالفُضُوليَّات بتَرْكِ الضَّرُوريَّات صَرَفَ العُمْر فيمَا لاَ يَعْني: وَقَدْ وَرَدَ في الخَبَر " عَلاَمَة إعْرَاضه تَعَالى عَنِ العَبْد اشْتغَاله بمَا لاَ يَعْنيه" فَلوْ كَانَ بَحْث الإمَامَة منْ ضَرُوريَّات الدِّينِ وَأُصُول الشَّريعَة كَمَا زَعَمَت الشِّيعَة لكَانَ يَنْبَغي أَنْ يَعينَ الحَقَّ تَعَالى في كتَابه المجيد مَنْ يَسْتَحقُّ الاسْتخْلاَف وَأَنْ يُشَخِّصَ الخَليفَةَ، وَأَنْ يَأْمُرَ النَّبيَّ ﷺ أَيْضًا بخلاَفَة وَاحد، وأن يَجْعَل الوَاحد خَليفَة بالتَّنْصيصِ وَالتَّصْريحِ وَلَمَّا لَمْ يَفْهَمُ الأهتمام في هَذَا الأَمْر منَ الكتَاب وَالسُّنَّة عَلمَ أَنَّ بَحْث الإمَامَة منْ فُضُول الدِّينِ لاَ منْ أُصُوله والفضولى يَشْتَغل بالفُضُول أَوَّلا لاَ بُدَّ منْ تَصْحيح الاعْتقَاد الذي يَتَعَلقُ بذَات الوَاجب وَصفَاته وَأَفْعَاله تَعَالى وَيَنْبَغي الاعْتقَاد أَيْضًا أَنَّ مَا جَاءَ به النَّبيّ ﷺ منْ عنْد الحَقِّ جَل وَعَلا وَمَا عَلمَ منَ الدِّينِ بالضَّرُورَةِ وَالتَّوَاتُر منَ الحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالعَذَابِ وَالثَّوَاب الأخرويين الدائميين وَسَائر السَّمْعيَّات كُله حَقَّ ليْسَ في شَيْء منْهَا احْتمَال التَّخَلف فَإنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الاعْتقَاد فَلا نَجَاة وثَانيًا لاَ بُدَّ منْ إتْيَان الأَحْكَامِ الفقْهيَّة أَيْضًا منْ أَدَاء الفَرَائض وَالوَاجبَات بَل منْ أَدَاء السُّنَنِ وَالمُسْتَحبَّات يَنْبَغي حَسَن رِعَايَة الحَل وَالحُرْمَة الشَّرْعيَّيْنِ وَالاحْتيَاطِ في حفْظ حُدُودِ الشَّريعَةِ حَتَّى يُرْجَى الفَلاَح وَالخَلاَص منْ عَذَاب

الآخرَة فَإِذَا صَحَّحَ الاعْتِقَادَ وَالعَمَل وَصَّلت التُّوبَةَ إلى الدُّخُول فِي طَرِيق الصُّوفِيَّة وَرَجَاء حُصُول كَمَالات الوِلايَة وَبَحْث الإمَامَة بالنِّسْبَة إلى ضَرُورِيَّات الدِّينِ كَالمَطْرُوحِ فِي الطَّرِيق غَايَة مَا فِي البَاب أَنَّ المخَالِفِينَ لَمَّا غَالَوْا فِي هَذَا البَاب وَطَعَنُوا فِي أَصْحَاب خَيْرِ البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ يُورِدُ فِي رَدِّهِمْ بِالضَّرُورَةِ مُقَدِّمَات طَوِيلَةِ الذَّيْل لِكَوْنٍ دَفَعَ لِزُوم الفَسَادِ مِنَ الدِّينِ المتِينِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ وَالسَّلامِ.

المَكْتُوبُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة
فِي تَعْزِيَةِ أَصْحَابِ المرْحُومِ مَوْلانَا أَحْمَدَ البَرْكِيِّ وَفِي نَصِيحَتِهِمْ وَجَعْلِ مَوْلانَا الحَسَنِ رَئِيسَ حَلقتِهِمْ، وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْدِ وَالصَّلَوَاتِ وَتَبْلِيغِ الدَّعَوَاتِ:

أُنْهِيَ أَنَّ وُجُودَ المرْحُومِ المغْفُورِ لَهُ مَوْلانَا أَحْمَدَ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ فِي هَذَا الوَقْتِ كَانَ لِلمُسْلِمِينَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ - جَل وَعَلا - وَرَحْمَةً مِنْ رَحمَاتِه تَعَالى، اللهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ.

الإِمْدَادُ وَالأَعَانَةُ لِلمَاضِينَ مَأْمُول وَمَسْئُول مِنَ الأَصْحَابِ وَالأَحْبَابِ، وَخِدْمَةُ أَوْلادِ المرْحُومِ وَمُتَعلقَاتِه وَاستِمَالةُ قُلوبِهِمْ وَتَسْلِيَةُ خَوَاطِرِهِمْ وَاجِبَةٌ عَلى المحِبِّينَ؛ فَيَنْبَغِي سَعْيُهُمْ فِي أَنْ يَقْرَأَ أَوْلادُ المرْحُومِ وَأَنْ يَكُونُوا مُتَحَلينَ بِالعُلومِ الشَّرْعِيَّة، وَلْيُكَافِئُوا إِحْسَانَ المرْحُومِ بِالإِحْسَانِ إِلى أَوْلادِهِ {هَل جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ}⁽¹⁾

وَيَنْبَغِي رِعَايَةُ أَطْوَارِ المرْحُومِ وَأَوْضَاعِه وَأَحْوَاله وَأَوْقَاتِه، وَأَنْ تَشْتَغلوا بِالذِّكْرِ وَالحَلقَةِ لِئَلا يَقعَ الفُتُورُ وَأَنْ يَقْعُدَ الأَصْحَابُ مُجْتَمِعينَ فَإِنَّ كُل وَاحِد فِي الآخرِ لِيُظْهِرُ أَثَرُ الصُّحْبَة، وَقَدْ كَتَبَ هَذَا الفَقِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ عَلى سَبِيلِ الاتِّفَاقِ بِأَنَّ مَوْلانَا لو اخْتَارَ سَفَرًا يَنْبَغِي أَنْ يُنَصِّبَ الشَّيْخَ الحَسَنَ مَكَانَهُ، فَكَانَ المرَادُ مِنْهُ عَلى وَفْقِ القَضَاءِ هَذَا السَّفَرُ، وَالآنَ أَيْضًا أُلاحظُ فِي هَذَا الأَمْرِ مُكَرَّرًا وَأَجِدُ الشَّيْخَ الحَسَنَ مُتَعَيِّنًا فِي هَذَا الأَمْرِ وَلا يَثْقُل هَذَا المَعْنَى عَلى بَعْضِ الأَصْحَابِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِاخْتِيَارِنَا وَلا بِاخْتِيَارِهِمْ، وَالانْقِيَادُ لازِمٌ، وَلِطَرِيقِ الشَّيْخِ الحَسَنِ مُنَاسَبَةٌ كَثِيرَةٌ بِطَرِيقِ مَوْلانَا، وَالنِّسْبَةُ الَّتِي أَخَذَهَا مَوْلانَا مِنْ هَذَا الجَانِبِ فِي الآخرِ الشَّيْخُ الحَسَنُ شَرِكَةً مَعَهُ فِيهَا وَالأَصْحَابُ البَاقُونَ قَليلوا النَّصِيبِ مِنْهَا وَإِنْ حَصَل لَهُمْ كَشْفٌ وَشُهُودٌ وَصَارُوا مُتَحَلينَ بِالتَّوْحِيدِ وَالاتِّحَادِ وَلَكِنَّ هَذِه الدَّوْلَةَ أَمْرٌ آخرُ لاَ يَشْتَرُونَ الكُشُوفَ وَالشُّهُودَ هُنَاكَ عَلى شُعَيْرَة، وَيَسْتَغْفِرُونَ مِنْ ذَلكَ التَّوْحِيدِ وَالاتِّحَادِ وَبِالجُمْلَة يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَتَوَقَّفَ الأَصْحَابُ فِي تَقْدِيمِ الشَّيْخِ الحَسَنِ وَأَنْ يَشْتَغلوا

---

(١) الرحمن: ٦٠

بِأَمْرِهِمْ جَاعِلِينَ إِيَّاهُ رَئِيسَ حَلقَتِهِمْ وَلِيُفْهِمْ أَخُونَا الخَوَاجَهْ أُوَيْسٌ هَذَا المَعْنَى لِلأَصْحَابِ، وَلِيَدُلَّهُمْ عَلَى الاشْتِغَالِ بِعَقْدِ الحَلقَةِ وَالصُّحْبَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِي الشَّيْخِ الحَسَنِ وَيَنْبَغِي لِلشَّيْخِ الحَسَنِ أَيْضًا حِفْظُ خَوَاطِرِ الشُّرَكَاءِ وَالرُّفَقَاءِ ، وَأَدَاءُ حُقُوقِ الأُخُوَةِ ، وَأَنْ لاَ يُفَارِقَ مُطَالَعَةَ الكُتُبِ الفِقْهِيَّةِ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي نَشْرِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَنْ يُرَغِّبَ فِي مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ، وَأَنْ يُحَذِّرَ عَنِ البِدْعَةِ الشَّنِيعَةِ، وَأَنْ لاَ يَعْدِلَ عَنْ طَرِيقِ الاتِّجَاهِ وَالتَّضَرُّعِ وَالانْكِسَارِ؛ لِئَلا يَلْقَى النَّفْسَ الأَمَّارَةَ مِنْ جِهَةِ الرِّيَاسَةِ وَالتَّقَدُّمِ عَلَى الأَقْرَانِ فِي المَهْلَكَةِ وَالحَالَةِ السَّيِّئَةِ، وَلْيَعْتَقِدْ نَفْسَهُ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَسَائِرِ الحَالاتِ قَاصِرًا وَنَاقِصًا، وَلْيَكُنْ طَالِبًا لِكَمَالِهِ، وَالنَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ عَدُوَّانِ قَوِيَّانِ فِي الكَمِينِ فَلا يَخْرُجَانِ مِنَ الطَّرِيقِ خَائِبًا وَخَاسِرًا.

وَذَلِكَ مِنْ نُصْحِي لَكُمْ إِنْ قَبِلْتُمُوا ... نَجَوْتُمْ وَإِلا فَافْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ

وَبِلادُ الهِنْدِ بَعِيدٌ عَنْكُمْ وَالقَافِلَةُ تَرِدُ وَتَذْهَبُ بِالأَخْبَارِ فِي سَنَةٍ مَرَّةً وَاحِدَةً فَيَنْبَغِي كِتَابَةُ الأَحْوَالِ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى الوُصُولِ فَلا تَغْفُلُوا عَنِ الكِتَابَةِ. وَالشَّيْخُ يُوسُفُ قَرِيبٌ مِنَّا وَكَانَ هُنَا مُدَّةً وَأَخَذَ فَوَائِدَ جَمَّةً وَاطَّلَعَ عَلَى حَقِيقَةِ الفَنَاءِ وَرَجَعَ إِلَى وَطَنِهِ بِمِيعَادِ المَجِيءِ ثَانِيًا وَهُوَ رَجُلٌ مُسْتَعِدٌّ وَصَادِقُ الإِخْلاصِ، - وَاللهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ -. وَحَيْثُ نَأَيْتُمْ عَنَّا يُبَالِغُ فِي النَّصِيحَةِ تَيَقَّظُوا وَتَنَبَّهُوا وَاعْتَقِدُوا الرِّيَاسَةَ بَلاءَ الرُّوحِ، وَكُونُوا خَائِفِينَ وَوَجِلِينَ مُشْفِقِينَ مِنْ حُدُوثِ لَذَّةٍ فِي هَذِهِ الرِّيَاسَةِ فَتَنْجَرُّ إِلَى الهَلاكِ الأَبَدِيِّ.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ}(١)

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ}(٢).

---

(١) البقرة:٢٨٦

(٢) الصافات: ١٨٠، ١٨٢، ١٨١

المَكْتُوبُ الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثِمائَة
إِلى خَانْخَانَان
فِي بَيَانِ أَنَّ الإِنْسَانَ مَدَنِيُّ الطَّبْعِ مَجْبُول عَلى التَّمَدُّن وَمُحْتَاجٌ إِلى بَنِي نَوْعِه فِي تَعَيُّشِه وَحُسْنُ الإِنْسَان أَيْضًا فِي هَذَا الاحْتِيَاجِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ

الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلى عِبَادِه الذينَ اصْطَفَى، نَسْأَل اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى تَرْقِيَاتِكُمْ الصُّورِيَّةَ وَالمَعْنَوِيَّةَ فَإِنَّ خَيْرِيَّتَكُمْ وَصَلاحَكُمْ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمْعِيَّةِ جَمِيعِ المسْلمينَ وَرَفَاهِيَتِهِمْ، وَالدُّعَاءُ لكُمْ دَاءٌ لِجَمِيعِ المسْلمينَ، سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَليقُ بِجَنَابِكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ وَعَلى آل كُل المسْلمينَ سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَليقُ بِجَنَابِكُمْ بِحُرْمَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ وَعَلى آل كُل منَ الصَّلوَات أَفْضَلهَا وَمنَ التَّسْليمَات أَكْمَلهَا، وَحَيْثُ أَعْلمُ أَنَّ نسْبَةَ مَحَبَّتِكُمْ وَإِرَادَتكُمْ وَإِخْلاصِكُمْ لأَكَابِرِ النَّقْشَبَنْدِيَّة العَليَّة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَسْرَارَهُمْ عَلى وَجْه الأَتَمِّ وَالأَكْمَل فَبنَاءً عَلى ذَلكَ تَصيرُ بَاعِثًا عَلى تَصْدِيعِكُمْ

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ: إِنَّ أَهْلَ هَذه السِّلسلة العَليَّة وَقَعُوا في هَذه الدِّيَار غُرَبَاءَ، وَمُنَاسَبَةُ أَهْل هَذه الدِّيَار لطَرِيقَة هَؤُلاء الأَكَابِر الذينَ هُمْ مُلتَزمُونَ للسُّنَّة بوَاسطَة شُيُوعِ البدْعَة في هَذه الدِّيَار قَليلةٌ، وَمنْ هَاهُنَا اخْتَرَعَ بَعْضُ أَهَالي هَذه السِّلسلة بوَاسطَة قُصُور نَظَره في هَذه الطَّرِيقَة العَليَّة أَيْضًا بدْعَات وَجَذَبَ قُلوبَ النَّاس بعَلاقَة ارْتكَاب تلكَ البدْعَات إِلى جَانبه، وَظَنَّ هَذَا العَمَل بزَعْمه تَكْميلا لهَذه الطَّرِيقَة العَليَّة، حَاشَاهَا منْ ذَلكَ وَكَلا بَل هَؤُلاء الجَمَاعَةُ يَجْتَهدُونَ في تَخْرِيب الطَّرِيقَة وَتَضْيِيعهَا وَلَمْ يُدْرِكُوا حَقيقَةَ مُعَامَلة أَكَابر هَذه الطَّائفَة، هَدَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ الصِّرَاط، وَحَيْثُ إِنَّ أَهْل هَذه السِّلسلة العَليَّة عَزِيزُو الوُجُود في هَذه الدِّيَار يَنْبَغي لمُريدي هَذه السِّلسلة وَمُحبِّيهِمْ إِمْدَادُ هَؤُلاء الأَكَابر وَطَلبَة هَذه الطَّرِيقَة وَإِعَانَتُهُمْ فَإِنَّ الإِنْسَانَ مَدَنيُّ الطَّبْعِ مَجْبُول عَلى التَّمَدُّن مُحْتَاجٌ في تَعَيُّشه إِلى بَني نَوْعه، قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {يَا أَيُّهَا النَّبيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَن اتَّبَعَكَ منَ المُؤْمنينَ}⁽¹⁾

فَإِذَا كَانَ في كفَايَة مُهمَّات خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ دَخْل للمُؤْمنينَ فَمَا المضَايَقَةُ عَلى الآخَرِين، وَأَكْثَرُ أَغْنيَاء هَذه الوَقْت

---

(١) الأنفال: ٦٤

يَزْعُمُونَ الدَّرْوَشَةَ فِي عَدَم الاحْتِيَاجِ وَلَيْسَ كَذَلكَ فَإِنَّ الاحْتِيَاجَ ذَاتِيٌّ لِجَمِيعِ المُمْكنات؛ بَل حُسْنُ الإنْسَان هُوَ فِي هَذَا الاحْتِيَاجِ، وَذُل العُبُودِيَّة نَاشِئٌ مِنْ هَذه الجِهَة لوْ زَال الاحْتِيَاجُ فَرْضًا عَنِ الإنْسَان وَحَصَل لهُ الاسْتِغْنَاءُ لاَ يَكُونُ فيه غَيْرُ العِصْيَان وَالعنَاد وَالطُّغْيَان قَال اللهُ تَعَالى {إِنَّ الإنْسَانَ ليَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}⁽¹⁾.

غَايَةُ مَا فِي البَاب: إِنَّ الفُقَرَاءَ لتَخَلصهِمْ عَنِ التَّعَلق بالأغْيَارِ يُحيلونَ الاحْتِيَاجَ إِلى الأَسْبَاب عَلى مُسَبِّب الأَسْبَاب، وَيَرَوْنَ الدَّوْلةَ المَبْذُولةَ العَامَّةَ مِنْ خوَان نعْمَته تَعَالى وَيَعْتَقدُونَ أَنَّ المَانِعَ وَالمُعْطِي فِي الحَقيقَة هُوَ اللهُ تَعَالى وَحَيْثُ أُورِدَت الأَسْبَابُ فِي البَيْنِ بوَاسطَة حُكْمٍ وَمَصَالحِ وَنَسَب الحَسَنِ وَالقُبْحِ إِليْهَا يَجْعَل هَؤُلاءِ الأَكَابِرُ أَيْضًا الشُّكْرَ وَالشِّكَايَةَ رَاجعَيْن إِليْهَا وَيَرَوْنَ الحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَة منْهَا فَإِنَّهُمْ لوْ لمْ يَعْتَبِرُوا الأَسْبَابَ لأَبْطِلوا مُعَامَلةً عَظِيمَةً {رَبَّنَا مَا خَلقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَك}⁽²⁾

وَوُجودُ مَعْدن الحَقَائق وَالمَعَارِف أَخِي الأَعَزِّ السَّيِّد مَيْرَ مُحَمَّد نُعْمَانَ مُغْتَنَمٌ فِي تلكَ الحُدُود، وَدُعَاءُوهُ وَتَوَجُّهُهُ كِبْرِيتٌ أَحْمَرُ، وَأَظُنُّ أَنَّ بَرَكَات تَوَجُّهَاته وَفُيُوضهَا قَوَائمُ دَوْلتكُمْ وَأَجدُهُ فِي الحُضُورِ وَالغَيْبَة مُمدَّكُمْ وَمُعَاونَكُمْ. وَقَدْ كَتَبَ المَرْقُومَ قَبْل هَذَا بِسَنَة مِنْ مَحَاسنكُمْ إِلى الفَقيرِ، وَأَدْرَجَ فِيمَا كَتَبَ مَحَبَّتَكُمْ وَإِخْلاصَكُمْ للفُقَرَاءِ، وَأَظْهَرَ فيه أَنَّهُ قَدْ فَوَّضَ تَوَليه هَذه الوِلايَة إِلى آخَرَ،

فَهَذَا الوَقْتُ وَقْتُ التَّوَجُّه وَالمَدَد فَحَصَل للفَقيرِ فِي أَثْنَاء مُطَالعَة ذَلكَ المَكْتُوب تَوَجُّهٌ فِي هَذَا البَاب فَوَجَدْتُكُمْ فِي ذَلكَ الوَقْت رَفِيعَ القَدْرِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي تلكَ السَّاعَة شَخْصٌ مُتَوَجِّهًا إِلى تلكَ الجِهَة فَكَتَبْتُ فِي جَوَاب ذَلكَ المَكْتُوب هَذِهِ العِبَارَةَ: أَنَّ خَانْخَانَانَ يُظْهِرُ فِي النَّظَرِ رَفِيعَ القُدْرَةِ وَالأَمْرِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ.

---

(١) ــ العلق: ٧

(٢) ــ آل عمران: ١٩١

المَكْتُوبُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى نُور مُحَمَّد الأنبالي

في جَوَابِ اسْتِفْسَارِه بأَنَّهُ إذَا حَضَرَ الطَّالبُ لطَلَبِ الحَقِّ جَل وَعَلا عِنْدَ شَيْخٍ آخَرَ مَعَ وُجُود شَيْخه هَل يَجُوزُ لهُ ذَلكَ أَوْ لاَ؟

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلوَات وَتَبْليغ الدَّعوَات:

أُنْهِيَ أَنَّ المَكْتُوبَ المُرْسَل قَدْ وَصَل وَسَأَلتَ أَنَّهُ مَعَ وُجُودِ حَيَاة الشَّيْخِ إذَا حَضَرَ الطَّالبُ عِنْدَ شَيْخٍ آخَرَ لطَلَبِ الحَقِّ - - جَل وَعَلا - - هَل يَجُوزُ لهُ ذَلكَ أَوْ لاَ؟

اعْلمْ أَنَّ المَقْصُودَ هُوَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ، وَالشَّيْخُ وَسِيلةُ الوُصُول إلى جَنَاب الحَقِّ تَعَالَى فَإنْ رَأَى الطَّالبُ رُشْدَهُ عِنْدَ شَيْخٍ آخَرَ وَوَجَدَ قَلبَهُ في صُحْبَته حَاضرًا مَعَ الحَقِّ يَجُوزُ أَنْ يَحْضُرَ عِنْدَهُ في حَيَاة شَيْخه الأَوَّل بلا إذْنه، وَيَطْلبَ مِنْهُ رُشْدَهُ؛ وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ لاَ يُنْكرَ شَيْخَهُ الأَوَّلَ، وَلاَ يَذْكُرَهُ إلا بخَيْرٍ خُصُوصًا في هَذَا الوَقْت، فَإنَّهُ لَمْ يَبْقَ فيه المُريديَّة وَالشَّيْخُوخَة غَيْرُ الرَّسْمِ وَالعَادَة فَإذَا لَمْ يَكُنْ لشُيُوخِ هَذَا الوَقْت خَبَرٌ عَنْ أَنْفُسهِمْ وَلا يَقْدرُونَ أَنْ يُفرِّقُوا بَيْنَ الإيمَانِ وَالكُفْرِ فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ خَبَرٌ عَنِ الله عَزَّ وَجَل وَعَلى أَيِّ طَرِيق يَدُلونَ المُريدَ.

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا خبْرَة عَنْ نَفْسه ... لاَ يَقْدرُ الإخْبَارَ عَنْ هَذَا وَذَا

يَا وَيْحَ مُريد يَقْعُدُ عِنْدَ مثْل هَذَا الشَّيْخِ مُعْتَقدًا لهُ وَلا يَرْجعُ إلى غَيْره وَلا يَعْرفُ طَرِيقَ الحَقِّ - جَل وَعَلا - وَهَذَا منَ الخَطَرَات الشَّيْطَانيَّة الوَاردَة منْ جهَة الشَّيْخِ النَّاقصِ لمَنْع الطَّالب عَنْ طَلَب الحَقِّ سُبْحَانَهُ، كُل مَوْضعٍ رَأَى الطَّالبُ رُشْدَهُ وَجَمْعيَّةَ قَلبه فيه يَنْبَغي الرُّجُوع فيهُ بلا تَوَقُّفٍ وَأَنْ تَسْتَعيذَ منَ الوَسَاوسِ الشَّيْطَانيَّة.

المَكْتُوبُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائة
إِلى مُحَمَّد مُؤْمِن وَالد المرْحُومِ الخَوَاجَهْ عُلَيْجَانَ
فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَنبَغِي أَنْ لاَ يَضِيقُ الصَّدْرُ عَنْ تَلوُّن الأَحْوَال وَعَدَمِ حُصُول الآمَال الدُّنْيَاوِيَّة الدَّنِيَّة.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَلمَكُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا لاَ يَليقُ بحَالكُمْ، اعْلمُوا أَنَّ الدُّنْيَا سجْنُ المُؤْمِنِ، وَالمُنَاسبُ لحَال السِّجْنِ هُوَ الوَجَعُ وَالألَمُ وَالمُصيبَةُ وَلا يَنْبَغِي التَّضَجُّرُ وَالجزَعُ مِنْ تَلوُّنِ الأَحْوَال وَعَدَمِ حُصُول الآمَال.

{فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا}(١) فَقَرَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِعُسْرٍ وَاحِدٍ يُسْرَيْنِ وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ منْهُمَا يُسْرَى الدُّنْيَا وَالآخرَةِ

لاَ عُسْرَ فِي أَمْرٍ مَعَ الكِرَام

وَبَاقِي أَحْوَال هَذه الحُدُود بَيَّنَهَا السَّيِّدُ عَبْدُ البَاقِي بِالمُشَافَهَةِ، وَالمُشَارُ إِليْه مُتَوَجِّهٌ لملاقَاتِكُمْ مُرَاعَاةً لحُقُوقِكُمْ وَإِشْفَاقًا عَليْكُمْ.

---

(١) الشرح: ٥، ٦.

المَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاثَمِائَة

إلى مَوْلانَا مُحَمَّد هَاشِم الخَادِم

فِي التَّحْذِيرِ عَنِ الاشْتِغَال بِأُمُورٍ لاَ طَائِل فِيهَا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الحَمْد وَالصَّلَوَات وَتَبْلِيغ الدَّعَوَات:

أُنْهِيَ أَنَّكُمْ مَا كَتَبْتُمْ فِي هَذه المُدَّة عَنْ أَحْوَالكُمُ البَاطنَة خَبَرًا مُعْتَدًّا به حَتَّى يَكُونَ بَاعثًا عَلى الفَرَحِ وَأُمُورِ الدُّنْيَا ممَّا لاَ طَائل فيهَا وَلا قَدْرَ للدُّنْيَا وَمَا فيهَا حَتَّى يَشْتَغل الإنْسَانُ بحَشْويَّاتهَا تَاركًا لتَذَكُّر أَحْوَال الآخرَة وَإنْ كَانَتْ نيَّتُكُمْ نيَّةَ خَيْر لكنَّكُمْ قَدْ سَمعْتُمْ أَنَّ حَسَنَات الأَبْرَار سَيِّئَاتُ المقَرَّبينَ وَعَلى كُل حَال يَنْبَغي التَّوَجُّهُ إلَى الأَحْوَال وَالاشْتغَال بالطُّفَيْليِّ بقَدْرِ الضَّرُورَةِ فَإنَّ الضَّرُورَةَ تُقَدَّرُ بقَدْرِهَا، للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ.

إنَّ فُقَرَاءَ هَذه الحُدُود وَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رزْقٌ مَعْلومٌ؛ وَلكنَّهُمْ يَصْرِفُونَ الأَوْقَاتَ بالفَرَاغَة وَالوَسَعَة منْ غَيْر سَعْيٍ فِي أَمْرِ الرِّزْق وَلا اجْتهَاد وَنَصيبُهُمْ يُصيبُهُمْ زِيَادَةً عَلى قَدْرِ الكَفَاف وَالرِّزْقُ هُوَ نَقْدُ الوَقْت، وَبَاقي أَحْوَال هَذه الحُدُود مُسْتَوْجبٌ للحَمْد وَفي هَذه الأَشْهُرِ عَادَ الوَبَاءُ ثَانيًا وَمَاتَ مَنْ جَاءَ أَجْلهُ وَقَد ارْتَفَعَ الآنَ للهِ سُبْحَانَهُ الحَمْدُ وَالمنَّةُ عَلى جَميع النَّعْمَاءِ وَالسَّلامُ.

المَكْتُوبُ التَّاسعُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلاَثمائَة

إلى خانْخَانَ

في بَيَانِ التَّوْبَةِ(١) وَالإنَابَةِ(٢) وَالوَرَعِ(٣) وَالتَّقْوَى وَمَا يُنَاسِبُ ذَلكَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عبَاده الذينَ اصْطَفَى وَحَيْثُ صَرَفْنَا العُمْرَ العَزيزَ في المعَاصي وَالزّلات وَالتَّقْصيرات وَالهَفَوَات يَسْتَحْسَنُ أَنْ نَتَكلَمَ عَنِ التَّوْبَة وَالإنَابَة وَالوَرَعِ وَالتَّقْوَى، قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى {وَتُوبُوا إلَى الله جَميعًا أَيُّهَا المُؤْمنونَ لعَلَكُمْ تُفْلحُونَ}(٤) وَقَال تَعَالى {يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا تُوبُوا إلَى الله تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى

---

(١) التوبة: لغة: الرجوع عن الذنب.،انظر: ابن منظور: لسان العرب: توب

أما عند الصوفية فلها مراتب وصور متعددة، فصورتها في البدايات: الرجوع عن المعاصي بتركها والإعراض عنها.، وفي **الأبواب**: ترك الفضول القولية والفعلية المباحة، وتجريد النفس عن هيئات الميل إليها وبقايا التروع إلى الشهوات الشاغلة عن التوجه إلى الحق.، وفي **المعاملات**: الإعراض عن رؤية فعل الغير، والإجتناب عن الدواعي وأحوال النفس برؤية أفعال الحق.، وفي **الأخلاق**: التوبة عن الرذائل النفسانية وعن إراداته وحوله وقوته.، وفي **الأصول**: الرجوع عن الإلتفات إلى الغير، والفتور في العزم. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٩٢، ١٩٣.

(٢) **الإنابة: لغة** الرجوع إلى الله بالتوبة. انظر: ابن منظور: لسان العرب: نوب.

أما عند الصوفية فلها مراتب متعددة، **فصورتها في البدايات**: الرجوع إلى الحق بالوفاء بعهد التوبة.، وفي المعاملات: توجه النفس إلى جناب القلب لتنوره بنوره، وتسكن إليه عند حضوره.، وفي **الأخلاق**: التثبت في مطاوعة القلب ومشايعته عند الترقي إلى جناب الرب والطمأنينة في ذلك بالرضاالمورث للقرب.

وفي **الأصول**: طيران القلب في الترقي لصحة العزم وقوة الإرادة، وتنسم روح الأنس، واستشراف نور المودة. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ١٩٥.

(٣) **الورع**: لغة: التحرج، وتورع عن كذا أي تحرج، والورع: هو الرجل التقي المتحرج. انظر: ابن منظور: لسان العرب: ورع.

أما عند الصوفية: فقد عرفه بعضهم فقال: هو أن تتورع عن أن يتشتت قلبك عن الله طرفة عين، وقال بعضهم: هو أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضي، وأن يكون اهتمامه بما يرضي الله تعالى. انظر: السهروردي: عوارف المعارف: ٢٣٩، ٢٤٠. الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية: ٢١٨.

(٤) النور: ٣١

تُفْلِحُونَ}(١) وَقَال تَعَالى {يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا تُوبُوا إلى الله تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}(٢) وَقَال تَعَالى {وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ}(٣).

فَالتَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ وَاجِبَةٌ وَفَرْضُ عَيْنٍ فِي حَقِّ كُلِ شَخْصٍ لاَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَسْتَغْنَى عَنْهَا أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ كَيْفَ وَالأَنْبيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَمْ يَسْتَغْنُوا عَنِ التَّوْبَة، قَال خَاتَمُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ عَلَيْه وَعَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ الله وَتَحيَّاتُهُ أَنَّهُ لَيُغَانُ عَلى قَلبي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليَوْمِ وَاللَّيْلَةَ سَبْعِينَ مَرَّةً "

فَإِنْ كَانَت المَعَاصِي تَتَعَلقُ بِحَقِّ الله تَعَالى وَلا تَتَعَلقُ بِحُقُوقِ العبَاد مِنَ المَظَالمِ كَالزِّنَا وَشُرْبِ الخَمْرِ وَسَمَاعِ الملاهي وَالنَّظَرِ إلى غَيْرِ مَحْرَمٍ وَمَسِّ المُصْحَفِ بِغَيْرِ وُضُوءٍ وَاعْتِقَادِ بِدْعَةٍ فَالتَّوْبَةُ عَنْهَا بِالنَّدَمِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالتَّحَسُّرِ وَالاعْتِذَارِ إلى الله عَزَّ وَجَل وَلَوْ تُرِكَ فَرْضٌ مِنَ الفَرَائِضِ لاَ بُدَّ فِي التَّوْبَةِ مِنْ أَدَائِهِ وَإِنْ كَانَت المَعَاصِي تَتَعَلقُ بِالمَظَالمِ وَالعبَاد فَتَوْبَتُهَا بِرَدِّ المظَالمِ إلَيْهِمْ وَالاسْتِحْلاَلِ مِنْهُمْ وَالإِحْسَانِ إلَيْهِمْ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُ المال وَالعَرَضِ مَيِّتًا فَالاسْتِغْفَارُ وَالإِحْسَانُ وَرَدُّ المال إلى أَوْلاده وَوَرَثَته وَإِنْ لَمْ يُعْلمْ لهُ وَارِثٌ يَتَصَدَّقُ بِقَدْرِ المال وَالجنَايَة عَلى الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكين بنيَّة صَاحب المال وَالذي أُوذِيَ بغَيْرِ حَقٍّ قَال عَليٌّ — كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ — سَمعْتُ أَبَا بَكْرٍ ﵁ يَقُول وَهُوَ الصَّادقُ: قَال رَسُول الله ﷺما مِنْ عَبْد أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلى وَاسْتَغْفَرَ اللهَ منْ ذَنْبه إلا كَانَ حَقًّا عَلى الله أَنْ يَغْفرَ له"(٤) لأَنَّهُ يَقُول جَل وَعَلا {وَمَنْ يَعْمَل سُوءًا أَوْ يَظْلمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفرُ اللهَ يَجد اللهَ غَفُورًا رَحيمًا} وَقَال عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في حَديث آخَرَ: "مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ثُمَّ نَدمَ عَلَيْه فَهُوَ كَفَّارَةٌ "(٥).

وَفي الخَبَر: "إنَّ الرَّجُل إذَا قَال: أَسْتَغْفرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْك ثُمَّ عَادَ ثُمَّ قَالهَا ثُمَّ عَادَ ثَلاثَ مَرَّات كُتبَ في الرَّابعَة منَ الكَبَائر"(٦).

---

(١) النور: ٣١

(٢) التحريم: ٨

(٣) الأنعام: ١٢١

(٤) عزاه المتقي الهندي لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن السني في عمل اليوم والليلة. (كنز العمال: ح١٠٤٢١.)

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه.

وَفِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ أَنَّهُ قَال عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ هَلَكَ المسَوِّفُونَ يَقُولونَ سَوْفَ نَتُوبُ ".

أَوْصَى لقْمَانُ الحَكِيمُ لابْنِهِ يَا بُنَيَّ لاَ تُؤَخِّرِ التَّوْبَةَ إِلى غَدٍ فَإِنَّ الموْتَ يَأْتِيكَ بَغْتَةً.

قَال مُجَاهِدٌ[1]: "مَنْ لَمْ يَتُبْ إِذَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى فَهُوَ مِنَ الظَّالمينَ".

قَال عَبْدُ اللهِ بْنُ المبَارَكِ[2]: رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ: "رَدُّ فَلسٍ مِنَ الحَرَامِ أَفْضَل مِنْ مائَة فَلسٍ يُتَصَدَّقُ به".

وَقِيلَ: "رَدُّ دَانَقٍ مِنْ فضَّة أَفْضَل عِنْدَ اللهِ مِنْ ستمائَة حَجَّةٍ مَبْرُورَة ".

{رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسرينَ}.

عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَال "إِنَّ اللهَ تَعَالى يَقُول: عَبْدي أَدِّ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْكَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَانْتَهِ عَمَّا نَهَيْتُكَ عَنْهُ تَكُنْ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ، وَاقْنَعْ بِمَا رَزَقْتُكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاس"[3].

وَقَال ﷺ لأَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ: "كُنْ وَرعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ".

وَقَال الحَسَنُ البَصْرِيُّ[4] رَحِمَهُ اللهُ: "مِثْقَال ذَرَّةٍ مِنَ الوَرَعِ خَيْرٌ مِنْ أَلفِ مِثْقَال مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلاة".

---

[1] ــ **مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي**: مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر من أهل مكة أخذ التفسير عن ابن عباس. توفي سنة ١٠٤ هــ. انظر: غاية النهاية لابن الجزري ٢ /٤١، صفة الصفوة ٢ /١١٧، حلية الأولياء ٣ /٢٧٩، الأعلام للزركلي ٥ / ٢٧٨.

[2] ــ عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي المروزي أبو عبدالرحمن، الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، من أهم كتبه: الرقائق، الجهاد، توفي سنة ١٨١ هــ انظر: تذكرة الحفاظ ١ /٢٥٣، الرسالة المستطرفة ٣٧، شذرات الذهب ١ / ٢٩٥، الأعلام ٤ ١١٥.

(٣) ورد مرفوعا إلى النبي ﷺ - بدون نسبة إلى رب العزة سبحانه وتعالى – بلفظ: " اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب " كذا أخرجه:

ابن ماجه في السنن: ك: الزهد. ب: الورع والتقوى.٤٢١٧.، سنن الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ. ح٢٤٠٧.وقال: حديث غريب، وقال العجلوني: رواه احمد والترمذي عن أبي هريرة بسند ضعيف، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ح٦٤٢٢.

[4] ــ الحسن بن يسار البصري (أبو سعيد) إمام أهل البصرة،وحبر الأمة في زمنه، لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: " إني قد ابتليت بهذ الأمر فانظر لي أعوانا يعينوني عليه "؛ فأجابه

وَقَال أَبُو هُرَيْرَة ﷺ: جُلسَاءُ اللهِ غدا أَهْل الوَرَعِ وَالزُّهْد أَوْحَى اللهُ إلى مُوسَى – عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ –: "لاَ يَتقَرَّبُ إليَّ المتَقَرِّبُون بِمِثْل الوَرَعِ"(١).

قَال بَعْضُ العُلمَاءِ بالله: لاَ يَتِمُّ الوَرَعُ إلا أَنْ يَرَى عَشَرَةَ أَشْيَاءَ فَرِيضَةً عَلى نَفْسه أَوَّلها: حفْظُ اللسَان عَنِ الغيبَة، والثَّاني: الاجْتنَابُ عَنِ السُّخْرِيَة، وَالثَّالثُ: الاجْتَنَابُ عَنْ سُوء الظَّنِّ، وَالرَّابعُ: غَضُّ النَّظَرِ عَنِ المَحَارِمِ، وَالخَامسُ: صدْقُ اللسَان، وَالسَّادسُ: أَنْ يَعرِفَ منَّةَ اللهِ كَيْلا يُعْجَبَ بنَفْسه، وَالسَّابعُ: أَنْ يُنْفقَ مَالَهُ في الحَقِّ وَلا يُنْفقَهُ فِي البَاطِل، وَالثَّامنُ: أَنْ لاَ يَطْلُبَ لنَفْسه العُلوَّ وَالكِبْرَ، وَالتَّاسِعُ: المُحَافَظَةُ عَلى الصَّلوَات. وَالعَاشرُ: الاسْتقَامَةُ عَلى السُّنَّة وَالجَامعَة".

{رَبّنَا أَتْمِمْ لنَا نُورَنَا وَاغْفرْ لنَا إنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ}(٢).

أَيُّهَا المَخْدُومُ المُكَرَّمُ المشْفقُ الأَكْرَمُ: إنْ تَيسَّرَت التَّوْبَةُ عَنْ جَميعِ الذُّنُوب وَحَصَل الوَرَعُ وَالتَّقْوَى منْ جَميعِ المحَرَّمَات وَالمُشْتَبهَات فَذَلكَ نعْمَةٌ عَظيمَةٌ وَدَوْلَةٌ قُصْوَى وَإلا فَالتَّوْبَةُ منْ بَعْضِ الذُّنُوب وَالوَرَعِ منْ بَعْضِ المُحَرَّمَات أَيْضًا مُغْتَنَمَةٌ؛ وَلعَل بَرَكَات ذَلكَ البَعْضِ وَأَنْوَارَهُ تَسْرِي فِي الأَبْعَاضِ الأُخَرِ وَيَتَيَسَّرُ التَّوْفيقُ للتَّوْبَة وَالوَرَعِ مِنْ سَائرِ المعَاصِي أَيْضًا وَمَا لاَ يدرك كله لا يُتْرَكُ كُلهُ.

اللهُمَّ وَفِّقْنَا لمَرْضَاتكَ وَثَبِّتْنَا عَلى دينكَ وَعَلى طَاعَتكَ بحُرْمَة سَيِّد المُرْسَلينَ وَقَائد الغُرِّ المُحَجَّلينَ عَليْهِ وَعَليْهِمْ وَعَلى آل كُل مِنَ الصَّلوَاتِ أَفْضَلهَا وَمِنَ التَّسْليمَاتِ أَكْمَلهَا.

الحسن: " أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخة فلا يريدونك، فاستعن بالله " توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ. انظر: تهذيب التهذيب، وفيات الأعيان، ميزان الإعتدال ١ /٢٥٤، حلية الأولياء ٢ /١٣١، الأعلام للزركلي ٢ /٢٢٦.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن البصري مرسلا.، ورواه الطبراني في المعجم الكبير: أحاديث عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.، وقال المناوي: رواه الطبراني من حديث أم سلمة، قال الهيثمي: رواه عن شيخه إبراهيم بن محمد وضعفه الذهبي.(فيض القدير ح٣٤٦١) وقال الهيثمي في موضع آخر: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه جويبر وهو ضعيف جدا.(مجمع الزوائد ٣٧٣/٨ ح ١٣٧٧٦).

(٢) التحريم: ٨

الْمَكْتُوبُ الثَّمَانُونَ بَعْدَ الثَّلاثمائَة

إلى خانجها

فِي بَيَانِ عَقَائِد أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة رِضْوَانُ الله تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مَعَ بَيَانِ الأَرْكَانِ الخَمْسَة الإِسْلامِيَّة وَالتَّحْرِيضِ عَلَى إِسْمَاعِ الكَلِمَةِ الحَقَّة يَعْنِي كَلِمَةَ الإِسْلامِ عَلَى سَمْعِ سُلْطَانِ الوَقْت

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبَاده الذينَ اصْطَفَى، وَصَلت الصَّحِيفَةُ الشَّرِيفَةُ المُرْسَلَةُ بِاسْمِ الفُقَرَاءِ المُنْقَطِعِينَ عَلى وَجْه الكَرَم وَالالتفَات، حَمْدًا لله سُبْحَانَهُ عَلى حُصُول الالتفَات وَالتَّوَاضُعِ للأَغْنيَاء ذَوي السَّعَادَة فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَان المَمْلوءِ مِنَ الشُّبَه وَالاشْتبَاه إِلى الفُقَرَاء الذينَ لاَ حَاصل لَهُمْ مَعَ عَدَمِ المُنَاسَبَة وَحُصُول الإِيمَان لَهُمْ مِنْ حُسْنِ النَّشْأَة الذي فيهِمْ بِهَذه الطَّائفَة يَا لَهَا مِنْ نعْمَة عَظيمَة حَيْثُ لَمْ تَكُنِ التَّعلقَاتُ الشَّتَّى مَانِعَةً عَنْ حُصُول هَذه الدَّوْلَة وَلَمْ يُعَاوقِ التَّوَجُّهَاتُ المتَفَرِّقَةَ عَنْ مَحَبَّة هَؤُلاءِ القَوْمِ يَنْبَغِي أَدَاءُ شُكْرِ هَذه النِّعْمَة العُظْمَى كَمَا حَقُّهُ وَأَنْ يَكُونَ رَاجِيًا "**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**" حَديثٌ نَبَوِيٌّ عَلَيْه وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

أَيُّهَا السَّعيدُ النَّجيبُ: لاَ بُدَّ للإِنْسَان مِنْ تَصْحِيحِ العَقَائد بِمُوجب آرَاء الفرْقَة النَّاجيَة أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَة رِضْوَانُ الله تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ الذينَ هُمُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ وَالجَمُّ الغَفيرُ حَتَّى يُتَصَوَّرَ الفَلاحُ الأُخْرَوِيُّ وَالنَّجَاةُ الأَبَدِيُّ وَالعَذَابُ السَّرْمَدِيُّ وَالمُدَاهَنَةُ فِي العَمَلِ وَالمُسَاهَلَةُ فيه يُرْجَى فيهَا المغْفرَةُ، وَأَمَّا المُدَاهَنَةُ فِي الاعْتقَاد فَلا مَجَال فيهَا للمَغْفرَة، {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}(١)

وَلنُوردْ مُعْتَقَدَات أَهْلِ السُّنَّة بلسَان الإِيجَاز وَالاخْتصَار، يَنْبَغِي تَصْحِيحُ الاعْتقَاد بِمُقْتَضَاهَا وَأَنْ نَسْأَل الحَقَّ سُبْحَانَهُ بِالتَّضَرُّعِ وَالابْتهَال الاسْتقَامَةَ عَلى هَذه الدَّوْلَة.

اعْلَمْ أَنَّ الله تَعَالى مَوْجُودٌ بذَاته القَديمَة، وَسَائرُ الأَشْيَاء صارَتْ مَوْجُودَةً بِإِيجَاده سُبْحَانَهُ وَخَرَجَتْ منَ العَدَمِ إِلَى الوُجُود بتَخْليقه وَهُوَ تَعَالى قَديمٌ أَزَلِيٌّ،

---

(١) النساء: ٤٨

وَالأَشْيَاءُ كُلهَا حَادِثَةٌ وَمَوْجُودَةٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ وَكُل مَا هُوَ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ فَهُوَ بَاقٍ وَأَبَدِيٌّ، وَكُل مَا هُوَ حَادِثٌ وَمَسْبُوقٌ بِالعَدَمِ فَهُوَ فَانٍ وَمُسْتَهْلَكٌ يَعْنِي: فِي شَرَفِ الزَّوَال وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ لاَ فِي وُجُوبِ الوُجُود وَلا فِي اسْتِحْقَاقِ العِبَادَةِ لاَ يَلِيقُ وُجُوبُ الوُجُود لِغَيْرِه تَعَالى، وَلا يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَلَهُ تَعَالى صِفَاتٌ كَامِلَةٌ فَمِنْهَا الحَيَاةُ، وَالعِلمُ، وَالقُدْرَةُ، وَالإِرَادَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالبَصَرُ، وَالكَلامُ، وَالتَّكْوِينُ، كُلهَا مُتَّصِفَةٌ بِالقِدَمِ وَالأَزَلِيَّة وَقَائِمَةٌ بِحَضْرَةِ الذَّاتِ تَعَالَتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَالتَّعَلقَاتُ الحَادِثَةُ لاَ تُورِثُ خَللا فِي قِدَمِ الصِّفَاتِ وَحُدُوثِ المتَعَلقِ لاَ يَصِيرُ مَانِعًا لأَزَلِيَّتِهَا وَاسْتَدَلَت الفَلاسِفَةُ مِنْ نُقْصَانِ عُقُولِهِمْ وَالْمُعْتَزِلَةُ مِنْ عَمَايَتِهِمْ وَغَوَايَتِهِمْ بِحُدُوثِ الْمُتَعَلقِ عَلَى حُدُوثِ المُتَعَلق وَنَفَوا الصِّفَاتِ الكَامِلَةَ وَعِلمَهُ تَعَالى بِالْجُزْئِيَّاتِ لاسْتِلزَامِه التَّغَيُّرَ الذِي هُوَ مِنْ أَمَارَاتِ الحُدُوث وَلَمْ يَعْلمُوا أَنَّ الصِّفَات تَكُونُ أَزَلِيَّةً وَتَكُونَ تَعَلقَاتُهَا بِالْمُتَعَلقَاتِ الحَادِثَة حَادِثَةً وَتَتَعَارَضُ الصِّفَاتُ مَسْلُوبَةً عَنْ جَنَابِ قُدْسِه تَعَالى وَهُوَ تَعَالى مُنَزَّةٌ عَنْ صِفَاتِ الجَوَاهِرِ وَالأَجْسَامِ وَالأَعْرَاضِ وَلَوَازِمِهَا لاَ مَجَالَ لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالجِهَةِ فِي حَضْرَتِه تَعَالى، وَهَذِه كُلهَا مَخْلوقَاتُهُ تَعَالى. وَزَعَمَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ لاَ خَبَرَ لَهُمْ أَنَّهُ تَعَالى فَوْقَ العَرْشِ وَأَثْبَتُوا لهُ سُبْحَانَهُ جِهَةَ الفَوْقِ، وَالعَرْشُ وَمَا سِوَاهُ مِمَّا حَوَاهُ كُلهَا حَادِثَةٌ وَمَخْلوقَاتُهُ تَعَالى وَكَيْفَ يَكُونُ لِلمَخْلُوقِ الحَادِثِ مَجَال أَنْ يَكُونَ مَكَانًا لِلخَالقِ القَدِيم وَمَقَرًّا لهُ؛ وَلكِنَّ العَرْشَ أَشْرَفُ مَخْلوقَاتِه، وَالنُّورَانِيَّةُ وَالصَّفَاءُ أَزْيَدُ فِيه مِنْهَا فِي غَيْرِه مِنَ الْمُمْكِنَاتِ فَلا جَرَمَ لهُ حُكْمُ الْمِرْآتِيَّةِ لاَ يُظْهِرُ عَظَمَةَ الخَالقِ وَكِبْرِيَاءَهُ - جَل وَعَلا - فِيه ظُهُورًا بَيِّنًا وَبِعَلاقَةِ هَذَا الظُّهُور، يُقَال لهُ عَرْشُ اللهِ، وَإِلا فَالعَرْشُ وَغَيْرُهُ كُلهُ مُتَسَاوٍ بِالنِّسْبَة إِلَيْه تَعَالى، وَكُلهُ مَخْلوقُهُ تَعَالى وَلكِنْ لِلعَرْشِ قَابِليَّةُ الإِرَاءَةِ وَليْسَتْ هِيَ لِغَيْرِه، أَلا تَرَى أَنَّ المِرْآةَ التِي تَرَى صُورَةَ إِنْسَانٍ لاَ يُقَال إِنَّ ذَلكَ الإِنْسَانَ فِي المِرْآة بَل نِسْبَةُ هَذَا الإِنْسَانِ إِلى المِرْآة وَنِسْبَتُهُ إِلى غَيْرِه مِنَ الأَشْيَاءِ المتَقَابِلَة إِلَيْه مُتَسَاوِيَةٌ وَإِنَّمَا التَّفَاوُتُ مِنْ جِهَةِ القَابِليَّة وَعَدَمِهَا حَيْثُ إِنَّ فِي المِرْآة قَابِليَّةَ انْطِبَاعِ الصُّورَةِ وَليْسَتْ هَذِه القَابِليَّة فِي غَيْرِهَا وَهُوَ تَعَالى لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلا جِسْمَانِيٌّ وَلا جَوْهَرٍ وَلا عَرَضٍ وَلا مَحْدُودٍ وَلا مُتَنَاهٍ وَلا طَوِيلٍ وَلا عَرِيضٍ وَلا قَصِيرٍ وَلا ضَيِّقٍ بَل وَاسِعٌ لاَ بِالوَسْعَة التِي تُدْرَكُ بِأَفْهَامِنَا، وَمُحِيطٌ لاَ بِالإِحَاطَة التِي تَكُونُ مُدْرَكًا بِإِدْرَاكِنَا، وَقَرِيبٌ لاَ بِالقُرْبِ الذِي يَتَعَلقُ بِعُقُولِنَا، وَهُوَ تَعَالى مَعَنَا لاَ بِالْمَعِيَّة المتَعَارَفَة، نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالى وَاسِعٌ وَمُحِيطٌ وَقَرِيبٌ وَأَنَّهُ مَعَنَا وَلكِنْ لاَ نَعْرِفُ كَيْفِيَّاتِ هَذِه الصِّفَاتِ مَا هِيَ

وَكُل مَا نَعْرِفُ مِنْ كَيْفِيَّاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ نَعْرِفُ أَنَّ لَهُ قَدْرًا مَا فِي مَذْهَبِ الْمُجَسِّمَة، وَهُوَ تَعَالَى لاَ يَتَّحدُ بشَيْءٍ أَصْلا وَلا يَتَّحدُ مَعَهُ شَيْءٌ وَلا يَحل فِيه تَعَالَى شَيْءٌ قَطْعًا، وَلا يَكُونُ هُوَ تَعَالَى حَالا فِي شَيْءٍ، وَالتَّجَزِّي وَالتَّبَعُّضِ مُحَالان فِي جَنَاب قُدْسه تَعَالَى، وَالتَّرْكيبُ وَالتَّحْليل مَمْنُوعَانِ فِي حَضْرَته تَعَالَى وَلَيْسَ لَهُ تَعَالَى كُفُؤٌ وَلا مَثْل وَلا صَاحبَةٌ لَهُ وَلا وَلَدٌ، وَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ فِي ذَاته وَصفَاته عَنِ الكَيْفِ وَالشَّبَه وَالمَثَال، وَمَبْلَغُ علمنَا فيه أَنَّهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ وَبالأَسْمَاءِ وَالصِّفَات الكَاملَة التِي وَصَفَ بهَا نَفْسَهُ وَأَثْنَى، مَوْصُوفٌ وَلكنْ كُل مَا يُدْرَكُ منْهَا بأَفْهَامنَا وَإِدْرَاكنَا وَيُتَصَوَّرُ بِعُقُولنَا فَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْهُ وَمُتَعَال كَمَا مَرَّ؛ {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ}(١)

وَمَا فَاهَ أَرْبَابُ النُّهَى وَالحِجَى بمَا   سوَى أَنَّهُ المَوْجُودُ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ

يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى تَوْقيفيَّةٌ يَعْنِي أَنَّ إِطْلاقَهَا عَلَيْه تَعَالَى مَوْقُوفٌ عَلَى السَّامعِ مِنْ صَاحب الشَّرْعِ، كُل اسْمٍ وَرَدَ إِطْلاقُهُ فِي الشَّرْعِ عَلَى حَضْرَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ يَجُوزُ إِطْلاَقُهُ عَلَيْه تَعَالَى وَمَا لاَ فَلا وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الكَمَال مُنْدَرِجًا فِي ذَلكَ الاسْمِ فَيَجُوزُ إِطْلاقُ الجَوَادِ لوُرُودهِ فِي الشَّرْعِ وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ السَّخِيِّ لعَدَمِ وُرُوده.

وَالقُرْآنُ كَلامُ اللهِ تَعَالَى أُنْزل عَلَى نَبيِّنَا عَلَيْه وَعَلَى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مُتَلَبِّسًا بلبَاسِ الحَرْف وَالصَّوْت وَأَمَرَ بِه عبَادَهُ وَنَهَاهُمْ فَكَمَا نَحْنُ نُظْهِرُ كَلامَنَا النَّفْسيَّ بتَوَسُّط الفَمِ وَاللسَان فِي لبَاسِ الحُرُوف وَالأَصْوَات وَنُوردُ به مَقَاصدَنَا الخَفيَّةَ فِي عَرْصَة الظُّهُورِ كَذَلكَ الحَقُّ سُبْحَانَهُ أَظْهَرَ كَلامَهُ النَّفْسيَّ لعبَاده فِي لبَاسِ الحَرْف وَالصَّوْت بقُدْرَته الكَاملة بلا تَوَسُّط فَمٍ وَلسَان وَأَجْلَى أَوَامرَهُ وَنَوَاهيه الخَفيَّة فِي ضمْنِ الحَرْف وَالصَّوْت عَلَى منَصَّة الظُّهُورِ فَكلا قسْمَيِ الكَلامِ كَلامُ الحَقِّ – – جَل وَعَلا – – يَعْنِي: النَّفْسيَّ وَاللفْظيَّ، وَإِطْلاقُ الكَلامِ عَلَى كلا القسْمَيْنِ بطَرِيق الحَقيقَة كَمَا أَنَّ كلا قسْمَيْ كَلامنَا النَّفْسيَّ وَاللفْظيَّ كَلاَم بطَرِيقِ الحَقيقَة لاَ أَنَّ القسْمَ الأَوَّل حَقيقَةٌ وَالثَّاني مَجَازٌ، فَإِنَّ نَفْيَ المَجَاز جَائزٌ وَنَفْيَ الكَلاَمِ اللفْظيِّ وَإِنْكَارَ كَوْنه كَلامَ اللهِ تَعَالَى كُفْرٌ، وَكَذَلكَ سَائرُ الكُتُب وَالصُّحُف الأُخْرَى التي أُنْزلتْ إِلَى الأَنْبيَاءِ المُتَقَدِّمينَ عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْهمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ كُلهَا كَلامُ اللهِ

---

(١) الأنعام:١٠٣

سُبْحَانَهُ، وَكُل مَا انْدرَجَ في القُرْآن وَفي تلكَ الكُتُبوَالصُّحُف أَحْكَامُ الله تَعَالى كَلفَ بهَا عبَادَهُ عَلى وَفْق الأَوْقَات وَالأزْمَان.

وَرُؤْيَةُ المُؤمنينَ الحَقَّ سُبْحَانَهُ في الجَنَّة منْ غَيْر جهَة وَمُقَابَلة وَبلا كَيْف وَإحَاطَة حَقٌّ نُؤْمنُ بتلكَ الرُّؤْيَة الأُخْرَويَّة وَلا نَشْتَغل بكَيْفيَّتهَا ، فَإنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالى لاَ كَيْفيَّةٌ لاَ يَظْهَرُ لأَرْبَاب الكَيْف وَالمثَال في هَذه النَّشْأَة منْ حَقيقَتهَا شَيْءٌ وَلا نَصيبَ لَهُمْ منْهَا غَيْرَ الإيمَان بهَا ، فَيَا خَسَارَةَ الفَلاسفَة وَالمُعْتَزلة وَسَائر الفرَق المُبْتَدعَة حَيْثُ يُنْكرُونَ الرُّؤْيَةَ الأُخْرَويَّةَ منَ العَمَى وَالحرْمَان، وَيَقيسُونَ الغَائبَ عَلى الشَّاهد وَلا يُشَرَّفُونَ بالإيمَان بهَا وَهُوَ تَعَالى كَمَا أَنَّهُ خَالقُ العبَاد كَذَلكَ هُوَ تَعَالى خَالقُ أَفْعَالهمْ أَيْضًا خَيْرًا كَانَ فعْلهُمْ أَوْ شَرًّا ، وَكُلهَا بتَقْدير الله تَعَالى وَلكنَّهُ رَاض عَن الخَيْر غَيْرُ رَاض عَن الشَّرِّ ، وَإنْ كَانَ كلاهُمَا بإرَادَته وَمَشيئَته تَعَالى ، وَلكنْ يَنْبَغي أَنْ لاَ يُنْسَبَ الشَّرُّ وَحْدَهُ إلَيْه تَعَالى بوَاسطَة الأَدَب وَأَنْ لاَ يَقُول خَالقَ الشَّرِّ بَل يَنْبَغي أَنْ يَقُول: خَالقُ الخَيْر وَالشَّرِّ كَمَا قَالَ العُلمَاءُ: يَنْبَغي أَنْ يَقُول: إنَّهُ تَعَالى خَالقُ كُل شَيْء وَلا يَنْبَغي أَنْ يَقُول: خَالقُ القَاذُورَات وَالخَنَازير لرعَايَة أَدَب جَنَاب قُدْسه تَعَالى ، وَالمُعْتَزلةُ منَ الثَّنَويَّة التي فيهمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ خَالقَ أَفْعَال العبَاد هُوَ العبَادُ وَيَنْسُبُونَ فعْل الخَيْر وَالشَّرِّ إلَيْهمْ ، وَالشَّرْعُ وَالعَقْل يُكَذِّبَانهمْ، نَعَمْ قَدْ جَعَل عُلمَاءُ الحَقِّ دَخْلا لقُدْرَة العَبْد في فعْله، وَأَثْبَتُوا فيه الكَسْبَ فَإنَّ الفَرْقَ بَيْنَ حَرَكَة المرْتَعش وَحَرَكَة المخْتَار وَاضحٌ، لأَنَّهُ لاَ مَدْخَل للقُدْرَة وَالكَسْب في حَرَكَة الارْتعَاش وَفي حَرَكَة الاخْتيَار مَدْخَل لهُمَا ، وَهَذَا القَدْرُ منَ الفَرْق يَكُونُ بَاعثًا عَلى المؤَاخَذَة وَمُثْبتًا للثَّوَاب وَالعقَاب ، وَأَكْثَرُ النَّاس مُتَرَدِّدُونَ في وُجُود القُدْرَة وَالكَسْب وَالاخْتيَار في العَبْد، وَيَزْعُمُونَ العَبْدَ مُضْطَرًّا وَعَاجزًا وَهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَ العُلمَاء فَإنَّ إثْبَاتَ القُدْرَة وَالاخْتيَار في العَبْد لاَ بمَعْنَى أَنَّهُ يَفْعَل كُل مَا يُريدُ وَلا يَفْعَل كُل مَا لاَ يُريدُ فَإنَّ التَّقَوُّل بذَلكَ بَعيدٌ عَن العُبُوديَّة بَل بمَعْنَى أَنَّ المَعْنَى أَنَّ العَبْدَ يَقْدرُ أَنْ يُخْرجَ عَنْ عُهْدَة جَميع مَا أُمرَ به مَثَلا أَنَّهُ يُقَدِّرُ أَنْ يُؤَدِّيَ الصَّلوَات الخَمْسَ وَيُقَدِّرُ إعْطَاءَ الزَّكَاة وَاحدًا منَ الأَرْبَعينَ ، وَيُقَدِّرُ صَوْمَ شَهْر منْ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا وَيُقَدِّرُ أَنْ يَحُجَّ مَرَّةً وَاحدَةً في عُمْره منَ الاسْتطَاعَة إلى الزَّاد وَالرَّاحلة وَعَلى هَذَا القيَاس بَاقي الأَحْكَام الشَّرْعيَّة قَدْ رَاعَى الحَقُّ سُبْحَانَهُ فيهَا منْ كَمَال الرَّأْفَة

والسُّهُولَة وَالْيُسْرِ لِضَعْفِ العَبْد وَقلة اقْتدَارِه، قَال اللهُ تَعَالى: {يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}(١).

وَقَال تَعَالى أَيْضًا: {يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا}(٢)، يَعْنِي: يُرِيدُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ثِقَلِ التَّكْلِيفَات الشَّاقَّة وَخُلقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا لَا يَصْبِرُ عَنِ الشَّهَوَات وَلا يَقْدرُ أَنْ يَتَحَمَّل التَّكْلِيفَات الشَّاقَّة، وَالأَنْبِيَاء عَلَيْهِم الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ رُسُل الحَقِّ سُبْحَانَهُ إِلى الخَلق لِيَدْعُوهُمُ اليه تَعَالى وَيَدُلوهُمْ مِنَ الضَّلالة عَلى طَرِيقِ الهِدَايَة، كُل مَنْ يَقْبَل دَعْوَتَهُمْ يُبَشِّرُونَهُ بالجَنَّة وَكُل مَنْ يُنْكِرُ يُهَدِّدُونَهُ بِعَذَاب جَهَنَّمَ وَمَا بَلغُوهُ مِنْ طَرَف الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَأَعْلمُوا به كُلهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَيْسَ فِيه شَائِبَةُ التَّخلق، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاء مُحَمَّدٌ رَسُول الله ﷺ وَدِينُهُ نَاسِخٌ لجَمِيعِ الأَدْيَان السَّابِقَة وَكِتَابُهُ أَفْضَل الكُتُب المُتَقَدِّمَة وَلا نَاسِخَ لشَرِيعَته بَل هِيَ قَائمَةٌ إلى قِيَام القِيَامَة وَيَنْزل عِيسَى - عَلى نَبِيِّنا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَيَعْمَل بِشَرِيعَته وَيَكُونُ مِنْ جُمْلة أُمَّته وَمَا أَخْبَرَ به ﷺ مِنْ أَحْوَال الآخرَة كُلهُ حَقٌّ مِنْ عَذَاب القَبْرِ وَضَغْطَة اللحْد وَسُؤَال مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فيه وَفَنَاء العَالمِ وَانْشقَاق السَّموَات وَانْتثَار الكَوَاكِب وَزَوَال الأَرْضِ وَالجِبَال وَانْدكَاكِهَا وَالحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَإِعَادَة الرُّوحِ إلى الجَسَد وَزَلزَلة السَّاعَة، وَأَهْوَال القيَامَة وَمُحَاسَبَة الأَعْمَال، وَشَهَادَة الجَوَارِحِ بالأعْمَال المُكْتَسَبَة، وَإِتْيَان دَفَاتِرِ الحَسَنَات وَالسَّيِّئَات يَمِينًا وَشمَالا، وَوَضْعِ المِيزَان لِيُوزَنَ به الحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَات لِيُعْرَفَ نُقْصَانُ الحَسَنَة وَالسَّيِّئَة وَزِيَادَتُهُمَا فَإِنْ ثَقُلَتْ كَفَّةُ الحَسَنَات فَعَلامَةُ النَّجَاة وَإِنْ خَفَّتْ فَعَلامَةُ الخُسْرَان وَالشَّقَاوَة، وَثِقَل ذَلكَ المِيزَانِ وَخِفَّتُهُ عَلى خِلاف ثِقَل مِيزَانِ الدُّنْيَا وَخِفَّته فَإِنَّ الكَفَّةَ المُرْتَفعَةَ هِيَ الثَّقيلةُ هُنَاكَ وَالمُتَسَفِّلة هِيَ الخَفِيفَةُ،

وَشَفَاعَةُ الأَنْبِيَاء وَالصُّلَحَاء عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالتَّسْلِيمَاتُ أَوَّلا وَثَانِيًا لعُصَاة المُؤْمنِينَ بِإذْنِ مَالك يَوْمِ الدِّينِ - جَل سُلطَانُهُ - ثَابتَةٌ

قَال عَلَيْهِ وَعَلى آله الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "شَفَاعَتِي لأَهْل الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتي"(٣).

---

(١) البقرة:٨٥

(٢) النساء: ٢٨

(٣) حسن صحيح غريب: أخرجه الترمذي في السنن: أبواب صفة القيامة. ب: ١١ ح ٢٥٥٢. وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه، و أبو داود في السنن: ك: السنة. ب: في الشفاعة. ح٤٧٣٩.، وأحمد في المسند: مسند أنس بن مالك.، الطبراني في المعجم الكبير: أنس بن مالك.

وَالصِّرَاطُ يُوضَعُ عَلى مَتْنِ جَهَنَّمَ فَيَمُرُّ مِنْهُ المُؤْمِنونَ وَيَذْهَبُونَ إِلى الجَنَّة وَيَزْلَقُ مِنْهُ أَقْدَامُ الكَافِرِينَ فَيَسْقُطُونَ فِي جَهَنَّمَ، وَالجَنَّةُ التي أُعِدَّتْ لِتَنَعُّمِ المُؤْمِنِينَ وَجَهَنَّمُ التي أُعِدَّتْ لِتَعْذِيب الكَافِرِينَ كِلتَاهُمَا مَخْلوقَتَان الآنَ وَتَبْقَيَان إلى أَبَد الآبَاد وَلا تَفْنَيَان فَإِذَا دَخَل المُؤْمِنونَ الجَنَّةَ بَعْدَ المُحَاسَبَة يَدُومُون فيهَا لا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَكَذَلكَ الكُفَّارُ إِذَا دَخَلوا النَّارَ يَدُومُون فيهَا يُعَذَّبُونَ فيهَا أَبَدَ الآبَاد وَتَخْفِيفُ العَذَاب عَنْهُمْ غَيْرُ جَائِزٍ، قَال تَعَالى ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾⁽¹⁾.

وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِه مِثْقَال ذَرَّة مِنْ إِيمَان فَإِنْ أُدْخِل النَّارَ بِسَبَب إِفْرَاطِه فِي المَعَاصِي يُعَذَّبُ بِقَدْرِ عِصْيَانِه ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَخِيرًا وَلا يَسْوَدُّ وَجْهُهُ كَمَا يَسْوَدُّ وَجْهُ الكُفَّارِ وَلا يُجْعَل فيه الأَغْلال وَالسَّلاسِل لِحُرْمَة إِيمَانه كَمَا تُجْعَل لِلكُفَّار، وَالمَلائِكَةُ عِبَادُ الله سُبْحَانَهُ المُكَرَّمونَ

﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽²⁾ مُبَرَّأُونَ مِنْ صِفَات الذُّكُورَة وَالأُنُوثَة، وَالتَّوَالدُ وَالتَّنَاسُل مَفْقُودٌ فِي حَقِّهِمْ اصْطَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ بَعْضَهُمْ لِلرِّسَالة وَشَرَّفَهُمْ بِتَبْليغ الوَحْيِ وَهُمُ الذين بَلغُوا الكُتُبَ وَالصُّحُفَ، الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ وَهُمْ مَحْفُوظُونَ عَنِ الخَطَأ وَالخَلل وَمَعْصُومُونَ عَنْ كَيْد العَدُوِّ وَمَكْرِه وَمَا بَلغُوهُ مِنْ عِنْد الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى كُلهُ صِدْقٌ وَصَوَابٌ لِيسَ فيه شَائِبَةُ احْتِمَال الخَطأ وَالاشْتِبَاه، وَهَؤُلاء الكُبَرَاءُ خَائفُونَ مِنْ عَظَمَة الحَقِّ وَجَلاله سُبْحَانَهُ لا شُغْل لَهُمْ غَيْرَ امْتِثَال أَوَامِره تَعَالى،

وَالإِيمَانُ تَصْدِيقٌ بِالقَلب وَإِقْرَارٌ بِاللسَان بِمَا بَلغَنَا مِنَ الدِّينِ بِالتَّوَاتُرِ وَالضَّرُورَة إِجْمَالا وَتَفْصِيلا، وَأَعْمَال الجَوَارِحِ خَارِجَةٌ مِنْ نَفْسِ الإِيمَان وَلكِنَّهَا تَزِيدُ الكَمَال فِي الإِيمَانِ وَتُورِثُ فيه الحُسْنَ قَال الإِمَامُ الأَعْظَمُ الكُوفِيُّ عَلَيْه الرَّحْمَةُ: الإِيمَانُ لا يَقْبَل الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ فَإِنَّ التَّصْدِيقَ القَلبيَّ عِبَارَةٌ عَنْ يَقِين القَلبِ وَإِذْعَانه وَلا مَجَال فيه لِلتَّفَاوُت بِالزِّيَادَة وَالنُّقْصَان، وَمَا يَقْبَل التَّفَاوُتَ فَهُوَ دَاخل فِي دَائِرَة الظَّنِّ وَالوَهْمِ، وَكَمَال الإِيمَان وَنُقْصَانُهُ بِاعْتِبَار الطَّاعَات وَالحَسَنَات، كُل مَا زَادَت الطَّاعَةُ زَادَ كَمَال الإِيمَان فَلا يَكُونُ إِيمَانُ عَامَّة المُؤْمِنِينَ مِثْل إِيمَانِ الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْليمَاتُ، فَإِنَّ إِيمَانَهُمْ بَلغ ذُرْوَةَ الكَمَال بِوَاسِطَة اقْتِرَانِ الطَّاعَات، وَإِيمَانُ العَوَامِّ بِمَرَاحِل عَنْ نَفْسِ الكَمَال فَضْلا عَنْ ذُرْوَتِه

---

(1) النحل: ٨٥

(2) التحريم: ٦

وَإِنْ كَانَ إِيمَانُ كُل مِنْهُمَا مُتَشَارِكَيْنِ فِي نَفْسِ التَّصْدِيقِ وَلكِنَّ إِيمَانَ الأَنْبِيَاءِ عَرَضٌ لهُ بِوَاسِطَةِ طَوْقِ الطَّاعَاتِ ، حَقِيقَةٌ أُخْرَى وَكَأَنَّ إِيمَانَ العَوَامِّ لِيْسَ فَرْدًا مِنْ ذَلِكَ الإِيمَانِ وَالْمُمَاثَلةُ وَالْمُشَارَكَةُ مَفْقُودَةٌ بَيْنَهُمَا أَلا تَرَى أَنَّ عَوَامَّ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا شُرَكَاءَ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي نَفْسِ الإِنْسَانِيَّةِ وَلكِنَّ الكَمَالاتِ الأُخَرَ لِلأَنْبِيَاءِ بَلَغَتْهُمُ الدَّرَجَاتِ العُلْيَا وَأَثْبَتَتْ لَهُمْ حَقِيقَةً أُخْرَى وَكَأَنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الحَقِيقَةِ المُشْتَرَكَةِ بَل هُمُ النَّاسُ وَالعَوَامُّ لَهُمْ حُكْمُ النِّسْنَاسِ قَال الإِمَامُ الأَعْظَمُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ: أَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا ، وَقَال الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالى وَلِكُل وَجْهٍ بِاعْتِبَارِ الحَال يَجُوزُ أَنْ يُقَال: أَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا وَبِاعْتِبَارِ الخَاتِمَةِ وَالمَآل يَصِحُّ أَنْ يُقَال: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ وَلكِنَّ الاجْتِنَابَ عَنْ صُورَةِ الاسْتِثْنَاءِ أَفْضَل بِأَيٍّ وَجْهٍ قَال.

وَلا يَخْرُجُ الْمُؤْمِنُ بِارْتِكَابِ المَعَاصِي مِنَ الإِيمَانِ وَلوْ كَبِيرَةً وَلا يَدْخُل فِي دَائِرَةِ الكُفْرِ ، نُقِل أَنَّ الإِمَامَ الأَعْظَمَ كَانَ يَوْمًا جَالِسًا مَعَ جَمْعٍ مِنَ العُلمَاءِ فَجَاءَ شَخْصٌ فَقَال: مَا تَقُولونَ فِي حَقِّ مُؤْمِنٍ فَاسِقٍ قَتَل أَبَاهُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَطَعَ رَأْسَهُ وَشَرِبَ الخَمْرَ فِي كَأْسِ رَأْسِهِ ثُمَّ زَنَا بِأُمِّهِ هَل هُوَ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ؟ فَتَكَلمَ كُل وَاحِدٍ مِنَ العُلمَاءِ فِي حَقِّهِ بِمَا لِيْسَ بِصَوَابٍ وَوَقَعُوا فِي غَلطٍ فَقَال الإِمَامُ الأَعْظَمُ فِي ذَلِكَ الأَثْنَاءِ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ لمْ يَخْرُجْ بِارْتِكَابِ هَذِهِ الكَبَائِرِ مِنَ الإِيمَانِ فَثَقُل قَوْل الإِمَامِ هَذَا عَلى العُلمَاءِ فَأَطَالوا لِسَانَ الطَّعْنِ فِيهِ وَالتَّشْنِيعَ عَلَيْهِ وَلكِنْ لمَّا كَانَ قَوْل الإِمَامِ حَقًّا قَبِلهُ كُلهُمْ أَخِيرًا وَاعْتَرَفُوا بِأَنَّهُ الحَقُّ فَلوْ وُفِّقَ الْمُؤْمِنُ العَاصِي لِلتَّوْبَةِ قَبْل الغَرْغَرَةِ فَنَرْجُوا لهُ نَجَاةً عَظِيمَةً لِوَعْدِ قَبُول تَوْبَتِهِ وَإِنْ لمْ يَتَشَرَّفْ بِالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ فَأَمْرُهُ للهِ سُبْحَانَهُ فَإِنْ شَاءَ عَفَا وَأَدْخَلهُ الجَنَّةَ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِقَدْرِ مَعْصِيَتِهِ بِالنَّارِ أَوْ بِغَيْرِ النَّارِ وَلكِنْ آخِرُ أَمْرِهِ النَّجَاةُ وَمَآلهُ الجَنَّةُ فَإِنَّ الحِرْمَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالى فِي الآخِرَةِ مَخْصُوصٌ بِأَهْل الكُفْرِ، وَأَمَّا مَنْ فِيهِ ذَرَّةٌ مِنْ إِيمَانٍ فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلرَّحْمَةِ وَالغُفْرَانِ، وَإِنْ لمْ تَبْلغْهُ الرَّحْمَةُ فِي الابْتِدَاءِ بِوَاسِطَةِ عِلةِ المَعْصِيَةِ وَلكِنَّهَا تَشْمَلهُ أَخِيرًا بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(١) وَبَحْثُ الإِمَامَةِ وَالخِلافَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ مِنْ أُصُول الدِّين وَمُتَعَلِّقًا بالاعْتِقَاد وَلكِنْ لَمَّا غَالت الشِّيعَةُ فِي هَذَا البَاب وَأَفْرَطُوا فِيه وَفَرَّطُوا الحَقَّ أَهْلَ الحَقِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ هَذَا المَبْحَثَ بِعلم الكَلامِ بالضَّرُورَة وَبَيَّنُوا حَقِيقَةَ الحَال وَالإِمَامُ عَلى الحَقّ وَالخَلِيفَةُ عَلى الإِطْلاق بَعْدَ خَاتَمِ الرُّسُل عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب رِضْوَانُ اللهِ تَعَالى عَلَيْهِمِ أَجْمَعِينَ، وَأَفْضَلِيَّتُهُمْ عَلى تَرْتِيب خِلافَتِهِمْ وَأَفْضَلِيَّةُ الشَّيْخَيْنِ ثَابِتَةٌ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَة وَالتَّابعِينَ كَمَا نَقَلَهُ أَكَابِرُ الأَئِمَّة وَاحِدٌ مِنْهُمُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ قَالَ رَئِيسُ أَهْلِ السُّنَّة الشَّيْخُ أَبُو الحَسَن الأَشْعَرِيُّ: إِنَّ أَفْضَلِيَّةَ الشَّيْخَيْنِ عَلى بَاقِي الأُمَّة قَطْعِيَّةٌ لاَ يُنْكِرُهَا إِلا جَاهِل أَوْ مُتَعَصِّبٌ. قَالَ عَلِيٌّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ " مَنْ فَضَّلَنِي عَلى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَهُوَ مفتر أَضْرِبُهُ بالسَّوْط كَمَا يُضْرَبُ المُفْتَرُونَ .

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدَ القَادرِ الجيلانيُّ ــ قُدِّسَ سِرُّهُ ــ فِي كِتَابه الغُنْيَّة نَقْلا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَمَّا عُرِجَ إِلى السَّمَاء سَأَلتُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ تَجْعَلَ الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ المَلائِكَةُ: يَا مُحَمَّدُ، كُل مَا يَشَاءُ اللهُ يَكُنْ الخَلِيفَةَ بَعْدَكَ أَبُو بَكْرٍ"(٢)

وَقَالَ حَضْرَةُ الشَّيْخ أَيْضًا قَالَ عَلِيٌّ ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ "مَا خَرَجَ رَسُول اللهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَخَذَ عَلِيَّ عَهْدًا عَلى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَلِي مِنْ بَعْدِي ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ مِنْ بَعْدِه ثُمَّ أَنْتَ مِنْ بَعْدِه "رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَالإِمَامُ الحَسَنُ أَفْضَل مِنَ الإِمَام الحُسَيْن رضي الله عنهوَعُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّة يُفَضِّلُونَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَلى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي العلمِ وَالاجْتِهَاد وَالشَّيْخُ عَبْدُ القَادرِ الجيلانِيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ يُقَدِّمُ عَائِشَةَ عَلى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي كِتَابه الغُنْيَّة.

وَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ الفَقِير: أَنَّ عَائِشَةَ أَسْبَقُ قَدَمًا فِي العلمِ وَالاجْتِهَاد وَفَاطِمَةُ أَقْدَمُ فِي الزُّهْد وَالانْقِطَاعِ وَلِهَذَا قِيل لِفَاطِمَة بَتُولا وَهُوَ صِيغَةُ المُبَالغَة فِي الانْقِطَاعِ وَعَائِشَةُ هِيَ مَرْجِعُ فَتَاوَى الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، مَا وَقَعَ عَلى صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ مُشْكِل فِي العلمِ إِلا كَانَ حَلهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،

---

(١) آل عمران: ٨

(٢) لم أقف عليه.

وَالْمحَارَبَاتُ وَالْمُنَازَعَاتُ التي وَقَعَتْ بَيْنَ الأَصْحَاب الكرَام عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ مثْل مُحَارَبَة الجَمَل وَمُحَارَبَة الصِّفِّين يَنْبَغي أَنْ يَحْملهَا عَلى مَحَامل صَحيحَة حَسَنَة أَنْ يُبْعدَهُمْ عَنِ الهَوَى وَالتَّعَصُّب فإنَّ نُفُوسَ هَؤُلاء الأَكَابر كَانَتْ مُزَكَّاةً عَنِ الهَوَى وَالهَوَس وَمُطَهَّرَةً عَن الحقْد وَالحرْص في صُحْبَة خَيْر البَشَر عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَإنْ وَقَعَتْ عَنْهُمْ مُصَالحَةٌ فهيَ لأَجْل الحَقِّ، وَإنْ ظَهَرَتْ منْهُمْ مُنَازَعَةٌ وَمُشَاجَرَةٌ فهيَ أَيْضًا للحَقِّ سُبْحَانَهُ كُل فرْقَة منْهُمْ عَملوا بمُقْتَضَى اجْتهَادهمْ وَدَفعُوا الْمخَالفَ عَنْ أَنْفسهمْ بلا شَائبَة هَوًى وَتَعَصُّب فَكُل مَنْ هُوَ مُصيبٌ في اجْتهَاده فَلَهُ دَرَجَتَان منَ الثَّوَاب وَفي قَوْل عَشْرُ دَرَجَات، وَمَنْ هُوَ مُخْطئٌ فَلَهُ دَرَجَةٌ وَاحدَةٌ منَ الثَّوَاب. فَالْمُخْطئُ كَالْمُصيب بَعيدٌ عَنِ الْمَلامَة بَل يَتَوَقَّعُ لهُ دَرَجَةً منْ جَرَّات الثَّوَاب، قَال العُلَمَاءُ: إنَّ الحَقَّ في تلكَ الْمُحَارَبَات.

كَانَ في جَانب عَليٍّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ وَكَانَ الْمُخَالفونَ في طَرَف منَ الصَّوَاب وَمَعَ ذَلكَ لَيْسُوا بمَوَاردَ للطَّعْن وَلا مَجَال للمَلامَة فيهمْ فَضْلا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ إلَيْهمُ الكُفْرُ وَالفسْقُ قَال عَليٌّ ـــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـــ إخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا لَيْسُوا بكُفَّار وَلا فُسَّاق فَإنَّ لَهُمْ تَأْويلا يَمْنَعُ عَنْهُمُ الكُفْرَ وَالفسْقَ .

قَالَ نَبيُّنَا ﷺ "إيَّاكُمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابي"(١)

فَيَنْبَغي تَعْظيمُ جَميع أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ وَأَنْ يُذْكَرَ جَميعُهُمْ بخَيْر وَأَنْ لاَ يُسَاءَ الظَّنُّ بأَحَد منْهُمْ وَأَنْ يُرَى مُنَازَعَتُهُمْ أَفْضَل منْ مُصَالحَة غَيْرهمْ، هَذَا هُوَ طَريقُ النَّجَاة وَالفَلاح فَإنَّ حُبَّ الأَصْحَاب الكرَام بوَاسطَة حُبِّ النَّبيِّ، وَبُغْضَهُمْ يَنْجَرُّ إلى بُغْضه عَلَيْه وَعَلَيْهمُ الصَّلاةُ السَّلامُ، قَال وَاحدٌ منَ الكُبَرَاء: مَا آمَنَ برَسُول الله ﷺ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ

وَعَلامَاتُ القيمَة التي أَخْبَرَ عَنْهَا المخبرُ الصَّادقُ ﷺ كُلهَا حَقٌّ لَيْسَ فيهَا احْتمَال التَّخَلف كَطُلوع الشَّمْس منْ جَانب المغْرب عَلى خلاف العَادَة وَظُهُور مَهْديٍّ عَلَيْه الرِّضْوَانُ وَنُزُول رُوْح الله - عَلَى نَبيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَخُرُوج دَجَّال وَظُهُور يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَخُرُوج دَابَّة الأَرْض، وَدُخَان يَظْهَرُ منَ السَّمَاء يَغْشَى النَّاسَ كُلهُمْ وَيُعَذِّبُهُمْ بعَذَاب أَليم وَيَقُول النَّاسُ منَ الاضْطرَاب

---

(١) النهاية لابن الأثير: باب الشين مع الجيم.، لسان العرب: شجر.

{رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ}(١) وَآخِرُ العَلامَاتِ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ عَدَنٍ.

وَزَعَمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الجَهَالَةِ أَنَّ الشَّخْصَ الذي ادَّعَى المَهْدَوِيَّةَ مِنْ أَهْلِ الهند هُوَ المهْدِيُّ المَوْعُودُ فَالمَهْدِيُّ قَدْ مَضَى بِزَعْمِهِمْ وَفَاتَ وَيَقُولُونَ: إِنَّ قَبْرَهُ فِي فَرَّه، وَفِي الأَحَادِيث الصَّحِيحَة التي بَلَغَتْ حَدَّ الشُّهْرَة بَل حَدَّ التَّوَاتُرِ المَعْنَوِيِّ مَا يُكَذِّبُ هَذه الطَّائفَةَ فَإِنَّهُ ﷺ بَيَّنَ لِلمَهْدِيِّ عَلامَات وَتِلكَ العَلامَاتُ مَفْقُودَةٌ فِي ذَلِكَ الشَّخْص الذي يَعْتَقِدُونَهُ مَهْدِيًّا، وَرَدَ فِي الأَحَادِيث النَّبَوِيَّة أَنَّهُ يَخْرُجُ المَهْدِيُّ وَعَلى رَأْسه قطْعَةُ سَحَاب فيهَا مَلَكٌ يُنَادِي: إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ مَهْدِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ وَقَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ مَلَكُ جَمِيعِ الأَرْضِ أَرْبَعَةٌ اثْنَان مِنَ المُؤْمِنِينَ وَاثْنَان مِنَ الكَافِرِينَ ذُو القَرْنَيْنِ وَسُلَيْمَانُ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَنَمْرُودُ وَبُخْتُ نَصَّرَ مِنَ الكَافِرِينَ وَسَيَمْلَكُ الأَرْضَ خَامِسٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَعْنِي: المهْدِيَّ وَقَال عَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ لاَ تَزُول الدُّنْيَا حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ رَجُلا مِنْ أَهْل بَيْتِي اسْمُهُ يُوَافِقُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيه يُوَافِقُ اسْمَ أَبِي فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا "(٢).

وَوَرَدَ فِي الحَدِيث أَيْضًا: "إِنَّ أَصْحَابَ الكَهْف يَكُونُونَ أَعْوَانَ المَهْدِيِّ"(٣).

وَيَنْزِل عِيسَى ـــ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ ـــ فِي زَمَانه وَهُوَ يُوَافِقُ عِيسَى عَلَيْه السَّلامُ فِي قِتَال الدَّجَّال وَفِي زَمَان ظُهُور سَلطَنَته تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ فِي الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ وَيَنْخَسِفُ القَمَرُ فِي أَوَّل ذَلِكَ الشَّهْرِ عَلى خِلافِ العَادَة وَخِلاف حِسَاب المُنَجِّمِينَ.

ينبغي أن ننظر بنظر الإنصاف: هل كانت هذه العلامات لذلك الشخص الميت أم لا؟ وله عَلاَمَاتٌ أُخَرُ كَثِيرَةٌ أَخْبَرَ بِهَا المُخْبِرُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ

---

(١) الدخان: ١٢

(٢) أحمد في المسند بنحوه: مسند ابي سعيد الخدري.، والحاكم في المستدرك ٤/٤٦٥،وقال الذهبي:إسناده مظلم.، وقال الهيثمي: رواه الترمذي وغيره باختصار كثير.رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات. (مجمع الزوائد. ك: الفتن. ب: ما جاء في المهدي ح١٢٣٩٣.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور لابن مردويه عن ابن عباس (الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: تفسير سورة الكهف الآية: ١٠ — ١٢)، وقال الحافظ ابن حجر: وفي تفسير ابن مردويه عن ابن عباس: أصحاب الكهف أعوان المهدي وسنده ضعيف، فإن ثبت حمل على أنهم لم يموتوا بل هم في المنام إلى أن يبعثوا لإعانة المهدي. (فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ك: أحاديث الأنبياء. ب: " أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم "

وَالسَّلامُ وَكَتَبَ الشَّيْخُ ابْنُ حَجَرٍ رِسَالَةً فِي بَيَانِ عَلامَةِ المَهْدِيِّ المُنْتَظَرِ تَبْلُغُ مِأَتَ عَلامَةٍ، وَبَقَاءُ جَمَاعَةٍ فِي ضَلالَةٍ مَعَ وُضُوحِ أَمْرِ وُضُوحِ المَهْدِيِّ المَوْعُودِ مِنْ نِهَايَةِ الجَهَالَةِ هَدَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ سَوَاءَ الصِّرَاطِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قَالُوا: وَمَنْ هَذِهِ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هُمْ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"(١).

وَهَذِهِ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ

فَإِنَّهُمْ هُمُ المُلْتَزِمُونَ مُتَابَعَتَهُ وَمُتَابَعَةَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ وَالتَّسْلِيمَاتُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَأَمِتْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ وَاحْشُرْنَا مَعَهُمْ

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ}(٢)

وَبَعْدَ تَصْحِيحِ الاعْتِقَادِ لاَ بُدَّ مِنِ امْتِثَالِ الأَوَامِرِ وَالانْتِهَاءِ عَنِ المَنَاهِي الشَّرْعِيَّتَيْنِ المُتَعَلِّقَتَيْنِ بِالعَمَلِ يَنْبَغِي أَدَاءُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ مَعَ تعديل الأركان والجماعة، وَالفَارِقُ بَيْنَ الإِسْلامِ وَالكُفْرِ هُوَ هَذِهِ الصَّلاةُ فَإِذَا تَيَسَّرَ أَدَاءُ الصَّلاةِ عَلَى الوَجْهِ المسنُون فَقَدْ حَصَلَ الاسْتِمْسَاكُ بِأَحْبَلِ المَتِينِ مِنَ الدِّينِ فَإِنَّ الصَّلاةَ هِيَ الأَصْلُ الثَّانِي مِنَ الأُصُولِ الخَمْسَةِ الإِسْلامِيَّةِ ، الأَصْلُ الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ سُبْحَانَهُ ، وَالأَصْلُ الثَّانِي الصَّلاةُ، وَالثَّالِثُ أَدَاءُ الزَّكَاةِ ، وَالرَّابِعُ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَالخَامِسُ حَجُّ بَيْتِ اللهِ، الأَصْلُ الأَوَّلُ يَتَعَلَّقُ بِالاعْتِقَادِ، وَالأُصُولُ الأَرْبَعَةُ البَاقِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِالأَعْمَالِ، وَأَجْمَعُ جَمِيعِ العِبَادَاتِ وَأَفْضَلُهَا الصَّلاةُ وَيَكُونُ ابْتِدَاءُ المُحَاسَبَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الصَّلاةِ فَإِذَا تَمَّ أَمْرُ الصَّلاةِ تَمْضِي مُحَاسَبَةُ الأُخْرَى بِعِنَايَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ بِالسُّهُولَةِ فينبغي الاجتناب عن المحظورات الشرعية مهما أمكن وَأن يرى ما لا يرضاه المولى سبحانه سُمًّا مُهْلِكًا، وَأَنْ يَجْعَلَ مَوَادَّ التَّقْصِيرَاتِ نُصْبَ

---

(١) **حسن غريب**: سنن أبي داوود: ك: السنة. ب: شرح السنة ح ٤٥٨٥.، سنن الترمذي: أبواب الإيمان: ب: إفتراق هذه الأمة ح ٢٧٧٩ بنحوه وقال: حديث حسن غريب.، والطبراني في الكبير: حديث عمرو بن عوف بن ملحة المزني. وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف وقد حسن الترمذي له حديثاً،وبقية رجاله ثقات.، ابن جرير في جامع البيان ٥٩٨٧ تفسير سورة آل عمران: تأويل قوله تعالى " ولا تفرقوا "

(٢) آل عمران: ٨

العَيْنِ وَأَنْ يَكُونَ خَجِلا وَمُنْفَعِلا مِنْ ارْتِكَابِهَا وَأَنْ يَكُونَ مُتَنَدِّمًا وَمُنْحَسِرًا عَلَى فِعْلِهَا وَاقْتِرَافِهَا هَذَا هُوَ طَرِيقُ العُبُودِيَّة، وَاللهُ المُوَفِّقُ وَالذي يَرْتَكِبُ مَا لاَ يَرْضَى عَنْهُ مَوْلاَهُ بِلاَ تَحَاشٍ وَلا يَكُونُ خَجِلا وَمُنْفَعِلا عَنْ ذَلِكَ العَمَلِ فَهُوَ مَارِدٌ مُتَمَرِّدٌ وَيَكَادُ يُخْرِجُ إِصْرَارُهُ وَتَمَرُّدُهُ رَأْسَهُ عَنْ رِبْقَةِ الإِسْلامِ وَيُدْخِلُهُ فِي دَائِرَةِ الأَعْدَاء.

{رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا}⁽¹⁾

وَالدَّوْلَةُ التي جَعَلَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُمْتَازًا بِهَا وَأَكْثَرُ النَّاسِ غَافِلونَ بَل تَكَادُ لاَ تُدْرِكُهَا أَنْتَ أَيْضًا هِيَ أَنَّ سُلطَانَ الوَقْتِ مُسْلِمٌ مِنْ جَدِّهِ السَّابِعِ وَمِنْ أَهْلِ السُّنَّة وَحَنَفِيُّ المَذْهَبِ وَإِنْ تَقَرَّبَ بَعْضُ طَلَبَةِ العُلومِ بِشُؤْمِ الطَّمَعِ النَّاشِئِ مِنْ خَبَثِ البَاطِنِ مِنْ مُنْذُ سِنِينَ فِي هَذِهِ الأَوَانِ التي هِيَ أَوَانُ قُرْبِ القِيَامَة وَبُعْدِ العَهْدِ مِنْ زَمَانِ النُّبُوَّةِ إِلَى الأُمَرَاءِ وَالسَّلاطِين وَدَاخَلوهُمْ مِنْ طَرِيقِ المُطَايَبَة وَالمُدَاهَنَة وَأَوْقَعُوا فِي الدِّينِ المتِينِ تَشْكِيكَات وَأَظْهَرُوا فيه شُبُهَات وَأَضَلوا الأَغْنِيَاءَ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَلكِنْ لَمَّا كَانَ مِثْلَ هَذَا السُّلْطَانِ عَظِيمَ الشَّأْنِ مُصْغِيًّا إِلى قَوْلِكُمْ بِحُسْنِ الاسْتِمَاعِ وَمُتَلَقِّيًا إِيَّاهُ بِالقَبُول كَانَ اللازِمُ أَنْ يُعَدَّ ذَلِكَ دَوْلَةً عَظِيمَةً وَأَنْ يَبْلُغَ الكَلِمَةَ الحَقَّةَ يَعْني: كَلِمَةَ الإِسْلامِ المُوَافِقَةَ لمُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّة شَكَرَ اللهُ تَعَالى سَعْيَهُمْ صَرَاحَةً أَوْ إِشَارَةً إِلى سَمْعِ السُّلْطَان ، وَأَنْ يَعْرِضَ إِلَيْهِ الكَلامَ أَهْلِ الحَقِّ بِقَدْرِ الإِمْكَان بَل يَنْبَغِي أَنْ يَتَرَصَّدَ وَيَنْتَظِرَ دَائِمًا فُرْصَةً لإِيرَاد كَلامِ أَهْلِ المَذَاهِب الحَقِّ فِي البَيْنِ حَتَّى تَظْهَرَ حَقِيقَةُ الإِسْلامِ وَيَبْدُوَ بُطْلانُ الكُفْرِ وَشَنَاعَتُهُ، وَالكُفْرُ هُوَ ظَاهِرُ البُطْلانِ لاَ يَسْتَحْسِنُهُ عَاقِلٌ أَصْلا يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ بُطْلانُهُ بِلا تَحَاشٍ وَأَنْ يَنْفِي آلِهَتَهُمُ البَاطِلَةَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ وَأَنْ يُثْبِتَ الإِلهَ الحَقَّ الذي هُوَ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بِلا تَرَدُّدٍ هَل كَانَ مَسْمُوعًا أَصْلا أَنَّ آلِهَتَهُمُ البَاطِلَةَ خَلَقُوا ذُبَابَةً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ كُلُّهُمْ بَل لَوْ قَرَصَهُمُ الذُّبَابُ وَآذَاهُمْ لاَ يَقْدِرُونَ حِفْظَ أَنْفُسِهِمْ مِنْهُ فَضْلا عَنْ حِفْظِ غَيْرِهِمْ وَكَأَنَّ الكَفَرَةَ قَالوا مُلاحِظًا لِشَنَاعَةِ هَذَا الأَمْرِ: {هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ}⁽²⁾ وَأَنَّهُمْ لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللهِ زُلفَى، وَلَمْ يَدْرِ هَؤُلاءِ المجَانِينُ أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذِهِ الجَمَادَات مَجَال الشَّفَاعَةِ وَإِنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لاَ يَقْبَل شَفَاعَةَ الشُّرَكَاءِ الذينَ هُمْ فِي الحَقِيقَةِ أَعْدَاؤُهُ تَعَالى فِي حَقِّ عَبَدَةِ أَعْدَائِه مِثْل قَيِّمِ بُسْتَان خَرَجَ عَلَى سُلطَان فَجَاءَ جَمَاعَةٌ مِنَ البُلهَاءِ يَمُدُّونَ القَيِّمَ بِزَعْمِ أَنَّهُ يُشَفِّعُهُمْ عِنْدَ السُّلطَانِ وَقْتَ المُضَايَقَةِ وَأَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ

---

(1) الكهف: ١٠

(2) يونس: ١٨

إلى السُّلْطَان بالتَّوَسُّل به مَا أَعْظَمَ حَمَاقَتَهُمْ حَيْثُ يَخْدِمُونَ القَيِّمَ وَيَطْلُبُونَ العَفْوَ مِنَ السُّلْطَان بشَفَاعَته وَيَتَقَرَّبُونَ إليْه به لَمَ لاَ يَخْدِمُونَ السُّلْطَانَ عَلى الحَقِّ وَيَكْسِرُونَ القَيِّمَ حَتَّى يَكُونُوا منْ أَهْل القُرْب وَأَهْل الحَقِّ وَيَكُونُوا في أَمْنٍ وَأَمَان وَهَؤُلاء المجَانينُ يَنْحتُونَ الحَجَرَ بأَيْديهمْ وَيَعْبُدُونَهُ سنينَ وَيُطْعمُونَ منْهُ تَوَقُّعَات وَبالجُمْلَة الكُفْرُ ظَاهرُ البُطْلان وَالذينَ بَعدُوا عَنِ الطَّرِيق الحَقِّ وَالصِّرَاط المسْتَقيم منَ المُسْلمينَ هُمْ أَهْل الهَوَى وَالبدْعَة وَذلكَ الطَّريقُ المسْتَقيمُ هُوَ طَرِيقُ النَّبيِّ وَطَرِيقُ خُلفَائه الرَّاشدينَ – عَليْه وَعَلَيْهمُ الصَّلوَاتُ والتَّسْليمَاتُ –. قَال الشَّيْخُ عَبْدُ القَادر الجيلانيُّ ــ قُدِّسَ سرُّهُ ــ في كتَابه الغَنيَّة: إنَّ أَدْيَانَ المُبْتَدعَة الذينَ أُصُولُهُمْ تسْعَةُ طَوَائفَ الخَوَارجُ وَالشِّيعَةُ، وَالمُعْتَزلَةُ، وَالمُرْجئَةُ، وَالمُشَبِّهَةُ، والجَهْميَّةُ، وَالضَّرَاريَّةُ، وَالنَّجَّاريَّةُ، وَالكلابيَّةُ، لَمْ تَكُنْ في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ وَلا في زَمَانِ خلافَة أَبي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَليٍّ – رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعين – أَيْضًا.

وَاخْتلافُ هَذه الطَّوَائف وَتَفَرُّقُهُمْ إنَّمَا حَدَثَ بَعْدَ سنينَ منْ مَوْتِ الصَّحَابَة وَالتَّابعينَ، وَمَوْت الفُقَهَاء السَّبْعَة – رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعينَ

قَال النَّبيّ ﷺ "إنَّهُ مَنْ يَعشْ منْكُمْ فَسَيَرَى اخْتلافًا كَثيرًا فَعَليْكُم بسُنَّتي وَسُنَّة الخُلفَاء الرَّاشدينَ منْ بَعْدي وَتَمَسَّكُوا بهَا وَعَضُّوا عَليْهَا بالنَّوَاجذ وَإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَات الأُمُورِ فَإنَّ كُلَ مُحْدَثَةٍ بدْعَةٌ وَكُل بدْعَةٍ ضَلالَةٌ ، وَكُل مَا حَدَثَ بَعْدي فَهُوَ رَدٌّ "(١).

فَالمَذْهَبُ الذي حَدَثَ بَعْدَ زَمَان النَّبيِّ وَخُلفَائه الرَّاشدينَ ــ عَليْه وَعَليْهمُ الصَّلوَاتُ والتَّسْليمَاتُ ــ سَاقطٌ عَنْ حَيِّز الاعْتبَار ليْسَ بلائق به يَنْبَغي أَدَاءُ شُكْر نعْمَة الحَقِّ سُبْحَانَهُ العُظْمَى حَيْثُ جَعَلنَا منْ كَمَال كَرَمه وَفَضْله دَاخلينَ في الفرْقَة النَّاجيَة الذينَ هُمْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة وَلَمْ يَجْعَلنَا مَنْ فرَق أَهْل الهَوَى وَالبدْعَة ، وَلَمْ يَبْتَلنَا باعْتقَادهمُ الفَاسد وَلَمْ يَجْعَلنَا منَ الذينَ يُشْرِكُونَ العَبْدَ بالله في أَخَصِّ صفَاته – تَعَالى – وَيَزْعُمُونَ أَنَّ خَالقَ أَفْعَال العَبْد هُوَ العَبْدُ، وَيُنْكرُونَ الرُّؤْيَة

---

(١) ــ **حسن صحيح**: سنن الترمذي. ك: العلم. ب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة. ح٢٦٧٦. بنحوه وقال: حسن صحيح.، سنن ابن ماجه: ك: فضائل الصحابة. ب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. ح ٤٣.،

أحمد في المسند: مسند الشاميين: حديث العرباض بن سارية.، الطبراني في المعجم الكبير: حديث العرباض بن سارية.١٨/٢٤٧.

الأُخْرَوِيَّةَ التي هِيَ رَأْسُ بِضَاعَةِ السَّعَادَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ وَيَنْفُونَ الصِّفَاتِ الكَامِلةَ عَنِ الوَاجِب تَعَالى.

وَلَمْ يَجْعَلنَا أَيْضًا مِنَ الطَّائفتَيْنِ اللتَيْنِ يُبْغضُونَ أَصْحَابَ خَيْرِ البَشَرِ - عَلَيْه وَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ والتَّسْلِيمَاتُ - وَيُسِيئُونَ الظَّنَّ بأَكَابِرِ الدِّينِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُعَادُونَ بَعْضَهمْ بَعْضًا، وَيَتَّهِمُونَهُمْ بالبُغْضِ المضْمَرِ، وَالحِقْدِ المُبْطَنِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يَقُول في حَقِّهِمْ {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}(١).

وَهَاتَان الطَّائفَتَان يُكَذِّبُونَ كَلامَ الحَقِّ جَل وَعَلا وَيُثْبِتُونَ بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ وَالحِقْدَ، رَزَقَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ التَّوْفِيقَ وَبَصَّرَهُمُ الصِّرَاطَ المسْتَقِيمَ وَلَمْ يَجْعَلنَا أَيْضًا مِنَ الذينَ يُثْبِتُونَ الجِهَةَ وَالمَكَانَ للحَقِّ تَعَالى، وَيَزْعُمُونَهُ جِسْمًا وجِسْمانيًّا وَيُثْبِتُونَ في الوَاجِبِ القَدِيمِ - جَل شَأْنُهُ - أَمَارَاتِ الحُدُوثِ وَالإمْكَانِ وَلنَرْجِعْ إلى أَصْلِ الكَلامِ فَنَقُول: مَعْلُومُكم أَنَّ السُّلطَانَ كَالرُّوحِ وَسَائرَ النَّاسِ كَالجَسَدِ فَإنْ كَانَت الرُّوحُ صَالحَةً فَالبَدَنُ صَالحٌ، وَإِنْ كَانَت الرُّوحُ فَاسدَةً فَالبَدَنُ فَاسدٌ فَالاجْتهَادُ وَالسَّعْيُ في إصْلاحِ السُّلطَانِ اجْتهَادٌ وَسَعْيٌ في إِصْلاحِ جَميعِ بَني آدَمَ.

وَالإصْلاحُ في إظْهَارِ كَلمَةِ الإسْلامِ بأَيِّ طَرزٍ كَانَ يُسَاعِدُهُ الوَقْتُ.

وَبَعْدَ إظْهَارِ كَلمَةِ الإسْلامِ يَنْبَغي أَنْ يُوصلَ سُمْعَةَ مُعْتَقَدَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَيْضًا في بَعْضِ الأَحْيَانِ وَأَنْ يرُدَّ مَذْهَبَ المُخَالفِ فَإنْ تَيَسَّرَتْ هَذه الدَّوْلَةُ فَقَدْ حَصَلت الوِرَاثَةُ العُظْمَى مِنَ الأَنْبيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالسَّلام - وَهَذه الدَّوْلةُ قَدْ حَصَلَتْ لكُمْ مَجَّانًا فَيَنْبَغي أَنْ يُعْرَفَ قَدْرُهَا وَمَاذَا أُبَالغُ أَزْيَدَ مِنْ ذَلكَ، وَإِنْ كَانَتِ المُبَالغَةُ مُسْتَحْسَنَةً، وَاللهُ سُبْحَانَهُ الموَفِّقُ.

---

(١) الفتح: ٢٩.

فهرس الجزء الثاني من المكتوبات

المكتوب ٢٥٥ : في التحريض على إحياء السنة السنية ورفع البدعة ٥
المكتوب ٢٥٦ : في جواب سؤال عن القطب وقطب الأقطاب والغوث والخليفة ٦
المكتوب ٢٥٧ : في بيان الطرق على طريق الإجمال ١٠
المكتوب ٢٥٨ : في بيان أقربيته تعالى وتقدس ١٢
المكتوب ٢٥٩ : في بيان فوائد إرسال الرسل وعدم استقلال العقل في معرفته تعالى ١٣
المكتوب ٢٦٠ : في بيان الولايات الثلاث الصغرى والكبرى والعليا ١٧
المكتوب ٢٦١ : في بيان فضائل الصلاة والكمالات المخصوصة بها ٣٩
المكتوب ٢٦٢ : في بيان أن ارتباط النقشبندية حبية ونسبتهم انعكاسية ٤٣
المكتوب ٢٦٣ : في بيان معارف تتعلق بالكعبة الربانية ٤٤
المكتوب ٢٦٤ : في بيان لزوم جر المعاملة نحو الحيرة والجهالة ٤٦
المكتوب ٢٦٥ : في التحذير عن تضييع حقوق المسلمين بالعزلة ٤٨
المكتوب ٢٦٦ : في بيان بعض المسائل الكلامية على وفق آراء أهل السنة والجماعة ٥٠
المكتوب ٢٦٧ : في بيان أن الأسرار والدقائق التي امتاز بها لا يمكن إظهار نبذة منها ٧٩
المكتوب ٢٦٨ : في بيان العلم الموروث من الأنبياء ٨١
المكتوب ٢٦٩ : في الترغيب في إيصال الإهانة إلى أعداء الدين ٨٤
المكتوب ٢٧٠ : في بيان ترجيح بعض الصحبة على العزلة ٨٥

المكتوب ٢٧١ : إلى الشيخ حسن البركي في حل استفساره عن الواقعة التي رآها ٨٦
المكتوب ٢٧٢ : في بيان الإيمان الغيبي والإيمان الشهودي ٨٧
المكتوب ٢٧٣ : في بيان أنه ينبغي للسالك أن يكون ثابتاً ومستقيماً على طريق شيخه ١٠١
المكتوب ٢٧٤ : في الحث على علو الهمة وعدم الالتفات إلى الشهودات السفلية ١٠٥
المكتوب ٢٧٥ : في التحريض على تعليم العلوم الشرعية ونشر الأحكام الفقهية ١٠٧
المكتوب ٢٧٦ : في بيان محكمات القرآن ومتشابهاته ١٠٩
المكتوب ٢٧٧ : في بيان علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ١١٣
المكتوب ٢٧٨ : في بيان أنه لا بد لكل إنسان بعد تصحيح العقائد من سلامة القلب ١١٦
المكتوب ٢٧٩ : في أداء شكر نعمة دلالته إياه على الطريقة النقشبندية العلية ... ١١٨
المكتوب ٢٨٠ : في بيان أن محبة هذه الطائفة رأس مال السعادة ١٢٠
المكتوب ٢٨١ : في بيان شكر نعمة الانتساب إلى سلسلة الطريقة النقشبندية العلية ١٢١
المكتوب ٢٨٢ : في بيان ملاقاة الخضر وإلياس ١٢٣
المكتوب ٢٨٣ : في بيان أن رؤية النبي ربه ليلة المعراج كانت في موطن الآخرة ١٢٤
المكتوب ٢٨٤ : في بيان أن الأحوال المواجيد نصيب عالم الأمر ١٢٥
المكتوب ٢٨٥ : في بيان أحكام السماع والوجد والرقص وبعض المعارف المتعلقة بالروح ١٢٧
المكتوب ٢٨٦ : في بيان أن الاعتقاد الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة ١٣٤

المكتوب ٢٨٧ : في بيان الجذبة والسلوك وبيان المعارف المناسبة لهذين المقامين ١٤٠
المكتوب ٢٨٨ : في المنع عن أداء صلاة النفل بالجماعة ١٥٩
المكتوب ٢٨٩ : في بيان أسرار القضاء والقدر ١٦٢
المكتوب ٢٩٠ : في بيان الطريق الذي خصه الله سبحانه به في أوائل حاله ١٦٨
المكتوب ٢٩١ : في بيان مراتب التوحيد الوجودي والشهودي ١٨٣
المكتوب ٢٩٢ : في بيان الآداب الضرورية للمريدين ١٨٩
المكتوب ٢٩٣ : في جواب سؤال عن قوله عليه الصلاة والسلام : «لي مع الله وقت» ١٩٤
المكتوب ٢٩٤ : في بيان ما يتعلق بصفات الحق سبحانه الثمان ١٩٩
المكتوب ٢٩٥ : في بيان النظر على القدم والسفر في الوطن ٢٠٦
المكتوب ٢٩٦ : في بساطة صفات الحق جل وعلا ٢٠٩
المكتوب ٢٩٧ : في تحقيق إحاطة الحق وسريانه سبحانه وتعالى وتوضيح ذلك بأمثلة ٢١١
المكتوب ٢٩٨ : في بيان الوصول إلى نهاية الأمر بطريق الإشارة ولطيف العبارة ٢١٣
المكتوب ٢٩٩ : في التعزية والدلالة على الرضا بالقضاء وبيان فضيلة الموت بالطاعون ٢١٤
المكتوب ٣٠٠ : في بيان الأسرار الغامضة والمعارف الغريبة بلسان الرمز والإشارة ٢١٦
المكتوب ٣٠١ : في بيان قرب النبوة وقرب الولاية والطرق الموصلة إلى قرب النبوة ٢١٨
المكتوب ٣٠٢ : في بيان فرق الولاية الثلاث وأن النبوة أفضل من الولاية ٢٢١
المكتوب ٣٠٣ : في بيان معاني كلمات الأذان ٢٢٧

المكتوب ٣٠٤: في بيان الأعمال الصالحة التي نيط بها وعدد دخول الجنة ٢٢٨
المكتوب ٣٠٥: في بيان أسرار الصلاة ٢٣٠
المكتوب ٣٠٦: في ذكر بعض مناقب المخدوم زاده الأكبر الخواجه محمد صادق ٢٣٢
المكتوب ٣٠٧: في بيان معنى الكلمة الطيبة سبحان الله وبحمده ٢٣٥
المكتوب ٣٠٨: في بيان معنى قوله: «كلمتان خفيفتان على اللسان ٢٣٧
المكتوب ٣٠٩: في بيان المحاسبة اليومية والليلية ٢٣٨
المكتوب ٣١٠: في بيان جامعية الإنسان ٢٤٠
المكتوب ٣١١: في بيان الأسرار الغامضة والحقائق النادرة المتعلقة بالحروف المقطعات ٢٤٢
المكتوب ٣١٢: في السؤال عن تحقيق الإشارة في التشهد عند الحنفية ٢٤٤
المكتوب ٣١٣: إلى الخواجه محمد هاشم في حل أسئلة كتبها ٢٤٨
المكتوب ٣١٤: في مذهب الشيخ محيي الدين بن العربي في وحدة الوجود وما هو مختار حضرة شيخنا سلمه الله تعالى فيها ٢٦٠
المكتوب ٣١٥: في أن مرتبة ذات الحق ومرتبة صفاته سبحانه فوق اعتبار الوجود والوجوب ٢٧٤
المكتوب ٣١٦: في أن معاملة الآفاق والأنفس داخلة في دائرة الظلال وبيان الولاية الصغرى والكبرى وكمالات النبوة الخ ٢٧٦
المكتوب ٣١٧: في أن علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين شطران الخ ٢٨٣
المكتوب ٣١٨: إلى المير شمس الدين الخلخالي أن لصفات اعتبارين ٢٨٧
المكتوب ٣١٩: في بعض الأسرار الغامضة ٢٨٩
المكتوب ٣٢٠: في مراتب الخمس المحبية والمحبوبية والمحبة والحب والرضا ٢٩٢
المكتوب ٣٢١: في الفرق بين إيمان أخص الخواص والعوام والمتوسطين ... ٢٩٥

المكتوب ٣٢٢ : في فضائل الكلمة الطيبة والإيمان بالغيب ٢٩٧
المكتوب ٣٢٣ : إلى أخيه الحقيقي ميان محمد مودود إن كل ظهور لا يكون بدون الظلية ٣٠٠
المكتوب ٣٢٤ : في بعض خصائص ظهور ما فوق العرش ومعنى قوله تعالى : ﴿الله نور السمٰوات والأرض﴾ التأويلي الخ ٣٠٢
المكتوب ٣٢٥ : في فرق شهود الملك والإنسان ٣٠٩
المكتوب ٣٢٦ : في أن نصيب علماء الظاهر والصوفية والعلماء الراسخين ٣١٢
المكتوب ٣٢٧ : في أن صاحب المنصب هل يكون صاحب علم البتة ٣١٣
المكتوب ٣٢٨ : في ذم خطيب ترك ذكر الخلفاء الراشدين في خطبة عيد الأضحى وتقريعهم الخ ٣١٥
المكتوب ٣٢٩ : في عجائب أحوال البرزخ الصغير ٣١٩
المكتوب ٣٣٠ : في أن مصيبات هذا العالم باعثة لترقيات الخ ٣٢١
المكتوب ٣٣١ : في نصيب علماء الظاهر والراسخين والصوفية ٣٢٣
المكتوب ٣٣٢ : في اتباع السنة السنية وترك البدعة الغير المرضية ٣٢٥
المكتوب ٣٣٣ : في فضائل الصلاة وتكميل الشرائط ٣٢٦
المكتوب ٣٣٤ : في أن المراد بالقلب في الحديث القدسي لا يسعني أرضي هو المضغة ٣٢٧
المكتوب ٣٣٥ : في تشرف بلدة سرهند ببركة الخ ٣٣٦
المكتوب ٣٣٦ : في اتباع السنة ومدح الطريقة ٣٣٧
المكتوب ٣٣٧ : إلى الحاج محمد الفركتي في جواب كتابه ٣٤٣
المكتوب ٣٣٨ : في أن كل عمل يصدر على الشريعة داخل في الذكر ٣٤٥
المكتوب ٣٣٩ : في تلقين الذكر مثل تعليم ألف الخ ٣٤٦
المكتوب ٣٤٠ : في تشكيكات الشيخ عبد العزيز ٣٤٨
المكتوب ٣٤١ : في جواب استفساراته ٣٥١

المكتوب ٣٤٢: في أن أفضل الأمتعة في هذه النشأة الحزن والغم وأهنى الخ . ٣٥٣
المكتوب ٣٤٣: في جواب سؤال عن دوام نسبة الرابطة ٣٥٤
المكتوب ٣٤٤: في الوعظ والنصيحة ٣٥٦
المكتوب ٣٤٥: في الشكاية من عدم جمعية الباطن ٣٥٧
المكتوب ٣٤٦: في أن المحبوب محبوب في نظر المحب ٣٥٨
المكتوب ٣٤٧: في جواب عريضته عن توارد الأحوال ٣٦١
المكتوب ٣٤٨: في التوحيد وعين اليقين ٣٦٣
المكتوب ٣٤٩: إلى الخواجه محمد التقي في الإمامة ومذهب أهل السنة ومدح أهل بيت ٣٦٦
المكتوب ٣٥٠: في فضائل الكلمة الطيبة ٢٩٣
المكتوب ٣٥١: لا تعلق لباطن أهل البيت بالدنيا مقدار خردلة ٣٩٧
المكتوب ٣٥٢: في أصحاب اليمين والشمال والسابقين ٣٩٨
المكتوب ٣٥٣: في أن خرق الحجب باعتبار الشهود الخ ٤٠٠
المكتوب ٣٥٤: في أن في مراتب نهاية النهاية تظهر مرتبة الخ ٤٠١
المكتوب ٣٥٥: في حصر الصوفية السير في الآفاق والأنفس وإثباتهم التخلية والتحلية الخ ٤٠٢
المكتوب ٣٥٦: في بيان معنى قولهم أن ما هو الميسر للسالك في حضرة الحق إنما هو ذوق الوجدان لا الوجدان واندراج النهاية الخ ٤١٦
المكتوب ٣٥٧: في وحدة الوجود وتطبيقها على علوم الشريعة وعن سؤاله عن حديث إذا أحب الله عبداً الخ ٤٢٠
المكتوب ٣٥٨: في أن العالم بتمامه مجالي الأسماء والصفات الواجبة خلاف الذات فإنه لا نصيب للممكن منها الخ ٤٢٧
المكتوب ٣٥٩: في فضائل الكلمة الطيبة التي هي متضمنة للطريقة والحقيقة والشريعة لا مقدار لكمالات الولاية في جنب كمالات النبوة ٤٣٢

المكتوب ٣٦٠: في النصيحة والتنبيه ٤٣٩

المكتوب ٣٦١: في الترغيب في مقام الرضا ٤٤٠

المكتوب ٣٦٢: في بيان أن نسيان السوي قدم أول في هذه الطريقة ٤٤١

المكتوب ٣٦٣: في أن للشريعة صورة وحقيقة وتمكين القلب الخ ٤٤٢

المكتوب ٣٦٤: في أن كلامه سبحانه قد يكون شفاهًا الخ ٤٤٨

المكتوب ٣٦٥: في الترغيب في الطريقة ٤٤٩

المكتوب ٣٦٦: في جواب استفساره بأني لو عبدت الخ ٤٥٠

المكتوب ٣٦٧: في أن لمتابعة النبي ﷺ مراتب ودرجات ٤٥٢

المكتوب ٣٦٨: في أن القرآن جامع لجميع الأحكام الشرعية ومناقب الإمام الأعظم الخ ٤٥٧

المكتوب ٣٦٩: في حسنات الأبرار سيئات المقربين ٤٦٥

المكتوب ٣٧٠: في أن ذكر الحق أولى من الصلوات لكن بشرط الخ ٤٦٦

المكتوب ٣٧١: في رد جماعة يقولون بالتناسخ وبيان الكمون الخ ٤٦٩

المكتوب ٣٧٢: في أن المعقول والموهوم والمكسوف والمشهود كلها داخلة في السوي ٤٧٧

المكتوب ٣٧٣: في أن اللازم صرف العنان عن فضوليات الدين الخ ٤٧٨

المكتوب ٣٧٤: في تعزية أصحاب المرحوم مولانا أحمد البركي وفي نصيحتهم ٤٨٠

المكتوب ٣٧٥: في أن الإنسان مدني الطبع ومحتاج إلى بني نوعه الخ ٤٨٢

المكتوب ٣٧٦: إذا حضر الطالب عند شيخ آخر مع وجود شيخه ٤٨٤

المكتوب ٣٧٧: ينبغي أن لا يضيق الصدر عن تلون الأحوال الخ ٤٨٥

المكتوب ٣٧٨: في التحذير عن الاشتغال بأمور لا طائل فيها ٤٨٦

المكتوب ٣٧٩: في التوبة والإنابة والورع والتقوى وما يناسب ذلك ٤٨٧

المكتوب ٣٨٠: في عقائد أهل السنة والأركان الخمسة الإسلامية الخ ٤٩١